



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

أحمد عبد الباقي

عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين

سار

الجزء ١-٢

الجزء العربية الموعود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا

كاتب:

احمد عبد الباقي

نشرت فى الطباعة:

الدار العربيه للموسوعات

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
٢٢	عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا
٢٢	اشاره
٢٢	المجلد ١
٢٢	اشاره
٢٦	فهرست كتاب سامرا عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين
٣٠	مقدمه:
٤٠	الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها
٤٠	الفصل الأول تأسيس سامرا
٤٠	١- اسباب الانتقال من بغداد:
٤٧	٢- اختيار موضع سامرا:
٥٩	٣- قدم الموضوع:
٦٦	٤- بناء سامرا:
٦٦	اشاره
٦٦	تخطيط المدينه:
٦٩	الشوارع الرئيسيه:
٧٢	عزل مساكن الأتراك:
٧٣	انتقال المعتصم بالله الى سامرا:
٧٤	توسع العمران فى الجانب الغربى:
٧٨	٥- اسم المدينه:
٨٤	٦- اطلال سامرا:
٩٠	الفصل الثانى منشآت المعتصم بالله فى سامرا
٩٠	اشاره
٩٠	١- دار الخليفه (دار العامه):

- ٩٠ ..... اشاره
- ٩١ ..... الأواوين القائمه:
- ٩٣ ..... باب العامه:
- ٩٥ ..... قاعه العرش:
- ٩٥ ..... جناح الحریم:
- ٩٦ ..... الساحة الكبرى:
- ٩٧ ..... السردايان:
- ٩٩ ..... ساحة اللعب و حلبه السباق:
- ١٠٠ ..... زخارف دار العامه:
- ١٠٠ ..... ٢- الجوسق الخاقاني:
- ١٠٣ ..... ٣- قصر الجص:
- ١٠٣ ..... اشاره
- ١٠٦ ..... السور:
- ١٠٦ ..... مواد الأبنیه:
- ١٠٧ ..... تبليط الأرض:
- ١٠٧ ..... طلاء الجدران:
- ١٠٨ ..... الزخارف الجداريه:
- ١٠٩ ..... ٤- قصور المعتمصم بالله الاخرى:
- ١١٠ ..... ٥- معسكر الاصطبلات و نهر الاسحاقى:
- ١١٤ ..... ٦- جسر سامرا:
- ١١٦ ..... الفصل الثالث سامرا فى عهد المتوكل على الله
- ١١٦ ..... ١- عمران سامرا فى عهد الواثق بالله:
- ١١٦ ..... اشاره
- ١١٧ ..... تشييد القصر الهارونى:
- ١١٩ ..... ٢- توسيع مدينه سامرا:
- ١١٩ ..... اشاره

- الطراز الحيرى فى البناء: ١٢٢
- ساحات الفروسية و السباق: ١٢٢
- اتل العليق: ١٢٤
- الحير: ١٢٤
- ٣- مشاريع الرى فى عهد المتوكل على الله: ١٣٠
- اشاره - ١٣٠
- قناه سامرا: ١٣٠
- نهر نيزك: ١٣٢
- ٤- الجامع الكبير: ١٣٣
- مقدمه: ١٣٣
- مخطط الجامع: ١٣٥
- المحراب: ١٣٧
- النافوره: ١٣٨
- جدران الجامع: ١٤٠
- ابواب الجامع و نوافذه: ١٤٢
- الاسوار الخارجيه للجامع: ١٤٣
- المناره الملويه: ١٤٤
- طراز المناره الملويه: ١٤٤
- ٥- قصور المتوكل على الله: ١٤٩
- اشاره - ١٤٩
- قصر بلكوارا: ١٥١
- قصر الشاه و العروس: ١٥٤
- قصر المختار و البديع: ١٥٧
- قصر الصبيح و المليح: ١٥٩
- قصر البرج: ١٦١
- القصور الاخرى: ١٦٣

١٦٧ ..... الغرد:

١٧٠ ..... الفصل الرابع تأسيس مدينه المتوكليه (الجعفرية)

١٧٠ ..... ١- تأسيس المدينه:

١٨٠ ..... ٢- النهر الجعفرى:

١٨٤ ..... ٣- القصر الجعفرى:

١٨٤ ..... اشاره

١٩١ ..... قصر لؤلؤه:

١٩١ ..... ٤- جامع ابى دلف:

١٩١ ..... مقدمه:

١٩٣ ..... تخطيط الجامع:

١٩٦ ..... المحراب و المنبر:

١٩٦ ..... سور الجامع و ابوابه:

١٩٩ ..... التسقيف و التبليط:

٢٠٠ ..... المئذنه:

٢٠٢ ..... الفصل الخامس سامرا بعد المتوكل على الله

٢٠٢ ..... ١- المنتصر بالله:

٢٠٢ ..... اشاره

٢٠٣ ..... قبه الصليبيه:

٢٠٤ ..... ٢- المستعين بالله:

٢٠٥ ..... ٣- المعتز بالله:

٢١٠ ..... ٤- المهتدى بالله:

٢١١ ..... ٥- المعتمد على الله:

٢١١ ..... اشاره

٢١٢ ..... قصر المعشوق:

٢٢٠ ..... الفصل السادس العوده الى بغداد و هجر سامرا

٢٢٠ ..... ١- العوده الى بغداد:



٢٢٣	٢- اسباب هجر سامرا:
٢٢٥	٣- سامرا بعد هجرها:
٢٣٠	الفصل السابع دور السكنى فى سامرا
٢٣٤	الفصل الثامن زخارف سامرا
٢٣٤	مقدمه:
٢٣٥	الزخارف الجصيه:
٢٤٠	الزخارف الخشبيه:
٢٤٣	الرسوم الحائطيه:
٢٤٤	الزخرفه بالفسيفساء:
٢٤٨	الباب الثانى خلفاء سامرا
٢٤٨	الفصل الأول الخلافه و المبايعه و ولايه العهد
٢٤٨	١- الخلافه:
٢٤٨	اشاره
٢٥١	ضعف الخلافه:
٢٥٣	٢- المبايعه و ولايه العهد:
٢٥٨	الفصل الثانى المعتصم بالله ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد
٢٥٨	١- وصيه المأمون:
٢٦١	٢- مبايعه المعتصم بالله:
٢٦٥	٣- صفاته و سيرته:
٢٧٠	٤- الخليفه المثلث:
٢٧٥	٥- وفاته:
٢٨٠	الفصل الثالث الواثق بالله ابو جعفر هارون بن المعتصم بالله
٢٨٠	١- مبايعته:
٢٨٣	٢- صفاته و سيرته:
٢٨٨	٣- رجال الدوله فى عهد الواثق بالله:
٢٩١	٤- مصادره الكتاب:

٢٩٧ ..... ٥- وفاه الواثق بالله:

٣٠٢ ..... الفصل الرابع المتوكل على الله ابو الفضل جعفر بن المعتمد بالله

٣٠٢ ..... ١- مبايعته:

٣٠٦ ..... ٢- صفاته و سيرته:

٣١٢ ..... ٣- ولايه العهد:

٣١٣ ..... ٤- مؤامره قتله:

٣١٨ ..... الفصل الخامس المنتصر بالله ابو جعفر محمد بن جعفر المتوكل على الله

٣١٨ ..... ١- مبايعته:

٣٢١ ..... ٢- صفاته و سيرته:

٣٢٥ ..... ٣- ولايه العهد:

٣٢٨ ..... ٤- وفاه المنتصر بالله:

٣٣٤ ..... ٥- المنتصر بالله و الاحلام:

٣٣٨ ..... الفصل السادس المستعين بالله ابو العباس احمد بن محمد بن المعتمد بالله

٣٣٨ ..... ١- مبايعته:

٣٤٠ ..... ٢- صفاته و سيرته:

٣٤٣ ..... ٣- قتله:

٣٤٨ ..... الفصل السابع المعتز بالله ابو عبد الله المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله

٣٤٨ ..... ١- مبايعته:

٣٥٠ ..... ٢- صفاته و سيرته:

٣٥٢ ..... ٣- خلع المؤيد من ولايه العهد:

٣٥٥ ..... ٤- خلع المعتز بالله و قتله:

٣٥٨ ..... الفصل الثامن المهتدي بالله محمد بن الواثق بالله

٣٥٨ ..... ١- مبايعته:

٣٦٠ ..... ٢- صفاته و سيرته:

٣٦٤ ..... ٣- خلع و قتله:

٣٦٨ ..... الفصل التاسع المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل على الله

- ١- مبايعته: ..... ٣٦٨
- ٢- صفاته و سيرته: ..... ٣٦٩
- ٣- استئثار الموفق بالسلطه: ..... ٣٧١
- ٤- ولايه العهد: ..... ٣٧٥
- ٥- وفاه المعتمد على الله: ..... ٣٧٨
- الباب الثالث مؤسسات الدوله العربيه فى عهد سامرا ..... ٣٨٢
- اشاره ..... ٣٨٢
- الفصل الأول وزراء سامرا ..... ٣٨٤
- اشاره ..... ٣٨٤
- ١- الفضل بن مروان: ..... ٣٨٤
- ٢- محمد بن عبد الملك الزيات: ..... ٣٩٣
- ٣- احمد بن خالد: ..... ٤٠٧
- ٤- محمد بن الفضل الجرجاني: ..... ٤٠٩
- ٥- عبيد الله بن يحيى بن خاقان: ..... ٤١٠
- ٦- احمد بن الخصيب: ..... ٤١٦
- ٧- احمد بن اسرائيل: ..... ٤٢٠
- ٨- سليمان بن وهب: ..... ٤٢٥
- الفصل الثانى الكتاب ..... ٤٣٢
- الفصل الثالث القضاء فى عهد سامرا ..... ٤٤٠
- ١- مقدمه: ..... ٤٤٠
- ٢- قاضى القضاء: ..... ٤٤٣
- اشاره ..... ٤٤٣
- احمد بن ابى دود: ..... ٤٤٣
- يحيى بن اكنم التميمي: ..... ٤٥٩
- جعفر بن عبد الواحد الهاشمي: ..... ٤٦٥
- جعفر البرجمي: ..... ٤٦٧

- الحسن بن محمد بن أبي الشوارب: ..... ٤٦٨
- علي بن محمد بن أبي الشوارب: ..... ٤٧٠
- ٣- قضاة مدينه السلام: ..... ٤٧١
- اشاره ..... ٤٧١
- محمد بن سماعه: ..... ٤٧١
- شعيب بن سهل: ..... ٤٧٣
- عبد الرحمن بن اسحاق: ..... ٤٧٤
- اسماعيل بن اسحاق: ..... ٤٧٦
- الحسن بن الجعد: ..... ٤٧٨
- عبد الله الخلنجي: ..... ٤٧٩
- الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراك ..... ٤٨٤
- الفصل الأول الاتراك في عهد المعتمد بالله و ابنه الواثق بالله ..... ٤٨٤
- ١- مقدمه: ..... ٤٨٤
- ٢- المعتمد بالله و استخدامه الاتراك في الجيش: ..... ٤٨٧
- ٣- كبار القواد الاتراك: ..... ٤٨٩
- اشاره ..... ٤٨٩
- ايتاخ الخزري: ..... ٤٩١
- أشناس: ..... ٤٩٢
- وصيف: ..... ٤٩٤
- بغا الكبير: ..... ٤٩٥
- ٤- الأتراك في عهد الواثق بالله: ..... ٤٩٧
- الفصل الثاني الصراع بين المتوكل على الله و الأتراك ..... ٥٠٠
- اشاره ..... ٥٠٠
- ١- التخلص من القائد ايتاخ: ..... ٥٠١
- ٢- انشاء جيش من العرب: ..... ٥٠٣
- ٣- نقل العاصمه الى دمشق: ..... ٥٠٤

- ٤- تغلب القواد الأتراك: ..... ٥٠٧
- الفصل الثالث أيام الفتنة ..... ٥١٠
- ١- مقدمه: ..... ٥١٠
- ٢- المنتصر بالله يتنكر للاتراك: ..... ٥١٢
- ٣- المستعين بالله و الاتراك: ..... ٥١٦
- ٤- الحرب بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله: ..... ٥٢١
- اشاره ..... ٥٢١
- بدايه الحرب و حصار بغداد: ..... ٥٢٢
- اهم المعارك: ..... ٥٢٣
- اشاره ..... ٥٢٣
- معركه الشماسيه: ..... ٥٢٤
- معركه النهروان: ..... ٥٢٤
- معركه قطربل: ..... ٥٢٤
- معركه الأنبار: ..... ٥٢٦
- الوضع الداخلى فى بغداد: ..... ٥٢٨
- الاستعانه بالعيارين: ..... ٥٣٠
- محاولة فك الحصار عن بغداد: ..... ٥٣١
- المستعين بالله يخلع نفسه و يبائع المعتز بالله: ..... ٥٣٢
- ٥- المعتز بالله و الأتراك: ..... ٥٣٦
- اشاره ..... ٥٣٦
- القائدان وصيف و بغا و مقتلهما: ..... ٥٣٧
- سيطره صالح بن وصيف: ..... ٥٤٠
- خلع المعتز بالله من الخلفه: ..... ٥٤١
- ٦- المهتدى بالله و محاوله اضعاف سلطه الاتراك: ..... ٥٤٢
- اشاره ..... ٥٤٢
- تنكر المهتدى بالله للقواد الاتراك: ..... ٥٤٧

٥٤٨	محاولته الاعتماد على الجند و العامه:
٥٥١	نهايه المهتدى بالله:
٥٥٢	٧- انحسار نفوذ القواد الاتراك:
٥٥٨	الباب الخامس العلويون و خلفاء سامرا
٥٥٨	الفصل الأول خلفاء سامرا و العلويون
٥٥٨	اشاره
٥٦٤	الملحق: الامام على الهادى:
٥٦٦	الامام الحسن العسكرى:
٥٧٤	الفصل الثانى خروج العلويين فى عهد خلفاء سامرا
٥٧٤	١- خروج محمد بن القاسم العلوى:
٥٧٨	٢- خروج محمد بن صالح:
٥٨٠	٣- خروج يحيى بن عمر:
٥٨٦	٤- خروج الحسن بن زيد الطالبى:
٥٩٤	٥- خروج اسماعيل بن يوسف الطالبى:
٥٩٦	٦- خروج الحسين بن محمد العلوى:
٥٩٨	٧- ظهور الكوكبى الطالبى:
٦٠٠	٨- خروج على بن زيد العلوى:
٦٠١	٩- وثوب محمد و على ابني الحسين بن جعفر:
٦٠٢	١٠- اسباب فشل خروج العلويين:
٦٠٥	المجلد ٢
٦٠٥	اشاره
٦١١	الباب السادس الفتن و الاضطرابات فى عهد سامرا
٦١١	الفصل الأول الفتن الكبرى
٦١١	١- فتنه الخرميه:
٦١١	اشاره
٦١٢	الحركه الخرميه:

٦١٤----- بايک يتولى قياده الحركه:

٦١٥----- اعلان الخروج على الدوله:

٦٢١----- توجيه الأفشين لحرب بايک:

٦٢٣----- معركة البذ الفاصله و نهايه بايک:

٦٢٩----- ٢- مؤامره العباس بن المأمون:

٦٢٩----- اشاره -

٦٣٢----- اكتشاف المؤامره:

٦٣٥----- نتائج المؤامره:

٦٣٥----- ٣- مؤامره الأفشين:

٦٣٥----- اشاره -

٦٣٦----- الأفشين و عصيان مازيار:

٦٤٠----- الأفشين و عصيان منكجور:

٦٤١----- غضب الخليفه على الأفشين:

٦٤٤----- محاكمه الأفشين:

٦٤٨----- خاتمه:

٦٥١----- ٤- حركه الزنج: بدايه الحركه:

٦٥١----- اشاره -

٦٥٣----- استتفحال الحركه:

٦٥٤----- الموفق يتفرغ لحرب الزنج:

٦٥٦----- المعركه الفاصله:

٦٥٧----- أسباب فشل تمرد الزنج و حركتهم:

٦٥٩----- الفصل الثانى الاضطرابات الأخرى

٦٥٩----- اشاره -

٦٦٠----- ١- تمرد الزط:

٦٦٢----- ٢- تمرد جعفر الكردى:

٦٦٣----- ٣- خروج المبرقع اليمانى:

٦٦٦	٤- تمرد القبائل العربية:
٦٦٦	تمرد القيسيين في دمشق:
٦٦٦	تمرد بعض القبائل العربية:
٦٦٩	٥- تمرد قبائل البجه -
٦٧٢	٦- الاضطرابات في أرمينية:
٦٧٢	اشاره -
٦٧٣	عصيان ابن البعيث في اذربيجان:
٦٧٥	خروج أرمينية في سنة ٢٣٧ هـ:
٦٧٧	٧- فتن الخوارج:
٦٧٧	اشاره -
٦٨٠	مساور بن عبد الحميد البجلي:
٦٨٥	حمدان بن حمدون التغلبي:
٦٨٥	هارون بن عبد الله البجلي:
٦٨٩	الباب السابع خلفاء سامرا و المحنه -
٦٨٩	اشاره -
٦٩١	الفصل الأول المعتزله و أهل السنه -
٦٩١	١- مقدمه:
٦٩٥	٢- بدايه المحنه في أيام المأمون:
٦٩٧	الفصل الثاني المعتصم بالله و المحنه -
٦٩٧	١- المعتصم بالله يناصر المعتزله:
٦٩٨	٢- المحنه و أحمد بن حنبل:
٧٠١	الفصل الثالث المحنه في عهد الواثق بالله -
٧٠١	١- التشدد في المحنه:
٧٠٤	٢- محنه أحمد بن نصر الخزاعي:
٧٠٩	٣- رجوع الواثق بالله عن القول بخلق القرآن:
٧١١	الفصل الرابع نهايه المحنه -



- ٧١١ - المتوكل على الله ينهى المحنة: .....
- ٧١٤ - من ضحايا المحنة: .....
- ٧١٤ - اشاره .....
- ٧١٤ - عفان بن مسلم الصفار: .....
- ٧١٤ - محمد بن نوح: .....
- ٧١٧ - نعيم بن حماد: .....
- ٧١٩ - محمد بن اسماعيل البخارى: .....
- ٧٢١ - الباب الثامن علاقات الدوله العربيه بمملكه الروم .....
- ٧٢١ - اشاره .....
- ٧٢٣ - الفصل الأول الحروب بين العرب و الروم .....
- ٧٢٣ - ١- مقدمه: .....
- ٧٢٥ - ٢- فتح عموريه: .....
- ٧٣٤ - ٣- أهم الحروب الحدوديه: .....
- ٧٤٨ - الفصل الثاني المفاداه بين العرب و الروم .....
- ٧٤٨ - ١- فداء سنه ٢٣١ هـ: .....
- ٧٥١ - ٢- فداء سنه ٢٤١ هـ: .....
- ٧٥٣ - ٣- فداء سنه ٢٤٦ هـ: .....
- ٧٥٦ - الفصل الثالث العلاقات الثقافيه و التجاريه بين العرب و الروم .....
- ٧٥٦ - ١- الاتصال الحضارى بين العرب و الروم: .....
- ٧٦٠ - ٢- العلاقات الثقافيه: .....
- ٧٦١ - ٣- العلاقات التجاريه: .....
- ٧٦٦ - الباب التاسع الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا .....
- ٧٦٦ - اشاره .....
- ٧٧٠ - الفصل الأول اماره بنى الأغلب .....
- ٧٧٠ - ١- تأسيس الاماره: .....
- ٧٧٢ - ٢- زياده الله الأول: .....

- ٧٧٢ ..... اشاره
- ٧٧٤ ..... زياده الله الأول و صقليه:
- ٧٧٧ ..... أعماله العمرانيه:
- ٧٧٨ ..... ٣- أبو عقال الأعلب بن ابراهيم:
- ٧٧٩ ..... ٤- محمد الأول:
- ٧٧٩ ..... اشاره
- ٧٨٣ ..... الفتوحات في صقليه:
- ٧٨٤ ..... ٥- أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب:
- ٧٨٧ ..... ٦- زياده الله الثاني:
- ٧٨٨ ..... ٧- محمد الثاني:
- ٧٩١ ..... ٨- ابراهيم الثاني:
- ٧٩١ ..... اشاره
- ٧٩٢ ..... بناء مدينه رقاده:
- ٧٩٣ ..... الحرب مع ابن طولون:
- ٧٩٤ ..... الفتوحات في صقليه:
- ٧٩٤ ..... سوء سيره ابراهيم:
- ٨٠٠ ..... الفصل الثاني اماره الطاهريين
- ٨٠٠ ..... ١- تأسيسها:
- ٨٠٢ ..... ٢- اماره الطاهريين و خلفاء سامرا:
- ٨٠٨ ..... ٣- نهايه الاماره:
- ٨١٠ ..... الفصل الثالث اماره بنى طولون
- ٨١٠ ..... ١- ولايه مصر:
- ٨١٨ ..... ٢- أحمد بن طولون و تأسيس الاماره:
- ٨١٨ ..... اشاره
- ٨٢١ ..... القضاء على الاضطرابات و الفتن الداخليه:
- ٨٢٤ ..... الخلافه بين الموفق و ابن طولون:

- ٨٢٨ ..... تأسيس مدينة القطائع:
- ٨٢٩ ..... جامع ابن طولون:
- ٨٣٣ ..... المارستان:
- ٨٣٤ ..... وفاه أحمد بن طولون:
- ٨٣٦ ..... ٣- خمارويه بن أحمد بن طولون و النزاع مع الخلافة:
- ٨٣٦ ..... اشاره -
- ٨٣٩ ..... اهتمام خمارويه بالبناء و التعمير:
- ٨٤٢ ..... وفاه خمارويه:
- ٨٤٤ ..... ٤- نهاية اماره بنى طولون:
- ٨٤٦ ..... الفصل الرابع اماره الصفارين -
- ٨٤٦ ..... ١- تأسيس الاماره:
- ٨٤٨ ..... ٢- توسع الاماره:
- ٨٤٨ ..... الاستيلاء على فارس و كرمان:
- ٨٥٠ ..... الاستيلاء على خراسان:
- ٨٥١ ..... الاستيلاء على طبرستان و فارس:
- ٨٥٣ ..... ٣- حرب الصفار مع الخليفة و هزيمته:
- ٨٦٠ ..... ٤- عمرو بن الليث الصفار:
- ٨٦٢ ..... ٥- نهاية اماره بنى الصفار:
- ٨٦٤ ..... الباب العاشر مجالس خلفاء سامرا
- ٨٦٤ ..... اشاره -
- ٨٦٦ ..... الفصل الأول مجالس المعتصم بالله
- ٨٦٦ ..... ١- المعتصم بالله و الندماء:
- ٨٧٢ ..... ٢- المعتصم بالله و الشعراء:
- ٨٨٠ ..... ٣- المعتصم بالله و مجالس الغناء:
- ٨٨٠ ..... اشاره -
- ٨٨١ ..... اسحاق الموصلى و المعتصم بالله:

٨٨٣	المغنون الآخرون:
٨٩٢	الفصل الثاني مجالس الواثق بالله
٨٩٢	مقدمه:
٨٩٣	١- من مجالسه العلميه:
٨٩٨	٢- من مجالسه الأدبيه:
٩٠٢	٣- عنايه الواثق بالله باخبار الأولين:
٩٠٢	أصحاب الرقيم (أصحاب الكهف):
٩٠٦	سد ياجوج و ماجوج و رحله سلام الترجمان:
٩١٥	٤- الواثق بالله و الشعر و الشعراء:
٩١٥	الواثق بالله و الشعر:
٩١٩	الواثق بالله و الشعر:
٩٢٢	٥- الواثق بالله و الغناء و الموسيقى:
٩٢٢	ولع الواثق بالله بالغناء:
٩٢٥	مجالسه الغنائيه:
٩٢٥	الواثق بالله و المغنون:
٩٣٥	الواثق بالله و المغنون الآخرون:
٩٣٥	مخارق:
٩٣٨	علويه:
٩٤١	عبد الله بن العباس الربيعي:
٩٤٤	محمد بن الحارث:
٩٤٦	أبو حشيشه:
٩٤٦	عمرو بن بانه:
٩٤٧	الواثق بالله و المغنيات:
٩٤٧	قلم الصالحيه:
٩٤٩	فريده:
٩٥١	شاريه:

- ٩٥١ ..... عريب:
- ٩٥٤ ..... الفصل الثالث مجالس المتوكل على الله
- ٩٥٤ ..... ١- المتوكل على الله و الندماء:
- ٩٦٤ ..... ٢- من مجالسه الأدبيه:
- ٩٦٨ ..... ٣- المتوكل على الله و الشعراء:
- ٩٧٨ ..... ٤- المتوكل على الله و مجالسه الغنائيه:
- ٩٨٨ ..... ٥- المتوكل على الله و جواريه المغنيات:
- ٩٩٤ ..... الفصل الرابع مجالس خلفاء سامرا الآخرين
- ٩٩٤ ..... ١- المنتصر بالله و الشعر و الغناء:
- ٩٩٤ ..... المنتصر بالله و الشعراء:
- ٩٩٨ ..... المنتصر بالله و الغناء:
- ١٠٠٢ ..... ٢- المستعين بالله و الشعراء و الندماء:
- ١٠٠٩ ..... ٣- المعز بالله و الشعر و الغناء:
- ١٠١٨ ..... ٤- المهتدى بالله:
- ١٠٢٠ ..... ٥- المعتمد على الله و الشعر و الغناء:
- ١٠٣٢ ..... «لسنوات الهجرية و ابتداؤها و ما يقابلها من السنوات الميلاديه» «عن أطلس التاريخ الاسلامي، ص: ٢٤٤»
- ١٠٣٤ ..... المصادر و المراجع
- ١٠٣٤ ..... ١- المصادر الاوليه:
- ١٠٧٥ ..... ٢- المراجع الحديثه:
- ١٠٩٢ ..... تعريف مركز

## عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا

### اشاره

سرشناسه : عبدالباقى، احمد، ١٩١٧م - م.

عنوان و نام پديدآور : عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا/ احمد عبد الباقى.

مشخصات نشر : بيروت: دارالعربيه للموسوعات، ١٣ -

مشخصات ظاهرى : ج.

وضيقت فهرست نويسى : برون سپارى.

يادداشت : فهرستنويسى بر اساس جلد دوم.

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه

موضوع : عباسيان -- عراق -- تاريخ

موضوع : سامرا (عراق) -- تاريخ

رده بندي كنگره : DS٧٩/٩ /س٢ع٢ ١٣٠٠ى

رده بندي ديويى : ٩٥٦/٧٥

شماره كتابشناسى ملي : ١١٤٤٨٥٩

ص: ١

### المجلد ١

### اشاره









## فهرست كتاب سامرا عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين

الباب الأول: تأسيس سامرا و عمرانها:

الفصل الاول: تأسيس سامرا

الفصل الثانى: منشآت المعتصم بالله فى سامرا

الفصل الثالث: سامراء فى عهد المتوكل على الله

الفصل الرابع: تأسيس مدينه المتوكلية

الفصل الخامس: سامراء بعد المتوكل على الله الفصل السادس: العوده الى بغداد و هجر سامرا

الفصل السابع: دور السكن فى سامرا

الفصل الثامن: زخارف سامرا

الباب الثانى: خلفاء سامرا الفصل الاول: الخلافة و المبايعه و ولايه العهد

الفصل الثانى: المعتصم بالله

الفصل الثالث: الواثق بالله

الفصل الرابع: المتوكل على الله

الفصل الخامس: المنتصر بالله

الفصل السادس: المستعين بالله

الفصل السابع: المعتر بالله

الفصل الثامن: المهتدى بالله

الفصل التاسع: المعتمد على الله

الباب الثالث: مؤسسات الدولة العربيه فى سامرا الفصل الأول: وزراء سامرا

الفصل الثانى: الكتاب

الفصل الثالث: القضاء فى عهد سامرا

الباب الرابع: خلفاء سامرا و الأتراك الفصل الأول: الاتراك فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله

الفصل الثانى: الصراع بين المتوكل على الله و الأتراك

الفصل الثالث: ايام الفتنه

الباب الخامس: العلويون و خلفاء سامرا الفصل الاول: خلفاء سامرا و العلويون

الفصل الثانى: خروج العلويين فى عهد خلفاء سامرا

الباب السادس: الفتن و الاضطرابات فى عهد سامرا الفصل الأول: الفتن الكبرى

الفصل الثانى: الاضطرابات الاخرى

الباب السابع: خلفاء سامرا و المحنه الفصل الاول: المعتزله و أهل السنه

الفصل الثانى: المعتصم بالله و المحنه

الفصل الثالث: المحنه فى عهد الواثق بالله

الفصل الرابع: نهايه المحنه

الباب الثامن: علاقات الدوله العرييه بمملكه الروم الفصل الاول: الحروب بين العرب و الروم

الفصل الثانى: المفاداه بين العرب و الروم

الفصل الثالث: العلاقات الثقافيه و التجاريه بين العرب و الروم

الباب التاسع: الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا الفصل الاول: اماره بنى الاغلب

الفصل الثانى: اماره الطاهريين

الفصل الثالث: اماره بنى طولون

الفصل الرابع: اماره الصفارين

الباب العاشر: مجالس خلفاء سامرا الفصل الأول: مجالس المعتصم بالله

الفصل الثاني: مجالس الواثق بالله

الفصل الثالث: مجالس المتوكل على الله

الفصل الرابع: مجالس خلفاء سامرا الآخرين

بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمه:

هناك قسم من تاريخ الدوله العربيه فى عهد العباسيين يؤلف وحده تاريخيه كامله، امتدت من سنه ٢٢١ هـ حتى سنه ٢٧٩ هـ، كانت فيه مدينه سامرا حاضره الخلافه الاسلاميه. و هذه المدينه التى انشئت لتكون عاصمه الخلافه فى ايام المعتصم بالله ثامن الخلفاء من بنى العباس، شاء لها القدر ان تكون عاصمه لامبراطوريه من اعظم الامبراطوريات التى ظهرت على مسرح التاريخ. فقد امتدت الامبراطوريه العربيه من سواحل المحيط الأطلسى غربا حتى تخوم الصين شرقا و رغم اختلاف اجناس رعاياها و اختلاف الستتهم، و قيام بعض الامارات شبه المستقله على اطرافها المتباعده، فقد كانت ولاياتها جميعا مرتبطه برباط الدين الاسلامى و الحضاره العربيه و تخضع كلها لخليفه سامرا. و كما يقول المستشرق الهولندى كرامرز «انها كانت تؤلف كتله دينيه واحده فضلا عن وحده سياسيه متينه العرى متراصه البنيان، جمعت بينها قوه السلاح، و جعلت سكانها يقفون فى العالم كأعظم قوه مركزيه عرفها البشر». (تراث الاسلام / ١٢٥)

و نستطيع ان نعتبر تأسيس مدينه سامرا اهم اعمال المعتصم بالله و ابقاها اثرا. و تقوم هذه الأهميه على ما تطلبه تأسيسها من

تصميم مسبق، و جهد كبير متواصل، و مال و فير، و ما لعبته العاصمه الجديده من دور مهم فى مسيره الحضاره العربيه خلال الشطر الاكبر من القرن الثالث. و قد تيسر للمعتصم بالله ان ينهض بذلك العمل العظيم بما و هب من حب للعمران، و للجنديه و الحياه العسكريه، و ما توفر له من المال. و قد اختار المكان المناسب للمدينه من حيث حسن الجو و المناخ، و توفر المياه، و حصانه الموقع.

و خططها بما يسد احتياجات عسكره من الأتراك، و متطلبات الحياه المدنيه. و وزع الاعمال الانشائيه المطلوبه لتأسيس المدينه على قواده و كبار رجاله بما كفل سرعه انجازها. و لم يبخل ببذل ما احتاجه لذلك من الاموال. فاستطاع ان يقيم مدينه واسعه كامله المرافق فى خلال مده و جيزه تعتبر قياسيه- اذ ابتدأ بنائها فى سنه (٢٢١ هـ) و تم انجازها فى اواخر السنه التاليه-. و مع ان الصفه العسكريه غلبت على مؤسساتها و مرافقها عند تأسيسها، اذ كان معظم سكانها فى اول أمرها من الجند الأتراك الذين كانوا اهم أسباب تأسيسها، بحيث أطلق عليها اسم «العسكر». الا انها ما لبثت ان قصدها اصناف الناس و استوطنوها باعتبارها حاضره الخلافه. و لم تمض مده يسيره على تأسيسها حتى غدت من أمهات مدن الدنيا آنذاك. و قد أقدم اليها الخليفه نفسه من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال، او يعالج مهنة من مهن الزرع و الغرس، و حمل من سائر البلدان من اهل كل مهنة و صناعه فانزلهم فى المدينه و أقطعهم فيها لبناء منازل لهم. فامتدت عماره المدينه و اتصلت بيوتها و قصورها و اسواقها، و انتقل اليها عدد كبير من وجوه الناس و اهل النباهه من سائر المدن و الأمصار لطيب جوها و حسن موقمها و عمارتها.

الا ان المدينه لم تلبث ان امتد اليها الخراب عند ما النقل الخليفه المعتضد بالله عائدا الى بغداد فى سنه (٢٧٩ هـ) بحيث لم يبق منها بعد سنين قلائل سوى اطلالها. غير ان هذه الاطلال حفظت لنا

طيله عده قرون اسس الابنيه الفخمه التى كانت فوقها مما ساعد، الآثاريين على استكشاف كثير من معالمها و تحديد الشوارع الرئيسه و كثير من القصور و دور السكن و ثكنات الجيش، التى كانت فيها.

و التعرف على الأسس الفنيه و المعماريه التى قام عليها تخطيط المدينه و عمرانها. اذ كشفت الحفريات و التنقيبات الحديثه من المعلومات عن البناء و الزخرفه ما يعطى فكره جليته عن جمال الحضاره العربيه الاسلاميه التى أفاءت على العالم آنذاك، و التى تمثلت فى تلك المدينه الخالده.

و مع أهميه سامرا عاصمه الدوله العربيه فى ازهى عصورها و دورها الكبير فى بناء الحضاره العربيه، فانها لم تنل ما تستحقه من عنايه المؤرخين و اهتمامهم. فقد أقام بها عدد من الخلفاء كان لهم اثر مهم فى تاريخها، و وقعت فى ايامها احداث جسام تركت آثارها العميقه على مسيره الدوله العربيه. و كان عهدا عهد القمم من اعلام الرجال ممن تفخر بهم فى مختلف ميادين العلم و الأدب.

فقد عاصرها الامام أحمد بن حنبل الشيبانى، و اماما الحديث محمد ابن اسماعيل البخارى و مسلم بن الحجاج القشيرى، و المؤرخ الفقيه العالم محمد بن جرير الطبرى، و المؤرخ البلدانى أحمد بن أسحاق اليعقوبى. و اماما اللغه و النحو المبرد محمد بن يزيد و ثعلبه احمد ابن يحيى الشيبانى، و عميد ادباء عصره عمرو بن بحر الجاحظ، و الشاعران العبقرىان ابو تمام و البحترى، و فيلسوف العرب يعقوب بن اسحاق الكندى، و ابرز اطباء عصرهم يوحنا بن ماسويه و يخيثشوع بن جبرائيل و حنين بن اسحاق، و آخرون كثيرون. كما تميز عهد سامرا باحداث خطيره، منها ان الدوله العربيه بلغت اوج قوتها حينما هدد المعتصم بالله فى سنه (٢٢٣ هـ) مدينه القسطنطينيه عاصمه الدوله البيزنطيه بعد ان اجتاحت قواعد الروم و حصونهم و افتتح عموريه أهم مدنهم. كما قضت الدوله العربيه فى هذا العهد على خطرين تعرضت لهما هما حركه بابك الخرمى و فتنه الزنج.



و فى هذا العهد ايضا ظهرت نتائج تتركب الجيش العربى، اذ طغى القواد الأتراك و تسلطوا على شؤون الدوله و بخاصه منذ ايام المتوكل على الله حتى ايام المعتمد على الله حينما استطاع اخوه الموفق المهيمن على شؤون الخلافه ان يكبح جماحهم الى حين. و كان ابرز مظاهر تسلط الاتراك استبدادهم بالخلفاء و قد قتلوا اربعة منهم و خلعوا ثلاثة من الخلافه.

و يظهر ان ما أصاب سامرا من اهمال كان سببه الرئيس سرعه خرابها بعد عوده عاصمه الدوله الى مدينه السلام التى استعادت مكانتها فى التاريخ العربى الاسلامى. و عسى ان نوفق فى تلافى بعض هذا الاهمال بما سنعرضه فى الصفحات التالیه من تاريخ الدوله العربيه فى عهد سامراء فى مختلف جوانبه. و نرجو ان تكون المواضيع التى تناولنا بحثها و عرضها بشىء من التفصيل كافيه لأن تعطى صورته واضحه عن التاريخ المذكور بما يتفق و المركز الذى شغلته مدينه سامرا ما يزيد على نصف قرن كانت فيه حاضره الخلافه الاسلاميه و عاصمه الدوله العربيه.

و قد جاء هذا البحث فى عشره أبواب، يضم كل منها عددا من الفصول يتناسب و طبيعه المواضيع التى يتضمنها الباب وسعتها.

فكان الباب الأول خاصا بتأسيس سامرا و عمرانها، و قد اشتمل على منشآت المعتمد بالله فيها، و سامرا فى عهد المتوكل على الله، و تأسيسه المدينه المتوكلية «الجعفرية»، و سامرا بعده، و العوده الى بغداد و هجر سامرا، ثم دور السكن فى المدينه، و الزخارف التى اشتهرت بها. و اشتمل الباب الثانى على دراسه خلفاء سامرا من حيث المبايعه و ولايه العهد مع نبذه مختصره عن سيره كل منهم لا سيما ما يتعلق منها بالدوله و المجتمع. و خصص الباب الثالث الدراسه مؤسسات الدوله العربيه فى عهد سامرا فضم دراسه عن الوزاره و الكتابه و القضاء. اما الباب الرابع فقد تناول علاقته

خلفاء سامرا بالاتراك و ما قام بين الطرفين من صراع و مظاهر ذلك الصراع و ما انتهى اليه. و خصص الباب الخامس لموقف العلويين من خلفاء سامرا. و اشتمل الباب السادس على دراسه الفتن و الاضطرابات التي و اجهت خلفاء سامرا، الكبرى منها كحركه الخرميه و فتنه الزنج، و المؤامرات التي استهدفت الخلافة، و الاضطرابات الاخرى التي كانت أقل خطرا رغم تعددها. و ضم الباب السابع موضوع المحنة التي آثاها المعتزله و موقف خلفاء سامرا منها. و اختص الباب الثامن بدراسه علاقات الدوله العربيه بمملكه الروم فشمل الحروب و المفادات و العلاقات التجاريه و الثقافيه بين الطرفين فى خلال عهد سامرا. و اشتمل الباب التاسع على الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا من حيث اداره شؤونها و علاقاتها بالخلافه. و خصص الباب العاشر لمجالس خلفاء سامرا العلميه و الادبيه منها و مجالس الأئس و السمر.

و قد انتهجنا فى دراستنا هذه اسلوبا يختلف عن الطريقه التي فناها فى كتابه التاريخ العربى. و هو اسلوب لا يهتم بالاشخاص قدر اهتمامه بالاحداث التاريخيه من حيث اسبابها و نتائجها و مسرح حدوثها. اى ان الاحداث هى محور الدراسه و البحث و ليس الاشخاص. و حاولنا جهد استطاعتنا ان نلم بتفاصيلها و مكوناتها لنضع امام القارىء صورته جليه لذلك العهد متمثله بمجريات الاحداث التي وقعت خلاله، و ما أحاط بها من الظروف المختلفه التي أدت بها الى ان تسير فى الاتجاه الذى صارت اليه، مع دراسه آثاها على المجتمع آنذاك. فعرضنا ذلك بشكل وحدات «ابواب» تتناول مواضيع تكوّن بمجموعها تاريخه.

و من الواضح ان دراسه الوقائع التاريخيه بشكل وحدات تساعد

على فهمها بمختلف جوانبها، رغم امتداد زمنها، و ما نشأ عنها من نتائج، مما يجعلها متكامله واضحه. و نحسب ان هذا الاسلوب سيعطى من الصور عددا اكثر و من الشمول و الوضوح مجالا- اوسع، مما توفره الطريقه التقليديه فى عرض الماده التاريخيه، لا سيما ان هذا الاسلوب يتيح مجالا رحبا للتعرف على مختلف جوانب حياه الدوله العربيه برمتها آنذاك. تلك الجوانب التى لا تنال الاهتمام الكافى فى الطريقه التقليديه.

و قد راعينا فى دراستنا بعض الاسس التى التزمنا بها فى مختلف الابواب، اهمها: ١- الحرص على التأكيد على عروبه عهد سامرا و التطور الحضارى خلاله، باعتباره امتدادا للدوله العربيه التى قامت فى المدينه المنوره اثر هجره الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم اليها و امتدت حتى منتصف القرن السابع الهجرى. اذا لم تعد كلمه العرب بمعناها الواسع تقتصر على سكان بلاد العرب فقط، بل انها شملت جميع الامم و الشعوب التى حمل العرب اليها الدين الاسلامى، و اتخذت من العربيه لغه لها، و انضوت تحت رايه الدوله العربيه، و من ثم كانت الحضاره التى ازدهرت آنذاك و آتت اكلها فى القرن التالى حضاره عربيه. ٢- و مما له علاقه بذلك اجتهدنا ان نكشف عن اسباب وضع بعض الأخبار بصيغه معينه، او تحريفها بشكل او بآخر، و بخاصه ما يتعلق بمحاوله الحط من شأن العرب و قادتهم. مما كان يدسه اعداء الأمه العربيه فى ثنايا الوقائع و الاخبار. ٣- و التزمنا جهد الاستطاعه بلغه العصر و اسلوبه السائد فى عهد سامرا من حيث التعابير و المصطلحات و المحتوى دون ان نتوسع بالاستعانه بالمعارف الحديثه و ذلك للحفاظ على التراث اللغوى، و تقديم صورته صادقه عن العهد المذكور من جهه، و للتمتع بنكهه ذلك الاسلوب من التعبير المتميز بقدر كبير من الفصاحه و البلاغه. ٤- و قد أرخنا جميع الاحداث و الوقائع بالتاريخ العربى «الهجرى» لأنسجام ذلك مع طبيعه الموضوع. على اننا

وضعنا فى آخر الكتاب جدولاً بما يقابل السنوات الهجرية الواردة فيه من السنوات الميلادية، تسهيلاً لمن يريد معرفه ذلك. ٥-  
و عند البحث فى سيره الخلفاء اجتهدنا ان نتحرى رعايتهم للمصالح العامه فى اعمالهم و تصرفاتهم، و اهتمامهم بكل ما له علاقه  
بالدوله و المجتمع، لتبين مدى ما قدموه فى خلال حكمهم مما يثبت اركان الدوله و ما بذلوه لصالح النفع العام، و لرفع ما يلحق  
الناس من عنت و ارهاق.

و اننا لا نستطيع ان ندعى بأن هذه الدراسه قد حققت ما نصبو اليه من اعاده مدينه سامرا الى المركز الذى تستحقه فى التاريخ  
العربى. الا اننا نأمل ان تكون قد القت بعض الضوء على ذلك و اوضحت دور سامرا فى تطور الحضاره العربيه، و ذلك حسبنا،  
و الله تعالى من وراء القصد انه نعم المولى و نعم النصير.

المؤلف



الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها ١- تأسيس سامرا

٢- منشآت المعتصم بالله في سامرا

٣- سامرا في عهد المتوكل على الله

٤- تأسيس مدينه المتوكلية (الجعفرية)

٥- سامرا بعد المتوكل على الله

٦- العوده الى بغداد و هجر سامرا

٧- دور السكن في سامرا

٨- زخارف سامرا



## الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها

### الفصل الأول تأسيس سامرا

#### ١- اسباب الانتقال من بغداد:

لما قدم المعتصم بالله بغداد من طرسوس بعد ان بويع بالخلافه فى سنه (٢١٨ هـ) نزل دار المأمون فى الجانب الشرقى من بغداد، و اقام حتى سنه (٢٢١ هـ)، و كان معه عدد كبير من الجند الاتراك.

و يجمع قدامى المؤرخين على ان الجند الاتراك، الذين توسع الخليفه المعتصم بالله فى استخدامهم فى الجيش العربى، و قد اشدت شوكتهم، كانوا اهم الاسباب التى دفعته الى الانتقال من العاصمه بغداد و ان يتخذ له عاصمه جديده غيرها. يقول اليعقوبى: «و كان اولئك الاتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينا و شمالا فيشب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا و يضربون بعضا، و تذهب دماؤهم هدرًا لا يعدون على من فعل ذلك. فثقل ذلك على المعتصم و عزم على الخروج من بغداد»<sup>(١)</sup>، اى انه خرج بهم ليحميهم من العامه.



و يقول الطبرى: «حدثنى جعفر بن محمد الفراء ان سبب خروج المعتصم الى القاطول كان ان غلمانة الاتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا فى ارباضها، و ذلك انهم كانوا عجماء جفاه يركبون الدواب، فيتراكضون فى طرق بغداد و شوارعها، فيصدمون الرجل و المرأه و يطأون الصبى، فيأخذهم الالباء فيدكسونهم عن دوابهم و يجرحون بعضهم، فربما هلك من الجراح بعضهم، فشكت الأتراك ذلك الى المعتصم، و تأذت بهم العامه. فذكر انه رأى المعتصم راكبا منصرفا من المصلى فى يوم عيد اضحى او فطر، فلما صار فى مربعه الحرشى (١)، نظر الى شيخ قد قام اليه فقال له: يا ابا اسحاق، قال: فابتدره الجند ليضربوه، فاشار اليهم المعتصم فكفهم عنه، فقال للشيخ: مالك:

قال: لا- جزاك الله عن الجوار خيرا، جاورتنا و جئت بهؤلاء العلوج فاسكنتهم بين اظهرنا فايتمت بهم صياننا، و املت بهم نسواننا، و قتلت بهم رجالنا. و المعتصم يسمع ذلك كله. قال: ثم دخل داره فلم ير راكبا الى السنه القابله فى مثل ذلك اليوم. فلما كان فى العام المقبل فى مثل ذلك اليوم خرج فصلى بالناس العيد، ثم لم يرجع الى منزله ببغداد، و لكنه صرف وجه دابته الى ناحيه القاطول، و خرج من بغداد و لم يرجع اليها» (٢).

و ما ذكره ابن الأثير لا يخرج عما ذكره الطبرى (٣). و يقول المسعودى: «و كانت الاتراك تؤذى العوام فى مدينه السلام بجريها الخيول فى الأسواق و ما ينال الضعفاء و الصبيان من ذلك، فكان اهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأه او شيخ كبير او صبى

١- كذا فى الاصل، و الصحيح الخرسى - دليل خارطه بغداد المفصل / ١٢٢، و بغداد فى عهد الخلفه العباسيه / ١٩٠.

٢- الطبرى ١٨ / ٩.

٣- الكامل ٤٥٢ / ٦.

او ضرير. فعزم المعتصم على النقله منهم»(١). و يقول ايضا بنفس المعنى «و كان السبب فى ذلك ان اهلها كرهوه و تأذوا بجواره حين كثر عبيده من الاتراك و غيرهم من الاعاجم، لما كانوا يلقونه منهم و من غلظتهم، و ربما و ثبت العامه على بعضهم فقتلوه لصدمة اياهم فى حال ركضهم، فأحب التنحى بهم و الانفراد عن مدينه السلام»(٢).

و يقول الخطيب البغدادي: «و لكثرة عسكر المعتصم و ضيق بغداد عنه و تأذى الناس به، بنى المعتصم سر من رأى و انتقل اليها فسكنها بعسكره»(٣).

و يضيف مسكويه على ما ذكره الطبرى «و حكى انه قام الى المعتصم يوما رجل من العامه فقال: يا ابا اسحاق اخرج عن مدينتنا و الا حاربناك بما لا تقوم له، فتقدم باخذ الرجل و حمله اليه، فلما صار بين يديه، قال: و يلک بمن تحاربنى و ما هذا الذى لا قوام لى به؟ قال: نحاربك باصابعنا اذا هدأت العيون بالليل، يعنى الدعاء. فسكت عن الرجل و لم يعرض له، ثم خرج فبنى سر من رأى»(٤).

و ذكر صاحب العيون و الحدائق «ان المساكن و الطرق ضاقت على الناس ببغداد لكثرة العساكر التى تجمعت مع المعتصم و كثر غلمانة الأتراك»(٥).

و جاء فى تذكره ابن حمدون ما يفيد بان الجند الاتراك اخذوا يتحرشون بالنساء و الصبيان مما اغضب الناس عليهم، اذ يقول:

١- مروج الذهب ٤ / ٥٣.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٨ - ٣٠٩.

٣- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٦.

٤- تجارب الأمم ٦ / ٤٧٨ - ٤٧٩.

٥- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨١ - ٣٨٢.

«كان سبب خروج المعتصم ان غلمانہ الاتراك كثروا ببغداد فتولعوا بحرم الناس و اولادهم، فاجتمع اليه جماعه منهم و قالوا: يا امير المؤمنين ما احد احب الينا مجاوره منك لأنك الامام و المحامي عن الدين، و قد افراط علينا امر غلمانك، فاما منعهم منا و اما نقلتهم عنا. فقال: نقاهم لا يكون الا بنقلی، و لكنی افتقدهم و ازيل ما شكوتهم منه. فنظروا فأذا الامر قد عظم و زاد. و خاف ان تقع بينهم حرب. و عاودوه بالشكوى و قالوا: ان قدرت على نصفتنا و الافتحول عنا. فقال: أتحول و كرامه، و رحل الى سر من رأى»(١).

و يذكر مثل هذا ياقوت الحموى فيقول: «ان جيوش المعتصم كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الاتراك سبعين الفا، فمدوا ايديهم الى حرم الناس و سعوا فيها بالفساد. فاجتمع العامه و وقفوا للمعتصم و قالوا: يا امير المؤمنين ما شىء احب الينا من مجاورتك لأنك الحامي للدين، و قد افراط علينا امر غلمانك و عمنا اذاهم، فاما منعهم عنا او نقلتهم عنا. فقال: اما نقلهم فلا يكون الا بنقلی و لكنی افتقدهم و انهاهم و ازيل ما شكوتهم منه. فنظروا و اذا الأمر قد زاد و عظم. و خاف منهم الفتنة و وقوع الحرب. و عاودوه بالشكوى و قالوا: ان قدرت على نصفتنا و الافتحول عنا، و الا حار بناك بالدعاء و ندعو عليك بالاسحار. فقال: هذه جيوش لا قدره لى بها، نعم اتحول و كرامه، و ساق من فوره حتى نزل سامراء»(٢).

و يقول مثله ابن الطقطقى ايضا «ان المعتصم استكثر المماليك فضاقت بهم بغداد و تأذى بهم الناس، و زاحموهم فى دورهم و تعرضوا بالنساء فكان فى كل يوم ربما قتل منهم جماعه. فركب المعتصم يوما فلقية رجل شيخ فقال للمعتصم: يا ابا اسحاق، فاراد.

١- تذكرة ابن حمدون / ١٠٣-١٠٤.

٢- معجم البلدان / ٣ / ١٧٤-١٧٥.

الجند ضربه فمنعهم المعتصم، و قال له: مالك يا شيخ؟ فقال: لا جزاك الله خيرا عن الجوار، جاورتنا مده فأيناك شر جار، جتتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فاسكتتهم بيننا فايتمت صبياننا و ارملت نساءنا و الله لنقاتلنك بسهام السحر، يعنى الدعاء، و المعتصم يسمع ذلك. فدخل منزله و لم ير راكبا الا فى يوم مثل ذلك اليوم، فركب و صلى بالناس العيد، و سار الى موضع سامرا فبناها(١).

و لخص ابن دحيه ما ذكره من سبقه من المؤرخين الا انه اشار الى سبب آخر من اسباب نومه العامه على الجند هو النزول عليهم فى مساكنهم قسرا، و هو امر لم يألفه العرب، فيقول: «ان العامه شكوا اليه من الجند و النزول عليهم فى المساكن و التعرض بهم، فقال له بعض صلحاء المحدثين: يا أمير المؤمنين انى لا آمن عليك ان يقاتلك العامه، فقال له: و لم تقاتلنى العامه، و من يحملها على ذلك و انا فى هذا العسكر العظيم؟ فقال له: يقاتلونك بسهام الليل و رفع الايدى الى الله تعالى فى المساجد. فركب فى الحال و تخير موضع سر من رأى على دجله»(٢).

لا ريب فى ان ضيق العاصمه بغداد بجند المعتصم بالله لكثرتهم، و تخلفهم الحضارى عن سكان المدينه، و ما ترتب من النتائج السيئه عن احتكاكهم بالناس و تعديهم عليهم، و وقوع الاذى بين الطرفين بحيث ضاق كل منهما ذرعا بالآخر، و حرص المعتصم بالله على ان لا يغضب اهل بغداد، و هى حاضره الدوله العرييه و كبرى مدنهما، و قد شعر بانتشار روح النقمه و التذمر بينهم، و خشيه من أن يؤدى ذلك الى قيام فتنه لا يريدونها، مما جعله يقرر عزل الجيش بثكناته و اصطبلاته بعيدا عن بغداد. و مما يؤيد ذلك الطريقه التى

١- الفخرى ٢١١.

٢- النبراس / ٦٥.

انتهجها في اسكانهم عند ما بنى مدينة سامرا، اذ حرص على ان يكونوا معزولين بمناطق سكناهم عن بقية الناس.

ان ما استعرضناه مما ذكره المؤرخون عن اسباب انتقال المعتصم بالله من بغداد يدور كله حول ضيق أهل بغداد بجنده من الاتراك و شكواهم المتكرره من تصرفاتهم و تعدياتهم، و شكوى الجند انفسهم من اعتداء الناس عليهم. على ان هناك سببا آخر ورد ذكره على لسان المعتصم بالله نفسه، يستنتج منه انه لم يكن مطمئنا الى الحريه من جيشه، و هم العرب، لانهم كانوا قد تلكأوا في مبايعته و اظهروا ميلهم الى العباس بن المأمون. و يقول أحد كتابه و هو ابو الوزير احمد بن خالد: «بعثنى المعتصم بالله في سنه (٢١٩هـ) و قال لي: يا احمد اشتر لي بناحيه سامرا موضعا ابني.

فيه مدينة، فاني اتخوف ان يصيح هؤلاء الحريه صيحه فيقتلوا غلمانى، حتى اكون فوقهم فان رابنى منهم ريب اتيتهم فى البر و البحر حتى آتى عليهم»(١).

و يروى ابن الطقطقى هذا السبب بالشكل الآتى «ان المعتصم خاف من ببغداد من العسكر و لم يثق بهم فقال: «اطلبوا لى موضعا اخرج اليه و ابني فيه مدينة و اعسكر به، فان رابنى من عساكر ببغداد حادث كنت بنجوه و كنت قادرا على ان آتيتهم فى البر و فى الماء»(٢). مما يستدل منه انه كانت هناك فئات اخرى فى الجيش تنقم على المعتصم بالله، الى جانب العرب، لاعتماده على الجند الاتراك و ثقته بولائهم له.

و هناك سبب ثالث لخروج المعتصم بالله من ببغداد ذكره صاحب «الذخائر و التحف» و صاحب «الهفوات النادره» و السيوطى. و مع ما تضمنه الخبر من اوهام و مبالغه، فان خلاصته ان المعتصم

١- الطبرى ١٧/٩، و الكامل ٤٥١/٦، و معجم البلدان ١٧٤/٣.

٢- الفخرى ٢١١.

بالله كان قد فرغ من بناء قصره فى الميدان ببغداد فجلس للناس فيه، فأستأذنه اسحاق الموصلى فى الانشاد، فأذن له، فأنشده شعرا كان اول بيت فيه:

يا دار غيرك البلى فمحاك يا ليت شعرى ما الذى ابلاك

فتشاءم المعتصم من ذلك و تطير به، و تغامر الناس و عجبوا كيف ذهب هذا على اسحاق مع فهمه و علمه. و ان المعتصم بالله خرج الى سر من رأى و خرب القصر(١).

و نستطيع ان نضيف الى ما ذكرناه من الاسباب التى دفعت المعتصم بالله الى الانتقال من بغداد، سببا آخر يتعلق بشخصيته نفسه. فقد كان ذا نزعه عسكريه يعتز كثيرا بجيشه، و قد اراد ان تكون له عاصمه خاصه به و بجيشه مقتديا بجده ابى جعفر المنصور و غيره من الملوك العظام. و ان مقابلته رهبان الدير الذى كان فى موقع سامرا قبل بنائها، و ما دار بينه و بينهم من حديث حول اسم الموضع و تاريخه، يؤكد رغبته فى ان يبنى مدينه خاصه به ينزلها هو و ينزلها اولاده من بعده(٢).

و قد كان لانتقال عاصمه الدوله العربيه من مدينه السلام الى سامرا نتائج مهمه. فقد اقيمت العاصمه الجديده بتصاميم و خطط متقدمه اتاحت فرص العمل لعدد كبير من ذوى الحرف المتعلقة بالبناء و العمران. و كان قيام سامرا بموجب هذه التصاميم و الخطط فرصه لبروز الفن العمرانى العربى بزخارفه المبتكره مما يعتبر من مفاخر الحضاره العربيه. و ادى الانتقال الى سامرا الى قيام مركز حضارى جديد مهم الى جانب بغداد، كانت المنافسه العمرانيه و العلميه التى قامت بينهما خير مشجع على التقدم فى

١- الذخائر و التحف / ١٢٩ - ١٣٠، و الهفوات النادره / ١٧ - ١٨، و تاريخ الخلفاء / ٣٣٧.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٧.

مضمار الحضاره و بخاصه فى النواحي العلميه منها. مما ساعد على ازدهار الحضاره العربيه فبلغت ذروتها خلال القرن التالى الذى اعتبر ازهى عصورها. هذا بالاضافه الى تخلص سكان مدينه بغداد من عبث الجند الاتراك و عنتهم.

على ان هذه النتائج الايجابيه لانتقال المعتصم بالله الى عاصمته الجديده، قد صحبتها نتائج سلبيه أثرت على مسيره الدوله العربيه آنذاك. و كان اهم تلك النتائج استفحال امر الاتراك. فقد ساعدتهم الطريقه التى اتبعت فى اسكانهم فى سامرا على التقارب و التآلف فيما بينهم مما ولد فى نفوسهم شعورا بقوتهم و اهميتهم فى الدوله. فعملوا على زياده نفوذهم، و اتساع تدخلهم فى شؤونها.

فأشتد الصراع بينهم و بين الخلفاء مده استغرقت الجزء الاكبر من عمر العاصمه الجديده. اذ فقد الخلفاء خلالها سلطانهم و غدا كبار القواد الاتراك هم الحكام الفعلين لانهم قد استولوا، منذ مقتل المتوكل على الله، على شؤون الدوله و اموالها، و استضعفوا الخلفاء، فكان الخليفه فى يدهم كالأسير ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه او قتلوه(١). مما جعل الخلفاء يحاولون الانتقال الى مدينه اخرى او العوده الى بغداد للتخلص من سيطره اولئك القواد و نفوذهم. مما سنعرض لتفصيلاته فى فصول قادمه. و هكذا عاد المعتمد على الله الى بغداد فى اواخر ايامه، حتى تولى المعتضد بالله فى سنه ٢٧٩ هـ فهجر سامرا. و بذلك انتهى الدور السياسى للمدينه التى قدر لها ان تلعب دورا مهما فى التاريخ العربى.

## ٢- اختيار موضع سامرا:

بعد ان استقر رأى المعتصم بالله على ان الانتقال بعساكره من بغداد امر لا بد منه اخذ يتقرى مكانا تتوفر فيه المواصفات المطلوبه

لاقامه مدينه له و معسكر لجيشه، من حيث السعه و توفر المياه و وسائل الحمايه الكافيه. فخرج الى الشماسيه شمالى بغداد. و قد اعتاد المأمون فى ايام خلافته ان يخرج اليها و يقيم فيها اياما. و قد عزم المعتصم بالله على ان يبنى فيها مدينه، الا انه وجد الارض تضيق عن حاجته، كما كره قرب المكان من بغداد(١). و هو يريد الابتعاد بعساكره عنها. فاشار عليه وزيره الفضل بن مروان ان يخرج الى البردان، و هى من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها(٢).

فمضى اليها و معه بعض رجاله و مستشاريه و عدد من المهندسين و من له معرفه بالاراضى و طبيعتها(٣). و اقام بها اياما فلم يستطع هواءها، و رآها ضيقه المساحه لا تتسع لقيام مدينه كبيره فيها(٤).

فصار الى باحمشا بين اوانا و الحظيره على الجانب الشرقى من دجله فقدر انشاء مدينه هناك الا انه لم يجد موضعا يحفر فيه نهرا لارتفاع الأرض عن مستوى النهر(٥). فتركها و نفذ الى قريه المطيره، و هى قريه جنوبى سامرا، بينها و بين القادسيه، و هى فى بقعه كلها متنزهات و بساتين و كروم(٦). و قد بنيت فى خلافه المأمون و نسبت الى مطر بن فزاره الشيبانى، و انما هى المطريه فغيرت و قيل المطيره(٧). و كما كانت المطيره متنزها لأهل بغداد صارت متنزها لاهل سامرا كذلك بعد تأسيسها. فاقام المعتصم بالله بها قليلا فلم تروق له، فصار الى منطقه القاطول.

قال مسرور خادم هارون الرشيد: سألتى المعتصم اين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر من المقام ببغداد. قال قلت له: بالقاطول.

و قد كان بنى هناك مدينه آثارها و سورها قائمان، و قد خاف من

١- كتاب البلدان / ٢٥٦.

٢- معجم البلدان / ١ / ٣٧٥.

٣- مدينه المعتصم على القاطول - مجله سومر ج / ٢ / للسنة الثالثه / ١٦٤.

٤- مروج الذهب / ٤ / ٥٣.

٥- كتاب البلدان / ٢٥٦.

٦- الديارات / ١٤٦.

٧- معجم البلدان / ٥ / ١٥١.



الجند ما خاف منه المعتصم. فلما وثب اهل الشام و عصوا خرج الرشيد الى الرقه فاقام بها اياما، و بقيت مدينه القاطول لم تستتم(١). و يظهر ان ذلك كان بعد ان استفحل امر البرامكه و فكر بالتخلص منهم. و لعله اراد الابتعاد عن بغداد لكثرة اتباعهم و مؤيديهم فيها، لكي يستطيع ان يتدبر امرهم. و كان الرشيد قد حفر نهرا كبيرا هناك سماه ابا الجند لانه كان يسقى ارضا خصصت غلاتها لارزاق الجند(٢). الا- ان الوقت لم يتسع له لاتمام المدينه و الانتقال اليها كما اشرنا آنفا. فترسم المعتصم بالله خطى ابيه فى الانتقال الى القاطول، و لعله فكر فى اتمام بناء المدينه التى بدأها ابوه و لم يتمها. فخرج اليها و استطلع جوها فاستطاب هواءها، و رآها اصلح المواضع لاقامه مدينه ينتقل اليها.

أمر الخليفه مهندسيه بتخطيط المدينه بحيث يجعلون البناء فيها على جانبى القاطول و بينه و بين نهر دجله. و ان يقسموها الى قطائع و زعها على القواد و الكتاب و رجال حاشيته و الناس. فباشر المهندسون العمل و احضروا مواد البناء و جاءوا بالبنائين و الصناع، فأقاموا قصرا للخليفه. و بنوا بجواره بيوت رجال الحاشيه. كما أنشأوا معسكرا للجيش احاطوه بالاسوار. و بنى قاده الجيش و كبار رجال الدوله قصورهم بالآجر على ضفاف دجله و القاطول. و بنيت الاسواق و حولها الدور، و قد شيد معظمها بالبن. و يظهر انه كانت هناك قريه على القاطول يسكنها قوم من الجرامقه و ناس من النبط، فقال احد الشعراء يعير المعتصم بالله بانتقاله من بغداد و مجاورته الجرامقه(٣):

١- الطبرى ١٧/٩.

٢- فتوح البلدان / ٢٩٥، و معجم البلدان ٣/ ١٧٤.

٣- مروج الذهب ٤/ ٥٤ و الجرامقه طائفه من العجم نسبتها الى مدينه جرمق بين اصبهان و نيسابور. و قد نزل بعضهم بالموصل فى اوائل الاسلام- معجم البلدان ٢/ ١٣٩، و ترتيب القاموس المحيط ١/ ٤٠٩.

أيا ساكن القاطول بين الجرامقهتركت ببغداد الكباش البطارقه

و كان المعتصم بالله قد انتقل الى القاطول و سكن فى القصر الذى بناه ابوه هناك ثم انتقل الى بعض ما بنى له، و سكن الى جانبه بعض حاشيته و بعض الناس (١). و يؤيد المسعودى و ياقوت الحموى ان المعتصم بالله قد شيد له قصرا فى القاطول، و لما انتقل منه و هبه لمولاه اشناس (٢). و قد اقيمت امام القصر بركه واسعته جميله ما تزال معالمها باديه للعيان، و هى منخفض اصطناعى طوله (٢٢٠) م و عرضه (١٩٠) م و عمقه ثلاثه امتار. و قد قسمت ارضه تقسيما هندسيا، فجعلت بعض اقسامه عميقه جدا تسمح بجريان الماء فيها، و ابقيت اجزاء منها بارتفاعها الأصلى، فجعل الماء منها دكات مستطيله متناظره و متعاشقه، عددها فى الجانب الشرقى اربع دكات و فى الجانب الغربى ست دكات. و جعل التراب الناشىء من الحفر على طول جانبي المنخفض الشرقى و الغربى بارتفاع يتراوح بين ٣ و ٥ أمتار، فتألف من ذلك كتفان عاليان زادا فى روعه البقعته و جمال منظرها. و كانت البحيره تستمد ماءها من فرع القاطول الممتد جنوبا الى القادسيه. كما كان يصرف ماؤها بكهاريز تنتهى بحافه نهر القائم (٣).

تقع المدينه التى بناها المعتصم بالله على القاطول فى منطقته القادسيه الممتده بين نهر القائم و نهر دجله، على بعد عشره كيلومترات جنوبى سامرا. و اظهرت التنقيبات آثار سور مثن الشكل يقع غربى مدينه المعتصم بالله، يبلغ طول كل ضلع من

١- فتوح البلدان / ٢٩٥، و كتاب البلدان / ٢٥٧، و مروج الذهب / ٤ / ٥٣.

٢- مروج الذهب / ٤ / ٥٣، و معجم البلدان / ٣ / ١٧٤.

٣- مدينه المعتصم على القاطول / ١٦٦.

اضلاعه (٦٣٠) م و هو مبنى باللبن و مدعوم بسلسله ابراج يبلغ عددها (١٤٠) برجاً. و فى كل ركن من اركانها برج كبير مدور قطره نحو ثمانيه امتار. و سمك السور اربعه امتار، و ارتفاعه نحو خمسه امتار. و تبلغ مساحه الأرض التى يكتنفها السور (٧٤٥) دونما، اى ما يقارب المليونى متر مربع. و فى السور فتحات تدل على انها كانت ابواباً له. و السور من الداخلى مؤلف من اروقته، كل رواق بين دعامين، و قد جعل بعض هذه الاروقه حجرات. و تشاهد فى وسط السور معالم بعض البنايات، و سلسله غرف ذات عقود مدببه. و يدل شكل السور على انه كان حصناً و معسكراً لجيش كبير يقيم معظمه فى الخيم المنصوبه فى ساحته، و ان الأبنيه التى وجدت آثارها فيه انشئت لسكنى قواد الجيش.

و مما هو جدير بالملاحظه ان سور القادسيه هذا يشبه اسوار القصور و القطائع التى انشئت فى سامرا فيما بعد، من حيث ضخامته و شكله و حجم اللبن الذى استخدم فى بنائه، مما يوحى بان المعتصم بالله جعل الاسوار مئمنه ليكسبها مظهراً قريب الشبه بأسوار مدينه المنصور(١). و ربما كان لشكل السور علاقه بتسميه المعتصم بالله بالخليفه المئمن.

و كان يدور بمحاذاه قاعده السور من الداخلى خندق ما يزال ظاهراً، كان يستمد ماءه من نهر القادسيه. و هو فرع من القاطول الاعلى يمتد الى نهر القائم فيقطعه على عباره ما تزال بعض معالمها ظاهره للعيان فى عقيق القائم. و عند وصوله سور القادسيه يتفرع منه فرع يدخل المعسكر و ينقسم فى داخله الى فرعين يكونان زاويه قائمه، ثم ينعكس احدهما فى زاويه قائمه ايضا فيصير موازياً للفرع الأول. و لا شك فى ان هذا التوزيع يساعد جميع القاطنين فى

---

١- الآثار القديمه العامه - سامرا / ٧٢-٧٣، و مدينه المعتصم على القاطول / ١٦٨.

داخل السور على انتحال الماء. و من المحتمل ان المياه الزائده كانت تصرف بمصرف يخرج من الضلع الجنوبي للسور.(١).

أما مدينه القاطول نفسها فان المعتصم بالله كان قد انشأ كهريزا لا يصل مياه الشرب اليها. و يستمد هذا الكهريز المياه من نهر دجله فى نقطه تقع على بعد كيلومترين تقريبا من شمالى صدر نهر القائم، ثم يسير شرقا باتجاه حصن القادسيه فينحرف من جهته الشماليه حتى ينتهى الى بنايات مدينه المعتصم بالله شرقى الحصن.

و قد انشىء هذا الكهريز فى مجريين متوازيين احدهما خاص بموسم الفيضان و الآخر خاص بموسم الصيف. و يبلغ طول هذا الكهريز من صدره حتى ابنيه مدينه القاطول زهاء اربعه كيلومترات(٢).

و وجدت فى الاراضى حول السور آثار مبان و اسوار تمتد غربا و شرقا، و قد شيد بعضها بالآجر، و البعض الآخر باللبن. مما يدل على ان قسما منها كان دورا و قصورا، و بعضها كان اسواقا.

و يظهر ان الأبنيه الكائنه فى جنوبى القادسيه قد شيدت جميعها بالآجر مما يستنتج منه انها كانت قصورا لكبار القوم. و وجدت ايضا خرائب فيها طبقات من الرماد و كسر الاوانى الزجاجيه و كتل من الزجاج المنصهر، تدل و فرتها على ان معامل للزجاج كانت تقوم فى هذا الموضع، و قد اتخذه صناع الزجاج فى ايام ازدهار سامرا و عظمتها مقرا لهم، و شيدوا فيه مصانعهم و دورهم و مساكن عمالهم، و قد ظل كذلك بعد انتقال الخلافه منها و عوده العاصمه الى بغداد(٣). و يذكر ياقوت الحموى ان القادسيه كانت قريه كبيره قرب سامرا يعمل فيها الزجاج(٤).

١- مدينه المعتصم على القاطول / ١٦٨.

٢- رى سامراء / ١ / ٢٦٦.

٣- مدينه المعصم على القاطول / ١٦٨.

٤- المشترك وضعاً / ٣٣٧.

على ان المعتصم بالله ما لبث ان ادرك ان الأرض التي اختارها ضيقه غير قابله للتوسع لاحاطتها بدجله و القاطول من جهه، و لارتفاع ضفه القاطول اليمنى بسبب تراكم الاتربه الناشئه من حفر هذا النهر على شاطئه الايمن، فتكون من ذلك سلسله مرتفعات و تلول على طول الضفه المذكوره حجزت الاراضى الواقعه الى جنوبه عن الواقف بالضفه اليسرى، مما يخلق حاجزا بين جانبى المدينه(١)، و هى بذلك لا- تفى بقيام حاضره للخلافه، كما وجد ان طبيعه الارض حصا و انهيار يصعب البناء فيها(٢). و كان الموضوع فوق ذلك شديد البرد فتأذى به المعتصم بالله و حاشيته، حتى قال بعض من كان معه(٣):

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا فنحن نأمل صنع الله مولانا

الناس يأترون الرأى بينهم و الله فى كل يوم محدث شانا

و كان المعتصم بالله قد صار فى خلال خروجه الى الصيد الى ارض واسعه، و هى صحراء من ارض الطيرهان خاليه من السكان و لا عماره بها سوى دير للنصارى، فوقف بالدير و سأل من فيه عن اسم الموضوع. فقال له بعض الرهبان: «نجد فى كتبنا المتقدمه ان هذا الموضوع يسمى سرمن رأى و انه كان مدينه سام بن نوح، و انه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له اصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاه ينزلها و ينزلها ولده. فقال: انا و الله ابنيها و انزلها و ينزلها ولدى. و لقد امر الرشيد يوما ان يخرج ولده الى الصيد، فخرجت مع محمد و المأمون و اكابر ولد الرشيد فاصطاد

١- مدينه المعتصم على القاطول / ١٦٧.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٧، و فتوح البلدان / ٢٩٥.

٣- مروج الذهب / ٤ / ٥٤.

كل واحد منا صيدا و اصطدت بومه ثم انصرفنا، و عرضنا صيدنا عليه فجعل من كان معنا من الخدم يقول هذا صيد فلان و هذا صيد فلان حتى عرض عليه صيدى، فلما رأى البومه و قد كان الخدم اشفقوا من عرضها لثلاثا يتطير بها او ينالنى منه غلظه، فقال من صاد هذه؟ قالوا: ابو اسحاق، فاستبشر و ضحك و اظهر السرور.

ثم قال اما انه يلى الخلافه و يكون جنده و اصحابه و الغالبون عليه قوما و جوههم مثل وجه هذه البومه فيبنى مدينه قديمه و ينزلها بهؤلاء القوم ثم ينزلها ولده من بعده، و ما سر الرشيد يومئذ بشىء من الصيد كما سر بصيدى لتلك البومه»(١). و هذه القصة لا تخلو من ان تكون موضوعه على غرار الاسطوره التى وضعت عند ما اختار ابو جعفر المنصور موضع مدينته المدوره، و قد ذكرها ياقوت الحموى فى معجمه البلدان(٢). و معالم وضعها ظاهره، اذ كيف يتوقع هارون الرشيد ان يلى ابنه ابو اسحاق الخلافه و هو لم يدخله مع ولاء العهد من اولاده الذين كتب لهم كتاب العهد! و يرجح انها وضعت فيما بعد بشكل يلائم احوال المعتصم بالله.

نظر المعتصم بالله الى فضاء واسع تسافر فيه الأبصار، و هواء طيب، و ارض صحيحه، فأستمرأها و استطاب هواءها، و اقام هناك ثلاثا يتصيد فى كل يوم، فوجد نفسه تتوق الى الغذاء و تطلب الزيادة على العاده الجاربه، فعلم ان ذلك من تأثير الهواء و الماء و التربه. فلما استطاب الموضوع دعا باهل الدير فاشترى منهم ارضهم باربعه آلاف دينار(٣). و عرفت هذه المنطقه قديما بصحراء الطيرهان و قصبتها الماحوزه، و هى التى بنى فيها المتوكل على الله عاصمته المتوكله فيما بعد. و من المواضع الشهيره فيها قبل ان يختارها المعتصم بالله ليقوم عاصمته فيها موضع يسمى (دور عربايا)

١- كتاب البلدان / ٢٥٧.

٢- معجم البلدان / ١ / ٤٥٨ - ٤٥٩.

٣- مروج الذهب / ٤ / ٥٤.

و موضع آخر اسمه (الكرخ) و دور عربا يا او دور العرباني هو الدور الأسفل، و هو قريه بين سامرا و تكريت، و فيه انزل المعتصم بالله بعض قواده عند ما بنى سامرا(١). اما موضع الكرخ فكان يقال كرخ فيروز، و هو موضع مدينه قديمه على مرتفع من الأرض، و هو اقدم من سامرا، فلما بنيت اتصل بها، و ظل عامرا بعد هجرها و خرابها. و يقال له ايضا كرخ باجدا و كرخ جدان(٢). و قد انزل المعتصم بالله فيه مولاة اشناس القائد فيمن ضم اليه من القواد، لما بنى سامرا(٣).

و كانت منطقه الطيرهان تؤلف مع تكريت و السن و البوازيح اول حدود اعمال المغرب عند البلدانين و تعتبر من كور الموصل(٤). و هي ارض منبسطة كان يتردد عليها خلفاء بغداد للصيد. و يظهر ان المعتصم بالله نفسه كان يتردد ايام كان اميرا، الى هذا الموضع للصيد، و يضرب فيه مضاربه، كما سنرى فيما بعد.

و كانت تعرف قبل الفتح العربي بنفس الاسم. فقد ورد ذكرها في بعض الحوادث التي وقعت ايام العهد اليوناني في العراق(٥). و قد استمر هذا الأسم يطلق على منطقه سامرا بعد تأسيسها و لقرون عديده(٦).

يقول اليعقوبي في تاريخه: «ثم ارتحل (المعتصم بالله) من القاطول الى سر من رأى، فوقف في الموضع الذى فيه دار العامه، و هناك دير للنصارى فأشترى من اهل الدير الارض و اختط فيه.

١- فتوح البلدان / ٢٩٥، و معجم البلدان ٢ / ٤٨١، و المشترك وضعاً / ١٨٣.

٢- معجم البلدان ٤ / ٤٤٧، و المشترك وضعاً / ٣٦٩.

٣- فتوح البلدان / ٢٩٥، و كتاب البلدان / ٢٥٨.

٤- المسالك و الممالك ٩٤ و ٢٤٥، و الخراج و صناعه الكتابه / ١٧٥.

٥- اخبار فطاركه كرسى المشرق لمارى بن سليمان / ٤- ٥.

٦- اخبار فطاركه كرسى المشرق لعمرو بن متى / ٧٢- ٧٣، و ٨٣ و ١٠٠، و ١١٦- ١٢١.

و صار الى موضع القصر المعروف بالجوسق على دجله فبنى هناك عده قصور للقواد و الكتاب و سماها باسمائهم»(١). و يقول المسعودى:

«و لم يزل (المعتصم بالله) يتنقل فى تلك النواحي حتى وقع اختياره على موضع سامرا، و هو بلاد فى كوره الطيرهان»(٢). و يقول ايضا: «خرج يتقرى المواضع فانتهى الى موضع سامرا، و كان هناك دير عادى فسأل بعض اهل الدير عن اسم الموضع فقال: يعرف بسامرا. قال له المعتصم: و ما معنى سامرا؟ قال: نجدها فى الكتب السالفه و الامم الماضيه انها مدينه سام بن نوح. قال له المعتصم:

و من اى بلاد هى و الام تضاف؟ قال: من بلاد طيرهان و اليها تضاف»(٣). و جاء فى اخبار فطاركه المشرق لمارى بن سليمان ان المعتصم بالله «خرج الى الطيرهان للتصيد، و صاد و جعل فى اعناق السباع الاطواق الحديد، و وسم على افخاذ الطباء و حمير الوحش اسمه، و استطاب الموضع، و ابتاع من سكان ذلك الموضع النصارى الحزيات المتصله بالمطيره، و جدد بناء سر من رأى»(٤).

و لما عزم المعتصم بالله على ان ينزل بموضع سامرا كلف وزيره محمد بن عبد الملك الزيات و قاضى القضاة احمد بن ابى دواد، و عمر بن فرج، و احمد بن خالد المعروف بأبى الوزير، و هما من رؤساء الدواوين، بأن يشتروا له من اصحاب الدير الارض التى رآها و ان يدفعوا اليهم اربعة آلاف دينار ثمنالها، ففعلوا ذلك»(٥).

و هناك خبر يروى عن ابى الوزير انه قال: «بعثنى المعتصم فى سنه (٢١٩ هـ) و قال لى: يا احمد اشتر لى بناحيه سامرا موضعا ابنى فيه مدينه .. و قال لى: خذ مائه الف دينار، قال قلت: آخذ

١- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧٣.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٩.

٣- مروج الذهب ٤ / ٥٤.

٤- ص: ٧٧.

٥- كتاب البلدان / ٢٥٧ - ٢٥٨.



خمسة آلاف دينار فكلما احتجت الى زياده بعثت اليك فاستردت.

قال: نعم فأتيت الموضع فاشتريت موضع سامرا بخمسائه درهم<sup>(١)</sup>، من النصارى اصحاب الدير، و اشتريت موضع البستان بخمسة آلاف درهم، و اشتريت عدده مواضع حتى احكمت ما اردت، ثم انحدرت فاتيته بالصكاك، فعزم على الخروج اليها. حتى وضع البناء بسامرا فى سنة (٢٢١ هـ)<sup>(٢)</sup>. ولا نرى تضاربا بين الروايتين، اذ يجوز ان الخليفة كلف الاشخاص المذكورين اول الأمر، ثم اقتصر مهمه الشراء على ابى الوزير.

و يبدو مما يرويه ابن ابى اصيبيه ان للمعتصم بالله سابق معرفه بموضع سامرا عند ما كان اميرا، اذ يقول: «ثم صار المعتصم الى سر من رأى فضرب مضاربه فيها و اقام بها فى المضارب، فانى لفى بعض الايام على باب مضرب المعتصم اذ خرج سلمويه بن بنان ... فقال لى: حدثنى فى غداه يومنا نصر بن منصور بن بشام انه كان يساير المعتصم فى هذا البلد، يعنى بلد سر من رأى، و هو أمير، قال لى سلمويه: قال نصر ان المعتصم امير المؤمنين قال له: يا نصر أسمعت قط بأعجب ممن اتخذ فى هذا البلد بناء و أوطنه! ليت شعرى ما اعجب موطنه، حزونه ارضه او كثره اخاقيقه<sup>(٣)</sup>. ام كثره تلاعه و شد الحرفيه اذا حمى الحصى بالشمس، ما ينبغى ان يكون متوطن هذا البلد الا- مضطرا مقهورا، او ردى ء التمييز. قال لى سلمويه: قال لى نصر بن منصور: و انا و الله خائف ان يوطن امير المؤمنين هذا البلد. فان سلمويه ليحدثنى عن نصر اذ رمى ببصره نحو المشرق فرأى فى موضع الجوسق المعروف بالمصيب اكثر من الف رجل يضعون اساس الجوسق.

١- فى معجم البلدان ١٧٤ /٣ بخمسه الاف درهم، و فى العيون و الحداثق ٣ /٣٨١ بخمسائه الف درهم.

٢- الطبرى ١٧ /٩، و معجم البلدان ١٧٤ /٣.

٣- فى النص: اخاقيقه، و هو خطأ مطبعى، و الاخاقيق الحفر.

فقال لى سلمويه: احسب ظن نصر بن منصور قد صحح. و كان ذلك فى رجب سنه احدى و عشرين و مائتين»(١).

ان ما ذكره ابو الوزير، و ما رواه ابن ابى اصيبيه يستنتج منه ان المعتصم بالله كان يفكر بالانتقال الى عاصمه اخرى، و لذا يمكن القول ان شكوى اهل مدينه السلام كانت سببا مباشرا لانتقاله عنها.

و يظهر ان سعه الموضع و موقعه من نهر دجله و بعده عن بغداد مما اغرى المعتصم بالله بأن يختاره لأن يقيم فيه مدينته التى ازمع على تأسيسها. على ان هناك اسبابا اخرى جعلته يفضل هذا الموضع على غيره. فانه كان محاطا بالمياه من جميع اطرافه بحيث انها تشكل سورا دفاعيا يحيط بالمدينه. فنهر دجله يلازمها من جهتها الغربيه و يسير بمحاذاتها من اقصى شمالها حتى اقصى جنوبها، مما يؤمن اضافته الى اهميته الدفاعيه سبيلا للمواصلات النهريه و نقل البضائع و المؤن و غيرها الى المدينه عن طريق النهر، سواء كان ذلك من شمالى العراق او جنوبيه. اما من الجهات الاخرى فان مجرى النهر وان- و هو مجرى القاطول او الرصاصى- الذى يفرع من دجله من شمالى مدينه سامرا، يجرى بموازاه دجله فيحيط بالمدينه من الجهتين الشماليه و الشرقيه. و ان مجرى نهر القائم- و هو قاطول الرشيد- الذى يتفرع من دجله من جنوبى سامرا و يلتقى بمجرى الرصاصى قبل وصوله الى نهر العظيم يحيط بالمدينه من الجهه الجنوبيه. و ذلك مما اغناه عن احاطه المدينه بسور يصد عنها الهجمات شأن المدن الاخرى فى ذلك العهد. ثم ان الموضع الذى تقع فيه المدينه يؤلف جرفا يرتفع عن مستوى مياه النهر، مما يجعلها فى مأمن من اخطار الفيضان. و لا يخفى ان الفيضان كان

مصدر قلق شديد في مدينه بغداد التي كانت معرضه دوما الى خطر الغرق(١).

### ٣- قدم الموضوع:

سبق ان اشرنا الى قدم منطقه الطيرهان التي اسست فيها مدينه سامرا، و ان ذكرها ورد في بعض الحوادث التي وقعت في العراق في العهد اليونانى. و قد جاء في بعض المصادر التراثيه ان موضع المدينه التي بناها المعتصم بالله كان مدينه قديمه اصابها الخراب فاندثرت معالمها. اذ يقول المسعودى: «و قد ذكر انها كانت قديمه مسماه بهذا الاسم، سميت بسام بن نوح، و انها كانت آهله عظيمه عامره، فلم تزل تتناقص على مر الزمان، و كان اخبائها في ايام فتنه الامين و المأمون»(٢) و يقول صاحب العيون و الحدائق: «حكى في بعض الكتب ان سر من رأى كانت مدينه عظيمه عامره كثيره الأهل فأخربها الزمان حتى بقيت خربه و بها دير عتيق، و كان سبب اخبائها فيما حكى ان اعراب ربيعه و غيرهم كانوا يغيرون على اهلها فرحلوا عنها»(٣). و يقول مارى بن سليمان: «و خرج المعتصم الى الطيرهان للتصيد .. و استطاب الموضع و ابتاع من سكان ذلك الموضع النصارى الخرابات المتصله بالمطيره و جدد بناء سر من رأى»(٤).

ان ما رواه المؤرخون المذكورون يعنى ان بناء المعتصم بالله مدينه سامرا كان تجديدا لبناء المدينه القديمه. على ان هذه الاشارات جاءت عرضيه في المصادر المشار اليها، بينما لم تشر

١- رى سامراء ج/ ٥٤-٥٥.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٩.

٣- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨١.

٤- اخبار فطاركه كرسى المشرق / ٧٧.

المصادر المهمه الاخرى الى شىء من ذلك. كما ان الدراسات الحديثه عن المنطقه، و التنقيبات الأثريه التى اجريت فيها لم تكشف عما يؤيد ان المكان موقع مدينه قديمه اندثرت. بل على العكس من ذلك انه كان ارضا بكرا مستريحه الوف السنين (١). خلا ما عثر عليه من دلائل سكنها فى عصور ما قبل التاريخ. مما يدعو الى القول بان ما جاء فى المصادر المذكوره ينقصه التأييد و البرهان على ان ذلك لا يعنى ان منطقه الطيرهان كانت صحراء لا عماره فيها كما يقول اليعقوبى (٢). فقد كان بها عدد من الأديره، و قد فُصِّلنا ذلك فى مكان آخر. كما ان ما ذكر عن بستان و خرابات اضافه الى الدير دليل واضح على انها لم تكن تخلو من بعض العمران.

و قد ثبت من التحريات و التنقيبات الاثريه التى اجريت فى خرائب سامرا انه كان فى موضعها مستوطنات و قرى يرجع بعضها الى ادوار ما قبل التاريخ. فقد اكتشف العالم الآثارى هرزفيلد فى مطلع هذا القرن مقبره تعود الى ادوار ما قبل التاريخ بالقرب من شريعه الناصريه، و وجد فيها نوعا من الفخار المصبوغ يعتبر وسطا بين فخار شوش و فخار تل العبيد، و سمي هذا الفخار القبتاريخى باسم «فخار سامراء» و هو يمثل دورا من ادوار ما قبل التاريخ فى العراق (٣). و عند ما توسعت مديره الآثار العراقيه فى التنقيب فى الموقع المذكور عثرت على موضعين آخرين يعودان الى ما قبل التاريخ ايضا احدهما شمالى المقبره التى عثر عليها هرزفيلد و الآخر على ضفه دجله شمالى صدر القائم جنوبى سامرا يسمى تل الصوان.

١- كتاب البلدان / ٢٦٤.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٧.

٣- سامراء المديره الآثار العامه / ٧٦.

يقع تل الصوان قرب النصب المعروف بالقائم على الضفة الشرقيه لنهر دجله، على بعد (١١) كيلومترا جنوبى مدينه سامراء الحاليه. و تؤلف اطلال هذا الموقع تلا ييضوى الشكل تقريبا طوله من الشمال الى الجنوب (٢٣٠) م و عرضه من الشرق الى الغرب (١١٠) م، و لا يزيد ارتفاعه عن ثلاثه امتار و نصف عند اعلى بقعه من سطحه. و قد اعلنت المديرية العامه للآثار عن اثريه هذا التل فى سنه (١٩٤٩) و ميزت نوعيه الملتقطات المنتشره على سطحه و ثبتت ازمانها التاريخيه. ثم قررت فى سنه (١٩٦٤) ان تقوم باجراء تنقيبات عامه شامله فيه. و قد دفعها الى ذلك سببان مهمان، اولهما ان وقوع التل فى وسط العراق قد يكشف فى طياته عن دلائل أثريه تلقى الضوء على نوع الارتباط الحضارى بين شمالى وادى الرافدين و جنوبيه فى خلال النصف الثانى من الألف السادس قبل الميلاد، حين بدأ العراقى القديم ينحدر الى منطقه السهول الغربيه فى وسط الوادى و جنوبيه. و يؤسس اولى القرى الزراعيه هناك.

و ثانيهما احتمال العثور على قريه من الطور المذكور بابنيتها و آثارها الاخرى لتوضح جوانب مهمه من تاريخ العراق القديم فى النصف الثانى من العصر الحجري الحديث و بدايه ما يسمى بالعصر الحجري المعدنى. لأن ما كان معروفا عن المرحله الحضاريه المسماه (بطور سامراء) لما قبل التاريخ لا يتعدى الفخاريات التى كشف عنها هرزفيلد لأول مره فى المقبره التى تعود الى هذه الفتره. و لقد اسفرت التنقيبات عن نتائج مهمه القت الضوء على جوانب كثيره مما توخته دائره الآثار العراقيه. اذ كشفت لأول مره عن مستوطنه تم الكشف على خمس طبقات اثريه منها كانت قد سكنت على التوالي (١). و ترجع الطبقات الثلاث السفلى منها الى آواخر

العصر الحجري الحديث، ثم طور حسونه القديم و بدايه فخار حسونه الانموذجى الذى يستمر الى الطبقة الرابعه ثم الخامسه مع فخار طور سامراء(١).

و كشفت الطبقة الرابعه، اضافه الى البيوت المبنيه باللبن عن بنايات اخرى ذات تخطيط بنائى موحد يشبه الى حد كبير الحرف اللاتينى T بغرف متعدده اعتبرها المنقبون مخازن للحبوب، و كان احدها مكانا دينيا. و لوحظ ان طبقه السكن الثالثه قد سيجت فيها جميع المنطقه المسكونه بسور خارجى بطلعات غير منتظمه، و تمت حمايته بخندق منيع. و هو اقدم نظام دفاعى تم العثور عليه حتى الآن فى وادى الرافدين. و تتخلل هذه الأبنيه ساحه واسعه و دروب بعضها مرصوف بالحصى. و وجدت فى احدى الساحات مجموعه من التنانير ملاصقه لسور القرية، و هناك ما يدل على انها كانت كورا لشى الفخار. و هذا بحد ذاته يعتبر كشفا مهما اكد ان فخاريات سامرا بكل انواعها الملونه و المحززه و لمدلوكه و البسيطة الخاليه من النقوش قد تم صنعها فى تل الصوان.

و ان غزارة بقايا هذا النوع من الفخار هنا يؤكد بان تل الصوان كان مركزا مهما لهذه الصناعه فى القسم الوسطى من العراق، و منه كانت تتزود القرى و المستوطنات الاخرى فى هذه المنطقه من وادى الرافدين(٢).

و قد تأكد بان الطبقة الرابعه قد مرت بدورين سكنيين على الأقل. كما ظهر ان معظم مشتملات الدور العلوى بغرفها الصغيره كانت مخازن للغلال. و قد عثر فيها على بقايا من تلك الغلال و عظام الحيوانات التى استفاد السكان من لحومها. كما وجدت آلات و ادوات حجريه استعملت للحراثة و الحصاد و لتهيئه

١- مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمه / ٢١٤-٢١٥.

٢- التنقيب فى تل الصوان السابق / ٣٩.

الطعام(١). و ان العدد الكبير من تماثيل صغيره للنساء الذى وجد فى مقبره تل الصوان قد يعنى ان هذا الموقع كان فى اوائل الالف السادس قبل الميلاد، و ربما قبل ذلك بقليل، مركزا رئيسا لعباده الأم الالهه. و قد وضعت تماثيل صغيره عديده لها فى توبيت الصغار لتحميمهم فى رحلتهم الطويله فى عالم ما بعد الموت. و لوحظ ان اكثر بقايا الهياكل العظيمه التى عثر عليها فى قبور القرية كان اصحابها قد دفنوا بوضعيه القرفصاء و ان الرأس يتجه دوما نحو الجنوب الا ما ندر. و وجدت بعض الهياكل ملفوفه بحصير مطلى بالقار، كما عثر على عدد من الاوانى الكبيره من الجص مع اغطيتها المماثله لشكل الاناء البيضوى المفلطح قد استخدمت كتوابيت للأطفال، و يظهر ان هذا النوع من مدافن الاطفال كان شائعا فى تل الصوان و بخاصه فى الطبقتين الرابعه و الخامسه(٢).

و من الادوات التى تلفت النظر مما عثر عليه، مجرشه، و مدقه كرويه، و مدقات طويله الشكل، و منجل من حجر الصوان ملصق بالقار، و محراث من الحجر، و حجاره مقلاع، و ثقاله ل «جومه» حياكه، و هاون او جاون، و حجر للدلك، و صناره باب، و طبله لمزج الاصابع، و ادوات مختلفه من معظم. كما عثر على مجموعه من عده الخياطه كالايير و المخارز، و هى ادله قاطعه على تمرس سكان هذا الموقع فى خياطه الملابس من الجلود، او من الصوف الذى كان يغزل بمغازل تصنع اقراصها من الفخار او الحجر. و ان الكشف عن ثقالات من الحجر و الفخار يدل على استخدام انواع ساذجه من «جوم» الحياكه، و هو برهان على انهم مارسوا حيا؟؟؟

الأقمشه لاستخدامها فى الملابس و اغراض اخرى(٣). و مما عثر

١- نفس المصدر.

٢- التنقيب فى تل الصوان / ٤٠-٤١.

٣- نفس المصدر / ٤٣-٤٥.

عليه ايضا سلطان من الخوص مبطنتان بالقار مما يظهر ان صناعه السلال و تبطينها بالقار كانت على ما يظن صناعه شائعه في تل الصوان منذ اقدم الطبقات السكنيه فيه(١). و عثر كذلك على ختم منبسط مستطيل الشكل من الحجر الأسود و قد حفرت فيه حوز متقاطعه، و هذا يعتبر واحدا من الاختام المنبسطه الاولى التى وصلتنا من اواسط الألف السادس قبل الميلاد(٢).

يقول المرحوم الاستاذ طه باقر ان فخار سامرا بالمقانه مع فخار تل حلف الذى يليه، يمتاز بانه ذو لون واحد (Monochrome) كما يمتاز بزخارفه الهندسيه المرتبه فى انطقه (Bands) متوازيه و كذلك اشكال بعض الحيوانات مثل الطيور و الاسماك و العقارب و الأيل، و فى حالات قليله اشكال آدميه مرسومه بصوره تخطيطيه تقريبيه.

و كانت هذه الزخارف تنقش بلون اسود فاتح او اسمر، على سطح الاناء ذى اللون الاصفر الباهت. و لحد ما نعرفه الى الآن لم يعرف العراقيون القدماء استعمال المعادن و التعدين فى طور سامرا، و كانت الحجاره ماده المعتمده فى صنع الأدوات و منها الحجر البركانى الاسود (الابزیدی-٣) Obzidian).

و مما كان يشغل اذهان علماء الآثار، لا سيما من يبحث منهم فى فترات ما قبل التاريخ، التعرف على نمط الحياه الاقتصاديه، و انواع المواد الغذائيه الاولى التى عرفها الانسان بعد ان استقر فى قرى ثابتة قرب المياه. فقد عثر على بقايا من الغلال و الحبوب المتفحمه، و البقايا العظيمه للحيوانات التى اقتات على لحومها سكان تل الصوان فى مختلف ادواره، فتفرع لدراستها احد مشاهير المختصين بالنباتات القديمه هو الاستاذ هانس هيلبان من المتحف

١- مجله سومر، ج: ١ و ٢ لسنة ١٩٦٧، ص: ب.

٢- نفس المصدر، ص: ج.

٣- مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمه / ٢١٦-٢١٧.



الوطنى فى كوبنهاكن بالدانمارك. و توصل الى ان الحنطه و الشعير كانا من جمله المحاصيل الحقلية لاهالى تل الصوان. و انهم كانوا يعتمدون احيانا على السقى فى زراعه هذين النوعين من الغلال، لقله الامطار فى وسط العراق فى ذلك الزمن و كما هى الحال الآن (١). مما يستنتج منه ان سكان هذا المستوطن بدأوا بمشاريع الري الصغيره.

كما ان البحث الدقيق فى الركام و التراب الناجم عن حفريات مختلف البقايا النباتيه و مخازن الغلال كشف عن بقايا من عظام الحيوانات الاليفه و البريه التى اصطادها الانسان فى هذا الموقع و اقتات على لحومها و استفاد من جلودها و اصوافها. و ظهر بنتيجه دراسه المختصين لهذه البقايا ان الخراف و الماعز و الغزلان كانت عماد الثروه الحيوانيه، لأهل هذا الموقع فى الألف السادس قبل الميلاد، و ان السمك كان الغذاء الرئيس لسكنه تل الصوان فى جميع ادواره (٢). كما انهم كانوا يضعون الاسماك مع الموتى لتكون زادا لهم فى رحله الموت الطويله، كما تدل على ذلك بقايا عظام السمك الكثيره التى وجدت فى القبور المكتشفه فى هذا التل (٣).

و تمخضت الحفريات فى تل الصوان فى موسم سنه (١٩٧٢) عن نتائج مهمه ساعدت على تكوين فكره عامه عن نمط الحياه الاجتماعيه و الاقتصاديه لقريه الصوان، و كذلك عن بدايه الاستيطان فيها. و مما يمكن استخلاصه ان سكان القريه تلاحموا مع بيئتهم ممارسوا البدايات الاولى لأساليب الري نتيجته لتذبذب

١- لتتقيب فى تل الصوان / ٤٥.

٢- نفس المصدر / ٤٦.

٣- مجله سومر ج: ١ و ٢ لسنة ١٩٦٧. ص: ج.

سقوط الامطار و قلتها فى هذه المنطقه. و ان هذا التفاعل ساعد على الخلق و الابداع فى النواحي التى ميزت اولئك السكان(١).

#### ٤- بناء سامرا:

#### اشاره

يعتبر ما كتبه المؤرخ الجغرافى احمد بن ابى يعقوب المعروف باليعقوبى عن تخطيط مدينه سامرا و عمرانها فى «كتاب البلدان» اوسع ما تضمنته كتب التراث العربى عن هذا الموضوع. و لكتابه اليعقوبى المتوفى سنه (٢٨٤ هـ) عن المدينه اهميه خاصه اذ كان معاصرا لها عند ما كانت عاصمه الدوله العرييه، و قريب عهد من تأسيسها. و لذا سيكون كتابه المذكور مصدرنا الأول فى سنورده فى هذا البحث(٢)، الا اذا اشرنا الى مصدر آخر.

#### تخطيط المدينه:

بعد ان اختار المعتصم بالله الأرض اللانزمه لبناء المدينه او عز الى المهندسين بتخطيطها وفق اسس عينها لهم. و يمكن ان نستخلص من مجريات العمل فى تأسيس المدينه، ان اهم تلك الأسس كانت:

١- اكد المعتصم بالله على ضروره ان تصير قطائع الأتراك جميعا و الفراغه، بعيده عن الاسواق و الزحام، و ذلك بجعل مساكنهم فى شوارع واسعه و دروب طوال، ليس معهم فى قطائعهم و دروبهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر و لا غيره. و ذلك لتلافى المشاكل التى واجهها فى بغداد من جراء التصادم المستمر بين

١- مجله سومر ج: ١ و ٢ لسنة ١٩٧٢، ص: ب.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٥-٢٦٨.

اهلها و جنده من الاتراك فى دروب المدينه و اسواقها مما اضطره على ترك العاصمه و الانتقال الى مدينه بعيده عنها.

٢- ان يبدأ العمران فى الجانب الشرقى من المدينه، لما تمتاز به ارض هذا الجانب مما سبقت الاشاره اليه من المميزات. ثم ينظر بعد ذلك فى اعمار الجانب الغربى.

٣- الاكثار من الشوارع الرئيسه فى المدينه على ان تكون موازيه لنهر دجله، و بأعرض ما يمكن، و ان توصل بينها شوارع فرعيه عريضه و دروب، و ان يكون الشارع الذى على ضفه دجله مباشره فسيحا يتسع للسفن التى ستفرغ حمولتها فى فروضه او تحمل منها.

٤- ان تقام الأسواق الرئيسه حول المسجد الجامع الذى تقرر انشاؤه على شارع السريجه، بحيث تجعل سوق خاصه لكل تجاره منفرده، و يكون كل قوم من اصحاب التجارات و البياعات على حده، على مثل ما رسمت عليه اسواق بغداد.

و قد خطط المهندسون شوارع المدينه و دروبها، و وضعوا اسس القصور و المساجد، و مختلف القطاعات التى اعدت لسكنى الجند، و مختلف طبقات الناس، وفق الأسس المشار اليها. و قد برهنوا فى تخطيطهم على مهاره فائقه تجلت فى تنظيم الشوارع، و تنسيق الأبنيه العامه، و توزيع القطاعات، و اقامه الاسواق.

و كان من اول اعمال المعتصم بالله، بعد ان كمل تخطيط المدينه انه كتب الى مختلف الولايات «فى اشخاص الفعله و البنائين و اهل المهن من الحدادين و النجارين و سائر الصناعات. و فى حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصره و ما والاها، و من بغداد و سائر السواد و من انطاكيه و سائر سواحل الشام. و فى حمل عمله الرخام و فرش الرخام، فاقامت باللاذقيه و غيرها دور صناعه

الرخام»<sup>(١)</sup> لتهيئه ما تحتاجه قصور المدينة و مساجدها من الرخام و المرمر الابيض و الملون. على ان المعتصم بالله لم يقتصر على استخدام عمال البناء و الحرفيين ممن لهم علاقه بالبناء و التشييد فقط، بل حاول ان يحشد للمدينه الجديده ايدى عامله كثيره فى مختلف النواحي. و لهذا اقدم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال او يعالج مهنة من مهن العماره و الزرع و النخل و الغروس، و هندسه الماء و وزنه و استنباطه و العلم بمواضعه من الأرض. و حمل من مصر من يعمل القراطيس و غيرها، و حمل من البصره من يعمل الزجاج و الخزف و الحصر. و حمل من الكوفه من يعمل؟؟؟ ف و من يعمل الأدهان و الاصباغ. و من سائر البلدان من اهل كل مهنة و صناعه. فانزلوا بعيالهم فى اماكن خاصه من المدينه، و اقطعوا فيها لبناء منازل لهم.

ابتدأ البناء فى سنه (٢٢١ هـ)<sup>(٢)</sup>. و يظهر ان اول ما بنى فى المدينه الجديده هو قصر الخليفه الذى عرف بالدار العامه، و قد بنى فى بستان الدير الذى اشتراه المعتصم بالله، و صارت ارض الدير بيت المال. و يقول المسعودى: «انه ارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه، و هو الموضع المعروف بالوزيرى فى سر من رأى، و اليها يضاف التين الوزيرى، و هو اعذب الأتيان و ارقها قشراً و اصغرها حبا»<sup>(٣)</sup>.

و يقول الآثارى كرزويل ان المعتصم بالله ارسل رجالا الى مصر و امرهم بانتزاع اعمده الرخام من الكنائس، و انهم بعد ان انتزعوا اعمده كنائس الاسكندريه ذهبوا الى كنيسه القديس ميناس فى

١- كتاب البلدان / ٢٥٨.

٢- الطبرى ١٧ / ٩، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٣، و التنبيه و الاشراف / ٣٠١ و معجم البلدان ٣ / ١٧٤، و الكامل ٦ / ٤٥٢.

٣- مروج الذهب ٤ / ٥٤.

مربوط و انتزعوا منها الرخام الملون و مرمر التبليط(١). الا ان زعمه هذا لا يمكن قبوله، لأن المعتصم بالله الذى دفع مبالغ كبيره لشراء الخرائب و الاراضى المتروكه التى كانت تخص الرهبان فى موضع سامرا لا يمكن ان يأمر باغتصاب اعمده الكنائس و مرمر تبليطها، و بخاصه اذا ما علمنا ان دور صناعه للرخام و المرمر قد اقيمت فى بعض المدن التى اشتهرت بقطعه و صقله، لسد حاجه المدينه الجديده منه.

### الشوارع الرئيسيه:

يسمى الشارع الذى امتد على ضفاف نهر دجله من شمالي المدينه حتى جنوبيها بشارع الخليج، حيث كانت تقوم عليه الفرض لرسو السفن التى تحمل البضائع و التجارات الى المدينه من بغداد و واسط و كسكر و سائر السواد و البصره و الأبله و الاحواز، و من الموصل و يعربايا و ديار ربيعه و ما اتصل بذلك، و تقوم فى هذا الشارع قطائع المغاربه، و عرف الموضع الذى خصص لسكنهم باسم «الأزلاخ» و تعتبر هذه القطائع اول ما اختط فى سر من رأى.

و هو بهذا الاعتبار شارع حيوى للمدينه، بل هو شريان حياتها الاقتصاديه لأن جميع السفن التى تحمل اليها البضائع و المئون تفرغ حمولتها على الفرض القائمه عليه، و كذلك تحمل منها الحاصلات و البضائع التى تنقل الى مدن اخرى.

و يلى شارع الخليج شرقا الشارع الرئيس فى المدينه و قد عرف اول الأمر بشارع السريجه، ثم اطلق عليه اسم الشارع الاعظم، لأنه كان اطول شوارع سامرا و اعرضها. فقد امتد من آخر البناء من قطيعه اشناس شمالا حتى آخر البناء فى قطيعه الافشين فى المطيره غربا بحيث كان طوله فى عهد المعتصم (١٩) كيلومترا تقريبا

و كانت (١) تقطعه دروب و شوارع عرضيه من جهة الشرع الى شارع ابى احمد بن الرشيد، و تنفذ الى شارع الخليج على دجله غربا.

و قد قامت على جانبيه بعض القطائع السكنيه. منها قطيعه اسحاق بن يحيى بن معاذ رئيس حرس المعتصم بالله، و قطائع عدد من القواد من غير الأتراك، كالقواد العرب والمخاربه و الخراسانيين، مل عجيف بن عنبسه، و الحسن بن على المأمونى، و حزام بن غالب الذى كان يتولى شؤون الاصطبلات بظهر قطيعته، و هاشم بن بانيجور، و هارون بن نعيم. بحيث كان لكل منهم قطيعه خاصه به و باصحابه. ثم القطائع الخاصه بكبار الخدم مثل مسرور سمانه و قرقاس و ثابت.

كما كانت تقع على هذا الشارع المبانى الخاصه ببعض مؤسسات الدوله مثل ديوان الخراج، و الخزائن الخاصه و العامه، و مجلس الشرط، و المسجد الجامع الذى لم يزل يجمع فيه الى ايام المتوكل على الله، و الحبس الكبير، و دار الرقيق، و السوق العظمى و قد بنيت منعزله عن المنازل و فيها قسم خاص لكل تجاره منفرد عن غيره. كما كان هناك سوق لأهل كل مهنة بحيث لا يختلطون بغيرهم من اصحاب المهن الاخرى.

و قامت كذلك على جانبى هذا الشارع اعداد كبيره من منازل الناس، و قد بنوا اسواقهم فيه لمختلف البياعات و الصناعات و التجارات. و هكذا كانت العمارات و القطائع و المنازل و الاسواق تمتد على جانبى هذا الشارع، و بينه و بين شارع الخليج من جهة الغرب، و بينه و بين شارع ابى احمد من جهة الشرق. و يبدو من تخصيص بعض القطائع الواقعه على جانبى هذا الشارع للقواد من

---

١- رى سامراء ١ / ٦١ و اشناس و الافشين من كبار قواد المعتصم بالله و سيرد ذكرهم فى الفصل الاول من الباب الرابع، و فى الفصل الثانى من الباب الثامن.

غير الاتراك و لأصحابهم ان المعتصم بالله لم يحرص على عزلهم اسوه بما فعله بقطاع الجند الاتراك، فقد اسكن بينهم خليطا من الناس.

و يمتد شرقي الشارع الأعظم الشارع المعروف بشارع ابي أحمد بن الرشيد، و سمي هذا الشارع باسمه لان قطيعته كانت في وسطه. و قد قامت عليه قطائع للوزراء و القضاة و الكتاب و لسائر الناس. اذ كانت تقوم في آخره مما يلي الوادي الغربي المسمى بوادي ابراهيم بن رباح، قطيعه قاضي القضاة احمد بن أبي دواد، و قطيعه الوزير الفضل بن مروان، و قطيعه الوزير محمد بن عبد الملك الزييات، و قطيعه ابراهيم بن رباح بن شبيب الجوهري من كبار الكتاب. و يتضح من هذا ان شارع ابي احمد خصص لسكنى الوزراء و الكتاب و القضاة و غيرهم من كبار موظفي الدولة.

و بالاضافه الى الشوارع الثلاثة ماره الذكر كان هناك شارعان آخران يمتدان الى الشرق من شارع ابي احمد و موازيان له، الأول شارع الحير الأول الذي يمتد من الوادي المتصل بوادي اسحاق بن ابراهيم في الجنوب حتى وادي ابراهيم بن رباح في الشمال، و قد قامت فيه قطائع اخلاط الناس، و الثاني هو شارع برغامش القائد التركي و اوله من المطيره عند قطائع الأفشين و يمتد شمالا الى الوادي المتصل بوادي ابراهيم بن رباح. و اقيمت في هذا الشارع قطائع للاتراك و الفراغنه، و لكل منهما دروبه المنفرده لا- يخالطهم فيها احد من الناس. فالالاتراك في الدروب التي في القبلة، و الفراغنه بازائهم في الدروب التي في ظهر القبلة. و قد سمح للفراغنه بمجاوره الاتراك لقربهم منهم في بلادهم (١).

## عزل مساكن الأتراك:

لقد افردت قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعا بحيث جعلوا منعزلين عن غيرهم، و لا يختلطون باحد و لا يجاورهم احد سوى الفراغنه. فقد اقطع المعتصم بالله اشناس الموضع المعروف بالكرخ، و يقال له كرخ سامرا تميزا عن كرخ بغداد و هو المحله التي في الجانب الغربى من بغداد. كما كان يسمى كرخ باجدا، و كرخ جدان ايضا(١)، و هو على بعد عشره اميال شمالي سامرا(٢). و ضم اليه عددا من قواد الأتراك و رجالهم و امره ان لا يسمح لقريب بمجاورتهم، كما انزل بعضهم فى الدور المعروف بدور العربانى(٣).

و اقطع الأفشين حيدر بن كاوس الاشروسنى فى المطيره فى آخر البناء مشرقا، و ضم اليه اصحابه من الاشروسنيه و غيرهم من الأتراك، و امره ان يبنى هناك سويقه فيها حوانيت للتجار مما لا بد منه، و مساجد و حمامات. كما اقطع الحسن بن سهل بين آخر الاسواق و المطيره. و لم يكن فى ذلك الموضع يومئذ شىء من العمارات، الا ان المنطقه ما لبثت ان عمرت و امتد بناء الناس فيها من كل ناحيه حتى اتصل البناء بالمطيره. و اقطع خاقان غرطوج و اصحابه مما يلى قصر الجوسق الخاقانى و امر ان يضم اصحابه اليه. و اقطع وصيفا و اصحابه مما يلى الحير.

و لكى يؤمن المعتصم بالله عزله الجند الاتراك عن غيرهم اشترى لهم الجوارى و زوجهم بهن، و منعهم من ان يتزوجوا من احد من المولدين، الى ان ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم من بعض. و اجرى

١- المشترك وضعاً / ٣٦٨ - ٣٦٩.

٢- بلدان الخلافة الشرقية / ٧٤.

٣- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.



لجوارى الاتراك ارزاقا قائمه، و اثبت اسماءهن فى الدواوين، و لم يكن احد منهم يستطيع ان يطلق امرأته.

### انتقال المعتصم بالله الى سامرا:

ليس هناك تاريخ معين لانتقال المعتصم بالله الى عاصمته الجديده سامرا سوى ما ذكره اليعقوبى بقوله «و انتقل الوجوه و الجله و القواد و اهل النباهه من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى فى سنه ثلاث و عشرين و مائتين»<sup>(١)</sup>. الا ان اتفاق المصادر الرئيسه على تاريخ بدايه بناء المدينه فى سنه (٢٢١ هـ) كما أشرنا، و قياسا على سرعه بناء مدينه المعتصم على القاطول، مما ذكرناه فى فصل آخر، يمكن القول ان الانتقال تم فى خلال سنه (٢٢٢ هـ). و مما يؤيد هذا ان اقدم خبر ذكرت فيه سامرا كحاضره للخلافه هو قدوم الأفشين ببابك الخرمى و اخيه على المعتصم بالله بسامرا ليله الخميس لثلاث خلون من صفر سنه (٢٢٣ هـ)<sup>(٢)</sup>.

و ذلك يعنى ان الخليفه قد استقر فى عاصمته الجديده خلال الأشهر القليله التى سبقت هذا التاريخ، اى فى بحر السنه (٢٢٢ هـ).

و يقول اليعقوبى ايضا: «و اتسع الناس فى البناء بسر من رأى اكثر من اتساعهم ببغداد، و بنوا المنازل الواسعه. و بلغت غله و مستغلات سر من رأى و اسواقها عشره الاف الف درهم»<sup>(٣)</sup>.

و يقول المسعودى: «و تسامع الناس ان دار ملك قد اتخذت؟؟؟ و اجهزوا اليها من انواع الامتعه و سائر ما ينتفع به

١- كتاب البلدان / ٢٥٤.

٢- الطبرى ٩ / ٥٢، و مروج الذهب ٤ / ٥٦، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٤ و لعيون و الحدائق ٣ / ٣٨٨.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٣.

الناس»(١). و يقول ياقوت الحموى: «فعمر الناس حول قصره حتى صارت اعظم بلاد الله»(٢).

ان انتقال عاصمه الدوله بدواوينها الى المدينه الجديده، مع الخليفه و رجاله و حاشيته، و نقل الجيش بعدده و عدته اليها، استلزم انتقال جميع الموظفين و من يتعلق بهم كذلك. و كما أقدم الخليفه نفسه اول الأمر الى سامرا كثيرا من اصحاب الاعمال و الحرف و التجارات و غيرهم ممن كانت الحاجه ماسه اليهم فى أثناء بناء المدينه، فقد اخذ آخرون من اصحاب هذه الأصناف يفتدون اليها للعمل فيها لسد حاجه السكان المتزايدين. و لا يخفى ان قرب سامرا مما يؤتى به من الميره و المؤن من الموصل و عبرايا و سائر ديار ربيعه فى السفن فى دجله ساعد على تموين المدينه و باسعار مناسبه مما يسر العيش فيها. فتقاطر الناس على اختلاف طبقاتهم اليها بعيالهم و اهلهم مستفيدين من اقطاعهم الاراضى لبناء المنازل و من توفر الأسواق و فرص العمل.

### توسع العمران فى الجانب الغربى:

لما فرغ المعتصم بالله من البناء فى الجانب الشرقى من سر من رأى وفق التخطيط الذى وضعه المهندسون لها، و تقاطرت افواج الناس من مختلف البلدان للسكن فيها بعد ان استقر بها الخليفه و اصبحت عاصمه الدوله العربيه بدلا من بغداد، اتسعت الابنيه و ازداد عدد السكان فيها. فظهرت الحاجه الى مزيد من المياه سواء للشرب او للزراعه و سقى الجنائن و البساتين. و بالنظر لأن هذا الجانب من النهر ترتفع اراضيه عن مستوى مياه النهر، فقد

١- مروج الذهب ٤ / ٥٥.

٢- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

كانت مياه الشرب تحمل اليهم من دجله على البغال و الابل، لأن الآبار بعيده الرشا لارتفاع الأرض، ثم ان ماءها مالح غير مستساغ، مما تعذر معه انشاء البساتين و المزارع بنطاق واسع يتفق وسعه المدينه و حاجتها. و لهذا اتجهت انظار الخليفه الى الضفه المقابله (الغريبه) من نهر دجله. فهى ارض منخفضه يسهل حمل الماء اليها و يمكن التوسع فى زراعتها. فعمد الى عقد جسر يوصل بين الجانبين. و قد اقيم هذا الجسر فى مركز المدينه تقريبا امام القصر الهارونى الذى بناه هارون بن المعتصم بالله فيما بعد. و يظهر انه كان من الجسور ذوات العقود، اى كان ثابتا مبنيا بالحجاره.

لقد شجع ذلك بعض الناس على الانتقال الى الجانب الغربى من نهر دجله و العمل هناك. فحفروا الجداول السحيه و شقوا الترع و انشأوا عليها المزارع و البساتين، فقامت فيها القرى العديده. و كانت هذه الجداول تتفرع من نهر الاسحاقى الذى امر المعتصم بالله بحفره لأرواء الأراضى الواقعه على هذا الجانب من النهر ارواء سيحيا. و نهر الاسحاقى هذا يستمد مياهه من دجله فى موضع يقع جنوبى تكريت بقليل، فيجرى امام سامرا من الغرب بموازاه نهر دجله. و هو نهر قديم كان يمتد حتى منخفض عرقوف فى غربى بغداد، حفره قدامى العراقيين، الا انه كان قد اهمل فأندرس. فأمر المعتصم بالله صاحب شرطته اسحاق بن ابراهيم بان يتولى الأشراف على احياء القسم الاعلى منه الممتد بين تكريت و جنوبى سامرا، و لذا عرف بالاسحاقى.

و قد قسم نهر الاسحاقى الى فرعين شمالى معسكر الاصطبلات، الشطر الغربى و يسير جنوبا وسط الاراضى التى بين دجله و الفرات الى مسافه تقرب من (٤٠) كيلومترا ثم تضيع معاله فى رمال الصحراء. و الشطر الشرقى و يسير بموازاه السور الخارجى الغربى

لعسكر الاصطبلات، و بعد ان يسير مسافه (٣٠) كيلومترا تقريبا نحو الجنوب الشرقى يصب فى مجرى نهر الدجيل القديم(١).

فصار نهر الاسحاقى بما يحمله من مياه و فيره محور العمران فى الجانب الغربى من مدينه سامرا.

يقول اليعقوبى فى وصف التوسع الذى احدثه هذا النهر:

«فانشأ هناك العمارات و البساتين و الأجنه، و حفر الانهار من دجله و صير الى كل قائد عماره ناحيه من النواحي. و حمل النخل من بغداد و البصره و سائر السواد، و حملت الغروس من الجزيره و الشام و الجبل و الرى و خراسان و سائر البلدان. فكثرت المياه فى هذه العماره فى الجانب الغربى(٢) بسر من رأى. و صلح النخل، و ثبتت الاشجار، و زكت الثمار، و حسنت الفواكه، و حسن الريحان و البقل. و زرع الناس اصناف الزرع و الرياحين و البقول و الرطاب، و كانت الأرض مستريحه الوف سنين. فزكا كل ما غرس فيها و زرع بها حتى بلغت غله العمارات بالنهر المعروف بالاسحاقى و ما عليه و الايتاخى و العمرى و العبد الملكى و داليه ابن حماد و المسرورى و سيق و العربات المحدثه و هى خمس قري، و القرى السفلى و هى سبع قري، و الأجنه و البساتين، و خراج الزراعه اربعمائه الف دينار فى السنه. و بنى المعتصم العمارات قصورا و صير فى كل بستان قصرا فيه مجالس و برك و ميادين، فحسنت العمارات، و رغب و جوه الناس فى ان يكون لهم بها ادنى ارض و تنافسوا فى ذلك و بلغ الجريب من الأرض مالا كبيرا(٣).

لقد انتهج المعتصم بالله فى انجاز عمران عاصمته الجديده خطه تقوم على توزيع الأعمال على كبار قواده و رجاله، ليختص كل

١- لمزيد من التفصيلات عن نهر الاسحاقى، راجع: رى سامراء ١/ ٧٩-٨٣.

٢- فى الأصل: الشرقى.

٣- كتاب البلدان/ ٢٦٣-٢٦٤.

منهم بجزء من عمران المدينة و يستعين على انجازه باصحابه و اعوانه. و لا يستبعد ان القواد منهم استخدموا الجند فى انجاز ما كلفوا به. فكلف بعض كبار اصحابه ببناء القصور، فصير الى خاقان غرطوج بناء الجوسق الخاقانى، و امر عمر بن فرج بان يتولى بناء القصر المعروف بالعمري، و كلف ابا الوزير احمد بن خالد ببناء القصر الوزيري. و كذلك فعل فى تشييد القطاعات السكنيه و المساجد و الاسواق. و قد اشرنا الى توزيعه القطاعات على كبار القواد و طلبه اليهم ان ينجزوها وفق التخطيط الموضوع لها، سواء لدور السكن او للمرافق العامه كالمساجد و الساحات و الأسواق.

و قد عمل جهده فى تهيئه العمال و الصناع الحرفيين، و مواد البناء، و الأموال اللازمه لتكاليف المواد و اجور العاملين. و كان لهذا التوزيع فى العمل نتائج باهره فى اسراع القواد بانجاز ما كلفوا به و تنافسهم فى ذلك، و فى نوعيه العمل المنجز.

و لأهتمام المعتصم بالله بانجاز تأسيس المدينة باسرع ما يمكن ليتخلص من مشاكل جنده مع اهل بغداد، و ليتفرغ لشؤون الدوله الكثيره الاخرى، و بذله الاموال اللازمه لذلك، فلا نستبعد انه قد جعل من نفسه مشرفا عاما على ذلك، يقوم بين آونه و اخرى بالتجول فى الشوارع الرئيسه ليراقب سير العمل، و يجيز العمال و المهندسين الماهرين المتفوقين باعمالهم، تشجيعا لهم و لغيرهم للاسراع بانجاز ما كلفوا به على احسن وجه، مما أثار روح المنافسه فى العاملين و دفعهم الى مزيد من الجهد و اتقان العمل.

حتى تم انجاز بناء تلك القصور و القطاعات و المساجد و الاسواق، و فتح الشوارع الرئيسه و الفرعيه بالسرعه المطلوبه. علما انه كان قد كلف وزيره محمد بن عبد الملك الزيات بالاشراف على جميع، ما بنى بسامرا فى جانبيها الشرقى و الغربى(١).

**٥- اسم المدينة:**

اذا تصفحنا كتب البلدانيين العرب، و أمهات الكتب التي تعتبر مصادر التاريخ العربي، نجد ان الاسم الغالب الذي يطلقونه على العاصمة الثانيه للخلفاء العباسيين التي اسسها ثامنهم المعتصم بالله ابن هارون الرشيد، هو (سر من رأى). كما ان بعضهم يطلق عليها اسم (سامرا). فان ابا جعفر محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى سنة (٢٣٢ هـ) ذكرها باسم (سر من رأى) في موضعين من كتابه(١).

و يعتبر اقدم من ذكر المدينة من البلدانيين بهذا الاسم و كان قد عاصر تأسيسها. و كذلك اطلق عليها هذا الاسم ابن خردادبه ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله المتوفى سنة (٢٨٠ هـ) في كتابه المسالك و الممالك حينما وردت في تضاعيفه.

و ان احمد بن اسحاق اليعقوبى المتوفى سنة (٢٩٢ هـ) الذي يعتبر ما ورد عن سامرا في كتابه (كتاب البلدان) اوفى ما وصلنا من النصوص القديمه عنها، من حيث اسباب اختيار موقعها، و خططها، و جهود المعتصم بالله في بنائها، و توسعها في عهد ابنيه الواثق بالله و المتوكل على الله، يستعمل نفس الأسم (سر من رأى) في كتابه المذكور، و في كتابه الآخر (تاريخ اليعقوبى)(٢).

اما ابو اسحاق الاصطخرى ابراهيم بن محمد المتوفى سنة (٣٤٦ هـ) فيسميها (سر من رأى) ايضا في النبذه المختصره التي ذكرها عنها في كتابه(٣). و فعل مثله ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبى في كتابه عند ذكره نبذه عنها في اثناء كلامه عن مدن

١- كتاب صوره الارض / ٢١ و ١٢٩.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٥-٢٦٨، و تاريخ اليعقوبى ٢-٤٧٤-٥١١.

٣- كتاب الاقاليم / ٤٨.

العراق (١). و كذلك فعل الشابشتى ابو الحسن على بن محمد المتوفى سنة (٣٨٨ هـ) فانه يقتصر على استعمال اسم (سر من رأى) حيثما وردت في كتابه (٢).

على ان المقدسى البشارى محمد بن احمد المتوفى سنة (٣٨٠ هـ) ذكرها في كتابه باسم (سامرا) عند كلامه عن اقليم العراق. الا انه يشير الى انها عند ما زاد فيها المتوكل و صارت عجيبة حسنه سميت (سرور من رأى) ثم اختصرت فقييل (سر من رأى) و لما خربت سميت (ساء من رأى) ثم اختصرت فقييل (سامرا) (٣). مما يوحي ان اسم سامرا اطلق عليها بعد ان اهملت و خربت، و هو قول يخالف الواقع. و قد ذكرها الهمداني احمد بن محمد المتوفى سنة (٣٦٥ هـ) باسم (سر من رأى) في كتابه (٤).

اما المؤرخون فأن اقدمهم ابن قتيبة عبد الله بن مسلم المتوفى سنة (٢٧٦ هـ) يطلق عليها اسم (سر من رأى) عند ما يتكلم عن المعتصم و خروجه الى بنائها في كتابه (المعارف) (٥). بينما يستعمل الطبرى محمد بن جرير المتوفى سنة (٣١٠ هـ) اسم (سامرا) حيثما ورد ذكرها في الجزءين التاسع و العاشر من كتابه (الرسل و الملوك).

و يسميها البلاذرى احمد بن يحيى المتوفى سنة (٢٧٩ هـ) اى فى سنة الانتقال منها و العوده الى مدينه السلام، و قد عاصرها منذ تأسيسها (سر من رأى) (٦)، ايضا.

و قد استعمل المسعودى على بن الحسين المتوفى سنة (٣٤٦ هـ) الاسمين للمدينه فى مؤلفيه: التنبيه و الاشراف، و مروج الذهب.

١- صوره الارض لابن حوقل / ٢١٨.

٢- الديارات / ٣٨ و ٧٩ و ١٠٥ و ١٤٩ و ١٩٠.

٣- احسن التقاسيم / ١٢٢-١٢٣.

٤- مختصر كتاب البلدان / ١٨ و ١٢٥ و ٢٥٣.

٥- المعارف / ٣٩٢.

٦- فتوح البلدان / ٢٩٥.

فانه ينهج في الكتاب الأول نهج البلدانيين و يطلق عليها اسم (سر من رأى) عند ما يذكر ابتداء المعتصم بالله بينائها و يقول انه هو سماها به (١). غير انه في كتابه الثانى يستعمل اسم (سامرا) عند اشارته الى الموضوع الذى اختاره المعتصم بالله للبناء فيه و يفسر معناه و الأصل الذى اشتق منه، ثم يستمر باستخدام هذه التسمية كلما ورد ذكره للمدينه فى الكتاب عدا بعض المناسبات فقد استخدم الأسم الأول (٢).

الا ان طاهر بن مطهر المقدسى المتوفى سنه (٣٥٥ هـ) يقتصر على استخدام اسم (سر من رأى) فى كتابه (٣). و يقتصر ابن الأثير على بن محمد المتوفى سنه (٦٣٠ هـ) على استعمال (سامرا) فى الجزءين السادس و السابع من كتابه الكامل فى التاريخ، و احسبه قد اقتدى بالطبرى فى ذلك. و يلاحظ ان صاحب الفهرست ابن النديم محمد بن اسحاق المتوفى سنه (٤٣٨ هـ) يذكرها فى عدد من المواضع فى كتابه باسم (سر من رأى) (٤). و يرى ابن دحيه الكلبي عمر بن ابي على المتوفى سنه (٦٣٣ هـ) انها سميت (سر من رأى) لأن المعتصم لما انتقل اليها بجملته و عسكره سر كل منهم برؤيتها فقبل فيها (سر من رأى) و لزمها هذا الاسم، و قد غيرته العامه فقالوا (سامرا) (٥). و هذا يتفق و ما يراه ياقوت الحموى الذى يقول ان اسمها (سر من رأى) فخففها الناس و قالوا سامرا (٦).

و ينقل عن الزجاجى قوله: «كان اسمها قديما ساميرا سميت بسامير بن نوح كان ينزلها لأن اباه اقطعه اياها فلما استحدثها

١- التنبية و الاشراف / ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٩.

٢- مروج الذهب ٤ / ٤٦ و ٥٦ و ١١٤.

٣- البدء و التاريخ ٣ / ١١٤ و ١٢٢.

٤- الفهرست / ٢٣٦ و ٢٧٧.

٥- النبراس / ٦٥.

٦- معجم البلدان ٣ / ١٧٣.



المعتصم سماها سر من رأى (١). على انه نفسه يذكرها باسم آخر هو (سراء) و يقول انه اسم من اسماء سر من رأى مدينه المعتصم (٢).

و يرد الحريري ابو محمد على بن القاسم المتوفى سنه (٥١٦هـ) على من يسميها سامرا، و يرى ان الصواب هو ان تسمى سر من رأى، على ما نطق بها فى الأصل، لأن المسمى بالجمله يحكى على صيفته الاصليه، و ان المعتصم حين شرع فى انشائها نقل ذلك على عسكره، فلما انتقل بهم اليها سر كل منهم برؤيتها فقل سر من رأى و لزمها هذا الاسم، و هو يرى ان تغيير الشعراء الاسم المذكور انما هو لاقامه الوزن و تصحيح النظم (٣).

من هذا يتضح ان الاسم الغالب على المدينه فى مؤلفات القدامى من البلدانيين و المؤرخين هو سر من رأى. و يرجح ان تغلب هذا الاسم يعود الى ان المعتصم بالله هو الذى سماها به (٤). و من ثم اصبح الاسم الرسمى لها. و قد سماها بعضهم سامرا. على ان هناك اسماء اخرى اطلقت على المدينه فى ثنايا كثير من كتب الأدب و بخاصه فى الشعر. و قد لخص ياقوت تلك الاسماء، فقال «سامراء» لغه فى سر من رأى. و فيها لغات سامراء ممدود، و سامرا مقصور، و سر من راء، و سراء مهموز الآخر، و سر من راء مقصور الآخر (٥) و استشهد على ذلك بأبيات من الشعر.

١- نفس المصدر / ٢١٥.

٢- المشترك وضعاً / ٢٤٣.

٣- دره الغواص / ١٨٠ - ١٨١.

٤- فتوح البلدان / ٢٩٥، و التنبيه و الاشراف / ٣٠٩، و معجم البلدان، ٣ / ٢١٥.

٥- معجم البلدان ٣ / ١٧٣.

اما سبب تسميتها فيروى ياقوت ثلاثة اقوال فى ذلك. الأول انها كانت مدينه عتيقه تحمل اليها الاتاوه التى كانت موظفه للفرس على الروم، و قد استدل على ذلك من اسم المدينه، لأن (سا) اسم الاتاوه و (مره) اسم العدد، و المعنى انه مكان لقبض الجزيه. و القول الثانى ان سام بن نوح كان يصيف بالقريه التى ابتناها ابوه عند خروجه من السفينه ببازيدى و سماها ثمانون، و يشترط بأرض جوحى، و كان ممره من ارض جوحى الى بازيدى على شاطىء دجله من الجانب الشرقى، فسمى ذلك المكان (سام راه) يعنى طريق سام. و القول الثالث انها مدينه بناها سام بن نوح، او انها بنيت له فنسبت اليه و قيل سام راه(١).

ان القول صاحبه فارسى يحاول ان يربط كل حدث او موضع باكاسره الفرس، و هو قول واضح البطلان، لأن الادعاء بان الروم كانوا يدفعون اتاوه للفرس امر مشكوك فيه، و حتى اذا ما كان ذلك قد وقع فعلا فان الموضع المذكور لا يصلح ان يكون مكان اتصال بين الدولتين المذكورتين، لأنه لا يقع على الحدود الفاصله بينهما.

و يبدو ان صاحب القول اراد ان يستنتج تاريخ المدينه من تحليل اسمها المركب ففسره بما ذهب اليه هواه، ففاته الصواب لأنه تفسير عقيم(٢). و اما القولان الثانى و الثالث فانهما الى الاساطير اقرب لأنهما ينقصهما السند التاريخى، و هما كالقول الأول محاوله لاستنتاج سبب تسميه المدينه من تحليل اسمها، و لو كان ذلك من باب الظن و الوهم.

و هناك من يرجح ان اسم موضع سامرا مشتق من اسم مستوطن قديم عرفه الآشوريون و البابليون باسم (سومورم؟؟؟)

او باسم (سورمارتا-Su-ur-mar-ta) و كان موضعا مهما فى

١- نفس المصدر/ ١٧٣-١٧٤.

٢- موسوعه العتبات المقدسه- قسم سامراء ١/ ١٣.

العهد الذى سبق الفتح العربى، و قد التقى فيه الجيش الساسانى بالجيش الرومانى بعد مقتل الانبراطور جوليان فى عام ٣٦٣ م و تراجع الجيش الرومانى، و قد دون اخبار هذه المعركة المؤرخ اميانوس مرسيلينوس الذى رافق الحمله و ذكر هذا الموضع باسم (سوميره)، و كان الجيش الرومانى قد عبر عند تراجعه نهر دجله فى مكان ورد اسمه بصيغه (دورا) و هو موضع امام الدور الآن<sup>(١)</sup>.

و يقول انستاس الكرملى «اما اسم المدينه فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قديم فى التاريخ فقد ذكره المؤرخ الرومانى اميانوس مرسيلينوس الشهير الذى ولد فى سنه ٣٢٠ م و توفى سنه ٣٩٠ م بصوره (سومرا-Sumera)، و نوه به زوسيمس المؤرخ اليونانى من ابناء المائه الخامسه للمسيح صاحب التاريخ الرومانى بصوره (سوما-Souma) أهل التقد من ابناء هذا العصر انه سقط من آخر الاسم حرفان و الأصل (سومرا-Soumara) و ورد فى مصنفات السريان (شومرا) بالشين المنقوطه .. اما الكلمه فليست بعربيه صرفه و ان ذهب الى هذا رأى كثير من المؤرخين و الكتبه و اللغويين و ذلك لعتقها كما اوضحنا. و هى عندنا من اصل سامى قديم و يختلف معناها باختلاف تقدير اللفظه للصحفه عنه، فاذا قلنا ان اصلها (شامريا) فمعناها الله يحرس المدينه، او بعباره اخرى (المحروسه) و ان قدرنا اصلها (شامورا) باماله الالف الاخير فمعناها الحرس، اى منزل الحرس او موطن الحفظه بتقدير حذف المضاف و ابقاء المضاف اليه، و هو كثير الورد فى جميع اللغات الساميه. و عليه يعتبر قولهم ان (سامرا) تخفيف (سر من رأى) او (ساء من رأى) من قبيل الوضع<sup>(٢)</sup>.

١- المرشد الى مواطن الآثار و الحضاره / ١١- ١٢.

٢- مجله لغه العرب العدد (٦) من السنه الثالثه / ٧٢١- ٧٢٢.

و للمرحوم الدكتور مصطفى جواد رأى قريب من هذا فى تخريج اسم سامرا، فيقول: «سامرا اسم ارامى و هو فى اصله مقصور كسائر الاسماء الآرامية بالعراق، مثل: كربلا و عكبرا، و حرورا، و باعقوبا ..) و قد مد العرب كثيرا من هذه الاسماء الآرامية المقصوره فى استعمالهم اياها، و خصوصا ذكرها فى الشعر الحاقا لها بالاسماء العربيه او توهما منهم انها عربيه تجمع بين المد و القصر ... و اذ كانت الآرامية فرعا من فروع اللغة الساميه الأم، و كان الغالب على سينها ان تبدل شينا فى العربيه جاز ان يكون بين ماده (شمر) العربيه و (سامرا) الآرامية صله لفظيه و صله معنويه. قال الأصمعى: «التشمير: الارسال من قولهم شمّرت السفينه ارسلتها و شمّرت السهم ارسلته» و قال ابن سيده:

«شمّرت الشىء ارسله، و خص ابن الاعرابى به السفينه و السهم».

فغير بعيد ان كانت (سامرا) عند الآراميين فرضه كبيره لارسال السفن فى دجله او دار صناعه لها، و لدجله عندها خليج لا يزال على حاله القديمه يتبطح فيه الماء عند الزياده»<sup>(١)</sup>.

يتبين من مختلف التوضيحات التى قدمت عن اصل تسميه موضع سامرا بهذا الاسم ان ذلك الأصل قديم يرجع عهده الى ايام الآشوريين و البابليين، و من الطبيعى ان يتعرض اللفظ للتحوير و التعديل بمرور الزمن و فى مختلف اللغات، حتى استقر عند بناء المدينه فى عهد المعتصم بالله الى سر من رأى و سامرا.

## ٦- اطلال سامرا:

تقع مدينه سامراء الحاليه على الضفة الشرقيه لنهر دجله شمالى بغداد بمسافه (١٣٠) كيلومترا. و قد بنيت على قسم من من اطلال سامرا التى اسسها المعتصم بالله و اتخذها عاصمه له فى

١- موسوعه العتبات المقدسه- قسم سامراء ١/ ٧- ٨.

اواخر سنه (٢٢٢ هـ). وهذه الاطلال تحيط بالمدينه الحاليه من جميع جهاتها، و تمتد على طول نهر دجله ابتداء من صدر نهر الرصاصى شمالا حتى فم نهر القائم جنوبا. و يبلغ طولها نحوا من اربعة و ثلاثين كيلومترا، تقع ثمانيه منها جنوبى المدينه الحاليه و تقع البقيه شماليها. و يظهر هذا الامتداد الهائل لاطلال المدينه القديمه مدى سعتها و امتداد عمرانها عند ما كانت «المدينه الثانيه من مدن خلفاء بنى هاشم» و عاصمه الدوله العريبه. و قد اصاب القزوينى عند ما و صفها بانها «اعظم بلاد الله بناء و اهلا .. و لم يكن فى الأرض احسن و لا اجمل و لا اوسع ملكا منها»<sup>(١)</sup>. الا ان تلك المدينه الواسعه المزدهره التى قامت خلال فتره قصيره، اسرع اليها الخراب بعد ان هجرت، و لم يبق من آثارها شاخصا اليوم.

اى بعد ما يزيد على احد عشر قرنا، سوى القليل من بقايا المباني التى لا تزال قائمه تتحدى الزمن.

و يتوزع القسم المهم من الأطلال المذكوره شمالى المدينه الحاليه و جنوبيها. حيث تقوم فى الشمال الملويه و بقايا المسجد الجامع الكبير و دار الخليفه و باب العامه و جامع ابى دلف. و تقوم فى الجنوب بقايا قصر بلكوارا و اطلال المدينه التى بناها المعتصم بالله على القاطول.

و لما كانت سامرا قد توسعت ايام ازدهارها الى الجبهه الغربيه من نهر دجله فان المنطقه الممتده بين نهر دجله و نهر الاسحاقى كانت بمثابة حدائق المدينه الكبيره، و قد عمرت بالبساتين و الجنائن و القصور، و لكن لم يبق شاخصا من مبانيها سوى بقايا قصر المعشوق و قبه الصليبيه و قصر الجص.

و يضاف الى الاطلال المشار اليها من بقايا مدينه سامرا القديمه ملحقان مهمان من جهتها الجنوبيه هما بقايا القادسيه الواقعه بين

نهر دجله و نهر القائم، و بقايا الاصطبلات المقابله للقادسيه فى الجانب الغربى من المدينه.

أما بقيه الاطلال فهى أسوار و آكام ترايبه مبعثره فى جميع الجوانب، و أهم الاسوار التى لا تزال ماثله سور عيسى و سور اشناس و سور القصر الجعفرى.

و تتكون الآكام بصوره عامه من بقايا أسوار الدور و القصور و زوايا غرفها و قاعاتها. و تتسلسل الآكام الاسوار على خطوط مستقيمه تدل على استقامه شوارع المدينه القديمه، كما تتوزع بقايا زوايا الدور و القصور فى كثير من المحلات حول ساحات صغيره و كبيره تظهر الشىء الكثير من مخططات المباني المختفيه تحتها.

و تظهر آثار الشوارع القديمه الفسيحه بصوره خاصه فى جوار قصر بلكوارا فى الجنوب، و بعد سور اشناس فى الشمال، اذ يظهر جليا ما كان يسمى بالشارع الاعظم الذى يبقى اتجاهه مستقيما الى مسافه سبعة كيلومترات، و تظهر على جانبيه سلسله منتظمه من الشوارع الفرعيه التى يبلغ عرض بعضها خمسين مترا. كما تظهر فى الآكام المتراكمه على جانبى الشارع الأعظم مخططات الدور و الاسواق التى يستطيع المشاهد ان يتبين حدودها و تقسيماتها الاساسيه. كما تظهر فى أقصى الشمال بعض بقايا مدينه المتوكليه التى اسسها المتوكل على الله فى أواخر ايامه.

ان الصور الجويه التى اخذت لأطلال سامرا تظهر اتجاهات الشوارع و تقسيمات الدور و القصور بوضوح تام، يدل على براعه هندسيه فائقه فى تخطيط المدينه من حيث سعه شوارعها و استقامتها، و توزيع الأبنيه العامه و المساجد و الأسواق و دور السكن، و تنسيقها لمدينه كامله مع ما تحتاجه من ساحات و ملاعب و متنزهات(١).

١- راجع عن اطلال سامرا: الاثار القديمه العامه - سامراء / ٩ - ١٠.

و قد بدأ الاهتمام باطلال سامرا منذ اواسط القرن التاسع عشر. غير ان التنقيب فيها لم يبدأ الا بعد انتهاء العقد الأول من القرن العشرين. فقد قام المهندس هنرى فيوله-**henry Viollet** لاول مره ببعض التنقيبات الاستكشافيه فى دار الخليفه خلال صيف سنه ١٩١٠ م. ثم اعقبه فى السنه التاليه الآثارى الالمانى هرزفيلد-**herzfeld** على رأس بعثه علميه، فقام بتنقيبات واسعه استمرت حتى نشوب الحرب العالميه الاولى. و شملت هذه التنقيبات دار الخليفه و قصر بلكوارا و المسجد الجامع و تل العليق، مع نحو خمس عشره دارا من دور السكن الخاصه، بالقرب من المدينه الحاليه. و كانت الآثار التى عثرت عليها بعثه هرزفيلد خلال هذه التنقيبات قد وضعت فى صناديق بقيت فى سامراء خلال الحرب المذكوره، و لما ابتليت البلاد بالاحتلال الانكليزى نقلت تلك الصناديق الى انكلترا. و قد نشر قسم من النتائج العلميه التى حصلت من هذه التنقيبات، و لذلك فان النتائج التى توصل اليها هرزفيلد فى هذا الحقل لم يعرف عنها الا الشئ القليل (١).

و اوفدت مديره الآثار القديمه العامه منذ سنه ١٩٣٦ م عدّه بعثات آثاريه لاجراء مزيد من الحفريات و التنقيب فى اطلال سامراء. و كانت حصيلتها معلومات غزيره عن معالم المدينه ايام كانت عاصمه مزدهره. و قد نشرت فى سنه ١٩٤٠ نتائج التنقيبات التى قامت بها البعثات المذكوره فى كتاب «حفريات سامراء ١٩٣٦-١٩٣٩» بجزءين. يقع الجزء الأول فى (٥٠) صحيفه عدا الفهارس و الالواح المرفقه به، و يتناول وصفا دقيقا لما كشفت عنه التنقيبات التى اجرتها مديره الآثار القديمه العامه فى خلال مواسم السنوات المذكوره. و قد اوصلت هذه التنقيبات الى معرفه مخططات قصر كامل هو قصر الجص فى الموقع المعروف باسم الحويصلات، و ثلاث دور

سكنيه كامله، و مخططات القسم الأكبر من غرف ثمانى دور اخرى.

و يقع الجزء الثانى فى (١٦) صحيفه عدا الفهرست و الالواح المرفقه به. و فيه بحث مفصل عن الآثار المنقوله التى عثر عليها فى اثناء التنقيب فى اطلال سامرا خلال المده المشار اليها آنفا، و قد تضمن اوصافها و الوانها و مميزاتا الاخرى.

كما اصدرت المديرية المذكوره فى سنه ١٩٤٠ كتابا آخر بعنوان «سامراء» تضمن بحوثا عن مدينه سامرا الحاليه، و عن اطلال المدينه القديمه، مع مجمل لتاريخها و خلاصه و افيه عما توصل اليه الآثاريون عن اهم الآثار التى لا تزال بقاياها شاخصه حتى اليوم كالمسجد الجامع و الملويه و دار الخليفه و باب العامه و السرايب الملحقه بدار الخليفه، و ساحه اللعب و حلبه السباق و ساحه الفروسية و تل العليق، و جامع ابى دلف، و قصر بلكووارا، و القصر الهارونى، و قصر المعشوق، و قبه الصليبيه، و سور القادسيه، و الاصطبلات، و المقبره القبتاريخيه.

ان اطلال مدينه سامرا تتميز بميزه مهمه من الوجهه الآثاريه.

لأنها رغم اتساعها الهائل، تعود الى عهد معين محدود لم يسبقه دور بناء اقدم منه، كما انه لم يتبعه دور بناء احدث منه. اذ ان جميع الاطلال الممتده من النهر الرصاصى شمالا حتى صدر نهر القائم جنوبا، على طول لا يقل عن اربعه و ثلاثين كيلومترا، هى بقايا مدينه سامرا التى شيدت و اتسعت بسرعه خارقه، ثم هجرت بغيته فاندست بسرعه هائله ايضا، اذ لم تعش غير حقبه قصيره تزيد قليلا عن نصف قرن، تعود الى دور محدد معين. و هو مما يندر مصادفته فى تاريخ الآثريات.





## الفصل الثانى منشآت المعتصم بالله فى سامرا

### اشاره

سنستعرض فيما يلى اهم منشآت المعتصم بالله فى مدينه سامرا، مما لا يزال قسم من اطلالها ماثلا حتى اليوم، او ورد ذكر عنها فى مصادر التراث العربى.

### ١- دار الخليفه (دار العامه):

### اشاره

كانت دار الخليفه اهم و افخم القصور التى بنيت حين تأسيس سامرا على عهد مؤسسها الخليفه المعتصم بالله. و يمكن اعتبارها اول بنايه انشئت فيها. و هى تقع على شارع السريجه او الشارع الأعظم. و دار الخليفه هى دار العامه التى يجلس فيها ايام الأثنين و الخميس. و قد بنيت فى موضع الدير الذى ابتاعه المعتصم بالله قبل شروعه فى انشاء سامرا(١). و يبلغ طول واجهتها من جهه النهر (٧٠٠) م، اما المسافه بين بابها و منتهى بناياتها الخلفيه فلا تقل عن (٨٠٠) م، و ذلك بصرف النظر عن الحديقته الفسيحه التى كانت تمتد امامها حتى شاطىء النهر على طول (٦٠٠) م. «و كانت دار الخلافه و ما يتصل بها كأنها لكبرها مدينه قائمه بذاتها»(٢).

١- كتاب البلدان / ٢٥٥.

٢- الحضاره الاسلاميه ٢ / ١٧٦.

و قد لاحظ اطلال هذا القصر العظيم المهندس المعماري الفرنسي فيوله-Viollet في سنة ١٩٠٩ م و رسم مخططا تقريبا للمعالم التي رآها حينئذ. كما رسم صورته خياليه للقصر كما تصور حالته الأصليه، و على ضوء المخطط الذي رسمه له.

و مع ان الريازه التي تظهر على هذه الصوره تمعن في الخيال و لم تتقيد بالرياضات المعروفه، فان الصوره تعطى فكره لا بأس بها عن أقسام القصر المختلفه. و جاء العالم الآثاري الالماني هرزفيلد-Herzfeld بعد فيوله و اجرى تنقيبات و حفريات منتظمه في بعض اطلال القصر، كشف خلالها قسميه الوسطى و الجنوبي مع بعض الأقسام المتفرقه، و اظهر قاعه العرش و غرف التشريفات و الحمام و دور الحریم. كما عثر على آثار كثيره و رسوم و زخارف بدعيه و مواد خزفيه ثمينه. الا ان استمرار الناس على اقتلاع الآجر من جدران القصر و اسسه لاستعمالها في بناياتهم لم يبق من الغرف و القاعات التي اكتشفها هرزفيلد شيئا غير الركام و الانقاض الكلسيه. و لم يبق ما يستلفت الزائرين بين اطلال القصر المذكور سوى الأواوين القائمه في مدخل القصر المطل على السهل، و السردابين المحفوران في الجهتين الشرقيه و الشماليه. اما بقيه اقسام القصر فقد اصبحت آكاما لا تظهر اوضاعها العامه الأ من الصور الجويه(١).

### الأواوين القائمه:

ان أواوين القصر التي تكوّن باب العامه من اهم المباني الشاخصه من بقايا القصر. و تتألف الجبهه من ثلاثه اواوين مديبه العقود، الايوان الوسطى كبير و مستطيل الشكل، طوله (٥ ر ١٧) م

و عرضه (٨) م، و جداراه الجانبيان يحملان عقاده مدببه ترتفع ذروتها عن الارض (١٢) م. و واجهته الاماميه مفتوحه بكاملها و مطله على السهل، و ضلعه الخلفيه مسدوده بجدار شاقولى يفتح فيه باب كبير يبلغ عرضه (٨ ر ٣) م و ارتفاعه (٧) م اما الايوانان الجانبيان فهما اقل عرضا و عمقا من الايوان الوسطى. فان عرض واجهه كل منهما (٥ ر ٤) م و لا يتجاوز عمقهما (٤) م. و تكوّن العقاده التى تعلو الجدران الثلاثه نصف قبه. و يوجد فى الجدار الخلفى باب مرتفع تعلوه نافذه، و هو يفضى الى قاعه خلفيه كبيره مدببه العقد، مثل عقد الايوان الوسطى. و فى جانب الايوان الشمالى باب آخر يفضى الى غرفه مربعه متصله بغرف اخرى ظهرت جدرانها الباقية عند رفع الانقاض فى سنه ١٩٣٧. كما يوجد بجانب الايوان الجنوبى سلسله غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الانقاض فى السنه المذكوره (١).

كان الباب الذى يقع خلف الايوان الوسطى يؤدى الى سلسله قاعات كبيره توصل الى غرف الخليفه و قاعه العرش. الا ان جدران هذه الغرف و القاعات و الممرات التى بينها قد اندرست تماما. و كان يوجد فوق هذه الاواوين طابق آخر لأن احد جدرانها كان قائما الى علو سته امتار حتى عهد قريب. و يظهر هذا الجدار فى الصور التى اخذت للاواوين قبل الحرب العالميه الاولى. و كانت الاواوين المذكوره مزدانه بزخارف جصيه شاهد (فيوله) قسما منها فى محلها. و عثر هرزفيلد على بعض منها بين الانقاض خلال تنقيباته. كما عثرت مديره الآثار القديمه على قسم آخر عند ما رفعت الانقاض لتجميل منظر الاواوين و تقويه اسس الجدران.

و قد ظهرت على جدران الغرفه المتصله بالغرفه المربعه التى اشير

اليها آنفا، زخرفه جداريه بديعه نقلت الى دار الآثار العربيه(١).

### باب العامه:

ان الاواوين المبحوث عنها كانت بمثابة مدخل القصر، و كانت تسمى «باب العامه» و الساحة التى امام الأواوين تكون شرفه تطل على السهل. و تلاحظ هناك معالم الدرج العريض الذى يصل القصر بالسهل، و البركه الكبيره التى كانت تبدأ من اسفل الدرج المذكور، و تتصل من منتصف ضلعها الغربيه بساقيه منتظمه تمتد على طول (٤٠٠) م حتى تصل الى شاطئه دجله(٢).

و كانت الساحة الواسعه الممتده امام باب العامه قد اتخذت ميدانا عاما كما تدل الحوادث التى جرت فيها. فقد شهر بها ببابك الخرمى لما قبض عليه و جىء به الى سامرا فى اوائل سنه (٢٢٣ هـ) و اراد المعتصم بالله ان يشهر به و يريه للناس، فأمر بحمله على فيل من المطيره، حيث انزله القائد الأفشين فى قصره، الى دار العامه «فاستشرفه الناس من المطيره الى باب العامه فأدخل دار العامه الى امير المؤمنين»(٣) فقتل صبورا. كما كان يصلب بها بعض المحكوم عليهم، فعند ما مات الأفشين فى الحبس «اخرجوه فصلبوه على باب العامه ليراه الناس، ثم طرح بباب العامه مع خشبته»(٤).

و كانت تنصب بها رؤوس بعض القتلى من الثوار و الخارجين على الدوله. فعند ما قتل يحيى بن عمر الطالبى الذى خرج فى الكوفه فى سنه (٢٥٠ هـ) «نصب رأسه بباب العامه بسامرا»(٥) و لما قتل

١- نفس المصدر / ٥٤.

٢- سامرا لمديره الآثار القديمه / ٥٥.

٣- الطبرى ٩ / ٥٢-٥٣، و العيون و الحدائق / ٣٨٨.

٤- الطبرى ٩ / ١١٤.

٥- الطبرى ٩ / ١٧٠.

القائد صالح بن وصيف فى سنه (٢٥٦ هـ) «حمل رأسه على قناه و طيف به ... و نصب بباب العامه ساعه ثم نحى، و فعل به ذلك ثلاثه ايام تتابعا»<sup>(١)</sup>.

كما كانت تضرب اعناق المجرمين، و يجلد بعض المغضوب عليهم بباب العامه. ففى سنه (٢٥٨ هـ) «ضرب عنق قاض لصاحب الزنج كان يقضى له بعبادان، و اعناق اربعة عشر رجلا من الزنج باب العامه بسامرا»<sup>(٢)</sup>. و عند ما أمر القائد صالح بن وصيف بضرب الكاتبين احمد بن اسرائيل و عيسى بن ابراهيم، فى سنه (٢٥٥ هـ) «أخرج احمد بن اسرائيل و ابو نوح عيسى بن ابراهيم الى باب العامه، فقعد صالح بن وصيف فى الدار و وكل بضربهما حماد بن محمد بن حماد بن دنقش»<sup>(٣)</sup>. و لما خالف القائد التركى كنجور فى سنه (٢٥٩ هـ) و كان واليا على الكوفه و قتل، «الزم كاتب له نصرانى مالا، ثم ضرب هذا الكاتب فى شهر ربيع الآخر بباب العامه الف سوط فمات»<sup>(٤)</sup>.

و كان الباب المذكور يتخذ احيانا للتظاهر ضد السلطه.

فعد ما ادعى احد المشعوذين انه ذو القرنين فى سنه (٢٣٥ هـ) «خرج من اصحابه بباب العامه رجلا .. و زعما انه نبى»<sup>(٥)</sup>.

و لما بويح للمستعين بالله فى سنه (٢٤٨ هـ) تظاهر عدد من مؤيدى المعتز بن المتوكل على الله، و شهروا السلاح، تصدى لهم الاشروسنيه من الجند، و نفر على باب العامه عدد من المبيضه و الشاكريه

١- نفس المصدر / ٤٥٤.

٢- الطبرى ٩ / ٤٩٠، و المنتظم ٨ / ٥.

٣- الطبرى ٩ / ٣٩٧.

٤- الطبرى ٩ / ٥٠٢.

٥- الطبرى ١٧٥ / ١٧، و الكامل ٧ / ٥٠.

و كثروا، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه فشتتوهم و هزموهم(١).

### قاعه العرش:

تتكون قاعه العرش من غرفه كبيره وسطى مربعه الشكل محاطه بأربع قاعات على شكل الحرف T. و يرجح ان الغرفه الكبيره كانت تعلوها قبه. و قد عثر فى اطلال هذه القاعه على بقايا من اطار من رخام جميل و زخارف جصيه. و كانت امثال هذه القاعات التى على شكل الحرف T توجد فى البيوت كذلك كقاعات للاستقبال. و عثر فى هذه القاعات على بقايا زخارف جصيه جميله فى بواطن الاقواس، او مما كان يزين الجدران.

و كانت توجد بين اذرع التقاطع قاعات صغرى مزينه بافاريز من الواح و بلاطات رخاميه. و هناك غرفه صغيره مزينه جدرانها بزخارف جصيه، و بها محراب، مما يدل على انها اتخذت مسجدا للخليفه(٢).

### جناح الحریم:

ان ما تم التنقيب عنه فى القسم الخاص بالحریم من القصر اظهر انه كانت تمتد على جانبى الجناح الشرقى و الجناح الغربى من هذا القسم غرف عديده متماثله، اعيد بناؤها عدده مرات، معده للسكنى. و كلها مجهزه بالمياه بمواسير كبيره من الرصاص، تتصل بها انابيب بعضها من الزجاج الأزرق و بعضها من الفخار.

كما ان هناك حجرات للاستحمام و الغسيل و دورات للمياه. و فى

١- الطبرى ٩/ ٢٥٧، و الكامل ٧/ ١١٧- ١١٨.

٢- ٣٦٢: Creswell, E. M. A. P.

القسم الجنوبي من هذا الجناح مقابل قاعه العرش غرفه مربعه لها اربعة ابواب واسعه، فى وسطها حوض كبير محاط بممشى طول ضلعه (٢١) م، تحيط به اربعة اعمده رخاميه من كل جانب.

و هذا الحوض من الكرانيت المصرى يعود الى عهد الفراعنه. و كانت جدران هذه الغرفه مزينه بصور الاشخاص (١).

### الساحه الكبرى:

و هناك قاعه كبيره اخرى فى القصر، مستطيله يبلغ طولها حوالى (٣٨) م و عرضها (٥ ر ١٠) م، تقع امام القاعده الشرقيه من قاعات العرش، و تفتح بخمسه ابواب على ساحه واسعه مكشوفه، طولها (٣٥٠) م و عرضها (١٨٠) م. و هى محاطه بجدران من الشمال و الجنوب، و يوجد على مسافه كل عشرين مترا تقريبا برج نصف دائرى شيد لاسناد هذه الجدران. و هناك عدده ابواب فى كل من هذين الجدارين تؤدى الى الابنيه المجاوره التى كانت تستخدم ككتكات للجند من حرس القصر، او مخازن للأسلحه و غيرها. و قد زينت بعض اقسام هذه الساحه بحدائق من الازهار، و برك و فوارات مصنوعه من الرخام. (٢).

و كانت هذه الساحه الواسعه مقسمه بقناه الى قسمين: القسم الغربى و هو مبلط و تزينه نافورتان، و القسم الشرقى و هو غير مبلط و به عدد من القنوات الصغيره، يمكن ان يستدل منها على ان هذا الجزء من الساحه كان حديقته واسعه.

و يرى هرزفيلد انه كان فى الساحه الكبرى هذه ثلاثه مساجد لم تكن محاربيها على سمت القبله تماما (٣).

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

٣- رى سامراء ١ / ٧١.



**السردابان:**

و من مشتملات قصر الخليفة سردابان احدهما صغير و الآخر كبير. و يقع السرداب الصغير فى الجبهه الشرقيه للساحه الكبرى باتجاه محور الايوان الكبير و على بعد (٦٠٠) م منه. و يسميه الناس الزندان و الهيئه - اى الهاويه - و هاويه السباع. و يتكون هذا السرداب من حفرة مربعه الشكل نقرت فى الصخر، يبلغ عمقها نحو (١٠) امتار و طول ضلعها نحو (٢١) م. و قد فتح على جدار من جدرانها الاربعه ثلاثه اواوين او كهوف نقشت على جدرانها زخارف جصيه. و تتوسط الحفرة بركه كبيره مستديره. و ينزل الى السرداب و يصعد منه بسلمين متصلين بدھليز منتظم. و كان مدخل هذا السلم يقع فى غرفه جميله زينت جدرانها برسوم قافله من الجمال حفرت على الجبس. و هذه الغرفه جزء من المباني التى تحيط بفتحه السرداب من جهاته الاربع. و السرداب محاط بصفوف متوازيه من الغرف العديده التى يرجح انها كانت اصطبلات لدواب القصر(١).

و يمكن القول ان تسميه هذا السرداب بهاويه السباع انه كان هناك عدد من السباع بالقرب منه، و ربما انها كانت تأوى اليه، و قد ورد فى الأخبار ما يؤيد ذلك. فان الخليفه المهتدى بالله امر بقتل السباع التى كانت فى دار السلطان و طرد الكلاب(٢).

اما السرداب الكبير فانه يقع فى الجبهه الشماليه الغربيه للسرداب الصغير، شمالي شرقى الاواوين. و هو حفرة اكبر و اعرق من الحفرة السابقه، تحيط بها بنايه مربعه الشكل كثيره التقسيمات، يبلغ طول ضلعها (١٨٠) م. و فى وسط ارضيه هذا

١- سامراء لمديره الاثار العامه / ٥٧ - ٥٨.

٢- الطبرى ٩ / ٤٠٦، و الكامل ٧ / ٢٠٣.

السرداب برکه مستديره واسعه يبلغ قطرها نحو (٨٠) م تتصل بكهريز تحت الارض. و في القسم الاعلى من السرداب عدد من الغرف الصغيره يحيط بالجبهه الداخليه من جدران البنايه، و بعضها مسقف بعقود متقاطعه. و في الزاويه الشماليه الشرقيه للسرداب آثار بنايه اخرى كثيره التقسيمات و يعتقد انها كانت الخزانه العامه(١). و قد اشار اليعقوبى الى ان الخزائن الخاصه و خزائن العامه كانت فى شارع السريجه ممايلى الدار العامه(٢). التى بنيت على ارض الدير التى اشتراها المعتصم بالله قبل بناء سامراء، و صار الدير بيت المال(٣). كما ذكر الطبرى و ابن الأثير فى حوادث سنه (٢٣١ هـ) ان قوما من اللصوص نقبوا بيت المال فى دار العامه فى جوف القصر و اخذوا اثنين و اربعين الفا من الدراهم و شيئا يسيرا من الدنانير(٤).

و يرى هيرزفيلد ان الابنيه التى كانت فى الركن الشمالى الغربى للسرداب الكبير تؤلف ثكنات الجيش و يرجح انها ثكنات للخياله، اما ثكنات الجند المشاه فتفصلها عنها قطعه من الارض خاليه من البناء. و كانت هذه الثكنات تقع الى جانب الشارع الأعظم الذى يوصلها بالقصر، و هى تشرف على الحديقته و شاطىء دجله. و كانت هذه الثكنات تتألف من (٦٠٠) قاعه ينزلها نحو (٣٠٠٠) من الجنود(٥).

و يقول الدكتور سوسه ان البركتين المذكورتين فى السردابين قد انشئتتا على عهد المتوكل على الله، و دليله على ذلك ان القناه التى

١- سامراء لمديرية الآثار العامه / ٥٨.

٢- كتاب البلدان / ٢٦١.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٢٥٥.

٤- الطبرى ٩ / ١٤٠، و الكامل ٧ / ٢٣.

٥- رى سامراء ١ / ٧١.

تمونهما بالمياه انشئت في عهد الخليفة المذكور، و هي تبدأ من نهر دجله من فوق الدور، و تنتهي بسامرا(١).

### ساحه اللعب و حلبه السباق:

توجد في منتهى قصر الخليفة من جهته الشرقيه و خلف السرداب الصغير او هاويه السباع، ساحه مسوره مستطيله الشكل يبلغ طولها (٥٣٠) م و عرضها (٦٥) م. و هذه الساحه المسوره لا تقطع محور القصر بصوره عموديه، بل تنحرف قليلا. و يغلب على الظن انها كانت معده للألعاب و لا سيما للعب كره الصولجان التي كان يمارسها آنذاك الخلفاء و الوزراء و قواد الجيش. و يلاحظ في منتصف القسم الخلفى من سور هذه الساحه آثار بنايه مرتفعه بعض الارتفاع، يظهر انها كانت معده للتفرج منها على الالعاب و المسابقات، لأنها كانت مطله على الساحه المذكوره من جهه، و على حلبه السباق التي تمتد خلف القصر من جهه أخرى(٢).

اما حلبه السباق فكانت تبدأ من امام هذه البنايه و تمتد الى مسافه خمسه كيلومترات و نصف الكيلومتر، و تكون منحنيه منتظما مسدودا، يبلغ طول محيطه (٥ ر ١١) كيلومتر. و تشاهد معالم هذه الحلبه الطويله بوضوح عند تتبع الآكام الصغيره الممتده خلف قصر الخليفة(٣).

و كانت حلبه السباق مستطيله تمتد طولا نحو جهه الشرق، و تبدأ في اولها عند القصر ضيقه ثم تتسع تدريجيا حتى تبلغ اقصى سعتها في نهايتها(٤).

١- نفس المصدر / ٧٠.

٢- سامرا- الآثار القديمه العامه / ٥٩.

٣- نفس المصدر.

٤- رى سامراء / ١ / ٧١.

**زخارف دار العامه:**

ان فخامه الزخارف التي وجدت في غرف القصر وقاعاته قلما يوجد مثلها. فقد زينت معظم جدران القاعات و الغرف بزخارف جصيه، اما جدران غرفه العرش فقد كانت زخارفها من الرخام المنحوت. و لوحظ ان جدران بعض الغرف مكسوه بالبلاط الرخامي. و كانت الاجزاء العليا من جدران غرف الحريم تغطيها لوحات جداريه لصور الأشخاص و الحيوانات، و قد عثر على اجزاء من تلك اللوحات.

و كانت جميع الأجزاء الخشبيه كالابواب و الدعامات و السقوف من خشب الصاج المنحوت و المدهون، و بعضه مذهب، و قد عثر على كسر صغيره من البرنز المذهب. كما وجدت كتابات محفوره على الخشب، و على قسم منها اسماء صانعيها من الحرفيين بعضها بالعربيه و بعضها بالسريانيه او اليونانيه(١).

**٢- الجوسق الخاقاني:**

عند ما ارتحل المعتصم بالله من القاطول الى سر من رأى وقف في الموضع الذي فيه دار العامه و كان فيه دير للنصارى فاشترى الأرض من أهل الدير و اختط فيها، ثم صار الى موضع قصر الجوسق على دجله و بنى هناك عدده قصور(٢). و يستدل من هذا ان دار العامه بنيت على ارض الدير، ثم بنى قصر الجوسق في موضع آخر على شاطئ دجله. اي ان دار العامه و الجوسق الخاقاني قصران مختلفان. الا ان الآثارى كرزويل استاذ العمارة الاسلاميه في

١- ٦٦٢ - ٥٦٢: P, Ibid, Creswell.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٣.

جامعه فؤاد الأول بالقاهرة اعتبر قصر العامه اسما آخر للقصر الخاقاني، لأن ما ذكره في كتابه

## Ashort Account of Early Muslim Architecture

تحت عنوان: الجوسق الخاقاني (او قصر المعتصم) انما يتعلق بدار العامه و لا صله له بقصر الجوسق.

لقد كان قصر الجوسق من اهم القصور التي شيدها المعتصم بالله في سامرا. و قد اختار له موضعا يقع على ضفه دجله الشرقيه جنوبي دار العامه مطلا على الحير، و يشغل المساحه التي بين شاطىء دجله و الحير و هي مساحه واسعه جدا(١). و قد اتخذه المعتصم بالله مقرا له فسكن فيه طيله خلافته، و لما توفي دفن فيه(٢). و قد وصف الجوسق(٣). كما سكنه المعتز بالله من بعده(٤)، و سكنه كذلك عرطوج ابي الفتح بن خاقان، امور بنائه و الاشراف عليه. و كان قد اقطعه و اصحابه الاراضى التي تلى الجوسق(٥). فبنوا فيها قصورهم و مساكنهم.

و قد اتخذ اغلب خلفاء سامرا بعد المعتصم بالله هذا القصر سكنا لهم. فقد سكنه الواثق بالله في اول خلافته ثم انتقل الى قصره الهاروني الذي شيده، و فيه دفن عند وفاته(٦). و عند ما كان المنتصر اميرا سكن في قصر الجوسق(٧)، و لما بويج بالخلافه سكن في القصر المحدث و فيه كانت وفاته(٨). و يظهر من الأحداث المهمه التي وقعت في ايام المستعين بالله انه كان يسكن في قصر

١- رى سامراء ١ / ٧٤.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٨، و مروج الذهب ٤ / ٤٦ و ٤٣.

٣- الطبرى ٩ / ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٢٨٤ و الكامل ٧ / ١١٩ و ١٢٣ و ١٣٩ و ١٤٢.

٤- الطبرى ٩ / ٣٨ و الكامل ٧ / ١٩٩.

٥- كتاب البلدان / ٢٥٨.

٦- الطبرى ٩ / ١٥١، و الكامل ٧ / ٣٠.

٧- الطبرى ٩ / ٢١٧.

٨- الطبرى ٩ / ٢٥٤.

الجوسق (١). كما سكنه المعتز بالله من بعده (٢) و سكنه كذلك المهتدى بالله، وقد تكرر ذكر الجوسق كثيرا فى حوادث الخلاف الذى نشب بين الخليفة و القواد الأتراك (٣). كما سكن فيه المعتمد على الله اغلب ايام خلافته، قبل ان يبنى قصر المعشوق (٤).

و كان المعتصم بالله قد بنى فى الجوسق سجنا لحبس قائده الأفشين الذى اتهم بالتآمر و الخروج على الاسلام و سماه (سجن لؤلؤه) ثم عرف بعد ذلك بالأفشين (٥). و يظهر ان هذا السجن خصص لسجن الامراء و القواد و السياسيين المغضوب عليهم. فقد حبس المستعين بالله المعتز و اخاه المؤيد فى حجره الجوسق. و وكل بهما (٦). و حبس المعتز بالله اخويه المؤيد و الموفق فى الحبس المذكور (٧). و لما خرج القائد التركى كنجور و قبض عليه امر المعتز بالله بحبسه فى الجوسق (٨).

و لا شك فى ان اطلال الجوسق و بقاياها كانت من ابرز و أوسع المواقع الأثرية فى سامرا. الا ان قرب تلك الأطلال من مدينه سامراء الحاليه كان اهم اسباب ازاله معالم تلك الأطلال. اذ استخراج الناس كل ما فيها من آجر و مرمر و ما يصلح للبناء و نقلوه الى المدينه الجديده التى شيدت فوق اطلال قسم من سامرا القديمه، و استعملوه فى بناء بيوتها، و فى انشاء السور الضخم حولها.

و يرجح ان جزءا من مدينه سامراء الحاليه قد بنى على طرف من

١- الطبرى ٩/ ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٢٨٤، و الكامل ٧/ ١١٩ و ١٢٣ و ١٣٩ و ١٤٢.

٢- الطبرى ٩/ ٣٨، و الكامل ٧/ ١٩٩.

٣- الطبرى ٩/ ٤٥٢ و ٤٥٥ و ٤٥٧ و ٤٥٩ و ٤٦١ و ٤٦٧ و ٤٦٩.

٤- الطبرى ٩/ ٥٠٧ و ٥٤١ و ٦٢٢.

٥- الطبرى ٩/ ١٠٦.

٦- الطبرى ٩/ ٢٥٩ و ٢٨٤، و الكامل ٧/ ١١٩ و ١٤٢.

٧- الطبرى ٩/ ٣٦١.

٨- نفس المصدر / ٣٧٢.

ارض قصر الجوسق، مما ادى الى محو معالم القصر محوا يكاد يكون كاملا(١).

و من الادله على اهميه قصر الجوسق من حيث موقعه و مساحته بالنسبه لقصور سامرا الاخرى، ان المكتفى بالله لما اتجهت نيته الى الانتقال الى سامرا و اعاده بنائها، و خرج اليها فى سنه (٢٩٠ هـ) و معه الصناع يريد البناء بها، ضربت له المضارب فى الجوسق، و ابدى الرغبة فى البناء فيه الا ان وزيره ثناه عن عزمه(٢).

و مما يجدر ذكره ان ياقوت الحموى يذكر بين القصور التى بناها المتوكل على الله فى سامرا قصرا باسم الجوسق، و يقول ان المتوكل على الله انفق عليه خمسمائه الف درهم(٣). و يظهر من ذلك ان هناك قصرين باسم الجوسق، احدهما من ابيه المعتصم بالله و هو الجوسق الخاقانى، و الآخر من ابيه المتوكل على الله انشأه بالقرب من الجوسق الكبير، فى احدى ساحاته(٤).

### ٣- قصر الجص:

#### اشاره

كان الموقع المعروف باسم الحويصلات الواقع فى الجهة الغربيه من نهر دجله على بعد سبعة عشر كيلومترا شمالى محطه قطار سامراء الحاليه، يلفت النظر باطلاله العاليه و ما يشغله من مساحه واسعه مما يوحي بانه بقايا احد قصور خلفاء سامرا ايام كانت عاصمه الدوله العربيه. و قد لوحظ ان موقعه ينطبق على موقع «قصر الجص» الذى ذكره ياقوت الحموى بانه «قصر عظيم قرب سامرا فوق الهارونى بناه المعتصم للنزهه»(٥). و قال عنه سهراب

١- رى سامراء ١/ ٧٨.

٢- الطبرى ١٠/ ٩٨، و الكامل ٧/ ٥٢٩، و المنتظم ٦/ ٣٨.

٣- معجم البلدان ٣/ ١٧٥.

٤- رى سامراء ١/ ٧٨.

٥- معجم البلدان ٤/ ٣٥٦.

فى معرض كلامه عن نهر الاسحاقى «ثم يمر فى غربى دجله عليه ضياع و عمارات، و يمر بطيرهان، و يجرى الى قصر المعتصم بالله المعروف بقصر الجص، و يسقى الضياع التى هناك فى غربى سر من رأى»<sup>(١)</sup>.

لقد استرعى الموقع المذكور اهتمام دائره الآثار القديمه فأوفدت بعثه للتنقيب فيه فى اوائل نيسان سنه ١٩٣٦. فكشفت البعثه بما قامت به من الحفريات و التحريات عن بقايا قصر عظيم.

و استطاعت ان ترسم له مخططا يوضح اقسامه و محتوياته مع ابعادها، على ضوء ما عثرت عليه من اسس الجدران و بقايا زواياها، و تعرفت على المواد المستخدمه فى بنائه. و قد تأكد لدى الدائره المذكوره ان هذا القصر هو قصر الجص الذى ذكره سهراب و ياقوت الحموى<sup>(٢)</sup>.

يتكون القصر من بنايه مربعه الشكل تتوسط ساحه مسوره، و يبلغ طول ضلع البنايه (١٤٠) م. اما طول السور الخارجى فيقدر بنحو (٣٧٠) م. و يظهر من ذلك ان مساحه القصر لا تقل عن (١٩٠٠٠) متر مربع. اما مساحته مع حدائقه و ساحاته و سورته الخارجى فتربو على ثلاثين و مائه الف متر مربع. و قد جرفت مياه نهر دجله الزاويه الشماليه الشرقيه من القصر و ازاله معالم السور الخارجى من الجهتين الشماليه و الشرقيه كما ازاله الضلع الشماليه من السور الداخلى و معظم الضلع الشرقيه منه ايضا<sup>(٣)</sup>.

و يظهر من التخطيط الذى وضعته دائره الآثار القديمه لما كشفته الحفريات عن بقايا هذا القصر، انه كانت فى مركز بنايه

١- عجائب الاقاليم السبعه / ١٢٧.

٢- حفريات سامراء ١ / ١١.

٣- نفس المصدر.



القصر قاعه مربعه كبيره طول كل ضلع من اضلاعها (٤٠ ر ١٥) م، و جدرانها سميكه جدا يبلغ سمكها (٢٠ ر ٢) م، و يظهر انها كانت تحمل قبه مرتفعه، و يرجح ان قاعده القبه كانت تحتوى على عدد من النوافذ لاناره القاعه. و تتصل هذه القاعه المركزيه من اواسط اضلاعها الأربع باربع قاعات مستطيله، بواسطه اربعة مداخل كبيره عرض كل مدخل منها (٦٠ ر ٣) م. علما ان طول القاعات المستطيله (٦٠ ر ١٦) م و عرضها (٦٠ ر ٦) م. و كل واحده من هذه القاعات المستطيله تتصل بدورها من وسط ضلعها الطويل بايوان مستطيل مكشوف طوله (٨٠ ر ٧) م و عرضه (٢٠ ر ٦) م. و كل ايوان يفتح على صحن واسع مستطيل الشكل مكشوف طوله (٨٠ ر ٢٢) م و عرضه (٨٠ ر ١٨) م. و ينتهى كل صحن منها بثلاث غرف مستطيله تفضى الوسطيه منها الى دهليز ينتهى الى الخارج بابين متناظرين يكونان مدخل القصر فى كل جهه من جهاته الأربع. و تمتد امام البابين دكه عريضه تشرف على الساحات الممتده بين القصر و السور الخارجى. و توجد فى طرفى كل ايوان غرفتان تفضيان الى الصحن. كما يوجد فى منتهى كل قاعه من القاعات المستطيله التى تحيط بالقاعه المركزيه قاعه مربعه الشكل توصل بين القاعات المذكوره بعضها ببعض. و تؤلف هذه الاقسام حول القاعه المركزيه شكلا مصلبا تام التناظر. اما المساحه الباقية بين اضلاع المصلب فينقسم كل منها الى عده بيوت مرتبه كالاتى:

١- القسم المحصور بين الصحن الشرقى و الصحن الجنوبى، اى فى الجهه الجنوبيه الشرقيه من القصر، فيه عشره بيوت يتراوح عدد غرفها بين الست و الثمانى غرف. و يستقل كل بيت منها بمدخل خاص و حمام و دوره مياه. و تفتح مداخل بعض هذه البيوت على الممر الممتد على طول السور الداخلى للقصر، بينما تفتح مداخل البعض الآخر على ممر خاص عمودى على السور المذكور، و تنفذ الى القصر.

٢- القسم المحصور بين الصحن الغربى و الصحن الجنوبى، اى فى الجهه الجنوبيه الغربيه فانها تختلف عن ذلك، لأنها تتكون من قاعات و حمامات كبيره عوضا عن بيوت صغيره.

٣- القسم المحصور بين الصحن الغربى و الصحن الشمالى و هو يشبه تقسيمات الزاويه الجنوبيه الشرقيه و البيوت فيه متناظره مع بيوت ذلك القسم.

٤- القسم المحصور بين الصحن الشرقى و الصحن الشمالى، اى فى الجهه الشماليه الشرقيه من القصر، فقد اندرس، و يغلب على الظن ان تقسيماته شبيهه بالزاويه الجنوبيه الغربيه. بالنظر للتناظر المشاهد فى الأقسام المعلومه من مخطط القصر (١).

### السور:

كان السور الذى يحيط بالقصر مدعما بمائه برج، اربعه منها كبيره و مستديره، قطر كل منها ثلاثه امتار، و البقيه صغيره مستطيله. و الابراج الصغيره موزعه على اساس (٢٤) برجا لكل ضلع من اضلاع السور الاربع. و هى منشوريه الشكل طولها متران و عرضها (٤٠ ر ١) م. و مما يلفت النظر انها منفصله عن جدار السور بمقدار ٨٠ سم، مما يحمل على الاعتقاد بانها كانت تتصل بالجدار بواسطه عقود خاصه. اما السور الخارجى فلم يكشف منه سوى برجين أثنين فقط، قطر كل منهما ثمانيه امتار، و المسافه بينهما (٢٥) مترا (٢).

### مواد الأبنيه:

ان الابنيه الرئيسه للقصر كالبهو و القاعات و الدواوين مبنيه بالآجر و الجص. و ابعاد الآجر المستعمل هى (٢٥ \* ٢٥ \* ٧) سم،

١- حفريات سامراء ١/ ١٢-١٣.

٢- حفريات سامراء ١/ ١٤.

و اما سائر جدران القصر فهى مبنيه بالحصى الممزوج بالجص بشكل يشبه الخرسانه. و قد استعمل فى بناء الأسس النوره و الرماد عوضا عن الجص. اما السور الخارجى فكان مبنيا باللبن(١).

### تبليط الأرض:

بلطت ارض البهو و القاعات و الأواوين بالآجر المربع الشكل، و طول ضلع الأجره (٣٦) سم. و حاله الآجر المستعمل تدل على اتقان كبير فى صناعته، كما ان عمليه التبليط كانت قد تمت بصوره متقنه جدا. و قد بلطت سائر اقسام القصر بطبقه من الجص المخلوط بالرمل، و يلاحظ ان هذه الطبقة الجصيه قد كسيت بطبقه من القار فى الحمامات و دورات المياه(٢).

### طلاء الجدران:

لقد ظهر للمنقبين ان الجدران كانت مطلية بطبقه من الجبس بصوره عامه. و ان جدران القاعات منقوشه بزخارف محفوره فى طبقه الجبس. اما جدران الغرف الصغيره فعاريه عن الزخارف، الا انه يلاحظ ان ابوابها كانت محاطه باطارات جبسيه بارزه ذات اشكال متنوعه. و قد لوحظ ان اقسام الجدران الواقعه خلف الزخارف الجبسيه قد طليت بالقار، لمنع تأثير الرطوبه عليها، كما لوحظ ان خلف الزخارف سلسله من المسامير مغروزه فى الجدار. و لا شك فى ان القصد منها ضمان ثبات التصاق الزخارف بالجدران لمنع انفصالها و سقوطها. و يمكن ان يستنتج من ذلك ان بعض تلك الزخارف كانت تعمل على قوالب خاصه اولاً، ثم تثبت

١- نفس المصدر.

٢- نفس المصدر.

حسب الحاجه على الجدران. و مما هو جدير بالملاحظه ان استعمال هذه المسامير و القار لم يظهر خلف الزخارف التى اكتشفت فى اطلال سامرا فى جانبها الشرقى. و سبب ذلك ان انخفاض مستوى الأرض فى الجانب الغربى من دجله بالنسبه للضفة الشرقيه، ساعد على تكوين الحدائق و البساتين، غير انه جعل البناءات معرضه لتأثير الرطوبه بطبيعته الحال. و يظهر ان الرغبه فى التوقى من تأثير الرطوبه على الزخارف الجصيه هى التى حملت البنائين على اتخاذ مثل هذه التدابير(١).

### الزخارف الجداريه:

تتكون عناصر الزخارف المستعمله فى تزيين جدران القصر من اوراق العنب و عناقيده بوجه عام. غير ان كيفيه توزع و تعاقب هذه الاوراق و العناقيد تأخذ اشكالا متنوعه جدا. كما ان تنظيمها الهندسى يضىف عليها جمالا أذا. و تحاط المنطقه المزخرفه دوما باطار جبسى يتألف من سلسله حلقات او صفائر مختلفه الأشكال.

و مما يجدر ذكره ان الزخارف الجبسيه التى ظهرت بين انقاض القصر الفوقانى مكونه من اوراق و عناقيد مثل زخارف القصر التحتانى الا انها اكثر دقه و تعقيدا. فان بعض الاوراق فى هذه الزخارف تأخذ اشكالا تزيينيه جميله جدا، حيث تكون وردات مجتمعته حول مركز واحد. كما ان العناقيد تقع فى وسط الوردات و فوق الأوراق. و يستدل من تعقد الزخرفه و اتقانها ان هذه البنايه احدث عهدا من القصر التحتانى(٢). و ربما كان هذا القسم العلوى بمثابة قصر للنزهه و التفرج، يصعد اليه الخليفه بين حين

١- نفس المصدر / ١٥.

٢- نفس المصدر / ١٧.

و آخر ليشرف على ساحات القصر و حدائقه، و على نهر دجله و مدينه سر من رأى (١).

#### ٤- قصور المعتصم بالله الاخرى:

كان المعتصم بالله عند ما شرع ببناء مدينه سامرا طلب الى المهندسين ان يختاروا من الاراضى اصلحها و أنسبها لأنشاء عدد من القصور عليها. فاختاروا عده مواضع، و صير الى عدد من كبار اصحابه بناء قصر، فصير الى خاقان عرطوج بناء الجوسق الخاقانى، و الى عمر بن فرج بناء القصر الذى سمي بالعمري، و الى ابي الوزير احمد بن خالد بناء القصر الوزيري (٢). و قد ذكرنا ما توفر لدينا من المعلومات عن الجوسق الخاقانى، الا ان بقيه القصور المشار اليها لم يعثر على شىء من اطلالها، و لم يكن لها نصيب من اعمال الحفريات و التنقيب. كما اننا لا نجد عنها فى مصادرنا الأوليه شيئا يتعلق ببنائها او محتوياتها و اوصافها سوى ذكرها عند الكلام عن بعض الاحداث التى وقعت فى سامرا. فقد ورد ذكر القصر العمري فى حوادث سنه (٢٢٤ هـ) عند ما تزوج الحسن بن الأفشين من اترنجه بنت اشناس، اذ يقول الطبرى «و دخل بها فى العمري قصر المعتصم» (٣). و فى حوادث سنه (٢٤٨ هـ) لما بويح للمستعين بالله و ثار فى دار العامه جمع من فرسان الشاكريه و الطبريه و معهم عدد جم من الغوغاء و السوقه داعين للمعتز بن المتوكل على الله، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه، و انصرف الأتراك ممن بايعوا المستعين بالله مما يلى العمري و البساتين (٤). و يفهم من هذه

١- نفس المصدر / ٢٠.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٠١.

٤- نفس المصدر / ٢٥٦ - ٢٥٧.

الإشارة ان القصر العمري كان في احد البساتين القريبه من دار العامه. اما عن القصر الوزيري فقد وردت في الطبري اشارتان الى «الوزيريه» و لا ندرى هل لهذا الموضع علاقه بالقصر المذكور.

و قد ذكر المسعودي ان المعتصم بالله «لما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فأشترى منهم ارضهم باربعه الاف دينار، و ارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه و هو الموضع المعروف بالوزيريه»(١).

و اولى الاشارتين في الطبري كانت عند ما احصى ما في دار الأفشين بعد ادانته و كان له بعض المتاع في الوزيريه(٢). و كانت الاشاره الاخرى عند ما وافى القائد موسى بن بغا في رجاله للوثوب بالمهتدي بالله، فصار الى قنطره في ناحيه الوزيريه(٣).

### ٥- معسكر الاصطبلات و نهر الاسحاقى:

ان بقايا الاصطبلات و اطلالها الممتده على الجانب الغربى من نهر دجله، على بعد (١٥) كيلومترا جنوبى مدينه سامراء الحاليه، هى بقايا معسكر الجيش الذى بناه المعتصم بالله فى أثناء اقامته فى القاطول قبل ان يؤسس مدينه سامراء، ثم اكمله فيما بعد. و مما يدل على اقامته هذا المعسكر فى تلك المده وجود كهاريز للماء وسط مباني الثكنات تستمد مياهها من الينابيع الموجوده فى منطقه الجزيره غربى المعسكر و توصلها الى داخله، و ذلك قبل احياء نهر الاسحاقى(٤). و عند ما قرر المعتصم بالله ان يترك منطقه القاطول و يتجه الى سامراء اكمل ابنيه المعسكر و اصطبلاته، و بنى له سورا خارجيا متينا و احاطه بخندق من المياه.

١- مروج الذهب ٥٤ / ٤.

٢- الطبري ١١٤ / ٩.

٣- نفس المصدر / ٤٥٩.

٤- رى سامراء ١ / ١٠١.

و يمكن القول ان سبب انشاء ثكنات الجيش و اصطبلاته فى الجانب الآخر من دجله هو نفس السبب الذى حمل المعتصم بالله على الانتقال من مدينه بغداد و العمل على تأسيس مدينه جديده تتسع لفصل مساكن الجند و ثكناتهم عن غيرهم من الناس، و عزل أقسام الجيش بحسب عناصرهم و اسكانهم متباعدين عن بعضهم، لكى يتلافى قيام المشاكل التى حدثت فى مدينه السلام.

و يظهر ان الاغراض التى توخاها المعتصم بالله من احياء نهر الاسحاقى كانت توفير المياه للمعسكر الواسع، و ان يقيم من مجراه خندقا على محاذاه سورہ الخارجى زياده فى تحصينه بهذا الحاجز المائى الذى يحول دون الوصول اليه، و ذلك بحسب القواعد العسكريه التى كانت متبعه آنذاك.

لقد دلت التنقيبات التى اجريت فى اطلال معسكر الاصطبلات على انه كان يتألف من مستطيل صغير طوله (٥٠٠) م و عرضه (٢١٥) م يتصل بمستطيل كبير طوله (١٧٠٠) م و عرضه ٥٥٠ م.

و ان المستطيل الصغير كان مقسما الى سلسله من الأحواش. اما المستطيل الكبير فكان مقسما الى ثلاثه اقسام متساويه تفصل بينها أسوار شبيهه بالاسوار الخارجيه للمعسكر. و ان المربع الشرقى من هذه الاقسام كامل البناء، اذ يشاهد فيه شارعان رئيسان يتقاطعان عند منتصفيهما باتجاه عمودى على جدران السور و على الشوارع الاربعه التى تمتد على طول الاسوار. و تنقسم المربعات الاربعه المتكونه على اضلاع هذين الشارعين المتعامدين الى اقسام عديده بشوارع طوليه و عرضيه كلها متعامده او متوازيه. اما المربعان الآخران فأن الأوسط منهما قليل البناء، و الغربى خال من البناء لا يرى فيه سوى خطوط الشوارع(١).

و من الواضح ان (الاصطبلات) كان معسكرا كبيرا يحتوى على ثكنات الجنود و دور الضباط و ساحات للخيم. كما كان يضم و لا- شك اصطبلات واسعة لدواب الجند، مع ساحات للتدريب، و مخازن للأسلحة و المؤن، و مرافق اخرى مما تحتاجه المعسكرات عادة. فقد بنيت فيه من الثكنات ما يكفى لسكن (٢٥٠) الف جندي، و من الاصطبلات ما يكفى لايواء (١٦٠) الف حصان(١).

و كان يحيط بالمعسكر سور خارجى يبدأ من الشمال من حافة نهر دجله الغربيه فى المكان المعروف باسم «تل بندرى» و يمتد على مسافه (٢٦) كيلومترا غربى المعسكر، ثم ينتهى جنوبا عند حافة دجله الغربيه عند التل المسمى «تل مسعود» الواقع على بعد (١٣) كيلومترا جنوبى تل بندرى. و كان هذا السور محصنا بابراج عديده فى المداخل الرئيسه للمعسكر و فى المنعطفات. و من جمله هذه الابراج البرجان الواقعان فى اول السور عند تل بندرى و فى منتهاه عند تل مسعود، و كانت المياه تحيط بالمعسكر الذى تبلغ مساحته (٥٨) كيلومترا مربعا من جميع جوانه. فنهرا دجله و دجيل يحدانه من الشمال و الشرق، و نهر الاسحاقى يحده من الغرب و الجنوب. و كان الاسحاقى اضافه الى احاطته سور المعسكر بحاجز مائى كخندق امامه، يمون المعسكر بحاجاته من المياه.

و لتحقيق هذا الغرض كانت هناك ثلاثه فروع رئيسه له، تتفرع من ضفته اليسرى فتخترق المعسكر، ثم يصب بعضها فى نهر دجله و بعضها فى نهر دجيل. و يتفرع الأول و هو الشمالى من نقطه تقع على بعد كيلومترين تقريبا جنوبى شرقى المدخل الرئيس للمعسكر فى القسم الشمالى من السور، ثم يصب فى دجله. و يتفرع الاوسط من موضع يبعد حوالى كيلومترين جنوبى شرقى صدر الفرع



الشمالي و يخترق السور من تحته و يتجه الى الثكنات، و بعد ان يخترقها يصب في دجله ايضا. و كان هناك ناظم خاص انشىء على نهر الاسحاقى جنوبى صدر هذا النهر مباشرة لحجز المياه امام الناظم و تحويلها اليه بمنسوب عال. و يشتمل هذا الناظم على ثلاث فتحات لا تزال آثارها ظاهره. اما الفرع الثالث و هو الجنوبى فانه يتفرع جنوبى الناظم المذكور بكيلومتر و نصف تقريبا، و يسير بين الاسحاقى و سور المعسكر، ثم يدخل المعسكر من تحت السور و يخترق قسمه الجنوبى الشرقى ليخرج من تحته ايضا الى خارج المعسكر. و بعد ان يخترق جدار المطبخ و خندقه، و هو جدار قديم ضخم مدعم بابرّاج، يتجه نحو نهر دجيل فيصب فيه على مسافه اربعه كيلومترات من مقدم مصب نهر الاسحاقى فى نهر دجيل. و كما انشىء ناظم على الاسحاقى لحجز المياه امامه و تحويلها الى هذا الفرع، فقد انشىء ناظم خاص فى فوهه هذا الفرع لتنظيم المياه التى تدخل فيه. و يستدل من آثار الناظمين المذكورين ان ناظم الاسحاقى يتألف من فتحتين، و ناظم صدر الفرع يتألف من فتحه واحده. و نظرا لسعه مساحه المعسكر و وفره المياه فقد استعملت مساحه كبيره منه لاحداث مراعى اصطناعيه لجياد الجيش، فكانت الاراضى المخصصه للمرعى تغمر بمياه فروع الاسحاقى (١).

و الاسحاقى نهر قديم يعود الى عصور سحيقه، كان فى اوله يتفرع من الضفه اليمنى لنهر دجله عند تكريت و يسير جنوبا حتى ينتهى عند منخفض عقرقوف، بعد ان يروى القسم الأعظم من اراضى الجزيره الممتده بين دجله و الفرات شمالى سامرا. و قد اتت عليه عاديّات الزمن فاهمل و اندثر، الا ان آثار مجراه كانت واضحه. و عند ما شعر المعتصم بالله بحاجه الجانب الغربى من

سامراء الى مزيد من المياه لرى المزارع و البساتين الواسعه، اشير عليه باحياء النهر المندرس المذكور، فكلف رئيس شرطته اسحاق بن ابراهيم الخزاعي بان يتولى الاشراف على المشروع، فانفق عليه كثيرا من المال حتى عادت اليه الحياه، و عادت المياه تجرى فيه، و لذا سمي النهر الجديد باسمه.

و بعد ان هجرت سامراء و امتد اليها الخراب استمر نهر الاسحاقى يروى المناطق المذكوره فى الجانب الغربى من دجله.

فقد اشار اليه سهراب (المتوفى سنه ٢٩٠ هـ) فى كتابه بقوله:

«يحمل من دجله من غربيها نهر يقال له الاسحاقى اوله اسفل من تكريت بشىء يسير، يمر فى غربى دجله، عليه ضياع و عمارات، و يمر بطيرهان و يجىء الى قصر المعتصم المعروف بقصر الجص و يسقى الضياع التى هناك فى غربى مدينه سر من رأى المعروفات بالأوله و الثانيه و الثالثه و الى السابعه، و يصب فى دجله بازاء المطيره»<sup>(١)</sup>.

#### ٦- جسر سامراء:

بالنظر لوجود معسكرات الجيش فى الجانب الغربى من سامراء، و لقيام العمران فيه، اصبح من الضرورى ربط جانبي المدينه بجسر يسهل للناس الانتقال بينهما، و قد بادر المعتصم بالله فور فراغه من بناء الجانب الشرقى من دجله، و هو جانب سر من رأى، الى عقد جسر الى الجانب الغربى من دجله<sup>(٢)</sup>. و من المؤسف ان المصادر الأوليه لا تزودنا بمعلومات وافية عن هذا الجسر من حيث نوعيته و هل كان ثابتا قد بنى بالحجر ام كان طافيا على السفن.

و لا تتضمن تلك المصادر سوى اشارات عابره. فقد اشار المسعودى عند خروج المعتصم بالله لحرب الروم فى سنه (٢٢٣ هـ) الى هذا

١- عجائب الاقاليم السبعه / ١٢٧.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٣.

الجسر بقوله: «فخرج المعتصم من فوره ... فعسكر في غربى دجله .. و نصبت الأعلام على الجسر»<sup>(١)</sup>. و يظهر ان الناس كانوا متحمسين لحرب الروم و متفائلين بهذه الحمله فرفعوا الاعلام فوق الجسر اظهارا لتأييدهم الخليفه فى خروجه للحرب على رأس الجيش العربى. و يذكر الطبرى هذا الجسر فى حوادث سنه (٢٤٩ هـ) بقوله: «و تحركت المغاربه فى هذه السنه .. و كانوا يجتمعون قرب الجسر بسامرا»<sup>(٢)</sup>. و يذكره ايضا فى حوادث سنه (٢٥٤ هـ) عند ما حاول بغا الشرابى الوثوب بالمعتر بالله، فدخل سامرا ليلا بطريق دجله «فصار الى الجسر فى الثلث الأول من الليل، فلما قارب الزورق الجسر. خرج بغا فى البستان الخاقانى»<sup>(٣)</sup>.

و يشاركه فى ذلك ابن الأثير فى تاريخه<sup>(٤)</sup>. و لا يستخلص مما روينا سوى انه كان هناك جسر فى سامرا فى اثناء الحوادث المذكوره، و انه قريب من الجوسق الخاقانى.

لقد اقام المعتصم بالله الجسر فى الموضع الواقع امام القصر الهارونى الذى شيد فى عهد الواثق بالله. و لا تزال بقايا هذا الجسر يمكن مشاهدتها على الجانب الغربى من مجرى نهر دجله الحالى، و قد نصبت مضخه ماء على سقف احد الطيقان الضخمه المتبقيه من آثار الجسر المذكور. و ان قول يعقوبى «ان المعتصم عقد جسرا» معناه انه بناه على شكل الجسور ذات العقود او الطيقان المؤلفه<sup>(٥)</sup>. و يستخلص من تدقيق بقايا الجسر المذكور ان عرضه كان حوالى (١٦) مترا مما يدل على ضخامه بنائه و عظمه تصميمه<sup>(٦)</sup>.

١- مروج الذهب ٤ / ٦٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٦٥.

٣- نفس المصدر / ٣٨٠.

٤- الكامل ٧ / ١٨٧.

٥- رى سامراء ١ / ٧٤.

٦- نفس المصدر ٢ / ٦٠٠.

## الفصل الثالث سامرا فى عهد المتوكل على الله

### ١- عمران سامرا فى عهد الواثق بالله:

#### اشاره

كان الواثق بالله يختلف عن ابيه المعتصم بالله فى كثير من صفاته و سجاياه، و هو بعمه المأمون اشبهه. و يقول صاحب الذهب المسبوك ان المأمون هو الذى رباہ فتقبل افعاله<sup>(١)</sup>. فقد كان بعيدا عن الروح العسكريه و حياه الخشونه، ميالا الى الاداب و العلوم و المناقشه فى المجالس الادبيه و العلميه، و فنانا بطبيعته مولعا بالشعر و الغناء و التلحين. و مع ان اهتمامه بعمران حاضره الخلافه سامرا التى اسسها ابوه و انفق عليها اموالا- طائله، لم يبلغ درجه اهتمامه بما يتفق و ميوله، فانه استمر فى السكنى بها باعتبارها عاصمه الدوله العربيه و« كان قد انتقل من قصور ابيه و بنى له قصرا على شط دجله يقال له الهارونى»<sup>(٢)</sup>، و اتخذها سكنا له الى حين وفاته فدفن فيه<sup>(٣)</sup>. و زاد فى الاقطاعات، اى انه اقطع الناس اراضى جديده لبناء مساكن لهم و اسواق، مما ادى الى توسع المدينه

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٤، و فتوح البلدان / ٢٩٥، و تاريخ يعقوبى / ٢ / ٤٨٣.

٣- الطبرى / ٩ / ١٥١، و فتوح البلدان / ٢٩٥، و الكامل / ٧ / ٣٠.

و ازدياد العمران فيها و زياده سكانها. كما انه زاد في الأسواق لتلبية حاجات سكان المدينه، و وسع الغرض التي كانت على دجله لتستوعب السفن التي تردھا من الموصل و بغداد و واسط و البصره(١). مما كان عاملا مهما في تنشيط التجاره و توسعها.

ان ما اهتم به الواثق بالله من عمران سامرا على قتله، شجع الناس على البناء و التعمير في المدينه، لا سيما تجديد مساكنهم و عماراتهم فاحكموها و اتقنوها لما علموا ان سامرا قد صارت مدينه عامره، و كانوا قبل ذلك يسمونها العسكر(٢).

### تشيد القصر الهاروني:

كان الواثق بالله قد اختار موضعا لبناء قصره الهاروني على شاطىء دجله في الجبهه الشماليه الغربيه من دار الخليفه، و قد بنى له مسناه قويه(٣). و جعل فيه مجالس في دكه شرقيه و دكه غربيه، و كان من احسن القصور(٤). و قد انتقل اليه. و تكاد مصادرنا الاولييه تخلو من ذكر شىء مهم عن هذا القصر الا- النزر اليسير و لا- سيما من حيث سعته و ما يحتوى عليه من مبان و مرافق اخرى.

فقد اشار الطبرى في حوادث سنه (٢٢٩ هـ) عرضا الى وصف احد اروقه القصر، قال: «ذكر عن عزون بن عبد العزيز الانصارى انه قال: كنا ليله في هذه السنه عند الواثق فقال: لست اشتهى الليله النيذ، و لكن هلموا نتحدث الليله، فجلس في رواقه الأوسط في الهاروني في البناء الأول الذى كان ابراهيم بن رباح بناه. و قد كان في احد شقى ذلك الرواق قبه مرتفعه في السماء بيضاء، كأنها

١- كتاب البلدان / ٢٦٥.

٢- نفس المصدر.

٣- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٧٠.

٤- كتاب البلدان / ٢٦٤، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٨٨.

بيضه الـ قدر ذراع، فيما ترى العين، حولها. فى وسطها ساج منقوش باللازورد و الذهب، و كانت تسمى قبه المنطقه، و كان ذلك الرواق يسمى رواق قبه المنطقه»(١).

كما ورد ذكر الهارونى فى بعض الاحداث التى وقعت فى سامرا بعد الواثق بالله. فعند ما قبض المتوكل على الله على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات فى سنه (٢٣٣ هـ) و أمر باستصفاء امواله و املاكه، صير ما قبض مما فى منزله من متاع و جوار و غلمان و دواب فى الهارونى(٢). اى فى قصر الخليفه، لأنه عند ما ولى الخلافه اقام به و بنى به ابنيه كثيره(٣). و لما توفى المنتصر بالله اجتمع القواد الاتراك فى الهارونى و فيهم بغا الكبير و بغا الصغير و اوتامش و اصحابهم، لانتخاب من يخلفه(٤). و عند ما ثارت العامه اثر مبايعه المستعين بالله و نادوا بخلافه المعتز «دخلوا دار العامه منصرفين الى الهارونى فانتهبوا الخزانة التى فيها السلاح و الدورع و الجواشن»(٥). و يظهر انه كان قد اتخذ مستودعا للأسلحه.

تقع اطلال القصر الهارونى فى الموقع المعروف بالكوير على شاطىء دجلة الشرقى، و لا تزال بقايا الدكتين الضخمتين ظاهره يمكن مشاهدتها على شاطىء دجلة الشرقى الحالى فى موضع الكوير المذكور. و قد اشتهر آجر هذا القصر و مسناته بالكبر و الضخامة حتى صار يضرب به المثل فى سامراء الحديثه فيقال آجر الكوير.

و كان الجسر الذى اقامه المعتصم بالله على نهر دجلة يقع امام القصر الهارونى تماما. الا ان معالم القصر تكاد تزول بسبب تهافت اهل

١- الطبرى ٩ / ١٢٥.

٢- نفس المصدر / ١٥٨.

٣- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٤- الطبرى ٩ / ٢٥٦، و الكامل ٧ / ١١٧.

٥- الطبرى ٩ / ٢٥٧.

مدينه سامراء على اقتلاع الآجر من جدرانها و البلوغ فى ذلك حتى اسسها(١).

و من بقايا القصر الهارونى قاعده الحوض الكبير و قد نقلت من بين انقاضه الى دار الآثار العربيه(٢).

و عند ما اتم الواثق بالله بناء القصر الهارونى مدحه الشاعر على بن الجهم واصفا بعض معالم الهارونى، بقصيده منها قوله:(٣):

بان بقرب الخليفه التحف محل صدق و روضه أنف

دار تحار العيون فيها و لا يبلغها الواصفون ان وصفوا

لم تنتسب قبله الى احد و لا تحلت من الألى سلفوا

البحر و البر فى يدى ملك تشرق من نور وجهه السدف

اختاره الله للامام الذى ينصف من نفسه و ينتصف

قد علم الناس ان بالملك الواثق بالله يشرق الشرف

تبارك الجامع القلوب على طاعته و القلوب تختلف

## ٢- توسيع مدينه سامراء:

### اشاره

كان المتوكل على الله مثل ابيه المعتصم بالله يحب البناء و العمران كثيرا، و قد تفوق عليه فيما اسسه بسامراء من القصور و المتنزعات، و ما شقه من الترع و الجداول، و ما بذله من الاموال الطائله على ذلك. فقد كان ميالا للبذخ مسرفا بطبيعته، و لهذا

١- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٧٠.

٢- نفس المصدر.

٣- كامل القصيده فى ديوان على بن الجهم / ١٤ - ١٦.

«لم تكن النفقات فى عصر من الأعصار و لا وقت من الأوقات مثلها فى أيامه»<sup>(١)</sup>. و كانت فاتحه اعماله العمرانيه توسيع مدينه سامرا، فشق شارعين جديدين فى ناحيتها الشرقيه موازيين لشوارعها الكبيره الاخرى، هما شارع الأسكر و شارع الحير الجديد. و بنى فيها عددا كبيرا من القصور التى كانت زينته لها اكملت بهاءها بحيث بلغت اوج عمرانها فى عهد.

و يعتبر بناء الجامع الكبير فى آخر الحير، و شق الشوارع الفرعيه الثلاثه التى توصل اليه من المدينه، و اقامه الاسواق و الحوانيت لمختلف التجارات و الصناعات على جوانب هذه الشوارع، اهم ما ادى الى توسيع المدينه. اذ قامت على هذه الشوارع شكلك و قطائع للسكنى. فقد اقطع المتوكل على الله الكاتيين نجاح بن سلمه و احمد بن اسرائيل، و محمد بن موسى المنجم و اخوانه، و جماعه من الكتاب و القواد و الهاشميين و غيرهم فى آخر الشوارع المذكوره مما يلى قبله الجامع، و بذلك اتسعت على الناس المنازل و الدور كما اتسع اهل الاسواق<sup>(٢)</sup>.

و يلاحظ اهتمام المهندسين آنذاك بفتح الشوارع الفرعيه و الدروب التى توصل بين الشوارع الرئيسه فى المدينه. و لا يخفى ان ذلك يتيح لأكثر المساكن ان تكون و اجهاتها على تلك الشوارع و الدروب، و يسهل الاتصال بين قطائع السكان و الاسواق، اضافه الى تخفيف الزحام داخل المدينه.

اما الشارعان اللذان امر المتوكل على الله يفتحهما فى شرقى سامرا فهما شارع الأسكر و شارع الحير الجديد. و يعرف شارع الأسكر بشارع صالح العباسى لأنه ينتهى عند داره التى كانت على وادى ابراهيم بن رباح. و هو يبدأ من المطيره و ينتهى عند حائط

١- مروج الذهب ٤ / ١٢٢.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٥ - ٢٦٦.



الحيير. و قامت عليه قطائع العسكر الاتراك و الفراغنه فى دروب منفصله عن بعضها. و تليها قطائع القواد و الكتاب و الوجوه من الناس(١). و يبدو ان المتوكل على الله قد انتهج سياسه ابيه فى عزل مساكن الجند عن بقية الناس و توزيعهم بحسب انتماء آتهم منفردين بعضهم عن البعض. و لعل ازدياد عدد الجند كان سبب فتح هذا الشارع لتقوم قطائعهم على جانبيه، و لهذا سمي بشارع الأسكر او العسكر.

و يقع شارع الحير الجديد شرقى الشارع السابق و موازيا له. و قد سمي بالجديد تمييزا له عن شارع الحير الذى فتح عند تأسيس المدينه فى ايام المعتصم بالله. و قد اقطعت السكك على جانبيه لعدد من قواد الفراغنه و الاشروسنيه و الاشتاخنجه و غيرهم من الأعاجم، و اخلاطا من الناس، و كان ينتهى عند حائط الحير ايضا(٢).

و صار بذلك عدد شوارع سامرا الموازيه لنهر دجله سبعة شوارع، اولها شارع الخليج فى الجهه الغربيه من المدينه على ضفاف دجله مباشره و آخرها شارع الحير الجديد فى الجهه الشرقيه لها. و كانت الشوارع الأربعة من جهه الشرق، و هى شارع الحير و شارع برغاش و شارع الأسكر و شارع الحير الجديد، تسمى «طرق الحير» لأنها كانت تنتهى عند حائط الحير(٣).

و كان من اجراءات المتوكل على الله فى توسيع مدينه سامرا جنوبا، انه انزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيره، و انزل ابنه المعتز خلفها مشرقا بموضع يقال له بلكوارا و كان قد بنى قصرا فسيحا هناك. فاتصل البناء من بلكوارا جنوبا الى آخر الموضع المعروف بالدور شمالا، مسافه اربعة فراسخ(٤).

١- كتاب البلدان / ٢٦٢ - ٢٦٣.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٢ - ٢٦٣.

٣- رى سامراء / ١ / ١٠٦.

٤- كتاب البلدان / ٢٦٥.

## الطراز الحيرى فى البناء:

بلغ من حب المتوكل على الله للبناء و اهتمامه به انه احيا طرازا عربيا قديما فيه هو الطراز الحيرى ذو الكمين و الأروقه.

فقد حدثه بعض ندمائه ان احد ملوك الحيره كان احدث بنيانا على صورته الحرب و هيئتها، للهجه بها و ميله اليها و لثلا يغيب عنه ذكرها. فكان الرواق و فيه مجلس الملك يعتبر الصدر، و الكمان ميمنه و ميسره و فيهما اقرب خواصه اليه، و فى اليمين خزانه الكسوه، و فى اليسار خزانه الشراب. و اتبع الناس المتوكل على الله فى اتخاذ هذا الطراز من البناء لبيوتهم فى عهده و بعده(١). كما صار الطراز الحيرى يتخذ فى بناء القصور الكبيره اذ صار لها مقدم و على جانبيه جناحان، و لها ثلاثه ابواب أوسطها الباب الأكبر و الى جانبيه البابان الصغيران(٢). و قد انتقل هذا الطراز من البناء الى بغداد، فكان قصر التاج الذى بدأ المعتضد بالله بتشيدده ببغداد و اكمله ابنه المكتفى بالله، صورته مكبره للطراز الحيرى اذ كان وجهه مبني على خمسه عقود كل عقد يقوم على عشره اساطين، و الاسطوانه خمسه اذرع(٣).

كما نقله الأمير احمد بن طولون الى مصر، و قد اشرنا الى ذلك عند الكلام عن اعمال ابن طولون العمرانيه فى مصر.

## ساحات الفروسية و السباق:

يظهر من دراسه الخرائط الطبوغرافيه و الصور الجويه لأطلال مدينه سامرا انه كان فى السهل الممتد شمالى الجامع الكبير، اى غربى ساحه الحير، اربع حلقات كبيره تدور حول مربع

١- مروج الذهب ٨٧ / ٤.

٢- الحضاره الاسلاميه ١٧٥ / ٢.

٣- معجم البلدان ٥ / ٢.

مركزى. و قد اثبتت التنقيبات التى قامت بها دائره الآثار القديمه ان هذه الحلقات تتكون من طوقين متوازيين بينهما ساحه عرضها ثمانون مترا، و هما يدوران حول المربع المركزى اربع دورات دون ان تنقطع، و فى المربع المذكور دكه مرتفعه تظهر عليها آثار بنايه من الآجر.

و كانت الدوائر المذكوره ساحه للفروسيه او حلبه للسباق انشئت على شكل مبتكر بديع. و كانت بنايه فى الدكه المرتفعه معده للجوس الخليفه و حاشيته للتفرج و التمتع. اما الساحه الممتده بين الدائرتين المتوازيين، و الملتويه حول الدكه المذكوره فكانت معده لجرى الخيل و تسابقها. و من الواضح ان هذا الترتيب المبتكر هو ان يجعل طول الدوره الكامله فى هذه الدوائر المتتاليه يزيد على خمسه كيلومترات، بينما لا يزيد بعدها الاعظم عن الدكه على طول الدوره عن (٦٠٠) متر بحيث يستطيع المتسابقون ان يقطعوا على هذه الساحه مسافه خمسه كيلومترات او اضعافها دون ان يبتعدون عن عين الخليفه و اصحابه باكثر من (٦٠٠) متر فى جميع الأحوال، و هو ابتكار يثير الاعجاب و لا ريب. و مما يؤيد ذلك ان هذه الدوائر تقع فى نفس المنطقه التى تشاهد فيها معالم حلبتين آخريين من حلبات السباق، تبدأ احدهما من خلف دار الخليفه، و تبدأ الاخرى من تل العليق. و ان اوضاع هذه الحلبات الثلاث تسوغ الافتراض بأن اقدمها هى التى تبدأ من شرقى دار الخليفه و تتجه شرقا داخل ساحه الحير حتى تنتهى قرب نهر القاطول، و يزيد طول دورتها على عشره كيلومترات و نصف الكيلومتر. فكان طول الدوره يساعد على اجراء سباقات كبيره، غير ان الخيول كانت تتباعد عن الدكه تباعدا كبيرا لا يترك مجالا لتتبع حركاتها، فيحرم المشاهد من التمتع بمراها و هى تتسابق نحو الهدف. اما الحلبه التى تبدأ من تل العليق فليست

واضح المعالم عدا في قسمها الأول، و مع هذا فان اتجاه هذا القسم كاف للحكم على انها كانت طويله جدا. و من الطبيعي ان يساعد ارتفاع التل على تتبع حركات الخيول على هذه المسافات الكبيره، الا- ان ذلك كان يتطلب جهدا كبيرا و انتباها شديدا(١).

و قد سبقت الاشاره في البحث الخاص بدار الخليفه الى هاتين الساحتين، و انهما انشئتتا مع الدار المذكوره. اما الساحة التي وصفنا شكلها المبتكر فقد استحدثت بعد الحلبتين المذكورتين، لايجاد حلبة سباق يبقى المتسابقون و خيولهم فيها تحت الأنظار على الدوام. و يرجح انها من منشآت المتوكل على الله.

### اتل العليق:

يقع هذا التل شمالي الجامع الكبير، و قطره نحو مائتي متر، و هو يرتفع عن السهل المحيط به بمقدار (٢٥) مترا. و يحيط به خندق عريض دائري يبلغ عمقه نحو ثلاثه امتار. و حوله معالم سور مستدير يبلغ قطره نحو (٤٥٠) مترا(٢). و في شمالي التل طريق ينحدر من قمته و يعبر الخندق، و يرجح انه كانت عليه قنطره، و كانت المياه تصل الى الخندق من القناه التي حفرها المتوكل على الله لا يصال الماء الى سامرا(٣).

و يعلل الناس تسميه التل بروايه يتناقلونها هي ان التل تكون من التراب الذي نقله الجنود الخياله بعليق خيولهم. و يروون ان الخليفه المتوكل على الله اراد ان يظهر ضخامه جيشه و كثره

١- الاثار القديمه العامه- سامراء / ٦٣-٦٥.

٢- نفس المصدر / ٦٠.

٣- رى سامراء / ١ / ١١٨.

عدد فرسانه بدليل عياني محسوس، فأمر ان يملأ كل واحد من جنوده الخياله عليه بالتراب، ثم يرميه هناك، فتكون التل من التراب الذى تجمع على هذا الوجه(١). و جاء فى خلاصه الذهب المسبوك ان المعتصم بالله هو الذى امر بعمل تل المخالى المذكور لما جيش الجيوش الى محاصره عموريه(٢). و يحتج القائلون بالرأى الأول ان اتصال خندق التل بقناه سامرا دليل على انه من عمل المتوكل على الله الذى انشأ القناه المذكوره. الا اننا نرى ان ما ذهب اليه صاحب الذهب المسبوك اقرب الى الواقع لما عرف عن المعتصم بالله من الروح العسكريه الشديده و حبه الجيش و عنايته به بحيث انه ترك العاصمه الى مدينه اخرى بسببه، و لهذا فان التفاخر بضخامه الجيش و كثره عدد فرسانه اجدر به. اما اتخاذ اتصال خندق التل بالقناه دليلا على انه من منشآت المتوكل على الله، فلا يغير من الواقع شيئا، لأن ذلك لا يمنع من ان يكون التل موجودا و ان المتوكل على الله اوصل الماء الى الخندق المحيط به.

من المؤكد ان التل اصطناعى و قد كون بطريقه حفر خندق مستدير و تكويم التراب الذى يرفع منه فوق الدائره الباقيه فى داخله. و قد درس هرزفيلد هذا التل خلال تنقيباته فى سامرا و استنتج انه كان على قمته قصر مربع الشكل مقسم الى تسع غرف متصله ببعضها، واحده منها فى الوسط و اربعة متصله باضلاع هذه الغرفه على شكل اواوين مفتوحه. و الاربعه الاخرى بين اضلاع الاواوين المذكوره. و الغرض من تكوين هذا التل فى وسط السهل و تشييد هذا القصر فوقه انما كان للتفرج من محل مرتفع يمتد فيه النظر، لأنه كان يشرف على الحير و على احدى حلقات السباق(٣). و هناك احتمال ان يكون هذا التل قبر احد

١- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٦١ - ٦٢.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

٣- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٦١ - ٦٢.

القواد الرومان، وقد استعمل للتفرج على السباق بعد ان شيدت فوقه تلك الحجرات، و مما يجدر ذكره للمقارنه ان هناك مصطبه على الكتف الغربى للقاطول الأعلى حيث تنتهى دوره حله السباق، عليها بقايا غرف مماثله تطل على الساحة المنبسطة، يحتمل انها شيدت لغرض التفرج منها ايضا(١).

### الخير:

حائر الخير هو الحائط او السور الذى بناه المعتصم بالله فى نهايه ابنه سامرا من جهتها الشرقيه. و كان يمتد على طول الأبنيه من الجوسق الخاقانى حتى المطيره. و قد احتفظ بالسهل الواسع الممتد خلف هذا الحائط من غير بناء ليكون ساحه ترتع فيها الحيوانات و الطيور، و سميت بساحه الخير. و يذكر يعقوبى انه كلما توسع عمران سامرا شرقا و امتد الى ساحه الخير هدم السور المذكور و بنى آخر بدلا عنه بعد العمران الجديد، و عدد اصنافا من الطيور و الوحوش كالظباء و الحمر الوحشيه و الأيائل و الارانب و النعام و غيرها، مما كان محجوزا فى الساحة المذكوره(٢).

و عند ما توسع المتوكل على الله فى العمران شرقى سامرا انشأ حائطا جديدا على الحدود الجديده للبناء الذى اقيم فى ظهر شارع الخير الجديد، بعد ان اقتطع جزءا كبيرا من ساحه الخير، و جعل لهذا الحائط بابا رئيسا عرف باب الخير، جنوبى الجامع الكبير ممايلى الجوسق، ليوصل بين الساحه و المدينه. و قد ورد ذكر الخير و بابه فى عدد من الأحداث المهمه التى وقعت فى ايام الخليفه المهتدى بالله. فقد ذكره الطبرى فى حوادث السنه (٢٥٦ هـ) عند ما

١- المرشد الى مواطن الاثار و الحضاره- ( سامراء) /١٨.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٣.

صار القائد موسى بن بغا الى باب الحير و عسكر هناك قرب دار القائد التركي ياجور(١). و عند ما القى القبض على القائد صالح بن وصيف اخرج من باب الحير ليذهبوا به الى الجوسق(٢).

و عند ما عزم المهتدى بالله على حرب الأتراك خرج الى الحير و عرض الناس و امر ان تضرب الخيام و المضارب فى الحير، و عبأ اتباعه لمواجهه الأتراك(٣).

ان المتوكل على الله وسع الحير نحو الشرق و انشأ فيه حديقته و اسعه للحيوانات تزيد مساحتها على عشرين الف دونم، و احاطها بسور بلغ طوله حوالى ثلاثين كيلومترا. و قد جمعت فيها اصناف الحيوانات البريه من الوحش و الطير، كان بعضها حرا طليقا و بعضها حبيسا فى الأقفاص. و للشاعر البحترى قصيده يمتدح فيها المتوكل على الله و يشير الى حير الوحش و يقدر عدد الوحش فيه بالفين، و يقول انها كانت تألفه و تخضع له، و يذكر نهر نيزك الذى يروى متنزه الحير، جاء فيها(٤):

خليفه الله ما للحمد منصرف الا الى نعم أصبحت توليها

فلا فضيله، الا انت لا بسهاو لا رعيه، الا انت راعيها

ملك كملك سليمان الذى خضعت له البريه: قاصيها و دانيها

١- الطبرى ٩ / ٤٣٨ - ٤٣٩.

٢- نفس المصدر / ٤٥٤.

٣- نفس المصدر / ٤٦٥.

٤- ديوان البحترى - طبعه بيروت ١ / ٤٥ - ٤٦.

و طاعه الوحش اذ جاء تك من خرق أحرى، و أدمانه كحل مآقيها(١)

كالكاعب الرود يخفى فى ترائبها روع العبير و يبدو فى تراقبها

الفان وافت، على قدر مسارعها الى قبول الذى حاولته فيها

ان سرت سارت و ان وقفها و قفت صوراً اليك، بالحاظ تواليها

يرعن منك الى وجه يرين له جلاله يكثر التسييح رائيها

حتى قطعت بها القاطول و افترت بالحير فى عرصه فسح نواحيها

فنهز نيزك ورد من مواردها و ساحه التل مغنى من مغانيها

و قد انشىء فى الطرف الجنوبى لهذا المتنزه الواسع قصراً يشرف على بركة ماء واسعة ينتهى اليها نهر نيزك، و عرف هذا القصر باسم قصر الدكه. و كان طوله (١٦٥) متراً و عرضه (١٢٥) متراً، اى ان مساحته كانت تربو على عشرين الف متر مربع.

و يرجح الدكتور احمد سوسه، ان هذا القصر كان يعرف بقصر الساج ايضاً، و ان البركه التى امامه هى البركه الحسناء التى وصفها البحتري و تغنى بجمالها و روعه الرياض التى تحتها(٢).

---

١- الخرق: المدهوش من خوف او حياء. و الادمانه: الطيبه التى لونها مشرب بياضا.

٢- رى سامراء ٢/ ٢٩٩.



و توجد فى الركن الجنوبى لقصر الدكه اطلال بنايه واسعه طولها (٤٠٠) متر و عرضها (٢٦٥) مترا، يرى الدكتور سوسه انه يحتمل ان تكون هذه الأطلال من بقايا قصر البديع الذى بناه المتوكل على الله، لأن البحترى اقترح فى احدى قصائده فى مدح المعتر بالله، ان يمد فرع قناه سامرا الذى شقه المتوكل على الله لتموين قصر الدكه بالماء، و يوصله الى قصر البديع و منه ينهيه الى دجله قرب الجوسق، اذ يقول: (١).

الحقه يا خير الورى بمسيره و امدد فضول عبايه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فانما نزلت دجله فى فناء الجوسق

و هو يرجح ايضا ان قصرى الصبيح و المليح اللذين بناهما المتوكل على الله يقعان فى هذا المتنزه ايضا. و هو يستند فى ذلك على وصف البحترى الوارد فى احدى مدائحه التى قالها فى المتوكل على الله، و ذكر فيها القصرين المذكورين و البركه الحسناء، التى قال فيها: (٢).

و استتم الصبيح فى خير وقت فهو مغنى انس و دار مقام

ناظر وجهه المليح فلو يستطيع حياه معلنا بالسلام

ألبسا بهجه و قابل ذا ذاك فمن ضاحك و من بسام

١- نفس المصدر ١/ ١٢٥.

٢- نفس المصدر ٢/ ٣٠٣ و القصيده فى ديوان البحترى ٣/ ٢٠٠٤-٢٠٠٧.

حتى يقول:

مستمد بجدول من عباب الماء كالأبيض الصقيل الحسام

و اذا ما توسط البركه الخضراء ألفت عليه صبغ الرخام

فتراه كأنه ماء بحريخدع العين و هو ماء غمام

على ان تأييد ذلك يتوقف على ما ستسفر عنه التنقيبات و التحريات التي ستجريها دائره الآثار القديمه على الاطلاق و الآكام المشار اليها. علما ان الدائره المذكوره لا ترى رأى الدكتور سوسه فى موضوع البركه، و ترى انها بركه القصر الجعفرى الذى شيده المتوكل على الله فى مدينه المتوكليه، و ان البركه التي فى حديقته الحيوانات من عمل المعتصم بالله عند ما بنى قصره على القاطول قبل انتقاله الى سامرا(١).

### ٣- مشاريع الري فى عهد المتوكل على الله:

#### اشاره

تم فى عهد المتوكل على الله ثلاثه مشاريع مهمه لرى سامرا و ما حولها، هى: قناه سامرا او قناه المتوكل على الله، و نهر النيزك، و النهر الجعفرى. و سنلقى نظره سريعه على كل من قناه سامرا و نهر النيزك، اما النهر الجعفرى فنرجى ء البحث فيه الى موضوع انشاء مدينه المتوكليه لأنه انشى ء لايصال المياه اليها.

#### قناه سامرا:

كان من جملة المشاكل التي واجهت مدينه سامراء منذ تأسيسها ان ارتفاع الضفه الشرقيه لنهر دجله التي قامت عليها المدينه

اولا، حال دون توفر المياه للشرب و للرى الا بالواسطه. و قد اعتمد الناس فى شربهم على حمل المياه اليهم فى الروايا على الأبل و البغال، و هذا ما دفع المعتصم بالله الى اعمار الجانب الغربى من المدينه، لأن ارضه منخفضه عن مستوى النهر و يسهل اسقاؤها سيحا، مما يساعد على التوسع فى الزراعه. و قد اشرنا الى احيائه نهر الاسحاقى الذى صار محور العمران فى هذا الجانب من المدينه.

و يظهر ان المتوكل على الله صرف همته الى توسيع مدينه سامرا فى الجانب الشرقى منها رأى ان يبدأ بتوفير المياه الكافيه لها قبل كل شىء. و لهذا كان اول مشاريعه الاروائيه حفر قناه تؤمن اىصال الماء الى هذا الجانب من المدينه بطريقه الرى الجوفى المعروف برى الكهاريذ. و اشتمل مشروعه على كهريزين ضخمين يستعمل احدهما فى الشتاء و الآخر فى الصيف. و هما يستمدان المياه من نهر دجله شمال الدور، فيسيران جنوبا حتى يصلا العاصمه. و قد مدت هذه القناه جنوبا لتصل الى المطيره فالقادسيه(١).

و الكهريز مجرى ماء على شكل نفق تحت الأرض لسحب المياه الجوفيه من العيون و نقلها الى الاراضى الزراعيه سيحا، و ذلك بحفر آبار على مسافات معينه على طول النفق لرفع اتربه المجرى بواسطتها و لاستخدامها كنوافذ هوائيه للنفق و للنزول اليه اذا ما اقتضى تنظيفه من الترسبات و العوائق التى تحول دون جريان الماء فيه. و تحفر الآبار عاده بانحدار تدريجى من بئر الى اخرى ادنى مستوى منها، ليتسنى للمياه الجريان الى الجبهه المطلوبه. و تغطى هذه الآبار بابواب لمنع تسرب الاتربه الى المجرى. و تختلف المسافه بين بئر و اخرى حسب طبيعه الأرض، و هى تتراوح بين خمس

امتار و عشرين مترا. و تكون هذه الآبار عادة باتجاه واحد، و هى تدل على اتجاه الكهريز و طوله. و من الطبيعى ان يختلف طول الكهريز باختلاف طبيعه سطح الارض و عمق المياه الجوفيه.

لقد تسنى للمتوكل على الله بواسطه هذه القناه ان يوصل المياه الى البركه الكبيره التى كانت خلف دار العامه، و هى المعروفه ببركه السباع. ثم الى البركه الثانيه التى تقع شمالى غربى البركه السابقه. و الى ساحه السباق الواسعه التى انشأها من جهه الحير، و الى خندق تل العليق المشرف عليها. كما انه وفر الماء الكافى للجامع الكبير و لاسيما لنافورته التى لا ينقطع ماؤها.

### نهر نيزك:

اراد المتوكل على الله ان يوسع حير الحيوانات خارج مدينه سامرا شرقا، فى المنطقه الكائنه بين القاطول الاعلى و القاطول الأسفل المسمى بنهر القائم، و ذلك بعد ان ضم جزءا كبيرا من اراضى الحير الذى انشأه المعتصم بالله، الى مدينه سامرا عند ما وسعها نحو الشرق بفتح الشوارع الجديده و توزيع الاراضى التى اقطعها لبناء المساكن، و بناء الجامع الكبير. الا ان المنطقه التى اختارها لتكون حديقته واسعه للحيوانات و منتزها كبيرا لأهل سامرا، تحتاج الى مزيد من المياه الدائمه الجريان. فعمد الى احياء نهر القادسيه القديم الذى كان يتفرع من الضفه اليمنى للقاطول الأعلى، من موضع يبعد عن صدره بثلاثين كيلومترا و ينتهى عند منطقه المشرحات فيخترق المنطقه المذكوره و يرويها.

و هى المنطقه التى كان الخليفه هارون الرشيد بنى فيها قصرا لنزهته. و كان نهر نيزك ينتهى عند البركه التى انشأها المتوكل على الله فى هذا المنتزه. و لكى يؤمن استمرار تدفق المياه فى النهر الجديد اقيم ناظم على نهر القاطول ليرفع مناسيب المياه

فيه حتى يتدفق الى النهر المذكور الذى سمي بنهر نيزك. و بذلك أمن ارواء منطقه الحير الجديد الواسع و حدائقه سيحا.

و كانت تتفرع من نهر نيزك عدة فروع من ضفته الغربيه لتسقى اراضى المطيره و منطقه بركوارا، جنوبى سامرا(١).

#### ٤- الجامع الكبير:

##### مقدمه:

كان من خطه المعتصم بالله فى بناء سامرا ان يبنى مسجدا فى كل منطقه سكنيه، فعند ما اقطع كبير قواده اشناس و اصحابه الموضوع المعروف بالكرخ امره ان يبنى مع المساكن المساجد و الأسواق. كما انه انشأ مسجدا جامعا على شارع السريجه، و هو الشارع الأعظم، و اختط الأسواق حوله. و لم يزل يجمع فيه الى ايام المتوكل على الله الذى تولى الخلافه سنه (٢٣٣ هـ) فضايق على الناس فهدمه و بنى مسجدا جامعا واسعا فى طرف الحير. يقول اليعقوبى: «و بنى المسجد الجامع فى اول الحير فى موضع واسع خارج المنازل لا يتصل به شىء من القطائع و الأسواق، و اتقنه و وسعه و احكم بناءه، و جعل فيه فواره ماء لا ينقطع ماؤها. و جعل الطرق اليه من ثلاثه صفوف واسع عظيمه من الشارع الذى يأخذ من وادى ابراهيم بن رباح، فى كل صف حوانيت فيها اصناف التجارات و الصناعات و البياعات، و عرض كل صف مائه ذراع بالذراع السوداء، لثلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد فى الجمع فى جيوشه و جموعه و بخيله و رجله»(٢).

١- رى سامراء ٢ / ٢٨٩.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٥.

يستنتج مما ذكره اليعقوبى ان المتوكل على الله بنى الجامع الكبير خارج المدينة و مد اليه ثلاثه شوارع توصل بينه و بين الشارع الأعظم فى سامرا، و جعل عرض كل شارع من هذه الشوارع مائه ذراع سوداء، و تقوم على جوانبها حوانيت اصناف التجارات و الصناعات بهدف توسيع المدينة و زياده اسواقها و متاجرها.

و كانت هذه الشوارع الثلاثه تتفرع من الشارع الأعظم جنوبى دار الخليفه و القصر الهارونى و قصر الجوسق، و تتجه شرقا حتى تفضى الى الجامع فى جانب الحائط الغربى الذى كانت فيه سبعة مداخل، بعد ان تخترق السور الخارجى للجامع.

يقول البلاذرى عن المتوكل على الله: «و بنى مسجدا جامعا كبيرا و أعظم النفقه عليه، و امر برفع منارته لتعلو اصوات المؤذنين فيها حتى نظر اليها من فراسخ، فجمع الناس فيه و تركوا المسجد الأول»<sup>(١)</sup>. و جاء فى خلاصه الذهب المسبوك ان المعتصم بالله «بنى الجامع الكبير و انفق على ذلك خمسمائه الف دينار و جعل وجوه حيطانه مرايا بحيث يرى القائم فى الصلاه من يدخل من خلفه. و بنى المناره التى يقال انها من احدى العجائب»<sup>(٢)</sup>. و هو لا شك و اهم اذا ما اعتبرنا كتاب البلدان لليعقوبى اقدم المصادر و اوثقها عن سامرا. و ان البلاذرى ايده فى روايته، كما ايده ياقوت فى معجمه.

يعتبر المسجد الجامع الذى انشأه المتوكل على الله اروع المنشآت ذات الأثر فى تلك الحقبة من حياه الدوله العريبيه.

و تشهد آثاره اليوم مع مئذنته الملويه شمالى شرقى مدينه سامراء الحاليله. و تعتبر اضخم و ابرز الأثار الباقية من مباني سامرا

١- فتوح البلدان / ٢٩٥، و معجم البلدان ٣ / ١٧٥ و قد نقل عن البلاذرى نفس النص.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

القديمه. و رغم ان هذا الجامع يشبه المساجد الجامعه الاخرى من حيث تخطيطه العام و محتوياته الا انه يمتاز عليها جميعا بسعه مساحته و ضخامه بنائه، و بمئذنته الملويه. و هو يعد اكبر جامع فى العالم الاسلامى. و كان البدء ببنائه فى سنه (٢٣٤ هـ) و الانتهاء منه فى سنه (٢٣٧ هـ) (١). و يذكر ياقوت الحموى ان مجموع ما انفق على بنائه بلغ خمسه عشر الف الف درهم (٢).

و يتضح من تنقيبات هرزفيلد ان اضلاع السور الخارجى للجامع كانت تبلغ ٣٧٦\*٤٤٤ م، اى ان مساحه المسجد و الزيادات التى فى خارجه تربو على (١٧) هكتارا اى اكثر من (٦٨) دونما عراقيا (٣). و يقدر بروكلمان مساحه صحنه الداخلى باربعه و اربعين الف متر مربع، و يقول: «و بحسبنا لكى نكون فكره عن معنى هذا الرقم ان نذكر ان صحن كنيسه القديس بطرس فى روما يبلغ (١٥١٦٠ م ٢)، و صحن ايا صوفيا فى استانبول يبلغ (٦٨٩٠ م ٢)، فى حين لا يزيد صحن كاتدرائيه كولون على (٦١٢٦ م ٢) (٤).

### مخطط الجامع:

يتألف الجامع من اربعة اقسام تحيط بالصحن هى: الحرم و يقع على الضلع الجنوبيه للجامع، و كان فيه خمسه و عشرون رواقا مؤلفه من اربعة و عشرين صفا من الاعمده فى كل صف منها تسعه اعمده. و ينتهى الرواق الأوسط بالمحراب و هو اعرض قليلا من الاروقه الاخرى. ثم القسم الشمالى المقابل للحرم، و كان فيه خمسه و عشرون رواقا مؤلفه من اربعة و عشرين صفا من

١- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٤٩.

٢- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٣- رى سامراء ١ / ١١٢.

٤- تاريخ الشعوب الاسلاميه ٢ / ٥١.

الاعمده فى كل صف منها ثلاثه اعمده. و كانت صفوف هذه الأعمده تمتد على شكل خطوط ذات زوايا قائمه الى داخل المسجد بالنسبه لجداريه الشمالى و الجنوبى. و الرواق الأوسط فى هذا القسم اكثر اتساعا من بقية اروقته. ثم الجانبان الشرقى و الغربى من المسجد و كان فى كل منهما ثلاثه و عشرون رواقا مؤلفه من اثنين و عشرين صفا من الأعمده فى كل صف منها اربعة اعمده. و بذلك يبلغ مجموع الأعمده (٤٦٤) عمودا(١). و هناك اختلاف فى مجموع الأعمده ناشىء من اعتبار البعض عدد صفوف الأعمده فى الحرم عشره اعمده بدلا من تسعه، او من اعتبار عدد صفوف الاعمده فى القسم الشمالى اربعة بدلا من ثلاثه، بحيث يصبح المجموع (٤٨٨) عمودا.

ان جميع الأعمده كانت مبنيه بالآجر على قواعد مربعه طول ضلعها (٧٠ ر ٢ م) و ترتفع بشكل مثنى تاركه فى كل زاويه من الزوايا الأربع فسحه لارتكاز عمود رخامى قطره (٣٠ سم). و كان بعض هذه الأعمده الرخاميه اسطوانيا، و بعضها مثنى، و قد ثبتت قطعها باوتاد معدنيه، و ملئت الثقوب بالرصاص، و احييت مواضع الأتصال باطواق معدنيه ايضا. و يبلغ ارتفاع الأعمده من ارضيه الجامع حتى السقف حوالى (٥٠ ر ١٠ م)، و ينتهى اعلاها بتيجان جرسيه الشكل. و كانت الأعمده الرخاميه باللوان متعدده و جد منها تسعه انواع مختلفه معظمها من المرمر(٢).

و كانت هذه الأعمده تحمل السقف الخشبى للجامع دون ان ان ترتبط بعقود او طيقان من البناء كما ارتأى الآثاريون(٣). الا

١- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ٤٧-٤٨.

٢- العماره العباسيه/ ١٤٥-١٤٦.

٣- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ٤٨.



انه يظهر ان الفسحه الموجوده بين الأعمده كانت قد سقفت بعوارض، و ان الحفر التى ثبتت فيها العوارض المتقاطعه كانت لا تزال ترى فى الجانب الداخلى للجدار فى عام ١٩١١. كما ان التنقيبات التى اجرتها دائره الآثار القديمه كشفت عن وجود اكتاف من الطابوق و الجص، و ذلك مما يدفع الى القول بان السقف لم يكن يستند مباشره على الأعمده(١).

### المحراب:

اما محراب الجامع فانه يقع فى منتصف الضلع الجنوبيه، و كان قد تهدم و اتخذ شكل باب. غير ان دائره الآثار القديمه كشفت عن معالمه من تحت الانقاض و اعادت بناء القسم الاسفل منه. لاعطاء فكره عامه عن سابق وضعه(٢). و هو تجويف مستطيل الشكل عرضه (٥٩ ر ٢ م) و عمقه (٧٥ ر ١ م) و هى نفس الأبعاد التى كانت متخذة حينذاك للمحاريب(٣). و كان يحف به من الجانبين زوجان من اعمده الرخام الوردى اللون، و فى اسفل كل عمود و اعلاه قاعده بسيطه مستطيله. و يقوم على العمودين قوسان متحدا المركز يشكلان عقاده المحراب، و ذلك ضمن اطار مستطيل بارترفاع جدار الجامع(٤). و قد عثر بين اللقى على قطع من الفسيفساء المزجج النفيس و المذهب، يرجح انها مما كان يغطى جدران المحراب. و قد اشار المقدسى الى ان حيطان الجامع قد لبست بالميناء(٥). كما اشار الاربلى الى ان وجوه حيطان الجامع

١- العماره العباسيه / ١٤٥-١٤٦.

٢- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٤٧.

٣- Creswell, E. M. A. P. :٧٧٢.

٤- رى سامراء / ١ / ١١١.

٥- أحسن التقاسيم / ١٢٢.

جعلت من المرايا(١). و يظهر انهما قصدا بذلك الفسيفساء المزججه و المذهبه المشار اليها. و كان هرزفيلد قد فسر المينا بالموزاييك اى الفسيفساء(٢). و يلاحظ ان المحور الرئيس للمحراب يشير الى ان اتجاه القبله فيه يقع على ١٩٨ درجه و ٣٠ دقيقه على حين ان القبله تقع على ١٩٦ درجه و ٤٤ دقيقه، اى ان اتجاه الجدار يرجع درجه واحده و ٤٤ دقيقه الى الشرق(٣).

و هذا يتفق مع ما يقوله اليعقوبى عن سامرا «و اسمها فى الكتب المتقدمه زوراء بنى العباس و يصدق ذلك ان قبل مساجدها كلها مزوره، فيها ازورار، ليس فيها قبله مستويه»(٤).

و كشف التنقيب عن وجود بايين صغيرين على جانبي المحراب احدهما عن يمينه و الآخر عن يساره، و هما يؤديان الى بنايه صغيره كانت قائمه خلف المحراب. و قد قيل عن هذه البنايه انها ربما كانت مكانا لاستراحه الخليفه اذا جاء للصلاه، لأن قصور الخلفاء فى سامرا كانت بعيده عن المسجد الجامع. كما قد يكون احد البايين قد خصص لدخول الامام المسؤول عن الجامع كى لا يتخطى المصلين من ظهورهم اذا جاء للصلاه بهم(٥).

### النافوره:

كان صحن الجامع واسعا فسيحا، و بعد رفع الركام المتجمع فيه ظهرت فى وسطه آثار تدل على انه كانت هناك نافوره مدوره كبيره. و قد اشار اليعقوبى اليها فى معرض كلامه عن بناء الجامع

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

٢- Creswell, E. M. A. P. :٧٧٢.

٣- رى سامراء / ١ / ٢٨٤ هـ.

٤- كتاب البلدان / ٢٦٨.

٥- مجله سومر العددان ١ و ٢ من سنه ١٩٦٩ / ١٤٨.

بقوله «و جعل فيه فواره ماء لا- ينقطع ماؤها»(١). و قال ياقوت الحموى ان المتوكل على الله «اشتق من دجله فئاتين شتويه و صيفيه تدخلان الجامع و تتخللان شوارع سامراء»(٢). و بذلك تأمن استمرار تدفق المياه من النافوره.

و قد اظهرت تنقيبات هرزفيلد ان الحوض كان يرتكز على قاعده اسطوانيه بنيت بالآجر بمونه الكلس و الرماد و كسيت بالرخام. و عثر فى الانقراض المجاوره للنافوره على قطع من اعمده رخاميه و اجزاء من تيجانها، و زخارف جصيه مذهبه، و قطع من الفسيفساء الزجاجيه. و يرجح من وجود بقايا الأعمده الرخاميه حول قاعده الحوض انه كان ثمة سقف فوق النافوره تحمله هذه الأعمده(٣). و وصف حمد الله المستوفى الحوض المشار اليه بأنه كان قطعه واحده من الحجر محيطها (٢٣) ذراعا، و ارتفاعها (٧) أذرع و سمكها نصف ذراع، و كانت تعرف بكأس فرغون(٤).

و اشار المؤرخ ابن الفوطى فى حوادث سنه (٦٥٣ هـ) الى انه فى هذه السنه «حملت القصعه المعروفه بقصعه فرعون من سر من رأى الى بغداد فى كلك، و رفعت تحت دار الخليفه، و كانت عظيمه جدا، فلم تزل حتى سنه (٦٥٧ هـ) ثم كسرت»(٥).

و سبق ان ذكرنا ان الحوض الكبير الذى كان يتوسط الدار المربعه فى جناح الحرير من دار العامه كان من الكرانيت المصرى و انه يعود الى عهد الفراعنه، و لذا يمكن القول بان حوض الجامع الكبير و هو صخره عظيمه مجوفه كان قد جلب من مصر ايضا مع

١- كتاب البلدان / ٢٦٥.

٢- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٣- رى سامراء / ١ / ١١١.

٤- نفس المصدر.

٥- الحوادث الجامعه / ٣٠٦.

الحوض المذكور او بعده، و من هنا جاءت نسبه الى فرعون فسمى كأس فرعون او قصعه فرعون.

### جدران الجامع:

لم يبق من بناء الجامع شىء قائم غير جدرانه الخارجيه التى تحيط بساحه مستطيله طولها نحو ٢٤٠ مترا و عرضها ١٦٠ مترا، اى ما مساحته (٣٨) الف متر مربع. و هذه الجدران سميكه لا يقل سمكها عن مترين، و يناهز ارتفاعها عشره امتار. و هى مبنيه بناء جيدا متقنا بالآجر و الجص. و تدعمها من الخارج ابراج نصف دائريه عددها اربعون برجاً، اربعة منها فى الاركان، و ثمانية فى كل من الضلعين الشماليه و الجنوبيه، و عشره فى كل من الضلعين الشرقيه و الغربيه (١). الا ان المخططات التى وضعها الآثاريون ممن عنوا بدراسه بقايا الجامع، مثل بيليه و هرزفيلد و فيوله و كريزويل تتفق فى ان عدد الابراج الواقعه على كل من الجانبين الأطول منه (١٢) برجاً، و فى كل من الجانبين الآخرين (٨) ابراج، فيصلح المجموع (٤٤) برجاً (٢).

شيدت الابراج المذكوره على قواعد مستطيله من صنفين او ثلاثه من الطابوق، و هى تمس محيط البرج، طولها (٩٠ ر ٣ م) و عرضها (٢٥ ر ٢ م) لأبراج الجوانب. اما ابراج الاركان فيصلح طول القواعد التى تقوم فوقها (٤٥ ر ٥ م) و عرضها (٢٥ ر ٥).

و معدل قطر ابراج الجوانب (٦٠ ر ٣ م) اما ابراج الأركان فان اقطارها اكبر من ذلك. و يبلغ معدل بروز الابراج جميعا بما فيها ابراج الأركان (١٥ ر ٢ م) من كلا الوجهين، عدا البرجين

١- الاثار القديمه العامه - سامراء / ٤٥.

٢- العماره العباسيه / ١٣٣.

اللذين على جانبي المحراب فانهما مستطيلان من وجهها الداخلى حتى مستوى قمه الأبواب(١).

ان الابراج خاليه من النقوش و الزخارف. اما اجزاء الجدران الواقعه بين الابراج فانها مزدانه فى قسمها الأعلى بست خسفات مربعه يظهر فى وسط كل منها خسفه مستديره تكسب الجدار رونقا و جمالا. و يبلغ قطر الخسفه المستديره مترا واحدا و عمقها (٢٥ سم) و قد بنى نصفها العلوى على شكل عقد نصف دائرى. و لا يزال قسم من هذه الخسفات تكسوه طبقه من الزخارف الجصيه. و فوق الخسفات بثلاثين سنتمترا يوجد افريز يتكون من صفين من الآجر. و يظهر على كل جزء من اجزاء الجدار بين الابراج شق شاقولى منتظم لا- شك فى انه كان يحتوى على المواسير المخصصه لتصريف مياه الامطار مما يتجمع فوق سطح الجامع(٢).

و قد عثرت دائره الآثار العامه فى أثناء التحرى و التنقيب فى الجامع على قطع زجاجيه زرقاء غامقه مربعه الشكل طول ضلع الواحده منها (٥٠ سم) و سمكها (٥ ر ٣ سم) و يبدو انها كانت بالأصل تزين الجزء السفلى من الجدار القبلى داخل الحرم الى ارتفاع متر اعتبارا من تبليط ارضيه الجامع. و قد لوحظ ان هناك صفين من تلك القطع احدهما فوق الآخر، و تكبس فى الفراغات الحاصله بينهما مساند مدوره من نفس الزجاج لزياده تماسك القطع الزجاجيه التى كانت مثبتة فى القديم على ثلاثه صفوف. و ما تزال آثار طبعتها تشاهد بصورة سليمة جليه اسفل الجدار القبلى(٣).

١- نفس المصدر / ١٣١-١٣٣.

٢- الآثار القديمه العامه- سامراء / ٤٦.

٣- العماره العباسيه / ١٥٠.

**ابواب الجامع و نوافذه:**

كان للجامع سبعة عشر مدخلا تختلف سعه كل منها باختلاف موقعها. اثنان منها فى الضلع الجنوبيه، و قد سبقت الاشاره الى انهما كانا مدخلين خاصين احدهما للخليفه و الآخر لأمام الجامع.

و قد اختيرت مواقع الأبواب الرئيسه الاخرى بشكل يتفق و نظام اروقه الجامع، و كانت موزعه على جهات الجامع الثلاث الباقية.

ففى الجبهه الشرقيه خمس مدخل رئيسه عرض كل منها (٩٠ ر ٣ م) باستثناء احدها فقد وسع بعدئذ ليبلغ عرضه (٨٥ ر ٤ م). و فى الجبهه الغربيه سبعة مدخل، خمس منها اصليه انشئت عند بناء الجامع و قد بنيت على غرار مدخل الجبهه الشرقيه من حيث مقاييسها و طراز عمرانها، و هى تقابلها تماما. اما المدخلان الآخران فقد اضيفا فى وقت لاحق بناء على الحاجه اليهما بسبب تزايد عدد المصلين و تزامهم على الابواب. و كان عرض احدهما (٦٥ ر ٢ م) و عرض الآخر (٢٥٨ ر ٢ م). اما الجبهه الشماليه فقد كان فيها ثلاثه مدخل، و اوسطها اوسعها اذ يبلغ عرضه (٩٥ ر ٢ م) و هو يقابل المناره الملويه تماما(١).

ان جميع الابواب المذكوره مستطيله الشكل، و هى تمتد بواسطه دعامات ترتفع عليها عقود، و فى اغلب الابواب تهدم البناء القائم فوقها، الا انه تبين بعد فحص النوافذ التى بقيت مصانه انه كان هناك عقد مرتفع مسطح يستند على عوارض(٢).

اما نوافذ الجامع فلم تكن كثيره، اذ خلت جدرانها منها عدا القسم الاعلى من الضلع الجنوبيه، اى الجدار القبلى. حيث توجد سلسله من النوافذ تبدو من الخارج كفتحات ضيقه مستقله،

١- مجله سومر- العددان ١ و ٢ لسنة ١٩٦٩/١٤٦-١٤٧.

٢- العماره العباسيه / ١٣٩-١٤٠.

الا انها تأخذ فى الداخلى هئته شبائيك جميله. و يتألف كل واحد من هذه الشبائيك من دخله مستطيله الشكل يظهر داخلها عمودان من الأجر يحملان طاقا مكونا من خمس حنايا. و كان عدد هذه النوافذ (٢٤) نافذه، اثنتان منها تقعان فوق البابين الذين على جانبى المحراب. و يحيط بكل نافذه اطار مستطيل ارتفاعه (٥ ر ٢ م) و عرضه (٩٠ ر ١ م). و هناك شبائك آخران فى جنوبى كل من الضلعين الشرقى و الغربى. بحيث يصبح مجموع النوافذ (٢٨) نافذه، و يظهر ان الشبائيك الاربعه فتحت فى وقت متأخر عن وقت البناء(١).

و قد عثر هرزفيلد فى اثناء تنقيباته على نوعين من الزجاج يتألف النوع الأول من بقايا الواح زجاجيه سميكه بين انها كانت تستخدم لهذه النوافذ، و النوع الآخر قطع صغيره مثلثه الشكل استخدمت لملء الحافات. و مما لفت نظره انه لم يجد هناك ايه علاقه تذكر بين صف النوافذ و ترتيب الابراج، بل ان النوافذ جميعها متناسقه مع الاروقه الشماليه و الجنوبيه للحرم و تقع على محاورها(٢).

### الاسوار الخارجيه للجامع:

يستدل من الحفريات التى اجريت فى منطقه الجامع و من الصور الجويه التى اخذت لها، انه كان يحيط بالجامع سور عظيم من الاجر من جوانبه الشرقيه و الغربيه و الشماليه. و يحيط بهذا السور من الجوانب الاربعه سور كبير آخر يفصله عن السور الأول فضاء مكشوف عظيم الاتساع فى جهاته الجنوبيه و الشرقيه و الغربيه، و يضيق فى الجهه الشماليه، يبلغ طوله (٤٤٤) مترا،

١- مجله سومر- العددان ١ و ٢ لسنة ١٩٦٩ / ١٤٩.

٢- العماره العباسيه / ١٤١- ١٤٢.

و عرضه (٣٧٦) مترا. و يدعمه (٦٨) برجاً، اربعة منها كبيره دائريه الشكل فى اركان السور، و سبعة عشر برجاً، اربعة منها فى كل من ضلعيه الشرقى و الغربى، و خمسة عشر برجاً فى كل من ضلعيه الشمالى و الجنوبى، و كلها بهيئه نصف دائره (١).

كما لوحظت آثار ابنه بين جدران الجامع و السور الداخلى تدل على انها كانت مدارس دينيه حول الجامع، يدرس فيها الطلاب الذين كانوا يسكنون هناك ايضا، على نمط المدارس الدينيه الحاليه الملحقه بالجوامع و الأماكن المقدسه (٢).

### المناره الملويه:

الملويه مئذنه مخروطيه الشكل تستند الى قاعده مربعه، و يصعد الى قمته من سطح مائل عريض يدور حولها من خارجها دوران الحلزون. و هى تقع خارج الجامع على بعد (٢٥ مترا) من ضلعه الشمالى و على محوره الأوسط، و ترتبط به بممر عرضه (١٢ مترا). و كانت قد تعرضت الى تخريبات كثيره و بخاصه فى قاعدتها و فى لوابها الاولى، حتى ان معالم القاعده كادت تزول تماما. فقامت دائره الآثار القديمه باعمال الصيانه اللازمه لها منذ سنه ١٩٣٧، فأظهرت اسس القاعده و اعادت بناءها، و عمرت اللوالب فاعادت المرقاه الى حالتها السابقه (٣). و فى سنه ١٩٧٠ شيدت سلما حديثا عند جانبها الجنوبى ليسهل عمليه الصعود اليها، و اصلحت التخريبات التى فى بدن المناره و رمت القمه،

١- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٤٩، مجله سومر المشار اليها / ١٤٤.

٢- رى سامراء / ١١٢.

٣- الآثار القديمه العامه - سامراء / ٤٥.



و نصبت سياجا حديديا حول بدن المئذنه بارتفاع مناسب ليؤمن خطرا ارتقائها(١).

و يمكن تقسيم المناره الملوويه الى ثلاثه اقسام هي: القاعده، و بدن المناره، و قمته.

تتألف القاعده من مربعين الواحد فوق الآخر و ارتفاعهما معا ٢٠ ر ٤ م و طول ضلع المربع الأسفل ٥٠ ر ٣١ م، و هناك افريز بارز بارتفاع ١٥ سم يمتد حول الجوانب الاربعه للقاعده. اما المربع الثاني فهو فوق المربع السابق مباشره و اصغر منه قليلا، و ابعاده ٦٠ ر ٢٠ م \* ٤٠ ر ٣٠ م. و جوانب القاعده مزخرفه بعدد من الحنايا المستطيله المجوفه. فهناك ست حنايا على الجانب الجنوبي المقابل للضلع الشماليه للجامع، و تسع حنايا على كل جانب من الجوانب الثلاثه الأخرى(٢).

و تتصل قاعده الملوويه بالجامع بواسطه اسس آجريه يرجح انها بقايا السلم المتخذ للصعود الى هذه القاعده. فقد كشفت الحفريات التي قام بها هرزفيلد و التحريات التي اجرتها مديريه الآثار العامه عن وجود سلم منحدر طوله ٢٥ مترا و عرضه ١٢ مترا مشيد بالآجر، يبدأ من نقطه تبعد عن جدار الواجهه الشماليه للجامع بمسافه قدرها ٢٥ ر ٢ متر ثم يأخذ ذلك المنحدر بالارتفاع حتى يتصل بالقاعده المذكوره، في نفس المكان الذي يبدأ فيه السلم الحلزوني الموصل الى اعلى المناره الملوويه(٣).

و يرتفع بدن المناره عن القاعده ب ٥٠ مترا. و تبدأ المرقاه الحلزويه التي تضمن الصعود الى القمه، من وسط الضلع الجنوبيه للقاعده و تدور حول محور المئذنه باتجاه معاكس لاتجاه

١- مجله سومر- العددان ١ و ٢ من السنه ١٩٧٠ / ٢٨١.

٢- العماره العباسيه / ١٥٩.

٣- مجله سومر المشار اليها آنفا / ٢٨٠.

دوران عقرب الساعه، خمس مرات. و هي تناقص في سعتها كلما ارتفعت، اذ انها تبدأ بعرض ٥٠ ر ٢ م و تنتهي بعرض ٩٠ ر ١. الى ان تصل باب القمه الذى يفتح هو ايضا فى وسط الضلع الجنوبيه. و يقول هرزفيلد ان السلم الحلزوني كان له سياج من الخشب، و قد استدل على ذلك من الثقوب التى رآها على الجانب الخارجى منه(١).

و تكون القمه اسطوانه يبلغ ارتفاعها سته امتار، و هي مزدانه بروازين عمياء مدببه العقده و مقعره السطح، عددها ثمان، غير ان احداها تقوم مقام باب ينفذ الى داخل الاسطوانه و يوصل الى ذروتها بواسطه سلم حلزوني يدور داخلها حول محورها(٢).

و هناك ثمانيه ثقوب فى قاعده الاسطوانه استدل منها هرزفيلد انها ربما كانت تغطى ذلك الموضع سقيفه محموله على ثمانيه اعمده خشبيه مثبتة فى تلك الثقوب. الا- ان بعض الآثاريين رجحوا ان هذه الثقوب او الحفر تعود لأعمده رخاميه باعتبار ان الرخام اكثر مقاومه للعوامل الطبيعیه. الا ان الهيئه الفنيه التى انيط بها صيانته الملوويه فى سنه ١٩٧٠ عثرت فى احد تلك الثقوب على بقايا من عمود خشبي، مما دل على ان هرزفيلد كان مصيبا فى أستنتاجه(٣).

### طراز المناره الملوويه:

امتازت مناره الجامع الكبير فى سامرا بانها طراز غريب فى نوعه، سواء من حيث شكلها و مظهرها، او طريقه ارتقائها الى اعلاها. فقد كانت المنائر حتى تاريخ انشاء الملوويه اسطوانيه فى

١- الاثار القديمه العامه- سامراء / ٤٥.

٢- نفس المصدر.

٣- مجله سومر- للعددان ١ و ٢ لسنة ١٩٧٠ / ٢٨٠.

شكلها او مربعه و يصعد اليها بسلاالم داخلية. و كلما كانت المناره مرتفعه سامقه كانت ادعى الى الجمال و الروعه. و ملويه سامرا بضخامتها و شكلها المخروطى اللولبى ليست جميله رائعه حسب، بل انها مهيبه تملأ النفس رهبه و خشوعا اضافه الى سلمها الخارجى الحلزونى، مما اكسبها ميزه واضحه على غيرها من المنائر. و من هنا كان اهتمام الأثاريين، لا سيما المعماريين منهم شديدا فى معرفه اصول هذا الطراز من المنائر، و حاولوا ان يتعرفوا على المصدر الذى اقتبسه منه معمار سامرا، فطرح عدده افتراضات لذلك، و امعن بعضها فى الغرابه حين افترض ان طراز الملويه مقتبس من معابد النار المجوسيه. و يظهر ان اصحاب هذا الافتراض تناسوا ان الدين الاسلامى انما جاء ليقضى على المجوسيه و معابدها، مما لا يمكن القول معه ان يقتبس طرازها. كما تناسوا اتصاله حضاره وادى الرافدين و عمق جذورها، و انها عرفت هذا النوع من البناء ذى السلاالم الحلزونيه الخارجيه.

فقد اقام العراقيون «الزقورات» فى جنوبى البلاد و شمالها، التى تميز جميعها بضخامتها و تعدد طوابقها و طريقه ارتقاؤها الى اعلاها. و هى نفس الصفات التى تميزت بها ملويه سامرا. لذا يصح ما قاله كريزويل بان السلم الحلزونى المستخدم فى مناره سامرا و مناره جامع ابى دلف مقتبس من الزقورات(١)، قولا مقبولا.

ان الزقورات التى شيدت فى سومر و بابل و آشور لم تكن من طراز واحد، كما انها اختلفت فيها طريقه الوصول الى قمته.

فقد اتخذت فى بعضها السلاالم الاعتياديه المتصله ببعضها بين طابق و آخر، و اتخذت فى بعضها الآخر السلم الذى يدور حول البناء عده دورات حتى يصل الى اعلاه. و كان برج بابل و زقوره خرسباد

(دور شروكين) قد اتبع فيهما الاسلوب الأخير. و يقول هيرودوتس عن برج بابل «ان حاره الاله (جوبتر- بعل) المقدسه فناء مربع طول كل ضلع من اضلاعه نصف الميل، ذو ابواب من البرنز الصلد، كانت ما تزال باقيه فى زمنى. و يقع وسط ذلك الفناء او الساحة برج ذو بناء صلد طوله ١ / ٨ الميل و عرضه ١ / ٨ الميل ايضا، اقيم فوقه برج ثان و على هذا برج ثالث، و هكذا الى البرج الثامن الأعلى. و كان الصعود الى القمه من الخارج بواسطه سلم يدور حول جميع الابراج، و عند ما يبلغ المرء منتصف المسافه فى صعوده فانه يجد موضعا للاستراحه، حيث اعتاد الناس الجلوس بعض الوقت و هم فى طريق ارتقائهم الى القمه»(١).

اما زقوره خرسباد (دور شروكين) فقد كشفت منذ ما يزيد على مائه عام على يد الباحث الفرنسى فكتور بلاس-Victor Place الذى عثر على ثلاث طوابق و بقايا طابق رابع، و لم يجد الزقوره اسطوانيه كما كان يتوقع بل وجدها مربعه الشكل طول ضلعها ١٠ ر ٤٣ مترا، و لها سلم يبدأ من الزوايه الجنوبيه و يستمر على طول الواجهه و يلتف عند الزوايه، ثم يرتفع مارا بالزوايا على التوالى حتى يجد الصاعد نفسه فى الطابق الأول فوق النقطه التى بدأ بالصعود منها و لكن على ارتفاع ١٠ ر ٦ متر، و يستمر السلم بالدوران حول البرج بعكس اتجاه دوران عقرب الساعه- كما فى ملويه سامرا- حتى يتم صعود الطوابق الثلاثه بارتفاع ١٠ ر ٦ متر لكل منها(٢). و يقول المهندس المعمارى الهولندى بوسنك-Busink احد المختصين بالموضوع ان الزقوره المذكوره تتألف من خمس طوابق فقط، و فى الطابق الخامس معبد الاله آشور، و الوصول الى هذا الطابق لم

١- مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمه / ٥٧٠.

٢- ٩٧٢: F.M.A.P. Creswell

يكن بسلم اعتيادي و انما بمنحدر حلزوني يدور حول البرج(١).

ان ما اوردناه آنفا يوضح ان طراز ملويه سامرا طراز محلي عريق توارثته الاجيال فى وادى الرافدين خلال العصور الطويله من تاريخها، بحيث لا يمكن الزعم بانه لم يكن هناك نموذج للملويه فى العراق عند ما بنيت سامرا و اسس الجامع الكبير، فى القرن الثالث، و ان المعمار الذى تولى بنائها كان خبيرا ماهرا لا تنقصه القابليه على الابتكار و التطوير فبناها على اساس دائرى و ليس مربعا، ف جاء بهذه التحفه الفنيه التى ستبقى خالده على مر العصور.

### ٥- قصور المتوكل على الله:

#### اشاره

اهتم المتوكل على الله ببناء القصور اهتماما عجيبا يثير الانتباه. فقد بنى عددا منها فى انحاء مختلفه من سامرا، و قد تفنن فى تزيينها و زخرفتها و انشاء حدائقها و بركها الجميله.

و لعله وجد فى ذلك ما يشغله و يلهيه عن مشاكل القواد الأتراك، و يحرره من ضغوطهم الماليه و الاداريه. و قد سبقت الاشاره الى سوء العلاقه بين الطرفين، و محاوله كل منهما اخضاع الطرف الآخر او الفتك به و التخلص منه. الا ان مما يؤسف له انه رغم متانه بناء تلك القصور و رصانه اسسها، لم يبق منها شىء سوى اطلال بعضها و آثار من اسسها تساعد الى حد ما على معرفه تخطيطها و مساحاتها و مواد بنائها. اما ما احتوت عليه من ريازه و تصاوير و افاريز مما يعبر عما وصل اليه الفن العمرانى فى عهد سامرا، فقد ذهب به الاهمال و عوادي الزمن، و لم يبق سوى بعض القطع و الكسر مما يعثر عليه بين الآكام، فتتخذ

وسيله للاستدلال و الاستنتاج مما لا- يمكن معه الوصول الى الحقيقه كامله. و ان ما جاء فى طيات المصادر التى ذكرت تلك القصور لا يزيد على نطف و اشارات لا تشفى الغليل، و ان ما قاله الشعراء فيها اقتصر على مدحها و التفاخر بها و ذلك فى معرض مدح الخليفه و الثناء عليه و التزلف اليه. و لا يتضمن شعرهم شيئاً عن محتوياتها او زخارفها و رسومها او اثاثها، سوى النزر اليسير.

على اننا سنحاول ان نتحرى ما جاء فى ثنايا الشعر و تلك المصادر عما كانت تضمه تلك القصور بين جدرانها من مرافق و اجنحه، و ما يحيط بها من حدائق، و ما يزينها من برك و احواض. و يمكن اعتبار كتاب الديارات للشابشتى و معجم البلدان لياقوت الحموى اغزر تلك المصادر عن القصور المذكوره.

فقد ذكرا اغلبها و اشارا الى بعض مما ذكرنا، و لم يفتهما ان يبينا مقدار ما انفق من الأموال عليها. و يقدر الشابشتى مجموع ما انفق المتوكل على الله على بناء القصور و عددها (١٩) قصرا بمائتى الف الف و اربعة و اربعة و سبعين الف الف درهم و مائه الف الف دينار (و لعلها مائه الف دينار)، و هى تعادل آنذاك ثلاثه عشر الف الف دينار و خمسمائه الف دينار و خمسه و عشرين الف دينار<sup>(١)</sup>. و يقول ياقوت الحموى ان مجموع ما انفق على ذلك هو مائتا الف الف درهم و اربعة و تسعون الف الف درهم<sup>(٢)</sup>. اما النويرى فيقول: «حكى المؤرخون انه أنفق فى بنائها مائه الف دينار و خمسون الف دينار عينا، و مائتا الف الف و ثمانيه و خمسون الف الف و خمسمائه الف درهم»<sup>(٣)</sup>.

١- الديارات / ١٥٩ - ١٦٠.

٢- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٣- نهايه الارب ١ / ٤٠٦.

و سنحاول فيما يأتى من البحث ان نلم باكثر ما جاء فى مصادرنا التراثيه عن بعض تلك القصور، و ما اسفرت عنه التنقيبات و التحقيقات الحديثه عنها.

### قصر بلكوارا:

اختلفت المصادر فى اسم هذا القصر، اذ ورد باسماء متقاربه بالفاظها. فقد سماه اليعقوبى فى (كتاب البلدان) «بلكوارا»<sup>(١)</sup>. و ورد فى الطبرى «بركوارا»<sup>(٢)</sup>. و ذكره الشابشتى باسم «بركوار» و باسم «بركوارا»<sup>(٣)</sup>. اما ياقوت الحموى فقد سماه (يزكوار) و (بركوان)<sup>(٤)</sup>. و يبدو ان هذا الاسم من الكلمات الدخيله و لذا تعدد صور رسمه و الفاظه.

و يقول الدكتور احمد سوسه ان المتوكل على الله اطلق عليه اسم «بلكوارا» الا ان بعض المؤرخين سموه بركوارا او بزكوارا<sup>(٥)</sup>.

و فسر الاستاذ عبد الحميد الدجيلى الكلمه بقوله انها فارسىه و ضبطها الصحيح «بزركوارا» اى القصر العظيم الكبير جدا، و يرى الاستاذ احمد حامد الصرواف، و هو من الادباء المتقنين للغه الفارسىه ان الاصح فى تسميته هو «بركوارا» و معناه الهانى ء او الهنى ء<sup>(٦)</sup>. و رأينا المستشرقين و الآثاريين ممن اشاروا الى هذا القصر انهم آثروا استخدام الاسم «بلكوارا» الذى ذكره اليعقوبى.

١- كتاب البلدان / ٢٦٥.

٢- الطبرى / ٩ / ٤٩٠.

٣- الديارات / ١٥٠ و ١٥٦ و ١٥٩ و ١٦٠ على التوالى.

٤- معجم البلدان / ١ / ٤١٠ و ٣ / ١٧٥ و ٥ / ٧١.

٥- رى سامراء / ١ / ١٢٥.

٦- الديارات / ٣٦٦.

لقد شيد المتوكل على الله هذا القصر فى اقصى الجنوب لمدينه سامرا فى منطقه القادسيه عملا بخطته فى توسيع عمران المدينه الى مختلف جهاتها. و تقع اطلاله اليوم على مسافه سته كيلومترات من مدينه سامراء الحاليه و يسمى موقعه «المنقور». ذكره الشابشتى فى معرض كلامه عن متنزه القادسيه فقال: «و بالقادسيه بنى المتوكل قصره المعروف ببركوار، و لما فرغ من بنائه و هبه لابنه المعتر و جعل اعذاره فيه. و كان من احسن ابنيه المتوكل و اجلها، و بلغت النفقه عليه عشرين الف الف درهم»<sup>(١)</sup>.

و اشار الى ان الايوان الذى اقيم فيه الاحتفال باعذار المعتر كان واسعا طوله مائه ذراع و عرضه خمسون ذراعا<sup>(٢)</sup>. و ذكر ان المتوكل على الله كان يتردد على هذا القصر فى المواسم و الأعياد، و يجلس فيه للشراب<sup>(٣)</sup>.

و يعتبر قصر بلكوارا القصر الوحيد من القصور التى بناها المتوكل على الله فى سامرا مما امتدت اليه ايدى الآثاريين فكشفوا لنا عن معالمه ما لم تتضمنه المصادر التراثيه. فقد نقب الاستاذ هرزفيلد فى سنه ١٩١١ فى هذه المنطقه و اكتشف اسس و معالم القصر المذكور. و قد لخص ما كتبه عنه مؤلف كتاب (العماره العباسيه فى سامرا) تلخيصا و افيا سنعتمد فى استعراضنا هذا عليه ما لم نشر الى مصدر آخر<sup>(٤)</sup>.

تشغل مباني هذا القصر مساحه واسعه من الأرض تزيد على ثلاثه امثال مدينه سامراء الحاليه عند ما كانت مسوره. و يحيط به سور مستطيل ذو ابراج طوله (١٢٥٠) مترا، يرتكز جانبه

١- نفس المصدر / ١٥٠.

٢- الديارات / ١٥٠.

٣- نفس المصدر / ١٦٠.

٤- العماره العباسيه / ١٦٥ - ١٧٠.



الجنوبى على شاطىء دجله الصخرى الذى يرتفع بمقدار خمسة عشر مترا. و له ثلاثة ابواب تقع فى منتصف الجدران الشماليه و الشرقيه و الغربيه. و يخترق البناء شارعان رئيسان متقاطعان.

و كانت الأرض تضم الى جانب القصر مجموعه من المنازل و ثكنات الحرس. و هناك حديقته واسعه خارج جدار القصر يحيط بها سور ذو دعائم يكسوه الملاط، ينتهى عند الشاطىء بسقفيات غنيه بالزخارف، و يتوسط الحديقته حوض ماء كبير. و قد انشىء الى جانب الحديقته مرفأ خاص للسفن التى يستخدمها القصر(١).

و كان للقصر مدخل رئيس كبير يتوسط جداره الشمالى الشرقى، فى منتصف ساحه مربعه عند تقاطع الشارعين. و تقسم بنايات القصر الى ثلاثة اقسام متوازيه، يحتوى القسم الأوسط منها على بوابه القصر الضخمه، و ثلاث رحبات و تسع قاعات مرتبه على شكل صليب. و تفتح غرف العرش على الرجه الثالثه كقاعات كبيره مفتوحه على النهر. و قد روعى التناسق المحورى و التشابه التام على جانبي القصر. و كانت الواجهات المطله على الرجه و الحديقته ذات ثلاثه عقود، كما هى الحال فى دار الخليفه، و يزيد العقد الأوسط منها اتساعا و ارتفاعا على العقدين الجانبيين. و خصصت القاعات ذات المداخل و الواجهات المتماثله للاجتماعات العامه. اما القاعتان الخارجيتان الواقعتان على المحور الرئيس للقصر فلهما شكل الحرف و كان ذلك مألوفاً آنذاك فى ابنيه سامرا. و تقوم حول هاتين القاعتين رحبات و غرف كثيره للسكن، بينها حمام فاخر مكسو بالرخام.

و هناك اربع مجموعات من الغرف المتشابهه، بين اذرع الصليب، يتكون كل منها من ثمانى غرف تدور حول فناء مربع

الشكل. و قد سقفت القاعات الكبيره بالخشب، او بسقوف معقوده على الأرجح. اما الغرف الصغيره فقد سقفت بعقود من الطابوق.

و شيد عدد من المساكن فى القسم الممتد بين رحبه الشرق الثالثه و الحائط المطل على النهر. اما الفضاء المجاور للرحبتين فقد كان خاليا من البناء تقريبا. و هذه البيوت يمكن اعتبارها نماذج لطراز البيوت الخاصه فى سامرا. فهى تتكون من ست عشره غرفه مجتمعهم حول فناء مستطيل الشكل، و يظهر انها كانت معده لسكنى الحرم و الخدم.

و يلاحظ عند حائط الرحبه الثالثه بقايا مسجد ذى اروقه منتظمه، و له محراب فى رواقه الجنوبي، ابعاده ١٥\* ١٣ مترا، و له صفان من الاعمده من الرخام او الخشب الساج. و كان المسجد مبني بالآجر، و لم يبق منه سوى آثار مواضع الاعمده و اسس قواعدها. كما وجدت آثار مسجد صغير آخر فى القسم الجنوبي من القصر، تبلغ ابعاده ٣٥ ر ١٠\* ٧٦ ر ٧ متر، و قد شيد باللبن، و له ثلاثه ابواب فى جداره الشمالى، و يتألف محرابه من حنيه مستديره عميقه تحيط بها انصاف اعمده مزخرفه بزخارف ذات تقوير، و هى تشكل اطارا مستطيلا للمحراب.

و يختلف القسم الشمالى من القصر فى تخطيطه، ففيه رحبات كبرى يرجح انها كانت ثكنات للحرس.

و قد تميز قصر بلكوارا بزخارفه الجصيه التى كانت تغطى مساحات كبيره من سطوح جدرانهم و سقوفهم و افاريزهم. و من طبيعهم الزخارف التى تغطى مساحات واسعه انها تعتمد على تكرار الزخرف الواحد، و لذا يقل التنوع فيها. و لقد زينت جدران بعض الغرف و سقوفها بصور مائيه مموهه بالذهب اضافه الى الزخارف الجصيه. و كانت تعلق الافاريز حنايا جداريه فى ثلاثه

صفوف، السفلى منها مربعه، و الوسطى مدببه العقد، و العليا دائريه. اما واجهه القصر ذات العقود الثلاثه فقد زينت بالفسيفساء الزجاجيه على ارضيه مذهبه.

و عملت ابواب الغرف من الخشب الجيد، و قد حفرت عليها الزخارف و النقوش الجميله المختلفه، و قد مؤه اكثرها بالذهب.

كما موهت مساميرها النحاسيه بالذهب كذلك. اما النوافذ فكانت مغطاه بالزجاج الملون بمختلف الالوان لا سيما الازرق و الأصفر الغامق و الفاتح، و الأخضر الغامق، و الأحمر القانى، و البنفسجى و الابيض الرائق.

يعد قصر بلكوارا عملا- معماريا من الطراز الاول، و لا- يعود ذلك الى سعه مساحته حسب، و انما لما اشتمل عليه من مظاهر عمرانيه غنيه، و انسجام فى مختلف اقسامه، و تخطيط قاعاته و رحبته، و تباين اشكال مداخله، و بلغ اقصى عظمته المعماريه فى واجهته ذات العقود الثلاثه المزينه بالفسيفساء. كما ان اختيار المواقع يشير الى مهاره هندسيه كبيره، و معرفه واسعه باختيار المواقع الممتازه للبناء. اذ ان الواقف فى الحجره الوسطى يرى باتجاه الشمال الغربى صفا كبيرا من القاعات و رحبات الشرف الثلاث مع بواباتها، و الحديقه و النهر، و الاراضى المتموجه الممتده الى الجزيره.

و قدر رتبت شتى العناصر المتباينه التى كان يتألف منها هذا القصر العظيم ترتيبا متناسقا فبدت جميله التركيب، روعى فى تخطيطها ان تكون واسعه النطاق على هيئه الحرف بحيث ينتهى محورها الطويل العمودى على النهر بالغرف الثلاث المعقوده فى الواجهه، و قد زينت زينه بديعه بآيات النحت و الفسيفساء(١).

و اعتبره الآثاري كريزويل من اعظم المنشآت المعماريه لكبر مساحته و ضخامه حجمه، و كثره الظواهر الفنيه المعماريه فيه(١). و يقول عنه المستشرق الالمانى بروكلمان انه اهم بناء لا تزال اسسه محفوظه لنا فى سامرا، و قد اعجب كثيرا بتخطيطه و محتوياته و ملحقاته، و بخاصه ظاهره الانسجام بينها(٢).

و لخص العالم الآثاري ارنست كونل وصف القصر بمايلى: «بناء الخليفه المتوكل لأبنه المعتز، بالقرب من سامرا، على غرار قصر الحيره. و به عدده افنيه كبيره متتابعه و عدد من قاعات العرش المتعامده، ممتده على طوله على هيئه ابهاء مكشوفه لها واجهات مؤلفه من ثلاثه عقود. و عن يمين وسطه و يساره تمتد اروقه بها عشرات من المساكن لكل منها فناء خاص. و ينتهى ذلك كله بحديقته تتجه نحو دجله ممتده الى ما وراء السور الخارجى، و بها حوض ماء و مرسى للزوارق»(٣).

### قصر الشاه و العروس:

اعتبرهما اليعقوبى من القصور التى انفق عليها المتوكل على الله اموالا- عظاما(٤). و ذكرهما الشابشتى فى جملة القصور التى انشأها المتوكل على الله(٥). و قال ياقوت الحمودى عنهما «قصران عظيمان بناهيه سامرا انفق على عماره الشاه عشرون الف الف درهم و على العروس ثلاثين الف الف درهم. ثم نقضت فى ايام المستعين و وهب نقضاتها لوزيره احمد بن الخصيب فيما

١- رى سامراء /١ /١٢٧.

٢- تاريخ الشعوب الاسلاميه ٢ / ٥٠.

٣- الفن الاسلامى / ٣٧.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩١.

٥- الديارات / ١٥٩.

وهب له»(١). كما انه ذكر قصر العروس و ما انفق عليه فى معرض بيان ما بناه المتوكل على الله من القصور(٢).

و جاء فى الاغانى «لما عقد المتوكل لولاه العهود من ولده ركب بسر من رأى ركبته لم ير احسن منها، و ركب ولاه العهود بين يديه، و الاتراك بين ايديهم اولادهم، يمشون بين يدى المتوكل بمناطق الذهب، و فى ايديهم الطبرزيينات المحلاه بالذهب. ثم نزل فى الماء فجلس فيه و الجيش معه، فى الجوانحيات و سائر السفن.

و جاء حتى نزل فى القصر الذى يقال له العروس، و اذن للناس فدخلوا اليه. فلما تكاملوا بين يديه مثل ابراهيم بن العباس بين الصفيين، فأستأذن فى الانشاد فاذن له، فقال(٣):

و لما بدا جعفر فى الخميس بين المطل و بين العروس

بدا لابسا بهما حلهازيلت بها طالعات النحوس

و لما بدا بين احبابه ولأه العهود و عز النفوس

غدا قمرا بين اقماره و شمسا مكلله بالشموس

و ذكر فى حوادث السنه (٢٣٧ هـ) فى النجوم الزاهره «و فيها كان بناء قصر العروس بسامرا، و تكمل فى هذه السنه، فبلغت النفقه عليه ثلاثين الف الف درهم»(٤).

### قصرا المختار و البديع:

ذكر اليعقوبى قصر البديع بين القصور التى بناها المتوكل على الله(٥). و ذكر الشابشتى القصرين المختار و البديع فى

١- معجم البلدان ٣/ ٣١٦.

٢- نفس المصدر/ ١٧٥.

٣- الاغانى ١٠/ ٦٤.

٤- النجوم الزاهره ٢/ ٢٩٠.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩١.

جملة قصور المتوكل على الله (١). و قال ياقوت الحموي عن قصر البديع: «اسم بناء عظيم للتوكل بسر من رأى» (٢). و قال عن قصر المختار «قصر كان بسامرا من ابنه المتوكل. ذكر ابو الحسن على بن يحيى المنجم عن ابيه، قال: أخذ المتوكل بيدي يوما و جعل يطوف الابنيه بسامرا ليختار بيتا يشرب فيه. فلما انتهى الى البيت المعروف بالمختار استحسنته و جعل يتأمله و قال لي:

هل رأيت احسن من هذا البناء؟ فقلت: يمتع الله امير المؤمنين، و تكلمت بما حضرني. و كانت فيه صور عجيبة من جمتلها صور بيعه فيها رهبان و احسنها صورته شهرار البيعه. فأمر بفرش الموضع و اصلاح المجلس. و حضر الندماء و المغنون، و اخذنا فى الشرب.

فلما انتشى فى الشرب اخذ سكيننا لطيفا و كتب على حائط البيت:

ما رأينا كبهجه المختارلا و لا مثل صور الشهار

مجلس حف بالسرور و بالترجس و الآس و الغنا و الزمار

ليس فيه عيب سوى ان ما فيه سيفنى بنازل الأقدار

فقلت: يعيد الله امير المؤمنين و دولته من هذا، و وجمنا.

فقال: شأنكم و ما فاتكم من وقتكم، و ما يقدم قولى خيرا و لا يؤخر شرا» (٣). و قال ياقوت ان النفقه على قصر المختار كانت خمسة آلاف الف درهم (٤).

و جاء فى الطبرى عن هذين القصرين ان المتوكل على الله لما امر ببناء الماحوزه، و سماها الجعفرى، امر بنقض القصر المختار

١- الديارات / ١٥٩.

٢- معجم البلدان ١ / ٣٥٩.

٣- معجم البلدان ٥ / ٧٠ - ٧١.

٤- نفس المصدر ٣ / ١٧٥.

و البديع و حمل ساجهما الى الجعفرى(١). و يقول الدكتور احمد سوسه ان الاطلائل الموجوده فى الساحة المسوره فى حلبه السباق القديمه يرجح ان تكون من بقايا قصر البديع. و دليله على ذلك ان البحترى فى احدى مدائحه الخليفه المعتر بالله اقترح عليه ان يمد فرع قناه سامرا الذى انشىء لتموين قصر الدكه بالماء. فيوصله الى قصر البديع و منه ينهيه الى دجله قرب الجوسق و ذلك فى قوله(٢):

الحقه يا خير الورى بمسيرهو امدد فضول عبايه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فانما نزلت دجله فى بناء الجوسق

و يلاحظ ان الشاعر يقصد بذكر البديع الموضع الذى كان يشغله القصر المذكور، لأنه كان قد نقض فى عهد المتوكل على الله، كما ذكرنا آنفا. ان يكون النقض قد شمل جانبا يسيرا منه و بقى القسم الرئيس للقصر ماثلا حتى عهد المعتر بالله.

### قصر الصبيح و المليح:

يفهم من قصيده للبحترى يشير فيها الى اربعة قصور من قصور المتوكل على الله، هى: الجعفرى و شيراز و الصبيح و المليح، ان قصر: لصبيح شيد بعد المليح. و انهما يقعان فى منطقه واحده، و هما متقابلان تتوسطهما بركه من الرخام الاخضر يسقيها جدول

١- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٢- رى سامراء ١ / ١٢٥.

ماء عليه دواليب يديرها النعام بدلا عن الجمال كما هو المؤلف، يقول فيها(١):

و استتم الصبيح فى خير وقت فهو مغنى انس و دار مقام

ناظر وجهه المليح فلوينطق حياه معلنا بالسلام

البسا بهجه و قابل ذا ذاك، فمن ضاحك و من بسام

كالمحبين لو اطاقا التقاء فرطا فى العناق و الالتزام

مستمد بجدول من عباب الماء كالابيض الصقيل الحسام

فاذا ما توسط البركه الخضراء القت عليه صبغ الرخام

فتراه كأنه ماء بحريخدع العين و هو ماء غمام

و الدواليب اذ يدرن و لا ناضح بهن غير النعام

ان خير القصور اصبح موهوبا بكره العدى لخير الامام

و كان مبلغ ما انفق على كل من الصبيح و المليح خمسه آلاف الف درهم(٢). مما يستدل منه انهما قصران صغيران اعدا للنزهه

و الاستراحه. و يظهر من قصيده اخرى للبحترى امتدح بها

---

١- كامل القصيده فى ديوان البحترى ٣/ ٢٠٠٤-٢٠٠٧.

٢- معجم البلدان ٣/ ١٧٥.



المتوكل على الله بعد انتهائه من بناء القصر الجعفرى فى المتوكليه فى سنه ٢٤٦ هـ، ان قصر الصبيح كان روضه بهيجه كثيره الورود.

و كنا ذكرنا بعض ابيات هذه القصيده عند الكلام عن القصر الجعفرى.

وقد ذكر الشابستى هذين القصرين بين قصور المتوكل على الله (١). كما كنا قد اشرنا فى مكان آخر الى ان هذين القصرين يرجع انهما بنيا فى المتنزه الذى انشأه المتوكل على الله فى حير الحيوانات.

### قصر البرج:

يقول اليعقوبى ان المتوكل على الله انفق على البرج الف الف و سبعمائه الف دينار (٢). و يقول ياقوت الحموى ان ما انفق عليه كان عشره آلاف الف درهم (٣). و ذكر الشابستى نفس المبلغ الذى قال به اليعقوبى (٤). و يظهر مما سنذكره من بعض اوصاف القصر ان ما ذكره اليعقوبى و الشابستى اقرب الى واقع النفقه عليه.

يصفه الشابستى بأنه «من احسن ابنيه المتوكل، فجعل فيه صوراً عظيماً من الذهب و الفضة، و بركه عظيمه جعل فرشها ظاهرها و بطانها صفائح الفضة. و جعل عليها شجره ذهب فيها كل طائر يصوت و يصفر، و كلاله بالجواهر، و سماها طوبى. و عمل له سرير من الذهب كبير عليه صورتا سبعين عظيمين، و درج عليها

١- الديارات / ١٥٩.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩١.

٣- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٤- الديارات / ١٦١.

صور السباع و النسور و غير ذلك، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما السلام. و جعل حيطان القصر من داخل و خارج ملبسه بالفسيفساء و الرخام المذهب. فبلغت النفقه على هذا القصر الف الف و سبعمائة الف دينار. و جلس فيه على السرير الذهب، و عليه ثياب الوشى المثقله. و امر الا يدخل عليه احد الا فى ثياب و شى منسوجه او ديباج ظاهره. و كان جلوسه فيه سنه تسع و ثلاثين و مائتين. ثم دعا بالطعام، و حضر الندماء و سائر المغنين و الملهين، و كل الناس. و رام النوم فما تهيأ له. فقال له الفتح: يا مولاي، ليس هذا يوم نوم. فجلس للشرب. فلما كان الليل رام النوم، فما امكنه، فدعا بدهن بنفسج، فجعل منه شيئاً على رأسه و تنشقه فلم ينفعه. فمكث ثلثه ايام بلياليها لم ينم.

ثم حم حمى حاده، فانتقل الى الهارونى قصر اخيه الواثق، فاقام به سته اشهر عليلًا و امر بهدم البرج و ضرب تلك الحلى عينا»(١).

و قد نقل النويرى طرفاً من هذا الوصف، و اضاف: و قد وصفه الشعراء فمن ذلك قول السرى(٢):

مجلس فى فناء دجله، يرتاح اليه الخليع و المستور

طائر فى الهواء، فالبرق يسرى دون اعلاه و الحمام يطير

فاذا الغيم سار، اسيل منه حلل دون جدره و ستور

١- الديارات / ١٦٠-١٦٢.

٢- نهايه الأرب ١/ ٤٠٦-٤٠٧. و السرى هو الشاعر ابو الحسن السرى ابن احمد بن السرى الكندى، الملقب بالرفاء، لانه كان فى صباه يرفو و يطرز الملابس. توفى سنه ٣٦٦ هـ و قيل سنه ٣٤٤ هـ- و فيات الاعيان ٢/ ١٠٤-١٠٥.

و اذا غارت الكواكب صبحافهو الكوكب الذى لا يغور

و قال ايضا:

منزل كالربيع حلت عليه حالبات السحاب عقد النطاق

يمتع العين فى طرائف حسن تتحامى بها عن الاطراق

بين ساج كأنه ذائب التبر مثل ذائب الأوراق

و يظهر من هذا الوصف ان قصر البرج كان عظيم الارتفاع، يناطح الغيم: ناصع البياض يغالب بياضه ضوء الشمس، و انه كان متعه للناظرين. و يوحى هذا الوصف ان القصر بقى عامرا شامخا حتى اواخر مقام الخلافة بسامرا و بعدها لعدده عقود من السنين بحيث ادركه الشاعر السرى و وصفه بشعره المذكور. و قد اشار الشابشتى الى ان المتوكل على الله امر بهدمه فى اواسط عهده بالخلافه. الا ان يكون الهدم قد اهمل فى حينه بالنظر لجمال القصر و روائه، او ان الهدم اقتصر على قسم منه.

### القصور الاخرى:

و هناك قصور اخرى شيدها المتوكل على الله، الا- ان ما جاء عنها فى المصادر ليس فيه ما يستحق الذكر سوى نسبه تلك القصور الى الخليفة المذكور، و ذكر المبالغ التى أنفقت عليها. و قد يرد فى بعضها معلومات قليلة جدا عنها. و من هذه القصور مما اتفق على ذكرها الشابشتى و ياقوت الحموى ما يأتي(١):

البهو: و قد انفق على تشييده خمسه و عشرون الف الف درهم، و لم يذكر شيئا عن موضعه و تاريخ انشائه. و يبدو انه كان فخما فسيحا لارتفاع كلفته.

الجعفرى المحدث: بلغت النفقه عليه عشره آلاف الف درهم.

و قد ذكره الطبرى فى احداث سنه ٢٤٨ هـ، و ذلك عند ما سكنه المنتصر بالله الذى أثر ترك المتوكليه و العوده الى سامرا، و فيه كانت وفاته(١).

شيراز: انفق عليه عشره آلاف الف درهم. و ذكره الشابشتى باسم «السندان».

الغريب: بلغت النفقه عليه عشره آلاف الف درهم.

قصر بستان الايتاخيه: انفق على تشييده عشره آلاف الف درهم. و سماه الشابشتى «القصر». و قد يكون هو احد القصور التى ذكرها اليعقوبى ان عندها ينتهى شارع ابى احمد فى قطيعه القائد ايتاخ(٢).

القلائد: ذكره ياقوت الحموى و قال ان المتوكل على الله انفق عليه خمسين الف دينار، ثم جعل فيه ابنه بمائه الف دينار. و ذكره الشابشتى باسم «القلايه».

الجوسق: كان المعتمصم بالله شيد قصرا كبيرا لسكناه على دجله جنوبى دار العامه و سماه الجوسق الخاقانى. و قد اشرنا اليه و الى اهميته فى تاريخ سامرا. و بنى المتوكل على الله قصرا بنفس الاسم انفق عليه خمسمائه الف درهم(٣). و يظهر من ضآله المبلغ الذى انفق على بنائه اذا ما قورن بما انفق على القصور الاخرى التى

١- الطبرى ٩/ ٢٣٧ و ٢٤٤ و ٢٥٤.

٢- كتاب البلدان ٢٦١-٢٦٢.

٣- معجم البلدان ٣/ ١٧٥.

بناها الخليفة المذكور، انه لم يكن قصرا فخما قائما بذاته، بل ربما كان جناحا ملحقا بالجوسق الخاقاني فسمى باسمه.

وقد سبق للمتوكل على الله لما نزل في اول خلافته في القصر الهاروني انه بنى فيه ابنيه جديده. فمدحه الشاعر على بن الجهم و وصف بعض معالم هذا القصر بما يوحي كأن المتوكل على الله هو الذى بناه، بقصيده منها قوله (١):

ما زلت اسمع ان الملوک تبني على قدر اخطارها

و اعلم ان عقول الرجال يقضى عليها بآثارها

فللروم ما شاده الاولون و للفرس مأثور احرارها

فلما رأينا بناء الأمام رأينا الخلافه فى دارها

بدائع لم ترها فارس و لا الروم فى طول اعمارها

صحون تسافر فيها العيون و تحسر عن بعد اقطارها

و قبه ملك كأن النجوم تفضى اليها باسرارها

لها شرفات كان الربيع كساها الرياض بانوارها

نظمن الفسيفس نظم الحلى لعون النساء و ابكارها

فيضن كمصباحات برزن بفصح النصارى و افطارها

فمنهن عاقصه شعرها و مصلحه عقد زنارها

و سطح على شاهق مشرف عليه النخيل بأثمارها

و فواره ثأرها فى السماء فليست تقصر عن ثأرها

ترد على الحزن ما انزلت على الارض من صوب مدرارها (٢)

١- كامل القصيده فى ديوان على بن الجهم / ٢٨ - ٣٠، و يقول ياقوت انه قالها فى القصر الجعفرى - معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٢- ورد هذا البيت ببعض الاختلاف فى «عيون الاخبار» ١ / ٣١٣.

فلا زالت الارض معمور هبعمر ك يا خير عمارها

يتضح من بعض ابيات هذه القصيده ان بناء القصر الهاروني كان مبتكرا في طرازه فاق ما يعرفه الروم و الفرس من طرز البناء.

و انه واسع الصحون فسيح الابهاء، تعلوه قبه تناهز النجوم بارتفاعها، و قد سبقت الاشاره اليها، و له شرفات تزين جدرانها زخارف الفسيفساء و فيها صور الازهار، و صور النساء من النصارى و هن بهيئات مختلفه من عاقصه شعرها، و مصلحه عقد زناها. كما يظهر ان المتوكل على الله اضاف الى القصر نافوره ماء، فأشاد الشاعر بقوه دفعها الماء حتى لترد المطر الساقط من السماء. كما اشاد باهتمام الخليفه بالعمران و انه فاق غيره من الخلفاء في ذلك. و قد اشاد الشاعر نفسه بالبركه التي توسطتها الفواره المذكوره، و ان المتوكل هو الذى انشأها في هذا القصر، بقصيده اخرى منها(١):

انشأتها بركه مبار كهفبارك الله في عواقبها

حفت بما تشتهى النفوس لهاو حارت الناس في عجائبها

لم يخلق الله مثلها و طنا في مشرق الارض و مغاربها

كأنها و الرياض محدقهبها عروس تجلى لخاطبها

من اى اقطارها اتيت رأيت الحسن حيران في جوانبها

للموج فيها تلاطم عجب و الجزر و المد في مشاربها

الوحيد و التل و الجامع: انفرد ياقوت الحموى بذكر القصر «الوحيد» و قال ان المتوكل على الله انفق عليه الفى الف درهم.

و يظهر من قله كلفته انه كان دارا صغيره للاستراحه. و «قصر التل» الذى انفق عليه خمسه الاف الف درهم. و هناك من يرجح

ان آثار البنايه التى كشفت عنها تنقيبات هرزفيلد فى قمه تل العليق قد تكون هى أطلال هذا القصر (١).  
كما ان فرد الشابشتى بذكر قصر اسمه «الجامع» الا انه لم يبين موضعه و لا المبالغ التى انفقت عليه.

### الغرد:

و من القصور التى ذكرها ياقوت الحموى قصر «الغرد» و قال عنه «هو بناء للمتوكل بسر من رأى فى دجله انفق عليه الفى الف درهم، و لم يصح لى انا ضبطه و ما اظنه الا الغرد، و الله اعلم» (٢).

و قد ذكر البحترى هذا القصر فى قصيدتين امتدح بهما المتوكل على الله، فقد قال فى احدهما (٣):

أحسن بدجله منظرا و مخيماو الغرد فى اكتاف دجله منزلا

خضل الفناء متى وطئت ترابه قلت: الغمام انهل فيه فاسبلا

حشدت له الامواج فضل دوافع أعجلن دو لابه ان يتمهلا

تبيض نقيته و يسطع نوره حتى تكل العين فيه و تتكلا

كالكوكب الدرى اخلص ضوءه حلك الدجى حتى تألق و انجلى

١- رى سامراء ١/ ١١٩.

٢- معجم البلدان ٤/ ١٩٢-١٩٣.

٣- ديوان البحترى ٣/ ١٦٥١-١٦٥٤.

رفدت جوانبه القباب ميامناو مياسرا و سفلن عنه و اعتلى

فتخاله و تخالهن ازاءه ملكا تدين له الملوك ممثلا

و على اعاليه رقيب ما ينى كلفا بتصريف الرياح مو كلا

من حيث دارت يطلب وجههافعل المقاتل جال ثم استقبلا

بدع لبدع فى السماحه ما ترى من امره الا عجيبا مجذلا

و يفهم مما جاء فى هذه الأبيات ان بنايه الغرد كانت مرتفعه جدا بحيث انها تعلو على ما جاورها من المباني، و انها كان فى اعلاها ما يشير الى اتجاه الرياح، مما اعتبره الشاعر من الاعمال المبتكره العجيبه.

و جاء ذكر «الغرد» فى قصيده اخرى للبحترى امتدح بها المتوكل على الله عند ما عقد الصلح مع بنى تغلب، و منها قوله(١):

تؤم القصور البيض من ارض بابل بحيث تلاقى (غردها) و (بديعها)



إذا اشرق البرج المطل رمينه بأبصار خوص قد أرثت قطوعها

و فيها يصف الشاعر الأبل التي كدها السير و هي تنظر باعين غائره الى هذه القصور السامقه. و يبدو ان القصور الثلاثه، الغرد و البديع و البرج كانت متقاربه من بعضها.

\*\*\*

## الفصل الرابع تأسيس مدينة المتوكليه (الجعفرية)

### ١- تأسيس المدينة:

كان اضخم اعمال المتوكل على الله العمرانيه تأسيسه مدينة جديده سميت باسمه. فقد بذل اول امره جهودا كبيره فى توسيع مدينة سامرا و تحسينها و اىصال الماء اليها، و انفق على ذلك اموالا طائله، ليجعل منها اجمل مدينة تليق بأن تكون عاصمه الدوله العربيه المتراميه الاطراف. و لكن سامرا، مع ما اقامه فيها من منشآت عمرانيه و مشاريع اروائيه، لم تشبع طموحه، بل انها ضاقت باحلامه و رغباته. فراح يفكر فى انشاء مدينة جديده يشرف على تخطيطها و بنائها وفق ما يطمح اليه من شوارع عريضه مستقيمه، و قصور فخمه جليله، و حدائق غناء و متنزهات جميله، و مبان واسعه لدواوين الدوله. و استولت عليه رغبه ملحه فى ان تنسب اليه المدينه ليخلد بها اسمه. فأمر محمد بن موسى المنجم و من يحضر بابه غيره من المهندسين ان يختاروا موضعا صالحا لانشاء مدينه خاصه به بالمواصفات التى يريدونها. فوقع اختيارهم على موضع يقع شمال مدينه سامرا، بينها و بين تكريت، يقال له الماحوزه<sup>(١)</sup>،

---

١- كذا سماها يعقوبى و الطبرى و البلاذرى، الا ان المسعودى و ابن الاثير يسميانها «الماخوره»- كتاب البلدان / ٢٦٦، و الطبرى ٢١٢ / ٩، و فتوح البلدان، ٢٩٥، و مروج الذهب ١٣٠ / ٤، و الكامل ٨٧ / ٧.

على بعد عشرين كيلومترا تقريبا من سامراء الحاليه(١). و قالوا له ان المعتصم قد رأى ان يبنى هنا مدينه و يحفر نهرا كان فى الدهر القديم(٢)، فلقى ذلك هوى فى نفسه. و يظهر انه فضل هذا الموضع لأنه يمتد على ضفاف دجله مثل مدينه سامراء، و ان فيه نهرا مندرسا يسد حاجه المدينه الجديده و منشآتها من المياه اذا ما اعيد حفره.

و قد ايد المهندسون صلاحيه المنطقه للبناء، و ان من الممكن احياء النهر المذكور اذا ما توفرت النفقات اللازمه لذلك، و كانوا قدروا النفقه على احيائه بالف الف و خمسمائه الف دينار(٣). و مع جسامه المبلغ فقد رضى المتوكل على الله و طاب نفسا و أمر بالمباشره بحفره بنفس الوقت الذى بوشر فيه بتخطيط المدينه و البناء فيها.

و قد حدد البلاذرى موضع المدينه بقوله «ثم انه احدث مدينه سماها المتوكليه و عمرها و اقام بها و اقطع الناس فيها القطائع، و جعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز و القاطول، فدخلت الدور و القرية المعروفه بالمحوزه فيها، و بنى بها مسجدا جامعاً(٤).

كانت اعمال تأسيس المدينه و بنائها بدأت مع البدء بحفر النهر، فكان لا بد من توفير المياه اللازمه لأعمال البناء، و لذا امر المتوكل على الله بانشاء كهريز يستمد مياهه من نهر دجله بالقرب من تكريت و يحملها الى موقع المدينه الجديده على شاكله قناه سامراء التى سبق ان انشئت لأىصال المياه الى سامراء و كانت قناه جوفيه، و يمكن تتبع آثار هذا الكهريز على طول المسافه من صدره حتى

١- رى سامراء ٢/ ٣١٥.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٦.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٦. و فى الطبرى ٩ / ٢١٢ ان ما قدر من النفقه كان مائتى الف دينار.

٤- فتوح البلدان / ٢٩٥- ٢٩٦.

مدينة المتوكليه. فهو يبدأ من دجله بالقرب من تلول هطره، ثم يسير بموازاه قناه سامرا «قناه المتوكل» فيخترق الدور، و يتابع سيره الى جانب كهريزي القناه المذكوره حتى يصل امام قنطره الرصاص التي على القاطول الاعلى، فينحرف نحو الغرب. و بعد ان يقطع قناه سامرا و القاطول يتجه نحو مدينة المتوكليه. و لا تزال شبكه الكهاريز التي كانت تتفرع من الكهريز المذكور ماثله يمكن مشاهدتها في عده امكنه داخل اطلال مدينة المتوكليه(١). و كان ذلك ضروريا لتعذر نقل كميات المياه المطلوبه للبناء من نهر دجله على ظهور الحيوانات.

و قد عين المهندسون مواضع قصور الخليفه، و دار الخلافه و الدواوين الرسميه، و المناطق السكنيه، و قطائع القواد و الجند.

و وضعوا التفصيلات اللازمه لعمرانها، و جىء بالعمال و البنائين، و قام العمل على قدم و ساق لانجاز المدينه بأقصر وقت ممكن. و مدوا الشارع الأعظم من دار اشناس التي بالكرخ، و كانت قد صارت للفتح بن خاقان، مسافه ثلاثه فراسخ شمالا، و جعلوا عرضه في مدينه المتوكليه مائتي ذراع، و قدروا ان يحفر على جانبيه جدولان يجرى فيهما الماء من النهر الكبير الذي بوشر بحفره. و اقطع الخليفه و لاه عهوده الثلاثه و سائر اولاده، و قواده و كتابه و جنده، و سائر الناس كافه، عن يمين الشارع الاعظم و عن يساره، و جعل الاسواق الكبيره في موضع منعزل، كما جعل في كل مربعه و قطيعه سوقا خاصا بها(٢). و قد بدأ العمل في بناء المدينه في سنه ٢٤٥ هـ.

و تميز الشارع الأعظم بطوله و استقامته، و لا سيما بعد ان امتد الى آخر مدينه المتوكليه و ضوعف عرضه. اذ بعد ان يترك سور

١- رى سامراء ٢ / ٣٤٠ - ٣٤٢.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٦ - ٢٦٧.

اشناس يتجه شمالا مسافه كيلومترين تقريبا ثم ينعطف نحو الغرب قليلا فيسير باتجاه مستقيم بين نهر دجله و القاطول الاعلى، و بعد ان يسير مسافه كيلومتر واحد تقريبا يتضاعف عرضه الى مائتى ذراع، و يستمر فى نفس الاتجاه مسافه سته كيلومترات و نصف الكيلومتر تقريبا فيجتاز السور الذى يفصل بلاط الخليفه و قصوره و دواوين الدوله عن بقية المدينه، فيعود الى عرضه السابق حتى يصل الى نهايه المدينه. (١) و واضح ان هذه المنطقه من المدينه يقل فيها الزحام، و تتطلب الهدوء، و لذا فلا تحتاج الى ذلك الشارع العريض. و يبلغ طول الشارع الاعظم فى داخل مدينه المتوكليه حوالى اثنى عشر كيلومترا و نصف الكيلومتر (٢).

و يظهر ان تصميم مدينه المتوكليه وضع على اساس تقسيمها الى ثلاثه اقسام: اولها القسم الجنوبى منها و يعرف باسم دور عربايا او الدور العربانى، و قد خصص لسكنى الناس بصوره عامه و كانت شوارعه الفرعيه مستقيمه و متوازيه، و يخترق الشارع الأعظم هذا القسم من المدينه من الجنوب الى الشمال، و كان يعرف بالشارع الغربى، و الى شرقيه شارع آخر هو امتداد لشارع ابى احمد فى سامراء، و كان يسمى بالشارع الشرقى. و خصص القسم الممتد على ضفاف دجله من هذا الجزء من المدينه الى الفتح بن خاقان و ابراهيم بن رباح. و قد سبق ان اشرنا الى ان دار اشناس و قطيعته قد صارت الى الفتح بن خاقان (٣).

و القسم الثانى هو القسم الوسطى من المدينه و قد خصص لقطاع القواد و اصحابهم، فكان لكل قائد قصر خاص يطل على دجله، و تمتد قطيعته التى تنتشر فيها مساكن اتباعه من الجند،

١- كتاب البلدان / ٢٦٦، و الطبرى ٢١٢ / ٩، و الكامل ٨٧ / ٧.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٦ و رى سامراء ٣٣٩ / ٢.

٣- رى سامراء ٢ / ٦٢٤ - ٦٢٥.

شرقى قصره، فتخترق الشارع الأعظم و شارع ابى احمد حتى تنتهى الى ضفه القاطول الاعلى. و فى هذا الجزء من المدينه يتسع عرض الشارع الأعظم الى مائتى ذراع، و تتفرع من جانبه شوارع فرعيه بزوايا قائمه، تنتهى الغربيه منها الى ضفاف نهر دجله، و تنتهى الشرقيه الى ضفاف القاطول الاعلى. و شيد فى شمالى هذا القسم جامع المدينه المعروف باسم جامع ابى دلف و منذنته الملويه. و ينتهى القسم الوسطى من المدينه شمالى الجامع بقليل حيث يبدأ القسم الثالث منها، و هو القسم الشمالى الذى خصص لدار الخلافه و دواوين الدوله و قصور المتوكل على الله، و يفصله عن بقية اجزاء المدينه سور يمتد بين ضفه القاطول الأعلى و نهر دجله و له ثلاثه ابواب عظام جليله يدخل منها الفارس برمحه(١). بحيث كانت هذه المنطقه معزوله تماما عن المدينه.

و قد روعيت حمايه هذا القسم و عزلته فقد كان يحده من الشمال و الشرق نهر القاطول الاعلى، و من الغرب نهر دجله و من الجنوب السور الذى مر ذكره. و لا سبيل للوصول الى هذا القسم من غير الابواب الثلاثه الماره الذكر. كما يلاحظ ان دار الخلافه و دواوين الدوله و قصور الخليفه قد احيطت هى الاخرى بسور خاص بها يبلغ طوله اربعه كيلومترات و نصف kilometre تقريبا. و قد تركت بين السور الفاصل بين القسمين الوسطى و الشمالى، و القسم الخاص بدار الخلافه و الدواوين مساحات واسعه نظمت فيها حدائق و بساتين يخترقها شارعان يؤديان الى دار الخلافه و دواوين الدوله(٢).

و كان المتوكل على الله يتفقد بنفسه سير العمل فى بناء مدينته، و فى حفر النهر، فمن رآه من العاملين قد جد فى البناء

١- كتاب البلدان / ٢٦٦.

٢- رى سامراء ٢ / ٦٢٥ - ٦٢٧.

اجازته و اعطاه، فجد الناس و نشطوا للعمل<sup>(١)</sup>، و بلغ من حرصه على متابعه العمل و الاسراع فى انجازه انه انتقل الى قريه المحمديه ليكون قريبا من الماحوزه ليسهل عليه الاشراف على ذلك<sup>(٢)</sup>.

و المحمديه قريه قريه من الماحوزه كانت تعرف بالايثاخييه نسبة الى القائد التركى ايتاخ، و سماها المتوكل على الله المحمديه باسم اكبر ابنائه محمد المنتصر، و كانت تعرف قبل انشاء سامرا بدير ابي الصفره، و هم قوم من الخوارج<sup>(٣)</sup>. و يرجح ان تسميتها بالمحمديه كانت بعد ان تمكن من القائد المذكور و قتله. و يتبادر الى الذهن ان اقامه المتوكل على الله فى المحمديه، ربما كانت وسيله للتخلص من معاكسه القواد الاتراك له فى سامرا و الابتعاد عن مشاكلهم العديده معه.

لقد ارتفع البنيان فى خلال مده تزيد على السنه، اذ بنيت القصور و شيدت الدور. و سمي المتوكل على الله المدينه الجديده «الجعفريه» نسبة اليه، الا انه كان هو و خاصه اصحابه يسمونها «المتوكليه»<sup>(٤)</sup>. و كان البناء قد اتصل منها الى الدور ثم الكرخ و سامرا حتى اسفل المطيره، حيث شيد قصر المعتز بن المتوكل على الله، و لم يبق بين ذلك مكان لا عماره فيه، و كان مقدار ذلك سبعة فراسخ<sup>(٥)</sup>.

و انتقل المتوكل على الله الى قصور هذه المدينه فى اول يوم من المحرم من سنه ٢٤٧ هـ. فلما جلس اجاز الناس بالجوائز السنيه و وصلهم، و اعطى جميع القواد و الكتاب، و من تولى عملا- و ساهم فى تأسيس المدينه، و تكامل له السرور حتى قال: «الآن علمت انى

١- كتاب البلدان / ٢٦٦.

٢- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٣- معجم البلدان ٥ / ٦٥.

٤- كتاب البلدان / ٢٦٦، و الطبرى ٩ / ٢١٢، و الكامل ٧ / ٨٧.

٥- كتاب البلدان / ٢٦٦ - ٢٦٧.

ملك اذ بنيت لنفسى مدينه سكتتها»(١). و اقام فيه احتفالا- جمع فيه القراء، و احضر اصحاب الملاهي، و وهبهم اكثر من الفى الف درهم(٢).

و امر الخليفه بان تنقل دواوين الدوله من سامرا الى الجعفرية، فنقل ديوان الخراج و ديوان الضياع و ديوان الزمام و ديوان الجند و الشاكريه و ديوان الموالى و الغلمان و ديوان البريد، و جميع الدواوين الاخرى(٣). و من الطبيعى ان ينتقل الى العاصمه الجديده حاشيه الخليفه و ندماءه و مستشاروه، و رجال الدوله و موظفوها، و كل من له علاقه بمؤسساتها و دواوينها المختلفه.

كما انتقل اليها العديد من الناس اقتداء بالخليفه و رغبه فى التجديد. و يقول ياقوت الحموى: «و لما انتقل المتوكل من سامراء الى الجعفرية انتقل معه عامه اهل سامراء حتى كادت تخلو، فقال فى ذلك ابو على البصير هذه الأبيات»(٤)، منها قوله:

ان الحقيقه غير ما يتوهم فاختر لنفسك أى امر تعزم

أ تكون فى القوم الذين تأخروا عن خطهم ام فى الذين تقدموا

لا تقعدن تلوم نفسك، حين لا يجدى عليك تلوم و تندم

أضحى قفارا سر من را ما بها الا لمنقطع به متلوم

تبكى بظاهر وحشه و كأنها ان لم تكن تبكى بعين تسجم

رحل الامام فاصبحت، و كانها عرصات مكه حين يمضى الموسم

١- نفس المصدر / ٢٦٧.

٢- الطبرى ٩ / ٢١٢، و الكامل ٧ / ٨٧.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٧.

٤- معجم البلدان ٢ / ١٤٣ - ١٤٤.



و كأنما تلك الشوارع بعض ماأخلت اباد من البلاد و جرهم

كانت معادا للعيون، فأصبحت عظه و معتبرا لمن يتوسم

فارحل الى الارض التي يحتلهاخير البريه، ان ذاك الأحزم

و انزل مجاوره باكرم منزل و تيمم الجهه التي يتيمم

ارض تسالم صيفها و شتاؤها بالجسم بينهما يصح و يسقم

و من اشهر ما قيل من الشعر فى مدينه المتوكليه ما قاله الشاعر البحرى يمتدح المتوكل على الله و يشيد بالمدينه الجديده. فقد

قال فى ذلك قصيده منها(١):

يهنيك فى المتوكليه أنهاحسن المصيف بها، و طاب المربع

فيحاء مشرقه يرق نسيمهايث تدرجها الرياح و اجرع

و فسيحه الاكفاف ضاعف حسنهابر لها مفضى و بحر مترع

قد سر فيها الاولياء اذ التقوا ببناء منبرها الجديد فجمعوا

فارفع بدار الضرب باقى ذكرها ان الرفيع محله من ترفع

و من قوله فى قصيده اخرى(١):

ارى المتوكليه قد تعالت محاسنها، و اكملت التماما

قصور كالكواكب لامعات يكدن يرضن للساى الظلاما

وبر مثل برد الوشى فيه جنى الحوذان ينثر و الخزامى

اذا برز الربيع له كسته غواذى المزن و الريح النعامى

غرائب من فنون النبت فيها جنى الزهر الفرادى و التواما

تضاحكها الضحى طورا و طوراعليها الغيث ينسجم انسجاما

عند ما انتقل المتوكل على الله الى عاصمته الجديده كان الخلاف بينه و بين القواد الاتراك قد بلغ درجه خطيره. و مما زاد فى خطوره هذا الخلاف ان ولى العهد محمد المنتصر انضم الى معارضى ابيه. و بلغ الخلاف بين الجانبين ان بات كل جانب منهما يتربص بالجانب الآخر و يعمل على التخلص منه. و سرعان ما نجح الجانب التركى فى تدبير مؤامره اغتيل فيها الخليفه، و لم يكن قد مضى على انتقاله الى المتوكليه سوى تسعه اشهر و ثلاثه ايام. اذ قتل ليله الاربعاء لأربع خلون من شوال سنه ٢٤٧ هـ (٢).

١- ديوان البحترى - طبعه بيروت، ١/ ٣٧ - ٣٩.

٢- الطبرى ٩/ ٢٣٠، و تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٢، و مروج الذهب ٤/ ١١٨.

و تولى الخلافة محمد المنتصر، فلم يلبث فى المتوكليه سوى ايام قليله ثم انتقل الى سامرا، و امر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزه و ان يهدموا المنازل و يحملوا النقص الى سامرا. فانتقل الناس، و خربت قصور مدينه المتوكليه و منازلها و مساكنها و اسواقها فى اسرع مده بحيث صار موضعها موحشا لا- انيس فيه، كأنه لم يعمر و لم يسكن من قبل(١). و يقول البلاذرى ان المنتصر انتقل الى سامرا يوم الثلاثاء لعشر خلون من شوال(٢). اما المسعودى فيرى ان مقام المنتصر بالله بعد ابيه فى الماحوزه سبعة ايام ثم انتقل منه و امر بتخريب المدينه(٣). بينما يرى الطبرى ان اقامته كانت عشره ايام ثم تحول بعياله و قواده و جنوده الى سامرا(٤).

تقع اطلال مدينه المتوكليه على ضفاف نهر دجله، على بعد عشره كيلومترات من الحدود الشماليه لسامرا. و لا تزال آثار السور العظيم الذى كان يحيط بدار الخلافة و الدواوين و قصور الخليفه و الذى يربو طوله على اربعة كيلومترات و نصف kilometre مائله للعيان. و تبلغ مساحه الأرض التى كانت تشغلها هذه المباني (٥٤٠) دونما. كما ان هناك آثار سور آخر يقع جنوبى السور السابق، و كان يمتد بين ضفه نهر دجله و الضفه اليمنى لنهر القاطول و يفصل دار الخلافة و الدواوين و قصور الخليفه عن بقية المتوكليه كما اشرنا آنفا(٥). و لعدم القيام بالتنقيب فى اطلال المدينه خلا ما قامت به مديرية الآثار القديمه العامه من التنقيب المحدود فى اطلال بعض الدور السكنيه، فلم تتوفر معلومات كافيه واضحه

١- كتاب البلدان / ٢٦٧.

٢- فتوح البلدان / ٢٩٦.

٣- مروج الذهب / ٤ / ١٣٠.

٤- الطبرى / ٩ / ٢٣٤.

٥- رى سامراء / ١ / ١٢٩.

عن المدينة. و كان هز زفيلد قد القى نظره خاطفه على هذه المنطقه من سامرا دون ان ينقب فيها كما سنذكر فيما بعد عند الكلام عن القصر الجعفرى.

## ٢- النهر الجعفرى:

فى الوقت الذى كان فيه العمال منهمكين فى انجاز مبانى و منشآت المدينة المتوكليه فى الماحوزه كان عدد كبير جدا من عمال الحفر منهمكين ايضا فى حفر النهر الذى سيوصل المياه الى المدينة الجديده. فقد عهد الخليفه المتوكل على الله الى دليل بن يعقوب النصرانى كاتب القائد بغا الكبير، بأمر الاشراف على حفر النهر المذكور الذى اطلق عليه اسم الخليفه جعفر المتوكل على الله فسمى النهر الجعفرى. و قد استخدم فى حفره اثنى عشر الف رجل، و لم يزل دليل يحمل المال اجورا للعمال و للنفقات الاخرى مما يستلزمه العمل (١).

يتفرع النهر الجعفرى من الضفه الغربيه لنهر دجله من موضع يقع شمالى تكريت بما يقرب من ٣٨ كيلومترا، و يسير موازيا لدجله مسافه ٢٠ كم تقريبا، فيتجه نحو الشرق مبتعدا عن دجله و بعد ان يجتاز الدور (دور تكريت) يصل الى تل اصطناعى يسمى «تل البنات» و هو تل كبير ينقسم عنده النهر المذكور الى فرعين يحيطان بالتل. ثم يعود الفرعان بعده للالتقاء ثانيه، فيسير النهر مقتربا من دجله حتى يصل القاطول الاعلى عند قنطره الرصاصى الواقعه على مسافه ٥ ر ٧ كلم من صدر القاطول، و هنا يتشعب الجعفرى الى ثلاثه فروع، فيعبر فرعان منه نهر القاطول، يعبر احدهما على عباره فوق القنطره المذكوره، و يعبر الفرع

الآخر على عباره اخرى شمالي العباره السابقه، و يصب الفرع الثالث فى نهر القاطول. و بعد ان يعبر الفرعان ينتهيان الى حوض كبير انشىء فى ضفه القاطول اليمنى لتتجمع فيه مياههما. ثم تتشعب من الحوض عدده جداول يمتد احدها الى مدينه المتوكليه، و يوصل الآخر المياه الى السواقى التى حفرت على جانبى الشارع الأعظم، و يمتد جدول ثالث الى القصر الجعفرى ليزود بركته الواسعه بالمياه. و يبلغ طول النهر الجعفرى من مبدئه حتى البركه حوالى ٦٣ كلم (١).

و كانت العباره التى انشئت على قنطره الرصاصى لعبور فرع النهر الجعفرى تستعمل بنفس الوقت جسرا لعبور الناس و الدواب ايضا. و يرجح ان الجعفرى كان يجرى وسط العباره، و على جانبيه ممران للسابله و الحيوانات، و يظهر ان العباره بقيت تستخدم جسرا للعبور بعد ان اهمل النهر الجعفرى. و كانت العباره الشماليه اصغر و تقتصر على عبور فرع الجعفرى عليها. و يلاحظ من الآثار المتبقيه لقنطره الرصاصى الأصلية انها كانت تتألف من ثلاث دعامات و ان مجرى النهر كان يمر من تحت القنطره بفتحتين معقودتين بطاقتين ضخمين، عرض كل فتحه عشره امتار. و يبلغ طول البناء الذى يشتمل على الفتحتين و الدعامات الثلاث تسعا و عشرين مترا، و قد قلع هذا البناء من اساسه لاستخراج الرصاص من احجاره (٢).

و هناك اختلاف فى روايات المؤرخين عن النهر الجعفرى، فبعضهم يقول انه لم يتم حفره، و بعضهم يرى أنه تم انجازه الا ان الماء لم يجر فيه بالشكل المطلوب. يقول الطبرى ان المتوكل على

١- رى سامراء ٢ / ٣١٩ - ٣٢١.

٢- نفس المصدر / ٣٣٤ - ٣٣٦.

اللّه قتل فبطل العمل فى النهر و اخرجت الجعفرىه و نقضت و لم يتم امر النهر(١). و يقول اليعقوبى ان النهر لم يتم امره و لم يجر فيه الماء الا- جريا ضعيفا لم يكن له اتصال و لا- استقامه رغم انه انفق عليه قرابه الف الف دينار، و هو يعزو صعوبه حفره الى صلابه الأرض و طبيعتها المتكونه من الحصى و الانهار مما لا تعمل فيه المعاول الا بصعوبه بالغه(٢). اما ابن الأثير فيقول ان المتوكل على الله حفر للمدينه نهرا، و قتل فبطل حفر النهر و اخرجت المدينه(٣). و يلاحظ من هذه الروايات ان الطبرى و ابن الأثير يتفقان فى ان النهر لم يتم حفره لموت المتوكل على الله، بينما يفهم من روايه اليعقوبى ان حفر النهر لم يتم كما يجب، اى ان حفره كان فاشلا بسبب صلابه الأرض و لذا فقد كان جريان الماء فيه ضعيفا متقطعا.

و يظهر من روايه اوردها احمد بن يوسف الكاتب عن مشروع هذا النهر ان ما ذهب اليه اليعقوبى اقرب الى الصواب. و خلاصه ما يقوله: ان المتوكل على الله طلب الى محمد و احمد ابني موسى بن شاكر، و هما من المتقدمين فى علم الرياضه و الهيئه و حركات النجوم و الحيل، ان يتوليا حفر النهر الجعفرى. فكلفا احمد بن كثير الفرغانى، و هو مهندس كان قد عمل المقياس الجديد لنهر النيل بمصر فى سنه ٢٤٧ هـ «فغلط فى فوهه النهر و جعلها اخفض من سائره، فصار ما يغمر الفوهه لا يغمر سائره» فلما علم المتوكل كلف المهندس سند بن على بأن يتحرى امر النهر المذكور و يبين له ما اذا كان هناك خطأ ارتكب فيه لكى يعاقب الاخوين ابني موسى بن شاكر.

١- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٧.

٣- الكامل ٧ / ٨٧.

و كان قد سبق للأخوين المذكورين ان اساء الى سند بن على بأن سعيًا به لدى المتوكل على الله و باعداه عنه. كما كانا قد دبرا على الكندى العالم الفيلسوف عند المتوكل على الله فغضب عليه، فتوجهها الى داره و استوليا على مكتبته. و لذا فقد توسلا الى سند بن على ان يتستر على عيوب النهر و الاخطاء التى ارتكبت فى تخطيطه و حفره. فاشترط سند عليهما ان يعيدا الى الكندى منزلته لدى الخليفة، و يعيدا اليه مكتبته فأعادها و أخذها خطه بذلك.

فقال لهسا سند: «الخطأ فى هذا النهر يستتر مده اربعه اشهر، و هى فتره زياده نهر دجله، و قد اجمع الحسّاب- اى المنجمون- على ان امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى، و انا اخبره الساعه انه لم يقع خطأ فى النهر، ابقاء على ارواحكما، فان صدق المنجمون افلتنا نحن الثلاثه، و ان كذبوا و جاءت مدته حتى تنقص دجله و ينضب النهر اوقع بنا ثلاثنا». فشكر الاخوان له قوله. فدخل سند الى المتوكل على الله و قال له: ما غلظا فى امر النهر. و زادت دجله و جرى الماء فى النهر و استتر حاله. ثم قتل المتوكل على الله بعد شهرين من ذلك. و سلم المهندسون المذكورون(١).

و يظهر من هذا ان النهر الجعفرى قد تم حفره و جرت فيه المياه فى موسم الفيضان، و ذلك قبيل مقتل المتوكل على الله. و ان الخطأ الذى وقع به المهندسون هو عدم التأكد من مناسيب المياه فى نهر دجله فى مختلف ايام السنه، لكى يحفر مستوى النهر وفق ذلك، بحيث ان صدر النهر جاء اعلى من مستوى المياه فى دجله فى الظروف الاعتياديه فلا تجرى فيه. و ان الماء الذى جرى فيه انما كان فى موسم الفيضان اذ ارتفع فيه منسوبه فسهل انسيابه الى الجعفرى و لكن لأمد قصير. و لا ينكر ان مجهودات عظيمه قد بذلت و اموالا طائله قد انفقت على النهر، اذ استغرق العمل فيه قرابه

١- كامل الخبر فى المكافأه / ١٩٥-١٩٦، و عيون الانباء / ٢٨٦-٢٨٧.

سنه و نصف، و ذلك لصلابه الارض التى يمر فيها مما لا يساعد على الحفر العميق. اما موضوع اجماع المنجمين على قرب نهايه اجل المتوكل على الله، فامر لا يخلو من ان تهديد القواد الاتراك باغتياله قد شاع بين الناس آنذاك، و ان ظواهر الامور تدل على رجحان كفه الاتراك و قرب تحقيق ذلك، فاستغل المنجمون الأمر لاطهار براعتهم فادعوا ان حساباتهم تعطى تلك الدلاله.

### ٣- القصر الجعفرى:

#### اشاره

بنى المتوكل على الله فى المدينه التى اسسها فى الماحوزه قصرًا سماه باسمه «القصر الجعفرى». يقول عنه اليعقوبى: «و انتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزه .. و بنى هناك مدينه سماها الجعفرية. و بنى فيها قصرًا لم يسمع بمثله»<sup>(١)</sup>. و يقول عنه ابو الفداء فى حوادث سنه ٢٤٦ هـ «و فيها تحول المتوكل الى الجعفرى و كان قد ابتداء فى عمارته سنه ٢٤٥ هـ و انفق عليه اموالا تجل عن الحصر»<sup>(٢)</sup>. اما ياقوت الحموى فقد قال عن هذا القصر: «الجعفرى: هذا اسم قصر بناه امير المؤمنين جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بالله قرب سامرا بموضع يقال له الماحوزه. و فى سنه ٢٤٥ هـ بنى المتوكل الجعفرى و انفق عليه الفى الف دينار .. لأن الدراهم كانت فى ايام المتوكل كل خمسه و عشرين درهما بدينار، فيكون عن الفى الف دينار خمسون الف درهم. و لما عزم المتوكل على بناء الجعفرى تقدم الى احمد بن اسرائيل باختيار رجل يتقلد المستغلات بالجعفرى من قبل ان يبنى، و اخراج فضول ما بناه الناس من المنازل، فسمى

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٢.

٢- المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٤١.



له ابا لخطاب الحسن بن محمد الكاتب. فكتب الحسن بن محمد الى ابي عون، لما دعى الى هذا العمل:

انى خرجت اليك من اعجوبهما سمعت به، و لما تسمع

سميت للاسواق قبل بنائها و ليت فصل قطائع لم تقطع (١).

و ايد ياقوت النفقه التى اشار اليها، فى مكان آخر من معجمه، و لذلك عند ما عدد قصور المتوكل على الله و ما انفق على كل منها (٢). و يتضح من ذلك انه لم ينفق على اى قصر آخر مثل هذا المبلغ الكبير الذى يزيد على ضعف ما انفق على قصر بلكوارا مع سعته و ضخامه بنائه. و قد يكون ياقوت واهما فى ذلك. اذ يقول الطبرى ان هذه النفقه كانت على بناء مدينه الجعفرى التى كان يسميها هو و اصحابه المتوكليه (٣). اى ان المبلغ المذكور قد انفق على بناء المدينه كلها و ليس على قصر الجعفرى حسب. و مما يؤيد ان الطبرى يقصد بالجعفرى المدينه لا القصر قوله فى مكان آخر «فلما عزم المتوكل على بناء الجعفرى قال له نجاح- و كان من الندماء- يا امير المؤمنين، اسمى لك قوما تدفعهم الى حتى استخراج لك منهم اموالا تبني بها مدينتك هذه» (٤). و هو يسميها احيانا الجعفرية (٥).

١- معجم البلدان ٢ / ١٤٣.

٢- نفس المصدر ٣ / ١٧٥.

٣- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٤- نفس المصدر / ٢١٥-٢١٦.

٥- نفس المصدر / ٢٢١-٢٢٣.

و لا- تزال بقايا القصر الجعفرى و بركته الواسعه تشاهد على ضفه نهر دجله فى شمالى السور الداخلى لمدينه المتوكليه، فى الزاويه التى يكونها نهر دجله من جهه و نهر القاطول من الجهه الأخرى(١). و قد تعرف الآثارى هرزفيلد على بقايا هذا القصر فى اطلال المتوكليه، و وصفها بقوله: «انها سور ضخيم يغطى مساحه تبلغ ١١ / ٣ كيلومتر مربع، محاطه بجدران مدعمه بابراج من الطابوق المصنوع من اللبن. و تشكل مزلعا غير منتظم يقع بين ضفه دجله العليا و القناه، عند نقطه على هذه القناه بحوالى ١ / ٢ كيلومتر شمالى جامع ابى دلف، و حوالى كيلومتر واحد شمالى قنطره الرصاص. و عثر على مدخل السور حيث ينقطع منه شارع مستطيل خلال مساحه القصر باتجاه ٧٠ درجه جنوب غربى»(٢).

و قد اشتهر القصر الجعفرى بحسنه و فخامه بنائه و ببركته الواسعه الجميله. فوصفه عدد من الادباء و الشعراء. يقال ان ابا العيناء، الأديب البصير، دخل على المتوكل على الله فى قصره الجعفرى فى سنه ٢٤٦ هـ، فقال له المتوكل: ما تقول فى دارنا هذه؟ فقال: ان الناس بنوا الدور فى الدنيا، و انت بنيت الدنيا فى دارك. فاستحسن كلامه(٣). و عند ما انتهى المتوكل على الله من بناء قصره هذا مدحه البحرى و أشاد بالقصر، و مما جاء فى شعره قوله(٤):

أصبحت بهجه النعيم و امست بين قصر الصبيح و الجعفرى

١- رى سامراء / ١ / ١٣٣.

٢- العماره العباسيه / ١٧٥.

٣- مروج الذهب / ٤ / ٢٣٦، و معجم الادباء / ١ / ٦٢، و وفيات الاعيان / ٣ / ٤٦٨.

٤- ديوان البحرى / ٤ / ٢٤٥١ - ٢٤٥٢.

فى البناء العجيب و المنزل الآنس و المنظر الجميل البهى

و رياض تصبو النفوس اليهاو تحيا بوردهن الجنى

دار ملك مختاره لامام احرزت كفه تراث النبى

و لعل احسن ما قاله البحترى فى هذا القصر قوله فى احدى مدائحه المتوكل على الله (١):

قد تم حسن الجعفرى، و لم يكن ليتم الا بالخليفه جعفر

ملك تبوأ خير دار اقامهفى خير مبدى للامام و محضر

فى رأس مشرفه حصاها لؤلؤ، و ترابها مسك يشاب بعنبر

مخضره، و الغيث ليس بساكب و مضيئه، و الليل ليس بمقمر

تقرير لطفك و اختيارك اغنياعن كل مختار لها و مصدر

فرفعت بنيانا كأن زهاء اعلام رضوى او شواهد صنبر

ازرى على همم الملوك و غض من بنيان كسرى فى الزمان و قيصر

ملأت جوانبه الفضاء و عانقت شرفاته قطع السحاب الممطر

عال على لحظ العيون، كأنما ينظرون منه الى بياض المشتري

و تسير دجله تحته، ففناؤه من لجه غمر و روض أخضر

أعطيته محض الهوى، و خصصته بصفاء ود منك غير مكدر

و اسم شققت له من اسمك فاكتسى شرف العلو به و فضل المفخر

و تظهر القصيده ما كان عليه القصر من سعه المساحه، و كثره الشرفات و ارتفاعها الذى يناطح السحاب العالى. و ان فخامته مما

تعجز عن بناء مثله الملوك، و تقصر عنه ابنه الروم و الفرس.

و انه كان يطل على دجله، و تحيط به الرياض الخضراء، و ان الخليفه سماه باسمه، و ذلك مما زاده فخرا و جلالا.

و قد انشأ المتوكل على الله امام قصره الجعفرى بركه سميت باسمه ايضا هي «البركه الجعفرية» التى اشتهرت بسعتها و جمال

تنسيقها، و اعتبرت فى يومها من عجائب الزمان. و لم يبق منها اليوم سوى حفرة عميقه تحيط بها اطلال القصر الجعفرى فى

خرائب مدينه المتوكليه، و هى مستطيله الشكل يبلغ طولها زهاء ١٢٠ مترا و عرضها حوالى ٨٠ مترا، اى بمساحه تقرب من عشره

الاف متر مربع. و كان المتوكل على الله جعل فرعا من النهر الجعفرى ينتهى اليها من جهتها الشرقيه ليزودها بالمياه. كما انشأ لها

ثلاثه كهاريز تخرج من قمرها عند ضلعها الجنوبيه، ثم

تتوحد بكهريز واحد واسع لتصريف مياهها الزائده الى نهر دجله (١).

وقد سبقت الاشاره الى ان مديره الآثار العامه ترى ان البركه الجعفرية هذه هي التي وصفها البحترى و سماها البركه الحسناء و اشاد بها بقصيدته المشهوره التي يقول فيها (٢):

يا من رأى البركه الحسناء رؤيتها و الآنسات اذا لاحت مغانيها

يحسبها انها من فضل رتبها تعد واحده، و البحر ثانيها

ما بال دجله كالغيري تنافسها فى الحسن طورا، و طورا تباهيها

أما رأت كالىء الاسلام يكلؤها من أن تعاب، و بانى المجد بانيتها

كأن جن سليمان الذين ولو ابداعها فأدقوا معانيها

فلو تمر بها بلقيس عن عرض قالت: هي الصرح تمثيلا و تشبيها

تخط فيها وفود الماء معجلها كالخيل خارجه من جبل مجريها

كانما الفضه البيضاء سائلهم السبائك تجرى فى مجاريها

---

١- رى سامراء ٢ / ٣٣٧.

٢- كامل القصيده فى ديوان البحترى ٤ / ٢٤١٤ - ٢٤٢١.

لا يبالغ السمك المحصور غايتها البعد ما بين قاصيها و دانيها

يعمق فيها باوساط مجنحه كالطير تنفض في جو خوافيها

لهن صحن رحيب في اسافلها اذا انحططن و بهو في اعاليها

صور الى صوره الدلفين يؤنسها منه انزواء بعينه يوازيها

و زادها زينه من بعد زينتها ان اسمه حين يدعى من اساميها

محفوظه برياض لا تزال ترى ريش الطواويس تحكيه و يحكيها

و دكتين مثل الشعيرين غدت احدهما بازاء الاخرى تساميها

ان البحترى يشيد بحسن البركه، و يشير الى سعتها كأنها البحر و يقول ان دجله تغار منها لحسنها، و كأنها من صنع جن سليمان، و يشبهها بالصرح الذى بناه سليمان لبلقيس من الزجاج الصقيل، و ذلك لشده صفائها. و يشير الى سرعه تدفق المياه فيها كأنها الخيل فى جريها، و انها من السعه بحيث لا يبلغ السمك الذى فيها طرفيها، و ان بهوا مرتفعا يشرف عليها، و ان تمثالا للدلفين كان مقاما فى احد اركانها. و هى محاطه برياض من الورود متنوعه الالوان كريش الطواويس. و ان مما يزيد فى جلالها و زينتها ان تسمى باسم الخليفه جعفر المتوكل على الله.

و يشير فى خاتمه شعره الى دكتين كانتا على البركتين و يشبههما

بالشعرين، و هما من أسطع النجوم و اقربهما الى الأرض، احدهما الشاميه و تسمى الغميصاء او الغميصاء، و الاخرى يمانيه و تسمى العبور.

### قصر لؤلؤه:

و هناك آثار قصر آخر يقع جنوبى القصر الجعفرى على ضفه نهر دجله، خارج سور المتوكليه، يرجح انها اطلال قصر لؤلؤه(١). و قد قال عنه الطبرى ان المتوكل على الله بنى فى المتوكليه قصرا سماه لؤلؤه لم ير فى مثل علوه(٢). و ذكره الشابشتى فى جملة قصور المتوكل على الله و سماه «اللؤلؤه»(٣).

و قال ياقوت الحموى ان النفقه عليه بلغت خمسه الاف الف درهم(٤).

### ٤- جامع ابى دلف:

#### مقدمه:

يقع جامع ابى دلف فى مدينه المتوكليه التى بناها المتوكل على الله فى اواخر سنوات حكمه و اتخذها عاصمه له، شمالى مدينه سامرا. و تبعد اطلال الجامع و بقاياها عن مدينه سامراء الحاليه بنحو خمسه عشر كيلومترا. و كان العالم الآثرى هرزفيلد قد قام بالتنقيب فى اطلال هذا الجامع و توصل الى كثير من المعلومات عن

١- رى سامراء ١ / ١٣٥.

٢- الطبرى ٩ / ٢١٢.

٣- الديارات / ١٥٩.

٤- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

سوره و اروقته و تسقيفه، الا- ان تحرياته لم تتناول جميع اطلال الجامع، كما ان بعضها لم يكن بدرجه كافيه من الدقه. و قد كشفت التنقيبات التى قامت بها مديرية الآثار القديمه العامه عن كثير من المعلومات المتعلقه بمشتملات الجامع و ابعادها، و بتسقيفه. كما قامت بصيانه قسم كبير من بقاياها، و بخاصه منارته الملوويه، و ما بقى من اسواره و جدرانها. و نشر الاستاذان بشير فرنسيس مفتش الآثار القديمه، و محمود على الرسام فى مديرية الآثار القديمه العامه مقالا فى مجله سومر(١)، تضمن جميع ما كشفت عنه التنقيبات المذكوره.

ان جامع ابى دلف من جمله منشآت المتوكل على الله فى مدينه المتوكليه. فقد ذكر البلاذرى ان المتوكل على الله «احدث مدينه سماها المتوكليه. و بنى بها مسجدا جامعاً»(٢). و قال اليعقوبى ان المتوكل على الله عند بنائه الجعفريه «جعل فى كل مربعه و ناحيه سوقا، و بنى المسجد الجامع»(٣). كما اشار الطبرى الى وجود مسجد جامع فى مدينه الجعفريه صلى فيه عبد الصمد بن موسى صلاه الفطر بالناس، و لم يصل بسامرا احد(٤). و يضيف الدكتور احمد سوسه ادله اخرى على ان هذا الجامع شيد فى نفس الوقت الذى شيدت فيه المتوكليه ليحل محل المسجد الجامع فى سامرا.

منها وجود الشارع الواسع الموازى للشارع الأ-عظم الذى يبدأ من الحدود الجنوبيه للمتوكليه و يخترقها و ينتهى عند الجامع المذكور.

و الساحتان الواسعتان فى شمالى الجامع و جنوبيه تتفرع منهما

١- مجله سومر، الجزء: ١ لسنة ١٩٤٧ / ٦٠ - ٧٦.

٢- فتوح البلدان / ٢٩٥.

٣- كتاب البلدان / ٢٦٧.

٤- الطبرى ٩ - ٢٢١.



الشوارع الى الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب، مما يدل على ان الجامع كان جزءا من تخطيط مدينه المتوكليه (١).

اما نسبه الجامع الى ابي دلف فانها حديثه و يرجح ان الناس اطلقوها عليه فى القرون المتأخره لما يتمتع به صاحب هذا الاسم من الشهرة، و لعلمهم انه كان من القواد العرب القلائل فى تلك الايام و قد عاش فى سامرا، فطاب لهم ان ينسبوه اليه، فاطلقوا عليه اسم جامع ابي دلف (٢). و ابو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل العجلي، احد الامراء الشجعان و من كبار رجال الدوله العربيه و قوادها على عهد الرشيد و ابنائه من بعده فى بغداد و سامرا. و قد سماه المتوكل على الله «شقيق دوله بنى العباس» (٣). و قد اشتهر بالسخاء و الكرم و الوفاء كشهرة بالشجاعه و الطعان.

### تخطيط الجامع:

تعتبر بقايا جامع ابي دلف ابرز اطلال مدينه المتوكليه. و هو يشبه فى تخطيطه و شكله العام الجامع الكبير الذى شيده المتوكل على الله فى سامرا. فى اوائل عهده بالخلافه، شبها كبيرا. فهو مثله مستطيل الشكل، ذو صحن مكشوف محاط من جهاته الأربع باروقه، و مئذنته ملويه ذات مرقاه خارجيه، كما كان محاطا بساحه فسيحه مسوره. اما اوجه الخلاف التى تميز بها هذا الجامع عن الجامع الكبير فتتخصر فى الأبعاد و عدد الاروقه و كيفيه التسقيف، كما سترى فيما بعد. كما ان اطلال هذا الجامع على عكس ما هى عليه بقايا جامع سامرا الكبير الذى شيدت اسواره من الآجر فبقى معظمها شاخصا حتى الآن، بينما لم

١- رى سامراء ٢/ ٦٠٤-٦٠٥.

٢- مجله سومر- العدد المذكور آنفا/ ٧٦.

٣- المحاسن و المساوى ء/ ٢٠٩.

يبقى شىء مما كان فى داخلها من المباني سوى بعض المعالم والأسس. اما جامع ابى دلف فان منشأته الداخليه قد بنيت بالأجر والجص فبقيت اكثر جدرانها قائمه عدا سقوفها، بينما تداعت اسواره المشيده باللبن و تحولت الى خطوط من الآكام والكثبان، عدا السور الشمالى فانه لا يزال اغلبه قائما قد يصل ارتفاعه فى بعض النقاط الى حوالى سبعة امتار(١).

يبلغ طول الضلع الكبرى لجامع ابى دلف، و هى الضلع الممتده من الجنوب الى الشمال ٤٧ ر ٢١٥ متر و ضلعه الصغرى الممتده من الشرق الى الغرب ٢٤ ر ١٣٨ متر، فتكون مساحته ثلاثين الف متر مربع تقريبا. و فى وسطه صحن مكشوف مستطيل الشكل ايضا و طول ضلعه الكبرى ٠٧ ر ١٥٥ متر، و ضلعه الصغرى ٦٠ ر ١٠٤ م اى ما مساحته ستة عشر الف متر مربع، و تحيط بالصحن من جوانبه الاربعه اروقه مساحتها مع سمك الجدران ٥٠٠ ر ١٣ متر مربع(٢). اى انه محاط باربعه اقسام: بيت الصلاه او الحرم فى الجنوب، و القسم الشمالى المقابل للحرم، ثم القسمين الشرقى و الغربى. و جميع هذه الاقسام تؤلف بوائك تمتد من الجنوب الى الشمال. و للحرم ست عشره دعامه تكون سبع عشره بلاطه، و كل بلاطه منها تتكون من خمسه اقواس باتساع ١٢ ر ٣ متر متجهه نحو الشمال. و يمتد صف عقود الرواقين فى طرفى الحرم الى الشمال فيؤلفان فى كل من الضلع الشرقيه و الضلع الغربيه تسع عشره بلاطه عمقها ١٤ مترا. و الجزء الشمالى من الجامع يشبه الحرم و له ست عشره دعامه تؤلف سبع عشره بلاطه. و كل رواق

١- مديريه الاثار القديمه - سامرا / ٦٦-٦٧ و مجله سومر آنفه الذكر / ٦٣.

٢- سومر آنفه الذكر / ٦٣.

يتألف من ثلاثه عقود، معدل اتساع كل عقد ٥٠ ر ٣ متر، تتجه نحو الجنوب(١).

و يبلغ عمق بيت الصلاه ٢٠ ر ٢٩ متر و هو عمق البوائك التي تنتهى عند الضلع الجنوبيه بدعامات على شكل الحرف تسند البائكه المستعرضه للاروقه السبعه عشر الموازيه للجدار الجنوبي على بعد ٦٠ ر ١٠ متر منه. و اما هذه الأقواس السبعه عشر جناح عمقه ٦٠ ر ١٠ امتار يمتد من الشرق الى الغرب بامتداد عرض الجامع، و يقع بين جدار القبله و الصفوف الأخيره من اقواس الحرم الموازيه للجدار المذكور. و يبدو ان هذا الجناح ظهر لأول مره فى الجوامع الاسلاميه مما جعل لجامع ابى دلف مكانه فريده فى سلسله تطور تصميم الجوامع(٢). و قد كشفت التنقيبات التي اجرتها مديره الآثار القديمه العامه عن وجود قواعد للاعمده فى هذا الجناح، مما يرجح انه كان مسقفا مثل حرم الجامع(٣).

و يلاحظ ان اقواس اروقه الجامع من طراز الاقواس ذات الأربعة مراكز، و هى مثل الاقواس التي وجدت فى المباني الاخرى بسامرا، كدار الخليفه. كما انها تشبه اقواس قصر الاخيرى قرب كربلا فى الباديه، و فى العراق عدد من المباني القديمه فيها مثل هذه الاقواس ايضا. و تتكون هذه الاقواس من حلقتين آجرها مربع الشكل، و قد صف آجر الحلقة الداخليه و وجهه الى الخارج، فى حين ان آجر الحلقة الخارجيه قد جعلت حافته الى الخارج، و سمك الحلقة الواحده نحو ٥٠ سم(٤).

١- نفس المصدر / ٦٦-٦٧، و العماره العباسيه / ١٩١ و ١٩٤-١٩٥.

٢- العماره العباسيه / ١٩٣-١٩٤.

٣- مجله سومر انفه الذكر / ٦٧.

٤- نفس المصدر.

**المحراب و المنبر:**

يقع محراب جامع ابي دلف في منتصف جداره الجنوبي بمقدار ٥ ر ١٢ درجه غربا. و قد سبق ان اشرنا الى ان اليعقوبى قد ذكر هذا الانحراف و انه موجود في كل مساجد سامرا و لهذا سميت زوراء بنى العباس. و هو مشيد بالآجر و الجص و يبرز ظهره عن جدار الجامع من الخارج بمقدار ٤٤ ر ٢ م. و لوحظ من بقايا البناء ما يدل على وجود محرابين للجامع احدهما بظهر الآخر و انهما شيئا في وقتين مختلفين. و قد يكون الأول قد شيد عند بناء الجامع ثم ارتوى بعد اكماله ضروره تصغيره لاسباب ربما كان من جملتها وضع المنبر الذى يشغل جزء من المحراب الأول(١).

و تشاهد عند الركن الأيسر للمحراب بقايا بناء من الآجر و الجص طوله ٦٥ ر ٢ م و عرضه ٢٠ ر ١ م فى نهايته ثلاث درجات. و يستنتج من شكل البناء و وضعه انه كان منبرا، و انه قد اضيف بعد اكمال الجامع، و لا يستبعد انه بنى فى وقت واحد مع المحراب الثانى(٢).

**سور الجامع و ابوابه:**

يحيط بالجامع سور خارجى يفصله عن جدران الجامع فضاء واسع فى الشرق و الغرب و الشمال و عرضه ١٠٨ م، اما فى الجنوب فيضيق الى ٣٠ م(٣). و قد شيد السور باللبن و كسى وجهاه

١- نفس المصدر / ٦٧-٦٨.

٢- نفس المصدر / ٦٨.

٣- رى سامراء ٢ / ٦٠٣.

الداخلي و الخارجى بطبقه سميكه من الجص. و يتراوح سمك السور بين ٦٠ ر ١ م و ٨٠ ر ١ م. و هو مثل سور جامع سامرا الكبير مدعم من الخارج بابراج نصف دائريه. و يقوم فى كل ركن من اركانه الأربعة برج مستدير يقوم على قاعده من الآجر مربعه الشكل طول ضلعها ٦٠ ر ٣ م و اضلاعها مماسه لمحيط البرج، اى ان قطر البرج هو نفس طول ضلع المربع. و قد شيدت الاقسام السفلى من الابراج الى ارتفاع ٥٥ مترا بالآجر مثل القاعده و ما بقى منها بنى باللبن. و قد استعمل للبناء ملاط الجص فى حالتى البناء باللبن او بالآجر.

و تقوم الابراج الاخرى و هى نصف دائريه على قواعد من الآجر مستطيله الشكل طول ضلعها الموازيه للسور ١٠ ر ٣ م و طول كل من الضلعين المتعامدين عليه ٩٠ ر ١ م. و لما كانت هذه الاضلاع مماسه لمحيط البرج فان استدارته تزيد على نصف دائره. و تتوزع هذه الابراج على جوانب السور الاربعه كالاتى: بنيت فى الضلع القبليه للسور عشره ابراج و قد شيد البرجان اللذان يليان برجى الركنين باللبن، و اللذان يليانها بالآجر، و هكذا بالتناوب فتكون سته من ابراج هذا الجانب مبنيه باللبن و الأربعة الأخر بالآجر.

و البعد بين الركنين و البرجين المجاورين لهما ٤٠ ر ١٢ مترا.

و المسافه بين الابراج الباقية ٦٠ ر ٤ امتار. اما البعد بين بروز المحراب و البرج المجاور له فهو ١٨ مترا. و فى الضلع الشماليه المقابله لضلع القبليه ثمانية ابراج متناظره الابعاد ابتداء من برجى الركنين، فالبرج الذى يلى الركن يبعد عنه ب ٨٠ ر ١١ مترا، و يبعد هذا عن البرج الذى يليه ب ٦٠ ر ١٢ مترا، و يبعد هذا من البرج الثالث ب ٢٠ ر ١٢ مترا، و البعد بينه و بين البرج الرابع ٦٠ ر ١٢ مترا، و البعد بين البرجين المجاورين للمدخل الأوسط الذى يقابل المئذنه ٨ ر ١١ مترا. و كل هذه الابراج مبنيه باللبن بملاط الجص. و قد حافظ هذا الجانب من السور على

وضعه تقريبا، فلم تؤثر فيه عوادي الزمن كما فعلت في اسوار الجوانب الاخرى الا قليلا. وقد لوحظ امام قاعده هذا السور من الخارج وجود قنوات مكشوفه مشيده بالآجر عمقها نحو ٢٠ سم و عرضها ١٨ سم، و هي تشبه تلك القنوات التي وجدت في سور جامع سامرا الكبير، و اعتبرت مثلها لتصرف مياه الأمطار. و يبلغ سمك جدار السور في هذه الضلع ٨٠ ر ١ مترا. اما ابراج الضلعين الكبيرين، الشرقيه و الغربيه للسور فعددها عشره في كل منهما.

و كلها مبنيه باللبن بملاط الجص. و البعد بين برج الركن و البرج الذى يليه ٨٠ ر ٣٥ مترا، و الأبعاد بين الابراج الاخرى تكاد تكون متساويه و هي تتراوح بين ١٤ مترا و ١٥ مترا. و بهذا يكون مجموع الابراج التي تدعم السور ٤٢ برجاً، اربعة منها و هي ابراج الاركان دائريه الشكل - اسطوانيه - و البقيه و عددها ٣٨ برجاً نصف دائريه. و كلها مبنيه باللبن عدا اربعة ابراج منها في الضلع القبليه بنيت بالآجر كما سبق بيانه (١).

اما ابواب الجامع فعددها ثمانية عشر باباً، ثلاثة منها و هي القبليه تؤدي الى مشتملات تتصل بالضلع الجنوبيه للسور، و ثلاثة في الضلع الشرقيه و الغربيه. و يلاحظ في مواضع ابواب الجامع من جهاته الأربع انها تقع جميعها على محور الأقواس التي امامها، كما هي الحال في جامع سامرا الكبير، دون مراعاة توسطها الجدران. ففي الضلع القبليه ثلاثة ابواب، يجاور اثنان منها برجى الركنين و يقع الثالث في الوسط عند المحراب. و يبعد البابان الاولان عن برجى الركنين بنحو مترين و عرض كل منهما ٥٨ ر ١ مترا. و اظهرت الحفريات ان كل باب منهما كان يؤدي الى حجره طولها ١٠ امتار و عرضها ٦ امتار، و جدرانها من الآجر، و ارضيتها مبلطه بالطابوق. و يظهر من انفراد هاتين الحجرتين

و موضعهما انهما مخصصتان لمن يتولى امور الجامع. اما الباب الثالث و هو الاوسط فانه يبعد عن شرقي بناء المحراب من الخارج ب ٢٠ ر ١ مترا، و عرضه ٦٠ ر ١ مترا، و هو يؤدي الى بنايه واسعه مشيده بالآجر تقع خلف المحراب ملاصقه للجدار القبلي. و يبدو ان الغرض من تشييد هذه البنايه ملاصقه للجامع ان تكون مكانا لاستراحه الخليفه اذا جاء لصلاه الجمعه، فيدخلها من الباب الذى فى ظهر الجامع، و بعد استراحته و تجديد وضوئه، يدخل الجامع من الباب الذى بجانب المحراب. و قد ظهر من التنقيب ان جميع جدران هذه الدار قد بنيت بالآجر و كسيت بالجص من الداخلى و الخارجى، و ان جميع حجراتها قد بلطت بالجص ايضا(١). و من الجدير بالملاحظه انها شيدت على الطراز الحيرى ذى الصدر و الكمين، و هو الطراز الذى شاع آنذاك فى بناء الدور و القصور(٢).

### التسقيف و التبليط:

ان ما تبقى من الاقواس و ما يعلوها من البناء لا يدل على ان سقف الجامع كان معقودا بالآجر، و ذلك لعدم وجود التقوسات التى تبدأ منها العقادات. الا انه وجدت عند نقاط تعلق بنحو ٥٠ سم عن ذروه الأقواس فى جهات متعدده من اروقه المصلى ثقبوا بقطر ٢٠-٢٥ سم على استقامه واحده، و تتراوح المسافه بين ثقب و آخر بين ٦٠ سم و ٧٠ سم. و يستتج من وجود هذه الثقوب ان السقف كان قائما على جسور من الخشب، و انه كان يرتفع عن مستوى التبليط بنحو سبعة أمتار(٣).

١- مجله سومر آنفه الذكر / ٦٤-٦٦.

٢- نفس المصدر / ٧٤.

٣- نفس المصدر / ٦٨.

و كانت الاقسام المسقفه من الجامع مبلطه بطبقه سميكه من الجص، اما الاقسام المكشوفه فقد بلطت بالطابوق المصقول المربع الشكل، و طول ضلع الطابوقه ٣٢ سم و سمكها ٥ سم. و معدل حجم الطابوق الذى استخدم فى تطبيق ساحه المئذنه الملويه \*٤٨\* ٤٨\* ٥ سم، و هو مربع الشكل و مصقول ايضا(١).

### المئذنه:

لجامع ابى دلف مئذنه مبنيه بالآجر و الجص و هى تشبه ملويه جامع سامرا الكبير و قد بنيت على شاكلتها الا انها اصغر منها حجما. و هى تقع على محور الباب الأوسط للجامع و على بعد ٥٠ ر ٩ امتار منه. و تقوم على قاعده مربعه الشكل تقريبا، طول كل من ضلعها الشماليه و الجنوبيه ٨٧ ر ١٠ امتار، و طول كل من الضلعين الشرقيه و الغربيه ٦٠ ر ١٠ امتار، و تعلق عن مستوى التطبيق ب ٧٠ ر ٢ مترا. و يزين كلا من اوجهها الأربعة صف من المشكيات عددها ١٣ مشكاه فى كل وجه عدا الوجه الجنوبي ففيه عشر مشكيات تتوسطها باب المصعد. و يقع باب المصعد فى الضلع الجنوبيه لقاعده المئذنه كما اشرنا، و هو يفض الى درج يصعد منه الى سطح القاعده، و يبلغ عرض المدخل ١٥ ر ١ مترا، و عدد قدمات الدرج المشيد فى صلب القاعده اربع، تتجه نحو بدن الملويه من غير ان تنعطف الى الحلزون. و يرتفع جسم المناره، اى القسم الحلزوني منها، الى علو ٢٠ ر ١٦ مترا فوق القاعده، فيصبح ارتفاع ملويه جامع ابى دلف من مستوى التطبيق حتى القمه المتهدمه نحو ١٩ مترا. و يبدأ الحلزون، و هو سلم المئذنه من يمين



الباب و يدور ثلاث دورات كامله باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعه، و عرضه متر واحد(١).

و قد عثر فى الرواقين الواقعين بين المئذنه و الجدار الشمالى للجامع على رحبه مربعه يبلغ طول ضلعها ٧٠ مترا تحيط بها جدران اقتلعت حجارتهها. و وجد فى الجدار الموازى للضلع الشماليه آثار عشر طاقات زخرفيه مشابهه لتلك التى وجدت على اوجه قاعده الملويه. و يظهر من هذا ان جدران رحبه المئذنه كانت كلها مزينه بالزخارف المذكوره. و قد ظهرت فى هذه الرحبه آثار قناتين تمتدان بين سور الجامع الخارجى و الجدار الذى فى يمين المئذنه و يسارها، و لعلهما كانتا لتزويد الميضأه بالماء، او لانسباب مياه الأمطار(٢).

---

١- نفس المصدر / ٦٩.

٢- نفس المصدر / ٧٢.

## الفصل الخامس سامرا بعد المتوكل على الله

## ١- المنتصر بالله:

## اشاره

بويق للمنتصر بالله بالقصر الجعفرى بالمتوكليه، الا انه آثر الابتعاد عن مسرح جريمه مقتل ابيه المتوكل على الله. فلم يلبث سوى بضعه ايام حتى قرر اعاده عاصمته الى سامرا. و سبق ان ذكرنا انه امر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزه- و هى منطقه مدينه المتوكليه- و ان يهدموا المنازل و يحملوا الانقاض الى سامرا. فخربت قصور المتوكليه و منازلها و اسواقها.

و عند عوده المنتصر بالله الى سامرا سكن فى القصر الجعفرى المحدث الذى بناه ابوه و انفق عليه عشره الالف الف درهم(١). و ذكر الطبرى ان المنتصر بالله عقد مجلسه فى هذا القصر ليستمع هو و القواد و القضاة و الامراء من بنى العباس الى اعلان اخويه المعتز و المؤيد تنازلهما عن ولايه العهد من بعده(٢). و فى هذا القصر كانت وفاته فى اوائل ربيع الآخر سنه ٢٤٨ هـ.

١- معجم البلدان ٣ / ١٧٥.

٢- الطبرى ٩ / ٢٣٧ و ٢٤٤.

كان من المنتظر بعد ان عادت الجموع الكثيره من سكان المتوكليه الى سامرا ان يعاد بناء قصورها و بيوتها و اسواقها و مرافقها التي سبق ان هدمت او هجرت عند انتقال العاصمه الى المتوكليه. و ان يتم ذلك بموجب تخطيط و تنسيق يعيد للمدينه عمرانها و بهاءها. الا- ان الوضع النفسى للمنتصر بالله و ما كان اعتراه من آبه و قلق لندمه على المشاركه فى اغتيال ابيه، و قصر مده حكمه، فانه لم يقم بشىء من ذلك، بل انه اهمل مشاريع ابيه العمرانيه، و بخاصه النهر الجعفرى فلم يحاول تصحيح الأخطاء التي حصلت فى حفره. و لذا فان سامرا لم تحظ فى ايامه بشىء من العناية بعمرانها، و لكن امه طلبت عند وفاته ان تظهر قبره، فبنت له ضريحا اقيمت عليه قبه عرفت بقبه الصليبيه.

### قبة الصليبيه:

تقع اطلال هذه القبه على الضفة المرتفعه لنهر الاسحاقى فى الجانب الغربى من دجله، جنوبى قصر المعشوق و على مقربه منه.

و كانت فى الأصل بنايه مئمنه الشكل تتوسطها قاعه مربعه يحيط بها رواق مئمن، و يستدل من سمك جدرانها و من الاسم الشائع لها انها كانت تعلوها قبه. و لا مجال للشك فى انها كانت ضريحا لأحد الخلفاء(١). و كان هرزفيلد قد اجرى تنقييات اوليه فى اطلال هذه البنايه، و وجد فيها ثلاثه قبور مما جعله يرجح انها كانت موضع قبر الخليفه المنتصر بالله. ثم دفن الى جانبه المعتر بالله و المهتدى بالله(٢).

١- الاثار القديمه العامه- سامراء / ٧٢.

٢- ٨٨٣: E.M.A.P. Creswell

يقول الطبرى عن دفن المنتصر بالله انه اول خليفه من بنى العباس عرف قبره لأن امه طلبت اظهار قبره(١). و يقول عن دفن المعتز بالله انه لما مات دفن مع المنتصر فى ناحيه قصر الصوامع(٢). و يضيف ابن الأثير على ذلك ان المهتدى بالله لما مات دفن بمقبره المنتصر(٣). و فى هذا ما يؤيد ما ذهب اليه هرزفيلد فى ان قبه الصليبيه كانت ضريحا للخلفاء المذكورين.

و يرى كريزول ان القبه المذكوره تعود الى زمن متأخر من عهد سامرا لأنها مبنيه بنفس المواد التى استعملت فى بناء قصر المعشوق الذى شيد فى اواخر عهد المعتمد على الله(٤). و قد يؤيد هذا الرأى قرب القبه من القصر المذكور، و ان المعتمد على الله ربما قد بناها لتكون ضريحا له. لاسيما و انه عند ما توفى ببغداد حمل الى سامرا و دفن فيها.

## ٢- المستعين بالله:

لما توفى المنتصر بالله اجتمع كبار القاده الاتراك فى القصر الهارونى و اتفقوا على اختيار خلف له فبايعوا حفيد المعتمد بالله احمد بن محمد و لقب بالمستعين بالله. و قد بات ليلته الأولى فى القصر المذكور. و يظهر من مجرى الحوادث المهمه على عهده انه سكن فى قصر الجوسق الخاقانى، قصر جده المعتمد بالله الواقع على نهر دجله جنوبى دار الخليفه. فقد التجأ القائد التركى اوتامش الى الخليفه فى هذا القصر لما هاجمه مناوئوه

١- الطبرى ٩ / ٢٥٤.

٢- الطبرى ٩ / ٣٩٠.

٣- الكامل ٧ / ٢٣٠.

٤- ....

من الأتراك، فدخلوا الجوسق و استخرجوه و قتلوه مع كاتبه شجاع بن القاسم (١). و لما قتل باغا التركي حاصر اتباعه من الجند و القواد المواليين له فى قصر الجوسق ايضا. و علم المستعين بالله باجتماعهم فرك القصر منحدرًا مع بعض قواد و افراد حاشيته الى بغداد (٢).

و نزل الخليفة فى بغداد على محمد بن عبد الله بن طاهر فى داره. ثم انتقل منها الى دار رزق الخادم فى الرصافه. و لما تنازل عن الخلافة و بايع المعتز بالله نقل هو و عياله و ولده و جواريه من الدار المذكوره الى قصر الحسن بن سهل بالمخرم، و انزلوا فيها جميعا (٣).

لقد ظلت شؤون سامرا و مرافقها العمرانيه مهمله طيله خلافه المستعين بالله، لأنه قضى ما يقارب الثلاث سنوات من حكمه فى سامرا فى صراع مستمر مع الاتراك مما اضطره على الانتقال الى بغداد، ثم قيام الحرب بين بغداد و سامرا، و لذا لم تتح له الفرصه للقيام باى عمل عمرانى يذكر فى سامرا.

### ٣- المعتز بالله:

اما المعتز بالله الذى بايعه الاتراك الذين ظلموا فى سامرا و فشلوا فى اقناع المستعين بالله بالعوده اليها، فقد كان ينزل فى قصر الجوسق اول امره. و قد اضاف اليه جناحا خاصا لسكناه احسن عمارته و رياضته. و قد ذكر الشابشتى ان المعتز بالله بنى فى الجوسق بيتا قدرته له امه و مثلث حيطانه و سقفه، فكان احسن بيت رنى، و لما انتهى منه دعا المعتز بالله حاشيته اليه فقصوا

١- الطبرى ٩ / ٢٦٤، و الكامل ٧ / ١٢٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٨٠.

٣- الطبرى ٩ / ٣٤٨.

احسن يوم سرورا(١). و ضرب فيه المعتز بالله ديناراً من دنائير الصلّه كل دينار بدينارين كتب على كل دينار منها «ضرب هذا الدينار بالجوسق لخزينه امير المؤمنين المعتز بالله»(٢). و كان المعتز بالله فى بيته هذا لما جىء اليه برأس المستعين بالله فى سنه ٢٥٢هـ(٣). و برأس القائد بغا الشرابى فى سنه ٢٥٤هـ(٤).

و يشير البحترى فى احدى قصائده فى مدح المعتز بالله الى انه بنى قصرًا فخماً يقال له «الكامل» و قد تضمن مدحه بعض اوصاف القصر، و مما جاء فيها قوله(٥):

لما كملت رويه و عزمها عملت رأيك فى ابتناء الكامل

و غدوت من بين الملوك موفقامنه لأيمن حله و منازل

ذعر الحمام و قد ترنم فوقه من منظر خطر المزله هائل

روفت لمنخرق الرياح سموكه و زهت عجائب حسنه المتخايل

و كأن حيطان الزجاج بجوه لجج يمجن على جنوب ساحل

و كأن تفويق الرخام اذا التقى تأليقه بالمنظر المتقابل

١- الديارات / ٦٧٠.

٢- نفس المصدر / ١٦٨.

٣- الطبرى ٩ / ٣٦٤، و الديارات / ١٧٠.

٤- الطبرى ٩ / ٣٨٠.

٥- ديوان البحترى ٣ / ١٦٤٦ - ١٦٤٩.

حبك الغمام رصفن بين منمر و مسير و مقارب و مشاكل

لبست من الذهب الصقيل سقوفه نورا يضى ء على الظلام الحافل

فترى العيون يجلن فى ذى روتق متلهب العالى انيق السافل

فكانما نشرت على بستانه سبراء و شى اليمنه المتواصل

اغنته دجله اذ تلاحق فيضها عن فيض منسجم السحاب الهائل

وافيته و الورد فى وقت معاو نزلت فيه مع الربيع النازل

يتضح من اوصاف البحترى ان الكامل كان قصرا مرتفعا شاهق البنيان، يحاذر الحمام ان يطاله فى ارتفاعه، و قد بنى بالرخام و المرمر و موهت سقوفه بالذهب الصقيل، و زينت نوافذه بالزجاج الشفاف. و انه كان على شاطى ء دجله بحيث يسقى ماؤها بستان القصر، و ان المعتر بالله نزل فيه فى اول فصل الربيع.

و مدح البحترى المعتر بالله بقصيده اخرى اشار فيها الى انه افتتح بناء جديدا، و لعله يقصد القصر الكامل المشار اليه آنفاً، كما يظهر من اوصاف البناء، اذ جاء فيها قوله: (١)

---

١- ديون البحترى- طبعه صادر ١/ ١٧٩- ١٨٠.

بارك الله للخليفه فى الفتح الجنوبى، و البناء الجديد

خير مبهج، و بنيان بمن فى منيف، عند السماك مشيد

فوق صرح ممرد من قوارير، غريب التأليف و التمديد

لو بدا حسنه لجن سليمان لخروا من ركع و سجود

قد عددنا اليوم الذى جئته فيه لافراط حسنه، يوم عيد

كما ذكر البحترى فى احدى مدائحه المعتر بالله قصرا آخر باسم «قصر الساج» اذ يقول فيها(١):

و كأن قصر الساج خله عاشق برزت لواقمها بوجه مونق

قصر تكامل حسنه فى قلعهيضاء، واسطه لبحر محددق

و انى المحل فلا المزار بشاسع عمن يزور، و لا الفناء بضيق

قدرته تقدير غير مفروطو بنيته بنيان غير مشقق

و وصلت بين الجعفرى و بينه بالنهر يحمل من جنوب الخندق



نهر كأن الماء فى حجراته افرند متن الصارم المتألق

لقد بنى المعتر هذا القصر و لم يدخر وسعا فى الانفاق عليه بحيث تكامل حسنه. فقد كان كالقلعه البيضاء وسط ساحه خضراء تكتنفها الاشجار الخضراء و الوان الورود. و كان واسع الارحاء قريبا فى موقعه.

و كان هناك قصر بديع يقع على ضفه القاطول الاعلى فى الناحيه الشماليه الغربيه من ساحه الحير، يعرف بقصر الدكه.

و قد عين الطبرى موقع هذا القصر فى معرض كلامه فى حادث مقتل القائد صالح بن وصيف فى سنه ٢٥٦ هـ فيقول ان الناس اجتمعوا و «تهايجوا من دار امير المؤمنين، فركبوا فى السلاح، و اخذوا فى الحير حتى اجتمعوا ما بين الدكه و ظهر المسجد الجامع»<sup>(١)</sup> و يرجح الدكتور احمد سوسه ان قصر الدكه هذا هو نفسه القصر المعروف بقصر الساج. و دليله على ذلك ان البحرى لما وصف قصر الساج فى قصيدته آنفه المذكور اشار فى اواخرها الى نهر كان يبدأ من قرب القصر الجعفرى و ينتهى عنده، اى ان النهر يوصل بين القصرين المذكورين، و ذلك بقوله:

الحقه يا خير الورى بمسيره و امدد فضول عبايه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فانما انزلت دجله فى فناء الجوسق

ان وصف البحرى بانه قصر تكامل فى حسنه و هو كالقلعه البيضاء يحيط بها البحر، و ان المعتر بالله وصل بينه و بين الجعفرى

بالنهر الذى كان يتفرع من قناه سامرا، ينطبق على قصر الدكه، و لذا فهو قصر الساج الذى بناه المعتز بالله (١).

و يظهر ان مناطق سكنى الجنند من الاتراك قد امتدت بعيدا عن المسجد الجامع الكبير مما صعب على المسنين منهم الوصول اليه لأداء فريضه الصلاه، فبتنى المعتز بالله مسجدا قريبا من مناطق سكناهم.

فأشاد البحترى بصنيع المعتز بالله بقوله (٢):

يا ابن عم النبي أمتعت العمر و مليت نعمه الامتاع

يعلم الله كيف حمد الموالى ما تعانى من شأنهم، و تراعى

اعظموا المسجد الجديد فابدوا و اعدوا فى الشكر عنه المذاع

رحت خير البانين و اخترت بالامس لخير البيوت خير البقاع

فصرت خطوه الكبير و لاقى متعب فضل راحه و اتداع

#### ٤- المهتدى بالله.

كان المهتدى بالله قد اقام فى الجوسق منذ ان بويع له الى ان قتل (٣). و بسبب الوضع المالى السيء للدوله فقد اتبع المهتدى

١- رى سامراء /١ /١٢٣.

٢- ديوان البحترى- طبعه صادر /١ /١٥٠-١٥٢.

٣- كتاب البلدان /٢٦٨.

بالله سياسته اقتصاد و تقشف فى جميع نفقاته و فى النفقات العامه.

و كان بطبيعته يمقت حياه البذخ و الترف، فخفض كثيرا من نفقات بلاطه و نفقات اهله و ولده، مقتصرًا على الضرورى منها.

و لذا لم يحدث فى ايامه التى لم تتجاوز السنه، اى عمران يذكر فى سامرا.

## ٥- المعتمد على الله:

### اشاره

اقام المعتمد على الله عند مبايعته بالخلافه بسر من رأى فى الجوسق و قصور الخلافه، ثم انتقل الى الجانب الغربى من المدينه فبنى قصر موصوفا بالحسن سماه المعشوق (١). و كنا ذكرنا فى سيرته انه كان مستضعفا، فانه رغم ميله الى الفنون و الآداب، و مع طول مده حكمه لم يستطع ان يضيف شيئا الى عمران سامرا الا يسيرا، و هو بناؤه قصر المعشوق. و ذلك لعدم توفر المال من جهه بسبب حرب الزنج و الثورات الداخليه الأخرى، و لسيطره اخيه الموفق على شؤون الدوله من جهه اخرى، مما حال دون ان يتمكن من ان ينفق شيئا من المال حسب مشيئته و رغباته. كما كان الموفق نفسه رجل حرب قضى اغلب ايامه فى جبهات القتال، فلم يعن بالامور العمرانيه.

و كان الاهمال العمرانى الذى اصاب سامرا بعد المتوكل على الله قد حرم قصورها من العناية بها و صيانتها و تجديدها، فاصبحت قديمه و قد فقدت جدتها و رونقها و لم تعد صالحه لسكنى الخلفاء.

و لهذا يلاحظ المتتبع لتاريخ سامرا خلال السنوات العشر الأخيره من حكم المعتمد على الله، انه كان يتردد فى سكناه بين بغداد و سامرا. و سبق ان اشرنا الى انه اتخذ القصر الحسنى ببغداد

سكننا له عند ما يكون فيها، و به كانت وفاته. على انه استطاع فى سنه ٢٧٥ هـ ان يبنى قصرًا فخما فى الجانب الغربى من سامرا اسماه المعشوق، و قد انتقل اليه و سكن فيه.

### قصر المعشوق:

اشار اليعقوبى الى هذا القصر بقوله «و لما ولى المعتمد اقام بسر من رأى فى الجوسق و قصور الخلافه ثم انتقل الى الجانب الغربى (١) بسر من رأى فبنى قصرًا موصوفًا بالحسن سماه المعشوق، فنزله فاقام به حتى اضطرته الامور فانتقل الى بغداد» (٢). و قال عنه ياقوت الحموى «المعشوق و هو اسم لقصر عظيم بالجانب الغربى من دجله قبالة سامرا فى وسط البريه باق الى الآن (٣). ليس حوله شىء من العمران، يسكنه قوم من الفلاحين، الا انه عظيم مكين محكم لم يبن فى تلك البقاع على كثره ما كان هناك من القصور غيره. و بينه و بين تكريت مرحله.

عمره المعتمد على الله (٤). و ذكر ابن الجوزى فى حوادث سنه ٣٥٠ هـ ان معز الدوله احمد بن ابى شجاع البويهى نقض المعشوق بسر من رأى و حمل آجره لبناء داره ببغداد (٥). و جاء فى كتاب تجارب الامم ان معز الدوله قد اشتدت علته و اراد ان يترك بغداد الا ان وزيره ابو محمد المهلبى صرفه عن رأيه واقنعه بان يبنى قصرًا فى اعالي بغداد. و لما شرع بالبناء قلع الابواب الحديد التى على مدينه ابى جعفر المنصور، و نقض قصور الخلافه بسر من رأى

١- فى الاصل الشرقى.

٢- كتاب البلدان / ٢٦٨.

٣- توفى ياقوت الحموى فى سنه ٦٢٦ هـ.

٤- معجم البلدان ١٥٦ / ٥ - ١٥٧.

٥- المنتظم ٢ / ٧.

و نقل منها الآجر لبناء قصره(١). و يظهر انه نقض قصر المعشوق ايضا.

و كان على بن يحيى المنجم نديم الخلفاء مقربا من المعتمد على الله فقلده بناء المعشوق فبنى له اكثره(٢). لأنه توفي في سنة ٢٧٥ ه قبل ان يتم بناء القصر. مما يستدل منه ان المعتمد على الله شيد هذا القصر في حدود السنه المذكوره. فعهد وزيره سليمان بن وهب الى محمد بن عبد الله بن يحيى الاشراف على اكمال بناء القصر، ثم ما لبث ان صرفه الخليفه(٣).

و مر باطلال قصر المعشوق كل من ابن جبير و ابن بطوطه، فقال عنه ابن جبير ابو الحسن محمد بن احمد الاندلسي المتوفى سنة ٦١٤ ه، عند مروره بسامرا «و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر لصفر على شط دجله بمقربه من حصن يعرف بالمعشوق .. فاقمنا بهذا الموضع طول يومنا مستريحين، و بيننا و بين مدينه تكريت مرحله»(٤). و قال عنه ابن بطوطه ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المتوفى سنة ٧٩٧ ه في رحلته من بغداد الى الموصل عند ما مر به «فتزلنا موضعا على شط دجله بالقرب من حصن يسمى المعشوق و هو مبنى على الدجله. و في العدوه الشرقيه من هذا الحصن مدينه سر من رأى و تسمى سامرا»(٥).

و كان المستشرق الفرنسى فيوله-Violet من اوائل المحدثين الذين ابدوا اهتماما بهذا الأثر فنشر دراسه قصيره عنه و بعضا من مخططاته في سنة ١٩١١ م، عقبه المستشرق الالمانى

١- تجارب الامم ٢ / ١٨٢-١٨٣.

٢- معجم الادباء ٥ / ٤٧٦.

٣- الوزراء / ٢٨٤.

٤- رحله ابن جبير / ١٨٥.

٥- رحله ابن بطوطه ١ / ١٤٧.

هرزفيلد فاجرى بعض التنقيبات فيه قبيل الحرب العالميه الاولى(١).

تقع اطلال قصر المعشوق على الضفة الغربيه لنهر الاسحاقى فى الجانب الغربى من نهر دجله، و تسمى اليوم قصر العاشق. و كان المعتمد على الله آخر خلفاء سامرا قد بناه فى اواخر عهده، قبل انتقال مقر الخلافه الى بغداد. و بنايه القصر مستطيله الشكل ذات طابقين، و قد تحول الطابق الأسفل الى سرداب لتراكم انقاض اجزاء الطابق الثانى فيه. و يبلغ طول البنايه ١٣١ مترا و عرضها ٩٦ مترا، و كانت محاطه بساحه مسوره، و يشاهد فى هذه الساحه بين القصر و السور آثار عده مبان فرعيه(٢). و كان يدور حول سور القصر خندق واسع يستمد مياهه من قناه جوفيه (كهريز) ينحدر اليها الماء من العيون التى فى اراضى الجزيره الغربيه فتفضى اليه، لأن موقع القصر كان مرتفعا بالنسبه الى منسوب المياه فى نهر الاسحاقى فلم يكن بالامكان جر الماء منه الى الخندق(٣).

يعتبر قصر المعشوق من اهم القصور الأثرية المتخلفه عن العاصمه سامرا، و كان بناؤه متينا اذ ان معدل عرض جدرانها ٦٠ ر ٢ مترا، اضافه الى انه معزز بابراج ضخمة تدعمه من جوانبه المختلفه، و تحيط به مسناه من بعض جهاته لحمايته من مياه الأمطار. و ذلك ما حدا بالكتاب و البلدانيين القدماء الى ان يطلقوا عليه صفة القلاع و الحصون. و قد نشر المنقب الآثارى السيد ربيع القيسى تقريراً بعنوان «الصيانه الاثريه فى قصر العاشق فى

١- مجله سومر، العدد ١ و ٢ من السنه ١٩٦٧/١٨٣.

٢- الآثار القديمه العامه- سامراء / ٧١.

٣- رى سامراء / ١ / ٨٨.

سامراء» فى مجله سومر(١). تضمن وصفا دقيقا لأعمال الصيانه التى قامت بها مديره الآثار العامه للحفاظ على البقيه الباقيه من جدران القصر و ابراجه المتداعيه و كثير من جدرانه الداخليه التى استظهرت بنتيجته اعمال التنقيب. و فيما يلى ملخص بما كشف من مرافق القصر المذكور قد تساعدنا على تصور تخطيطه و ما كان يحتوى عليه من الغرف و القاعات و الممرات و غير ذلك من المرافق الاخرى.

بنى قصر المعشوق جميعه بالآجر من النوع الكبير (الفرشى) من قياس ٥ ر ١٠ \* ٥ ر ١٠ \* ٥ ر ٢ بوصه. و من اطلاله الباقيه فى الوقت الحاضر يشاهد فى الجبهه الشماليه منه بقايا جدران امكن الاهتداء بواسطتها الى مرافق القصر. و كانت فى القصر اووين على غرار الاواوين فى قصور سامرا الاخرى. و وجد ان جدار الجبهه الشماليه للقصر تصاقبه من الخارج مجموعه من الفرف مستطيله و متوازيه و متعامده على هذا الجدار، و ظهر ان احداها و هى الغرفه الشرقيه تكون ممرا يؤدى الى مرافق القصر العليا، و يحتمل ان يكون هذا الممر مدخلا للقصر من جهته الشماليه. و قد شيد هذا المدخل بالآجر و الجص بهيئه سلم منحدر على دق من التراب يرتفع الى مسافه اربعه امتار ثم ينعطف نحو اليسار، و بعد مسافه ١١ مترا ينحرف مره اخرى نحو اليسار مشكلا ممرا يصل نقطه تقع فوق باب المدخل و عندها ينتهى الدفن المشيد عليه السلم. و ظهرت دلائل معماريه تؤكد استمرار هذا السلم و انعطافه يسارا مره ثالثه فيتصل بعقد من الخشب مشكلا سقفا للقسم الأسفل، و يؤدى بعد مسافه ١١ مترا الى مدخل بعرض مترين يفضى الى مرافق القصر. و فى جدار المدخل عدده نوافذ للاضاءه و التهويه، و كشف عن طابق اسفل تحت هذه الجبهه

بهينه سرداب مشيد بالآجر و الجص على غرار الأواوين فى العمائر الاسلاميه.

و كشف فى منتصف الجبهه الشرقيه للقصر مدخل تدل معالمه البنائيه على انه من المباني المضافه على هذا القسم، و عن يسار المدخل المذكور ثلاث غرف مستطيله الشكل ذات جدران سميكه، و على جدران هذه الجبهه ميازيب عموديه منحوته عرضها ٣٠ سم و عمقها ٢٠ سم لتصريف مياه الأمطار. و يظهر انها نحتت بعد تشييد الجدران لأنه لوحظت آثار قص الجدران، و ان هذا القص يخترق جانبا من المشاكي التى تزين ظاهر الجدران. و كان بعض هذه الجدران تزينها نقوش و كتابات.

و وجد فى الجانب الغربى من القصر منفذ بهينه عقد يتوسط البرجين الثالث و الرابع و عرضه متران، مع آثار غرف صغيره امام المدخل تلاحق جدران القصر من هذا الجانب.

و فى الجبهه الجنوبيه من القصر وجدت بقايا اربعة ابراج.

و ظهر ان بعض جدران هذه الجبهه قد شيدت على وجه الارض من دون اساس و ذلك لصلابه الارض التى تقوم عليها هذه الجدران.

و وجد مدخل صغير فى هذه الجبهه على غرار مدخل الجانب الغربى من القصر. كما وجدت عده مرافق بقرب هذا المدخل تشابه المرافق الملاصقه لمدخل القسم الغربى.

و قد اشاد الباحثى بذكر هذا القصر فى قصيده مدح بها الخليفه المعتمد على الله مطلعها(١):

أريتك الآن المع البروق ام شعل مرفضه من حريق



الى ان يقول:

لازال معشوك يسقى الحيامن كل داني المزن واهى الخروق

فما خلونا مذ رأيناه من فتح جديد، و زمان أنيق

أشرق نظارا الى ملتقى دجله يلقاه بوجه طليق

و طالع الشمس على موعد بمثل ضوء الشمس عند الشروق

لم أر كالمعشوق قصرا بدالأعين الرائين غير المشوق

هذاك قد بر في حسنه سبعا و هذا مسرع في اللحوق

و قد اشار ياقوت الحموى في معجمه الى ان المعتمد بالله كان عمّر قصرا آخر سمي باسمه هو القصر الأحمدي، و لكنه لم يذكر موضعه و متى انشأه، مكتفيا بهذه اللمحه البسيطة، و ذكر ما قاله فيه ابن المعتز واحد الأدباء. فقد ذكر ابن المعتز هذا القصر في شعر امتدح به المعتمد على الله، منه قوله (١):

بدر تنقل في منازل سعد يصبحه و يطرقه

فرحت به دار الملوك فقد كادت الى لقياه تسبقه

و الأحمدي اليه منتسب من قبل و المعشوق يعشقه

و قال بعض اهل الادب: اجتزت بسامرا فرايت على جدران القصر المعروف بالأحمدى مكتوبا(١):

فى الأحمدى لمن يأتيه معتبرلم يبق من حسنه عين و لا أثر

غارت كواكبه و انهد جانبه و مات صاحبه و استفضع الحيز



## الفصل السادس العوده الى بغداد و هجر سامرا

### ١- العوده الى بغداد:

ليس هناك تاريخ معين لترك المعتمد على الله مدينة سامرا و العوده الى بغداد، كما لا تتضح الاسباب التي دفعته الى الانتقال.

و ان ما ورد في المصادر الأوليه حول هذا الموضوع لا يلقى ضوء واضحاً على ذلك. و لكن المتتبع لسير الحوادث خلال السنوات العشر الأخيره من حياه سامرا كعاصمه للدولة العربية يلاحظ ان الخليفه كان في اثنائها يتردد بين بغداد و سامرا، فيكون مقره في سامرا احيانا و في بغداد احيانا اخرى. و نذكر فيما يأتي بعضاً من الحوادث التي وقعت خلال المده المذكوره و كانت بغداد مسرح حدوثها مع ان سامرا كانت لا تزال عاصمه الدوله و مقر الخلافة، لأن دواوين الدوله و خزائنها لازالت فيها.

و مما حدث في سنه ٢٧٠ هـ ان ابا العباس احمد بن الموفق، و كان بمعيه ابيه في حرب الزنج، قدم بغداد و معه رأس الخبيث قائد ثوره الزنج ليراه الناس<sup>(١)</sup>. مما يدل على ان الخليفه كان

---

١- الطبري ٩/٦٦٣، و الكامل ٧/٤٠٥.

حينذاك في بغداد، لأن من المعتاد ان يحمل رأس الثائر الى الخليفة ليقرر ما يراه بشأنه، فقد يأمر بدفنه، او بتعليقه في محل عام او بالطواف به في بعض اقاليم الدوله.

و لتسع بقين من جمادى الآخره سنه ٢٧٢ هـ قدم ابو العباس بغداد منصرفا من وقعته مع ابن طولون بالطواحين(١). و في هذه السنه ورد الخبر مدينه السلام بدخول حمدان بن حمدون و هارون الشاري مدينه الموصل(٢).

و عند ما حبس الموفق ابنه ابا العباس في سنه ٢٧٥ هـ شغب اصحاب ابى العباس و حملوا السلاح، و اضطربت بغداد، فركب ابو احمد حتى بلغ باب الرصافه(٣).

و لأربع عشره خلت من شهر ربيع الاول من سنه ٢٧٦ هـ شخص ابو احمد الموفق من مدينه السلام الى الجبل(٤).

و في أول يوم من شعبان سنه ٢٧٧ هـ قدم بغداد قائد من قواد ابن طولون في جيش عظيم من الفرسان و الرجاله(٥). و مجيء هذا الوفد العسكري الى بغداد يدل على ان الخليفه كان فيها آنذاك.

و ان وفاه الموفق في صفر سنه ٢٧٨ هـ و دفنه بالرصافه ببغداد(٦)، و وفاه المعتمد على الله في رجب سنه ٢٧٩ هـ ببغداد(٧)، مما يشير الى انهما كانا قد استقرا في بغداد.

١- الطبرى ٩ / ١٠.

٢- الطبرى ٩ / ١٠ و الكامل ٧ / ٤١٩.

٣- الطبرى ١٥ / ١٠ و الكامل ٧ / ٤٣٣.

٤- الطبرى ١٦ / ١٠.

٥- الطبرى ١٨ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٣٩.

٦- الطبرى ٢٢ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٤٣.

٧- الطبرى ٢٩ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٥٥.

يقول ابن الأثير ان المعتمد على الله اول الخلفاء انتقل من سر من رأى مذ بنيت ثم لم يعد اليها احد منهم(١).

و يؤيد الخطيب البغدادي تردد المعتمد على الله على بغداد، اذ يذكر انه كان قد استنزل بوران ارمله المأمون عن قصرها المعروف بالحسنى، فاستنظرتة اياما فى تفریغه و تسليمه. ثم رممته و عمرته و فرشته باجل الفرش، و ملأت خزائنه بما يخدم به الخلفاء، و رتبت فيه من الخدم و الجوارى ما تدعو الحاجه اليه، فلما فرغت من ذلك انتقلت منه. فانتقل المعتمد اليه. و لما كانت بوران قد توفيت فى اواخر ربيع الأول من سنه ٢٧١ هـ، فان انتقال المعتمد على الله الى القصر كان قبل وفاتها.(٢)

و يشير ياقوت الحموى الى نفس الخبر المذكور فيقول: «فاتاه فرأى ما اعجبه و ارضاه و استحسنة و اشتهاه، و صار من احب البقاع اليه، و كان يتردد فيما بينه و بين سر من رأى فيقيم هناك تاره و هناك تاره اخرى»(٣). و واضح من هذا ان المعتمد على الله لم ينتقل الى بغداد بصوره نهائيه.

و قد لاحظ ياقوت ان سامرا «لم تزل كل يوم فى صلاح و زياده و عماره منذ ايام المعتصم و الواصل الى ايام المنتصر بن المتوكل. فلما ولى المستعين و قويت شوكة الأتراك و استبدوا بالملك و التولية و العزل، و انفسدت دوله بنى العباس، لم تزل سر من رأى فى تناقص للاختلاف الواقع فى الدوله بسبب العصبية التى كانت بين امراء الاتراك. الى ان كان آخر من انتقل الى بغداد من الخلفاء و اقام بها و ترك سر من رأى بالكلية المعتضد بالله امير المؤمنين»(٤).

١- الكامل ٧ / ٤٥٥.

٢- تاريخ بغداد ١ / ٩٩ - ١٠٠.

٣- معجم البلدان ٢ / ٤.

٤- نفس المصدر ٣ / ١٧٦.

و ذكر المؤرخ زكريا بن محمد القزويني مثل هذا، فقال «و لم تزل في زياده عماره من ايام المعتصم الى ايام المستعين، فعند ذلك قويت شوكت الأتراك و وقعت المخالفه في الدوله. فلم تزل في نقص الى زمان المعتضد بالله فانه انتقل الى بغداد و ترك سامرا بالكليه»<sup>(١)</sup>.

ان ما ذكرناه يؤيد ان المعتمد على الله كان يتردد بين سامرا و بغداد، و انه لم ينتقل بصورة نهائيه الى بغداد. و لعل قيامه ببناء قصر المعشوق في سامرا خلال سنتي ٢٧٥ و ٢٧٦ هـ دليل آخر على انه لم يزعم الانتقال منها. الا انه عند ما تولى المعتضد بالله الخلافه في رجب من سنه ٢٧٩ و هو في بغداد آثر الاستقرار بها، و نقل دواوين الدوله اليها، فعادت من جديد عاصمه للدوله العرييه.

و هكذا كانت سامرا عاصمه للدوله العرييه خلال المده من اوائل سنه ٢٢٣ هـ حتى رجب سنه ٢٧٩ هـ، اي طيله مده تقرب من سبع و خمسين سنه عدا المده التي انتقل بها المتوكل على الله الى المتوكل عليه. اما المده التي انتقل بها المتوكل على الله الى دمشق فانه «لم ير في سفرته هذه شيئا و لا نظر في مصلحه»<sup>(٢)</sup>. اي انه لم يمارس اعماله خلالها. و المده التي انتقل فيها المستعين بالله الى بغداد و بقاؤه فيها حتى تنازله عن الخلافه و قدرها سنه واحده، فقد بقيت سامرا خلالها عاصمه للخليفه المعتز بالله الذي بايعه القواد الأتراك اثر انحدار المستعين بالله الى بغداد.

## ٢- اسباب هجر سامرا:

و كما قامت مدينه سامرا و اتسعت خلال مده و جيزه من الزمن فقد قدر لها ان يغالها الاهمال و يعمها الخراب بسرعه ايضا. و ليس

١- آثار البلاد و اخبار العباد / ٣٨٦.

٢- تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٩١.

هناك اسباب واضحة لهجرها و عوده مقر الخلافة الى مدينه السلام.

الا- ان المتتبع يلمس اهمال الخلفاء الذين جاءوا بعد المتوكل على الله شؤون المدينه العمرانيه عدا مدته قصيره فى ايام المعتز بالله. و ذلك بسبب انشغال الدوله العربيه بالحروب و ما اصابها جراء ذلك من انهاك و ارهاق و بخاصه من الناحيه الماليه، بقيام ثوره الزنج التى استمرت خمسه عشر عاما، و خروج الولايات الشرقيه بين حين و آخر على سلطه الخلافه. بحيث فقدت سامرا و بخاصه قصورها جدتها و بهاءها و اصبحت لا تليق بسكنى الخلفاء فيها. مما جعل المعتمد على الله، رغم الظروف الماليه الصعبه، يبنى له قصرا فى الجانب الغربى من المدينه. و ان المعتضد بالله الذى قضى اكثر ايامه قبل توليه الخلافه ببغداد، رأى بعد ان بويع له ان الاقامه بالقصر الحسنى اكثر راحه و اعظم ابهه من السكن باحد قصور سامرا القديمه.

ولا- ينكر ان عوده العاصمه الى بغداد و نقل مختلف الدواوين و رجالها اليها، و ما تبع ذلك من انتقال عدد كبير من سكان سامرا رعايه لمصالحهم، أثر تأثيرا بالغيا فى عمران سامرا، و افرغها من سكانها تقريبا بحيث كادت تخلو منهم تماما. كما كان لصعوبه توفير مياه الشرب لسكان الضفه الغربيه المرتفعه من سامرا، و هى الجانب الأوسع و الأهم منها، تأثير مهم آخر فى نزوحهم عنها.

فهجرت المدينه التى نافست بغداد ردحا من الزمن زاد على نصف القرن، و تطرق اليها الاضمحلال و الخراب. و قد احسن ياقوت الحموى بقوله انها خربت حتى لم يبق منها سوى موضع المشهد و محله بعيده يقال لها الكرخ، و اصبح «سائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر اليها بعد ان لم يكن فى الأرض كلها احسن منها و لا اجمل و لا اعظم و لا آنس و لا اوسع ملكا»(١).



## ٣- سامرا بعد هجرها:

و قد وصف سامرا بعد هجرها بسنين عديده بعض البلدانيين، و ذكرها بعض الرحالين الذين مروا بها. فقال عنها الاصطخري «و هي خراب ربما يسير الرجل في مقدار فرسخ منها لا يجد بها دارا معموره»<sup>(١)</sup>. و قال المقدسي «و الآن خربت، يسير الرجل الميلى و الثلاثه لا- يرى عماره، و هي الجانب الشرقى، و فى الغربى بساتين .. فلما خربت سميت ساء من رأى»<sup>(٢)</sup>. و قال ابن حوقل «و مدينه سر من رأى فى وقتنا هذا مختله و اعمالها و ضياعها مضمحله، قد تجمع اهل كل ناحيه منها فى مكان لهم به مسجد جامع و حاكم و ناظر فى أمورهم، و صاحب معونه يصرفهم فى مصالحهم.

و هواؤها و ثمار اصح من ثمار بغداد و هوائها. و لها نخيل و كروم و غلات تحمل الى مدينه السلام، و هي الآن خراب اكثرها»<sup>(٣)</sup>.

و مر بها الرحاله ابن جبير فى طريقه من بغداد الى الموصل، فقال عنها «و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر من صفر على شط دجله بمقربه من حصن يعرف بالمعشوق. و على قبالة هذا الموضع فى الشط الشرقى مدينه سر من رأى و هي اليوم عبره من رأى، اين معتصمها و واثقها و متوكلها؟ مدينه كبيره قد استولى عليها الخراب الا بعض جهات منها هي اليوم معموره. و قد اظنبت المسعودى رحمه الله فى وصفها و وصف طيب هوائها و رائق حسننها، و هي كما وصف و ان لم يبق الا- الأثر من محاسنها»<sup>(٤)</sup>.

١- كتاب الاقاليم / ٤٨.

٢- احسن التقاسيم / ١٢٢-١٢٣.

٣- صوره الارض / ٢١٨.

٤- رحله ابن جبير / ١٨٥.

اما ابن بطوطه الذى توفى سنة ٧٧٩ هـ اى بعد وفاه ابن جبير ب ١٦٥ عاما فقد مر بها ايضا و قال عنها «فتزلنا موضعا على شط دجله بالقرب من حصن يسمى المعشوق و هو مبنى على الدجله. و فى العدوه الشرقيه من هذا الحصن مدينه سر من رأى و تسمى ايضا سامرا .. و قد استولى الخراب على هذه المدينه فلم يبق منها الا القليل.

و هى معتدله الهواء رائعه الحسن على بلائها و دروس معالمها. و فيها ايضا مشهد صاحب الزمان»(١).

و لم يفكر احد من الخلفاء بعد المعتضد بالله بالعوده الى سامرا.

و لكن يظهر مما ذكره ابو الحسن الهلال الصابى ان المكتفى بالله كان كلفا بها و كان يخرج اليها للصيد(٢). و يشير الطبرى فى حوادث سنة ٢٩٠ هـ الى ما يدل على ان المكتفى بالله قد اراد الانتقال اليها.

فهو يقول «و لعشر بقين من جمادى الآخره خرج المكتفى بعد العصر عامدا سامرا مريدا البناء بها للانتقال اليها، فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الآخره، ثم انصرف الى مضارب ضربت له بالجوسق، فدعا القاسم بن عبد الله و القوام بالبناء فقدروا له البناء و ما يحتاج اليه من المال للنفقه عليه، و كثروا عليه فى ذلك، و طولوا مداه الفراغ مما اراد بناءه، و جعل القاسم يصرفه عن رأيه فى ذلك و يعظم امر النفقه فى ذلك و قدر مبلغ المال، فثناه عن عزمه»(٣). و قد ذكر ابن الجوزى مثل هذا فى حوادث سنة ٢٩٠ هـ(٤). و قد يكون نقله عن الطبرى. كما اشار الى ذلك ابن الأثير فى حوادث السنه المذكوره(٥).

١- رحله ابن بطوطه / ١ / ١٤٧.

٢- الوزراء / ٢٥٢.

٣- الطبرى / ١٠ / ٩٨-٩٩.

٤- المنتظم / ٦ / ٣٨.

٥- الكامل / ٧ / ٥٢٩.

و كتب عبد الله ابن المعتز الى صديق له يمدح سر من رأى و يصف خرابها، و يذم بغداد و اهلها، و يفضل سامرا، نجتري ء منه بعض الفقرات(١): كتبت اليك من بلده قد انهض الدهر سكانها، و اقعد جدرانها، فشاهد اليأس فيها ينطق، و جبل الرجاء فيها يقصر، فكأن عمرها يطوى، و كأن خرابها ينشر، و قد وكت الى الهجر نواحيها، و استحث باقيها الى فانيها. و قد تمزقت باهلها الديار، فما يجب فيها حق جوار، فالظاعن منها ممحو الأثر، و المقيم بها على طرف سفر، نهاره ارجاف و سروره احلام، ليس له زاد فيرحل و لا مرعى فيرتع. فحالها تصف للعيون الشكوى، و تشير الى ذم الدنيا، بعد ما كانت بالمرأى القريب جنبه الأرض و قرار الملك، تفيض بالجنود اقطارها، عليهم اردية السيوف و غلائل الحديد، كأن رماحهم قرون الوعول، و دروعهم زبد السيول، على خيل تأكل الأرض بحوافرها .. على انها و ان جفيت معشوقه السكنى، و حبيبه المثوى، كوكبها يقظان، و جوها عريان، و حصاها جوهر، و نسيمها معطر، و ترابها مسك أذفر، و شرابها مرى ء ..

لا كبغدادكم الوسخه السماء، الومره الهواء، جوها نار و ارضها خيار، و مأؤها حميم، و ترابها سرجين، و حيطانها نزوز، و تشرينها تموز. فكم فى شمسها من محترق، و فى ظلها من عرق، ضيقه الديار، قاسيه الجوار، ساطعه الدخان قليله الضيفان.

اهلها ذئاب، و كلامهم سباب، و سائلهم محروم و مالهم مكتوم لا يجوز انفاقه و لا يحل خناقه، حشوشهم مسایل و طرقهم مزابل، و حيطانهم اخصاص و بيوتهم اقفاص، و لكل مكروه أجل، و للبقاع دول، و الدهر يسير بالمقيم و يمزج البؤس بالنعيم. و بعد اللجاجة انتهاء، و الهم الى فرجه، و لكل سابله قرار، و بالله استعين، و هو محمود على كل حال:

غدت سر من را فى العناء فى لهاقفا نبك من ذكرى حبيب و منزل

و اصبح اهلوها شبيها بحالها لما نسحتهم من جنوب و شمال

اذا ما امروء منهم شكا سوء حاله يقولون لا تهلك اسى و تجمل

و اذا ما تتبعنا الأخبار عن سامرا بعد هجرها فاننا نجد ذكرها يتردد مقرونا باحداث بعض السنوات. فقد جاء فى حوادث السنه ٢٨١ هـ ان الأعراب دخلوا سامرا و اسروا ابن سيماء (١). و ذكر فى حوادث السنه ٢٩٦ هـ عند ما خلع المقتدر و بويج عبد الله بن المعتز ثم عاد المقتدر، ان ابن المعتز و من بايعه من القواد حاولوا ان يسيروا الى سر من راى بمن تبعهم من الجند فيثبت أمرهم و يشتد سلطانهم، فلم يتبعهم احد (٢). و فى حوادث السنه ٣٢٠ هـ ان مؤنسا انحدر من الموصل فى شوال و بلغ خبره جند بغداد فشغبوا و طلبوا ارزاقهم، ففرق المقتدر بالله فيهم اموالا كثيره، و انفذ ابا العلاء سعيد بن حمدان و صافيا البصرى فى خيل الى سر من رأى، و انفذ ابا بكر بن ياقوت فى الفى فارس و معه الغلمان الى المشوق (٣). و عن وفيات السنه ٣٢٢ هـ يقول ابن الأثير «و فيها توفى خير بن عبد الله النساج الصوفى من أهل سامرا» (٤). و ذكر فى حوادث سنه ٣٣٠ هـ عند ما هرب ابو حسين البريدى من بغداد الى واسط و عاد الخليفه المتقى بالله اليها مع ابن حمدان، و كان المتقى قد سير اهله من

١- الطبرى ٣٧ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٦٨ و فيه انهم قتلوه.

٢- تجارب الامم ٦ / ١، و الكامل ١٦ / ٨.

٣- تجارب الامم ١ / ٢٣٤، و الكامل ٨ / ٢٤١.

٤- الكامل ٢٩٨.

بغداد الى سر من رأى، فاعادهم. كما عاد من هرب اليها من الأعيان(١). ولما نشبت بين اصحاب معز الدوله بعكبرا و ناصر الدوله و من معه من الاتراك بسر من رأى فى سنه ٣٣٤ هـ عبر اصحاب معز الدوله من الديلم من الجانب الشرقى من سر من رأى الى الجانب الغربى و ساروا الى تكريت فنهبوا، ثم صار بعضهم الى سر من رأى فنهبوا ايضا(٢). و يذكر ابن الأثير ان جامع سر من رأى احترق فى سنه ٤٠٧ هـ(٣). و عند ما خرج امر الخليفه القادر بالله فى سنه ٤١٥ هـ بصرف ابن ابى طالب عن نقابه الكوفه انكر الوزير المغربى ما يجرى على صهره ابن ابى طالب من العزل، و كان عند قرداش بسر من رأى(٤). و ورد فى وفيات السنه ٤٢٥ هـ وفاه ابى سنان غريب بن محمد الملقب بسيف الدوله فى شهر ربيع الآخر فى كرخ سامرا، و كان قد ضرب دراهم سماها السيفيه(٥).

و جاء فى حوادث السنه ٤٧٨ هـ ان السلطان بركياروق قتل عمه تكش و غرقه فى سر من رأى(٦).

١- تجارب الامم ٢ / ٣٠، و الكامل ٨ / ٣٨٥.

٢- تجارب الامم ٢ / ٨٩ - ٩٠، و الكامل ٨ / ٤٥٣.

٣- الكامل ٩ / ٢٩٥.

٤- الكامل ٩ / ٣٣٦.

٥- الكامل ٩ / ٤٣٨.

٦- الكامل ١٠ / ٢٣٩.

## الفصل السابع دور السكنى فى سامرا

ان دور السكنى التى تم الكشف عنها فى اطلال سامرا كانت تتألف من طابق ارضى واحد بوجه عام. و جدرانها مبنية باللبن و الجص. اما الآجر فقد استعمل فى تطبيق ارض بعض الغرف، فى عقد الطيقان. و قد شوهد فى بعض الدور نوع من الطابوق المصنوع من الجص فى بناء الطيقان و العقادات المهمه.

اما ارضيه الغرف فيبلط بالآجر و بعضها بالجص، و قليل جدا منها بلط بالرخام الابيض او الاسمر، و قطع الرخام المستعمله مربعه الشكل او مثلثه. و كانت الجدران عاده تطلّى بالجبس.

و لوحظ فى بعض الدور ان القسم الأسفل من جدران غرفها كانت تكسوه قطع الرخام الى ارتفاع متر واحد تقريبا. و على جدران معظم الغرف زخارف محفوره فى الجبس باللوان جميله. اما الجدران الخارجيه فلا أثر للتزيين فيها. و شوهد فى كثير من البيوت اعمده و اساطين مصنوعه من الجص ملتصقه بالجدران، و تحتها قواعد بديعه. و لا شك ان رؤوس هذه الأعمده كانت على هيئه التيجان.

و اغلب الأعمده التى عثر عليها جصيه كلها، و قليل منها يتكون داخلها من اللبن او الطين و قد كسيت بالجص لتجميل منظرها.

و وجد فى جدران بعض الغرف روازين مزينه بالزخارف. و كانت ابواب الغرف تحاط باطار بارز من الجص بوجه عام(١).

و يظهر ان بيوت سامرا بنيت على نسق واحد، اذ يتقدم البيت مدخل مسقف- و هو ما نسميه بالمجاز- يفضى الى باحه مكشوفه مستطيله فى آخرها قاعه رئيسه على شكل حرف "T" مقلوب مع غرفتين صغيرتين فى الزاويتين، و تحاط القاعه بصفوف من الغرف للسكن او لاتخاذها مخازن، و السقوف جميعها خشبيه(٢).

و قد يكون فى الدار اكثر من صحن واحد، و كما اشرنا آنفا فان الغرف فى جميع البيوت المكتشفه مرتبه على نظام واحد: الغرفه الأصلية و تتألف من قسمين، الأول بمثابة الايوان و يتعامد مع القسم الثانى من وسطه و يكون عاده اعرض منه و أقل طولاً. و تقوم على طرفى الايوان غرفتان صغيرتان تفتح باب كل منهما على جناح القسم الثانى الذى يكون بمثابة رواق يمتد امام الغرفتين و يتصل بالايوان الذى يتوسطهما. و مما يلفت النظر ان هذا الترتيب ينطبق تماما على «الطراز الحيرى» الذى سبقت الاشاره اليه. فكان القسم المتوسط الشبيه بالايوان هو «الصدر» و الغرفتان اللتان على جانبيه هما «الكمان» اما القسم الذى يتعامد مع الصدر و الكمين فهو «الرواق». و قد ظهر فى بعض الدور مجازان طويلان على طرفى الكمين و الرواق، و هما بمثابة «خزانه الكسوه» و «مستودع الشراب». كما لوحظ فى بعض الدور ان الصدر لا يتصل بالكمين مباشره، بينما كان فى دور اخرى متصلتا بهما بصوره مباشره. و قد وجد فى احدى الدور المكتشفه ان الصدر كان غرفه مئمنه الشكل ذات ثلاثه ابواب، و ان بعض الغرف مقسمه الى

١- حفريات سامراء ١٩٣٦-١٩٣٩ / ١ / ٢٥.

٢- ٧٨٢ - ٤٨٢: Creswell .E .M .A .P.

قسم داخلى و قسم خارجى بواسطة جدارين صغيرين او بسلسله من الأعمده (١).

و اظهرت التنقيبات فى الدور المكتشفه عده حمامات، و مرافق صحيه، و بالوعات منتظمه يزيد عمق بعضها على ثلاثه امتار.

و شوهده فى بعض الدور مجارى للمياه متقنه الصنع. كما شوهده فى كثير من هذه الدور محلات مخصصه لتربيه الحمام، يقع بعضها فى احدى زوايا الدار، و بعضها الآخر تحت الدرج. و شوهده فى بعض الدور غرف مخصصه لذلك و قد بنيت على جدرانها اكنان على نظام بديع. و كان قسم من هذه الاكنان واسعه يستدل منها انها كانت لتربيه الطيور الداجنه الكبيره كالاوز و الدجاج.

و كشف عن وجود سراديب فى بعض دور السكنى المذكوره على اختلاف مواقعها، و وجد فى بعضها سردابان. و السراديب المذكوره محفوره فى الطبقة الصخرية التى تعرف بين الاهلين باسم «السن».

و كان ينزل الى هذه السراديب بدرج منظم يتألف قسمه الاعلى من خمس قدمات، و قسمه الاسفل من ست قدمات. و يدخل النور الى السرداب عاده من طاقات مفتوحه فى سقفه، و تظهر هذه الطاقات فى ارض الدار كفوهات آبار. و حفرت فى جدران بعض السراديب نوافذ عمياء (روازين) لوضع بعض الحاجات و الاسرجه (٢).

و من المعتاد ان يكون فى مدخل الدار دهليز او مجاز مستطيل تقوم على طرفيه دكتان معدتان للجلوس، و يعقب هذا الدهليز او المجاز مجاز آخر فيه دكتان او اكثر. و مما يلفت النظر ان امثال هذه الدكات كانت لا تزال تشاهد فى دور سامراء الحالىه فى وقت القيام بالتنقيبات. و يكون مدخل الدار فى اغلب الاحيان بارزا عن جدار الدار، و على طرفيه حنايا على شكل محاريب، و على طرفيها بعض

١- حفريات سامراء انف الذكر ١/ ٢٧-٢٨.

٢- نفس المصدر/ ٣١-٣٢.



الأعمده، مما يكسب مدخل الدار جمالا. و لوحظ فى معظم الدور المكتشفه آثار تغييرات حصلت فى بنائها، و فى زخارفها، اكثر من مره، كاستحداث باب فى احد الجدران، او سد باب قديم، او تقسيم غرفه الى قسمين او اكثر، او ردم الأرض و تعليه التطبيق.

او تجديد بعض الزخارف و النقوش. و ذلك ما نسميه اليوم بالصيانه و الأدامه. و تدل هذه التغييرات على نزعه التجديد. لقد لقد شوهدت فى بعض الدور مثلا، قاعه كبيره قد قسمت الى غرف صغيره بجدران بسيطه. حتى ان بعض المغاسل و المراحيض استحدثت فى زاويه من زوايا غرفه غنيه بالزخارف البديعه، مما يدل بشكل واضح على ان التغييرات كانت قد أحدثت بعد ان هجرت الدار من اصحابها الأغنياء فتحولت الى مأوى يسكنه عدد من العائلات الفقيره(١).

و قد وجدت بعض البيوت التى تقع على الشارع العام، تحتوى على صف من الدكاكين(٢). و كان تزيين البيت من الداخل سمه لها شأنها. فقد كانت الافاريز العاليه المزخرفه و المنقوشه توجد فى معظم البيوت، لا سيما فى الغرف، و هى تدور فى جميع جوانبها.

و كذلك كانت السقوف ايضا تزين بالنقوش، كما تزخرف اطارات الابواب و النوافذ، و جل هذه الزخارف من الجص، و قد تفنن صانعوها فى رسمها و صنعها و زينوها احيانا بالصور(٣).

و كان من المعتاد ان يزداد عدد الغرف فى الدار كلما اتسعت مساحتها، و قد يبلغ عدد الغرف فى الدار الواحده ستين غرفه، و بها شبايك تغطيها الواح من الزجاج المتنوع الألوان، يتراوح عرض اللوح الواحد بين العشرين و الخمسين سنتمتر(٤).

١- حفريات سامراء آنف الذكر ١ / ٣٢ - ٣٣.

٢- Creswell ,E.M .A.P .٧٨٢ .

٣- دائره المعارف الاسلاميه ١١ / ٨٦.

٤- الحضاره الاسلاميه ٢ / ١٧٢.

## الفصل الثامن زخارف سامرا

## مقدمه:

لا- شك في ان توفر ماده الطين لصنع اللبن، و التربه الكلسيه الصالحه لتحضير الجص لاستخدامه ملاطا و مؤنه للبناء و لطلاء الجدران و زخرفتها بالرسم او النقش او الحفر، مما ساعد على تقدم الريازه و تطور طرز العماره في سامرا و ازدهار الزخرفه الجصيه التي اتخذت لترين البنايات و القصور ازدهارا كبيرا، بحيث نشأ فيها طراز خاص من هذه الزخرفه باشكال لا تعد و لا تحصى ارتبط باسمها فعرف في تاريخ الفن المعماري بزخارف سامرا. و ان ما كشفت عنه التنقيبات من النقوش الزخرفيه في قصور سامرا و منازلها يدل على براعه صانعيها، و مدى تقدمهم في هذا الفن آنذاك. و يلاحظ ان من مميزات هذه الزخارف انها قد تعمل في خلال البناء او بعد اتمامه، و ان القشره الجصيه التي عليها الزخارف يمكن ان ترفع بسهولة و ان تعوض بقشره جديده تزخرف باشكال تختلف عن الأشكال السابقه. و بعد ان اتخذ القالب لصنع الزخارف المطلوبه صار عملها بهذه الطريقه رخيصا مما عمم استعمالها و اتاح للفنانين مجالا واسعا للعمل في هذا المضمار(١).

و لا- ينكر ان ثمة عوامل فنيه اخرى توفرت فى سامرا لأنها غدت مركزا جذبت اليها فنانيين و صناع كثيرين من جميع انحاء المعموره، و قد استهوتهم ثروه بلاط الخلفاء و الرعايه التى كانوا ينعمون بها فى ظلهم. فقد ر لهذه المدينه ان تكون البوتقه التى انصهرت فيها فنون امم مختلفه من روم و سريان و فرس و اقباط و هنود، و بزغ من ذلك فن جديد هو فن الريازه العربيه(١). و سوف نحاول ان نترسم خطى تطور هذه الزخارف التى اتسع نطاق استخدامها فاتخذت فى الحجر و فى الخشب اضافه الى الجبس و الجص.

### الزخارف الجصيه:

سبق ان اشرنا الى ان جدران الغرفه القائمه فى مدخل السرداب الصغير فى دار الخليفه قد زينت برسوم قافله من الجمال حفرت على الجبس، و ان جدران اواوين هذا السرداب نقشت عليها زخارف جصيه. و قد ازدانت جدران قصور سامرا و مساكنها بالزخارف الجصيه الجميله. و تفاوتت رسوم هذه الزخارف و اشكالها تفاوتا كبيرا، فبعضها غايه فى البساطه و الغلظه، مستقيم الخطوط، غائر العمق، و بعضها احكم زخرفا و ابداع زينه، و قد اهتم الآثاريون بذه الزخارف اهتماما خاصا، فدرسوا مصادرها و تتبعوا مراحل تطورها. و يمكن القول ان العالم الآثارى هرزفيلد اول من عنى بذلك. و قد قسم هذه الزخارف الى ثلاثه انواع بحسب تطورها الزمنى. و يظهر ان تقسيمه نال قبولا- لدى العلماء الآثاريين ممن اهتموا بهذا الفن الذى ازدهر فى عهد سامرا فنسب اليها.

و النوع الأول هو النوع القديم الذى كان امتدادا للطراز الزخرفى الذى كان سائدا عند تأسيس مدينه

سامرا. و يتميز هذا النوع بعمق حفرة و قرب زخارفه من الطبيعه، و هى تتكون من تفريعات العنب، و كيزان الصنوبر، و المراوح النخليه، داخل تقسيمات هندسيه، و لها خلفيات واضحه. و مع ان الزخارف هنا تعتمد على اساليب الزخرفه الامويه، الا ان رجال الفن فى سامرا ابتكروا اشكالا جديده ذات مظهر زخرفى رائع (١).

و يرى كريزول ان الشكل المميز لهذا الطراز هو استخدام العنب فيه، مما يشاهد فى زخارف قبه الصخره مع بعض التغيير فى عدد الاوراق المستخدمه فى الزخرفه، و اختفاء حبات العنب التى كانت تظهر فوق الورقه عند اتصالها بالساق، و اضافه عيون جاحظه بين الورقات، و املاء الأرضيه، و هذا النموذج من الزخارف يرى على باب العامه و هو من البنايات الأولى فى سامرا (٢).

و فى النوع الثانى ابتعد الفنان عن الطبيعه فى رسم زخارفه التى تتكون من اشكال و تفريعات هندسيه تحمل اوراقا نباتيه او اشكالا مختلفه من المراوح النخليه. كما اهمل خليفه الرسم و صارت مجرد خطوط تفصل عناصر الزخرفه. الا انه احتفظ بمميزات الطراز الأول الاخرى كعمق الحفر و احاطه الزخارف باشكال هندسيه (٣). و هذا النوع من الزخارف الجصيه لا تظهر فيه الشجره او النبتة كامله، اذ اختفت سيقانها المتشابهه و اخذ كل منها يظهر مستقلا و متفرقا فى نهايته. اى ان الصفه الغالبه على هذه الزخارف انها ابتعدت عن الطبيعه، و ان التفاف السيقان و التقاؤها هو الغالب بحيث امكن املاء المربعات و المثلثات بالسيقان و البراعم (٤).

١- العراق مهد الفن الاسلامى / ٢١-٢٢، الفنون الاسلاميه / ٩٣.

٢- ٩٨٢: Creswell, F. M. A. P.

٣- العراق مهد الفن الاسلامى / ٢٢، و الفنون الاسلاميه / ٩٣.

٤- ٩٨٢: Creswell, E. M. A. P.

اما النوع الثالث فهو احدث الطراز المذكور، وفيه تبلورت الاسس الفنيه لزخارف سامرا. فابتعد الفنان تماما عن الطبيعه واهمل خلفيه الرسم. و اصبحت الزخرفه تقوم على خطوط متصله ببعضها بشكل لا- يحتاج معه الى الزخارف الدقيقه التي كانت تملأ الفراغ بين الزخارف الكبيره، لأن الأرضيه فى هذا النوع كادت تختفى تماما(١). و ان طريقه عملها اصبحت تعتمد على القوالب، بحيث ان الزخارف لم تعد ترسم و تحفر على الجدار مباشره، كما كان الحال فى النوعين الأول و الثانى، حينما كان الفنان يرسم الزخارف على الجدران فى المكان المطلوب زخرفته ثم يحفر الأرضيه و الخلفيات حول الرسم ليبرز العناصر الزخرفيه المطلوبه. و كان ذلك يتطلب دون ريب جهدا و مالا- فاتبعت طريقه القوالب و بخاصه فى زخرفه المساحات الواسعه من الجدران و السقوف. اذ يعمل الزخرف على قالب من الطين ثم يفخر ليكتسب صلابه، و من ثم يصب ملاط الجص او الجبس فوق القالب بعد ان يدهن كى لا يلتصق الجص بالقالب، ثم يرفع لوح الجص بعد جفافه تماسكه.

و واضح ان هذه الطريقه و فرت مالا- و وقتا و جهدا. لأن القالب يستخدم لمرات عديده فى صنع زخارف متماثله. و لكى لا تتشوه الواح الجص المزخرفه عند رفعها من قوالب فقد اتبع فى حفر القالب طريقه الحفر المائل. و اساس هذه الطريقه ان تنحت العناصر الزخرفيه نحتا مائلا، و تتقابل حوافها فى شكل زوايا منفرجه.

و قد اتبعت هذه الطريقه ايضا فى النحت على الحجاره و زخرفه الخشب. و يطلق عليها الاصطلاح المعروف بالنحت المشطوف او المائل «Beveled»

(٢). و يقول كريزول ان القالب يعمل اول الامر من الخشب ثم تصب عليه نماذج عديده من الطين، و بعد ان

١- العراق مهد الفن الاسلامى / ٢٢-٢٣، و الفنون الاسلاميه / ٩٣.

٢- الفنون الاسلاميه / ٩٤.

تفخر هذه النماذج تصبح هي القوالب التي تصب عليها الزخارف المطلوبة من الجبس، و كان اهم عامل لذلك هو الرغبه فى سرعه انجاز الزخارف بالنظر لسعه الحركه العمرانيه(١).

و يزعم بعض الآثاريين ان الفنان فى سامرا اقتبس هذه الطريقه فى الحفر من الزخارف التى رآها محفوره حفرا مائلا على بعض بعض الحلى التى كان الرقيق الاتراك بجلبونها معهم من بلادهم.

و من هؤلاء ارنست كونل Ernest Kuhnel الذى يرى ان «هذا التطور الأخير فى سامرا يعتبر ثوره زخرفيه كامله. و ابتكارا لطراز عباسى خاص مطعم بالفن التركى، يقوم على اساس الطراز السيتى لتصوير الحيوان فى الفن الشعبى الطوراني، و قد اخذ عن الخشب اصلا، ثم استعمل فى ادوات الزينه. و معروف ان الحفر المائل يمثل هجره الشعب السيتى وحده»(٢). على انه مهما كانت العوامل المؤثره و التى دفعت الى ابتكار هذا الطراز فنحن امام اسلوب جديد فى الزخرفه الجصيه غير مسبوق، او بعبارة اخرى امام فن عربى ناضج، و قد خرج من العراق، او على الأدق من سامرا الى شرق العالم الاسلامى و غربه، محمولا على ايدى العراقيين، او على ايدى فنانيين مسلمين و فدوا الى العراق لكى يتعلموا طراز الخلافه العباسيه على ايدى فناني العراق و صناعه(٣).

ان هذه الوحدات الزخرفيه النباتيه من الازهار و الاوراق و الفروع و البراعم التى رسمها الفنان العربى فى زخارف سامرا بعد ان حورها و احسن تنسيقها، و اسبغ عليها جمالها الفنى الذى تميزت به، اطلق عليها الاوربيون اسم الأرابسك خ Arabesque

١- ٠٩٢ :E.M.A.P. Creswell

٢- الفن الاسلامى / ٣٩.

٣- العراق مهد الفن الاسلامى / ٢٦.

و يتضح من هذه التسميه ان هذه الزخارف عربيه اصلا. و قد توسع استعمال هذه الوحدات الزخرفيه، فنقشت على سقوف القاعات و الغرف، و على ابواب الجوامع و قبابها، و على المقرنصات و الدلايات. و لم يقتصر صنعها على الجص و الجبس، بل اتخذت ايضا على الحجر و الآجر و الخشب، كما رسمت على الطابوق المزجج القاشاني الذي غلفت به قباب الجوامع.

و هذه الزخارف النباتيه التي ولدت تحت سماء سامرا و تجلت خطوطها الاولى في الطراز الثالث من طراز الزخارف الجصيه، قد اخذت تنمو و تتقدم حتى وصلت ذروه جمالها في بعض مباني مدينه الموصل، لا سيما المحاريب الحجرية التي يحتفظ بها المتحف العراقي ببغداد(١). و يحتفظ المتحف العراقي بنماذج عديده لـزخارف سامرا الجصيه بمراحلها او طرزها الثلاث. فهناك لوحان من الجص من هذه الزخارف، و هما من النوع الأول، عثر على احدهما في قصر الجص الذي بناه المعتصم بالله في الجانب الغربي من سامرا، و عثر على اللوح الآخر في احد دور سامرا التي اجري التنقيب في اطلالها(٢). و ثلاثه الواح من الجص نقشت بزخارف هندسيه على طراز سامرا الثاني، و جزء من جدار فيه شباك مزين بالواح جصيه مزخرفه من الجانبين بنقوش هندسيه و نباتيه من الطراز المذكور(٣). و ثلاثه الواح من الجص مزخرفه بنقوش نباتيه و هندسيه، و هي من الطراز الثالث لـزخارف سامرا(٤).

و محراب من الجص مزخرف بنقوش و كتابات كوفيه وجد في احد

١- العراق مهد الفن الاسلامي / ٣٥.

٢- كنوز المتحف العراقي / ٤١٤.

٣- نفس المصدر / ٤١٧.

٤- نفس المصدر / ٤١٩.

القصور بسامرا(١). و لوحان من الرخام نقشا بزخارف محفوره حفرا عميقا باشكال هندسيه بديعه وجدا في سامرا(٢).

### الزخارف الخشبيه:

لم تكن القطع الخشبيه التى عثر عليها فى خلال الحفريات التى اجريت فى اطلال سامرا كثيره، بسبب سرعه تلف الخشب اذا ما تعرض للعوامل الجويه او لفعل الأرضه. و لكنها رغم قلتها كانت متنوعه تنوعا كبيرا. فقد لوحظ ان بعضها سميكه و مزخرفه بطريقه الحفر او الخرط، و بعضها قليله السمك مزخرفه بطريقه النقش بالاصباغ، و قسما منها مزخرفه بطريقتى الحفر و النقش معا.

و اكثر ما عثر عليه من القطع الخشبيه حشوات للابواب، او اجزاء من زخارف سقفيه، و كانت الالوان الغالبه فى زخرفتها اللون الأحمر و الازرق و الابيض، و قد استخدم اللون الأصفر احيانا(٣). اما اشكال النقوش التى رسمت باللوان مختلفه على الخشب فتغلب عليها الرسوم الهندسيه المؤلفه من خطوط منكسره و مثلثات متتاليه او سلسله من الدوائر، مما يؤلف زخارف معقده جميله، و قد استخدمت فى بعض النقوش عناصر نباتيه و حيوانيه(٤).

لقد ابتكر الفنان العربى فى خلال القرن الثالث، اى فى عهد سامرا، طريقه جديده فى الحفر هى طريقه الحفر المائل او المشطوف، و ابتكر اسلوبا زخرفيا يناسبها. و مع ان طريقه الحفر المائل استخدمت فى حفر الزخارف الجصيه على نطاق واسع الا انه

١- نفس المصدر / ٤١٨.

٢- نفس المصدر / ٤١٩.

٣- حفريات سامراء / ٢ / ١٤ - ١٥.

٤- نفس المصدر / ١٥.



يرجح ان اول ظهورها كان على الخشب(١). و يحتفظ متحف المترو بوليان بامريكا من هذا الاسلوب الزخرفى الجديد بمصراعى باب و حشوتين قد تكونان جزء من كنفى باب او من سقف منقوش، و قد عثر عليهما فى تكريت و يرجح انهما جاءا من سامرا، و تعتبر هاتان الحشوتان من اكمل امثله الحفر على الخشب فى سامرا. اما زخارف مصراعى الباب فموزعه- حسب الطريقه التقليديه- على اقسام مستطيله و مربعه داخل اطار خال من الزخرفه، و قد استخدمت فى زخارف الباب و فى الحشوتين الفروع النباتيه و اشكال الزهريات و قد جمعت بشكل بعيد عن الطبيعه(٢). و ان الالواح الخشبيه التى عثر عليها فى اطلال احد قصور سامرا الذى اجريت فيه التنقيبات تحتوى على رسوم قوامها موضوعات نباتيه وفق اسلوب زخارف سامرا الجصيه، و هى ملونه بالالوان المشار اليها آنفا، و تحدها خطوط باللون الاسود(٣).

و فى المتحف العراقى مجموعه من قطع الخشب المزخرف من حشوات الأبواب و مصاريعها، و كلها ذات زخارف بارزه من طراز القطع المائل، و جد معظمها فى حفريات سامرا. منها لوحان من الخشب احدهما مزخرف بنقوش نباتيه دقيقه جدا، و الواح مزخرفه و ملونه. و قطعتان مزينتان بنقوش نباتيه محفوره(٤).

و قد دخل اسلوب زخرفه الخشب و نقشه الى مصر و اصبح شائعا فيها فى عهد الاماره الطولونيه. و فى المتحف الاسلامى فى

١- الفنون الاسلاميه / ٣٧.

٢- نفس المصدر / ١١٧- ١١٨.

٣- نفس المصدر / ٣٧ / ٣٨.

٤- كنوز المتحف العراقى / ٤١٩.

القاهره مجموعه من الأخشاب المزخرفه تعود الى العهد المذكور، و تشتمل على قطع من الابواب و السقوف و الافاريز، و قطع الاثاث المدهون بعضها بالالوان الزاهيه، كما يوجد منها بمتحف المترو بوليتان امثله اخرى جميله(١).

و لعل من احسن أمثله الخشب المحفور من عهد سامرا مما لا يزال محافظا على شكله الأصلي منبر جامع القيروان الذى جلبه الأمير الاغلبى ابو ابراهيم احمد بن محمد من العراق(٢). و يتكون المنبر المذكور من صفوف من الحشوات المقسمه الى مستطيلات تزينها الزخارف الهندسيه المتشابهه و النباتات المجرده و التفريعات من ورق العنب. و نجد فى احدى الحشوات شجره نخيل مستمده من شجره الحياه الشرقيه، و هذه تنتهى بزوج من القرون تعلوها كيزان الصنوبر، و شكل كروى على جانبيه مراوح نخليه. و يتمثل فى هذه الزخارف اسلوب سامرا المجرد، و ذلك فى زخارف من فروع العنب تحمل اوراقا نباتيه، فى البعد عن الطبيعه، و كيزان صنوبر بدلا من عناقيد العنب. و بعض كيزان الصنوبر قريب من مظهره من الطبيعه، و بعضها الآخر ينتهى باشكال من انصاف المراوح النخليه، و هذه تغطيها اوراق نباتيه. و تزين مناطق اخرى من تلك الحشوات موضوعات مجرده تتكون من عدده تعبيرات مركبه يمكن اعتبارها من الاصول الفنيه لبعض العناصر الزخرفيه للاسلوبين الثانى و الثالث من زخارف سامرا الجصيه(٣).

١- الفنون الاسلاميه / ١١٨.

٢- هو الامير السادس من بنى الاغلب و قد امتدت امارته من سنه ٢٤٢ حتى سنه ٢٤٩ هـ.

٣- الفنون الاسلاميه / ١١٥-١١٦.

## الرسوم الحائطية:

كان من المعتاد ان يغطي الجزء الأسفل من جدران الغرف الرئيسة فى القصور و فى كثير من البيوت بوزره من الجص او الطابوق المصقول الى ارتفاع متر واحد تقريبا، مع حشوات زخرفيه. اما بقية الجدار فتزين بالصور و الرسوم الحائطيه.

و من اطرف هذه الرسوم ما عشر عليه فى جناح الحریم، و تضم مناظر راقصات و موسيقيين، و طيور و حيوانات، تنحصر بين دوائر او تفريعات نباتيه(١).

و قد كشفت التنقيبات التى اجريت فى اطلال قصور سامرا عن رسوم حائطيه رسمت على عديد من جدران الأبهاء و القاعات و الغرف و الحمامات، و قد ابداع صانعوها فى رسمها و تلوينها.

و كانت بعض الرسوم باللوان المائيه تموه بالذهب، كما اشرنا الى ذلك فى تزيينات قصر بلكوارا و زخارفه. كما سبق ان اشرنا الى انه قد رسم على جدار احدى القاعات فى قصر المختار الذى بناه المتوكل على الله صوره رهبان الكنيسه و قائد صلاتهم. و تم العثور على بعض المساكن الخاصه و فى احد الحمامات. و اعظم هذه الرسوم اهميه هى التى وجدت فى قصر الخليفه، و بخاصه فى قسم الحریم منه. و فى هذه الرسوم فروع نباتيه تشغل الفراغات، و رسوم بشريه، و رسوم حيوانات(٢). و كانت الدرجات فى حمامات سامرا تزين بالصور بدلا من البلاط المختلف الالوان، و ذكر المسعودى ان الناس يصورون العنقاء فى الحمامات(٣).

١- نفس المصدر / ٣٧.

٢- فن التصوير عند العرب / ٤٢.

٣- الحضاره الاسلاميه / ٢ / ١٨٥.

و لعل اروع الصور التى عثر عليها سليمه واضحه و قد احتفظت بالوانها و كانت تزين حائط احدى غرف قسم الحريم فى قصر الخليفه. و تعد هذه الصوره مثالا- نموذجيا لاسلوب سامرا فى الرسم المائى. و هى تمثل راقصتين كاملتى الملبس، تبدوان و كأنهما تتحركان احدهما نحو الاخرى و تمسكان بايديهما المتقاطعتين بكأسين تصبان فيهما الخمر بشكل متزن من وعائين يظهران خلف رأسيهما. و ان الاموانى الذهبية، و التيجان و الأ-حزمه، و اللآلى ء فى رأسيهما و فى آذانهما، و كذلك الألبسه الثقيله و الجذائل الطويله، كل هذه توضح بان تينك المطربتين تنتميان الى قصر الخليفه. و قد تجلت المهاره و الدقه و الابداع فى الرسم و فى التلوين، و جميعها تنطق بان المصور العراقى فى عصر سامرا قد بلغ درجه عاليه من النضوج(١).

و فى المتحف العراقى قطع جداريه من الجص عليها رسوم بالالوان المائيه بزخارف هندسيه و نباتيه و حيوانيه وجدت فى اطلال مختلفه من قصور سامرا(٢). و قطع من الخشب مصبوغه بالوان مختلفه عليها رسوم باشكال هندسيه متنوعه، وجدت فى حفائر سامرا(٣).

### الزخرفه بالفيسفساء:

عثر بين انقاض بعض الغرف فى دار الخليفه على كميه كبيره من الفصوص الزجاجيه: مكعبات صغيره من الزجاج الملون بينها

١- العراق مهد الفن الاسلامى / ٥٠، و فن التصوير عند العرب / ٤٢.

٢- كنوز المتحف العراقى / ٤١٧.

٣- نفس المصدر / ٤١٩.

الأخضر و الأسود و الأحمر و الأزرق و الذهبى، و كان البعض منها ملتصقا بقطع جصيه مما يستدل منه انها كانت تستعمل لتغطيه الجدران بزخارف من الفسيفساء. كما وجدت بين الأنقاض المذكوره كميه من القطع الصديقيه التى تختلف عن بعضها اختلافا بينا من حيث اشكالها و ابعادها، و كان بعض هذه القطع ملتصقا بقطع جصيه بين فصوص زجاجيه منتظمه، مما يدل على انها كانت تدخل فى تركيبات الفسيفساء الزخرفيه لتكسبها رونقا و جمالا خاصا. و وجدت كذلك قطع زجاجيه سوداء و حمراء مختلفه الأطوال و الأشكال مما يدل على انها كانت تتخذ لتطعيم جص الجدران و تكوين انطقه و اطارات للزخارف (١).

و فى المتحف العراقى كسر من القاشانى الملون او من نوع الفسيفساء وجدت فى اطلال سامراء، و اكثرها من دار الخليفه (٢).

١- حفريات سامراء ١٩٣١-١٩٣٩، ١٣/٢.

٢- كنوز المتحف العراقى / ٤١٤.

الباب الثاني خلفاء سامرا ١- الخلفاء و المبايعه و ولايه العهد

٢- المعتصم بالله

٣- الواثق بالله

٤- المتوكل على الله

٥- المنتصر بالله

٦- المستعين بالله

٧- المعتز بالله

٨- المهتدى بالله

٩- المعتمد على الله



## الباب الثانى خلفاء سامرا

### الفصل الأول الخلفاء و المبايعه و ولايه العهد

#### ١- الخلفاء:

#### اشاره

يتطلب فهم طبيعه عهد الخلفاء العباسيين فى سامرا، من حيث اسلوب الحكم الذى اتبع فى اداره شؤون الدوله العربيه المتراميه الأطراف. و طرق معالجه المشاكل الداخليه و الخارجيه التى واجهتها. معرفه نظام الخلفاء و اسسه التى قام عليها و العوامل المختلفه التى اثرت فى تطوره، و لذا سنحاول فيما يلى ان نوضح ذلك مختصرا.

لقد تطور نظام الحكم العربى فى العهد العباسى عما كان عليه فى عهد الأمويين. و قد حصل هذا التطور بفعل عوامل متعدده أثرت فيه، لعل اهمها الاساس الدينى الذى بنى عليه العباسيون حقهم فى الخلفاء. اذ انهم ثبتوا نظام الوراثة فى الحكم، و اعتبروا قرابتهم



من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأساس الشرعى لخلافتهم. وكان نهج العباسيين هذا تطورا تاريخيا طبيعيا للدولة العربيه لأنها لم تقتصر على البلاد العربيه وحدها، بل انها ضمت تحت لوانها اقواما عديده اعتنق اغلب ابنائها الدين الاسلامى و جعلوا ولاءهم له، و هو يدعو الى التوحيد بين الناس و يعتبرهم سواسيه و لا يفضل احدا على آخر الا بالتقوى. فقد جاء فى خطاب ابى العباس السفاح اول خلفاء بنى العباس، عند ما بويع بالخلافه قوله: «الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه و كرمه و شرفه و عظمه، و اختاره لنا و ايده بنا و جعلنا اهله و كهفه و حصته .. و خصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم، و انتبنا من شجرته و اشتقنا من نبعته»(١).

كما انهم اكدوا على الأساس الدينى لحكمهم. و قد جاء فى خطبه داود بن على و هو عم السفاح قوله: «و رجع الحق الى نصابه فى اهل بيت نبيكم، اهل الرأفه بكم و الرحمه لكم و التعطف عليكم، الا و ان ذمه الله و ذمه رسوله و ذمه العباس لكم ان نسير فنحكم فى الخاصه و العامه منكم بكتاب الله و سنه رسوله»(٢). بحيث اصبحت الخلافه منصبا مقدسا يستلزم الولاء و الطاعه و النصره(٣). و انها خلافه عن صاحب الشريعه مع حراسه الدين و سياسه الدنيا(٤).

و ولايه عامه على كافه الأمه، و القيام بامورها و النهوض باعبائها(٥). فكان الخليفه رأس الدوله و مصدر السلطات كلها، و هو المرجع الأخير لشؤون الرعيه الدينيه منها و الدنيويه.

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٥٤ - ٥٥.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٥٠.

٣- الاحكام السلطانيه للماوردى / ٨.

٤- مقدمه ابن خلدون / ١٠٤.

٥- مآثر الانافه ٨ / ١.

اما الشروط التى يجب ان تتوفر فيمن يتولى الخلافة فان الماوردى يرى ان الشروط المعترفه سبعة، اولها: العدالة، و الثانى: العلم المؤدى الى الاجتهاد، و الثالث: سلامه الحواس، و الرابع سلامه الأعضاء، و الخامس الرأى المفضى الى سياسه الرعيه، و السادس. الشجاعه و النجده، و السابع: النسب و هو ان يكون من قریش(١).

و يرى ابو يعلى الحنبلى انها اربعة، احدها: ان يكون قرشيا من الصميم، و الثانى: ان يكون على صفه من يصلح ان يكون قاضيا، و الثالث: ان يكون قيما بأمر الحرب و السياسه و اقامه الحدود، و الرابع: ان يكون من افضلهم فى العلم و الدين: و قد روى عن الامام احمد بن حنبل ما يجيز اسقاط اعتبار العدالة و العلم و الفضل(٢).

و يتفق ابو يعلى مع الماوردى فى جواز ان يسمى خليفه من عقد له الامر، و ان يسمى رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنه خلفه فى امته(٣).

و قد لخص ابن خلدون الشروط المذكوره باربعه هى: العلم و العدالة و الكفايه و سلامه الحواس و الأعضاء مما يؤثر فى الرأى و العمل، و اختلف فى شرط خامس و هو النسب القرشى، و اذا ما تقرر ان نصب الخليفه واجب فهو من فروض الكفايه، و يتعين على اهل الحل و العقد نصبه، و يجب على الجميع اطاعته(٤).

١- الاحكام لسلطانيه للماوردى / ٤.

٢- الاحكام السلطانيه لابي يعلى / ٤.

٣- الاحكام السلطانيه / ١٢، و الاحكام السلطانيه للحنبلى / ١١.

٤- مقدمه ابن خلدون / ١٠٥.

اما واجبات الخليفة فهي عشر، احدها: حفظ الدين على اصوله المستقره، و الثانى: تنفيذ الاحكام بين المتنازعين حتى تعم النصفه. و الثالث: حمايه البيضه و الذب عن الحريم، و الرابع:

اقامه الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك، و الخامس تحصين الثغور بالعهده و العدد، و السادس: جهاد من عائد الاسلام بعد الدعوه حتى يسلم او يدخل فى الذمه، و السابع: جبايه الفىء و الصدقات على ما اوجبه الشرع، و الثامن: تقدير العطايا و ما يستحق فى بيت المال من غير سرف و لا تقتير، و التاسع: استكفاء الامناء و تقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الأعمال و بكل اليهم من الأموال، و العاشر: ان يباشر بنفسه مشارفه الأمور و تصفح الأحوال لينهض بسياسه الأمه. و اذا ما قام الخليفه بهذه الواجبات فقد وجب له على الأمه حقان: هما الطاعه و النصره، ما لم يتغير حاله من جرح فى عدالته او نقص فى بدته(١).

و كان للاستعانه بالعناصر غير العربيه فى الحكم فى عهد العباسيين أثر مهم فى تطور نظام الحكم. فقد تأثر العرب بالانظمه الاداريه التى كانت قائمه فى البلاد المفتوحه، و اقتبسوا بعض التقاليد التى اضفت على الخلافه مزيدا من الهيئه و الاحترام.

### ضعف الخلافه:

ادى تعاظم نفوذ الأتراك فى عهد سامرا الى اضعاف شأن الخلافه و الخلفاء. فقد بدأ نفوذ قوادهم يظهر واضحا و يتسع منذ عهد الواثق بالله. اذ انه توسع فى تكريمهم، حتى تسنى لهم ان يستبدوا بالحكم دون الخلفاء بشكل سافر خلال المده التى امتدت بين اغتيال المتوكل على الله و استخلاف المعتمد على الله. اذ تميزت

١- الاحكام السلطانيه للماوردى / ١٣-١٤، الاحكام السلطانيه للحنبللى / ١١-١٢.

هذه المدة باستبداً القاده الاتراك بالخلفاء، فكانوا يختارون من يريدونه للخلافه و يجبرونه على التنازل عند ما يختلفون معه.

و الواقع ان تدخلهم فى اختيار الخلفاء بدأت بوادره عند ما توفى الواثق بالله، الذى لم يعهد لأحد بالخلافه من بعده، احتجوا بعدم لياقه ابنه للخلافه و قالوا انه غلام امرد لا تجوز معه الصلاه(١).

دلالة على صغر سنه. فاختروا اخا الواثق بالله جعفر بن المعتصم بالله الذى لقب بالمتوكل على الله. و كان اول من بايعه القائدان التركيان وصيف و سيما الدمشقى(٢). و قد شجعهم هذا التدخل فى اختيار الخليفه على الاستمرار فى التدخل بشؤون الدوله طيله عهده الذى قضاه فى صراع مستمر ضد تدخلهم و محاولتهم السيطرة على السلطه، ذلك الصراع الذى انتهى باغتياله على ايديهم.

و قد تكون ازاحه الوزير القدير محمد بن عبد الملك الزيات عن مسرح الحكم حينما قتله المتوكل على الله فى مطلع استخلافه، قد افقدت الخليفه ظهيرا على درجه كبيره من الحنكه و الدهاء مما لم يتوفر فيمن استوزرهم بعده، بحيث يستطيعون كبح جماح اولئك القاده المتعطين للسلطه و الثروه و الجاه.

و بعد ان استطاع القواد الاتراك اغتيال المتوكل على الله استفحل نفوذهم بحيث غدوا اصحاب السلطه الفعلية فى الدوله العرييه. و سوف نرى فى فصول قادمه مراحل الصراع بين الخلفاء و هؤلاء القاده و مظاهره و ما ترتب عليه من النتائج من جراء تدخلهم فى سياسه الدوله و فى اختيارهم الخلفاء. «فكان الخليفه فى يدهم كالأسير ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعه و ان شاءوا

١- الطبرى ٩/ ١٥٤.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٤.

قتلوه (١) و ذلك حسبما تمليه عليهم رغباتهم، و بما يؤمن مصالحهم. و قد استمر هذا الوضع حتى استخلف المعتمد على الله حينما استطاع اخوه ابو احمد الموفق ايقافهم عند حدهم، و استعاده سلطه الخلافه الى حين.

## ٢- المبايعه و ولايه العهد:

عند ما توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم انتخب المسلمون ابا بكر الصديق دون ان يكون هناك نص بذلك اوامر من الرسول صلى الله عليه و سلم. و عند ما انتخبوه عاهدوه على السمع و الطاعه بما فيه رضاء الله سبحانه و تعالى، و عاهدهم هو من جانبه على ان يعمل بموجب كتاب الله و سنه نبيه. و كان التعاهد المتبادل بين الخليفه و الأمه هو ما قصد به «البيعه او «المبيعه» لأنه يشبه ما يفعله البائع و المشتري عند عقد صفقه بينهما، اذ انهما يتصافحان بايديهما دلالة على اتمام معامله البيع. و كما ان عمليه البيع تستلزم الوفاء فان المبايعه توجب الوفاء بها. اما من الناحيه الشرعيه فان البيعه اتفاق تعاقدى بين جانبيين الأول هو المرشح و يؤلف ركن الايجاب، و الآخر هو الشخص المختار و يؤلف ركن القبول. و يشترط على من يبايع ان يظل مخلصا لأوامر الله، و هذا يعنى ان الحاكم اذا لم يظل متمسكا بهذه الأوامر فان لمن بايعوه الحق فى التحلل من التزاماتهم. على ان الأثر الملزم للبيعه شخصى و يستمر مدى الحياه، و لذا فان الجزاء الدنيوى لنكث البيعه هو القتل (٢).

١- الفخرى / ٢٢٠.

٢- دائره المعارف الاسلاميه / ٤٣- ٤٤.

ان البيعه على رأى ابن خلدون «هى العهد على الطاعه، كأن المبايع يعاهد اميره على ان يسلم له النظر فى امر نفسه و امور المسلمين لا ينازعه فى شىء من ذلك، و يطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط و المكروه. و كانوا اذا بايعوا الأمير و عقدوا ايديهم فى يده تأييدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع و المشتري، فسمى بيعه، و صارت البيعه مصافحه بالأيدى»<sup>(١)</sup>.

و من المعتاد ان تتم مبايعه الخليفه على مرحلتين او اكثر.

و المرحله الاولى هى ما اصطلح على تسميتها «البيعه الخاصه» و فيها يشترك عدد محدود من كبار رجال الدوله و الحاشيه، ثم تعقبها «البيعه العامه» و تتم بمرحله واحده او اكثر. و قد تؤخذ البيعه احيانا بموجب عهد مكتوب، تتم المبايعه وفق ما جاء فيه. و ذلك تأكيدا لأثبات الحق الشرعى للخليفه المبايع له.

و يتضمن هذا العهد المبايعه بالخلافه، و التعهد بالطاعه و الامتثال لأوامر الخليفه و عدم عصيانه، و اليمين الكفيله بالالتزام بذلك.

كما جاء فى كتب بيعه بعض خلفاء سامرا<sup>(٢)</sup>.

قد تطورت طريقه اختيار الخليفه على يد ابى بكر الصديق (رض)، اذ انه اختار من يخلفه فى الأمر عند مماته. و بذلك اصبح من حق الخليفه القائم ان يختار من يخلفه و على الأمه ان تعاهده على طاعته. و هذا ما سمي بولايه العهد. يقول الماوردى «ان انعقاد الخلافه بعهد من الخليفه السابق امر انعقد الاجماع على جوازه، و تم الاتفاق على صحته»<sup>(٣)</sup>. و يقول ابن خلدون «لما كانت الامامه هى النظر فى مصالح الأمه لدينهم

١- مقدمه ابن خلدون / ١١٤.

٢- يلاحظ مثلا كتاب بيعه المنتصر بالله، الطبرى ٩ / ٢٣٧ - ٢٣٩، و كتاب بيعه المعتر بالله، نفس المصدر / ٢٨٤ - ٢٨٦.

٣- الاحكام السلطانيه / ٧.

و دنياهم، و الأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته، و تبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماته و يقيم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها، و يثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا فيما قبل. و قد عرف ذلك من الشرع باجماع الامه على جوازه و انعقاده»(١).

و فحوى هذين القولين ان الخليفه، و هو المسؤول عن شؤون الامه الدينيه و الدنيويه، يجوز له شرعا ان يعين من يخلفه في منصبه بحيث يطمئن الى قيام من عهد اليه بواجبات الخلافه في حفظ بيضه الدين و رعايه مصالح الامه. و اذا ما عين الخليفه احدا لولايه العهد بعده، و جب على الامه الاعتراف به و الخضوع لسلطته، و يتمثل هذا الاعتراف بمبايعته.

و اذا اراد الخليفه ان يعهد لاحد من بعده فعليه ان يجهد رأيه في الأحق بها و الاقوم بشروطها. فاذا تعين له الاجتهاد في واحد جاز ان ينفرد بتفويض العهد له ان لم يكن ولدا او والدا. اما اذا كان ولي العهد ولدا او والدا فقد رأى بعض الفقهاء وجوب مشاوره اهل الأختيار، و اجاز البعض للخليفه الانفراد بتفويض العهد له. و اذ عهد الخليفه الى من يصح العهد له على الشروط المعتمره فيه فليس للخليفه الموكى عزل من عهد اليه ما لم يتغير حاله. كما لا يجوز لأهل الاختيار عزل من بايعوه اذا لم يتغير حاله. اما اذا عهد الخليفه الى اثنين او اكثر و رتب الخلافه فيهم، فقال من بعده فلان، فان مات فالخليفه بعد موته فلان، فان مات فالخليفه بعده فلان، جاز له ذلك و كانت الخلافه منتقله الى الثالثه على ما رتبها. و اذا مات الخليفه و الثالثه احياء كانت الخلافه بعده حسب ترتيبه. اما اذا مات الاول في حياه الخليفه صارت

الخلافة بعده للثاني، و اذا مات الاول و الثاني فى حياه الخليفه فالخلافة بعده للثالث. لأنه قد استقر العهد لكل واحد من الثلاثة. و لو مات الخليفه و الثالثه من اولياء عهده احياء، و افضت الخلافة الى الاول منهم و اراد ان يعدل بها الى غير الاثنين مما يختاره لها، فمن الفقهاء من منعه من ذلك الا ان يستنزل عنها مستحقها طوعاً (١).

من الواضح ان اغلب الاحكام المشار اليها بشأن ولايه العهد نظريه بحته، لأن الخلفاء لم يكونوا يتقيدون بها الا بقدر ما يؤمن من رغباتهم و يلائم اهواءهم، اما تجربه العهد لأكثر من واحد فقد فشلت عمليا لما تثيره من خلافات و منازعات بين من عهد اليهم. و هناك من الخلفاء من يتزمت بعظم المسؤوليه تجاه الأمه فلا يريد ان يتحمل و زر من يخلفه، فلا يعهد لأحد من بعده، انما يترك ذلك لاختيار الأمه بعد وفاته. فان الواثق بالله لم يعهد لاحد من بعده لأنه لم يرد ان يتحمل المسؤوليه حيا و ميتاً (٢).

- 
- ١- يلاحظ كتاب تنازل كل من المعتز و المؤيد عن ولايه العهد- الطبرى ٩/ ٢٤٦، و ان المعتز لما خلع اخاه المؤيد من ولايه عهده اخذ منه رقعته بخطه بخلع نفسه، نفس المصدر/ ٣٦٢.
  - ٢- تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٨٣.





## الفصل الثانى المعتصم بالله ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد

### ١- وصيه المأمون:

عند ما مرض المأمون و هو فى بلاد الروم فى سنه ٢١٨ هـ و اشتدت به علته احضر ابنه العباس و جمعا من القضاة و الفقهاء و القواد و الكتاب و اوصى بحضرتهم. و فيما يلى بعض ما جاء فى وصيته: «هذا ما اشهد عليه عبد الله بن هارون. و بعد ان استغفر و استرحم لنفسه .. ثم طلب الى اخيه ابى اسحاق ان يدنو منه، و قال له: ادن منى و اتعظ بما ترى، و خذ بسيره اخيك فى القرآن، و اعمل فى الخلافه اذا طوقكها الله عمل المرید لله .. و لا تغل امر الرعيه، الرعيه الرعيه، العوام العوام، فان الملك بهم، و بتعهدك المسلمين و المنفعه لهم، الله الله فيهم .. و لا ينهين اليك امر فيه صلاح للمسلمين و منفعه لهم الا قدمته و آثرته على غيره عن هواك، و خذ من اقويائهم لضعفائهم، و لا تحمل عليهم فى شىء، و انصف بعضهم من بعض بالحق بينهم .. و عجل الرحله عنى و القدوم الى دار ملكك بالعراق .. و الخرميه فاغزهم ذا حزامه و صرامه

و جلد، و اكنفه بالاموال و السلاح و الجنود من الفرسان و الرجاله، فان طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من انصارك و اوليائك ..

ثم دعا به ثانيه، حين اشتد به الوجع، و قال له: يا ابا اسحاق عليك عهد الله و ميثاقه .. لتقومن بحق الله في عباده و لتوثرن طاعته على معصيته اذ انا انقلها من غيرك اليك .. فانظر من كنت تسمعنى اقدمه على لساني فاضعف له التقدمه، عبد الله بن طاهر ..

و اسحاق بن ابراهيم .. و عبد الوهاب عليك به من بين اهلك فقدمه عليهم .. و ابو عبد الله بن ابي دواد فلا يفارقك و اشركه في المشوره في كل امرك .. و لا تتخذن بعدى وزيراً .. فقد علمت ما نكبنى به يحيى بن اكرم في معامله الناس و خبث سيرته ..<sup>(١)</sup>

كما سبق ان نفذت كتب المأمون الى عماله في البلدان، و كان في اولها: من عبد الله المأمون امير المؤمنين و اخيه الخليفه من بعده ابي اسحاق بن امير المؤمنين الرشيد. و يقول الطبرى ان ذلك لم يكتبه المأمون، بل كتب استنادا الى امره بعد ان افاق من غشيه اصابته في مرضه انه اذا حدث به حدث الموت في مرضه هذا فالخليفه من بعده ابو اسحاق بن امير المؤمنين الرشيد، فكتب الكتب بالصيغه المذكوره<sup>(٢)</sup>.

و يتضح من هذا ان المأمون عند ما احس بدنو اجله اوصى اخاه ابا اسحاق بحضور العباس بن المأمون و جمع من القواد و القضاة و الكتاب، بما يلتزم به اذا ما طوقه الله بالخلافه، و هو لم يعهد له بها صراحه. و يبدو ان مؤيدى ابي اسحاق تنبهوا الى ذلك فكتبوا الى العمال في البلدان على لسان المأمون بان الخليفه من بعده هو اخوه ابو اسحاق. و انهم كتبوا بذلك استنادا الى امر المأمون بانه اذا ما توفى في مرضه فالخليفه من بعده ابو اسحاق.

١- كامل النص في الطبرى ٨ / ٦٤٧ - ٦٥٠.

٢- الطبرى ٨ / ٦٤٥ - ٦٤٦.

فكانت هذه الملاحظات سببا في ان مبايعه ابى اسحاق لقيت معارضه من العباس بن المأمون و مؤيديه من القواد، مما سبب بعض المشاكل للمعتصم بالله فيما بعد.

و من الجدير بالذكر ان نشير الى ان الخليفه هارون الرشيد عند ما عهد بالخلافه الى ابنائه الثلاثه، جعل للمأمون عند ما يتولى الخلافه اثبات القاسم او خلعه. فقد نص في كتاب العهد على «اذا افضت الخلافه الى عبد الله بن امير المؤمنين فالأمر اليه فى امضاء ما جعله امير المؤمنين من العهد للقاسم بعده او صرف ذلك عنه الى من رأى من ولده و اخوته»<sup>(١)</sup>. و بينما اعتاد الخلفاء ان يعزلوا اخوتهم من ولايه العهد استثنارا بها لأبنائهم فان المأمون نقلها من اخيه القاسم، و لكن ليس لابنه العباس، و انما ليعهد بها الى اخيه الآخر ابى اسحاق، رغم ان العباس كان مؤهلا لمنصب الخلافه بعد ابيه، فقد كان شجاعا محببا الى الجنود. و لم يوضح المأمون سبب اختياره اخيه ابى اسحاق و تفضيله على ابنه. و يقول ابن دحيه ان المأمون نص على خلافه المعتصم دون اولاده لرؤيا رآها من النبي صلى الله عليه و سلم<sup>(٢)</sup>. على اننا نرى ان الروح العسكريه التى كان يتميز بها ابو اسحاق هى التى جعلت المأمون يفضل على ابنه، بالنظر لما كان يهدد الدوله العربيه من الأخطار، لا سيما تمرد الخرميه التى كانت تستهدف القضاء على الدوله، و خطر الروم الذى ما زال يهدد الثغور العربيه. اضافه الى ان ابا اسحاق كان مقربا الى اخيه المأمون، و قد ولاه الشام و مصر منذ سنه ٢١٤ هـ، و استصحبه معه فى حملته الأخيره على بلاد الروم.

١- نفس المصدر / ٢٨٠ - ٢٨١.

٢- النبراس / ٦٣.

## ٢- مبايعه المعتصم بالله:

تجمع المصادر التي تذكر مبايعه ابي اسحاق بالخلافه اثر وفاه اخيه المأمون في يوم الخميس لاثنتي عشره بقيت من شهر رجب سنه ٢١٨ هـ على ان قسما من الجند و القواد الذين كانوا في حمله المأمون، كانوا ميالين الى مبايعه العباس دونه، و انهم طلبوا نقل الخلافه الى ابن المأمون. فقد اشار ابن قتيبه الى ذلك بقوله «فاراد الناس ان يبايعوا العباس، فأبى و سلم الى ابي اسحاق الأمر، فتوجه ابو اسحاق نحو بغداد مسرعا خوفا على نفسه من جماعه من القواد كانوا هموا به»<sup>(١)</sup>. و يقول اليعقوبى «و امتنع بعض القواد من البيعه لمكان العباس من المأمون، فخرج اليهم العباس من مضر به فكلهم بكلام استحمقوه فيه فشتموه و بايعوا لأبى اسحاق. و انصرف المعتصم يريد العراق»<sup>(٢)</sup>. و جاء في الطبرى ان الناس كانوا قد اشفقوا من منازعه العباس بن المأمون له في الخلافه، و ان الجند شغبوا لما بويح له، و طلبوا العباس و نادوه باسم الخلافه، فارسل ابو اسحاق الى العباس فجاء و بايعه و اخبر الجند انه بايع عمه و سلم اليه الخلافه فسكنوا<sup>(٣)</sup>. اما الملاسعودى فيذكر انه كان بين ابي اسحاق و العباس بن المأمون في ذلك الوقت تنازع في المجلس، ثم انقاد العباس الى بيعته<sup>(٤)</sup>. و يقول مؤلف كتاب العيون و الحدائق بما يشبه ما اورده الطبرى من شغب الجند على المعتصم بالله و مناداتهم العباس باسم الخلافه فارسل اليه فجاء و بايعه و خرج الى الجند و اخبرهم بانه بايع عمه و سلم اليه الخلافه فسكتوا، و سار المعتصم بالله الى بغداد مسرعا خوفا على نفسه من

١- المعارف / ٣٩٢.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧١.

٣- الطبرى ٨ / ٦٦٧.

٤- مروج الذهب ٤ / ٤٦.

القواد و كانوا هموا به(١). و كذلك يقول مسكويه ان الناس شغبوا على المعتصم و طلبوا العباس و نادوا باسم الخلافة، فارسل ابو اسحاق الى العباس فاحضره. فبايعه و خرج الى الجند و قال لهم قد بايعت عمى و سلمت الخلافة اليه فسكنوا(٢). اما ابن الأثير فيقول و لما بويغ له شغب الجند و نادوا باسم العباس، فارسل اليه المعتصم فاحضره فبايعه، ثم خرج الى الجند فقال لهم ما هذا الحب البارء، قد بايعت عمى فسكنوا(٣). و ينفرد ابو حنيفه الدينورى بالقول ان المأمون كان قد بايع لابنه العباس بولايه العهد من بعده، و لما مات المأمون جمع اخوه ابو اسحاق محمد بن هارون اليه و جوه القواد و الجند و دعاهم الى بيعته فبايعوه، فسار من طرسوس حتى وافى مدينه السلام، و خلع العباس بن المأمون و غلبه عليها(٤). و هو قول يدحضه ما اتفق عليه من سبقه من المؤرخين الذين اشرنا اليهم.

يستنتج مما جاء فى هذه الروايات التى تتفق فى فحواها ان العباس بن المأمون كان يطمح الى تولى الخلافة بعد ابيه، و له من يؤيده من القواد و الجند و ان هؤلاء كانوا مطمئنين الى انه سيتولاها بعد موت ابيه. و لما قيل ان المأمون قد عهد لأخيه ابى اسحاق فقد اشفقوا من قيام النزاع بين العم و ابن اخيه، و هذا ما حدث فعلا.

و يبدو ان القواد و الجند قد انقسموا الى فئتين، احدهما تناصر ابا اسحاق و تحتج بأن المأمون قد عهد اليه بالخلافة فى وصيته، و تناصر الاخرى العباس. اما لأنها كانت تراه اصلح للخلافة بالنسبة لمصالحها، او انها كانت تدعى ان المأمون قد عهد اليه بها من بعده، كما ذكر الدينورى، و لهذا اخذت تطعن بما جاء فى

١- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٠.

٢- تجارب الامم ٦ / ٤٧٠.

٣- الكامل ٦ / ٤٣٩.

٤- الاخبار الطوال / ٣٣٧ - ٣٣٨.

وصيه المأمون من عهد بالخلافه الى اخيه دون ابنه. و يظهر ان المواليين للمعتصم بالله قد ارغموا العباس على مبايعه عمه، و ان يعلن ذلك على مؤيديه و يطلب اليهم الاقتداء به، فبايع مؤيدوه المعتصم بالله على مريض و بعد مناقشه حاده مع العباس. مما جعل المعتصم بالله يشك بولائهم و يخاف انتفاضتهم عليه، فاسرع فى العوده الى بغداد مستصحبا معه العباس كى لا ينفرد به المعارضون فيغيروا من رأيه فينقاد الى طلبهم، فيقوم النزاع بينهما ثانية.

و يلاحظ ان الجيش يتدخل لأول مره فى امر مبايعه الخليفه و ينقسم على نفسه بشأنها. و كان هذا التدخل مبادره خطيره صارت لها نتائج بعيده الأثر على الدوله العربيه. على ان هذه الفئه التى عارضت مبايعه المعتصم بالله، ظلت، رغم مبايعتها، تتحين الفرصه المناسبه لامتناع العباس بمبايعته و الوثوب بعمه.

عاد المعتصم بالله الى بغداد، و يصف الخطيب البغدادي دخوله المدينه بقوله «و دخل بغداد على بغله كميته بسرج مكشوف، و عليه قلنسوه لاطئه و سيف بمعاليق، فأخذ على باب الشام حتى عبر الجسر، ثم دخل من باب الرصافه(١). و كان دخوله اليها يوم السبت مستهل شهر رمضان سنه ٢١٨هـ(٢). و يقول اليعقوبى انه دخل بغداد و على جنده الديباج المذهب(٣).

و عند ما تمت البيعه للمعتصم بالله، وقف على بن يحيى المنجم بين يديه و مدحه بعد ان رثى المأمون، بقوله(٤):

أخنى على الملك المأمون كلكله عندى جنايته يا معشر الناس

١- تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٧.

٢- الطبرى ٨/ ٦٦٧، و تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٧١، و شذرات الذهب ٢/ ١٢٢.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٧١.

٤- معجم الادباء ٥/ ٤٦٥.

أختى على الملك المأمون كلكله فصار رهنا لأحجار و ارماس

قد كان ينهد ركن الدين حين ثوى و يترك الناس فوضى بلا راس

حتى تداركهم بالله معتصم خير الخلائف من اولاد عباس

و جعل المعتصم بالله نقش خاتمه، على ما جاء فى كتاب العيون و الحدائق «اللّه ثقّه محمد بن الرشيد و به يؤمن»<sup>(١)</sup>. و فى العقد الفريد «اللّه ثقّه ابى اسحاق بن الرشيد و به يؤمن»<sup>(٢)</sup>. الا- ان السيوطى يقول نقلا عن الصولى ان نقش خاتمه كان «الحمد لله الذى ليس كمثلته شىء»<sup>(٣)</sup> و احسبه نقله عن المسعودى الذى يقول انه كان «الحمد لله الذى ليس كمثلته شىء و هو خالق كل شىء»<sup>(٤)</sup>. و قد يدل تعدد نقش الخاتم على ان المعتصم بالله كان يستبدله بين حين و آخر.

و أمر المعتصم بالله عند مبايعته برد المقاصير فى مساجد الجماعة<sup>(٥)</sup>. مما يستدل منه انه كان يخشى الفئه التى عارضت بيعته. و قد سبق للمأمون ان امر بنزعها باعتبارها سنه احدثها معاويه بن ابى سفيان<sup>(٦)</sup>.

١- العيون و الحدائق ٣ / ٤١٠.

٢- العقد الفريد ٥ / ١٢١.

٣- تاريخ الخلفاء / ٣٣٧.

٤- التنبيه و الاشراف / ٣٠٨.

٥- البدء و التاريخ ٦ / ١١٤.

٦- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٦٨.



## ٣- صفاته و سيرته:

هو ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد، و عند ما استخلف لقب بالمعتصم بالله و هو اول خليفه اضيف الى لقبه اسم الله تعالى (١). و امه من مولدات الكوفه، و ذكر عن الفضل بن مروان انه قال ان ام المعتصم بالله تسمى مارده و هي صفديه الأصل و كان ابوها نشأ بالسواد (٢). و كانت مارده احظى نساء الرشيد لديه، و قد اهدتها اليه زوجته زبيده ضمن عشر جوار عند ما تحقق لها انه لم يكن يتعشق المغنيه دنانير، و انما يحب سماعها فقط (٣).

اما صفات المعتصم بالله الجسميه، فيكاد يجمع الذين و صفوه من المؤرخين على انه كان ابيض مشربا بحمره، اصهب اللحيه طويلها، حسن العينين مربع القامه (٤). و يقول المسعودي انه لم يشب (٥). و يقال انه كان شديد البدن عظيم القوه، يحمل الف رطل و يمشى بها خطوات (٦). و انه حمل ذات مره بابا من حديد فيه سبعمائه و خمسون رطلا و فوقه عكام فيه مائتان و خمسون رطلا، و كان يسمى ما بين اصبعيه المقطره لشدهما (٧). و يلوى عمود الحديد حتى يصير طوقا، و يشد على الدينار باصبعه فيمحو كتابته (٨). و يروى عن احمد بن ابى دواد،

- 
- ١- المختصر فى اخبار البشر ٤ / ٣٥، و مآثر الانافه ١ / ٤٣ و ٤١٧.
  - ٢- الطبرى ٩ / ١٢٣.
  - ٣- الأغاني ١٨ / ٦٧.
  - ٤- الطبرى ٩ / ١١٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٧، و العيون و الحداثق ٣ / ٤٠٩.
  - ٥- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.
  - ٦- العيون و الحداثق ٣ / ٤٠٩.
  - ٧- العقد الفريد ٥ / ١٢١، و العكام هو العدل. و المقطره خشبه فيها خروق على رجل المحبوس يقيد بها.
  - ٨- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

و كان مقربا جدا من المعتصم بالله انه قال: كان المعتصم بالله يخرج ساعده الى و يقول يا ابا عبد الله عض ساعدي باكثر قوتك، فاذا هو لا تعمل فيه الأسنه فضلا عن الاسنان(١).

و وصف المعتصم بالله بحسن السيره و استقامه الطريقه(٢).

الا انه كان كثير اللهو مسرفا على نفسه(٣). كما كان سديد الرأي موصوفا بالشجاعه(٤). و ما رؤى اشد تيقظا فى حرب منه، فانه لما ادخل عليه مازيار بن قارن، و كان شديد الغضب عليه، قيل له ان لا- يعجل عليه فان عنده اموالا- جمه، فانشد قول ابى تمام(٥):-

ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهه فى المسلوب لا السلب

و عرف عنه كان قاسيا سريع الغضب، و اذا غضب لا يبالي من قتل و ماذا فعل(٦). الا ان استماعه الى نصيح قاضى قضااته ابن ابى داود ساعده على تجنب كثير من المظالم. و كان يتشدد فى سلوك ابناء الاسره العباسيه، و لما بلغه ان اخاه ابا على بن الرشيد كان يتردد على بعض الاديره و معه القيان و يقضى اياما فى القصف و التهتك أمر اسحاق بن ابراهيم صاحب الشرطه على تأديبه اياه، و امره ان لا يرخص لأمير من اهل بيته فى ذلك(٧).

و كان المعتصم بالله فصيحاً رغم جهله القراءه و الكتابه الا قليلا. يقول الخطيب البغدادي انه كان يكتب كتابا ضعيفا و يقرأ

١- تاريخ الخلفاء / ٣٣٤.

٢- مروج الذهب ٤ / ٤٧ و ٤٤.

٣- العبر ١ / ٤٠٠.

٤- الفخرى / ٢٠٩.

٥- تذكره ابن حمدون / ١٠٥.

٦- الكامل ٦ / ٥٢٦ و العبر ١ / ٤٠٢ و جاء فيه انه كانت له نفس سبعيه.

٧- الديارات / ٣٤-٣٥.

قراءه ضعيفه(١). و ذلك لأنه كان فى صغره يكره الدراره.

و يروى ان اباه سألته يوما عن وصيف صغير له، فأجابته بأنه مات و استراح من الكتاب، فقال الرشيد: أو بلغ منك الكتاب هذا المبلغ، و الله لا حضرته ابداء، و وجهه الى الباديه فتعلم الفصاحه(٢). و ذكر القلقشندى ما يشبه هذا فيقول ان سبب ذلك هو ان المعتصم بالله رأى جنازه بعض الخدم فقال: ليتنى مثل هذا حتى اتخلص من الكتاب، فقال له ابوه: و الله لاعذبك بشىء تختار عليه الموت و منعه من الكتاب(٣). و قد استفاد من الباديه فصاحه اللسان الى جانب الفروسية، فكان اذا تكلم بلغ ما اراد و زاد عليه(٤).

و يذكر اليعقوبى بعض الامور التى كان المعتصم بالله اول من اتخذها من الخلفاء، و اقتدى به الناس. فقد لبس الثياب الضيقه الأكمام فضيق الناس اكمام ثيابهم، و لبس الخفاف الكبار فقلدوه بلبسها، و كان اول من لبس شاشيه مربعه فلبسها الناس ايضا تشبها به فنسبت اليه فقيل «الشاش المعتصميه»، كما كان اول خليفه ركب السروج المكشوفه فتشبه الناس به(٥). و يذكر المسعودى عنه ما يشبه هذا(٦). و لم يكن المعتصم بالله يمس الطيب الا قليلا، و كان يذهب فى ذلك الى تقويه بدنه و اعانته على الشدائد، و اما فى حروبه فكان من دنا منه وجد رائحه صداً

١- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٣.

٢- العقد الفريد ٢ / ٤٤٠، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٣.

٣- مآثر الانافه ١ / ٢١٨.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٣٧.

٥- مشاكلة الناس لزمانهم / ٣١ - ٣٢.

٦- مروج الذهب ٤ / ٣١٩.

السلاح و الحديد من جسمه(١). و انه كان يكره رائحه الغاليه و لا يستطيع الصبر عليها(٢).

و اشتهر المعتصم بالله بالسخاء فى بذل المال، و كانت اعطيائه للشعراء و المغنين و فيره. و عند ما كان يستخفه الطرب فى مجالس الغناء لا تقتصر اعطيائه و خلعه على المغنين و حدهم بل يشمل بذلك جميع الحاضرين(٣). و دخل يوما دار خاقان عرطوج فرأى ابنه الفتح و هو صغير فمازحه و سأله: ايهما احسن دارى ام داركم؟

فقال الفتح: يا سيدى، دارنا اذا كنت فيها احسن. فقال المعتصم بالله: لا- ابرح و الله حتى انشر عليه مائه الف درهم، و فعل ذلك(٤).

و اهدى قفلا من الذهب فيه ألف مثقال الى الكعبه المشرفه، و قد حمله الى مكه فى سنه ٢١٩ هـ و قد مؤلف من طاهر بن عبد الله و محمد بن ابراهيم و ابن فرج الرخجى، و كان من الذهب الخالص، و عند ما ارادوا نزع القفل القديم لوضع القفل الذهبى مكانه احتج حجاب الكعبه على انتزاع القفل القديم و أصروا على بقاءه لأنه يعود الى عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، فوافق الوفد على ان يقفل على البيت الحرام بقفلين، القفل القديم و القفل الذى قدموا به، الا ان الحجاب و فدوا على الخليفه محتجين على رفع القفل القديم، لأنه قفل رسول الله صلى الله عليه و سلم، فافتنع بوجهه نظرهم و امر برفع القفل الذهبى الذى كان بعث به و ان يكتفى بالقفل الأول فقط، و اجاز الحجاب بأن وهبهم القفل الذهبى(٥).

١- التاج / ١٥٥.

٢- رسوم دار الخلافه / ٣٢.

٣- الاغانى / ٥ / ٣٢٩.

٤- معجم الادباء / ٦ / ١١٧.

٥- الذخائر و التحف / ٣٦، و المعرفه و التاريخ / ١ / ٢٠٣.

و كان المعتصم بالله يبحث عن احوال الناس غايه البحث و يتطلب فى الاطلاع على امورهم(١). فقد وقع ببغداد حريق كبير عقيب انتقاله الى عاصمته الجديده سامرا، عرف بحريق الجمل، و لما بلغه الخبر اعطى احمد بن ابى دواد خمسه الاف الف درهم و طلب اليه ان يعوض المتضررين من الناس عما اصابهم من جراء الحريق(٢). و استخرج منه احمد بن ابى دواد لأهل الشاش، و هى من بلدان ما وراء النهر، الفى الف درهم لكبرى نهر اندفن فى صدر الاسلام فأضر ذلك بالمزارعين هناك، فساعدتهم هبه المعتصم بالله على احياء النهر(٣). و كانت مدينه الرمله تسقى من آبار نظمت فيها قنوات للمياه، ينفق عليها الخلفاء من باب البر و الاحسان، فأمر المعتصم بالله ان يعتبر ما تحتاجه من اموال لا- دامتها و ضمان الماء للناس من النفقات العامه، فادخلت فى سجل النفقات بحيث صارت نفقتها جاريه يقوم بها العمال سنويا(٤). مما يؤمن استمرار تدفق المياه فى القنوات. كما كانت بئر زمزم فى مكه المكرمه مكشوفه الأقبه صغيره على موضع البئر فى ركنها الذى يلى باب الصفا. فغيرها محمد بن فرج الرخجى فى سنه ٢٢٠ هـ بأمر المعتصم بالله، و انفق عليها مالا- جزيلًا فسقف البئر كلها بالساج المذهب من الداخل، و جعل عليها من ظهرها الفسيفساء، و اشرع لها جناحا صغيرا جعل فيه سلاسل تحمل قناديل للاضاءه(٥).

١- آثار الاول / ٨٦.

٢- تفصيل الخبر فى نشوار المحاضره ١٨٧ / ٦، و فى اخبار بطارقه كرسى الشرق لمارى بن سليمان / ٧٧.

٣- الطبرى ٩ / ١٢١.

٤- مختصر البلدان / ١٠٢.

٥- الاعلاق النفيسه / ٤٣، و المعرفه و التاريخ / ٢٠٤ / ١.

**٤- الخليفة المثلث:**

أولع قدامى المؤرخين بوصف الخليفة المعتصم بالله بالمثلث، وذلك لما فيه من نسبه لرقم الثمانيه، من عمره و تسلسله بين اخوانه و خلافته و عدد اولاده. و قد جمع صاحب العيون و الحدائق هذه النسب بقوله، «هو المثلث من اثنتى عشره وجهه، فهو الثامن من ولد العباس، و الثامن من الخلفاء، و كانت مده خلافته ثمان سنين و ثمانيه أشهر، و توفى و له ثمان و اربعون سنه، و ولد فى شعبان و هو الشهر الثامن، و خلف ثمانيه ذكور و ثمانى بنات، و غزا ثمانى غزوات، و خلف ثمانمائه الف دينار عينا و ثمانيه الف درهم ورقا(١). و يظهر انه نسى جهه، كما ان بعض ما ذكره لا يتفق و الحقيقه، فان المعتصم بالله لم يكن الثامن من ولد العباس، و انما السابع منهم الا- انه الثامن من خلفائهم، و انه لم يخلف هذا العدد من البنين و البنات، فقد خلف من الذكور ستة فقط هم: هارون و جعفر و محمد و احمد و على و العباس(٢).

و ما ذكره الطبرى و ابن الأثير فى هذا الباب لا يتعدى ما اورده صاحب العيون و الحدائق(٣). الا ان ابا المحاسن يضيف الى ذلك:

و من الخيول ثمانين الف رأس، و من الجمال ثمانين الف جمل و بغل و دابه، و ثمانين الف خيمه، و ثمانيه الآلاف عبد و قيل ثمانيه عشر الف، و ثمانيه الاف جاريه، و عمر من القصور ثمانيه(٤).

و يضيف جلال الدين السيوطى الى ما ذكره من سبقه من المؤرخين:

و ملك ثمانى عشره و مولده ثمان و سبعون، و طالعه العقرب و هو ثمان برج، و قتل ثمانيه اعداء، و مات لثمان بقين من ربيع الأول(٥). و غير خاف ان بعض ما ذكره يجانب الواقع.

١- العيون و الحدائق ٣ / ٤٠٩، و جاء فى التنبيه و الاشراف / ٣٠٧، و العبر ١ / ٤٠١ و الفخرى / ٢٠٩ انه خلف ثمانيه الف الف دينار.

٢- تاريخ اليعقوبى ٩ / ١١٩، و الكامل ٦ / ٥٢٤.

٣- الطبرى ٩ / ١١٩، و الكامل ٦ / ٥٢٤.

٤- النجوم الزاهره ٢ / ٢٥١، و احسبه نقل ذلك من العبر ١ / ٤٠١ الذى يضيف: و وقف فى خدمته ثمانيه ملوك.

٥- تاريخ للخلفاء / ٣٣٤.

اما المسعودى فيضيف الى ما ذكره صاحب العيون و الحدائق ثمانية فتوح عظام منها اسر بابك، و المازيار بن قارن، و اسره البوارج، و هى مراكب هنديه و الظفر برؤسائها و ابطال مقاتلتها، و اخلاؤه الزط من البطائح، و قتله جعفر بن مهرجش الكردي، هزيمته تيوفيل ملك الروم و فتح عموريه (١). كذلك عدد له ابن دحيه ثمانية فتوح عظام و اعتبر الفتح الثامن قتله الأفسين لما و اطا بابك الخرمي (٢). و لكن ابن الفقيه يقول: و للمعتصم بالله ست فتوح عظام جليله هى: قتل مازيار، و اسر بابك و قتله، و فتح عموريه، و استباحه الزط حيث اجث اصلهم، و قتله جعفر الكردي، و ما كان من شق الهند على يد عمر بن النعتل (٣).

و حتى الشعراء لم يستغنوا عن هذه الصفه فى مدحه او هجائه. فقد جاء فى احدى مدائح ابى تمام للمعتصم بالله قوله (٤):

بالقائم الثامن المستخلف اعتدلت قواعد الملك ممتدا لها الطول

بيمن معتصم بالله لا اود بالملك مذ ضم قطريه و لا خلل

١- مختصر كتاب البلدان / ٥٢-٥٣.

٢- النبراس / ٧٣.

٣- مختصر كتاب البلدان / ٥٢-٥٣.

٤- القصيده فى ديوان ابى تمام ٣ / ٥-٢٠.

و هجاه دعبل الخزاعي منكرًا عليه تسلسله بين خلفاء بني العباس (١) بقوله:

ملوك بني العباس في الكتب سبعه لم تأتتا في ثامن منهم الكتب

كذلك اهل الكهف في الكهف سبعهغدها ثوا فيه و ثامنهم كلب

من الغريب حقا ان تكون للمعتصم بالله هذه العلاقه برقم الثمانيه، بحيث انها لفتت انظار من ارخوا له او كتبوا عنه. و ان كان قسم مما ذكره غير دقيق و لا يخلو من المبالغه، بل يجانب الحقيقه احيانا. فان يعقوبى و هو اقدم من ذكرنا من المؤرخين يقول ان عمره تسع و اربعون سنه، و انه خلف من المذكور سته، ذكرناهم آنفا، كما انه من المتفق عليه انه توفى لثمانى عشره ليله مضت من ربيع الأول، و ان هناك اختلافا في سنه ميلاده، مما يجعل نسبه الثمانيه الى هذه الامور غير صحيحه. اما ما ذكره عن تركته من الاموال و المتاع و الجوارى و العبيد و الدواب فان اقله من باب التخمين، و لا يخلو من المبالغه. كما ان اعتبار المسعودى و ابن دحيه و ابن الفقيه ما اشاروا اليه من انتصارات المعتصم بالله فتوحات عظام، مبالغ فيه ايضا. فاذا كان اسر بابك و القضاء على الخرميه، و غزو بلاد الروم و فتح عموريه، فتحين عظيمين حقا تما على عهد المعتصم بالله، فان الانتصارات الاخرى

---

١- تاريخ الخلفاء / ٣٣٥، و ديوان دعبل الخزاعي / ٥١-٥٣ و فيه كامل القصيده.



التي ذكرت لا- تعدو ان تكون مجرد اخماد حركات تمرد داخلية او حملات غزو اعتيادية او لرد عدوان، مما لا يتطلب سوى حركات عسكريه موضعيه ضيقه النطاق، محدوده النتائج، و من ثم فانها لم تكن فتوحات عظيمه.

ان الفتح العظيم فى الهند كما وصفه ابن الفقيه بانه شق الهند و ظفر بمراكبها و رؤسائها و ابطال مقاتلتها، لم يحظ باهتمام المؤرخين. اذ انهم لا يذكرون عنه الا القليل. و يظهر مما ذكره ان حمليه من المراكب الهندية غلبت على جزء من ساحل الخليج العربى الشرقى و عمان و نواحي البصره، اى انها توغلت فى الخليج العربى حتى نواحي البصره. فوجه المعتمصم بالله القائد عمر بن الفضل الذى استطاع ان يقطع على الحمله خط الرجعه و يأسر افرادها(١). مما شجع الحمله العربيه على تغزو قسما من السواحل الغربيه للهند. و ليس من الواضح ما اذا كانت الحمله المذكوره من المراكب الهندية عسكريه منظمه تبغى الفتح و الاستيلاء، ام انها كانت تحمل عددا من المهاجرين الى السواحل المذكوره، كما سبق ان هاجرت اقوام من الزط الى جنوبى العراق، و ان كان سير الحوادث يؤيد الافتراض الثانى.

و يذكر خليفه بن خياط ما يدل على ان السواحل الغربيه للهند كانت هدفا لغزوات يشنها الجيش العربى و المطوعه فى عهد المعتمصم بالله و ابنه الواثق بالله. فقد جاء فى حوادث سنه (٢٢٦ هـ) ان احمد بن عبد الله بن الحسن قد غزا بحر البصره، و عند ما عزل احمد المذكور و عين بدلا عنه احمد بن رباح ارسل ابراهيم بن هاشم لغزو البحر المشار اليه فى سنتى ٢٢٨ هـ و ٢٢٩ هـ، و كذلك قام بغزوه فى سنه ٢٣٠ هـ و بلغ ادنى بلاد

سرشت فاحرق قراها و اصاب سببا. كما يذكر في اخبار السنه ٢٣١ هـ ان مراكب المطوعه في بحر البصره كسرت في المنطقه الواقعه بين جنابه و سينيز و اصاب فيها ناس من المطوعه(١).

و يشير البلاذرى عند بحثه فتوح السند ان حمله من الجيش العربى وصلت في عهد الخليفه المهدي الى الحدود الهنديه الشماليه الغربيه، و افتتحت بعض المدن. و ان هذه الفتوحات استمرت في عهد الخليفه المأمون، اذ كان الفضل بن ماهان قد غلب على بعض مدن السند و بعث الى الخليفه بفيل، و دعا له في مسجد جامع بناه هناك(٢). و لما مات الفضل قام ابنه مقامه فغزا المدن المجاوره. ثم غلب عليه اخوه ماهان بن الفضل و كتب الى الخليفه المعتمد بالله و اهدى اليه ساجا لم ير مثله عظما و طولاً(٣).

و كان المأمون قد عين موسى بن يحيى على المناطق المفتوحه في السند، و عند ما مات استخلف ابنه عمران بن موسى، فأقره الخليفه المعتمد بالله على ولايته. و قد تغلب عمران على القيقان و اغلبهم من الزط، و بنى مدينه سماها البيضاء و اتخذه عسكريا لجنده. ثم استولى على مدينه قنديل، و هى مدينه جليله جنوبي القيقان.

و عند ما وقعت العصبيه بين النزاريه و اليمانيه مال عمران الى اليمانيه فوثب عليه عمر بن عبد العزيز الهبارى و قتله غيله(٤).

١- تاريخ خليفه بن خياط ٢ / ٥١٨ - ٥٢٠، و خبابه و سينيز من موانى الساحل الشرقى للخليج العربى.

٢- فتوح البلدان / ٤٣٢.

٣- نفس المصدر / ٤٣٣.

٤- فتوح البلدان / ٤٣٢.

و واضح ان ما اشرنا اليه من فتح بلاد السند لا يمكن اعتباره من الفتوحات العظيمه.

على ان من عجيب احوال المعتصم بالله، كما يقول صاحب الذهب المسبوك، ان اياه هارون الرشيد جعل ولايه العهد فى ثلاثه من اولاده: محمد الأمين و عبد الله المأمون، و القاسم المؤتمن، و لم يعينه معهم، فلم يكن من نسلهم خليفه، و ساق الله تعالى الخلافه اليه و الى عقبه(١). و يقال ان الرشيد حجب الخلافه عنه لكونه قليل التعلم(٢).

#### ٥- وفاته:

تكاد المصادر تتفق على ان وفاه المعتصم بالله كانت فى يوم الخميس لثمانى عشره مضت من ربيع الأول من سنه ٢٢٧هـ(٣).

و قد اشار الشاعر مروان بن ابى الجنوب الى ذلك بقوله:(٤)

ابو اسحاق مات ضحى فمتناو امسينا بهارون حيننا

لئن جاء الخميس بما كر هنالقد جاء الخميس بما هويننا

اما سبب وفاته فقد ذكر انه احتجم فى اول يوم من المحرم، و اعتل عندها. و يقول القفطى ان ابن ماسويه الطيب الذى تولى

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢.

٢- تاريخ الخلفاء / ٢٩١.

٣- الطبرى ٩ / ١١٠، و العيون و الحدائق ٣ / ٤٠٩، و مروج الذهب ٤ / ٦٥، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧٨، و الكامل ٦ / ٥٢٤.

٤- الطبرى ٩ / ١٢٠.

الاشراف على صحه المعتصم بالله بعد موت طبيبه الخاص سلمويه بن بنان، قد خالف طريقه سلمويه فى فصد المعتصم بالله، اذ يقول: كان المعتصم قويا و كان سلمويه يفصده فى السنه مرتين، و يسقيه عقب كل فصد دواء، فلما باشره يوحنا بن ماسويه اراد عكس ما كان يفعله سلمويه، فسقاه الدواء قبل الفصد، فلما شرب الدواء حمى دمه و حم، و ما زال جسمه ينقص حتى مات (١).

و عند ما اشتدت علته و حضرتته الوفاه جعل يقول: ذهبت الحيل ليست حيله، و قيل انه جعل يقول: أؤخذ من بين هذا الخلق (٢).

و حكى عنه انه قال: لو علمت ان عمري قصير ما فعلت ما فعلته، يعنى قتل العباس بن المأمون (٣). و يذكر السيوطى عدده عبارات اخرى رويت عن المعتصم بالله لما احتضر، فيقول انه قال «حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغته» (٤)، و قيل انه قال: اللهم انك تعلم انى اخافك من قبلى و لا- اخافك من قبلك، و ارجوك من قبلك و لا ارجوك من قبلى (٥). و يقول ابن الطقطقى انه لما مرض مرضته التى مات فيها نزل فى سفينه و معه زمام الزامر فجعل يمر على قصوره و بساتينه بشاطىء دجله، و طلب الى زمام ان يزمر له هذا اللحن: (٦)

يا منزلا لم تبل اطلاله الخ .. و قد سبق ان اشرنا الى ذلك فى فصل آخر. و كانت وفاته فى سر من رأى و بها دفن فى قصره

١- تاريخ الحكماء / ١٢٠.

٢- الطبرى ٩ / ١١٩.

٣- العيون و الحدائق ٣ / ٤٠٩.

٤- سوره الانعام- الآيه: ٤٤.

٥- تاريخ الخلفاء / ٣٣٦.

٦- العخرى / ٢١٢.

المعروف بالجوسق على دجله. و قد صلى عليه قاضى القضاة احمد بن ابي دواد، و كان المعتصم بالله اوصاه بالصلاه عليه (١).

و هناك اختلاف فى تاريخ مولد المعتصم بالله، فيذكر الطبرى ان مولده كان فى شعبان من سنه ١٨٠ هـ، ثم يستدرک فيقول:

و قيل فى سنه ١٧٩ هـ (٢). و يؤيد كل من المسعودى و الخطيب البغدادى التاريخ الذى ذكره الطبرى اولاً، و يضيف المسعودى ان مولده كان فى قصر الخلد ببغداد (٣). اما السيوطى فيذكر انه قد ولد فى سنه ١٧٨ هـ (٤). و قد ترتب على هذا الاختلاف، اختلاف فى مقدار عمره. فيقول الطبرى ان عمره كان ستا و اربعين سنه و سبعة اشهر و ثمانيه عشر يوماً، او سبعا و اربعين سنه و شهرين و ثمانيه عشر يوماً. و يرى كل الخطيب و مسكويه و مؤلف كتاب العيون و الحقائق ان عمره كان ثمانى و اربعين سنه.

اما اليعقوبى فيقول ان سنه كانت ٤٩ سنه. و يقول الذهبى انه توفى عن سبع و اربعين سنه. بينما يرى الدينورى انه بلغ من العمر تسعا و ثلاثين سنه، و هو واهم و لا شك. و يرى المسعودى انه مات عن ٤٨ سنه و قيل: ٤٦ سنه (٥). و كانت مده خلافته ثمانى

١- الاخبار الطوال / ٣٤٢.

٢- الطبرى ١١٩ / ٩.

٣- مروج الذهب ٤ / ٦٤، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٢.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٣٣.

٥- الطبرى ١١٩ / ٩، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٧ و العيون و الحقائق ٣ / ٤٠٩، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٨، و

العبر ١ / ٤٠١

سنوات و ثمانيه اشهر، وقال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه و يهنى ء ابنه الواثق بالله(١):

قد قلت اذ غيبوك و اصطفقت عليك أيد بالترب و الطين

اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا و نعيم الظهير للدين

لا جبر الله امه فقدت مثلك الا بمثل هارون

---

١- الطبرى ٩ / ١١٩. و الاخبار الطوال / ٣٤٢، و مروج الذهب ٤ / ٦٣ - ٦٤.



## الفصل الثالث الواثق بالله ابو جعفر هارون بن المعتصم بالله

### ١- مبايعته:

مات المعتصم بالله و لم يكن قد عهد لابنه هارون بالخلافه.

الـ ان هارون كان اكبر اخوته الستة، و ان المعتصم بالله لما خرج الى القاطول فى سنه ٢٢٠ هـ للبحث عن موقع يبنى فيه مدينه لجنده الاتراك، استخلفه ببغداد(١). و لما خرج فى سنه ٢٢٣ هـ فى حملته على بلاد الروم دفع خاتمه اليه و اقامه مقام نفسه و استكتب له سليمان بن محمد بن عبد الملك الزيات(٢). و قد اعتبر بعض المؤرخين ذلك اشاره الى عهد المعتصم بالله بالخلافه الى هارون.

و يقول السيوطى انه ولى الخلافه بعهد من ابيه(٣). و قد خلت المصادر الأوليه عن اشاره واضحه الى ذلك.

١- الكامل ٤٥٢ / ٦

٢- النجوم الزاهره ٢٣٨ / ٢

٣- تاريخ الخلفاء / ٣٤٠



بويح هارون فى سامرا غداه وفاه ابيه فى يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ و لقب بالوائق بالله.

فتوجه اسحاق بن ابراهيم نائب الخليفة ببغداد، من فوره الى بغداد فوصلها قبل طلوع الفجر، و اتخذ ما رآه ضروريا من اجراءات المبايعه، فاحضر القواد و الوجوه و اخذ عليهم البيعه للوائق بالله (١).

و يفهم مما جاء فى تاريخ بغداد و خلاصه الذهب المسبوك ان اسحاق بن ابراهيم كان ببغداد و جاءه نعى المعتصم بالله فى اليوم الثانى من وفاته، اى فى يوم الجمعة، فلم يظهر النبأ، و خطب فى ذلك اليوم على منابر بغداد للمعتصم بالله و هو ميت (٢). و فى اليوم التالى طلب اسحاق الى الامراء الهاشميين و القواد و الاعيان الحضور الى دار الولاية، فلما اجتمعوا نعى اليهم المعتصم بالله و اخذ عليهم البيعه لهارون الواثق بالله، فتمت بذلك مبايعته (٣).

و نقش الواثق بالله على خاتمه عند ما اصبح خليفه «الله ثقه الواثق» (٤). و يقال انه نقش عليه «محمد رسول الله»، و انه كان له ختم آخر نقش عليه «الواثق بالله» (٥).

١- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧٩.

٢- تاريخ بغداد ١٤ / ١٦، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٣- جاء فى الطبرى ٩ / ١٢٣ انه بويح يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الاول، الا انه سبق ان ذكر فى ص: ١١٨ ان المعتصم بالله توفى يوم الخميس الثانى عشر من ربيع الاول.

٤- التنبيه و الاشراف / ٣٢٣، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٥- العقد الفريد ٥ / ١٢٢.

لقد استطاع المعتصم بالله ان يقضى على ثوره بابك الخرمى التى كانت قد استفحل امرها و شغلت خلفاء بغداد ما يقرب من خمسه عشر عاما، و ان يشنت شمل قبائل الزط التى عاثت فى البلاد فسادا، و ان يكسر شوكة الدوله البيزنطيه و يهدد القسطنطينيه بفتحه عموريه و كثير من الحصون الروميه، و يقضى على حركه الأفشين و المازيار الانفصاليه. و بذلك هيا لابنه الواثق بالله عهدا من الهدوء و الاستقرار نعمت به ارجاء الدوله العرييه طيله حكمه، سوى بعض حركات التمرد الموضعيه. و كان من المنتظر ان يستأنف الواثق بالله غزو بلاد الروم و يقضى على الدوله البيزنطيه المرهقه و التى بان ضعفها عند ما هاجمها ابوه. الا انه كان بطبيعته فنانا يعشق الشعر و الموسيقى و الغناء، و يميل الى الآداب و العلوم و المناقشه فى المجالس العلميه و الادبيه، و يؤثر حياه الدعه و الهدوء. فانصرف الى اللهو و الشعر و الغناء و المجالس، و ساعد على ازدهار الحاله الاقتصاديه.

اما من الناحيه السياسيه فقد انتهج خطه عمه المأمون فى سياسه التسامح و اللين مع العلويين، و الدفاع عن حريه الرأى و مناصره المعتزله، الا انه فى الناحيه العسكريه اتبع سياسه ابيه فى الاعتماد على الجند الاتراك الذين ازداد نفوذهم على عهد، و توسع سلطانهم و تدخلهم فى شؤون الدوله. مما كان له اثر مهم فى اضعاف الخلافه خاصه و الدوله العرييه بصوره عامه. اذ انصرف هؤلاء الى العمل على تطمين مصالحهم و تأمين ارزاق جندهم غير مباليين بمصلحه الخلافه و الدوله، بل انهم استغلوهما لتحقيق غاياتهم. و سنشير الى نتائج هذه السياسه و تأثيرها فى الفصل الخاص بالنزاع بين الخلفاء و الجند الاتراك.

و مع كل ما تقدم يمكن القول ان ايام الواثق بالله التي دامت خمس سنوات و نصف السنه، كانت عهد سلام و هدوء لا يشوبها سوى تعسفه بأمر المحنه و امتحان الناس بخلق القرآن، و بعض الاضطرابات الداخليه التي سرعان ما كان يقضى عليها.

## ٢- صفاته و سيرته:

ولد الواثق بالله بطريق مكة(١)، لعشر بقين من شعبان سنه ١٩٦ هـ(٢). و مما يؤيد صحه تاريخ مولده هذا ان المسعودى يقول ان عمره كان يوم بويج بالخلافه احدى و ثلاثين سنه و بضعه أشهر(٣). و امه ام ولد روميه اسمها قراطيس(٤). و قد توفيت و هى فى طريقها الى مكة فى اوائل ذى القعدة من اولى سنى حكمه، و دفنت فى الكوفه فى دار داود بن عيسى(٥).

يتقارب المؤرخون فى وصف الواثق بالله بأنه كان ابيض اللون تعلوه صفره جميلا، قائم العين اليسرى و فيها نكته بياض. الا ان المسعودى و ابا المحاسن يقولان ان نكته البياض فى عينيه الاثنتين.

و ينفرد صاحب الذهب المسبوك بان النكته فى عينه اليمنى. كما ينفرد المسعودى بانه كانت تعلوه حمرة(٦)، بدل الصفره.

- 
- ١- الطبرى ١٥١ / ٩ و الكامل ٣٠ / ٧.
  - ٢- العقد الفريد ١٢٢ / ٥، و تاريخ الخلفاء / ٣٤٠.
  - ٣- مروج الذهب ٦٥ / ٤.
  - ٤- الطبرى ١٢٣ / ٩، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٣.
  - ٥- الطبرى ١٢٣ / ٩.
  - ٦- التنبيه و الاشراف / ٣١٣، و تجارب الامم ٥٣٥ / ٦، و العبر ٤١٢ / ١، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤، و تاريخ الخلفاء / ٣٤٢، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٦٣.

و عرف عن الواثق بالله انه كان يتشبه بعمه المأمون فى كثير من اخلاقه. و يقول ابن الطقطقى انه كان يتشبه بالمأمون فى حركاته و سكناته(١). و يعلل صاحب خلاصه الذهب المسبوك ذلك بأن المأمون هو الذى رباه فتقبل افعاله(٢). اى انه تأثر به و اقتدى بافعاله. و يكاد يجمع من كتب عنه من المؤرخين القدامى انه كان من افاضل خلفاء بنى العباس، كثير المعروف، واسع العطاء، سهل الانقياد، محببا الى الرعيه(٣). دخل عليه مؤدبه هارون بن زياد يوما فأكرمه و اظهر من بره به ما يلفت النظر، فقيل له: من هذا يا امير المؤمنين الذى اكرمته كثيرا؟ قال: هذا اول من فتق لسانى بذكر الله و ادنانى من رحمه الله عز و جل(٤).

و كتب اليه محمد بن حماد بيتين من الشعر هما(٥):

جذبت دواعى النفس عن طلب الغنى و قلت لها عفى عن الطلب النزر

فأن امير المؤمنين بكفه مدار رحى الارزاق دائبه تجرى

فوقع الواثق بالله: جذبك نفسك عن امتهانها دعا الى صونك بسعه فضلى عليك، فخذ ما طلبت هنيئا.

١- الفخرى / ٢١٥.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٣- مروج الذهب ٤ / ٣١٩، و الفخرى / ٢١٧، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٦٣.

٤- تاريخ بغداد ١٤ / ١٧.

٥- نفس المصدر.

و لعل ابرز ما اتصف به الواثق بالله من الاخلاق الحميده انه كان واسع الحلم كثير التسامح. فلم يكن فى الخلفاء احد احلم منه و لا- أصبر على اذى(١). و هناك اخبار تدل على سعه حلمه و ميله الى التسامح. فقد كان يعجبه سماع المغنى ابى حشيشه الطنبورى، فوجد المسدود المغنى عليه من جراء ذلك. فهجاه فى بيتين من الشعر كتبهما فى رقعه كانت معه، و كان كتب على رقعه اخرى حاجه يريد ان يرفعها اليه، فأخطأ و ناوله رقعه الشعر بدلا عنها، فقرأها الواثق بالله و كان فيها:

من المسدود فى الانف الى المسدود فى العين

انا طبل له شق فىا طبلا بشقين

فعلم انها فيه، فقال للمسدود: خلطت بين الورقتين، فهات الاخرى و خذ هذه، و احترس من مثل هذا، و لم يزد على ذلك شيئا(٢). و عند ما غضب الواثق بالله على المغنى المذكور و نفاه الى عمان، ثم عفا عنه و كتب فى اعادته الى سامرا، نصحه بان لا يعاود ممازحه خليفه و ان اذن له، و قال له: فليس كل احد يحضره حلمه كما حضرني فيك(٣).

و بلغ من تسامحه ان ابنه مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فى الشام، لما دخلت عليه و استعطفته امر برد اموالها

١- الاغانى ٢٠ / ٢٩٠، و الهفوات النادره / ١٨.

٢- الاغانى ٢٠ / ٢٩١، و الهفوات النادره / ١٨ - ١٩.

٣- الاغانى ٢٠ / ٢٩٠.

عليها و بالغ في الاحسان اليها(١). و كان ابن الزيات قد امر بحبس احد كبار الكتاب هو سليمان بن وهب في خلافه الواثق بالله، و كان سليما آيسا من الفرج. فوردت عليه رقعه من اخيه الحسن بن وهب تخفف من جزعه و توصيه بالصبر، فاجاب بما يدل على التفاؤل. فوعدت الرقعتان بيد الواثق بالله، فأمر باطلاق سليمان و قال: و الله لا تركت في حبسى من يرجو الفرج و لا سيما من خير منى، فاطلقه على كره من ابن الزيات(٢).

و عرف عن الواثق بالله شدة رعايته لافراد عائلته من العباسيين، و ابناء عمومته من العلويين فكان بارا بهم لا يرد طلباتهم، و يعاونهم في حل مشاكلهم. على ان رعايته هذه لم تقتصر على ذوى قرباه، بل شملت رعاياه كافة. فقد كان واسع المعروف، متفقدًا شؤون الرعية(٣). يتفقد احوال الناس و لا يبخل بمساعدتهم ماليا، و العمل على ما فيه صلاحهم. اذ كان حسن التفكير في صلاح الرعية، كما يقول صاحب خلاصه الذهب المسبوك(٤). يقول اليعقوبى: فرق الواثق بالله اموالا جمه بمكه و المدينه و سائر البلدان، و على الهاشميين و سائر قریش، و الناس كافة، و قسم في بغداد قسما كبيره مره بعد اخرى، على اهل البيوتات و عامه الناس(٥).

و قال الواثق بالله يوما لقاضى قضاته، و قد ضجر بكثرة حوائجه: لقد اخليت بيوت الاموال بطلباتك للانذين بك

١- المستطرف ١ / ١٨٩.

٢- الفرج بعد الشده ١ / ١٨٦ - ١٨٨.

٣- مروج الذهب ٤ / ٦٦.

٤- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣.

و المتوصلين اليك. فقال: يا امير المؤمنين، نتائج شكرها متصل بك، و ذخائر اجرها مكتوب لك، و مالي من ذلك الا عشق الآلسن لخلود المدح فيك. فقال: يا ابا عبد الله، و الله لا منعتك ما يزيد في عشقك و تقوى به منتك، و امر فاخرج اليه ثلاثون الف دينار يصرفها في الزوار(١).

اننا قد نستنكر بمفاهيمنا الحاليه مثل هذا الموقف من الخليفه، و هو رئيس الدوله الاعلى و المسؤول شرعا عن امور رعيته كافه، و نرى توجيه قاضى قضاته اياه من باب الاستعطف و التوسل. الا اننا اذا اخذنا مقياس عصر الواثق بالله بنظر الاعتبار و علمنا ان اموال بيت المال هي صافى ايرادات الدوله بعد ان حسمت منها النفقات المحليه فى كل ولايه و اقليم بحيث لا يترتب على بيت المال من النفقات سوى نفقات الخليفه على بلاطه و حرسه و حاشيته و آل بيته، و ما ينفقه على مجالسه و ملاهيته. و لذلك فان اطلاق بعض الاموال لاسعاف المحتاجين و مساعدته المعوزين انما يعتبر تبرعا من الخليفه و معونه منه.

و ان انفاقه بعض الاموال فى هذه الاغراض دليل على مدى عنايته بشؤون الامه. اذ كان باستطاعته انفاقها على ملذاته الخاصه كشاء الجوارى و تشييد القصور المترفه، و منح مادحيه من الشعراء، و امثال ذلك.

و كان الواثق بالله اديبا فنانا مولعا بالشعر و الغناء و التلحين، متتبع اخبار الأولين، و سنشير الى شعره و اهتمامه بالغناء عند الكلام على مجالسه العلميه و الادبيه و الغنائيه.

جاء فى كتاب التاج عند الكلام على امارات الخلفاء لجلسائهم بالانصراف، ان الواثق بالله كان اذا اراد ان يصرف جلساءه و سماره تثناء و مس عارضيه(١). و عند ذكر عادات الخلفاء فى الشرب و اللباس، اشار الى ان الواثق بالله ربما ادمن على الشرب و تابعه، غير انه لم يكن يشرب فى ليله الجمعه و لا فى يومها(٢).

و هو بذلك يشبه اباه المعتصم بالله، و ربما كان يقلده فى مواعيد شربه. و كان الواثق بالله اذا شرب و سكر رقد فى موضعه الذى سكر فيه، و من سكر من ندمائه ترك فى مكانه و لم يخرج(٣).

و يظهر ان الواثق بالله كان مثل ابيه ايضا فى عنايته بلبسه، فهو لا يلبس القميص الا لبسه واحده، الا اذا كان نادرا غريبا.

او كان معجبا به(٤). و كان شديد العنايه بالعطر و بخاصه عطر الغاليه، اذ كان يحفظها ليتقدم عهدا فيجود نوعها و تزكو رائحتها(٥).

### ٣- رجال الدوله فى عهد الواثق بالله:

يذكر المسعودى فى مطلع بحثه عن خلافه الواثق بالله خبرا يرويه عن الشاعر ابى تمام الطائى. خلاصه ما جاء فيه(٦): ان ابا تمام كان قصد سر من رأى فى اول يوم خلافه الواثق بالله، فلقيه اعرابى قريبا منها. فاستطلع ابو تمام منه عما يعرف عن الخليفه و عاصمته و رجال دولته البارزين و عن عسكره. فاجاب الاعرابى

١- التاج / ١٢٠.

٢- نفس المصدر / ١٥٣.

٣- العقد الفريد ٦ / ٦٠، و المستطرف ٢ / ١٥٥.

٤- التاج / ١٥٤.

٥- نشوار المحاضره ١ / ٢٨٩.

٦- مفصل الخبر فى مروج الذهب ٤ / ٦٦ - ٦٨.



واصفا الواثق بالله و رجاله كلا بما هو مشهور عنه، و ادعى بسعه معرفته بعاصمه الخلافة، و علاقته المتينه باهلها و عسكرها.

و ينتهى الخبر بشهاده الاعرابى بأن ابا تمام اشعر اهل زمانه.

و يظهر ان هذا هو بيت القصيد من الخبر.

و يلاحظ ان المسعودى يؤيد صحه ما اشتمل عليه الخبر من صفات و نعوت اسبغها الاعرابى على الخليفه و على رجال عهده الأ انه يشكك فى صحه روايته. فهو يرى ان كان ما رواه ابو تمام صحيحا فان الاعرابى قد احسن الوصف، و ان كان ابو تمام هو الذى صنع الخبر و عزاه الى هذا الاعرابى فانه مقصر فى نظمه لأنه دون منزلته الأديبه. و لما كان من الصعب، ان لم يكن من المستحيل على شخص بدوى بعيد عن حياه المدن و عن الاتصال بالخليفه و رجال دولته، ان يلم بمثل هذه التفصيلات عنهم و عن اعمالهم و عن اراء الناس فيهم. و لذلك فهو يرجح ان ابا تمام وضع هذا الخبر، فعمد الى وصف الخليفه و رجاله بطريق الروايه عن غيره، ليكون بمنأى عن غضب و نقمه من وصفهم بسوء.

لقد وصف الخليفه بأنه وثق بالله فكفاه اشجى العاصيه، و عدل فى الرعيه، و رغب عن كل ذى جنايه. و قال عن احمد بن ابى دواد انه هضبه لا- ترام و جبل لا يضام، تشحذ له المدى و تنصب له الجبال حتى اذا قبل هلكك، وثب و ثبه الذئب و ختل ختله الضب. و ابن ابى دواد هذا هو قاضى القضاة. و كان المأمون قد اكتشف فيه سعه العلم وحده الذكاء و نضج الرأى، و قد غدا فى عهد المعتصم بالله الرجل الأول فى الدوله بعد الخليفه، و احتفظ بمركزه المرموق فى ايام الواثق بالله. و يظهر الخبر انه كانت تحاك ضد ابن ابى دواد كثير من المكائد فيتغلب عليها.

وقال عن الوزير محمد بن عبد الملك الزييات انه وسع الدانى شره و وصل الى البعيد ضره، له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا مخلب. لقد كان ابن الزييات سياسيا ماهرا و اداريا قديرا، الا انه كان حقودا قاسيا لا يرحم، اذا رأى أثر نعمه على احد سعى لازالتها و نكبه صاحبها و هذا ما يؤكده الخبر.

اما عن عمر الرخجى فقال انه ضخم نهم، استعذب الدم، ينصبه القوم ترسا للوغى. و كان الرخجى هذا من كبار الكتاب، كتب للمأمون. و تولى فى عهد الواثق بالله ديوان النفقات، و كان نهما سىء السيره، مما اضطر الخليفه ان يعين رقبيا على اعماله.

و قال عنه القاضى ابن ابى دواد: ما صحب السلطان أرجل و لا اخبث من عمر بن فرج الرخجى(١).

و وصف الفضل بن مروان بأنه رجل نبش بعد ما قبر، ليس تعد له حياه فى الأحياء، و عليه خفقه الموتى. و هو يصفه بعد خروجه من السجن ذليلا، اذ كان المعتصم بالله قد اقصاه عن الوزارة و استصفى امواله و امر بسجنه.

و هكذا يستمر فى وصف ابى الوزير احمد بن خالد، و الأخوين سليمان و الحسن ابنى وهب، و ابراهيم بن رباح، و احمد بن الخصيب، و هم من كبار الكتاب و رؤساء الدواوين. و مهما كان الأمر فان هذا الخبر تضمن امرين مهمين، اولهما انه يعرفنا برجال الدوله البارزين فى عهد الواثق بالله، و ثانيهما انه يصف كلا منهما بما يراه الناس فيه من صفات حسنه او سيئه، و الواقع انه، كما يقول المسعودى، قد احسن فى وصفهم.

**٤- مصادر الكتاب:**

و مما له علاقه بشؤون الرعيه المبادره الاصلاحيه التي قام بها الخليفه الواثق بالله بمحاسبه كبار الكتاب فى الدوله و تابعيهم على ما احرزوه من اموال لا تتناسب مقاديرها و مصادر ايرادهم المشروعه، فقد لاحظ ان اكثر المتنفذين من الموظفين كانوا يستغلون مراكزهم فى حيازه الأموال و جمع الثروات بطرق غير مشروعه كالسرقه و الرشوه. فحاول ان يحد من تعسفهم الناس و يمنعهم من استغلال وظائفهم. و ليس من الواضح ما اذا كان الغرض من مصادر الكتاب و حبسهم اصلاح الجهاز الادارى و المالى، منع الرشوه، و ايقاف استغلال النفوذ، ام مجرد احتواء الخليفه على اموال الآخريين ممن اتهموا بالاستغلال. و مهما كان الأمر فان مبادره الخليفه الى محاسبه كبار موظفيه و الضرب على ايدي المفسدين منهم بهذه الشده لا بد و انها كان لها أثر فى اصلاح جهاز الدوله المالى و الادارى، و تخفيف و طأه موظفيه على الرعيه.

على انه يجب ان لا يغرب عن البال ان تكون هذه المصادر بنفس الوقت عاملا يحفز الموظفين المصادر اموالهم على تعويضها عند ما تسنح لهم الفرصه بنفس اساليبهم السابقه، بل و باساليب قد قد تكون اشد منها تعسفا و جورا.

و كان السبب المباشر لغضب الواثق بالله على الكتاب انه سأل ندماء ذات ليله عن سبب نكبه البرامكه. فقال احدهم ان الخليفه هارون الرشيد اشترى جاريه بمائه الف دينار. فاستكثر وزيره يحيى بن خالد هذا المبلغ و اخبر الرشيد انه لا يقدر على هذا المال، فغضب و قال لا بد منه. فارسل يحيى المبلغ بالدراهم ليستكثره الرشيد. و بالفعل امر الرشيد برد الجاريه، الا انه

اوعز بحفظ المال بيت مال خاص به. ثم اخذ في البحث عن الاموال فوجد ان البرامكه قد فرطوا بها. و كان اعتاد ان يحضر مجلس الرشيد احد الندماء يعرف بابى العود، فأمر له الخليفه يوما بثلاثين الف درهم، فمأطله يحيى. فاحتال ابو العود فى تحريض الرشيد عليه، و قد شاع انه قد تغير على البرامكه، فانشده ذات ليله قول عمر بن ابى ربيعه:

و عدت هند و ما كانت تعديليت هندا انجزتنا ما تعد

و استبدت مره واحدهانما العاجز من لا يستبد

فلما علم يحيى بذلك حاول ان يسترضى ابا العود باعطائه المبلغ الذى امر له الرشيد به، و اضاف اليه عشرين الف درهم من عنده. الا ان الرشيد جد فى امر البرامكه حتى أخذهم(١).

فقال الواثق بالله: صدق و الله جدى انما العاجز من لا يستبد. و اخذ فى ذكر الخيانه و ما يستحقه اصحابها. و لم يمض غير اسبوع واحد حتى امر بحبس عدد من الكتاب و ضربهم، و الزمهم اموالا كثيره قارب مجموعها الفى الف دينار، سوى ما ما اخذه من العمال بسبب عمالاتهم. و جاء فى الطبرى انه اخذ من احمد بن اسرائيل ثمانين الف دينار و امر بضربه، فضرب فيما قيل نحو من الف سوط. و اخذ من سليمان بن وهب اربعمائه

---

١- مفصل الخبر فى الطبرى ٩/ ١٢٦- ١٢٧، و تجارب الامم ٦/ ٥٢٧- ٥٢٨، و الكامل ٧/ ١٠- ١١.

الف دينار و من الحسن بن وهب اربعة عشر الف دينار، و اخذ من احمد بن الخصيب و كتابه الف الف دينار، و من ابراهيم بن رباح و كتابه مائه الف دينار، و من نجاح بن سلمه ستين الف دينار، و من ابى الوزير مائه الف دينار و اربعين الف دينار(١). و ذكر مثل ذلك مسكويه و ابن الأثير، سوى ان مسكويه ذكر ان مجموع ما صودر من الحسن بن وهب و ابى الوزير هو مائتا الف دينار، اى بزياده سته و اربعين الف دينار. عما ذكره الطبرى و ابن الأثير(٢).

اما اليعقوبى فيقول عن هذه المصادر ان الواثق بالله رفع اليه ان احمد بن الخصيب قد حاز اموالا عظيمه فسخط عليه و قبض امواله و اموال اخيه ابراهيم و عذبا و عذبت امهما، كما ان الواثق بالله سخط على ابراهيم بن رباح الذى ولاه ديوان الضياع، و امر بقبض ضياعه و امواله(٣). و لم يذكر المبالغ التى صودرت منهم.

و قيل ان الذى دفع الواثق بالله الى القبض على احمد بن الخصيب و سليمان بن وهب و مصادرتهما انه غنى ذات ليله هذا الصوت:

من الناس انسانان دينى عليهما ملتان لو شاءا لقد قضيانى

خليلى اما ام عمرو فمتهما و اما عن الاخرى فلا تسلانى

١- الطبرى ٩ / ١٢٥.

٢- تجارب الامم ٦ / ٥٢٨، و الكامل ٧ / ١٠.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨١.

فدعا خادما لأبيه المعتصم بالله، و قال له: انى سمعت ابى يتمثل بهذين البيتين و ينظر اليك، فمن اللذان كان يعنى بهما؟

فاخبره الخادم ان اباه وقف على خيانه احمد بن الخصيب و سليمان بن وهب بمبلغ من المال، و كان يبغى الايقاع بهما. فبادر الواصل بالله الى القبض عليهما(١).

كما قيل ان الوزير بن الزيات هو الذى حرض الواصل بالله على نكبتهما(٢). اذ كان قد صنع شعرا اوصله اليه على انه لبعض الشعراء و فيه اتهام ابن الخصيب و ابن وهب بالخيانة فى الاموال. و جاء فيه:

و ليت اربعة امر العباد معاو كلهم حاطب فى جبل محتبل

هذا سليمان قد ملكت راحته مشارق الأرض من سهل و من جبل

خلافه قد حواها و حده فمضت احكامه فى دماء القوم و النقل

و ابن الخصيب الذى ملكت راحته خلافه الشام و الغازين و القتل

فليل مصر فبحر الشام قد جريابما اراد من الاموال و الحلل

١- الاغانى ٢٠ / ٢٦٨.

٢- نفس المصدر / ٢٦٩.

حوى سليمان ما كان الأمين حوى من الخلافه و التبليغ بالأمل

و احمد بن الخصيب فى امارته كالقاسم بن الرشيد الجامع السيل

و فى آخر الشعر تحريض على الفتك بهما، كما فتك هارون الرشيد بالبرامكه بعد ان اساءوا استعمال سلطتهم، اذ جاء فيه:

سميت باسم الرشيد المرتضى فيه قس الامور التى تنجى من الزلل

عث فيهم ما عاثت يداه معالى البرامك بالتهديم للقلل

فلما وصل الشعر الى الواثق بالله غاظه ما جاء فيه و بلغ منه، فأمر بالقبض عليهما. و كان سليمان بن وهب كاتب القائد التركى ايتاخ، و ابن الخصيب كاتب القائد اشناس. و كانا هذان القائدان التركيان قد شددا قبضتهما على شؤون الدوله مما فسح المجال لكاتبتهما استغلال مركزيهما فى احتواء الأموال بمختلف الأساليب. و مما يدل على ان الشعر المذكور من صنع ابن الزيات ان ابراهيم بن العباس الذى تصدى لهجائه و تتبع سقطاته، قال عند ما قبض على الكاتبين المذكورين، يخاطبه (١).

ايها ابا جعفر و للدهر كرات و عما يريب متسع

ارسلت ليثا على فرائسه و انت منها فانظر متى تقع

لكنه قوته و فيك له و قد نقضت اقواته شبع

و لما هجا على بن الجهم الوزيران ابن الزيات بقصيدته التي كان مطلعها:

لعائن الله موفرات مصبحات مهجرات

هم الواثق بالله بالفتك بوزيره، الا ان اسحاق الموصلى الذى كان مقربا جدا من الخليفة شفع له، اذ قال للواثق بالله: أمثل ابن الزيات على خدمته و كفايته يفعل به هذا، و ماجنى و ما خانك، و انما ذلك على خونه اخذت ما اختانوه، و هذا هو ذنبه(١). فمحا بذلك ما كان فى نفس الخليفة على وزيره.

و يظهر أن حبس الكتاب و مصادرتهم قوبلت بالرضا من الناس، فقد قال أحمد بن فتن(٢).

نزلت بالخائنين سنهسنه للناس ممتحنه

سوغت ذا النصح بغيته و ازالته دوله الخونه

و ترى اهل العفاف بهاوهم فى دوله حسنه

و قد تولى حبس الكتاب و مصادرتهم صاحب حرس الخليفة الأمير اسحاق بن يحيى(٣). و يفهم من خبر اورده بن الطقطقى ان

١- نفس المصدر / ٢٧٢.

٢- نفس المصدر / ٢٧١.

٣- الطبرى ٩ / ١٢٥، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٥٦.



عددا منهم لبث في السجن مطالبا بالأموال طيله عهد الواثق بالله.

و هم ابن المدبر و سليمان بن وهب و احمد بن اسرائيل. فلما جاءهم نبأ موت الواثق بالله هربوا من السجن ليلا(١). الا ان الطبرى يقول ان الواثق بالله لما امر بحبس سليمان بن وهب و اخذه بمائتى الف دينار ادى منها مائه الف و سأل ان يؤخذ بالباقي عشرين شهرا فاجابه الخليفه الى طلبه و امر بتخليه سبيله و رده الى كتابه ايتاخ(٢). علما انه سبقت الاشاره الى ان سليمان بن وهب قد اخذ منه اربعمائه الف دينار، مما يرجح انه قد صودر اكثر من مره.

و تعتبر مصادره الكتاب من مظاهر حكم الواثق بالله البارزه، و يظهر انه اتخذها وسيله لمعاقبه الكتاب و العمال. الا انها اصبحت من بعده في عهد اخيه المتوكل على الله، مصدرا مهما من مصادر ايرادات بيت المال.

#### ٥- وفاه الواثق بالله:

توفى الواثق بالله بالقصر الهارونى فى سامرا يوم الاربعاء لست ليال بقين من ذى الحجه من سنه ٢٣٢ هـ. و يتفق معظم المؤرخين على ان سبب وفاته اصابته بعله الاستسقاء، و انه عند ما اشتدت علته حفر له فى الأرض حفير كالتنور ثم سخن بالحطب الطرفاء و صير فيه مرارا، فوجد لذلك راحه. و طلب فى اليوم التالى زياده

١- الفخرى / ٢٢٥-٢٢٦.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٥، و الكامل ٧ / ٢٩. و الكامل ٧ / ٢٩.

تسخينه و قعد فيه اكثر من اليوم الأول فحمى عليه، و حمل عنه فى محفه فمات على اثر ذلك(١).

و عند ما اشتد المرض على الواثق بالله، وصل خبر مرضه الى مكه قبل موسم الحج، فوجه و اليها الى سامرا بماء زمزم و خلوق من خلوق الكعبه(٢). و ذلك لاستخدامها فى غسل الخليفه و تجهيزه عند وفاته. و كان الواثق بالله امر قاضى القضاة احمد بن ابى دواد ان يصلى بالناس يوم الأضحى، فصلى بهم يوم العيد، لأنه لم يقدر على الحضور الى المصلى لشده علته، و قد دعا ابن ابى دواد للخليفه فقال: اللهم اشفه مما ابتليته(٣).

و جاء فى الطبرى انه لما اعتل الواثق بالله علته التى مات فيها أمر باحضار المنجمين فاحضروا، و كان ممن حضر الحسن بن سهل و الفضل بن اسحاق الهاشمى، و اسماعيل بن نوبخت، و محمد بن موسى الخوارزمى، و عامه من ينظر فى النجوم. فنظروا فى علته و نجمه و مولده فقالوا: يعيش دهرا طويلا، و قدروا له خمسين سنه مستقبله، فلم يلبث الا عشره ايام حتى مات(٤).

و قيل انه لما احتضر جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الناس مشترك لا سوقه منهم تبقى و لا ملك

ما ضر اهل قليل فى تفاقرهم و ليس يغنى عن الاملاك ما ملكوا

١- الطبرى ٩ / ١٥٠، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٥

٢- المعرفه و التاريخ ١ / ٢٠٩.

٣- مروج الذهب ٤ / ٨٤.

٤- الطبرى ٩ / ١٥١.

و امر بالبسط فطويت، و الصق خده بالأرض، و جعل يقول:

يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه، يكررها الى ان مات(١).

و كان يقول فى علتة: لوددت انى اقلت العثره، و انى حمال احمل على رأسى. و قيل له فى البيعه لابنه، فقال: لا يرانى الله اتقلدها حيا و ميتا(٢).

و حضر عند وفاته جماعه من الهاشميين، و محمد بن عبد الملك الزيات، و احمد بن ابى دواد، و عمر بن فرج الرخجى، فلم يشعروا بموته حتى ضرب بوجهه المحنه(٣). و يقال انه لما سجدى عند وفاته و شغل المجتمعون حوله بأمر بيعه خلفه، تسلل جرد من البستان و أكل احدى عينيه(٤).

و مات الواثق بالله و مجموع ما فى بيت المال من العين خمسة آلاف الف دينار و من الورق خمسة عشر الف الف درهم(٥).

و خلف من الاولاد الذكور خمسة هم: محمد الذى تولى الخلافة بعد المعتز بالله و لقب بالمهتدى بالله، و ابراهيم ابو اسحاق، و محمد ابو اسحاق، و ابو القاسم عبد الله الذى التحق بابن الليث الصفار لما قتل اخوه المهتدى بالله، و ابو العباس احمد و كان عالما فاضلا، و من البنات اثنتان هما: العباسه و قد تزوجها المستعين بالله، و عائشه و تزوجها المستعين بالله ايضا لما ماتت اختها(٦).

١- الكامل ٧ / ٢٩، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٥٥، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٦٣.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣.

٣- الكامل ٧ / ٣٠، و تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠، و نشوار المحاضره ٢ / ٧٣-٧٤.

٤- الكامل ٧ / ٣٠، و تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠، و نشوار المحاضره ٢ / ٧٣-٧٤.

٥- الذخائر و التحف / ٢١٨.

٦- العقد الفريد ٥ / ١٢٢، و الذهب المسبوك / ٢٢٥، و الكامل / ٣١، و العقد الفريد ٥ / ١٢٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٥.

و قد اختلف المؤرخون فى عمره عند وفاته، اذ يذكر اليعقوبى انه توفى و عمره اربع و ثلاثون سنه، و يتردد المسعودى فيذكر مره ان عمره اربع و ثلاثون سنه، و مره اخرى سبع و ثلاثون سنه و سته اشهر، و يفعل مثله الطبرى و ابن الأثير فيقولان كان عمره اثنتين و ثلاثين سنه و قيل ستا و ثلاثين سنه، و احتسبه ابن عبد ربه ستا و ثلاثين سنه و اربعه اشهر و ايام، و اعتبره مسكويه ستا و ثلاثين سنه، و يقول ابن دحيه انه توفى و له اثنتان و اربعون سنه(١).

و لا شك فى ان هذا الاختلاف ناشىء عن اختلافهم فى تاريخ مولده.

و قد سبق ان اشرنا الى ان ابن عبد ربه و السيوطى يذكر ان مولده كان لعشر بقين من شعبان من سنه ١٩٦ و يؤيد الخطيب البغدادى سنه ميلاده المذكوره(٢). و اذا ما اخذنا هذا التاريخ اساسا للاحتساب كان عمره ستا و ثلاثين سنه و اربعه اشهر و اياما، و هو ما ذكره ابن عبد ربه. على ان الخطيب البغدادى يروى عن احمد بن الواثق بالله انه قال: بلغ ابى ثمانيا و ثلاثين سنه(٣). و قد دفن الواثق بالله بسامرا، و كان اخوه جعفر قد صلى عليه عند دفنه(٤).

اما مده خلافته فقد اتفق المؤرخان اليعقوبى و المسعودى، و الاديب ابن عبد ربه على انها كانت خمس سنوات و تسعه اشهر و ثلاثه عشر يوما(٥). و يقرب منهم الطبرى و ابن الأثير اللذان

١- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٣، و مروج الذهب ٤/ ٦٥، و الطبرى ٩/ ١٥١، و النبراس ٧٥/ ٧٥.

٢- تاريخ بغداد ١٤/ ١٦.

٣- نفس المصدر ٢٠/ ٢٠.

٤- تاريخ بغداد ١٤/ ٢١، و العقد الفريد ٥/ ١٢٢.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٣، و مروج الذهب ٤/ ٦٥، و العقد الفريد ٥/ ١٢٢.

يتفقان معهم فى عدد السنوات و الأشهر و يختلفان فى عدد الايام فاحتسابها خمسها ايام بدلا من ثلاثه عشر(١). و جاء فى تجارب الأمم ان مده خلافته خمس سنوات- اما ابو المحاسن، و هو شديد الاهتمام باحتساب هذه التواريخ، فقد احتسب مده خلافته خمس سنوات و سته اشهر(٢).

و نظرا لاتفاق المؤرخين المذكورين فى تاريخ مبايعه الواثق بالله بالخلافه و تاريخ وفاته، فقد كان من الطبيعى ان يتفقوا فى مده خلافته. و لا ندرى ما اذا كانت الفروق بين ما ذكروه نتيجة و هم او خطأ حسابى. لأن المده بين تاريخ مبايعته و تاريخ وفاته هى خمس سنوات و تسعه اشهر و خمسها ايام، و هى المده التى ذكرها الطبرى و ابن الأثير.

و كان الواثق بالله نوى اداء فريضه الحج فى موسم السنه ٢٣١ هـ، و استعد لذلك، و وجه عمر بن فرج الرخجى الى اصلاح الطريق، فاخبره ان الماء قليل فى هذا الموسم، فلم يخرج فى تلك السنه(٣). و مرض فى السنه التالیه فى موسم الحج فعاقه ذلك عن الخروج، و ادركته الوفاة فى اواخر ذى الحجه من السنه نفسها.

---

١- الطبرى ٩ / ١٥١، و الكامل ٧ / ٣١.

٢- النجوم الزاهره ٢ / ٢٦٢.

٣- الطبرى ٩ / ١٤٠.

## الفصل الرابع المتوكل على الله ابو الفضل جعفر بن المعتصم بالله

### ١- مبايعته:

توفى الواثق بالله و لم يكن قد عهد لأحد بعده بالخلافه. و كان قد قيل له فى البيعه لابنه، فقال: لا يرانى الله اتقلدها حيا و ميتا(١). و كان ابنه محمد صغير السن، كما ان علاقته باخيه جعفر لم تكن وديه، و لم يكن يتوسم فيه الكفايه لمنصب الخلافه.

و يبدو ان اختلاف امهات الاخوين كان سبب النفره و التباغض بينهما لأن ابناء العلات- اى ابناء الرجل من نسوه شتى يختلفون و يتباغضون عاده. و قد اذل الواثق اخاه فى عهد خلافته، مما ملأ نفس جعفر حقدا على اخيه و على رجاله.

عند ما مات الواثق بالله حضر رجال الدوله الى دار الخلافه، و على راسهم الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، و قاضى القضاة

---

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣.

احمد بن ابى دواد، و ابو الوزير احمد بن خالد، و كبار القواء الاتراك ايتاخ و وصيف و بغا الكبير و غيرهم. فعزموا على مبايعه محمد بن الواثق بالله، فأوه لا يزال صبيا صغيرا. و قد اعترض القائد وصيف بانه صغير لا تجوز معه الصلاه(١). فتناظر الحاضرون فيمن يولونه الخلافه، و ذكروا عده اسماء من امراء بنى العباس. ثم اتفقوا على مبايعه جعفر اخى الواثق بالله. فلما احضروه استقبله قاضى القضاة و البسه الطويله و عممه و قبله بين عينيه و سلم عليه بالخلافه. فبايعه الحاضرون(٢). و اول من بايعه القائدان وصيف و سيما المعروف بالدمشقى(٣).

و روى المتوكل على الله نفسه كيف تمت مبايعته، قال ما خلاصته: احتجمت فى اليوم الذى توفى فيه الواثق بالله و انا لا اعلم بوفاة، فقالت لى امى امضى الى اخيك وعده فى مرضه. فذهبت لزيارته و دخلت الدار و جلست بحيث كنت اجلس، فسمعت حركه غير اعتياديه، فنظرت من ثقب الباب فرأيت محمد عبد الملك الزيات و ايتاخ و معهما محمد بن الواثق يلبسانه الرصافيه، و لما بدت كبيره عليه، قال احدهما: نعمه، ثم قال فما نفعل بجعفر، فقال محمد بن عبد الملك: نقتله بالثور، و قال ايتاخ: بل ندعه فى الماء البارد حتى يموت و لا يبين عليه اثر القتل. فغشى على لما سمعته من عزمهما فى امرى. ثم لم يلبث ان حضر احمد بن ابى دواد فدخل و تكلم معهما كلاما لم اسمعه لما كنت فيه من خوف

١- الطبرى ٩/ ١٥٤، و تجارب الامم ٦/ ٥٣٦.

٢- نفس المصدرين السابقين.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٤.

و ضعف. ثم نودى على فدخلت عليهم وجلا خائفًا، الا ان ابن ابي دواد لقيني فقبل يدي وقادني الى السرير و قال لي: اصعد الى المكان فقد اهلك الله تعالى له. فلما صعدت و جلست سلم على بالخلافه. و سلم على بها محمد و ايتاخ ايضا. و اخذ ابن ابي دواد عليهما البيعه لي، و ادخل القواد و الموال على مراتبهم يسلمون و يبائعون. ثم علمت فيما بعد ان محمد بن عبد الملك و ايتاخ كانا قد اتفقا على ما سمعته منهما، و وكلا باب الحجره من يمنع دخول قاضى القضاء اليهما حتى يفرغا من تدبيرهما. فلما حضر القاضى هابه الموكلون بالباب ففسحوا له فدخل. فلما علم انصرفهما عن ابن الواثق بالله لصغر سنه، تداول معهما فيمن يبائعون، و ذكروا بعض الاسماء، و لما ورد اسمى قال ابن ابي دواد لهما: اصفقا على يدي فصفقا، ثم ارسلوا الى فكان من الأمر ما كان. و بقى ما قاله محمد بن عبد الملك و ايتاخ فى نفسى فقتلتها بما اعترما قتلى به، فقتلت ابن الزيات بالتور، و ايتاخ بالماء البارد(١).

و لقب جعفر فى اليوم التالى بالمتوكل على الله. و قد اراد ابن الزيات ان يلقيه بالمنتصر، فقال ابن ابي دواد: لقد رأيت لقبًا موافقًا هو المتوكل على الله. فوافق الخليفه عليه و امر ان يكتب به الى مختلف الولايات(٢). و كانت نسخه الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، أمر- ابقاك الله- امير المؤمنين اطال الله بقاءه ان يكون الرسم الذى يجرى به ذكره على اعواد منابره و فى كتبه الى قضاته و كتابه و عماله و اصحاب دواوينه و غيرهم من سائر من تجرى المكتبه بينه و بينه «من عبد الله جعفر الامام المتوكل على الله امير

١- كامل الروايه فى الهفوات النادره / ٣٦٢-٣٦٥.

٢- الطبرى ٩ / ١٥٥، و الكامل ٧ / ٣٤.



المؤمنين» فأريك في العمل بذلك و اعلامى بوصول كتابى اليك موفقا ان شاء الله»(١).

و هناك روايه تقول ان سبب هذا اللقب ان المتوكل على الله رأى فى منامه قبل ان يستخلف كأن سكرًا ينزل عليه من السماء مكتوبا عليه «جعفر المتوكل على الله»، فقص ذلك على اصحابه، ففسروه بانه سينال الخلافه(٢). و اذا صح هذا الخبر فان حلم المتوكل على الله كان انعكاسا لما يحز فى نفسه من الحجر و الحرمان و ما يقاسيه من سوء معامله اخيه الواثق بالله الذى يرفل فى نعمه الخلافه و قوه السلطان، مما جعله يتمنى فى قراره نفسه ان يكون خليفه مكان اخيه و له لقب الخلافه مثله. او ان يكون الخير موضوعا اصلا للايحاء بان المتوكل على الله كان موعودا بهذا اللقب الذى هو جدير به.

كان عمر المتوكل على الله يوم بويج ستا و عشرين سنه، لأنه قد ولد بقم الصلح فى شوال من سنه ٢٠٦ هـ(٣). الا ان الخطيب البغدادي يقول سمع المتوكل على الله يقول: ميلادى سنه ٢٠٧ هـ(٤).

و عند ما تمت البيعه للمتوكل على الله امر للاتراك برزق اربعه اشهر، و للجنند و الهاشميين ارزاق ثمانيه اشهر(٥)، و للمغاربه برزق ثلاثه اشهر فأبو ان يقبضوا فارسى اليهم من كان منكم مملوكا

١- الطبرى ٩ / ١٥٥، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٦.

٢- الطبرى ٩ / ١٥٥، و الكامل ٧ / ٣٤.

٣- الطبرى ٩ / ١٥٥، و مروج الذهب ٤ / ٨٥ و فيه سبع و عشرون سنه، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٦.

٤- الطبرى ٩ / ٢٣٠، و تاريخ بغداد ٧ / ١٦٦.

٥- الطبرى ٩ / ١٥٥، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٦.

فليمض الى القاضى احمد بن ابى دواد حتى يبيعه و من كان حرا صيرناه اسوه بالجنند، فرضوا بذلك، ثم اجرؤا مجرى الأتراك (١).

و نقش على خاتمه عباره «جعفر على الله يتوكل» (٢).

## ٢- صفاته و سيرته:

هو ابو الفضل جعفر بن المعتصم بالله، و امه ام ولد خوارزميه تركيه يقال لها شجاع، و كان من سراوات النساء سخاء و كرما (٣).

و يقال انها كانت خيره كثيره الرغبه فى عمل الخير و خلفت من العين خمسه الآف الف و خمسين الف دينار و من الجوهر ما قيمته الف الف دينار (٤). و قد توفيت فى المتوكلية فى ربيع الآخر من سنه ٢٤٧ هـ، و صلى عليها حفيدها محمد المنتصر، و دفنت عند المسجد الجامع (٥).

اما صفاته الجسميه فقد وصف بانه كان اسمر رقيق البشره يضرب الى الصفرة خفيف العارضين كبير العينين و سيما مهيبا، و كان الى القصر اقرب (٦).

و عند ما تولى المتوكل على الله نهى عن الجدل و المناظره و ابطال المحنه. و قد ذكرنا ما قام به فى هذا الباب بشىء من التوسع فى

١- الطبرى ٩ / ١٥٥.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣١٤، و الذهب المسبوك / ٢٢٥ و فيه «على الله توكلت»

٣- تاريخ بغداد ٧ / ١٦٦.

٤- شذرات الذهب ٢ / ١١٧.

٥- الطبرى ٩ / ٢٣٤، و مروج الذهب ٤ / ١١٨.

٦- الطبرى ٩ / ٢٣٠، و التنبيه و الاشراف / ٣١٣-٣١٤، و تاريخ بغداد ٧ / ١٧٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٧.

موضوع المحنة. و قد ابدى كثيرا من لين الجانب و الاهتمام بشؤون الرعيه. قال لابراهيم بن المدبر و هو احد اصحاب الدواوين: اذا خرج اليك توقيعى بما فيه مصلحه للناس و رفق للرعيه فانفذه و لا تراجعنى فيه، و اذا خرج اليك بما فيه حيف على الرعيه فراجعنى، فأن قلبى بيد الله عز و جل(١). و قال يزيد المهلبى: قال لى المتوكل على الله يا مهلبى ان الخلفاء كانت تتصعب على الرعيه لتطيعها و انا لىن لهم ليحبونى و يطيعونى(٢). و مر المتوكل على الله يوما بزراع لا يزال اخضر لم يدرك وقت حصاده، فقال: استأذنى عبيد الله بن يحيى فى استفتاح الحراج وارى الزرع اخضر، فمن اين يعطى الناس الخراج؟ فقيل له ان هذا أضر بالناس فهم يقترضون و يتسلفون و ينجلون عن اراضيهم و قد كثرت شكاياتهم. و علم ان سبب ذلك هو المطالبه بالخراج فى ابان النيروز، و نظرا لمنع العرب كبس السنين باعتباره من النسب الذى نهى الاسلام عنه، تقدم النيروز حتى صار يقع فى نيسان و الزرع اخضر، فطلب الى ابراهيم بن العباس ان يحسب الأيام بما يؤخر النيروز، ففعل ذلك(٣).

و يبدو ان المتوكل على الله اراد تغيير موعد جبايه الخراج بحيث يكون عند حصاد الزرع، الا انه قتل قبل ان يتم تدبير ذلك، و لم يحاول ان يتمه من جاء بعده من خلفاء سامرا حتى استخلف حفيده المعتضد بالله فأمر باصلاح التقويم بما اخر موعد الجبايه و حقق ما كان حاوله جده، اذ امر فى سنه ٢٨٢ هـ بالكتابه الى جميع العمال بترك افتتاح الخراج بالنيروز العجمى، و تأخير ذلك الى

١- تذكره ابن حمدون / ١٠٥.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٥٢.

٣- الاثار الباقية / ٣٢، و الخطط المقريزيه / ١ / ٢٧٥.

اليوم الحادى عشر من حزيران، و سمي ذلك بالنيروز المعتضدى(١).

لقد وصف المتوكل على الله بالكرم الزائد الذى يصل الى حد التبذير، حتى قيل: ما اعطى خليفه شاعرا ما اعطى المتوكل على الله(٢). فقد انشده على بن الجهم شعره الذى مطلعاه:

هى النفس ما حملتها تتحمل و للدهر ايام تجور و تعدل

و فى يد المتوكل جوهرتان فأعطاه التى فى يمينه، فاطرق ابن الجهم متفكرا فى شىء يقوله ليأخذ التى فى يساره، ففطن و قال:

مالك متفكرا، انما تفكر فيما تأخذ به الأخرى، خذها لا يورك لك فيها(٣). و لكثرة ما انفق المتوكل على الله ايام خلافته، قال المسعودى: «و قد قيل انه لم تكن النفقات فى عصر من الأعصار و لا وقت من الأوقات مثلها فى ايام المتوكل على الله ... مع كثره الموالى و الجند و الشاكريه و درور العطاء لهم، و جليل ما كانوا يقبضون من الجوائز و الهبات»(٤). و قد انفق على اعداء ابنه المعتز سته و ثمانين الف الف درهم(٥). و وصفت ايامه بانها كانت حسنه فاخره كثيره الخير(٦). و انها «كانت احسن ايام و انضرها من استقامه الملك و شمول الناس بالأمن و العدل»(٧).

١- الطبرى ٣٩ / ١٠، و الكامل ٧ / ٤٦٩.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٥٠.

٣- العقد الفريد ١ / ٣٢١.

٤- مروج الذهب ٤ / ١٢٢.

٥- الديارات / ١٥٥.

٦- مشاكلة الناس لزمانهم / ٣٢.

٧- مروج الذهب ٤ / ٨٦.

و مما له علاقه بكثرة الانفاق فى عهد المتوكل على الله اهتمامه بالعمران و ولعه ببناء القصور. فقد بنى ما ينوف على خمسه عشر قصرا انفق فى بنائها مبالغ طائله. و قد احدث المتوكل على الله بناء لم يكن الناس يعرفونه، و هو المعروف بالحيرى نسبة الى مدينه الحيره، فبنى الناس جميعا بسامرا هذا البناء. و قد تكلمنا عن الماحوزه شمالى سامرا اعظم اعماله العمرانيه و كان يسميها المتوكلية. و كنا افردنا لها فصلا خاصا بعمرانها.

و كان المتوكل على الله قد حاول اكثر من مره، قبل ان يؤسس مدينه المتوكلية، ان ينتقل عن سامرا الى مدينه اخرى. و لا ندرى ما اذا كان بدافع الرغبه فى التحرر من نفوذ القواد الاتراك المعارضين له، او طلبا لجو يلائم صحته، او انه كان يريد ان تكون عاصمه تنسب اليه. و لعل ما يؤيد السبب الأخير بناؤه مدينه المتوكلية و انتقاله و دواوين الدوله اليها. و كان قبل ذلك اراد الانتقال الى اصبهان بعد ان سمع عن طيب هوائها، فبعث جماعه من المهندسين لتخطيط القصور له و لخواص اصحابه، الا ان اهلها فرعوا الى وصيف القائد و سألوه التلطف فى فسخ عزمه فاقنعه بانها لا تتسع له، و اذا ما سكنها ضاق الأمر على الناس فى الميره، مما اثناه عن عزمه، فخرج الى دمشق لأنه قيل له ان هواءها مقارب لهواء اصبهان(١).

عزم المتوكل على الله على المقام بدمشق لما وصف له من فضائلها و طيبها، فأمر بالبناء فيها و نقل الدواوين اليها، الا انه تركها بعد اقام فيها شهرين و بضعه ايام فعاد الى سامرا محتجا ببرد هواء دمشق

و ثقل مائها و كثره رياحها(١). و هناك رأى يقول انه ترك دمشق لأن مناوئيه من الاتراك دبروا فيها وقيعه تستهدف قتله(٢).

الى جانب هذه النواحي الايجابية من سيره المتوكل على الله و سلوكه كخليفه هناك نواح سلبية ضرب فيها امثله سيئه من تصرفاته. فقد اشتد على العلويين. كما اساء الى اهل الذمه و لا سيما النصارى منهم، فحدد نوع لباسهم و ركوبهم و نهى عن الاستعانه بهم فى اعمال الدوله و دواوينها. و اوامر اخرى اتخذها بشأنهم بكتاب وجهه الى الولايات لمعاملتهم بموجبه، و معاقبه من لا يلتزم بها. و من الممكن تفسير موقف المتوكل على الله من العلويين و من اهل الذمه، بعاملين اتصف بهما، اولهما تعصبه الدينى الشديد، و الآخر حسده للعلويين لما يتمتعون به و بخاصه أئمتهم، من ولاء مطلق من اعداد غفيره من الرعيه، و حسده النصارى لأنهم كانوا يعيشون حياه مرفهه نسبيا، و منهم معظم الأطباء المشهورين و كثير من الكتاب المتقدمين.

و قد عرف عن المتوكل على الله انه متقلب المزاج يرضى و يغضب بسرعه و لا تفه الأسباب. و كان يتشبه فى الغضب بخلق الجابره(٣). و انه حقود قاس فى غضبه، يحقد على من يسيء اليه، و يحسد كل ذى نعمه مهما كان نوعها. و من مظاهر حقه انه امر بقتل محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الكفء بعد تعذيبه، لأن ابن الزيات لم يكن يحسن استقباله عند ما كان يراجعه فى ايام اخيه الواثق بالله. و موقف ابن الزيات هذا تجاهه ناشىء من ان

١- الطبرى ٩ / ٢١٠، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٢.

٢- مروج الذهب ٤ / ١١٥ - ١١٦.

٣- شذرات الذهب ٢ / ١١٥.

الخليفه الواثق بالله كان لا يود اخاه، دائم الغضب عليه، و من الطبيعي ان يحذو وزيره حذوه و الا عرض نفسه لغضب الخليفه و نقمته. و سبق ان ذكرنا ان المتوكل على الله قد كان قد اضمر الشر لابن الزيات و للقائد ايتاخ لأنه اعتقد بانهما عارضا ترشيحه للخلافه و اتفقا على قتله.

و لم يسلم من سخط المتوكل على الله و غضبه قاضى القضاء احمد ابن ابى دواد صاحب الفضل الأول فى توليه الخلافه، و الذى كان شديد العطف عليه ايام اخيه الواثق بالله، و كثيرا ما كان يلتمس الخليفه ليحسن معاملته اخيه و يرضى عنه. فقد امر فى سنه ٢٣٧ هـ بمصادره ضياعه، و حبس ابنه ابا الوليد محمدا مع مصادره امواله و اموال اخيه، رغم ان ابن دواد كان طريح الفراش و قد اصيب بالفالج منذ سنه ٢٣٣ هـ. و ليس هناك من سبب واضح لسخطه عليه و على اولاده. و يستبعد ان يكون السبب هو ان ابن ابى دواد من المعتزله و قد تزعم قضيه المحنه، لأن سخط المتوكل على الله جاء بعد ابطال المحنه ببضعه سنوات. مما يجعلنا نميل الى انه كان يحسده لما صار اليه من مكانه مرموقه فى الدوله، و انه كان موضع ثقته ابيه المعتصم بالله و اخيه الواثق بالله و احترامهما، كما انه نال بمواقفه النبيله احترام الناس و تقديرهم.

و امر المتوكل على الله بمصادره عدد من الوزراء و كبار الكتاب، و يبدو ان الدافع الرئيس لذلك هو رغبته فى احتواء اموالهم لسد نفقاته الواسعه (١).

و لعل ضخامه اموال رجال الدوله و كتابها و كثره املاكهم و تعدد

ضياعهم وسعه انفاقهم، مما لفت نظر المتوكل على الله بانها جمعت بطرق غير مشروعته فاراد عقوبتهم بمصادرتها منهم بحجج مختلفه.

و لم يكن احد ممن سلف من خلفاء بنى العباس قد اظهر فى مجلسه العبث و الهزل، و المضاحك، حتى جاء المتوكل على الله فكان اول خليفه أظهر ذلك، حتى ذاعت هذه الامور فى الناس و جروا فيها(١). فكان يجمع السماجه- و هم الممثلون الهزليون- بين يديه فيحاكون حركات بعض الناس و يمثلونهم فى اصواتهم، و يأتون بحركات مضحكه عنهم تؤنسه(٢). فكان السابق الى ذلك و المحدث له فاتبعه فيه اغلب خواصه و اكثر رعيته(٣).

### ٣- ولاية العهد:

لعل ما حدث اثر وفاه الواثق بالله من خلاف حول اختيار خليفه له، لأنه لم يعهد لأحد من بعده، قد دفع المتوكل على الله الى ان ينظم ولاية العهد فى حياته. فعقد فى سنه ٢٣٥ هـ البيعه لثلاثه من ابناؤه هم محمد و سماه المنتصر، و ابو عبد الله- و يختلف فى اسمه فيقال محمد او الزبير او طلحه- و لقبه المعتر، و ابراهيم و لقبه المؤيد. و عقد لكل منهم لوائين احدهما اسود و هو لواء ولايه العهد و الآخر ابيض و هو لواء العمل. و ضم الى كل واحد منهم عددا من الولايات، فاقطع المنتصر افريقيه و المغرب و جميع الثغور و بعض الولايات الشرقيه. و اقطع المعتر خراسان و طبرستان و الرى و ارمينيه و اذربيجان. اما المؤيد فقد اقطعه جند دمشق و جند فلسطين. كما جعل لكل منهما كاتباً خاصاً، فجعل احمد بن

١- مشاكلة الناس لزمانهم / ٣٢.

٢- الديارات / ٣٩.

٣- مروج الذهب ٨٦ / ٤.



الخصيب كاتباً للمنتصر، و احمد بن اسرائيل كاتباً للمعتز، و محمد بن علي المعروف كاتباً للمؤيد(١). و احضر المتوكل على الله القضاء و وجوه الناس من البلدان الى سامرا لبيعه و لاه العهد، و بعث خواصه الى الأمصار ليأخذوا البيعه لهم، و وزع الجوائز، و اعطى الجند ارزاق عشره اشهر(٢). و كتب بولايه العهد كتابا مفصلا باربعة نسخ و قعها الشهود بحضرتة و امر ان تحفظ نسخه منها في خزانته، و عند كل واحد من اولياء العهد نسخه(٣).

سار المتوكل على الله في امر ولايه العهد على نهج جده هارون الرشيد الذي عهد لأبنائه الأمين و المأمون و المؤمن بكتاب موثق اودعه في البيت الحرام سنه ١٨٦ هـ و جعلهم متعاقبين في تولي الخلافة(٤). و لم يتعظ بما نشب من الخلاف بين الأمين و المأمون و ما ترتب عليه من نتائج خطيرة و كيف ان المأمون عهد بالخلافه من بعده لأخيه ابى اسحاق دون القاسم المؤمن الذي نص عليه عهد الرشيد. كما يلاحظ ان كتاب المتوكل على الله تجاهل بقيه ابنائه، و كان فيهم طلحه الملقب بالموفق الذي اثبتت الحوادث فيما بعد انه اكفأ اولاده و اقدرهم.

#### ٤- مؤامره قتله:

انتهت حياه المتوكل على الله بعد حكم دام خمس عشر عاما، و هو اول خليفه يقتل في سامرا. و يمكن حصر الأسباب التي ادت

١- الطبري ٩ / ١٧٥-١٧٦، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٨٧، و الكامل ٧ / ٤٩-٥٠.

٢- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٨٧، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٨٦.

٣- نص الكتاب في الطبري ٩ / ١٧٦-١٨٠.

٤- الطبري ٨ / ٢٧٨، و مروج الذهب ٣ / ٣٦٤، و الكامل ٦ / ١٧٣.

الى قتله بسببين رئيسيين اولهما سوء علاقته بابنه الكبير و ولى عهده محمد المنتصر، و ثانيهما سياسته تجاه الاتراك المتغلبين على شؤون الدوله.

كنا ذكرنا ان المتوكل على الله عقد فى سنه ٢٣٥ هـ لثلاثه من بنيه و هم محمد المنتصر و المعتر و المؤيد. و رغم انه قدم المنتصر على اخويه فى ولايه العهد فانه كان اكثر ميلا الى المعتر بتأثير امه قبيحه التى كان المتوكل على الله يفضلها على نساءه، و عند ما وزع امارات ولايات الدوله و اقاليمها خص المعتر بالمهمه منها. ثم اضاف اليه فى سنه ٢٤٠ هـ خزن الاموال فى جميع الولايات و دور الضرب اسمه على الدراهم(١). فكان ذلك من حملته ما آثار حفيظه المنتصر على ابيه. و اخذ المتوكل على الله ينتقص من شأن المنتصر و يعبث به و يأمر بصفعه، و قال له مره لقد سميتك المنتصر فسماك الناس لحمقك المنتظر، ثم صرت الآن المستعجل.

و جاهر فى احد مجالسه بخلعه من ولايه العهد. و يقال انه عزم على ان يفتك به، و يقتل و صيفا و بغا(٢).

اما علاقته المتوكل على الله بقاده الاتراك فقد كانت مشوبه بالحذر و عدم الثقه. لأنهم قد صارت اليهم رياسه معظم المراكز الحيويه فى الدوله(٣). فأن ايتاخ بقى فى عهده محتفظا بمراتبه فى الجيش و اداره الاموال و البريد و الحجابه و شؤون دار

١- الطبرى ٩ / ١٧٦، و الكامل ٧ / ٥٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٢٥، و الكامل ٧ / ٩٧ و ١٠٤.

٣- التنبيه و الاشراف / ٣١٣. بدلا من الجيش، و يظهر انه الاصح، لان الطبرى سبق ان قال فى ص:

الخلافة (١). و لذلك فان ايعاز المتوكل على الله بقتله في سنة ٢٣٥ هـ و محاوله الفتك بوصيف و بغا، يدل على عزمه اضعاف شأنهم و سلطانهم. الا ان هذه السياسه جعلت القواد ينقمون عليه، و اخذوا يستغلون سوء علاقته بابنه المنتصر، و يحرضون الأخير على الفتك بابيه و تولى الخلافة مكانه، و سبق لهم ان قرروا قتله عند ما انتقل الى دمشق (٢).

و كان بغا الصغير قد استوحش من المتوكل على الله و مال الى المنتصر الذي كان يعمل على اجتذاب القواد الاتراك اليه و استمالتهم، فلا يبعد المتوكل على الله احدا منهم الا و استماله اليه، و كان اوتامش غلام الواثق بالله يعاونه في ذلك (٣).

و هكذا كان المتوكل على الله و المواليون له و على رأسهم الوزير عبد الله بن يحيى، و الفتح بن خاقان، يسعون للفتك بالمنتصر و وصيف و بغا و غيرهما من قادة الاتراك. كما واعد المنتصر القواد الاتراك و على رأسهم وصيف على قتل الخليفه. فكان السبق لتدبير الاتراك. و كان السبب المباشر لقتله انه كان امر بانتزاع ضياع و صيف باصبهان و الجبل و اقطاعها للفتح بن خاقان (٤). فلما بلغ ذلك و صيفا ثارت ثائرتة و استعجل جماعته في التخلص من الخليفه. فهياً بغا الصغير باغر التركي و آخرين من

- 
- ١- الطبرى ١٦٧ / ٩، و الكامل ٤٣ / ٧، و تجارب الامم ٥٤٢ / ٦ و فيه الحبس ١٦٦، و كان من اراد المعتصم و الواثق قتله، فعند ايتاخ يقتل و بيده يحبس.
  - ٢- مروج الذهب ١١٥ / ٤.
  - ٣- مروج الذهب ١٢١ / ٤.
  - ٤- الطبرى ٢٢٢ / ٩، و تجارب الامم ٥٥٤ / ٦.

الجند الاتراك ممن يثق بهم، فاقترحوا مجلس المتوكل على الله وقتلوه، وقتلوا معه الفتح بن خاقان.

و حمل بغا الصغير الخبر الى المنتصر الذى ارسل الى وصيف ان الفتح بن خاقان قد قتل ابى فقتلته، و امره ان يذيع ذلك فى اصحابه. و حضر القواد الموالون للمنتصر و اصحابهم و بايعوه بالخلافه. و عند ما حضر الناس من القواد و الكتاب و الوجوه و الجند صباح اليوم التالى الى الجعفريه للبيعه العامه، قرأ عليهم احمد بن الخصيب كتابا يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوكل على الله فقتله به، فبايع الحاضرون(١).

و يقال ان خبر التآمر على المتوكل على الله كان قد بلغ مسامع عبيد الله بن يحيى فشاور الفتح بن خاقان فى احاطه الخليفه بما يدبر له، و اتفقا على كتمان الأمر عنه لما رأيا من سروره فى ذلك اليوم و كرها ان ينغصا عليه سروره، و انهما واثقان بانه لا يستطيع احد ان يتجاسر على مثل هذا العمل(٢). الا ان مما يضعف هذا القول ان سير الوقائع يدل على انهما لم يكونا يعلمان شيئا عن المؤامره، اذ لو علما بها لاتخذوا من وسائل الحيطه ما يستلزم لحمايه مجلس الخليفه و تشديد حراسته و افشال المؤامره.

و يروى ان المتوكل على الله رأى قبيل وفاته حلما تشاءم منه، اذ رأى كان دابه تكلمه، فسأل جلساءه عن تفسيره ففسره له احدهم بشىء آخر، ثم قال لبعض من حضر: لقد حان رحيله،

١- الطبرى ٩/ ٢٣٤، و تجارب الامم ٦/ ٥٥٧.

٢- الطبرى ٩/ ٢٢٨، و تجارب الامم ٦/ ٥٥٦.

لقوله تعالى «و اذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابه من الأرض تكلمهم»(١).

و هناك شبه اتفاق فى اليوم الذى قتل فيه و هو ليله الاربعاء لأربع خلون من شوال، و قيل ليله الخميس(٢). اما مده خلافته فقد كانت اربع عشره سنه و عشره اشهر و بضعه ايام(٣). و يقال انه لم يكن المتوكل على الله يوما اشد سرورا منه فى اليوم الذى قتل فيه، فلقد اصبح فى هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا، و قال:

كأنى اجد حركه الدم، فاحتجم فى ذلك اليوم، و احضر الندماء و الملهين، فاشتد سروره و كثر فرحه(٤). و عند دفنه لف هو و الفتح بن خاقان فى بساط و دفنا بدمائهما من غير تغسيل فى قبر واحد(٥). و كان دفنه فى قصره المعروف بالجعفرى(٦).

١- شذرات الذهب ٢ / ١١٦. و الآيه رقم (٨٢) من سوره النمل.

٢- الطبرى ٩ / ٢٣٠، و مروج الذهب ٤ / ١١٨، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٢، و الكامل ٧ / ١٠٠.

٣- الطبرى ٩ / ٢٣٠، و مروج الذهب ٤ / ٨٥، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٢، و الكامل ٧ / ١٠٠.

٤- مروج الذهب ٤ / ١٢١.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٣٢٤.

٦- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٢.

## الفصل الخامس المنتصر بالله ابو جعفر محمد بن جعفر المتوكل على الله

### ١- مبايعته:

سبق ان ذكرنا ان الخليفه المتوكل على الله كان قد عقد البيعه بولايه العهد لثلاثه من بنيه، اولهم محمد و سماه المنتصر، و اقطعه اجزاء معينه من المملكه. كما اشرنا الى انه غضب عليه مؤخرا للاسباب التى ذكرناها، بحيث اخذ المتوكل على الله يجاهر ببغضه لابنه المنتصر، و قد اشهد جماعه الحاضرين فى مجلسه على خلعهم من ولايه العهد (١). مما دفع المنتصر الى الاتفاق مع عدد من قاده الاتراك الناقمين على ابيه، على العمل للفتك به و التخلص منه. و عند ما اتم المتامرون قتل المتوكل على الله خرجوا الى المنتصر بالله و سلموا عليه بالخلافه. و بادروا الى اخذ البيعه من الحاضرين الآخرين.

و قد تمت بيعه المنتصر بالله على دفعتين، الاولى فى ليله الاربعاء- ليله مقتل ابيه- و الثانيه فى صباح اليوم التالى لأربع خلون من شوال و قيل لثلاث خلون منه(١). و كان قد بايعه ليله الاربعاء القواد و غيرهم من المتآمرين حالما تم القضاء على المتوكل على الله، و منهم بعلون و باغر و هارون بن صوارتكين و بغا الشرابى و واجن و عدد من اولاد وصيف، و هم الذين تولوا عمليه اقتحام مجلس الخليفه و الاجهاز عليه، و كذلك وصيف و اصحابه الذين حضروا بعد نجاح العمليه، كما حضر المعتز و المؤيد، و اخبرا بان اباهما شرق بكأس شربه و مات لساعته، فبايعا اخاهما المنتصر(٢). و كانت هذه المبايعه الخاصه للمنتصر.

اما فى بيعه صباح الاربعاء، و هى البيعه العامه، فقد حضر الى الجعفرى القواد و الكتاب و الوجوه و الجند و غيرهم. فقرأ عليهم احمد بن الخصيب الذى اتخذه المنتصر وزيراً، كتابا يخبر فيه عن المنتصر بالله ان الفتح بن خاقان قتل اباه المتوكل على الله فقتله به، فبايع الحاضرون. و كان عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل على الله من المبايعين فى هذا اليوم. و لما شاع الخبر غداه اليوم التالى فى اهل سامرا بمقتل المتوكل على الله، ظهرت بعض الأصوات المعارضه لمبايعه المنتصر بالله. فقد تجمع قسم من الجند و الناس بباب العامه و ازدحموا محتجين و مستنكرين مما اضطر الخليفه الجديد ان يوعز الى فريق من الجند فتولوا دفع الناس و تفريق جمعهم بعد ان قتل منهم بضعة انفار(٣). و كان

١- الطبرى ٩/ ٢٣٤، و تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٣، و مروج الذهب ٤/ ١٢٩.

٢- الطبرى ٩/ ٢٢٧- ٢٢٨ و ٢٣٦، و الكامل ٧/ ١٠٣- ١٠٤.

٣- الطبرى ٩/ ٢٣٩، و الكامل ٧/ ١٠٥.

قد عرض جمع من الجند على الوزير عبيد الله بن يحيى ان يثوروا بالمنتصر بالله و يقتلوه و اتباعه، فرفض ذلك لأنه رأى ان البيعه قد تمت و لا سيما و ان المعتز قد بايع اخاه(١).

و بالنظر لهذه الظروف التى احاطت ببيعه المنتصر بالله فقد اراد مؤيدوه اثبات حقه الشرعى فى الخلافه بموجب عهد مكتوب تمت المبايعه وفق ما جاء فيه. و فيما يلى اهم ما جاء فى كتاب البيعه التى اخذت له(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم. تبايعون عبد الله المنتصر بالله امير المؤمنين ببيعه طوع و اعتقاد و رضا و رغبه باخلاص .. على ان محمدا الامام المنتصر بالله عبد الله و خليفته المفترض عليكم طاعته و مناصحته و الوفاء بحقه و عقده .. و على السمع له .. و الوقوف عند كل ما يأمر به .. و على انكم اولياء اوليائه و اعداء اعدائه من خاص و عام .. و تتمسكون ببيعته بوفاء العقد و ذمه العهد ..

و على ان لا- تسعوا فى نقض شىء مما اكده الله عليكم .. و على ان لا تبدلوا و لا يرجع منكم راجع عن نيته .. اذ كان الذين يبايعون منكم امير المؤمنين انما يبايعون الله .. عليكم بذلك ربما أكدت هذه البيعه فى اعناقكم ... ان تسمعوا ما اخذ عليكم فى هذه البيعه و لا تبدلوا، و ان تطيعوا و لا تعصوا .. و ان تتمسكوا بما عاهدتم عليه .. لا يقبل الله منكم فى هذه البيعه الا الوفاء بها ... فمن نكث منكم .. فكل ما يملك كل واحد ممن خان فى ذلك بشىء نقض عهده من مال او عقار او سائمه او زرع او ضرع صدقه على المساكين .. و كل مملوك يملكه الى ثلاثين سنه

١- الطبرى ٩ / ٢٢٩، تجارب الامم ٦ / ٢٥٧.

٢- نص كتاب البيعه فى الطبرى ٩ / ٢٣٧ - ٢٣٩.



من ذكر او اثني احراراً لوجه الله، و نساؤه فى يوم يلزمه الحنث و من يتزوجه بعدهن الى ثلاثين سنه طوالق البته .. و عليه المشى الى بيت الله الحرام ثلاثين حججه، لا- يقبل الله منه الا- الوفاء بها، و هو برى ء من الله و رسوله، و الله و رسوله بريئان منه .. و الله عليكم بذلك شهيد و كفى بالله شهيدا:

و بعد ان تمت البيعه للمنتصر بالله امر باعطاء الجند ارزاق عشره اشهر(١).

## ٢- صفاته و سيرته:

اسمه محمد و كنيته ابو جعفر و قيل ابو عبد الله و قيل ابو العباس(٢). و لقبه ابوه المنتصر بالله حينما عقد له البيعه بولايه العهد. و امه ام ولد روميه اسمها حبشيه، و كانت تحبه كثيراً، و قد حزنه عليه حزناً شديداً لما ماتت و طلبت ان يبني له قبر ظاهر مشهود. و يقال انه اول خليفه عباسى عرف قبره(٣).

اى انه اول من بنى له قبر مشهود من خلفاء سامرا.

اقام المنتصر بالله بعد توليه الخلافه بالجعفريه ثم تحول عنها بعد عشره ايام، بعياله و قواده و جنده الى سامرا(٤). و سنأتى على تفصيل ذلك فى الفصل الخاص بتأسيس مدينه الجعفريه.

١- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٣.

٢- تاريخ بغداد ٢ / ١١٩، و الكامل ٧ / ١١٤، و فيه اسمه احمد، و يرجح ان ذلك خطأ مطبعى.

٣- الطبرى ٩ / ٣٥٤، و مروج الذهب ٤ / ١٣٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٦١، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١.

٤- الطبرى ٩ / ٢٣٤، و مروج الذهب ٤ / ١٣٠، و فيه انه تحول بعد سبعة ايام.

اما وصف المنتصر بالله فتتفق المصادر على انه كان اسمر حسن الوجه، قصير القامه جسيما، عظيم البطن، ضخم الهامه، أعين اقنى، و على عينه اليمنى اثر اصابه من وقعه فى صغره(١).

و قد وصف المسعودى اخلاقه وصفا دقيقا شاملا بقوله «و كان المنتصر واسع الاحتمال، راسخ العقل، كثير المعروف، راغبا فى الخير، سخيا، اديبا، عفيفا. و كان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق، و كثره الانصاف، و حسن المعاشره، بما لم يسبقه خليفه الى مثله»(٢). و قيل عنه انه كان الى جانب ذلك فاتكا سفاكا للدم(٣). و مع ان المسعودى يتفق بوصفه اخلاق المنتصر بالله مع من وصفها من المؤرخين الا انه يتهمه بالبخل فيقول «كان ذا شهامه و معرفه و امساك للمال، و حفظ له حتى انكر الناس عليه شده البخل و شده المنع»(٤). و مما يؤيد هذا ما رواه الطبرى عن بنان بن عمرو المغنى و كان من اخص الناس بالمنتصر بالله، و هو خليفه، ان يهبنى ثوب ديباج، فقال لى: أو خير لك من الثوب الديدباج؟ قلت ما هو؟ قال: تتمارض حتى اعودك، فانه سيهدى لك اكثر من الثوب الديدباج. الا انه مات فى تلك السنه و لم يصل شىء الى بنان(٥). لا شك فى ان هذ الخبر ينطوى على شىء من خله الامساك فى المنتصر بالله، اذ لم تجد

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٤، و تاريخ بغداد ٢ / ١١٩ - ١٢٠، و الكامل ٧ / ١١٥، و الذهب المسبوك / ٢٢٧.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣٤ - ١٣٥.

٣- الكامل ٧ / ١١٦.

٤- التنبيه و الاشراف / ٣١٤.

٥- الطبرى ٩ / ٢٥٥.

نفسه بثوب ديباج لا قرب المغنين له، و حاول ان يعوضه بما يهديه اليه الآخرون عند مرضه. و قد يكون اراد بهذا ان يظهر اكرامه له بعيادته عند مرضه و ان يجعل الآخرين يكرمونه ايضا، و هذا ما يتفق مع اخلاق المنتصر بالله و صفاته.

الا- انه يقابل هذا ان المسعودى نفسه يروى خبرين يدلان على كرم المنتصر بالله فقد روى عن على بن يحيى المنجم، و كان نديما لعدد من الخلفاء، انه احب ان يشتري ضيعه مجاوره لضيعة و لم يزل يبذل جهده لدى مالكها حتى اجابه الى بيعها.

الا- انه لم يكن يملك قيمتها حينذاك، مما اقلقه من ان تفوته فرصه تحقيق امنيته. و عند ما حضر مجلس المنتصر بالله لاحظ الخليفه ما ظهر على نديمه من قلق و انشغال بال. فلما علم منه السبب استفسر عن قيمه الضيعة و ما مقدار ما يعوزه لشرائها.

فلما عاد ابن المنجم الى بيته رأى ان الخليفه كان قد ارسل المبلغ الذى يعينه على شراء الضيعة، و يقول انه لما بكر الى المنتصر بالله فى اليوم التالى لم يذكر عن الأمر شيئا(١).

و روى ايضا ان المنتصر بالله لما كان اميرا، بعث احد رجاله و اسمه سعيد بن محمد الصغير الى مصر فى بعض اموره. فعشق سعيد جاريه التقى بها هناك الا انه عجز عن شرائها. فلما علم المنتصر بالله بشده ولعه بها كتب الى عامل مصر فى ابتياعها و حملها الى سامرا، دون ان يعلم سعيد بشىء من ذلك. فلما وصلت الجاريه اهداها اليه(٢). يستدل من هذين الخبرين ان المنتصر بالله لم يكن بخيلا شديد المنع، بل انه كان مدبرا غير

١- مروج الذهب ٤ / ١٣٧ - ١٣٨.

٢- نفس المصدر / ١٤١ - ١٤٢.

مسرف، و ان كرمه من النوع الذى لا يريد صاحبه ان يتفاخر به.

و لعل اعطيته الى المغنين و مادحيه من الشعراء تدل على جوده و كرمه. و كان من نتيجته تدبيره فى الانفاق انه عند ما توفى كان فى بيت المال الف الف دينار، ففرق المستعين بالله الجميع فى الجند(١).

لقد اشتهر عن المنتصر بالله انه كان عادلا منصفا بحيث مالت اليه قلوب الناس من الخاصه و العامه، مع شدة تهييها منه(٢).

و من اقواله الداله على سماحته و علو همته، ما رواه وزيره احمد بن الخصيب انه قال حين عفا عن الشارى التائر: ان لذه العفو اعذب من لذه التشفى، و اقبح افعال المقتدر الانتقام(٣). و من اقواله ايضا: و الله ما عز ذو باطل و لو طلع القمر من جبينه، و لا ذل ذو حق و لو صفق العالم عليه(٤). و من مظاهر انصاف المنتصر بالله انه صالح اخوته و اخواته على تركه ابيه من الفرش و الرقيق و الدواب بمبلغ اربعة و عشرين الف الف درهم، و انه اشهد عليهم بذلك(٥).

كان المنتصر بالله قد نقش على خاتمه عند ما بويع بالخلافه «محمد بالله ينتصر»(٦). و يظهر مما جاء فى العقد الفريد ان

١- النجوم الزاهره ٢/ ٣٢٨، و الذخائر و التحف / ٢٢٠ و فيه الف الف درهم.

٢- مروج الذهب ٤/ ١٣٧، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٧.

٣- مروج الذهب ٤/ ١٧٧، و البصائر و الذخائر ٢/ ٥٢٧ و جاء فيه كما يلى: لذه العفو احبب من لذه التشفى يلحقها الندم.

٤- الكامل ٧/ ١١٦، و تاريخ بغداد ٢/ ١٢٠، و فيه: و لو اطبق بدلا من و لو اصفق. و الذهب المسبوك / ٢٧٧ و فيه: ما ذل ذو حق و ان اطبق الناس عليه و ما عز ذو باطل و لو طلع القمر بين عينيه.

٥- الذخائر و التحف / ٢٢٠.

٦- التنبيه و الاشراف / ٣١٤.

خاتمين آخرين، نقش على احدهما «يؤتى الحذر من مأمنه» و على الآخر «انا من آل محمد، و الله ولى محمد»<sup>(١)</sup>. و قد يكون اتخذ الخاتم الأخير ليدل على ولائه لآل البيت و حبه للعلويين و عطفه عليهم. على ان الخطيب البغدادي يذكر ان نقش خاتمه كان «محمد رسول الله» و ان له ختما آخر نقش عليه «المنتصر بالله»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- ولاية العهد:

بعد ان استتب الامر للمنتصر بالله اخذ الوزير احمد بن الخصيب يحذر القواد الذين تأمروا على اغتيال المتوكل على الله من انتقام ابنائه الآخرين اذا ما تولى احدهم الخلافة، و لا سيما المعتز ولى العهد و المؤيد الذى كان يليه فى ولاية العهد. مما جعلهم يتوجسون خيفة منهما، و يرون ان سلامتهم و امنهم رهينان بابعادهما عن تولى الخلافة. و قد سبق ان ذكرنا ان المتوكل على الله قد اخذ العهد لاولاده الثلاثة بكتب كتبها و شروط اشراطها، و خصص لكل منهم جزء من اقاليم الدولة، و جعل محمد المنتصر ولى عهده و بعده المعتز ثم يليه المؤيد. و اخذت البيعة بهذا على الناس. و لذا عمل ابن الخصيب و القواد الاتراك على خلع الاخوين من ولاية العهد ليأمنوا انتقامهما لأبيهما، و الحوا على المنتصر بالله فى الأمر و زينوا له ان يولى ابنه عبد الوهاب العهد من بعده.

١- العقد الفريد ٥/ ١٢٣.

٢- تاريخ بغداد ٢/ ١٢٠.

و كان المتتصر بالله، رغم تظاهره بحب اخويه و التودد لهما، يحقد عليهما لأن اباه كان يحسن معاملتهما و يفضلهما عليه و بخاصه المعتز، و لذلك فقد استجاب للطلب. و امر بالطلب الى اخويه ان يخلعا نفسيهما من ولايه العهد. فوافق المؤيد و تردد المعتز غاضبا، الا ان اخاه استطاع ان يقنعه حينما وضعه امام امر لا مفر منه، اذ قال له «هذا الامر قتل اباك فليتة لا يقتلك، اخلعه و يلك، فوالله لئن كان في سابق علم الله ان تلى لتلين»<sup>(١)</sup>.

فاجاب بالموافقه ايضا. و كتب كل منهما كتابا يخلع فيه نفسه من ولايه العهد و يحل الناس منها، بموجب صيغته املاها عليهما كاتب الخليفة.

و لما دخل الاخوان على اخيهما الخليفة ليعلماه بموافقتهما على التنازل عن ولايه العهد رحب بهما و اظهر لهما انه قام بذلك حرصا على حياتهما و ليس طمعا في نقل ولايه العهد الى ابنه، اذ قال «أترياني خلعتكما طمعا في ان اعيش حتى يكبر ولدى و اباع له، و الله ما طمعت في ذلك ساعه قط، و اذا لم يكن في ذلك طمع، فوالله لا ين يليها بنو ابي احب الى من ان يليها بنو عمي، و لكن هؤلاء- و اوما الى سائر الموالى ممن هو قائم و قاعد- الحوا علىّ في خلعتكما، فخفت ان لم افعل ان يعترضكما بعضهم بحديده، فيأتى عليكما. فما ترياني صانعا، أقتله؟ فوالله ما تفي دماؤهم كلهم بدم بعضكم، فكانت اجابتهم الى ما سألوا اسهل علىّ»<sup>(٢)</sup>.

١- الطبرى ٩ / ٢٤٥.

٢- الطبرى ٩ / ٢٤٥-٢٤٦.

و عند ما حضرا للتنازل، كان اعوان المنتصر بالله قد احضروا الامراء من بنى هاشم، و كبار القواد، و رؤوساء الدواوين، و القضاء، و صاحب الشرطه، و وجوه الحرس و غيرهم، ليشهدوا خلع المعتز و المؤيد نفسيهما. و كانت صيغه الكتاب بالتنازل الذى املى عليهما هي (١) «بسم الله الرحمن الرحيم: ان امير المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه قلدى هذا الأمر و بايع لى و انا صغير من غير ارادتى و محبتى، فلما فهمت امورى علمت أنى لا- اقوم بما قلدى، و لا اصلح لخلافه المسلمين. فمن كانت بيعتى فى عنقه فهو من نقضها فى حلّ، و قد احللتكم منها، و ابرأتكم من ايمانكم، و لا عهد لى فى رقابكم، و انتم براء من ذلك».

و قرأ الرقاع الوزير احمد بن الخصيب. ثم قام كل واحد منهما و قال للحاضرين: هذه رقعتى، و هذا قولى، فأشهدوا علىّ، و قد ابرأتكم من ايمانكم و حللتكم منها (٢).

و أمر الخليفه ان يكتب الى خليفته ببغداد محمد بن عبد الله بن طاهر يعلمه بتنازل اخويه عن ولايه العهد التى عقدها ابوهما لهما من بعده، و امره ان يكتب بذلك الى جميع العمال و يوعز اليهم بالعمل بموجه، و هو كتاب مطول جاء فيه (٣) «اما بعد ..

و قد علمت ما حضرت من رفع ابى عبد الله و ابراهيم ابنى امير المؤمنين المتوكل على الله الى امير المؤمنين رقعتين بخطوطهما، يذكران ان فيهما ... انهما قد خلعا انفسهما من ولايه العهد و خرجا منها، و جعللا كل من لهما عليه بيعه و يمين ... فى حل

١- نفس المصدر / ٢٤٦.

٢- نفس المصدر / ٢٤٦ - ٢٤٧.

٣- نفس المصدر / ٢٤٧ - ٢٥٠.

وسعه من بيعتهم و ايمانهم، ليخلفوهما كما خلعا انفسهما ..

و يسألان امير المؤمنين ان يظهر ما فعلاه و ينشره .. و ان امير المؤمنين وقف على صدقهما فيما ذكرا و رفعها .. و رأى امير المؤمنين ان يجمع فى اجابتهما الى نشر ما فعلاه و اظهاره .. و أمر أمير المؤمنين بانشاء الكتب بذلك الى جميع العمال ليتقدموا فى العمل بحسب ما فيها، و يخلعوا ابا عبد الله و ابراهيم من ولايه العهد .. فاعلم ذلك و اكتب الى عمالك بنسخه كتاب أمير المؤمنين هذا اليك و اوعز اليهم فى العمل على حسبه».

و من الواضح ان عهد التنازل و كتاب الخليفه قد أعدا بصيغه شملت تنازلهما عن ولايه العهد و ما كان ترتب لهما من حقوق و امتيازات بموجبها. و قد صيغا بلغه متينه واضحه لا تخلو من تكرار و تأكيد النقاط المهمه، و تتضمن من المواثيق ما يؤمن الغايه منها. كما تضمن الكتاب تأكيدا على سلطه الخليفه المطلقه. و بتنازل ابني المتوكل على الله عن حقوقهما فى ولايه العهد حقق القواد الاتراك مكسبا جديدا فى السيطرة على شؤون الخلافه. و كما استطاعوا التخلص من المتوكل على الله استطاعوا ازاحه من لا يرغبون به من ابناؤه عن ولايه العهد. و بذلك ضمنوا سيطرتهم على تعيين الخليفه الذى سيعقب المنتصر بالله عند وفاته.

#### ٤- وفاه المنتصر بالله:

هناك عدّه روايات قيلت عن سبب وفاه الخليفه المنتصر بالله، يستنتج منها ان وفاته لم تكن طبيعيه. فقد قال بعضهم انه



اصابته الذبيحه فى حلقه (١). وقيل ان علتة كانت من ورم فى معدته ثم تصعد الى فؤاده فمات (٢). وقال آخرون انه وجد حراره فدعا ببعض من يتطبب له و امره بفصده، ففصده بمبضع مسموم فكانت فيه منيته (٣). و ذكر انه وجد عله فى رأسه فقطر طبيبه ابن الطيفورى دهنًا فى اذنه فورم رأسه، و عوجل فمات (٤). كما ذكر سبب آخر لموته هو ان المنتصر بالله ضربته الريح، فقد لعب كره الصولجان و انصرف من الميدان و هو عرق فدخل الحمام، و لما خرج منه نام فى البادهنج فضربه الهواء و ركبتة حمى عاليه. و لما عاتبه وزيره ابن الخصيب على ذلك، اجابه بالا- يخاف عليه من الموت، لأنه رأى فى منامه امس من اخبره بأنه سيعيش خمسًا و عشرين سنه، و ذلك يعنى انه سيبقى فى الخلافه هذه المده (٥). و يبدو انه فسر حلمه كما كان يحلو له و يتمناه. غير ان الطبرى يذكر هذا الحلم بشكل آخر خلاصته ان المنتصر بالله رأى فى منامه أنه صعد درجا حتى انتهى الى خمس و عشرين مرقاه منه، فقيل له: قف فهذا آخر عمرك (٦).

على ان روايه موته بالسم يؤكدها اكثر من ذكروا اسباب وفاته من المؤرخين (٧). و هم يعزون ذلك الى القواد الاتراك

- 
- ١- الطبرى ٩ / ٢٥١، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١، و تجارب الامم ٦ / ٥٦٠، و تاريخ الاسلام ١ / ١٠٩ و فيه انه مات بالخوانيق.
  - ٢- نفس المصادر.
  - ٣- نفس المصادر.
  - ٤- الطبرى ٩ / ٢٥٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٦١، و الكامل ٧ / ١١٤.
  - ٥- مروج الذهب ٤ / ١٣٣. و البادهنج هو المنفذ الذى يدخل منه الهواء الى الغرفه.
  - ٦- الطبرى ٩ / ٢٥٣.
  - ٧- الطبرى ٩ / ٢٥٢، و مروج الذهب ٤ / ١٣٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٦٠، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١، و الكامل ٧ / ١١٥.

الذين اخذوا يتوجسون منه. و يظهر ان المنتصر بالله اخذ يشعر بالندم و تأنيب الضمير لمساهمته فى مؤامره قتل ابيه. لا سيما و ان الأمر انتشر بين الناس عامتهم و خاصتهم بأنه قاتل ابيه، و ان مده حياته لا تطول اكثر من سته اشهر بعد ابيه، و هى المده التى عاشها شيرويه الفارسى قاتل ابيه. و هناك قصه تروى عن بساط كان مفروشا فى احد الأروقه فى القصر، و عليه صوره فرس عليه راكب و على رأسه تاج، و حول الصوره كتابه بالفارسيه، لفتت نظر المنتصر بالله، فترجمت له. فاذا هى صوره شيرويه قاتل ابيه ابرويز الملك و انه عاش بعده سته اشهر، فلما سمع ذلك تغير وجهه و قام من مجلسه(١). و يظهر من روايه المسعودى للخبر ان البساط المذكور كان تحت المتوكل على الله ليله اغتياله، و عليه آثار من الدماء(٢). و لعل ذلك كان مبعث تشاؤم المنتصر بالله و تغير وجهه.

لا شك فى ان الشعور بالذنب او الندم هو ضريبه الجريمه.

و كلما اعتقد المجرم بعظم جرمه و فداحه ما ارتكبه من اثم ازداد هذا الشعور، فيعيش صاحبه فى جو خائق من الخوف و القلق، مما يسبب له آلاما نفسيه مبرحه، و توترا عصيبا مستمرا. و قد كثرت نتيجه لوضع المنتصر بالله النفسى احلامه التى كانت انعكاسا لشعوره بالأثم و ندمه على فعلته. و كان لهذا الوضع النفسى السىء الذى صار اليه المنتصر بالله رد فعل شديد تمثل بحنقه الزائد على القواد الاتراك و بخاصه اولئك الذين قتلوا ابا.

١- تفصيل قصه البساط فى: مروج الذهب ٤ / ١٣٠-١٣١، و نشوار المحاضر ٥ / ١٨٣-١٨٤ و فيه ان صاحب الصوره هو شيرويه

بن كسرى هرمرز.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣١.

فلما شعر اولئك القواد بتغير شعور المنتصر بالله تجاههم اخذوا يتحينون الفرصه للتنكيل به و التخلص منه قبل ان يبدهم.

فجعلوا لخدام له ثلاثين الف دينار على ان يحتال فى سمه، و جعلوا لأبن طيفور الطيب الذى كان يشرف على شؤون الخليفه الصحيه، جملة من المال للغرض نفسه (١). فاتفق الطيب و الخادم على ان يدسوا له السم فى كمثراه ناضجه قدمت للمنتصر بالله، اذ كان يحب الكمثرى و يكثر من اكلها اذا قدمت له مع الفاكهه.

فلما اكلها وجد حراره فعالجه ابن طيفور بالحجامه و الفصد، و كانت الاتهما مسمومه فكان فى ذلك موته (٢). و يقال ان ابن طيفور القى المبضع المسموم بين مباحه الاخرى، ثم انه بعد مده وجد حراره فدعا تلميذا له ليفصده، فنظر فى المباح فلم يجد أحد من ذلك المبضع و لا اجود، ففصده به فمات (٣).

و يرجح ان فى هذا الخبر مبالغه لأن المبضع المسموم قد نفذ سمه باستخدامه فى المره الاولى، و قد يكون هذا القسم من روايه سم المنتصر بالله بالفصد، قد اضيف بغرض التأكيد على ان المبضع الذى استخدم فى فصده كان مسموما.

ان تعدد الاسباب التى ذكرت لموت المنتصر بالله، يبدو و كأنها اشيعت للتغطيه على سبب موته الحقيقى. و هو ان الطيب المتوطىء مع القواد الأتراك قد سمه بالسم المعروف آنذاك و هو الزرنيخ. و كان قد استغل اصابته بالبرد الشديد- و ربما كان

١- الطبرى ٢٥٢/٩-٢٥٣، و فوات الوفيات ٣٧٢/٢، و تاريخ الاسلام ١٠٩/١. و فى المصدرين الاخيرين ان الاتراك جعلوا للطيب ثلاثين الف دينار.

٢- الطبرى ٢٥٣/٩، و الكامل ١١٤/٧، و شذرات الذهب ١١٩/٢.

٣- الطبرى ٢٥٣/٩، و تجارب الامم ٥٦٠-٥٦١، و الكامل ١١٤/٧.

قد اصيب بذات الرئه - و بقاءه فى الفراش قرابه عشره ايام، فاخذ يعطيه جرعات منه يوميا مع الدواء الذى كان يسقيه اياه.

و لما قارب جسم المنتصر بالله ان يستوفى من كميه الزرنيخ ما يكفى لقتله اظهر الطيب ان ما وضعه من السم فى الكمثرى سيؤدى الى موته.

اما تاريخ وفاته فتكاد تتفق المصادر على انه توفى يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر سنه ٢٤٨ هـ (١). و كانت وفاته بالقصر المحدث بسامرا (٢). و يقال انه لما حضرته الوفاه قال: (٣).

فما فرحت نفسى بدنيا أخذتهاو لكن الى الرب الكريم أصير

و جاء ذلك فى فوات الوفيات كما يأتى: (٤).

فما متعت نفسى بدنيا احبتهاو لكن الى الرب الكريم اصير

و ما كان ما قدمته رأى فلتهو لكن بفتياها اشار مشير

و هو يشير بهذا الى ندمه و طلبه المغفره، و الى الفتوى التى حصل عليها من بعض الفقهاء عند ما استفتاهم فى قتل ابيه من غير

١- الطبرى ٩ / ٢٥١، و مروج الذهب ٤ / ١٤٤، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢١، و الكامل ٧ / ١١٤ و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٣ و فيه انه توفى يوم السبت لاربع خلون من ربيع الآخر.

٢- الطبرى ٩ / ٢٥٤.

٣- نفس المصدر / ٢٥١.

٤- فوات الوفيات ٢ / ٣٧٣.

ان يسميه، و حكى عنه امورا قبيحه(١). لم تفصح عنها المصادر التى اطلعنا عليها.

و قد اختلف المؤرخون فى مقدار عمر المنتصر بالله عند وفاته. فان كلا من الطبرى و يعقوبى و الخطيب البغدادى و مسكويه و المسعودى و ابن الأثير يرون انه توفى و عمره خمس و عشرون سنه و سته اشهر(٢). الا ان الطبرى و الخطيب البغدادى يستدركان و يقولان: بل كان عمره اربعا و عشرين سنه(٣). كما ان المسعودى يذكر فى كتابه التنبيه و الاشراف انه توفى و عمره ثمان و عشرون سنه(٤). و يقول ابن عبد ربه ان عمره كان ستا و عشرون سنه الا ثلاثه اشهر(٥). اما الذهبى فيرى انه توفى و عمره ست و عشرون سنه(٦).

و يعود سبب الاختلاف فى مقدار عمر المنتصر بالله الى عدم التثبت من تاريخ ميلاده. فان الخطيب يقول ان مولده كان فى ربيع الآخر من سنه ٢٢٢ هـ(٧). بينما يرى ابن عبد ربه انه ولد فى ربيع الاول من السنه المذكوره(٨). اما صاحب خلاصه الذهب المسبوك فيقول انه ولد فى سنه ٢٢٤ هـ(٩).

- 
- ١- الطبرى ٢٥٢ / ٩، و تجارب الامم ٥٦١ / ٦.
  - ٢- الطبرى ٢٥٣ / ٩، و تاريخ يعقوبى ٤٩٣ / ٢، و تاريخ بغداد ١١٩ / ٢، و تجارب الامم ٥٦١ / ٦، و مروج الذهب ١٢٩ / ٤، و الكامل ١١٥ / ٧.
  - ٣- الطبرى ٢٥٣ / ٩، و تاريخ بغداد ١٢٠ / ٢.
  - ٤- التنبيه و الاشراف / ٣١٤.
  - ٥- العقد الفريد ١٢٣ / ٥.
  - ٦- العبر ٤٥٣ / ١.
  - ٧- تاريخ بغداد ١١٩ / ٢.
  - ٨- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٧.
  - ٩- العقد الفريد ١٢٣ / ٥.

و رزق المنتصر بالله من الولد عليا و عبد الوهاب و عبد الله و احمد(١). و كانت مده خلافته سته اشهر(٢). و قد صلى عليه عند دفنه احمد بن محمد بن المعتصم بالله الذى تولى الخلافة بعده و لقب بالمستعين بالله. و دفن بسامرا بقبر ظاهر مشهود كما سبق ان اشرنا(٣) و كانت ولادته بسامرا كذلك(٤).

### ٥- المنتصر بالله و الاحلام:

مما يلفت النظر فى مده خلافة المنتصر بالله كثره الاحلام التى رآها هو بنفسه و رواها لحاشيته و المقربين اليه، و التى رآها اشخاص آخرون، و بعضهم مما كانت له علاقته بهم. و كلها تدور حول عمره و مده خلافته. اذ بالاضافه الى الحلم الذى سبق ان ذكرناه، فان المنتصر بالله انتبه ذات يوم من نومه و هو يبكى و ينتحب. فسأله نديمه و صاحبه عبد الله بن البازيار عما يبكيه، فقال: رأيت فى نومي كأن المتوكل على الله قد جاءنى و قال لى و يلك يا محمد قتلتنى و ظلمتنى و غبتننى فى خلافتى، و الله لا تمتعت بها الا اياما يسيره، ثم مصيرك الى النار. فانتبهت مذعورا لا املك عيني و لا جزعى. فقال له ابن البازيار مخففا عنه: هذه رؤيا و هى تصدق و تكذب، بل يعمرك الله و يسرك، ادع بالنبيذ و خذ فى اللهو و لا تعبا بها(٥).

١- العقد الفريد ٥ / ١٢٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٥٣-٢٥٤، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٣، و مروج الذهب ٤ / ١٢٩ و تجارب الامم ٦ / ٥٦١.

٣- الطبرى ٩ / ٢٥٤، و مروج الذهب ٤ / ١٣٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٦١، و الكامل ٧ / ١١.

٤- الطبرى ٩ / ٢٥٣، و الكامل ٧ / ١١٥، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٧.

٥- الطبرى ٩ / ٢٥٢، و الكامل ٧ / ١١٥.

و ذكر عن احمد بن صالح صاحب المصلى انه قال: كان لابي مؤذن فرآه بعض اهلنا فى المنام كأنه أذن أذانا لبعض الصلوات، ثم دنا من بيت فيه المنتصر بالله فنادى يا محمد ان ربك بالمرصاد(١). وقال عبد الملك بن سليمان بن ابى جعفر: رأيت فى منامى المتوكل على الله و الفتح بن خاقان و قد احاطت بهما نار، و قد جاء المنتصر بالله فاستأذن عليهما، فممنع من الوصول اليهما، ثم اقبل المتوكل على الله على فقال لى يا عبد الملك قل لمحمد بالكأس الذى سقيتنا تشرب، فلما اصبحت غدوت على المنتصر بالله فوجوته محموما، فواظبت على عيادته فمات من ذلك المرض، و سمعته يقول فى مرضه عجلنا فعوجلنا(٢).

و كان وزير المنتصر احمد بن الخصيب غضب على احد عماله و قرر ان يصادره، فعلم ابن ذلك العامل ما ازمع عليه الوزير، فاراد ان يخبر اياه بذلك ليتخذ الحيطة. فزاره بعض كتاب الديوان و جلس عنده. يقول ابن العامل: و شغلت عن جليسى فاتكأ على الوساده و غفا، ثم انتبه مرعوبا و قال انه رأى رؤيا عجيبة، فقد رأى الوزير ابن الخصيب واقفا يقول: يموت الخليفه المنتصر بالله الى ثلاثه ايام. فقلت له: ان الخليفه فى الميدان يلعب بالصولجان و هذه الرؤيا ضرب من الأوهام. فما استتما كلامهما حتى دخل عليهما داخل يقول: ان الخليفه انصرف من الميدان و هو عرق فدخل الحمام و نام فى البادهنج فضربه الهواء، و ركبته حمى هائله(٣).

---

١- الطبرى ٩ / ٢٥٥.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣٤.

٣- نفس المصدر / ١٣٣.

و يقال ان احد الكتاب رأى فى المنام فى الليله التى استخلف فيها المنتصر بالله كأن قائلاً يقول(١):

هذا الامام المنتصر و الملك الحادى عشر

فأمره اذا أمر كالسيف ما لاقى بتر

و طرفه اذا نظر كالدهر فى خير و شر

لا- غرابه فى حدوث الأحلام التى أشرنا اليها اذا ما نظرنا اليها على ضوء علم النفس الحديث. فأن الأفكار و الذكريات المؤلمه التى لا- يقوى الانسان على تحملها، اما لتألمه منها او لنفرته عنها، تتجمع بتأثير قوه نفسيه خفيه فى غياهب لا شعوره، و ذلك ما يدعى بالكبت. و ان بعض الرغبات و الأمنى التى يعلل الفرد بها نفسه و يتمناها فى يقظته، ثم يكتبها لسبب ما، فان الأحلام تتولى غالبا تحقيقها بالتعبير عنها بشكل صريح مكشوف، او بصوره رمزيه مقنعه تحتاج الى التفسير و التأويل. و هناك نوع من الاحلام ينبىء عن حوادث مقبله. و تقوم مثل هذه الاحلام على توقع الشخص لا شعوريا بحدوث امر معين، فيظهر له فى الحلم ما توقعه.

اما مجتمع سامرا الذى هزته حادثه اشتراك المنتصر بالله فى مؤامره اغتيال ابيه، و توليه الخلافه بعده، ثم شيوع قصه البساط و صوره الملك قاتل ابيه و موته بعده بسته اشهر، فقد شغلته هذه الأفكار. يقول الطبرى «و لم ازل اسمع الناس حين



افضت اليه الخلافه من لدن ولى الى ان مات يقولون: انما مده حياته سته اشهر، مده شيرويه: بن كسرى قاتل ابيه، مستفيضا ذلك على السن العامه و الخاصه»(١). بحيث كان الناس يلهجون بذلك فى مجالسهم و هم يتوقعون او يتمنون للمنتصر بالله ما اصاب شيرويه من قصر عمره و عدم تمتعه بالملك بعد ابيه، فكانوا يتربون موته قريبا.

و بالنظر لفداحه الجرم الذى ارتكبه المنتصر بالله بحق ابيه، فان الناس كانوا يعتقدون ان الله تعالى له بالمرصاد، و ان مصيره سيكون الى النار. فكانت الاحلام التى رآها بعضهم هى انعكاسات لهذه الخواطر و الافكار و التمنيات التى يحاولون جهدهم ان يكتبوها خوفا من السلطه.

## الفصل السادس المستعين بالله ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم بالله

### ١- مبايعته:

بعد ان ارغم المنتصر بالله اخويه على التنازل عن ولايه العهد حاول القواد الاتراك ان يقنعوه بان يعهد الى ابنه عبد الوهاب. الا انه لم تتح له الفرصه ليعهد الى احد من بعده اذ ادركته المنيه بعد فتره وجيزه من تنازل اخويه (١). و عند وفاه المنتصر بالله اجتمع كبار القواد الاتراك: بغا الكبير و بغا الصغير و اوتامش و عدد من رجال الدوله و على رأسهم احمد بن الخصيب وزير الخليفه المتوفى، فى القصر الهارونى لاختيار خليفه. فاستحلف القواد الحاضرون من الاتراك و المغاربه على ان يرضوا بمن يرضى به بغا الكبير و بغا

---

١- تنازل المعتز و المؤيد لسبع بقين من صفر سنه ٢٤٨، و مات المنتصر لاربع خلون من ربيع الآخر- اى بعد اربعين يوما. الطبرى ٢٤٦ /٩ و ٢٥١ على التوالي.

الصغير و اوتامش(١). و كان ذلك بتدبير من الوزير لتأمين استمرار السلطه بيد قتله المتوكل على الله. و قد حرص هؤلاء على ان لا يتولى الخلايفه احد ابنائه. فاشار احمد بن الخصيبي على القواد الثلاثه بان يبايعوا ابا العباس احمد بن محمد بن المعتصم بالله(٢). فلما حضر ليبايعوه، قال: استعين بالله، فلقب بعد مبايعته بالمستعين بالله(٣). و قد برروا اختياره بانهم حرصوا على ان لا تخرج الخلايفه من ولد مولا هم المعتصم بالله(٤). و كانت تلك هي البيعه الخاصه للمستعين بالله.

و لما حضر المستعين بالله صباح اليوم التالي دار العامه، و قد لبس زي الخلايفه لمبايعته البيعه العامه، حضر القواد و كثير من بنى العباس و الطالبين و غيرهم. و يظهر ان اختيار ابي العباس لقي معارضه من بعض القواد فحرضوا عددا من الجنود و الفرسان فجاءوا الى الدار لبيدوا معارضتهم و تبعهم كثير من العامه، فشهروا السلاح و نادوا بمبايعه المعتز بالله، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه الذين بايعوا المستعين بالله، و تمكنوا بواسطه بغا الصغير و جماعته من الأتراك من القضاء على هذه الحركه التي استمرت ثلاثه ايام و وقع فيها قتلى من الطرفين. و كان المواليون للمستعين بالله قد اخذوا له البيعه ممن حضروا الدار في ذلك اليوم(٥). و يقول

---

١- الطبرى ٩ / ٢٥٦.

٢- الطبرى ٩ / ٢٥٦، و تاريخ اليعقوبى ٨ / ٤٩٤ و النبراس / ٨٦ و جاء فيه ان احمد هو ابن محمد المعتصم بالله، و هو و اهم فى ذلك.

٣- تاريخ بغداد ٥ / ٨٤، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٨.

٤- الطبرى ٩ / ٢٥٦.

٥- نفس المصدر / ٢٥٧.

اليقوبى «و فرق المستعين فى الناس اموالا كثيره، و استقامت اموره»(١).

## ٢- صفاته و سيرته:

ولد المستعين بالله يوم الثلاثاء السابع من رجب سنه ٢٢١هـ (٢)، و امه جاريه صقلييه اسمها مخارق (٣). و كان المستعين بالله اطلق يدها و لم يمنعها من شىء تريده، فكانت شديد الاسراف، تحتجز أكثر الاموال التى تحمل الى بيت المال، و قد وجد فى خزائنها عند ما خلع الاتراك ابنها ما قيمته الف الف دينار (٤).

و عاشت بعد قتل ابنها مده.

اما صفات المستعين بالله الجسميه فقد كان ربهه خفيف العارضين، حسن الوجه، و بوجهه أثر جدري، يلثغ فى السين نحو التاء (٥).

و يضيف المسعودى انه كان مسمنا اسود اللحيه (٦). اما عن سلوكه و سياسته فقد تفاوتت فيهما اراء المؤرخين، اذ وصفه المسعودى بانه كان شديد الخوف على نفسه فاداه خوفه و قله أمنه الى الهرب من دار ملكه فاديرت الأمور عنه (٧). الا انه قال عنه فى مكان آخر انه كان حسن المعرفه بأيام الناس و اخبارهم لهجا باخبار الماضين (٨).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٤.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٨، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٨.

٣- مروج الذهب ٤ / ١٤٤، و تاريخ بغداد ٥ / ٨٤.

٤- الذخائر و التحف / ٢٣٨.

٥- تاريخ بغداد ٥ / ٨٥، و شذرات الذهب ٢ / ١٢٦، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٨، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٨.

٦- التنبيه و الاشراف / ٣١٥.

٧- نفس المصدر.

٨- مروج الذهب ٤ / ١٥٦.

و بينما يصفه ابن الطقطقى بانه كان مستضعفا فى رأيه و عقله و تدبيره، و كانت ايامه كثيره الفتن، و دولته شديده الاضطراب، و لم يكن فيه من الخصال المحموده سوى انه كان كريما و هويا(١)، يقول عنه الاربلى انه كان سديد الرأى حسن التدبير(٢). و يقول السيوطى انه كان خيرا فاضلا، ادبيا بليغا، و هو اول من احدث لبس الاكمام الواسعه فجعل عرضها نحو ثلاثه أشبار، و صغر القلانس و كانت قبله طوالا(٣). و يقول عنه الذهبى انه كان مسرفا فى تبدير الخزائن و الذخائر(٤). و جاء عنه فى فوات الوفيات انه كان خاملا يرتزق بالنسخ، فلما جاءته الخلافه من حيث لا يحتسب قال:

جاء لطف الله بالأمر الذى لا ارتجيه فعلى ان اقضى حق الله فيه

و يروى اعداء البيت الثانى: ان اقضى حق الشرب فيه(٥).

يمكن ان يستنتج مما قاله المؤرخون بشأنه انه كان ضعيفا خائر العزم، مستسلما سهل القيادة. فقد استوزر اول امره احمد بن الخصيب، الا ان انقياده للقواد الاتراك اضطره الى ان يستوزر القائد التركى اوتامش، و هو ابن اخت بغا الكبير. و كان المتولى لامور اوتامش كاتبه شجاع بن القاسم الذى يقول عنه الحصرى «انه امى لا يقرأ و لا يكتب و لا يفهم، و انما علم علامات يكتبها فى

١- الفخرى.

٢- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٩.

٣- تاريخ الخلفاء / ٣٥٩.

٤- شذرات الذهب / ٢ / ١٢٦.

٥- فوات الوفيات / ١ / ١٢٦.

التوقيع»(١). و يظهر ان اوتامش كان جشعا لا- يهمله من الوزاره غير احتواء الاموال «فعمد الى ما فى بيوت الاموال من الاموال فأكتسحها»(٢).

و كان من اول اعمال المستعين بالله بعد ان تمت له الخلافه انه ابتاع فى جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ من المعتز و المؤيد جميع ما كان لهما من الدور و القصور و الضياع و الفرش و الامتعه و غير ذلك بعشرين الف دينار، و اشهد عليهما بذلك القضاء و الشهود العدول، و يقال ان قيمه ما ابتاعه من المعتز عشره الاف الف دينار، و من ابراهيم المؤيد ثلاثه الاف الف دينار(٣). و كأنه بهذا قد صادرهما بطريقه مشروعته بشرائها بذلك الثمن البخس. ثم حبسهما فى الجوسق و وكل بهما.

و عقد المستعين بالله فى سنة ٢٤٩ هـ لأبنة العباس على مکه و المدينه المنوره و البصره و الكوفه، و عزم على ان يعهد اليه بولايه العهد، و لكنه اخر ذلك لصغر سنه. فقال الشاعر ابو على البصير قصيده يستعجله البيعه بولايه العهد لابنه رغم صغر سنه يقول فيها(٤):

بك الله احاط الدين و انتاش اهله من الموقف الدحض الذى مثله يردى

فول ابنك العباس عهدك انه له موضع، و اكتب الى الناس بالعهد

١- جمع الجواهر / ١٧٢-١٧٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٤٣.

٣- نفس المصدر / ٢٥٩.

٤- مروح الذهب ٤ / ١٥٤.

فان خلفته السن فالعقل بالغ به رتبه الشيخ الموفق للرشد

و قد كان يحيى اوتى العلم قبله صبيا، و عيسى كلم الناس فى المههد

و عند ما اشتد الخلاف بين المستعين بالله و بعض قواد الاتراك، و انقسم القواد المذكورون على انفسهم انحاز الخليفه الى وصيف و بغا و انحدر معهما الى مدينه السلام و ليس له معهما امر و لا نهى(١). و فى مدينه السلام اسلم امره الى اميرها محمد بن عبد الله الذى وقف الى جانبه فى محاربه جيش سامرا، و لكنه ما لبث ان تخلى عنه و فرض عليه ان يخلع نفسه من الخلافه(٢). و قد شرحنا ذلك فى الفصل الخاص بالحرب بين سامرا و بغداد.

### ٣- قتله:

لقد اتينا على تفصيلات الخلاف الذى نسب بين المستعين بالله و بعض القواد الاتراك مما اضطره الى الانحذار الى بغداد، ثم مبايعه القواد فى سامرا للمعتز بالله، مما ترتب عليه وجود خليفتين فى آن واحد، و قيام الحرب بينهما، و انتهائها بخلع المستعين بالله نفسه من الخلافه و مبايعته للمعتز بالله، و ذلك فى الفصل الخاص بالنزاع بين خلفاء سامرا و الاتراك.

١- نفس المصدر / ١٤٥.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٤.

كان المستعين بالله نقل اثر تنازله عن الخلافة الى قصر الحسن بن سهل بالمحرم<sup>(١)</sup>، مع عياله و ولده و جواريه. و وكل بهم سعيد بن رجاء الحضارى فى اصحابه. و منع من الخروج الى مكة حسبا كان قد اشترط عند ما خلع نفسه. فاختر ان ينزل البصره فلم يسمح له كذلك. فأحدر الى واسط فاقام هناك بضعه اشهر محبوبا و قد وكل به القائد التركى احمد بن طولون. الا ان القواد الاتراك الذين كانوا بايعوا المعتز بالله خافوا ان يستميل المستعين بالله بعض القواد و الجند فيكيد لهم و للمعتز بالله، و قد افصحوا عن مخاوفهم لام المعتز بالله فاضطربت خوفا على ابنها، فاتفقت معهم على وجوب التخلص من الخليفة المخلوع. و لما تقرر قتله كتب المعتز بالله الى محمد بن عبد الله يأمره بتسليم المستعين الى سيما الخادم، فكتب محمد الى الموكلين به بواسطة بتسليمه الى سيما. فاخرجه احمد بن طولون الى القاطول و سلمه الى سعيد بن صالح، المعروف بسعيد الحاجب، الذى كلف بقتله، و احتز رأسه. و هناك عدده روايات عن الطرق التى اتبعت فى قتله. اذ يقال انه ادخله منزله و عذبه حتى مات<sup>(٢)</sup>. و يقال ان سعيد ركب مع المستعين بالله فى زورق و معه عدده حتى حاذى به فم دجيل فشد فى رجله حجرا و القاه فى الماء ٢٨. و ذكر ان سعيدا كلف به رجلا- من الاتراك يقتله، فسأله المستعين بالله ان يمهل حتى يصلى ركعتين، و كانت عليه جبه، فسأل سعيد التركى الموكل بقتله ان يأخذها منه قبل قتله،

١- الطبرى ٩ / ٣٤٠، و مروج الذهب ٤ / ١٦٣-١٦٤ و فيه انه احدر الى دار الحسن بن وهب ببغداد.

٢- الطبرى ٩ / ٣٦٣، و تاريخ بغداد ٥ / ٨٥، و الكامل ٧ / ١٧٣، و شذرات الذهب ٢ / ١٢٥.



ففعّل ذلك، فلما سجد في الركعة الثانية قتله و أخذ رأسه (١).

و ذكر الطبري الى جانب الروايات المذكوره روايات اخرى (٢).

و انفرد صاحب خلاصه الذهب المسبوك بالقول بان الذي قتله هو بعا و حمل رأسه الى الخليفه المعتز بالله (٣).

و جىء بالرأس الى المعتز بالله، و كان يلعب الشطرنج مع بعض اصحابه، فقبل له: هذا رأس المخلوع، فقال ضعوه هناك. و بعد ان فرغ من لعبه دعا به فنظر اليه ثم امر بدفنه. و امر لقاتله سعيد الحاجب بخمسين الف درهم و ولاه معونه البصره (٤). و هناك روايه اخرى عن عرض رأس المستعين بالله على المعتز بالله في مجلس غنائته (٥).

كان المستعين بالله قد قتل في الثالث من شوال سنة ٢٥٢ هـ (٦). و قد اختلف في عمره، فيقول المسعودي انه خمس و ثلاثون سنة، و يقول الخطيب البغدادي انه اربع و عشرون سنة (٧). و يلاحظ التفاوت الكبير بينهما. اما السيوطي فيذكر ان عمره كان احدى و ثلاثين سنة، و يقول الابلي انه مات عن ثلاثين سنة (٨). الا- انه لما كان الطبري و ابن الأثير و السيوطي يتفقون على انه كان في الثامنة

١- الطبري ٣٦٤ / ٩، و شذرات الذهب ١٢٥ / ٢.

٢- الطبري ٣٦٣ - ٣٦٤ / ٩.

٣- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٩.

٤- الطبري ٣٦٤ / ٩، و الكامل ١٧٣ / ٧.

٥- الديارات / ١٧٠.

٦- الطبري ٣٦٣ / ٩، و مروج الذهب ١٤٤ / ٤.

٧- مروج الذهب ١٤٤ / ٤، و تاريخ بغداد ٨٥ / ٥.

٨- تاريخ الخلفاء / ٣٥٩، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٩.

و العشرين عند ما بويع بالخلافه(١)، و ان مده خلافته ثلاث سنوات و تسعه اشهر فان عمره يكون في حدود احدى و ثلاثين سنه. و هذا يتفق مع سنه مولده في ٢٢١ هـ التي سبقت الاشاره اليها. و كانت المده بين خلعه و قتله تسعه اشهر كان معتقلا فيها(٢).

---

١- الطبرى ٢٥٦ /٩، و الكامل ١١٧ /٧، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٨.

٢- شذرات الذهب /٢ /١٢٥.



## الفصل السابع المعتر بالله ابو عبد الله المعتر بالله بن جعفر المتوكل على الله

### ١- مبايعته:

عند ما عاد القواد الاتراك الذين ذهبوا الى بغداد لمقابله المستعين بالله و اقناعه بالعودة الى سامرا، و قد يسوا من عودته، حرضوا اصحابهم على خلعته من الخلافه، و اجمعوا على مبايعه المعتر بن المتوكل على الله بدلا عنه. و كان المستعين بالله عند ما انحدر الى بغداد قد حبس المعتر و اخاه المؤيد فى الجوسق و اوكل بهما رجلا من الاتراك مع عدد من الاعوان(١). فاخرجوهما و بايعوا المعتر بالله و عينوا المؤيد وليا للعهد من بعده، و قد اختلفت المصادر فى تاريخ مبايعته، الا انها لا تتعدى عن النصف الأول من المحرم سنه ٢٥١هـ (٢). فأمر المعتر بالله للجند برزق عشره اشهر،

١- الطبرى ٩ / ٢٨٤.

٢- مروج الذهب ٤ / ٢٥١، الاربعاء لاحدى عشره ليله خلت من المحرم، و تاريخ بغداد ٢ / ١٢٢: الاربعاء لثلاث عشره خلت من المحرم، و النبراس / ٨٨: يوم السبت لست خلون من المحرم.

فلم يتوفر المال الكافي لذلك، فاعطوا ارزاق شهرين فقط. و من الجدير بالذكر ان المستعين بالله كان خلف في بيت المال بسامرا نحو من خمسمائه الف دينار، و كان في بيت مال امه ما قيمته الف الف دينار، و في بيت مال ابنه العباس ما قيمته ستمائه الف دينار(١).

و قد اخذت البيعه للمعتز بالله كتابه، و فيما يلي خلاصتها(٢): «بسم الله الرحمن الرحيم، تباعون عبد الله الامام المعتز بالله امير المؤمنين بيعه طوع و اعتقاد .. لا مكرهين و لا مجبرين بل مقرين عالمين بما في هذه البيعه و تأكيدها من تقوى الله و ايثار طاعته .. على ان ابا عبد الله المعتز بالله عبد الله و خليفته المفترض عليكم طاعته و نصحيته ..

في السر و العلانيه .. متمسكين ببيعته بوفاء العقد و ذمه العهد ..

و بولايه عهد المسلمين لابراهيم المؤيد بالله اخى امير المؤمنين، و على الا تسعوا في نقض شىء مما اكد عليكم .. و على الا تبدلوا و لا- تغيروا، و لا- يرجع منكم راجع عن بيعته .. فمن نكث منكم مما بايع امير المؤمنين و ولى عهد المسلمين .. فكل ما يملكك من مال و عقار او سائمه او زرع او ضرع صدقه على المساكين .. و كل مملوك يملكه اليوم و الى ثلاثين سنه ذكر و انثى، احرار لوجه الله، و نساؤه يوم يلزمه فيه الحنث و من يتزوج بعدهن الى ثلاثين سنه طوالق طلاق الحرج، لا يقبل الله منه الا الوفاء بها .. و الله عليكم بذلك شهيد».

١- الطبرى ٩/ ٢٨٤، و الكامل ٧/ ١٤٣.

٢- نص كتاب البيعه فى الطبرى ٩/ ٢٨٤ - ٢٨٦.

و مما يدعو الى الاستغراب ان القواد الاتراك الذين تأمروا على المتوكل على الله اختاروا المعتر بالله للخلافه و عينوا اخاه المؤيد لولايه العهد، بعد ان كانوا استبعدوا اولاد المتوكل على الله عند ما اختاروا المستعين بالله بعد وفاه المنتصر بالله. و قد يكون سبب ذلك انهم شعروا بانهم اقوى من الخليفه الذى اختاروه و بوسعهم التخلص منه متى ما ارادوا ذلك.

و ركب المعتر بالله من غد ذلك اليوم الى دار العامه فاخذت له البيعه العامه على الناس، و خلع على اخيه المؤيد، و عقد له عقدين اسود و ابيض، فكان الأسود لولايه العهد بعده، و الأبيض لولايه الحرمين. و بعث الكتب بذلك الى سائر الأمصار(١). و عند ما خلع المستعين بالله نفسه من الخلافه لثلاث خلون من المحرم سنه ٢٥٢ هـ و بايع للمعتر بالله(٢)، استقرت الخلافه للأخير فى جميع ارجاء الدوله العربيه.

## ٢- صفاته و سيرته:

تقاربت المصادر التاريخيه التى وصفت المعتر بالله فى انه كان جميل الوجه لم ير فى الخلفاء مثله جمالا، ابيض مشربا بحمره، اسود الشعر كثيفه، ادعج العينين، و كان حسن الجسم طويل القامه(٣). و يقول عنه المسعودى انه كان يؤثر المملذات و يعدم

١- مروج الذهب ١٦٢ /٤ - ١٦٣.

٢- الطبرى ٣٤٥ /٩، و مروج الذهب ١٦٣ /٤.

٣- الطبرى ٣٩٠ /٩، و التنبيه و الاشراف /٣١٦، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠.

الرأى و تدبره امه قبيحه، و قد غلب على امره، و قهر سلطانه، و كانت الكتب تخرج باسم صالح من وصيف كأنه مرسوم بالوزاره لقلبته على الأمور(١). و يرى ابن الطقطقى ان المعتر بالله لم يكن بسيرته و عقله بأس، الا ان الاتراك كانوا قد استولوا، منذ قتل المتوكل على الله، على المملكه، و استضعفوا الخلفاء، فكان الخليفه فى يدهم كالاسير ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه و ان شاءوا قتلوه(٢). الا ان ابن دحيه يقول عنه انه كان فيه ادب و كفايه و لكن ذلك لم ينفعه لأديار امره و لقرب قرناء السوء منه(٣).

و وصف المعتر بالله بانه كان سمح الأخلاق، واسع الصدر، له ادب و فهم، و كان يقول شعرا صالحا، و هو اول خليفه احدث الركوب بعليه الذهب، و كان الخلفاء قبله يركبون بالحليه الخفيفه من الفضة(٤). و قد جعل نقش خاتمه «المعتر بالله» كما يقول المسعودى، و «محمد رسول الله» كما جاء فى خلاصه الذهب المسبوك(٥). و يظهر مما يذكره الخطيب البغدادي انه كان له ختمان، احدهما كما ذكر المسعودى و الآخر كما جاء فى خلاصه الذهب المسبوك(٦).

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٦-٣١٧.

٢- الفخرى / ٢٢٠.

٣- النبراس / ٨٨.

٤- مروج الذهب / ٤ / ١٨٠، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٩.

٥- التنبيه و الاشراف / ٣١٧، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠.

٦- تاريخ بغداد / ٢ / ١٢٤.

ولد المعتز بالله في يوم الخميس السادس عشر من ربيع الاول سنة ٢٣٢ هـ (١). و كان مولده بسامرا (٢). و امه قبيحه و هي ام ولد روميه (٣)، و كانت الزوجه المفضله عند المتوكل على الله. و قد اختلف في اسمه، فقد ورد في المعارف و في مروج الذهب «الزبير» و جاء في الكامل و النبراس «الزبير و يقال طلحه» (٤).

### ٣- خلع المؤيد من ولايه العهد:

نص عهد بيعه المعتز بالله على ان تكون ولايه العهد من بعده لأخيه ابراهيم المؤيد. و كان ذلك احياء للعهد الذي وضعه المتوكل على الله. و كانت العلاقه بين الاخوين وديه، و استمرت كذلك حتى بلغ المعتز بالله ان عامل ارمينيه العلاء بن احمد بعث الى المؤيد بخمسه الاف دينار، فحاذر من اتصال اخيه ببعض القواد و العمال، و العمل ضده. فبعث الى اخويه المؤيد و ابي احمد طلحه- و هما شقيقان لأم و اب- فحبسهما في الجوسق، و قيد المؤيد و وضعه في حجره ضيقه (٥). ثم علم ان جماعه من القواد الاتراك يريدون اخراجه من السجن، و رغم عدم تحققه من ذلك، فقد امر بضربه.

١- تاريخ بغداد ٢/ ١٢٢، و تاريخ الخلفاء / ٣٥٩، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠ و فيه انه ولد في سنة ٢٣٣ هـ.

٢- الطبرى ٩/ ٣٩٠، و تاريخ بغداد ٢/ ١٢١.

٣- مروج الذهب ٤/ ١٦٦.

٤- المعارف / ٣٩٤، و مروج الذهب ٤/ ١٦٦، و الكامل ٧/ ٤٩، و النبراس / ٨٨.

٥- الطبرى ٩/ ٣٦١.



و اخذت منه رقعه بخطه يخلع نفسه من ولايه العهد(١). ثم ما لبث المؤيد ان مات فى الحبس.

خشى المعتز بالله ان يتهم بقتل اخيه، فدعا بلقضاء و الفقهاء و الشهود فأخرج اليهم ابراهيم المؤيد ميتا لا أثر به و لا جرح، و حملة الى امه اسحاق على حمار و حمل معه كفن و حنوط، و امر بدفنه.

و يقال سبب موته انه ادرج فى لحاف مسموم و شد طرفاه حتى مات فيه(٢). كما يقال انه اقعد فى حجر من ثلج و نضدت عليه حجره الثلج فماد بردا(٣). و يظهر ان موت المؤيد لم يكن طبيعيا، و قد مات باحدى وسائل التعذيب المعروفه آنذاك بعد ان قرر المعتز بالله التخلص منه.

و قال الشاعر مروان بن ابى الجنوب قصيده فى مدح المعتز و امر المؤيد، جاء فيها(٤):

انت الذى يمسك الدنيا اذا اضطربت يا ممسك الدين و الدنيا اذا اضطربا

ما كنت اول رأس خانه ذنب و الرأس كنت و كان الناكث الذنبا

لو كان تم له ما كان دبره لأصبح الملك و الاسلام قد ذهب

١- الطبرى ٩ / ٣٦٢، و مروج الذهب ٤ / ١٧٦.

٢- الطبرى ٩ / ٣٦٢، و مروج الذهب ٤ / ١٧٦.

٣- الطبرى ٩ / ٣٦٢.

٤- الطبرى ٩ / ٣٦٤ - ٣٦٥.

اراد يهلك دنيانا و يعطبهاو قد اراد هلاك الدين و العطا

لما اراد و ثوبا من سفاهته امسى عليه امام العدل قد وثبا

لقد رماك بسهم لم يصبك به و من رماك عليه سهمه انقلبا

لقد رعيت له ما كان من سبب فما رعى لك احسانا و لا سببا

و كنت اكثر برا من ابيه به و لم تكن بأخ فى البر، كنت أبا

و كان قرب سرير الملك مجلسه فقد تباعد منه بعد ما اقتربا

و ذل بعد تماديه و نخوته كالحوت اصبح عنه الماء قد نضبا

و قد فسخت عن الأعناق بيعته فلا خطيب له يدعوا اذا اختطبا

أمست قطيعه ابراهيم قد قطعت جبل الصفاء و جبل الود فانقضبا

و يستنتج مما جاء فى هذه الآيات ان المؤيد حاول الوثوب باخيه المعتر بالله، رغم انه كان برا به، و قد احسن اليه و قربه حتى

صار موضع احترام الجميع. الا انه تجاهل ذلك و تنكر له، و اخذ

يعمل ضد اخيه. هذا اذا لم يكن الشاعر قد حابى الخليفة و قال ما يرضيه.

#### ٤- خلع المعتز بالله و قتله:

لم يلبث القواد الاتراك ان اختلفوا مع المعتز بالله، لا سيما عند ما عجز عن تدبير الاموال لهم و لارزاق جندهم، فقرروا خلعه و التخلص منه. و قد ذكرنا هذا بشىء من التفصيل فى البحث الخاص بالخلفاء و القواد الاتراك. فقبضوا عليه و اجبروه على ان يخلع نفسه من الخلافة. و كانوا اتفقوا على ان يبائعوا محمد بن الواثق بالله الا- ان محمدا امتنع عن قبول البيعه له ما لم يخلع المعتز بالله نفسه امامه، فاحضر المعتز بالله فتنازل امام محمد و تمت البيعه للخليفة الجديد الذى لقب بالمهتدى بالله.

و قد حبس المعتز بالله، و كان القواد الاتراك قرورا قتله.

فقتل فى محبسه بعد بضعة ايام(١). و هناك عده روايات عن كيفية قتله. فيقال انه منع عنه الطعام و الشراب ثلثه ايام، ثم ادخلوه سردابا و جصصوه عليه فاصبح ميتا(٢). و يقال انهم ادخلوه الى الحمام حتى عاين الموت و هو يطلب الماء فيمنع عنه، ثم اعطوه ماء مثلجا فشربه و سقط ميتا(٣). و يقال انه ادخل الحمام فاعلق عليه حتى مات(٤). و كانت وفاته فى الثانى من شعبان

١- مروج الذهب ١٧٨ / ٤، و تاريخ يعقوبى ٥٠٤ / ٢.

٢- الطبرى ٣٩٠ / ٩، و الكامل ١٩٦ / ٧، و تاريخ ابن خلدون ٥٠٤ / ٢.

٣- العبر ٩ / ٢.

٤- النبراس / ٨٨.

سنة ٢٥٥ هـ (١). و لما مات اشهدوا على موته بنى هاشم و القواد بانه صحيح لا اثر فيه. فدفن مع المنتصر بالله في ناحيه قصر الصوامع (٢). اى انه دفن في قبر ظاهر مشهود كقبر المنتصر بالله و في نفس المكان.

و كان مدته خلافته من يوم بويج له بسامرا الى ان خلع اربع سنين و ستة اشهر و ثلاثه و عشرين يوما ٢٩. اما مدتها منذ ان تمت بيعته ببغداد فكانت ثلاث سنوات و سبعة اشهر (٣). و كان عمره عند وفاته اربعا و عشرين سنة (٤).

١- تاريخ بغداد ١٢٦ / ٢، و تاريخ اليعقوبى ٥٠٤ / ٢ و فيه انه توفى لثلاث بقين من رجب.

٢- الطبرى ٣٩٠ / ٩، و تاريخ بغداد ١٢٥ - ١٢٦، و جاء فيه: و يقال انه دفن بموضع يقال له السميدع.

٣- مروج الذهب ١٦٦ / ٤ و تاريخ اليعقوبى ٥٠٤ / ٢، و النبراس ٨٨ / و تاريخ بغداد ١٢٦ / ٢، و فيه تنقص المدته ثلاثه ايام.

٤- الطبرى ٣٩٠ / ٩، و مروج الذهب ١٦٦ / ٤، و الكامل ١٩٦ / ٧.



## الفصل الثامن المهتدى بالله محمد بن الوائى بالله

### ١- مبايعته:

بعد ان قرر الاتراك خلع المعتز بالله اجتمعت كلمتهم على ان ليس فى اولاد الخلفاء افضل ولا اعقل من محمد بن الوائى بالله (١).

كانوا عند ما حبسوا المعتز بالله بعثوا الى مدينه السلام لاحضار محمد، و كان المعتز بالله قد نفاه اليها و اعتقله فيها. و يقال ان سبب نفيه انه كان يكثر التردد على المعتز بالله و كان هذا يستمع الى اقواله فى امور كثيره، و فيما يمضيه و يبديه. و كان كثيرا ما يعارض قبيحه ام المعتز بالله فيما تأمر و تنهى، فضاقت به ذرعا و لم تزل بابنها حتى امر باحذاره الى مدينه السلام على كره منه (٢) فلما جىء به الى سامرا عرض عليه الاتراك ان يبائعوه بالخلافه فابى حتى خلع المعتز بالله نفسه امامه و اعترف بعجزه عن القيام بمهام

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥٠٥.

٢- المحاسن و المساوى ء / ٥٣٩.

الخلافة، ثم بايعه، فتبعه القواد الاتراك و الحاضرون و سمي المهتدى بالله. و كان ذلك فى يوم الاربعاء ليلته بقيت من رجب سنة ٢٥٥ هـ (١).

و عند ما ورد كتاب المهتدى بالله الى مدينه السلام بالبيعه له هاج من فيها من الجند و خرج معهم العامه و هجموا على دار سليمان بن عبد الله صاحب الشرطه، و هتفوا باسم ابى احمد الموفق بن المتوكل على الله الذى كان حينذاك منفيا فى مدينه السلام، و نادوا بالبيعه له. فحدثت بالمدينه فتنه قتل فيها كثيرون، و غرق فى دجله قوم و جرح آخرون. و يقول الطبرى «حتى وجه الى اهل بغداد بمال رضوا و وقعت بيعته الخاصه ببغداد للمهتدى يوم الخميس لسبع ليال خلون من شعبان، و دعى له يوم الجمعة لثمان خلون منه» (٢).

و مدحه الشاعر البحرى مشيدا بورعه و عدله بقصيده منها: (٣)

بارك الله للخليفه فى الملك الذى حازه له المقدار

رتبه من خلافه الله قد طالت بها رقبه له و انتظار

طلبته فقرا اليه، و ما كان به ساعه اليها افتقار

١- الطبرى ٩ / ٣٩١ و مروج الذهب ٤ / ١٨٢ و تاريخ يعقوبى ٢ / ٥٠٥ و فيه

٢- الطبرى ٩ / ٣٩٣. ان بيعته كانت قبل ذلك بيوم واحد. و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٨.

٣- القصيده فى ديوان البحرى ٢ / ٨٥٢ - ٨٥٦.

أخذ الاولياء اذ بايعوه بيدي مخبت عليه الوقار  
و تجلى للناظرين أبى فيه عن جانب القبيح ازورار  
و ارتنا السجاد سيماطويل الليل فى وجهه لها آثار  
ولديه تحت السكينه و الأخبات سطو على العدا و اقتدار  
زاد فى بهجه الخلافه نورافهو شمس للناس، و هى نهار  
و اجار الدنيا من الخوف و الحيف، فهل يشكر المجير المجار

## ٢- صفاته و سيرته:

ولد المهتدى بالله بالقاطول فى سنه ٢١٨ هـ و قيل ٢١٩ هـ و نشأ بسامرا(١). و كان عمره عند ما بويع له سبعا و ثلاثين سنه، و قيل تسعا و ثلاثين(٢). و امه ام ولد روميه يقال لها قرب(٣). و قد توفيت قبل ان يبايع له. و كان قد تزوجها المستعين بالله، و لما قتل صير المعتر بالله مع الحرم فى قصر الرصافه. و قال المهتدى يوما لجماعه من القواد الاتراك: اما انا ليس لى ام احتاج لها الى غله عشره الاف دينار فى كل سنه لجواريتها و خدمها و المتصلين بها، و ما اريد لنفسى و ولدى الا القوت(٤). و هو يعرض بهذا بام المستعين بالله

١- تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٨، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣١.

٢- مروج الذهب ٤/ ١٨٢.

٣- الطبرى ٩/ ٣٩١، و مروج الذهب ٤/ ١٨٢، و تاريخ الخلفاء / ٣٦١ و يسميها ورده.

٤- الطبرى ٩/ ٣٩٦.



و أم المعتر بالله اللتين عرفتا باحتواء الاموال و الاسراف فى الانفاق و الامعان فى حياه الترف.

اتفق الطبرى و المسعودى على وصف المهتدى بالله بانه كان رحب الجبهه اجلح، جهم الوجه، اشهل عظيم البطن، عريض المنكبين، قصير القامه، طويل اللحيه(١). و يقول الخطيب البغدادى انه كان اسمر رقيقا، حسن اللحيه، اشيب، حسن العينين(٢).

و قد اختلف المهتدى عن اسلافه من خلفاء بنى العباس فى سلوكه و سياسته فى الحكم. اذ كان، كما يقول الخطيب البغدادى، من احسن الخلفاء مذهبيا و اجلهم طريقه، و اظهرهم و رعا، و اكثرهم عباده(٣). و يضيف السيوطى انه كان عادلا قويا فى امر الله، و بطلا شجاعا، و لم يزل صائما منذ ان ولى الخلافه الى ان قتل(٤).

و كان يحاول ان يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى اميه، و كان يقول انه غار على بنى هاشم فاخذ نفسه بهذه السيره. و قد وجد له سفظ فيه جبه صوف و كساء، و كان يلبس ذلك فى الليل و يصلى فيه(٥).

امر المهتدى بالله باخراج القيان و المغنين من حضره الخلافه سامرا و نفيهم الى بغداد، و امر بقتل السباع التى كانت بدار

١- نفس المصدر / ٤٦٩، و التنبيه و الاشراف / ٣١٨.

٢- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٨.

٣- نفس المصدر، و الكامل ٧ / ٢٣٣.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٦١.

٥- تاريخ بغداد ٣ / ٣٥٠، و الكامل ٧ / ٢٣٤، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠.

الخلافة و طرد الكلاب(١). و اطرح الملاهي، و حرم الغناء و الشراب(٢). و امر ان يحد شارب الخمر كائنا من كان. فابغضه الجند و اهل الفساد بسبب ذلك(٣). و مع الموظفين و العمال عن الظلم و التعدي(٤). و ذكر المسعودي اجراءات اخرى اتخذها المهتدي بالله تقشفا و ورعا، فقد قلل من اللباس و الفرش و المطعم و المشرب. و امر باخراج آنيه الذهب و الفضة من الخزائن فكسرت و ضربت دنانير و دراهم، و عمد الى الصور التي كانت في المجالس فمحيته، و ذبح الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء، و الديوك، و قتل السباع المحبوسه، و رفع بسط الديباج و كل فرش لم ترد الشريعة باباحتها، و كانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة الاف درهم، فزال ذلك و جعل لمائدته و سائر مؤونته في كل يوم مائه درهم(٥).

و كان المهتدي بالله رد المظالم و جلس للعامه يستمع الى شكاواهم و يفصل بينهم(٦). و بنى قبه لها اربعة ابواب سماها قبه المظالم، و كان اذا جلس فيها للنظر في المظالم امر بان توضع مواقد الفحم في الاروقه عند اشتداد البرد، و اذ دخل المتظلم أمر بان يدفأ و يجلس ليسكن روعه و يثوب اليه عقله و يتذكر حاجته، ثم يدنيه

١- الطبري ٩ / ٤٠٦، و الكامل ٧ / ٢٠٣.

٢- الطبري ٩ / ٤٠٦، و الكامل ٧ / ٢٣٥، و الفخرى / ٢٢٣، و خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٠.

٣- خلاصه الذهب المسبوك.

٤- الكامل ٧ / ٢٣٤، و الفخرى / ٢٢٣.

٥- مروج الذهب ٤ / ١٨٩ - ١٩٠.

٦- الطبري ٩ / ٤٠٦، و الكامل ٧ / ٢٠٣.

و يسمع منه(١). و كان هو آخر من جلس لرد المظالم من خلفاء بنى العباس(٢). كما كان شديد الاشراف على امور الدواوين و شؤون الخراج، و يحاسب كتاب الدواوين بنفسه(٣).

ان تقليص نفقات دار الخلافة عامه، و نفقات الخليفة بصوره خاصه، و تشديد الرقابه على دواوين الدوله و امور الجبايه، كانت اهم ما قام به المهتدي بالله، فى مده حكمه القصيره. و يبدو انه كان يهدف الى اصلاح النظام المالى الذى كان قائما آنذاك، بتنظيم جبايه الايرادات، و اوجه الانفاق. الا انه لم يستطع ان يحقق من ذلك سوى شىء يسير لسوء الجهاز الادارى من جهه و لا نشغاله فى الصراع الذى نشب بينه و بين القواد الأتراك، من جهه اخرى.

لقد كان لتزمت المهتدي بالله رد فعل سىء عليه، فقد ثقلت و طأته على الناس عامه و خاصه، فاستطالوا خلافته، و سئمو ايامه، و عملوا الحيله عليه حتى قتلوه(٤). و يعزو صاحب خلاصه الذهب المسبوك اتفاق الامراء الاتراك على محاربتة و خلعه لما كان نهاهم عن جميع المنكرات، و منعهم عن تعاطى المحرمات(٥). و مع ما فى هذا القول من المغالاه فهو لا يخلو من الحقيقه. و قد قال له احد القواد الاتراك فى احدى مناقشاته معهم: أتريد ان تحمل الناس على سيره عظيمه لم يعرفوها؟ قال: اريد ان احملهم على سيره الرسول صلى الله عليه و سلم و اهل بيته و الخلفاء الراشدين، فقال

١- المحاسن و المساوى ء / ٥٤٠.

٢- الاحكام السلطانيه / ٦٤.

٣- تاريخ بغداد ٣ / ٣٥٠.

٤- مروج الذهب ٤ / ١٨٣.

٥- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٢.

له: ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا و رغبوا فى الآخرة، و انت انما رجالك ما بين تركى و خزرى و فرغانى و مغربى، و غير ذلك من انواع الأعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم، و انما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا، فكيف تحملهم على ما ذكرت (١)؟ و شبيه بهذا ما يقوله المسعودى من ان المهتدى بالله «صاحب اقواما لا تجوز عندهم اخلاق الدين و لا يريدون الا امر الدنيا» (٢). و الواقع ان المهتدى بالله لم يجد له ناصرا عند ما اصطدم بمخالفيه من الأتراك.

و يعزو ابن دحيه ما واجه المهتدى بالله من المصاعب الى الرجال الذين تولوا شؤون الدوله على عهده، فيقول: و لم يوفق فى الوزير و الحاجب و القاضى، لأن وزيره جعفر بن محمود الاسكافى، و حاجبه صالح بن وصيف، و قاضيه الحسن بن محمد بن ابى الشوارب، يحبون الدنيا و يشربون اليها، فكانوا اعانه على سفك دمه (٣).

### ٣- خلع و قتله:

تروى المصادر عده روايات عن اسباب الخلاف الذى نشب بين الخليفه المهتدى بالله و بين القواد الأتراك. و مهما اختلفت تلك الروايات فانها تتفق فى ان السبب الرئيس هو الشك القائم بين الخليفه و كبار القواد مما ادى الى صراع شديد بين الجانبين انتهى

١- مروج الذهب ٤ / ١٨٣.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣١٨.

٣- النبراس / ٨٩.

بالقضاء على خلفه المهتدى بالله وحياته. فقد ضاق الخليفة المتمتت ذرعا بتسلط اولئك القاده على شؤون الدوله و استشارهم بمواردها و اموالها، و حاول ان يستغل نغمه الجند على قوادهم و شكواهم منهم، و بعض الخلافات القائمه بين القواد انفسهم، و يعمل للقضاء على بعضهم لأضعاف شوكتهم بصوره عامه. الا ان عمله فى هذا كانت تنقصه الحكمه و التدبير، و كانت محاولاته مكشوفه. فلما ادرك الاتراك نيه المهتدى بالله نحوهم و عزمه على فل جمعهم و اضعاف شأنهم، و حدوا كلمتهم ففضوا على احد زملائهم هو القائد صالح بن وصيف الذى كان يظاهر الخليفه، و من ثم هاجموا الخليفه نفسه. فقصدوا دار الخلافه فى منتصف شهر رجب سنه ٢٥٦ هـ، و انضم اليهم الجند الاتراك الذين كانوا اعلنوا ولاءهم للخليفه، فبقى معه عدد قليل من مناصريه، فجرح و اضطر الى الهرب من الدار، ثم يلبث ان استسلم لاعدائه، فحبسوه فى الجوسق.

اجتمع القواد الاتراك و طلبوا اليه ان يخلع نفسه من الخلافه فأبى. الا انهم اختاروا احمد بن المتوكل على الله و بايعوه بالخلافه، و لقب بالمعتمد على الله. ثم اخرجوا المهتدى بالله من حبسه ميتا و ادعوا بأنه مات متأثرا بجراحه. و يقال انه لما ابى ان يخلع نفسه خلعوا اصابع يديه و رجله من كفيه و قدميه حتى و رموا و عذبه فمات (١). و يروى المسعودى انهم طعنوه بالخناجر و كان اول من جرحه ابن عم لبايكباك طعنه فى اوداجه و انكب عليه فالتقم الجرح و الدم يفور منه، و اقبل يمص الدم حتى ارتوى منه، و كان هذا

التركي سكرانا، فلما تركه كان المهتدي بالله قد مات (١). و يؤيد ابن دحيه انه قتل بخنجر (٢). و يروى انهم داسوا خصيته فمات (٣). و يظهر من روايه اليعقوبي انه يؤيد موته من جراحه اذ يقول «فحملوه على دوابه و جراحاته تنطف دما، فدعوه الى ان يخلع نفسه فأبى، و مات بعد يومين (٤).

و يظهر ان طائفه من الاتراك ندموا على قتلهم المهتدي بالله، فداروا به ينوحون و يبكون عليه لما تبين لهم من نسكه و زهده (٥).

كان عمر المهتدي بالله عند وفاته ثمانيه و ثلاثين عاما حسبما ذكره الطبري، الا ان الخطيب البغدادي و الاربلي يقولان انه مات عن سبعة و ثلاثين عاما و اربعة اشهر و عشره ايام. اما المسعودي فيقول انه كان له من العمر اربعون عاما (٦). و اذ ما كان تاريخ ميلاده الذي سبق ان ذكرناه صحيحا فان ما ذكره الخطيب البغدادي و الاربلي هو العمر الصحيح للمهتدي بالله.

اما مده خلافته فقد بلغت احدى عشر شهرا و سبعة عشر يوما او ثمانيه عشر، كما يقول اليعقوبي و المسعودي و الخطيب.

١- مروج الذهب ١٨٦ / ٤.

٢- النبراس / ٨٩.

٣- الكامل ٢٣٠ / ٧.

٤- تاريخ اليعقوبي ٥٠٦ / ٢.

٥- مروج الذهب ١٨٦ / ٤.

٦- الطبري ٤٦٩ / ٩، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٨، و خلاصه الذهب المسبوك /

البغدادى(١). غير ان الطبرى يزيد على ذلك بضعه ايام(٢).

و نظرا لثبوت تاريخ مبايعته بالخلافه و يوم وفاته، فان المده التى ذكر اليعقوبى و المسعودى و الخطيب اقرب الى الصواب.

---

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥٠٦، و التنبيه و الاشراف / ٣١٨، و تاريخ بغداد ٢٣٢، و التنبيه و الاشراف / ٣١٨. ٣ / ٣٥١.

٢- الطبرى ٩ / ٤٦٩.

## الفصل التاسع المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل على الله

### ١- مبايعته:

لم يستطع القواد الا-تراك ان يرغموا الخليفة المهتدى بالله على، ان يخلع نفسه من الخلافه رغم الاساليب القاسيه التي اتبعوها معه، فمات و هو الخليفه الشرعى. الا انهم كانوا قد اخرجوا احمد بن المتوكل على الله من حبسه فى الجوسق و بايعوه، و لقب بالمعتمد على الله. و يظهر انهم بعد ان خاضوا صراعا عنيفا مع المهتدى بالله حتى تخلصوا منه، حرصوا على ان يختاروا للخلافه من يتوسمون فيه ضعف الشخصيه و سهوله الانقياد، ليكون طوع ارادتهم. فاختاروا احمد بن المتوكل على الله رغم انهم اخذوا على انفسهم الا يفسحوا المجال لأحد من ولد المتوكل على الله ان يصل الى منصب الخلافه.



و قد بويع المعتمد على الله في يوم الثلاثاء لاربع عشر بقيت من رجب سنة ٢٥٦هـ (١) و كان عمره خمسا و عشرين سنة (٢). و كان قد ولد في سنة ٢٢٩هـ (٣) و اذا صح تاريخ مولده هذا فان عمره يجب ان يكون قريبا من سبع و عشرين سنة. و كان احمد المعتمد على الله يسمى ابن فتیان نسبه الى امه، و هي ام ولد روميه اسمها فتیان (٤).

## ٢- صفاته و سيرته:

تفاوت المؤرخون في ذكر اوصاف المعتمد على الله. و يقول المسعودي انه كان حسن الجسم، كبير العينين، طويلًا- جسيما، طويل اللحية، عظيم الهامه (٥). و يقول الاربلي انه كان اسمر رشيقا خفيف اللحية (٦). و يضيف الذهبي على ذلك انه كان مدور الوجه، مليح العينين، صغير اللحية و قد اسرع اليه الشيب (٧).

اما ما ورد عن اخلاقه و سلوكه فان المسعودي يقول انه كان مشغوبا بالطرب، و الغالب عليه المعاقرة و محبه انواع اللهو، و انه اهمل امور الرعيه و تشاغل بلهوه و لذاته حتى اشفى الملك على

- 
- ١- الطبري ٩/ ٤٧٤، و المعارف / ٣٩٤، و مروج الذهب ٤/ ١٩٨.
  - ٢- مروج الذهب ٤/ ١٩٨.
  - ٣- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٣، و تاريخ الخلفاء ٣٦٣.
  - ٤- المعارف / ٣٩١، و الطبري ٩/ ٤٧٤، و تاريخ بغداد ٤/ ٦١، و مروج الذهب ٤/ ١٩٨ و يقول انها كوفيه.
  - ٥- التنبيه و الاشراف / ٣٢٠.
  - ٦- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٣.
  - ٧- شذرات الذهب ٢/ ١٧٣.

الذهاب (١). و يؤيده فى ذلك مؤرخون آخرون. اذ يقول التنوخى عنه انه مع سماحه اخلاقه و كثره جوده و سخائه كان شديد العربده على ندمائه اذا سكر، و لا يكاد يسلم له من العربده مجلس الا فى الأقل (٢). و يقول الذهبى انه كان منهمكا على اللهو و اللذات، يسكر و يعربد (٣). و يقول السيوطى انه انهمك فى اللهو و اللذات و اشتغل عن الرعيه فكرهه الناس و احبوا اخاه طلحه (٤). على انه من جهه اخرى كان حليما لطيفا، من الرأفه و الرحمه على غايه (٥). و انه كان من اسمح آل العباس، و كان يمثل بينه و بين المستعين بالله و يقال: ما ولى اسمح منهما، كما كان جيد التدبير، فهما بالامور، فلما قوض امره و غلب على رأيه، نقصت حاله عند الناس (٦). و يقال انه كان يحب الاطراء و المديح، فاذا عمل جميلا اكثر من ذكره و تبجح به و ان كان صغيرا (٧).

و قد اشرنا فى الفصل الخاص بمجالس الخلفاء الى بعض مظاهر اسرافه، مما جعل اخاه الموفق يمنع عنه المال لحاجه الدوله الى الاموال لتوفير نفقات الحروب الداخليه، لا سيما حرب الزنج التى اضطرتها على الاقتراض من التجار (٨).

١- مروج الذهب ٢٢٠ / ٤ و التنبيه و الاشراف / ٢١٨.

٢- الفرج بعد الشده ٢ / ٢٤٣.

٣- شذرات الذهب ٢ / ١٧٤.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٦٣.

٥- تاريخ الخلفاء ٢ / ١٧٤.

٦- الديارات / ١٠٢.

٧- الفرج بعد الشده ٢ / ٢٤٨.

٨- تاريخ بغداد ٣ / ٢٠٦، و نشوار المحاضر.

**٣- استئثار الموفق بالسلطة:**

كانت خلافه المعتمد على الله عجيبه الوضع، كما يقول ابن الطقطقى، فقد كان هو و اخوه طلحه الملقب بالموفق كالشريكين فى الخلافه، للمعتمد على الله الخطيه و السكه و التسميه بامرہ المؤمنین، و لأخيه طلحه الأمر و النهى و قود الجيش و محاربه الاعداء و مرابطه الثغور و ترتيب الوزاره و الامراء(١). و يقول المسعودى ان اخاه ابا احمد الموفق قد غلب على امره و تدبير ملكه و سياسه سلطانه، و صيره كالمحجور عليه، لا امر له و لا نهى، و ان الموفق قام بذلك احسن قيام رغم ما كان يلقى من اعتراض الاتراك و شغبهم و سوء طاعتهم(٢). و كذلك يقول ابن الأثير ان المعتمد على الله كان فى خلافته محكوما عليه، قد تحكم فيه اخوه ابو احمد الموفق و ضيق عليه(٣).

و مما يلفت النظر ان ابا جعفر الطبرى و احمد بن واضح اليعقوبى، و هما من قدامى المؤرخين و قد عاصرا احداث عهد سامرا، لم يشيرا الى تسلط الموفق على شؤون الخلافه فى عهد اخيه المعتمد على الله، و لم يذكر شيئا عن ذلك. و يعتبر المسعودى اقدم من اشار الى تلك العلاقه بين الخليفه و اخيه، من المؤرخين.

ان من يدقق سيره المعتمد على الله و اعماله طيله مده خلافته التى قاربت ربع قرن يستنتج انه كان احد اثنين: اما انه كان يزهد

١- الفخرى / ٢٢٦-٢٢٧.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣١٨-٣١٩ و مروج الذهب / ٤ / ٢١١.

٣- الكامل / ٧ / ٤٥٥.

السلطه بطبيعته، و يميل الى اللهو و الملذات، و قد أمن جانب اخيه فترك له كل سلطاتها ليمارسها فى تسيير شؤون الدوله، بحيث غدا المعتمد على الله محجورا عليه، فلم يستطع مجابهه اخيه، فاضطر الى ان ينفس عن قهره و غلبته بالانصراف الى اللهو و الاغراق فى الملذات. الا- ان ممارسه المعتمد على الله سلطاته كخليفه بين حين و آخر، كتعيين الوزراء و الولاة و القضاء، و توجيه بعض الامور، و قياده بعض الحملات العسكريه، و الاهتمام بالقضاء على الثورات، و تشييد قصر المعشوق و غيره، يجعلنا نميل الى الرأى الأول.

و الواقع ان المعتمد على الله كان يمارس سلطانه فى تعيين الوزراء و الولاة و القواد منذ توليه الخلافه. فقد استوزر عبيد الله بن يحيى عند ما افضت اليه الخلافه(١). و لما مات عبيد الله استوزر الحسن بن مجلد(٢). ثم عزله و استوزر سليمان بن وهب(٣).

و قلد القائد التركى اماجور ولايه دمشق و اعمالها فى سنه ٢٥٦هـ (٤). و لما ظهر على بن زيد بالكوفه وجه القائد كيجور الى محاربتة(٥). و وجه القائد موسى بن بغا، و هو كبير القواد الاتراك، الى الرى لحرب الحسن بن زيد الطالبى(٦). و سير فى سنه ٢٥٧هـ احمد المولد الى البصره لحرب صاحب الزنج(٧). و عقد

١- تاريخ اليعقوبى ٥٠٧/٢، و مروج الذهب ١٩٩/٤.

٢- مروج الذهب ١٩٩/٤.

٣- الفخرى / ٢٢٨.

٤- الكامل ٢٣٨ / ٧.

٥- نفس المصدر / ٢٣٩.

٦- الطبرى ٤٧٤ / ٩، و الكامل ٢٤٠ / ٧.

٧- الطبرى ٤٨٨ / ٩، و الكامل ٢٤٦ / ٧.

فى سنة ٢٥٨ هـ لأخيه الموفق على عدد من الولايات و خلع عليه، و على مفلح القائد، و سيرهما الى حرب الزنج(١). ثم اتبعهما بالقائد موسى بن بعا فى السنه التاليه(٢). و عين فى سنة ٢٦٠ هـ اساتكين من كبار قواد الاتراك واليا على الموصل(٣). و عين فى السنه التاليه محمد بن عمر بن على الطائى واليا على اذربيجان(٤). كما انه خرج فى سنة ٢٦٢ هـ على رأس الجيش لحرب يعقوب بن الليث الصفار لما أصر على القدوم بجيشه الى سامرا(٥).

يستدل مما ذكرنا ان الموفق لم يبعد اخاه عن ممارسه سلطاته الا بعد عدده سنوات من توليه الخلافه. و ذلك بعد ان اظهر كفايه عسكريه و سياسيه فى حربيه صاحب الزنج، و فى رده ابن الصفار عن العراق، مما اكسبه محبه الناس و احترام القواد. و اذا كانت الحوادث الجسمام، او ما نسميه بالازمات، تظهر قابليات الرجال و تكشف عن معادنتهم، فقد اظهر الموفق فى الحروب التى قادها مهاره و حزمًا. اضافته الى ما كان يتمتع به من خلق هادى ء رصين، و صفات انسانيه. اذ كان شديد الرعايه لجنده و بخاصه الجرحى منهم، و يتفقد ابناء الشهداء، و كانت رعايته تشمل جرحى الأعداء ايضا(٦). و بذلك استطاع ان يفرض احترامه على القواد و الولاه،

١- الطبرى ٩/ ٤٩٠، و الكامل ٧/ ٢٥٩.

٢- الكامل ٧/ ٢٥٩.

٣- نفس المصدر / ٢٦٩.

٤- نفس المصدر / ٢٨٨.

٥- الطبرى ٩/ ٥١٦، و مروج الذهب ٤/ ٢٠٠، و الكامل ٧/ ٢٩٠.

٦- الطبرى ٩/ ٦٠٣ و ٦٠٨، و الكامل ٧/ ٣٦٥-٣٦٦.

و رجال الدوله فى سامرا. مما اتاح له ان يفرض سلطاته على الخليفه نفسه بحيث لم يترك له بعد سنه ٢٦٨ هـ من الخلافه غير اسمها، و لم يعد ينفذ له توقيع لا فى قليل و لا فى كثير. و غدا الحكم كله للموفق، و الاموال تجبى اليه، مما اضجر المعتمد على الله بحيث انه حاول الهرب و الالتجاء الى احمد بن طولون فى مصر، فاعيد الى سامرا مرغما.

و مما يؤيد ما ذهبنا اليه ما ذكره ابن دحيه من ان ايام المعتمد على الله كانت مضطربه الاحوال مختله التدبير، كثيره العزل و التوليه بتدبير الموالى و غلبتهم عليه(١). اى ان اضطراب احواله و اختلال ادارته فى اول امره كان بسبب تأثير القواد الاتراك عليه.

و يستنتج مما اورده الحصرى ان امر المعتمد على الله كان، قبل تمكن الموفق، فى يد القواد الاتراك(٢). و الواقع انه اضطرب بعد ما بويج بالخلافه ان يصافح كبير قوادهم موسى بن بغا، فعند ما كان موسى يخرج من سامرا كان المعتمد على الله يشيعه(٣). كما انه ولاه قياده الجيش الذى وجهه لقتال صاحب الزنج فى سنه ٢٥٩ هـ و شيعه بنفسه و خلع عليه(٤). و لما عهد بولايه العهد لابنه جعفر ضم اليه موسى بن بغا فال اليه حكم الولايات التى جعلت لجعفر، نيابه عنه(٥). فقد ادرك المعتمد على الله ان بقاءه رهين برضاء القواد الاتراك، و لا بد من مصانعتهم و تلييه طلباتهم، كى يضمن

١- النبراس / ٨٩.

٢- جمع الجواهر / ١٥٨.

٣- الطبرى ٩ / ٤٧٤.

٤- نفس المصدر / ٥٠٤.

٥- الطبرى ٩ / ٥١٤.

ولاءهم و عدم و ثوبهم به. و لما لمس فى اخيه الموفق قوه شخصيته و قدرته على السيطره حاول ان يضمن بواسطته سلامته و بقاءه على عرش الخلافه. الا ان طموح الموفق و ضعف شخصيه المعتمد على الله، جعلت الموفق يسيطر على كل شىء. و مما زاد فى نفوذ الموفق انغماس المعتمد على الله فى اللهو و الملذات، فغلبه على امره و تدبير ملكه و سياسه سلطانه. فقام بالملك احسن قيام و قمع من قرب من الاعداء و استصلح من نأى منهم(١). و قد خطب للموفق على المنابر، و كان يقال بالخطبه: اللهم اصلح الأمير الناصر لدين الله ابا احمد الموفق ولى عهد المسلمين اخا امير المؤمنين(٢).

و على هذا نستطيع ان نقول ان تصرفات المعتمد على الله و موقفه من الأحداث يدلان على انه لم يكن ينقصه الذكاء او الكفايه، الا انه كما يبرر، كان ضعيف الشخصيه خاملاً، و فيه ميل شديد الى اللهو و التمتع و الابتعاد عن تحمل المسؤوليه. و هذا يفسر لنا التناقض الواضح فى سيرته كخليفه له السلطه العليا فى الدوله، فقد وصف بالسخاء و الكرم على حاشيته و ندمائه، و بحبه مجالس اللهو و الطرب و عدم انقطاعه عنها. الا انه بنفس الوقت يتدمر من انه لا يملك التصرف بامور الدوله او حتى باموره الخاصه.

#### ٤- ولايه العهد:

قرر المعتمد على الله فى خلال النصف الاول من شوال سنه ٢٦١ هـ ان ينظم امر ولايه العهد بالخلافه من بعده بين ابنه جعفر، و اخيه ابى احمد الموفق طلحه. فولى ابنه العهد بعده و سماه

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٨، و الديارات / ١٠١-١٠٢.

٢- النبراس / ٨٩-٩٠.

المفوض، و ولاية المغرب و افريقيه و عددا آخر من الولايات، و ضم اليه القائد موسى بن بغا. و ولى اخاه العهد بعد جعفر، و ولاية المشرق و ولايات اخرى و ضم اليه القائد مسرور البلخي. و عقد لكل منهما لواءين اسود و ابيض. و اشترط ان حدث به حدث الموت و جعفر لم يكمل للأمر، ان يكون الأمر لأبى احمد ثم لجعفر.

و اخذت البيعه بذلك على الناس (١). و بعث بنسخه من كتاب العهد مع القاضى الحسن بن محمد بن ابى الشوارب ليعلقه فى الكعبة (٢). و ذلك توثيقا للعهد و ضمانا بعدم الخروج على ما جاء فى الكتاب المذكور.

و لما مات الموفق فى شهر صفر سنة ٢٧٨ هـ بايع القواد و الغلمان ابنه ابا العباس احمد بولاية العهد بعد المفوض، و لقب بالمعتضد بالله، فاخرج ابو العباس العطاء للجند، و خطب يوم الجمعة التالى للمعتضد على الله ثم للمفوض ثم لأبى العباس المعتضد (٣). و فى السنة التالى خلع جعفر و بويع للمعتضد بولاية العهد بعد المعتضد على الله. و هناك روايتان عن كيفية خلع الأول و مبايعه الثانى. الراويه الاولى هى التى يذكرها الطبرى اذ يقول ان جعفر المفوض خلع من ولاية العهد فى اواخر المحرم سنة ٢٧٩ هـ و بويع للمعتضد، و انشئت عن المعتضد كتب الى العمال و الولاة بأن أمير المؤمنين قد ولاة العهد و جعل اليه ما كان الموفق يليه من الأمر و النهى و الولاة و العزل، و خطب يوم الجمعة للمعتضد بولاية العهد (٤). و يفهم من هذا ان المعتضد هو الذى

١- الطبرى ٩/ ٥١٤، و الكامل ٧/ ٢٧٧-٢٧٨.

٢- الطبرى ٩/ ٥١٤.

٣- الطبرى ١٠/ ٢٢، و الكامل ٧/ ٤٤٤، و المختصر فى اخبار البشر ٢/ ٥٥

٤- الطبرى ١٠/ ٢٨.



خلع جعفر المفوض من ولايه العهد و الزم المعتمد على الله بان يعهد بها اليه.(١) و هذا ما يؤيد ذلك الذهبى ايضا بقوله «ان المعتمد على الله نقض ما كان لناصر دين الله الموفق لولده احمد، فاستبد بالأمر و استخف بعمه و لم يرجع اليه فى شىء .. و متى لم تخلع ابنك جعفرا من الخلافه طائعا، خلعتة كارها، فخلع المعتمد ابنه و جعل العهد لابن اخيه احمد المذكور»(٢). اى ان المعتمد على الله فعل ذلك مكرها.

اما الروايه الثانيه، فيذكر ابن الاثير ان المعتمد على الله جلس فى المحرم سنه ٢٧٩ هـ للقواد و القضاء و وجوه الناس و اعلمهم انه خلع ابنه المفوض الى الله جعفرا من ولايه العهد و جعلها للمعتضد بالله ابى العباس احمد بن الموفق، و شهدوا على المفوض أنه تبرأ من العهد و اسقط اسمه من السكه و الخطبه و الطراز، و خطب للمعتضد، و كان ذلك يوما مشهودا، فقال يحيى بن على يهنىء المعتضد(٣):

ليهنك عقد انت فيه المقدم حباك به رب بفضلك اعلم

فان كنت قد اصبحت و الى عهدنا فانت غدا فينا الامام المعظم

و لا زال من ولاك فينا مبلغامناه، و من عاداك يشجى و يرغم

١- مروج الذهب ٤ / ٢٢٩.

٢- شذرات الذهب ٢ / ١٧٣.

٣- الكامل ٧ / ٤٥٢.

و كان عمود الدين فيه تأودفعاذ بهذا العهد و هو مقوم

و اصبح وجه الملك جذلان ضاحكايضى ء لنا منه الذى كان يظلم

فدونك فاشدد عقد ما قد حويته فانك دون الناس فينا المحكم

و يؤيد ابو الفداء روايه ابن الأثير اذ يقول: و فى سنه ٢٧٩ هـ خلع المعتمد ابنه جعفر المفوض من ولايه العهد و جعل ابن اخيه الموفق ولى العهد بعده(١). الا ان السيوطى يأخذ موقفا وسطا بين الروايتين المذكورتين، فيقول: و فى اوائل سنه ٢٧٩ هـ ضعف امر المعتمد على الله جدا لتمكن ابي العباس احمد بن الموفق من الامور و طاعه الجيش له، فجلس مجلس عاما و اشهد فيه على نفسه انه خلع ولده المفوض من ولايه العهد و بايع لأبي العباس و لقبه المعتضد(٢).

#### ٥- وفاه المعتمد على الله:

تكاد تجمع المصادر على ان المعتمد على الله توفى ليله الاثنين لاحدى عشره بقيت من رجب سنه ٢٧٩ هـ(٣). و كان سبب وفاته انه شرب على الشط فى القصر الحسنى شرابا كثيرا و تعشى فأكثر

١- المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٥٥.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٦٧.

٣- الطبرى ١٠ / ٢٩، و مروج الذهب ٤ / ٢٢٩، و الكامل ٧ / ٤٥٥، و الذهب المسبوك / ٢٣٤، و فيه انه توفى ليله الاثنين الخامس عشر من رجب.

من الأكل، فمات ليلاً(١). و ذكر المسعودى تفصيلات عن موته جاء فيها انه تناول مع اثنين من ندمائه رؤوس حملان، فتهاً احدهم فى الليل، و مات الآخر قبل الصباح، اما المعتمد على الله فاصبح ميتا. ثم يقول: و ذكر ان سبب وفاته انه سقى نوعا من السم فى الشراب الذى كانوا يشربونه يقال له البيش، يحمل من بلاد الهند و جبال الترك و التبت. و جاء فيه ايضا ان القاضى اسماعيل بن حماد أدخل على المعتضد و سلم عليه بالخلافه، و حضر معه الشهود العدول، و اشرفوا على المعتمد على الله، و معهم غلام المعتضد يقول: هل ترون به بأس او اثر، لقد مات فجأه، و قتلتة مداومته لشرب النبيذ. فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر. و حمل الى سامرا فدفن فيها(٢).

و يشبه هذا ما ذكره الذهبى من ان المعتمد على الله قد سم فى رؤوس جداء اكلها، ثم يستدرك و يقول انه نام فغم فى بساط، و قيل سم فى كأس الشراب(٣).

و اورد ابن دحيه اسبابا اخرى قيلت فى موت المعتمد على الله اضافه الى السم. قيل انه رمى فى رصاص مذاب فمات، و قيل انه مات فى حفرة من ريش مشى عليها فسقط فيها فمات غما(٤) و روى السيوطى ان المعتمد على الله مات فجاءه، و قيل انه سم، و قيل بل نام فغم فى بساط(٥). و وردت فى كتاب «مختصر كتاب

١- الطبرى ١٠ / ٢٩، و الكامل ٧ / ٤٥٥، و المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٥٦.

٢- مروج الذهب ٤ / ٢٢٩ - ٢٣٠.

٣- شذرات الذهب ٢ / ١٧٣.

٤- النبراس / ٩٠.

٥- تاريخ الخلفاء / ٣٦٧.

البلدان» اشاره يفهم منها انه قتل، اذ يقول «و كان المعتضد بالله كتب الى عمرو بن الليث الصفار و امره بمواقفه رافع لما بلغه من ميل رافع الى محمد بن زيد و انكاره قتل المعتمد و جلوس المعتضد»<sup>(١)</sup>. اى ان رافعا يتهم المعتضد بقتل المعتمد ليجلس مكانه.

و يبدو ان السبب الذى ذكره الطبرى و نقله عنه من جاء بعد من المؤرخين، و هو الشرب الكثير و الأكل الكثير قد اودى بحياه المعتمد على الله و نديميه. و هناك احتمال بان الطعام الذى اكلوا منه قد تسرب اليه الفساد فتسموا به فماتوا. اما ما اورده الآخرون عن قتله بالسم بوضعه فى الطعام او فى الشراب، او قتله بالوسائل التى ذكرت فأمر يشك فى صحته. لأن المعتمد على الله كان ضعيفا يسير طوع اراده اخيه الموفق الذى غلب على اموره، و لما توفى حل ابنه احمد مكانه و اصبح وليا للعهد و لم يتغير موقف المعتمد على الله منه اذ بقى مستسلما، منصرفا الى حياته التى اعتادها، بحيث كان المعتضد الخليفه الفعلى، فلم يكن و الحاله هذه ما يستدعى التخلص منه و اللجوء الى قتله.

و هناك اختلاف فى عمر المعتمد على الله عند وفاته. فقد قيل انه توفى عن ثمان و اربعين سنه<sup>(٢)</sup>. و قيل ان عمره كان خمسين سنه<sup>(٣)</sup>. او خمسين سنه و سته اشهر<sup>(٤)</sup>. و اذا ما اعتبرنا ان

١- مختصر كتاب البلدان / ٣١٢.

٢- مروج للذهب / ٤ / ١٩٨.

٣- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٣٤، و النبراس / ٩٠، و العبر / ٢ / ٦١.

٤- الكامل / ٧ / ٤٥٥، و المختصر فى اخبار البشر / ٢ / ٥٦، و تاريخ الخلفاء / ٣٦٧.

مولده كان فى سنة ٢٢٩ هـ كما سبق ان اشرنا، فان عمره لا يمكن ان يكون اقل من خمسين سنة.

و يكاد يجمع المؤرخون على ان مده خلافه المعتمد على الله كانت ثلاثا و عشرين سنة. الا ان ابن الاثير يضيف على ذلك ستة اشهر. بينما يعتبرها الطبرى ثلاثا و عشرين سنة و ستة ايام، و تبعه فى ذلك الاربلى. و لما كان تاريخ مبايعه المعتمد على الله و تاريخ وفاته معروفين، فان ما ذكره الطبرى اقرب الى الصواب.

## الباب الثالث مؤسسات الدوله العربيه فى عهد سامرا

### اشاره

١- وزراء سامرا

٢- الكتاب

٣- القضاء فى عهد سامرا



## الفصل الأول وزراء سامرا

## اشاره

سنعرض فيما يلي ملخصاً بسيره من تولى منصب الوزارة في خلفاء سامرا، ممن كان لهم دور بارز في اداره شؤون البلاد، و نتعرف من خلال سيرهم على علاقاتهم بالخلفاء و اساليبهم في الاداره، و ما تركوه من آثار في حياه الدوله العربيه خلال عملهم.

## ١- الفضل بن مروان:

عند ما وصل المعتصم بالله الى بغداد و تمت مبايعته بالخلافه استوزر كاتبه ابا العباس الفضل بن مروان بن ما سرخس، و هو نصراني الأصل من اهل البردان(١). على الرغم من ان اخاه المأمون كان قد اوصاه بالا يتخذ وزيراً لأن تجربته في استيزار يحيى بن اكنم لم تكن مرضيه له. الا ان منصب الوزير بما طراً عليه من ظروف في عهد خلفاء بنى العباس الذين سبقوا المعتصم بالله كان قد استقر و ثبت، و اصبح من اركان الدوله العربيه. و لهذا فقد عهد المعتصم بالله به الى كاتبه الذى كان يعتمد عليه كثيراً.

---

١- وفيات الاعيان ٣/ ٢١٣.



كان الفضل في اول امره يكتب ليحيى الجرمقاني كاتب المعتصم بالله عند ما كان اميرا، فلما مات الجرمقاني حل محله. و قد اعجب المعتصم بالله به و استصحبه معه الى الشام و مصر، فاحتوى على كثير من الاموال، و لما صحب ابو اسحاق اخاه الخليفه المأمون في حملته الاخيريه على بلاد الروم، عاد الفضل الى بغداد. و كان يتولى تدبير امور ابي اسحاق نيابه عنه و يكتب على لسانه بما يريد.

و عند ما بلغه خبر موت المأمون و مبايعه المعتصم بالله بالخلافه، و خلاف بعض القواد عليه و مناداتهم بخلافه العباس بن المأمون، قام بدور بارز في اخذ البيعه للمعتصم بالله ببغداد، و ضبط الامور فيها. و لما قدم المعتصم بالله عرف له فضله و جهوده، فاستوزره و خلع عليه، و اسلم مقاليد الامور اليه. و قد استطاع الفضل ان يحل من قلب الخليفه المحل الذي لم يصل اليه احد، و تمكن منه و استقل بالأمور. فغلب على امره حتى لم يبق للمعتصم بالله معه يد(١). حتى قيل ان المعتصم بالله صار خليفه و صار الفضل بن مروان صاحب الخلافه و صارت الدواوين كلها تحت يديه(٢). الا ان الفضل كان قليل العلم، ضحل المعرفه، رغم جوده كتابته.

و يصفه ابن الطقطقي بأنه كان عاميا لا علم عنده و لا معرفه، و كان ردىء السيره جهولا بالامور(٣). و يقول ابن الاثير عنه انه كان شرس الاخلاق، ضيق العطف، كره اللقاء بخيلا(٤). و لكنه كان، كما يظهر حسن المعرفه بخدمه الخلفاء(٥).

١- مآثر الانافه / ١ / ٢٢٠.

٢- الطبرى / ٩ / ١٩.

٣- الفخرى / ٢١٢.

٤- الكامل / ٦ / ٤٥٤.

٥- الفهرست / ١٩٠، و وفيات الاعيان / ٣ / ٢١٣، و شذرات الذهب / ٢ / ١٢٢

لقد استغل الفضل بن مروان ثقة المعتصم بالله به و اعتماده عليه. و يروى التنوخي خبرا فيه دلالة على تسلط الكتاب و استغلالهم نفوذهم في حيازه الأموال. فعندما ندب الخليفة المأمون اخاه ابا اسحاق الى مصر لقمع الثورة التي قامت فيها سنة (٢١٤ هـ) استصحب معه كاتبه الفضل بن مروان. و قد اشخص الفضل معه احد كتابه هو ابن عبدون الانباري ليساعده في عمله. و يقول ابن عبدون انه كسب في ليله واحده مائه الف دينار. و ذلك ان القتل لما استشرى في اهل مصر تقدم عدد كبير من رؤساء البلد الى الفضل يسألونه الأمان لهم، فحول كاتبه ان يجيبهم الى ما التمسوا. فكتب هذا في الامان لمائه رجل منهم. فبعث بعضهم اليه مبالغ من المال بحيث اجتمع له في تلك الليلة ذلك المبلغ (١). لا شك في ان المبلغ الذي احتجزه الكاتب الصغير لنفسه جزء مما حصل عليه ابن مروان نفسه. و كان من واجب ابي اسحاق، و هو قائد الحملة لاختماد الثورة، ان يصدر عفوا عاما بعد قضائه على رؤوس الفتنة، فيعيد الأمن و الأطمئنان الى نفوس الناس، و لا- يترك مجالا- لهذا الكاتب و امثاله في استغلالهم. الا ان استحواذ كاتبه الفضل بن مروان عليه جعله يترك الأمر لتدبيره مما اتاح له فرصة الانتهاب.

و قد بلغ من جشع الفضل انه اخذ يسرق الخليفة. فكان يخالفه في بعض ما يأمر به من المنح و الاعطيات. فكان المعتصم بالله يأمره باعطاء المغنى و الملهى، فلا ينفذ الفضل ذلك (٢). و اخذ يحجب ما كان يحتاج اليه من الاموال في مهام اموره. فقال ابراهيم الهفتى للمعتصم بالله، و هو احد جلسائه المقربين اليه: مالك من الخلافه

١- الفرج بعد الشده ٣/ ٨٦ و كامل القصة ٨٢-٨٦.

٢- الطبرى ٩/ ١٩.

الا- الاسم، و الله ما يجاوز امرك اذنيك(١). و كان المعتصم بالله امر له بمبلغ من المال فلم يعطه الفضل شيئاً. و ذكر القاضي احمد بن ابى دواد انه كثيرا ما رأى المعتصم بالله يطلب الى الفضل ان يحمل اليه مبلغا من المال، فيرد بعدم توفره، او بعدم استطاعته توفيره. فنصح الفضل الا- يرد الخليفة و لا يمتنع عن اجابه طلباته من المال جهدا امكانه، و حتى فى حاله عدم وجود المال حقيقه، فعليه الا يرد الخليفة باجوبه غليظه، بل يعلله بأن سيعمل على توفيره له. الا ان الفضل امعن فى نهجه، مما اثقل على المعتصم بالله(٢).

و اثار غضبه عليه. ففرض اول الأمر رقبه ماليه عليه، فعين احمد بن عمار لتدقيق النفقات الخاصه، و عين نصر بن منصور ليدقق اعماله فى الخراج و فى الاعمال الاخرى. و كان نصر يتولى آنذاك ديوان الخاتم و النفقات و الأزقه(٣). و امر الفضل بان يرفع اليه تقريرا عما وصله من الاموال و اوجه انفاقها.

و لما فرغ الفضل بن مروان فى اعداد الحساب لم يناظره فيه المعتصم بالله، بل امر بحبسه. ثم نفاه الى قريه السن فى طريق الموصل. و قيل انه حبسه خمس اشهر ثم اطلقه و الزمه بيته(٤).

و ذلك بعد ان صادر امواله و اموال اهل بيته. كما بطش بجماعه من اصحابه و استصفى اموالهم، و قد تولى المصادر اسحاق بن ابراهيم نائب الخليفه ببغداد و صاحب شرطته(٥). و يقال انه اخذ من بيته الف الف دينار، و اخذ اثاثا و فرشاً و آنيه قلدرت قيمتها

١- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٤.

٢- الطبرى ٩٠ / ٢١.

٣- معجم الادباء ٥ / ٣١٨ - ٣١٩.

٤- شذرات الذهب ٢ / ١٢٢.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٢.

بالف الف دينار كذلك(١). و يقول مؤلف كتاب «العيون و الحدائق فى اخبار الحقائق» انه اخذ منه من الاموال ما لا يحصى حتى ان المعتصم بالله قال: ما كنت اعلم ان فى الدنيا من له مثل هذا المال(٢). و هناك من يقول انه اخذ منه عشره الاف الف دينار(٣).

و قال المعتصم بالله لما قبض على الفضل بن مروان انه عصى الله فى طاعتي فسلطتى عليه(٤). ان ذلك دليل على استغلال الفضل و بطشه بالناس. و بلغ من تدمر الناس و شكواهم منه انه جلس يوما لقضاء اشغال الناس، فرفعت اليه قصص العامه، فرأى فى جملتها رقعته كتب عليها(٥):

تفرغت يا فضل بن مروان فقبلك كان الفضل و الفضل و الفضل

ثلاثه املاك مضوا لسيلهم ابادتهم الأقياد و الحبس و القتل

و انك قد اصبحت فى الناس ظالماستودى كما اودى الثلاثه من قبل

١- وفيات الاعيان ٣/ ٢١٤، و شذرات الذهب ٢/ ١٢٢.

٢- العيون و الحدائق ٣/ ٣٨٤.

٣- العبر ١/ ٣٧٩.

٤- وفيات الاعيان ٣/ ٢١٤.

٥- نفس المصدر/ ٢١٣، و يريد بالفضول الثلاثه: الفضل بن يحيى البرمكى، و الفضل بن سهل، و الفضل بن الربيع. و الفخرى/ ٢١٢ و قد اقتصر على البيتين الاوليين، و جاء عجز البيت الثانى: ابادهم التقييد و الاسر و القتل. و يقول ان هذه الايات للهيشم بن فراس السامى. و معجم الادباء ٢/ ١٢٦ و عجز البيت الثانى فيه: ابادهم الموت المشتت و القتل.

و روى صاحب الهفوات النادره هذا الخبر على الشكل التالى:

تظلم اعرابى الى الفضل بن مروان من بعض عماله، فصرف وجهه عنه و انتهره، فوقف متحيرا واجما، ثم قال: أ يأستنى من عدلك فاسمع منى واصغ ما بدا لك، ثم انشده الأبيات المذكوره، مع تغيير فى بعض الالفاظ. فتغير وجه الفضل و امتقع لونه و بان غضبه و غيظه، و تصبر، و لم يرد على الاعرابى، و لا امر بانصافه، و لم يكن بين ذلك و بين القبض عليه الا ايام يسيره(١).

و قال الفضل عن اسباب مصادرتة: ما فى الارض اجهل من وزير يطلب الخليفه منه مالا و هو فى ولايته فيعطيه اياه، فانه يطمعه فى نعمته، و انما يدفع النكبه مده ثم تحدث و قد ذهب المال.

فمن ذلك ان المعتصم بالله لما خرج لغزو الروم، و انا وزيره، استخلفنى على سر من رأى، فلما عاد طمع فى فقال لى: قد وردت و المال نزر و الجيش مستحق فاحتل لى مائه الف دينار من مالك و جاهك، ففعلت. فلما مضى شهر طلب منى على هذا السبيل خمسين الف دينار، ففعلت. فطلب منى فى الدفعه الثالثه بمثل هذا الوجه ثلاثين الف دينار، فوعده بها و دافعته اياما ثم حماتها اليه. فبلغنى انه قال لأبنة هارون: هذا النبطى ابن النبطيه اخذ مالى جمله، و هو ذا يتصدق على تفاريق(٢).

و قد شمت الناس بالفضل بن مروان لما نكب، و قال فيه بعضهم(٣):

١- الهفوات النادره / ٢٥٦-٢٥٧.

٢- نشوار المحاضره ٨ / ٤٨.

٣- الكامل ٦ / ٤٥٤.

لييك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يعرف

لقد صحب الدنيا منوعا لخيرهاو فارقها و هو الظلوم المعنف

الى النار فليذهب و من كان مثله على أى شىء فالتنا منه نأسف

و من المأثور عن الفضل بن مروان انه كان يقول: لا- تتعرض لعدوك و هو مقبل فأن اقباله يعينه عليك، و لا تتعرض له و هو مدبر فان ادباره يكفيك امره(١). و قد عفى عنه الخليفة المعتصم بالله بعد مده و اطلق سراحه من الحبس. فخدم جماعه من الخلفاء بعده حتى مات فى سنة (٢٥٠ هـ) فى ايام المستعين بالله، و قد جاوز التسعين سنة من عمره. و للفضل كتاب جمع فيه من الاخبار التى علم بها، و المشاهد التى رآها، سماه «ديوان الرسائل»(٢).

و لم يحفظ لنا المؤرخون من اعماله و اخباره الا التزر اليسير.

منها ان الخليفة المهدي بن المنصور كان قد امر بأن يجعل يوم الخميس عطلة لموظفى الديوان يستريحون فيه و ينظرون فى امورهم، و يوم الجمعة للصلاه، اى الى ان ولى الفضل بن مروان الوزاره للمعتصم بالله فزال ذلك و الزم الموظفين بالدوام يوم الخميس(٣).

---

١- وفيات الاعيان ٣/ ٢١٤.

٢- الفهرست / ١٩٠.

٣- الوزراء و الكتاب / ١٦٦.

و عند ما قبض على الفضل اشار البحتري الى ذلك ببضعه ابيات وجهها اليه(١):

لا تعجبن فما للدهر من عجب و لا من الله من حصن و لا هرب

يا فضل لا تجز عن مما رميت به من خاصم الدهر جائاه على الركب

كم من كريم نشا فى بيت مملكها تارك مكتثا بالهم و الكرب

اوليته منك اذلالا و منقصهو خاب منك و من ذى العرش لم يخب

ما تشتفى فعله ابكيت ناظرها حتى تراك على عود من الغرب

و ظاهر من هذه الابيات ان الشاعر يبكت الفضل و يلومه على سوء معاملته الناس، و ان ما اصابه انما كان نتيجة افعاله، فلا داعى لأن يتعجب مما آل اليه مصيره.

و لما قبض المعتصم بالله على الفضل، قعد للعامه فوجد قصته فيها(٢):

يا فضل لا تجز عن مما بليت به من خاصم الدهر جائاه على الركب

---

١- ديوان البحتري ١ / ٣٥٨.

٢- محاضرات الادباء ١ / ٨٦.

خنت الامام و هذا الخلق قاطبهو جرت حتى اتى المقدار فى الكتب

جمعت شتى و قد اديتها جملاً أنت اخسر من حماله الحطب

و كان الشاعر الهجاء دعبل الخزاعى قد نصح الفضل بن مروان و حذره من مغبه اعماله بايات من الشعر طريقه هي (١):

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل و قلت فسير مقاله فى الفضل

الا ان فى الفضل بن سهل لعبرهان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل

و فى ابن الربيع الفضل للفضل زاجرا اذا ازدرج الفضل بن مروان بالفضل

و للفضل فى الفضل بن يحيى مواعظا اذا تعظ الفضل بن مروان بالفضل

اذا ذكروا يوما و قد صرت رابعاً كرت بقدر السعى منك الى الفضل

فابق جميلاً من حيث تفز به و لا تدع الاحسان و الاخذ بالفضل



فانك قد اصبحت للملك قيماو صرت مكان الفضل و الفضل و الفضل

و لم أر ابياتا من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل و الفضل

و ليس لها عيب اذا هي أنشدت سوى ان نصحي الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بدنانير و قال له: قد قبلت نصحك، فأكفني خيرك و شرك. و ابيات دعبل على بسطاتها و طرفتها لا تخلو من الانتقاد و التعريض، الى جانب ما تضمنته من النصح و التحذير.

قد ادرك الفضل ما قصد اليه الشاعر الهجاء.

و قد اصبحت نكبه الفضل بن مروان مما يضرب به المثل، فقد قال احد الشعراء(١):

يكفيك من غير الايام ما صنعت حوادث الدهر بالفضل بن مروان

## ٢- محمد بن عبد الملك الزيات::

لما غضب الخليفة المعتصم بالله على كاتبه و وزيره الفضل بن مروان و أمر بمصادرته و حبسه، استوزر احمد بن عمار البصرى.

و كان ابن عمار هذا رجلا موسرا من اهل المزار- و هى قصبه ميسان بين البصره و واسط(٢)- و كان طحانا، فانتقل الى البصره

---

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٢.

٢- معجم البلدان ٥ / ٨٨.

و اشترى بها املاكا فكثر ماله، ثم انتقل الى بغداد فاتسع حاله.

و قالوا انه كان يخرج من الصدقه فى كل يوم مائه دينار(١).

و عند ما كان الفضل بن مروان فى خدمه المعتصم بالله كان يصف له بن عمار بالامانه، فلما طرد الفضل استوزر الخليفه ابن عمار لأمانته(٢). و قيل ان لم يكن وزيرا بل كان كاتبا خاصا للمعتصم بالله عند ما غضب على الفضل بن مروان صير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات(٣).

و يظهر ان المعتصم بالله استخدم احمد بن عمار لما عرفه من امانته وسعه حاله لكى يأمن استغلاله منصبه فى ارهاق الناس و احتواء الاموال، كما فعل ابن مروان. الا ان احمد بن عمار كان جاهلا باعمال الوزاره و مهامها. و فيه قال بعض شعراء عصره(٤):

سبحان ربى الخالق البارى صرت وزيرا يا ابن عمار

و كنت طحانا على بغله غير دكان و لا دار

كفرت بالمقدار ان لم تكن قد جزت فى ذا كل مقدار

---

١- الفخرى / ٢١٣.

٢- نفس المصدر. ( ٣٢ ) التنبيه و الاشراف / ٣٠٨.

٣- الطبرى ٩ / ٢٠ و ٢٢، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٤، و تاريخ ابن

٤- الفخرى / ٢١٣. خلدون ٣ / ٥٤٨ و العبر ١ / ٣٧٩.

و قد لبث فى الوزاره مده يسيره ثم اعفى منها.

فأستأذن الخليفه بان يسمح له بالخروج الى الحج و المجاوره، فأذن له المعتصم بالله و وصله بعشره الاف دينار. و دفع اليه عشرين الف دينار ليصرفها فى اهل الحرمين من الهاشميين و القرشيين و الأنصار. فقال: و اذا تقدم غيرهم ممن يستحق فماذا اعطيهم؟ فاعطاه خمسه الاف اخرى. و حج ابن عمار و فرق المال كله مع العشره الاف التى كانت له، و جاور سنه ثم انصرف. فكان الناس هناك يضربون المثل بذلك العام، و يقولون ما رأينا مثل عام ابن عمار(١).

اشرنا آنفا الى ان المعتصم بالله اعجب بسعه اطلاع محمد بن عبد الملك الزيات و وفره معلوماته فاتخذته وزيراً بدلاً من ابن عمار.

الا ان روايه صاحب الهفوات النادره، ان صحت، تدحض ذلك و ترجح احتمال ان ابن عمار هو الذى رشح صاحبه و صديقه ابن الزيات للخليفه ليوليه الوزاره، لما يعرفه عنه من غزاره العلم، و الأمانه. و كان جد محمد بن عبد الملك الزيات ابان بن حمزه قرويا من اهل جبل و هى قريه من اعمال بغداد تحت المدائن(٢).

و كان يجلب الزيت الى بغداد، فنسب اليه و لقب بالزيات. و يظهر ان اباه عند ما انتقل الى بغداد عمل فى التجاره فصار من اغنياء التجار، بحيث ان ابراهيم بن المهدي عند ما بايعه اهل بغداد بالخلافه و احتاج الى المال اقترض من عدد من التجار، كان عبد الملك الزيات احدهم.

١- ثمار القلوب / ٢٠٤.

٢- معجم البلدان ٢ / ٢٠٢. و يقول ابو الفرج ان اسم القريه جبل و هى مقابله لقريه دسكره غربى بغداد. الاغانى ٢٣ / ٤٦.

نشأ محمد ببغداد و انصرف الى طلب العلم و المعرفة فاصبح اديبا اريبا، عالما، فى النحو، بليغا فى اللغة. حتى ان ابا عثمان المازنى لما قدم بغداد فى ايام المعتصم بالله، كان اذا اختلف جلساؤه فيما يقع فيه الشك من علم النحو، يقول لهم عليكم بمحمد فاعرفوا جوابه. و كانت اجوبه محمد مصيبه دائما يرتضيها ابو عثمان(١). و قد وصفه ابن الطقطقى بحده الذكاء و انه «برع فى كل شىء حتى صار نادره و قته عقلا- و فهما و ذكاء و كتابه و شعرا و خبره بأداب الرياسه و قواعد الملوک»(٢). و قال عنه الخطيب البغدادي انه كان اديبا فاضلا عالما بالنحو و اللغة(٣). و قال عنه ابن خلكان مثل ذلك و اضاف انه كان من اهل الأدب الظاهر و الفضل الباهر(٤). و يروى انه لما تولى الوزاره اشترط الا يلبس القباء، و ان يلبس الدراعه و يتقلد عليها سيفا بحمائل، فأجيب الى طلبه(٥).

لقد نهض ابن الزيات باعباء الوزاره على احسن وجه بحيث حاز ثقه الخليفه و رضاه. و يقول ابن الطقطقى انه نهض بالوزاره نهوضا لم يكن لمن تقدمه من اضرابه، الا- انه يقول ايضا انه كان جبارا متكبرا، فظا غليظ القلب، خشن الجانب، مبغضا الى الخلق(٦). لقد كان ابن الزيات فى الواقع وزيرا حازما و اداريا

١- تاريخ بغداد ٢ / ٣٤٢، و وفیات الاعيان ٤ / ١٨٢.

٢- الفخرى / ٢١٣.

٣- تاريخ بغداد ٢ / ٣٤٢.

٤- وفیات الاعيان ٤ / ١٨٢.

٥- الاغانى ٢٣ / ٥٢.

٦- الفخرى / ٢١٣.

قديرا. عرف بالشده و الصرامه. و قد اناط به المعتصم بالله مسؤوليه جميع ما بناه فى سر من رأى فى كلا جانبيها الشرقى و الغربى(١). و بلغ من قوه نفوذه انه كان يعقد للولاه، فقد عقد لاسحاق بن ابى خميصته على اليمامه و البحرين و طريق مكه ممايلى البصره، فى دار الخلافه. و لم يذكر ان احدا من الوزراء قام بذلك غيره(٢). و قد وصفه كاتبه احمد ابن اسرائيل بقوله: كان ابن الزيات قليل الخير، لا يرعى ذماما و لا يوجب حرمه، و لا يحب ان يصطنع احدا(٣). و روى ابو الفرج بعض الاخبار الداله على لؤم ابن الزيات و حقه و حسده. فقد مر ذات يوم بدار ابراهيم بن فرأى فيه قبه مشيده، فساءه ان يرى مظاهر الجاه و الثراء عليه، فقال:

اما القباب فقد اراها شيدت و عسى امور بعد ذاك تكون

عبد عرت منه خلائق جهله اذ راح من الثراء و هو سمين

فما كانت الا ايام حتى اوقع بابن رباح و نكبه(٤). و من مظاهر لؤمه ايضا انه كان له جار، فلما بلغ ابن الزيات ما بلغ، شخص اليه ذلك الجار يطلب اقاله عثرته. فقال: قد علمت حالك، فانصرف وعد الى فى غد. فولى الرجل، فلما صار غير بعيد منه

١- الطبرى ٩ / ٢٠.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٠.

٣- الفرج بعد الشده ٣ / ٢٧٥.

٤- الاغانى ٢٣ / ٧٢.

دعا به وقال له: والله مالك عندي شىء. ثم اقبل على بعض من كان بين يديه فقال: انما رددته و آيسسته بخلا عليه بفسحه الأمل بقيه يومه(١). وذلك منتهى اللؤم و البخل على الآخرين و بخاصه ذوى الحاجه منهم.

ى انه مع رغم قسوه ابن الزيات و حقه و صرامته، فقد كان لا يخلو من العدل و الانصاف فى معامله الآخرين احيانا. فقد جلس يوما للمظالم فتقدم اليه رجل ادعى بأنه مظلوم و ان الوزير نفسه قد ظلمه. فسأله عن امره، فأوضح له ان وكيله قد اغتصب ضيعه له، و هو لا يزال يدفع خراجها لثلا يفقد ملكيتها، بحيث اصبح(٢) و كيل الوزير يأخذ غلتها، و يؤدى صاحبها خراجها، و ان ما لم يسمع فى الظلم مثله. فسأله لما تأخر فى شكواه، فأجاب بأن خوفه من سطوته و قوه حجه منعه من التقدم بالشكوى. فقال ابن الزيات:

ان ذلك يحتاج الى بينه و شهود و اشياء. قال الرجل: أيؤمننى الوزير من غضبه حتى اجيب؟ قال: قد امنتك. قال: البينه هم الشهود و اذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شىء، و ما قولك و اشياء الا للتعجيز. فضحك محمد(٣) قال: صدقت. ثم وقع له برد ضيعته، و ان يطلق له كر حنطه و كر شعير و مائه دينار يستعين بها على عماره ضيعته، و صيره من اصحابه(٤).

نستدل من هذا الخبر على عنت الحكام و سوء تصرف و كلائهم فى اغتصاب اموال الآخرين، او التمتع بغلاتها و خيراتها، و حرمان

١- جمع الجواهر فى الملح و النوادر / ٣٠٠.

٢- الاغانى ٢٣ / ٤٧-٤٨، و الهفوات النادره / ٣٨٩-٣٩٠.

٣- العقد الفريد ٣ / ٢١٣.

٤- عيون الانباء / ٢٨٤.

اصحابها الشرعيين من ذلك. و اذا ما انصف ابن الزيات احد هؤلاء المغتصبه اموالهم لأنه تجراً فاشتكى منه اليه، فان هناك عديد من امثاله ممن لا تصل شكواهم الى مسؤول.

يقول ابن عبد ربه ان محمد بن عبد الملك كان يأنس باهل البلاده و يستوحش من اهل الذكاء. فسئل عن ذلك، فقال: مؤونه التحفظ شديد(١). و هذا يلقي ضوءاً على جانب من شخصيته، هو رغبته في التميز على الآخرين، و ذلك لا يتاح له الا اذا كانوا دونه كفايه و ذكاء. كما ان ذلك يعفيه من التحفظ في اقواله و افعاله امامهم لأنهم لا يملكون قدره الاعتراض عليه او مناقشته، و انهم لا ينتبهون الى ما يهدف اليه من بعض اعماله و تصرفاته.

كان ابن الزيات مولعاً بالآداب و العلوم الى جانب كفايته الاداريه و السياسيه. و قد شجع نقل الكتب اليونانيه الى العربيه و قد انفق على ذلك مبالغ كبيره. يقول ابن ابي اصيبه ان عطاءه للنقله و النساخ يقارب الفى دينار في كل شهر، و ان بعض الكتب نقلت باسمه، و قام بذلك كبار الأطباء و المترجمين مثل يوحنا بن ماسويه و سلمويه بن بنان و اسرائيل بن زكريا الطيفورى(٢).

و ذكر صاحب الفهرست ان حنين بن اسحاق نقل لمحمد بن عبد الملك الزيات الى العربي كتاب الصوت و هو اربع مقالات(٣). و يمكن ان نستنتج مما كان ينفقه على المترجمين و ما كان يهديه اليه بعض المؤلفين انه كانت له بسامرا خزانه كتب كبيره تضم مجلدات من الكتب الموضوعه و المترجمه في مختلف الفنون و العلوم.

١- الفهرست / ٤١٨.

٢- معجم الادباء ٦ / ٧٥.

٣- نفس المصدر / ٨٥-٨٦.

كما كان ابن الزيات يرمى الادباء و الشعراء. و كان عمرو بن بحر الجاحظ كبير ادباء عصره ملازما له مختصا به. و قد انحرف بسببه عن قاضى القضاء احمد بن ابى دواد، للخصومه التى كانت بين ابن الزيات و ابن ابى دواد. و قد اهدى الجاحظ كتابه «الحيوان» الى ابن الزيات فمنحه خمسة الاف دينار(١). و قال الجاحظ: اردت الخروج الى محمد بن عبد الملك ففكرت شىء اهديه اليه فلم اجد اشرف من كتاب سيبويه، و قلت له اردت ان اهديك شيئا ففكرت فاذا كل شىء عندك، فلم أر اشرف من هذا الكتاب و قد اشتريته من ميراث القراء. قال: و الله ما اهديت الى شيئا احب الى منه(٢).

لقد جمع ابن الزيات بين النثر و الشعر، فكان شاعرا مجيدا لا يقاس به احد من الكتاب. قال الصولى: كنا نقول لم يل الوزاره اشعر من أحمد بن يوسف حتى ولى محمد بن عبد الملك فكان اشعر منه(٣). و من رقيق شعره قوله:

سماعا يا عباد الله منى و كفوا عن ملاحظه الملاح

فأن الحب آخره المنايا و اوله بهيج بالمزاح

و قالوا: دع مراقبه الثريا و نم فالليل مسود الجناح

١- الاوراق / ٢٠٦.

٢- لاغانى ٢٣ / ٤٦-٤٧.

٣- ديوان البحترى ١ / ٦٣٢-٦٣٨.



فقلت: و هل افاق القلب حتى افرق بين ليلي و الصباح

و قد افرد ابو الفرج فصلا في كتابه لابن الزيات باعتباره ادبيا شاعرا و روى له عددا من المقاطع الشعرية(١).

و مدح ابن الزيات عدد من شعراء عصره و على رأسهم البحترى، فقد مدحه بقصيده يصف فيها بلاغته و عزمه و كفايته، جاء فيها(٢):

في نظام من البلاغه ماشك امرؤ انه نظام فريد

و معان لو فضلتها القوافي هجنت شعر جرول و لبيد

حزن مستعمل الكلام اختبارا و تجنبن ظلمه التعقيد

و ركن اللفظ القريب فادركن به غايه المراد البعيد

و ارى الناس مجمعين على فضلك من بين سيد و مسود

عرف العالمون فضلك بالعلم و قال الجهال بالتقليد

---

١- ديوان ابى تمام ١ / ٢٣٩ - ٢٥٩.

٢- نشوار المحاضره ٨ / ٩١.

صارم العزم حاضر الحزم سارى الفكر ثبت المقام صلب العود

دق فهما وجل حلما فأرضى الله فينا و الواثق بن الرشيد

قد تلقيت كل يوم جديديا ابا جعفر بمجد جديد

و اذ استطرفت سياده قوم بنت بالسؤدد الطريف التليد

و مدحه ابو تمام الطائي بقصيده منها(١):

و عاذل هاج باللؤم مأربه باتت عليها هموم النفس تصطخب

لما اطال ارتجال العذل قلت له الحزم يثنى خطوب الدهر لا الخطب

لم يجتمع قط فى مصر و لا طرف محمد بن ابى مروان و النوب

لى من ابى جعفر آخيه سبب ان تبق يطلب الى معروفى السبب

صحت فيما يتمارى من تأملها من فرط نائله فى انها نسب

لن يكرم الظفر المعطى و ان اخذت به الرغائب حتى يكرم الطلب

ردء الخلافه فى الجلى اذا نزلت و قيم الملك لا الوانى و لا النصب

لقى اليك عرى الأمر الامام فقدشد العتاج من السلطان و الكرب

يعشو اليك وضوء الرأى قائده خليفه انما آراؤه شهب

و قد بقى محمد بن عبد الملك الزيات محتفظا بمركزه فى الوزاره طيله ايام الخليفه المعتصم بالله، و فى ايام ابنه الواثق بالله و بعض ايام المتوكل على الله. و قال الفضل بن مروان: لا نعلم وزيرا و زر و زاره واحده بلا حرف لثلاثه خلفاء منسقين غير محمد بن عبد الملك(١). و يؤيد ابو الفرج ذلك بقوله: انه و زر ثلاث دفعات و هو اول من تولى ذلك(٢).

و كان من اول اعمال الواثق بالله عند ما تولى الخلافه انه اتخذ وزير ابيه وزيرا له، لما كان يتوسمه فيه من الدرايه و الكفايه، و عمق المعرفه وسعه الاطلاع، رغم انه كان ينقم عليه امورا كثيره قاساها منه عند ما كان اميرا. بحيث انه قال يوما لخادمه: قد تم على من هذا الكلب كل مكروه، فاذا افضت الى الخلافه فقتلنى ان لم اقتله(٣). و يقول ابن الطقطقى ان الواثق كتب بخطه كتابا و حلف فيه ليقتلن ابن الزيات(٤). الا انه عند ما آلت اليه الخلافه

١- نشوار المحاضره ٨ / ١٩.

٢- الفخرى / ٢١٤.

٣- نفس المصدر، و نشوار المحاضره ٨ / ١٧ - ١٩.

٤- وفيات الاعيان ٤ / ١٨٦.

و حضر الدار جميع الكتاب، لم يرق له ما كتبه عن موت ابيه و توليه الخلافة، فاضطر ان يطلب الى ابن الزيات ان يكتب ذلك. فكتب كتابا نال استحسان الواثق بالله بحيث امر بتحرير الكتب الى جميع الجهات بموجبه(١). و اقره في الوزاره لأنه لم يجد من يقوم مقامه من حيث درايته و حسن سياسته الى سعه اطلاعه و معرفته بتدبير الأمور. و فوض اليه ملكه و صار لا يصدر الا عن رأيه. و يروى انه قال ان عن المال و الفديه عن اليمين عوض، و ليس عن الملك و ابن الزيات عوض(٢). و انه قال: و الله ما يمنعني من الوفاء بيمينى الا النفاسه على ان يخلو الملك من امثاله(٣). و لذلك فانه لم يستوزر غيره طيله حياته. على الرغم من ان ابن الزيات كان كما يقول اليعقوبى بشىء من التحامل عليه: شديد القسوه، قليل الرحمه، جباها للناس، كثير الاستخفاف بهم، و لا معروف عنده(٤).

و عند ما بويع للمتوكل على الله بالخلافه استمر محمد بن عبد الملك الزيات فى الوزاره، الا ان المتوكل على الله كان يعقد عليه بعض الامور. و قد سبق ان اشرنا الى ما كان يحمله من حقد على ابن الزيات و القائد التركى ايتاخ. لانهما كانا عارضا ترشيحه للخلافه و اقترحا قتله للتخلص منه. اضافه الى ان ابن الزيات كان يسيء معاملته فى عهد اخيه الواثق بالله. لذا كان من المتوقع ان يتخلص الخليفه من ابن الزيات الا انه تمهل قليلا قبل ان يقدم على ذلك. و يقول ابو الفرج انه «خشى ان نكبه عاجلا ان يستتر اسبابه فتفوته بغيته فيه، فاستوزره و خلع عليه. و جعل ابن ابى

١- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ٣٠٣-٣٠٤.

٢- و فيات الاعيان ١٨٦/٤.

٣- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ٣٠٣-٣٠٤.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢/٤٨٤.

دواد يغريه به و يجد لذلك عنده موقعا و استماعا»(١). حتى اذا كان يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر من سنه (٢٣٣ هـ) عزم المتوكل على الله على الفتك به. فأمر كبير قواده و حاجبه ايتاخ ان يقبض على ابن الزيات و يعذبه. فقبض عليه و اودعه السجن.

و وجه اثنين من وجوه اصحابه هما يزيد بن عبد الله الحلواني و هرثمه شارباميان الى داره و اخذا جميع ما فيه(٢).

و كان الخليفه قد وجه راشدا المغربى الى بغداد لقبض ما لأبن الزيات فيها من الاموال، و امر ابا الوزير احمد بن خالد بقبض ضياعه و ضياع اهل بيته حيثما كانت. و اجر ابن الزيات على ان يوكل العباس بن احمد كاتب القائد عجيف بن عنسه ببيع ما يملكه. فكانت قيمه ما قبض له تسعين الف دينار، و قيل مائه الف دينار(٣).

و قيد ابن الزيات فى سجنه بأمر الخليفه، فامتنع عن الطعام، و كان شديد الجزع كثير البكاء قليل الكلام. و كان ابن الزيات قد اتخذ للمصادررين و المغضوب عليهم تنورا من الخشب فيه مسامير اطرافها الى داخل التنور، يعذبهم فيه. فأمر المتوكل على الله بادخاله فى ذلك التنور فبقى فيه اياما فمات(٤). و هناك اختلاف فى سبب موته، فقد قيل انه ضرب فمات و هو يضرب، و قيل انه مات بغير

١- الاغانى ٢٣ / ٧٢ - ٧٣.

٢- الطبرى ٩ / ١٥٨.

٣- نفس المصدر / ١٥٨ و ١٦١ و الاغانى ٢٣ / ٧٤.

٤- نفس المصدر / ١٥٩، و الكامل ٧ / ٣٧، و مروج الذهب ٤ / ٨٨ و فيه كان التنور من الحديد، و كذلك جاء فى الاغانى ٢٣ / ٧٤.

ضرب، و يفهم مما ذكره مسكويه انه مات من جراء تعذيبه فى التنور(١).

و يقول المسعودى ان ابن الزيات لما ادخل التنور طلب دواه و بطاقة فكتب الى الخليفه:

هى السبيل فمن يوم الى يوم كأنه ما تريك العين فى النوم

لا تجزعن رويدا انها دول دنيا تنقل من قوم الى قوم

الا ان المتوكل على الله لم يطلع على الرقعته فى يومها، فلما كان الغد قرأها فأمر باخراجها، فوجد ميتا(٢). و ذكر عن احد حراسه انه سمعه قبل موته يقول لنفسه: يا محمد لم تقنعك نعمه و الدواب الفره و الدار النظيفه و الكسوه الفاخره و انت فى عافيه، حتى طلبت الوزاره، ذق ما عملت بنفسك، ثم سكت عن ذلك، و كان لا يزيد على التشهد و ذكر الله، و كانت وفاته فى يوم الخميس لاحدى عشره ليله بقيت من ربيع الأول سنه ٢٣٣هـ (٣) بعد ان لبث فى الوزاره اربعه عشر عاما و بضعه اشهر. و يقول ابو الفرج ان المتوكل على الله «ندم على قتله و لم يجد منه عوضا» و كان يقول لأحمد بن ابى دواد «اطمعتنى فى باطل، و حملتنى على امر لم اجد منه عوضا»(٤).

١- الطبرى ٩ / ١٥٩، و الكامل ٧ / ٣٨، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٩.

٢- مروج الذهب ٤ / ٨٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٦٠، و الكامل ٧ / ٣٨.

٤- الاغانى ٢٣ / ٧٣.

و قد رثاه صديقه و اقرب الناس اليه الحسن بن وهب بشعر كان يتنصل منه خوفا على حياته، جاء فيه (١):

يكاد القلب من جزع يطير اذا ما قيل قد قتل الوزير

أمير المؤمنين هدمت ركناعليه رحاكم كانت تدور

سيلى الملك من جزع عليه و يخرب حين تضطرب الامور

فمهلا يا بنى العباس مهلا فقد كويت بنعلكم الصدور

الى كم تنكبون الناس ظلما لكم فى كل ملحمة عقير

جزيتم ناصرا لكم المنايا و ليس كذلكم يجرى النصير

### ٣- احمد بن خالد:

ابو الوزير، من كتاب الدوله العربيه. و لما عزم المعتصم بالله على بناء مدينه سامرا كلف وزيره محمد بن عبد الملك الزيات و اثنين من الكتاب لشراء الارض التى قرر انشاء المدينه عليها،

كان احدهما احمد بن خالد (١). و يقول الطبرى ان المعتصم بالله بعث احمد بن خالد الى ناحيه موقع سامرا ليشتري له ارضا يبنى فيها مدينه، و امره ان يأخذ معه مائه الف دينار ليدفع قيمه ما يشتريه فقال احمد انه سيأخذ خمسه الاف دينار و كلما احتاج الى زياده بعث الى الخليفه يستزيده، فاتي الموضوع و اشترى ما كلفه به الخليفه (٢).

و ولى احمد بن خالد للخليفه المعتصم بالله خراج مصر فى سنه (٢٢٦ هـ) حينما قدم اليها يحمل معه كتاب ولايه القضاء لمحمد بن ابى الليث (٣). و يظهر انه عاد الى الكتابه فى ديوان الخلافه، اذ كان من جمله الكتاب الذين صادرهم الواثق بالله سنه (٢٢٩ هـ) فاخذ منه صلحا، اى دون ان يأمر بضربه، مائه و اربعين الف دينار (٤). و عند وفاه الواثق بالله كان احمد بن خالد من الحاضرين فى قصر الخلافه مع الوزير ابن الزيات و قاضى القضاء ابن ابى دواد و كبار القواد الاتراك، و شارك فى اختيار المتوكل على الله للخلافه (٥).

و عند ما كان المتوكل على الله مغضوبا عليه من اخيه الواثق بالله، و يلقي عننا من الوزير ابن الزيات و من عمر بن فرج الرخجى صاحب ديوان النفقات، كان ابو الوزير و هو زمام على عمر المذكور آنذاك يواسيه و يحسن معاملته (٦). مما كان له أثر حسن فى نفس المتوكل على الله، فاخذ عند استخلافه يعتمد عليه فى اداء بعض المهام. اذ وجهه لقبض ضياع ابن الزيات عند ما

١- كتاب البلدان / ٢٥٧-٢٥٨.

٢- الطبرى ٩ / ١٧.

٣- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٤٤٩.

٤- الطبرى ٩ / ١٢٥، و الكامل ٧ / ١٠، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٨ و فيه انه اخذ منه مائتى الف دينار.

٥- الطبرى ٩ / ١٥٤، و الكامل ٧ / ٣٣، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٥.

٦- الطبرى ٩ / ١٥٧.



سخط عليه، كما اشرنا آنفا. ثم اناط به مهام الوزارة من غير ان يسميه بها. الا انه سرعان ما غضب عليه و امر في ذى الحجه من السنه نفسها بمحاسبتة و مصادرتة، و اخذ منه ستين الف دينار، و بدرا من الدراهم و الحلى، و من متاع مصر و بضائعها اثنين و ستين سقفا، و اثنين و ثلاثين غلاما، و فرشا كثيره(١). ثم ما لبث ان رضى عنه ثانيه، فولاه خراج مصر فى سنه (٢٣٨ هـ) شريكا لعنيسه بن اسحاق الضبى(٢).

#### ٤- محمد بن الفضل الجرجائى:

ابو جعفر، كان يكتب للفضل بن مروان، و هو من جرجايا من اعمال النهروان الأسفل بين بغداد و واسط(٣). و كان شيخا ظريفا حسن الأدب. عالما بالغناء مشتتها به(٤). استكتبه الخليفه المتوكل على الله بعد ان صرف ابا الوزير احمد بن خالد من عمله فى (٢٣٣ هـ)(٥). الا انه اضطر بعد مده الى عزله بعد ان كثرت السعايات به، و قال: قد ضجرت بالمشايخ اريد حدثا استوزره(٦).

و لما قتل القائد التركى اوتامش المتسلط على الوزارة فى عهد الخليفه المستعين بالله، فى سنه (٢٤٩ هـ) و اشتد الخلاف بين الخليفه

١- الطبرى ١٦٢ / ٩، و الكامل ٢٩ / ٧، و الفخرى / ٢١٦.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٠٠.

٣- معجم البلدان ١٢٣ / ٢.

٤- الفخرى / ٢١٦.

٥- كتاب الطبرى ٢٦٢ / ٩.

٦- الفخرى / ٢١٦.

و الاتراك، اتخذ الخليفة محمد بن الفضل الجرجاني وزيراً(١).

الا انه لم يلبث ان توفي السنه التاليه(٢).

### ٥- عبيد الله بن يحيى بن خاقان:

كان المتوكل على الله قد صرف محمد بن الفضل الجرجاني من وزاره فى سنه (٢٣٦ هـ) و استكتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

و كان اول معرفه المتوكل على الله به، ان عبيد الله كان قد لازم الفضل بن مروان، و هو يتقلد ديوان الضياع، و يعاونه فى الامور الكتابيه. و صادف ان اهل ارمينيه طلبوا من الفضل ان يمضى لهم مقاطعه فى بلادهم فرفض رغم الحاحهم و لجوئهم الى كثير من اصحابه. فلجأوا الى عبيد الله بن يحيى فخاطب الفضل فى امرهم بما جعله يستجيب لطلبهم. فحمل القوم الى عبيد الله خمسه الاف دينار فردها و قال ما كنت لآخذ على معروف ثمننا. فلما خرجوا الى ارمينيه حملوا اليه فرش بيت ارمنى جميلا جدا ببساط عظيم و مصليات و اتخاخ و مخاد و ستور، و كتبوا عليه اسمه و كنيته.

و كان المتوكل على الله حينذاك قد و كل بالطرق و امر الا يدخل شىء من الامتعه الا ان يعرض عليه. فلما عرضت عليه الهديه المذكوره استحسناها و سأل عن عبيد الله و علاقته باهل ارمينيه، و لما اطلع على خبره معهم امر بتسليم الفرش اليه، و قال هذا فتى يدل فعله على كبر همته(٣). و لما صرف المتوكل على الله محمد بن الفضل الجرجاني عن وزاره لم يعين وزيراً و امر اصحاب الدواوين ان يعرضوا عليه اعمالهم، و جعل التوقيع للقائد التركى وصيف. ثم احتاج الى كاتب يكون بين يديه فأمر ان يطلب له حدث

١- الطبرى ٩ / ٢٦٤، و الكامل ٧ / ١٤٤، و الفخرى / ٢٢٠.

٢- الكامل ٧ / ١٣٥.

٣- نشوار المحاضر ٨ / ٥١-٥٣.

من اولاد الكتاب، فسموا له جماعه كان فيهم عبيد الله بن يحيى.

فلما ذكر اسمه تذكر المتوكل على الله حديث الفرش الارمنى، فاختره للكتابه(١).

و لم تزل منزله عبيد الله تتقدم لدى الخليفه حتى امر ان يخلع عليه و ان لا يعرض احد من اصحاب الدواين عليه شيئا، و ان يرفعوا اعمالهم الى عبيد الله ليتولى عرضها عليه. و اجرى عليه فى كل شهر عشره الاف درهم. و قوى امر عبيد الله فحذف اسم القائد وصيف من التوقيع و اثبت اسمه. ثم امر له الخليفه برزق الوزاره، ثم خوطب بها(٢). و لشده اعتماد المتوكل على الله على عبيد الله قلده كتابه ابنه المعتر و المؤيد و ضم اليهما بضعه عشر الف رجل و جعل تدبيرهم الى عبيد الله ايضا، فصار وزيرا اميرا(٣).

و قد ضم اليه توقيع ديوان العامه فى سنه (٢٤٥ هـ) فاستخلف ابن عمه يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان(٤).

كان عبيد الله من خيره الكتاب، حسن الخط و له معرفه بالحساب و الاستيفاء، و رغم انه كان فى تصرفاته بعض التخليط الا ان كرم نفسه و حسن اخلاقه، و نزاهته و عفته، غطت على عيوبه(٥). و قد اعجب به المتوكل على الله فرفعه و اعلى مرتبته و ولاه و امره ان يكتب: مولى امير المؤمنين، و ان يأمر كتاب الدواوين ان يوقعوا باسمه. فاستعفاه يحيى من ذلك. الا انه اخذ يولى العمال على الخراج و الضياع و البريد و المعادن، و يعين القضاء فى جميع انحاء الدوله. و قد سلك فى اعماله سيره حسنه

١- نفس المصدر / ٨٣.

٢- نفس المصدر.

٣- نشوار المحاضره ٨ / ١٥ - ١٦.

٤- الطبرى ٩ / ٢١٧.

٥- الفخرى / ٢١٦.

جعلته محمودا عند الناس (١). و من تعففه ان صاحب مصر حمل اليه مائتى الف دينار و ثلاثين سفظا من الثياب المصريه، فلما احضرت بين يديه، قال لو كيل صاحب مصر: لا و الله لا اقبلها و لا اثقل عليه بذلك، ثم فتح الأسفاط و اخذ منها منديلا لطيفا وضعه تحت فخذه، و امر بالمال فحمل الى خزانه الديوان (٢).

و قد وصفه ابو العيناء الأديب الشاعر للمتوكل على الله لما سأله عنه، بقوله: العبد لله و لك منقسم بين طاعته و خدمتك، يؤثر رضاك على كل فائده، و ما عادل بصلاح رعيتك كل لذه (٣).

و عند ما عزم المتوكل على الله بناء مدينه المتوكليه (الجعفرية) حاول نجاح بن سلمه، و كان على ديوان التوقيع و التتبع على العمال، أن يتقرب الى الخليفه بتحريضه على مصادره اموال عبيد الله بن يحيى و عدد من رؤوساء الدواوين، فعرض عليه ان يسمى له قوما يدفعهم اليه حتى يستخرج منهم اربعين الف الف درهم تساعد في نفقه بناء المدينه الجديده. فطلب اليه الخليفه ان يذكر اسماءهم. فرفع اليه نجاح رقعه يذكر فيها موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج، و الحسن بن مخلد صاحب ديوان التوقيع. و خليفته عيسى بن فرخان شاه، و عبيد الله بن يحيى و اخويه عبد الله و زكريا، و آخرين غيرهم، نحو من عشرين رجلا. فلما علم عبيد الله بذلك عمل على انقاذ الجماعه و تسفيه اقتراح نجاح لدى الخليفه. فأقنع نجاحا بان يعتذر للخليفه عما تقدم به، و كان عبيد الله اخذ بنفس الوقت رقعه من موسى و الحسن يتعهدان فيها باستخراج اموال نجاح بن سلمه اذا سلمه الخليفه اليهما، و ضمنا

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٨ - ٤٨٩.

٢- الفخرى / ٢١٦.

٣- الديارات / ٩٠.

تحصيل الفى الف دينار منه. فاقتنع المتوكل على الله باقتراح وزيره، و دفع نجاحا الى غريميه. فاخذاه و اولاده فاقروا بنحو مائه و اربعين الف دينار، سوى الغلات و الغروس و الضياع و غير ذلك. ثم امروا بضرب نجاح حتى مات. فأقر ابناؤه بعد الضرب بسبعين الف دينار اخرى سوى مالهما من الاملاك فأخذت جميعها منهم. كما اخذ بسببه قوم بسامرا و ببغداد و بمكه و بناحية السواد فحبسوا و صودروا(١).

كان عبيد الله مواليا للمتوكل حريصا على ارضائه. فلما رآه يبعد ابنه محمدا المنتصر و ينتقصه شايعه فى ذلك، و بدلا من ان يقرب بين الخليفه و ولى عهده و يعمل على ازاله ما بينهما من اسباب التباعد و الجفاء انتهج سياسه تزيد فى سخط ولى العهد على ابيه. فعند ما عزم المتوكل على الله على الصلاه آخر جمعه فى رمضان سنه (٢٤٧ هـ) و اراد الركوب للذهاب الى المسجد الجامع، قال له عبيد الله و الفتاح بن خاقان ان الناس اجتمعوا و كثروا، من بنى العباس و غيرهم، و اكثرهم متظلم و طالب حاجه، و قد يزعمون امير المؤمنين و هو يشكو ضيق الصدر و وعكه، و اقترحا عليه ان يعهد لأحد و لاه العهد بالصلاه بالناس. فأمر المتوكل على الله ابنه المنتصر بالصلاه. فلما نهض المنتصر ليركب للصلاه، قال للخليفه ان يأمر ابا عبد الله المعتز ليشرفه بذلك و قد ولد له ولد قبل ذلك بيوم. فأمر المعتز فذهب و صلى بالناس، مما اغضب المنتصر(٢).

و لما حل عيد الفطر امر المتوكل على الله ان يصلى المنتصر بالناس، قال له ان الناس يتطلعون الى رؤيه الخليفه، و لا نأمن ان هو لم يحضر الصلاه ان يرجف الناس بعلمته و يتكلمون بامره.

١- الطبرى ٩/ ٢١٤-٢١٧، و الكامل ٧/ ٨٨-٨٩، و تجارب الامم ٦/ ٥٥٤.

٢- الطبرى ٩/ ٢٢٢-٢٢٣.

فأمر بالتهيؤ للصلاه و خرج و صلى بالناس(١). فزاد ذلك فى غضب المنتصر و سخطه على ابيه و رجاله.

و عند ما قتل المتوكل على الله اجتمع الى عبيد الله جند الفرقة التى كانت تحت امرته و يتراوح عددهم بين خمسه الاف و عشره الاف، و قالوا له: انما كنت تصطنعنا لهذا اليوم فأمرنا بامرک و أذن لنا نمل على القوم ميله نقتل المنتصر و من معه من الاتراك و غيرهم. فأبى ذلك و قال: ليس فى هذا حيله و المعتز فى ايديهم(٢). و كان يميل الى المعتز فخاف ان هو تحرك ضد المنتصر و اتباعه ان يقتلوا المعتز. و يقول ابن الطقطقى ان الجند كانوا يحبون عبيد الله بن يحيى لحسن سيرته فيهم فلما قتل المتوكل على الله خاف عبيد الله على نفسه، فاجتمع الجند على بابه و قالوا له: انت احسنت الينا و اقل ما يجب علينا ان نحرسك فى مثل هذه الفتنة، و لازموا بابه و حفظوه(٣).

و لما بويع المنتصر الله بالخلافه بايعه عبيد الله بن يحيى و انصرف. و استوزر الخليفه الجديد احمد بن الخصيب احد كبار الكتاب. و ظل عبيد الله بعيدا عن وزاره فى عهد الخليفه المستعين بالله الذى لم يكن يرتاح اليه، فاغتنم فرصه خروجه الى الحج فبعث خلفه احد رجاله و امره بنفيه الى برقه(٤). و عند ما اضطر المستعين بالله على ترك سامرا و الالتجاء الى بغداد و تفويض امره الى نائبه فيها محمد بن طاهر بن عبد الله الذى وقف الى جانبه فى اول نزاعه مع الاتراك، لعب عبيد الله بن يحيى دورا فى تغيير موقف ابن طاهر من المستعين بالله، و قد قال له مره: ان هذا الذى

١- الطبرى ٩/ ٢٢٣، و الكامل ٧/ ٩٦.

٢- الطبرى ٩/ ٢٢٩، و الكامل ٧/ ٩٩- ١٠٠، و تجارب الامم ٦/ ٥٥٧.

٣- الفخرى ٢١٧.

٤- الطبرى ٩/ ٢٥٨، و الكامل ٧/ ١١٩، و تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٩٥ و فيه انه نفاه الى مكه و قبل وصوله اليها بعث خلفه من نفاه الى برقه.

تنصره و تجد فى امره من اشد الناس نفاقا، و اخبثهم ديناً، و الله لقد امر وصيفاً و بغاً بقتلك فاستعظما ذلك .. و لم يفعلاه. حتى صرفه عما كان عليه من الرأى فى نصره المستعين بالله. فقال محمد ابن طاهر: اخزى الله هذا لا يصلح لدين و لا دنيا(١).

و عند ما تولى المعتمد على الله الخلافه فى رجب سنه (٢٥٦ هـ) استوزر عبد الله بن يحيى(٢). و قد عرف عنه انه كان خبيراً باحوال الرعيه و كفوئاً بعمله ضابطاً للاموال. و لما دخل يعقوب ابن الليث الصفار مدينه نيسابور و قبض على اميرها محمد بن طاهر و اهل بيته، و ارسل رسله الى الخليفه يعلمه بذلك، قال الموفق و الوزير عبيد الله بن يحيى للرسل، ان امير المؤمنين لا يقر يعقوب على ما فعل و انه يأمره بالانصراف بالذى و لاه اياه، فانه ان فعل كان من الاولياء، و الا لم يكن له الا ما للمخالفين(٣).

و عند ما اشتد خلاف يعقوب بن الليث الصفار على الخلافه، و اظهر ما كان يخفيه من مطالعه، و توجه بجيشه نحو سامرا فى سنه (٢٦٢ هـ) خرج المعتمد على الله على رأس جيشه الذى قاده اخوه الموفق، و نزل بالسيب، كان الى جانبه وزيره عبيد الله بن يحيى(٤).

و فى سنه (٢٦٣ هـ) مات عبيد الله بن يحيى، اذ سقط عن دابته فى ميدان كره الصولجان من صدمه خادم له يقال له رشيق.

و ذلك فى يوم الجمعه لعشر خلون من ذى القعدة، فسال الدم من منخره و اذنه. و مات بعد سقوطه بثلاث ساعات، فصلى عليه ابو احمد الموفق و مشى فى جنازته(٥).

١- الطبرى ٩ / ٣٤٢.

٢- الطبرى ٩ / ٤٧٤، و الكامل ٧ / ٢٣٥.

٣- الطبرى ٩ / ٥٥٧، و الكامل ٧ / ٢٦٢.

٤- الطبرى ٩ / ٥١٧.

٥- الطبرى ٩ / ٥٣٢، و المنتظم ٥ / ٤٥.

**٦- احمد بن الخصيب:**

كان احمد بن الخصيب كاتباً للقائد التركي اشناس الذى كان يتولى اعمال الجزيره و الشامات و مصر و المغرب، و كان ابن الخصيب هو المدبر لشؤونه. و قد استصحبه اشناس فى حملته المعتصم بالله على بلاد الروم فى سنه (٢٢٣ هـ) و كلفه مع القائد محمد بن يوسف الثغرى بالتحقيق مع احمد الخليل فاخبرهما بما يعرفه عن مؤامره العباس بن المأمون و المشتركين بها و على الأخص الحارث السمرقندى داعيه العباس، مما ساعد على القضاء على المؤامره و هى فى مهدها(١).

و كان ابن الخصيب احد الكتاب الذين صادرهم الخليفه الواثق بالله، و اخذ منه و من كتابه و من اخيه ما مجموعه الف الف دينار(٢). و يقول اليعقوبى انه انتزعت منه و من اخيه الأموال بعد تعذيبهما و تعذيب امهما(٣).

و لما بويع للمنتصر بالله بالخلافه ابعد عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير ابيه عن الوزارة و جعل كاتبه احمد بن الخصيب وزيراً له. الا انه لم يكن موفقاً فى هذا الاختيار. اذ كان ابن الخصيب تنقصه الكفايه فى الاداره، و لا يعرف شيئاً عن شؤون الدوله. و مع مروءته كانت فيه حده و طيش(٤). و قد وصفه المسعودى بأنه قليل الخير كثير الشر شديد الجهل(٥). و لذلك

١- الطبرى ٩ / ١٧٥.

٢- نفس المصدر / ١٢٥، و الكامل ٧ / ١٠.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨١.

٤- الفخرى / ٢١٧، و الهفوات النادره / ٢٦١.

٥- مروج الذهب ٤ / ١٣٥.



ساءت الاحوال على عهده، كما ساءت سمعته بين الناس و كان كثيرا ما يرفس المتظلمين اليه و ذوى الحاجات اذا ازدحموا عليه، و قد يبصق عليهم و يشتم اعراضهم. فقد عرض له مره رجل من ارباب الحوائج و الح عليه حتى ضايقه و ضغط رجله فى الركاب، فاحتد عليه ابن الخصيب و اخرج رجله من الركاب و ركله فى صدره، فقال احمد بن ابى طاهر(١):

قل للخليفه يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه محلول

فلسانه للشتم فى اعراضنا و الرجل منه فى الصدور تجول

كم طالب لظلامه او حاجه متعرض لكلامه مركول

و قد اعتبر ابن عبد ربه ركل الوزير احد المتظلمين من سوء الأدب(٢). و اورد صاحب «الهفوات النادره» قصصا تدل على جهل ابن الخصيب المطبق، و حمقه الزائد و ضعف لغته و قله ادبه و تسرعه فى الأحكام(٣). و قال فيه ابو العيناء: لو تأمل احمد اخلاقه فاجتنبها لاستغنى عن الاداب يطلبها، و ذمه برساله وضعها على السنه الرؤساء و القواد و الكتاب، يصف كل منهم مساوىء احمد بن الخصيب(٤). و قال عنه احد الشعراء عند ما اشتهرت

١- الهفوات النادره / ٢٦١.

٢- العقد الفريد / ٤ / ١٠.

٣- الهفوات النادره / ٢٦١ - ٢٦٦.

٤- جمع الجواهر فى الملح و النوادر / ٢٠٧ و ٢١٠.

حادثة ركله احد المتظلمين، يحرض الخليفة عليه و يتهمه بحيازه الأموال(١):

قل للخليفة يا ابن عم محمد اشكل وزيرك انه ركال

اشكله عن ركل كل الرجال و ان تردمالا فعند وزيرك الاموال

و اعتبره ابن الجوزى من الحمقى المغفلين، و روى عنه قصه تدل على جهله و قله معرفته بالعربيه. فقد قرأ ابن رباح بحضره المنتصر كتاب الصدقات، و قال: فى كل ثلاثين بقره تبيع. فقال الخليفة: ما هو التبيع؟ فاجاب ابن الخصيب: البقره و زوجها(٢). و قد ادخل ابن عبد ربه احمد بن الخصيب فى قائمه من ادخلوا انفسهم فى الكتابه و لم يستحقوها، و انما لطخوا انفسهم بالكتابه و ما دانوها(٣). و مما يؤيد ضحاله ابن الخصيب اللغويه انه نظر يوما الى احد الكتاب، و كان فدما- اى غايظا سميئا- مضطرب الخلق، طويل العنقون، فقال: لأن يكون هذا فنطاس مركب اشبه من ان يكون كاتباً(٤).

و مع هذه الصفات السيئه التى كان عليها احمد بن الخصيب، فقد طالت مده خدمته للخلفاء. و يرجح انه مع مساوئه المذكوره

١- الهفوات النادره / ٢٦١، و الفخرى / ٢١٨، و ذكر البيت الثانى كآلآتى: قد نال من اعراضنا بلسانه و لرجله عند الصدور مجال

٢- اخبار الحمقى و المغفلين / ٢٣٢.

٣- العقد الفريد / ١٧٠٤ - ١٧١.

٤- نفس المصدر / ١٧٢.

و نواحي الضعف الاخرى فيه، كان خدوما لهم لا- يخرج عن اوامرهم و نواهيهم. و قد فسر ابن الخصيب نفسه سبب اتصال خدمته للخلفاء بانه لم تكن في حياته لذه في بناء و لا فرش و لا غلمان و لا جوار و لا مفاخره بمروءه، و انما كانت لذته في العماره و التوفير مما جعلهم يستخدمونه(١). على انه يبدو انه كان الى جانب ذلك داهيه يجيد حبك المؤامرات. فقد لعب دورا بارزا في مبايعه المنتصر بالله اثر مقتل ابيه(٢). و لما نشب الخلاف بينه و بين القائد وصيف، استطاع ان يحرض الخليفه عليه و يقنعه بابعاده عن حاضره الخلافه، و خوفه منه، فارسله في حمله لغزو بلاد الروم(٣). و تولى ابن الخصيب كتابه الكتاب الذى وجهه الخليفه الى عامله في بغداد يطلب اليه ان يحث الناس على الخروج للجهاد فى سبيل الله و أن يوافوا عسكر و صيف فى ثغر ملطيه(٤).

كما استطاع ان يقنع القواد الذين تأمروا على قتل المتوكل على الله بارغام المنتصر بالله على خلع اخويه المعتر و المؤيد من ولايه العهد، و قد أخذ ابن الخصيب رقاعهما بالتنازل و تولى قراءتها على الذين حضروا للشهاده على تنازلهما(٥).

استمر ابن الخصيب فى منصب الوزاره طيله ايام المنتصر بالله، اذ لم يستطع الخليفه ان يستبدله، و لعل قصر مده خلافته لم يتح له فرصه كافيه لذلك.

١- نشوار المحاضره ٨ / ٤٩ - ٥٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٣٥.

٣- نفس المصدر / ٢٤٠.

٤- الطبرى ٩ / ٢٤١ - ٢٤٣ و الكامل ٧ / ١١١ - ١١٢.

٥- الطبرى ٩ / ٢٤٤ - ٢٤٦، و الكامل ٧ / ١١٢ - ١١٤.

و قد لعب احمد بن الخصيب دورا رئيسا فى اختيار الخليفه المستعين بالله بعد موت المنتصر بالله، فاستكتبه الخليفه الجديد، و عهد بامور الوزاره الى القائد اوتامش. و رغم خروج ابن الخصيب من الوزاره فقد ظل الى جانب الخليفه يستمتع بنفوذ كبير. و لما اراد الاتراك ان يقتلوا اخوى المنتصر بالله، المعتز و المؤيد، عند ما شغب الغوغاء و الشاكرية فى اوائل عهد المستعين بالله، و كانا محبوسين فى الجوسق بحراسه بغا الصغير، منعهم ابن الخصيب من ذلك و اقنعهم بان لا علاقه لهما بالذين شغبوا، فابقوهما محبوسين (١).

على ان الاتراك ما لبثوا ان غضبوا على ابن الخصيب فى جمادى الأولى من سنه (٢٤٨ هـ) فاستصفى الخليفه امواله و اموال ولده، و امر بنفيه الى اقریطش (٢)، و بقى مده فى منفاه ثم عاد الى سامراء، و قد توفى فى سنه (٢٦٥ هـ). (٣).

#### ٧- احمد بن اسرائيل:

ابو جعفر الانبارى، كان من حذاق الكتاب فى سامراء، و كان الخليفه الواثق بالله قد اتهمه مع آخرين من الكتاب بخيانه الواجب، فأمر بحبسه و الزمه تأديه ما خانه من الاموال. و دفعه الى صاحب الحرس يحيى بن معاذ و امره بضربه كل يوم عشره

١- الطبرى ٩ / ٢٥٩، و الكامل ٧ / ١١٩.

٢- نفس المصدرين السابقين.

٣- العير ٢ / ٢٩ - ٣٠.

اسواط. و يقال انه ضربه نحو من الف سوط، و استخرج منه ثمانين الف دينار(١).

و قد استخلفه عبيد الله بن يحيى بن خاقان على ديوان الخراج، و كان ابن اسرائيل يتولى يومئذ الكتابه للامير المعتر بن المتوكل على الله(٢). و ظل محتفظا بعمله فى الديوان حتى ايام المستعين بالله، و قد التحق به لما انحدر الى بغداد اثر خلافه مع بعض قواد الاتراك فى سنه (٢٥١ هـ). و بعثه الخليفه فى وفد يحمل كتابا الى القائد الحسين بن اسماعيل عند ما هزم و جيشه امام جيش سامرا فى جمادى الآخره من السنه المذكوره، يلومه فيه على ضعفه و تخاذله(٣).

و يظهر ان ابن اسرائيل كان مقربا من المستعين بالله، فاراد مؤيدوا المعتر بالله ان يفرقوا بينهما باثاره شكوك الخليفه فى ولاءه. فكلفوا رجلا يقف بباب الخليفه و يدعو للمعتر بالله بالنصر و التأييد. و لما قبض عليه ادعى بان احمد بن اسرائيل امره بذلك. فغضب الخليفه عليه، الا- انه ما لبث الحقيقه ان ظهرت و عرف امر الرجل(٤). على ان ابن اسرائيل ادرك ضعف مركز المستعين بالله و تزايد قوه المعتر بالله فانضم الى الجانب الذى كان يسعى للصلح مع الموفق قائد جيش المعتر بالله، و خرج الى معسكر الموفق مع عدد من رجال المستعين بالله باذن من محمد بن عبد الله بن طاهر امير بغداد حينذاك لمناظره ابى احمد الموفق فى الصلح بين

١- الطبرى ٩ / ١٢٥.

٢- الطبرى ٩ / ٢١٧.

٣- الطبرى ٩ / ٣٢٤.

٤- الفرج بعد الشده ٤ / ١٢٥.

الطرفين (١). كما ايد ابن اسرائيل عبيد الله بن يحيى فى صرف محمد بن عبد الله عن نصره المستعين بالله، و السعى لايقاف القتال بين المعتز بالله و المستعين بالله، و السعى للصالح (٢). ثم صار الى المعتز بالله فى سامرا فولاه البريد و وعده بالوزاره ان تم له النصر (٣).

و لما رأى المستعين بالله ضعف امره و خذلان ناصريه اجاب الى خلع نفسه من الخلافه و بايع للمعتز بالله. فانتهدت الحرب بين سامرا و بغداد، و استقر الأمر للمعتز بالله. فكافأ المعتز بالله ابن اسرائيل على انتصاره له و خذلانه المستعين بالله بأن استوزره و خلع عليه و وضع تاجا على رأسه (٤).

و كان القائدان التركيان وصيف و بغا اللذان التحقا بالمستعين بالله، لما رأيا ان الخلافه انتهت الى المعتز بالله، قررا المصير اليه فى سامرا، فوجه وصيف اخته سعاد الى المؤيد ليكلم اخاه المعتز بالله بالعفو عنه، و كان الموفق قد كلم المعتز بالله فى امر العفو عن بغا ايضا. فكتب الخليفه اليهما بالرضا عنهما. فتوجها الى سامرا.

و يبدو ان المعتز بالله لم يكن راغبا فى مجيئهما الى سامرا لأنه كتب الى امير بغداد محمد بن عبد الله ان يمنعهما من الخروج من بغداد (٥). و لما علم احمد بن اسرائيل بوصول القائدين المذكورين الى بغداد بكر فى زيارتهما قبل ان يحضرا دار

---

١- الطبرى ٩ / ٣٣٦.

٢- نفس المصدر / ٣٤١ - ٣٤٢.

٣- نفس المصدر / ٣٤٤.

٤- نفس المصدر / ٣٤٩.

٥- نفس المصدر / ٣٥٥.

الخلافة (١). و لعله كان يهدف من زيارته الترحب بهما ليكسب، تأييدهما له، بعد ان علم انهما اعيدا الى سابق مراتبهما و اعمالهما. و لما اشتد الخلاف بين الخليفة و القائد بغا، وقف احمد بن اسرائيل الى جانب الخليفة و صحبه الى كرخ سامرا ليلا للالتجاء الى القائد بايكباك و من معه ممن كانوا ضد بغا.

و كان بغا قد غامر بالخروج على الخليفة فانهى امره بالقتل و جىء برأسه الى المعتز بالله. فبعث الخليفة من ساعته الى احمد بن اسرائيل، و بعض رجال دولته، يبلغهم بذلك (٢).

و بالنظر لازدياد الجند الأتراك و ازدياد نفقاتهم فقد عجز الوزير ابن اسرائيل عن تأمين الأموال اللازمه لهم، فاستغل الاتراك تأخر ارزاقهم فهاجموا. و قد تزعم حركة تدمرهم القائد صالح بن وصيف، فقابل الخليفة بحضور الوزير و قال له: يا امير المؤمنين ليس للاتراك عطاء، و لا فى بيت المال مال، و قد ذهب ابن اسرائيل و اصحابه باموال الدنيا. فرد عليه احمد بن اسرائيل و اتهمه بالعصيان. فأمر صالح اتباعه فقبضوا على الوزير و اثنين من كبار الكتاب من مؤيديه هما الحسن بن مخلد، و هو كاتب قبيحه ام المعتز بالله، و ابو نوح عيسى بن ابراهيم، و كان كاتب الفتح بن خاقان، و قيدهم و اثقلوهم بالحديد. و رفض صالح طلب الخليفة و امه باطلاق سراح احمد بن اسرائيل. و لما لم يحصل الاتراك على شىء من المال منهم، وجه صالح فى قبض ضياعهم و دورهم، و ضياع ذويهم و اموالهم (٣).

١- نفس المصدر / ٣٥٦.

٢- الطبرى ٩ / ٣٧٩ - ٣٨٠.

٣- نفس المصدر / ٣٨٧ - ٣٨٨.

و عند ما تفاقم الخلاف بين الخليفة و الاتراك خلعه و قتلوه، و بايعوا لمحمد بن الواثق بالله بالخلافه و لقب بالمهتدى بالله.

و استمر صالح و اتباعه فى التشديد على الوزير و الكتاب حتى يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان سنه (٢٥٥ هـ) فأخرج ابن اسرائيل الى باب العامه و ضرب خمسمائه سوط، ثم حمل على بغل من بغال السقائين منكس الرأس مكشوف الظهر، و حين وصلوا به خشبه بابك مات. فقال الخليفة لما بلغه ذلك اما عقوبه الا السوط و القتل، اما يكفى الحبس (١). و قد اختلف فيمن امر بضربه، فان الطبرى يقول ان صالح بن وصيف و كل بضربه حماد ابن محمد بن حماد بن دنقش، و يتفق معه ابن الأثير بان صالحا هو الذى امر بضربه (٢). بينما يقول المسعودى ان المهتدى بالله لما افضت اليه الخلافه اخرج احمد بن اسرائيل الى باب العامه بسامرا ف ضرب خمسمائه سوط فمات، و ذلك لامور كانت قد استحق عند المهتدى فيما يجب فى حكم الشريعة ان يفعل ذلك (٣).

كان احمد بن اسرائيل يعيد النظر، مرضيا فى عمله، و قد حاز ثقه الخلفاء الذين خدمهم و تقديرهم. و قد عرف بقوه حفظه و حده ذهنه، و قالوا انه كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا و خرجا. و ضاعت مره حسبه من الديوان فأوردها من خاطره، فلما وجدت كانت كما قال من غير زياده او نقيصه (٤).

١- نفس المصدر / ٣٩٨.

٢- نفس المصدر / ٣٩٧-٣٩٨، الكامل / ٧ / ٢٠١.

٣- مروج الذهب / ٤ / ١٨٧.

٤- الفخرى / ٢٢٢.



و ذكر الصابى خبرا يؤيد ذلك، فقد كان يلقى على الكتاب الطويل نظره سريعه فيستوعب ما فيه، و يأمر بما يجاب به (١).

### ٨- سليمان بن وهب:

ابو ايوب سليمان بن وهب بن سعيد من بيت كتابه و انشاء، حزم اجداده عددا من الخلفاء الأمويين فى الشام، و بعض الخلفاء العباسيين فى بغداد. و كان ابوه وهب بن سعيد كاتباً للفضل بن سهل وزير المأمون، ثم كتب بعده للحسن بن سهل الذى قلده بعض الولايات فابدى كفايه فى الاداره (٢).

عمل سليمان فى الكتابه فى سن مبكره. فقد كتب للمأمون و هو ابن اربع عشره سنه، و كتب لايتاخ ثم لأشناس، و هما من كبار القواد الأتراك (٣). و يقول ابن الطقطقى انه من قريه واسط، و اصل اهله نصارى اسلموا و خدموا فى الدواوين، و يعتبر سليمان من كبار الكتاب و ذوى الرأى منهم (٤). ثم كتب سليمان للخليفه المعتصم بالله، و قد بعثه ليحصى ما فى دار الأفشين عند ما حبسه (٥). و لما حبس الواثق بالله الكتاب و الزمهم اموالا، امر بحبس سليمان بن وهب، و كان حينذاك يكتب لايتاخ، و الزمه بمائتى الف درهم- و قيل دينار- فقيد و البس مدرعه من مدارع الملاحين، فأدى مائه الف درهم و سأل ان يؤخذ

١- الوزراء / ٢١٣.

٢- وفيات الاعيان ٢ / ١٤٥.

٣- نفس المصدر.

٤- الفخرى / ٢٢٣.

٥- الطبرى ٩ / ١١٤.

بالباقى فى عشرين شهرا، فاجابه الخليفه الى ذلك و اخلى سبيله و رده الى كتابه ايتاخ(١). و يقال ان سليمان بن وهب بلغه ان الواثق بالله نظر الى احمد بن الخصيب الكاتب فأنشد:

من الناس انسان دينى عليهما ملياتان لو شاء لقد قضيانى

خليلى اما ام عمرو فانها و اما عن الاخرى فلا تسلانى

فقال: انا لله، احمد بن الخصيب ام عمرو، و اما الاخرى فانا. فنكبهما الخليفه بعد ايام(٢). و من شعر سليمان لما سجنه الواثق بالله قوله(٣):

نوائب الدهر ادبتنى و انما يوعظ الأريب

قد ذقت حلوا و ذقت مرا كذاك عيش الفتى ضروب

ما مر بؤس و لا نعيم الا ولى فيها نصيب

---

١- نفس المصدر / ١٢٨، و سبق ان ذكر فى ص: ١٢٥ انه اخذ منه اربعمائه الف دينار و كذا جاء فى تجارب الامم ٦ / ٥٢٧، و فى الكامل ٧ / ١٠.

٢- وفيات الاعيان ٢ / ١٤٧.

٣- الأغانى ٢٣ - ١٤٨.

و لما امر المتوكل على الله اسحاق بن ابراهيم بالقبض على ايتاخ و حبسه فى سنه (٢٣٥ هـ) حبس اسحاق كاتبه ايضا، و كان احدهما سليمان بن وهب (١). الا ان المتوكل على الله رضى عنه بعد ذلك فولاه ديوان الخراج (٢). ثم تولى الكتابه للقائد موسى بن بغا. و عند ما عاد معه الى سامرا من الجبل فى سنه (٢٥٥ هـ) استوزره المهتدى بالله و لقب بالوزير (٣).

و يلاحظ ان سليمان بن وهب لم يبد كفايه فى معالجه الخلاف الذى نشب بين الخليفه و القواد الاتراك. و كان بحكم علاقته بموسى بن بغا يميل الى جانب القواد المذكورين. و قد قتل المهتدى بالله و سليمان لا يزال وزيره.

كان المعتمد على الله قد استوزر الحسن بن مخلد اثر وفاه عبيد الله بن يحيى، و كانت علاقته الحسن بالقائد موسى بن بغا سيئه، فلما قدم موسى الى سامرا فى اوائل ذى الحجه سنه (٢٦٣ هـ) اختفى الحسن. فاستوزر المعتمد على الله مكانه سليمان ابن وهب، و ولى ابنه عبيد الله بن سليمان كتابه ابنه جعفر المفوض (٤). الا ان الخليفه سخط عليه فى السنه التاليه فحبسه و قيده و انتهب داره و دارى ابنيه وهب و ابراهيم، و اعاد استيزار الحسن بن مخلد، و ذلك فى اواخر ذى القعدة من سنه (٢٦٤ هـ) (٥). و يقول التنوخى ان المعتمد على الله طلب من

١- الطبرى ٩ / ١٦٩، و الكامل ٧ / ٤٦.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٠٣ و ٥٠٨.

٣- الاغانى ٢٣ / ١٤٣.

٤- الطبرى ٩ / ٥٣٢، و الكامل ٧ / ٣١٠.

٥- الطبرى ٩ / ٥٤٠، و الكامل ٧ / ٣١٦.

وزيره سليمان مالا لنفقته على ان لا يعلم الجند بذلك، فدافعه سليمان، فقبض عليه و قال له: قد تقلدت منذ ايام المعتز الى الآن اعمالا متواليه منها الوزاره للمهتدى و ما نكبت و ما صودرت، و اريد منك خمسمائه الف دينار(١).

الا- ان الموفق جاء الى سامرا و اطلق سليمان من الحبس، و هرب الحسن بن مخلد فكتب الموفق فى قبض امواله(٢). الا انه سرعان ما أمر الموفق بحبس سليمان ثانيه و حبس معه ابنه عبيد الله، و وكل بحفظ داريهما، و قبض ضياعهما و اموالهما و اموال ذويهما و ضياعهم، ثم صولحا على مبلغ قدره تسعمائه الف دينار، فصيرا فى موضع يصل اليهما فيه من أحبا(٣). و يظهر ان سبب قبض الموفق على سليمان و ابنه عبيد الله، ان المعتمد على الله لما قبض على سليمان ذهب ابنه الى الموفق يلتمسه فى انقاذ ابيه فوعده بذلك، الا انه الح بطلبه، فاعتذر الموفق، فقال له سليمان: تخرج بمن معك فتنترعه قسرا، فقال الموفق: ان هذا يحتاج الى مال و رجال، فقال عبيد الله: على ذلك. و قال عبد الله ان الموفق اخذ يدافعنى بعد ان رآنى بصوره من يملك المال و طاعه الرجال فى قتال خليفه، فراوغنى و بعث بصاعد بن مخلد الى المعتمد على الله يشير عليه باطلاق ابى فاطلقه. و لما عاد صاعد شرع الموفق فى القبض على سليمان و ابنه عبيد الله(٤).

١- نشوار المحاضره ٨ / ٩٦.

٢- الطبرى ٩ / ٥٤١.

٣- الطبرى ٩ / ٥٤٣- ٥٤٤، و الكامل ٧ / ٣٢٧.

٤- نشوار المحاضره ٨ / ٩٧.

و قيل ان الموفق نكب سليمان بن وهب و ابنه عبيد الله لكثرة اموالهما فقال ابن الرومي، و كان حاضرا(١)

ألم تر أن المال يتلف ربه اذا جم آتیه و سد طريقه

و من جاور الماء الغزير فجمه و سد مغيض الماء فهو غريقه

و لبث سليمان في حبس الموفق الى ان ادركته منيته، في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة بقية من صفر من سنة (٢٧٢ هـ) (٢). و قد مدحه عدد من الشعراء. فمن محاسن قول ابي تمام فيه من قصيده قالها في مدحه(٣):

كل شعب كنتم فيه آل وهب فهو شعبي و شعب كل اديب

ان قلبي لكم لكالكبد الحري، و قلبي لغيركم كالقلوب

و قال البحتری في مدحه(٤).

كأن اراءه و الحزم يتبعها تريبه كل خفي و هو اعلان

---

١- الاغانى ١٥٣ / ٢٣.

٢- الطبرى ٩ / ١٠ و الكامل ٧ / ٤١٠، و وفيات الاعيان ٢ / ١٤٦ و فيه قيل سنة ٢٧١.

٣- وفيات الاعيان ٢ / ١٤٦.

٤- نفس المصدر.

ما غاب عن عينيه فالقلب يكلؤه و ان تنم عينه فالقلب يقظان

و لما مات سليمان رثاه البحترى بقصيده منها(١):

هذا سليمان بن وهب بعد ما طالت مساعيه النجوم سموكا

و تنصف الدنيا يدبر امرها سبعين حولاً قد تمنن دكيكا

أغرت به الاقدار بغت ملمهما كان رس حديثها مأفوكا

فكأنما خضد الحمام بيومه غصنا بمنغرق الرياح نهيكاً

---

١- ديوان البحترى ٣ / ١٥٧٩، السموك: الارتفاع، الدكيك: التام، رس الحديث: طرف منه، مأفول: مكذوب منغرق الرياح: مهبها.



## الفصل الثاني الكتاب

يعتبر الكتاب اعوان الوزراء، فقد كان لكل وزير كاتب او اكثر لمعاونته فى عمله. كما كان لرجال الدوله و كبار القواد و ولاء الأقاليم كتاب يستعينون بهم و قد تدرج بعض الكتاب الى منصب الوزاره. و كان هؤلاء الكتاب يمتازون بالثقافه العامه و الاطلاع الواسع على معارف عصرهم، بحيث انهم كانوا يمثلون صفوه المثقفين، و هم الذين يقومون بشؤون دواوين الدوله.

و من الواضح ان ما يجب ان يتقنه الكاتب و يلم به من المعارف، يختلف باختلاف عمله. فان كان كاتب خراج عليه ان يلم بالحساب و المساحه و الخراج و الفنون و الرتوق، و ان كان كاتب خراج عليه ان يلم بالحساب و المساحه و الخراج، و الفتوق و الرتوق، و ان كان كاتب احكام عليه ان يكون عالما بالحلال و الحرام و الاحتجاج و الاجماع و الأصول و الفروع، اى ان يكون متفقهًا فى الدين، اما اذا كان كاتب معونه فانه يحتاج الى ان يكون عالما بالقصاص و الحدود و الجراحات. و على كاتب الجيش ان يكون عالما بحلى الرجال و شيات الدواب و مداراه الأولياء- أى



الاتراك لأن غالبية الجيش منهم- و على معرفه بالنسب و الحساب.

و يحتاج كاتب الرسائل ان يكون عالما بالصدور و الفصول و الاطاله و الايجاز و ان يكون بلغيا حسن الخط بالنظر لطبيعته عمله (١).

ان الكاتب بصوره عامه و مهما كان عمله، يجب ان يكون ادبيا ذا اطلاع واسع في مختلف العلوم و الفنون المعروفه حينذاك.

اي ان يكون موسوعيا، بحيث يستطيع تحرير مختلف انواع الرسائل الرسميه، مما يتطلب منه مقدره فائقه في اللغه من نحو و صرف و بلاغه و بيان، و ملما بالامور الفقهيه، و يحفظ كثيرا من الآيات القرآنيه الكريمه و الاحاديث النبويه الشريفه. كما يحفظ انماط مختلفه من الشعر و الامثال. و قد شرح النويرى ما كان يحتاج اليه الكاتب من المعارف نلخصه بما يأتى (٢):

١- حفظ كتاب الله تعالى و مداومه قراءته، و ملازمه درسه، و تدبير معانيه. ذاكرا له في كل ما يرد عليه من الوقائع التى يحتاج فيها الى الاستشهاد به.

٢- الاستكثار من حفظ الاحاديث النبويه، و النظر فى معانيها وفقه ما لا بد من معرفته من احكامها. ليحتج بها فى مكان الحجه، و يستدل بموضع الدليل.

٣- قراءه ما يتفق له من كتب النحو التى يحصل بها المقصود من معرفته العرييه، و قراءه ما يتهيأ له من مختصرات اللغه، و حفظ خطب البلغاء.

١- الفرج بعد الشده ٣ / ٣٠٩.

٢- نهايه الأرب ٧ / ٣٠ - ٣٤.

٤- النظر فى ايام العرب و وقائعهم و حروبهم، و تسميه الايام التى كانت بينهم، و ما جرى فى ذلك من الاشعار، لما فى ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعه او يوم مشهور.

٥- النظر فى التواريخ و معرفه اخبار الدول، لما فى ذلك من الاطلاع على سير الملوك و سياساتهم و وقائعهم و مكائدهم و حروبهم، و ما اتفق لهم من التجارب.

٦- حفظ اشعار العرب و مطالعه شروحها و استكشاف غوامضها، و التوفر على ما اختاره العلماء منها، كالحماسة و المفضليات و الأصمعيات، بما يساعد على الاستشهاد و وضعه فى مكانه.

٧- النظر فى رسائل المتقدمين و فى كتب الامثال الواردة عن العرب نظما و نثرا.

٨- النظر فى الأحكام السلطانية.

و ينسب الى عبد الحميد بن يحيى الكاتب كتابا موجها الى طائفه الكتاب (١). تضمن بيان اهميتهم فى المجتمع، و الصفات التى يجب ان يتحلوا بها، و ما يحتوجون اليه من انواع المعارف «فقد جاء فيه عن اهميتهم و الحاجه اليهم «حفظكم الله يا اهل هذه الصناعات ..

فان الله عز و جل جعل الناس بعد الأنبياء و المرسلين .. فجعلكم معشر الكتاب فى اشرفها صناعه، اهل الأدب و المروءه .. بكم ينتظم الملك، و تستقيم للملوك امورهم، و بتدبيركم و سياستكم

---

١- نص الكتاب فى « الوزراء و الكتاب / ٧٣ - ٧٩، و فى مقدمه ابن خلدون مع اختلاف كثير ١٣٥ - ١٣٦».

يصلح الله سلطانهم و تعمر بلادهم. يحتاج اليكم الملك في عظيم ملكه، و الوالى فى القدر السنى و الدنى من ولايته، لا يستغنى عنكم منهم احد، و لا يوجد كاف الا منكم. فموقعكم منهم موقع اسماعهم التى بها يسمعون، و ابصارهم التى بها يبصرون، و السنتم التى بها ينطقون و ايديهم التى بها يبطنون»(١).

اما عن الصفات التى يتحلى بها الكاتب فقد قال: «فان الكاتب يحتاج من نفسه، و يحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات اموره، الى ان يكون حليما فى موضع الحلم، مقداما فى موضع الاقدام، و محجما فى موضع الاحجام، لينا فى موضع اللين، شديدا فى موضع الشده. مؤثرا للعفاف و العدل و الانصاف، كتوما للاسرار، و فيا عند الشدائد. عالما بما يأتى و يذر و يضع الامور فى مواضعها. فقد نظر فى كل صنف من صنوف العلم فاحكمه، فان لم يحكمه شدا منه شدوا(٢)، يكتفى به. يكاد يعرف بغريزه عقله و حسن ادبه و فضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده، و عاقبه ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل امر عدته و يهى ء لكل امر اهبتة»(٣).

و اما ما يحتاج اليه الكاتب من المعارف، فقد جاء فيه:

«فنافسوا، معشر الكتاب، فى صنوف العلم و الأدب، و تفقهوا فى الدين. و ابدأوا بعلم كتاب الله عز و جل، و الفرائض، ثم العربيه فانها ثقاف السنتم، و اجيدوا الخط فانه حليه كتبكم، و ارووا

١- الوزراء و الكتاب / ٧٤.

٢- شدا بمعنى أخذ.

٣- الوزراء و الكتاب / ٧٤-٧٥.

الاشعار و اعرافوا غريبها و معانيها، و ايام العرب و العجم و احاديثها. و سيرها، فان ذلك معين لكم على ما تسمون اليه يهكمكم. و لا يضعفن نظركم فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج منكم. و ارغبوا بانفسكم عن المطاعم سنيها و دنيها، و مساوى ء الأمور و محارها، فانها مذله للرقاب مفسده للكتاب»(١).

و يرى ابن المدبر(٢) ان الكاتب المستحق اسم الكتابه هو «من اذا حاول صنعه كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من يبايعها، و ظهرت من معادنها، و بدرت من مواطنها، من غير استكراه و لا اغتصاب»(٣). و لكى يكون الكاتب بليغا فصيحا عليه ان يتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه، و من رسائل المتأخرين ما يرجع اليه، لتلقيح ذهنه و استخراج بلاغته. بالاضافه الى الاستعانه بنوادير كلام الناس و بالاشعار و الأخبار و السير(٤). و هو يرى أن على الكاتب ان يخاطب كلا على قدر ابهته و جلالته، فيجعل طبقات كلامه على ثمانية اقسام: اربعة منها للطبقة العلويه، و اربعة دونها. و الطبقة العلويه هى الخلافه التى اعلى الله شأنها عن مساواتها باحد من ابناء الدنيا فى التعظيم و التوقير و المخاطبه و الترسل. و الطبقة الثانيه الوزراء و الكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم و سنتهم، و يرتقون الفتوق بارائهم، و الثالثه

١- الوزراء و الكتاب / ٧٥.

٢- ابراهيم بن المدبر من مشاهير كتاب القرن الثالث و قد ولى رئاسه عدد من الدواوين فى عهد خلفاء سامراء، و له: «الرساله العذراء» فى ثقافه الكاتب و صفاته وزيه، و ادوات الكتابه و معرفته بها، و ما قيل فى الكتابه.

٣- الرساله العذراء / ٣٦.

٤- نفس المصدر / ٧.

امراء ثغورهم و قواد جيوشهم، و الرابعه القضاء فانهم و ان كان لهم تواضع العلماء و حليه الفضلاء فمعهم ابهه السلطه و هيبه الامراء (١). اما الطبقات الاخرى التى هى دون الطبقات آنفه الذكر فهى: الأولى الملوك الذين اوجبت نعمهم تعظيمهم فى الكتب، و الثانيه الوزراء و كتابهم و اتباعهم الذين بهم تفرع ابوابهم، و الثالثه العلماء الذين يجب توقيرهم فى الكتب لشرف العلم و علو درجه اهله. و الرابعه لأهل القدر و الجلاله و الظرف و العلم و الأدب، فانهم يضطرونك بحده اذهانهم و شده تمييزهم و انتقادهم، الى الاستقصاء عن نفسك فى مكاتبتهم (٢).

كما يوصى ابن المدبر الكاتب بالاهتمام بصدد كتابه، و ينصحه باختيار الألفاظ و المعارف بما يناسب الموضوع الذى يكتب فيه، و يبين له انسب الأوقات للكتابه، فيقول: «و ليكن فى صدر كتابك دليل واضح على مرادك، و افتتاح كلامك شاهد على مقصدك .. و لا تطيلن صدر كلامك اطاله تخرجه من حده، و لا تقصر به عن حقه» (٣). «و اذا حاولت صنعه رساله او انشاء كتاب فزن اللفظه قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت ... وادر الالفاظ فى اماكنها، و اعرضها على معانيها، و قلبها على جميع وجوهها حتى تقع موقعها» (٤). «و ارتصد لكتابك فراغ قلبك و ساعه نشاطك، فتجد ما يمتنع عليك بالكد و التكلف. لأن سماحه النفس بمكنونها وجود الازهان بمخزوناتها،

---

١- نفس المصدر / ١٠.

٢- نفس المصدر / ١١.

٣- نفس المصدر / ٢٢.

٤- نفس المصدر / ٢٩.

انما هو مع الشهوه المفرطه فى الشىء، و المحبه الغالبه فيه، و الغضب الباعث فيه ذلك»(١).

و بالنظر لأهميه الكتاب و الحاجه اليهم فقد كونوا طبقه لها زيتها الخاص، و اشترطوا مواصفات معينه فيمن ينتسب اليها.

فقد اشترطوا فى صفات الكاتب «طول القامه، و صفر الهامه، و خفه اللهازم، و كثافه اللحيه، و صدق الحس، و لطف المذهب، و حلاوه الشمائل، و ملاحه الزى»(٢). حتى قال احدهم لابنائه:

تزيوا بزى الكتاب فان فيهم ادب الملوك و تواضع السوقه(٣).

و يرى النويرى ان من كمال صفات الكاتب ان يكون بهى الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المرءه، عطر الرائح، دقيق الذهن، صادق الحس، و حسن البيان، رقيق حواشى اللسان، حلو الاشاره، مليح الاستعاره(٤).

١- الرساله العذراء / ٣٠.

٢- نفس المصدر / ٨.

٣- نفس المصدر / ٩ و عيون الاخبار / ١ / ٤٦.

٤- نهايه الارب / ٧ / ١٢.



## الفصل الثالث القضاء فى عهد سامرا

### ١- مقدمه:

يعتبر القضاء من المناصب الدينيه الرئيسه فى الاسلام، لانه منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى و قطعاً للتنازع، و ذلك بموجب الشريعه المستنده الى الكتاب و السنه (١).

و قد تطور هذا المنصب و استقرت اسسه فى العهود التى سبقت انتقال عاصمه الدوله العربيه الى سامرا من حيث الشروط التى يجب توفرها فيمن يتولاه، و الصلاحيات التى يمارسها، و الواجبات التى عليه ان يلتزم بها، و علاقته بالدوله. و قد اسهب الفقهاء فى بيان ذلك، و منهم القاضى ابو الحسن الماوردى و القاضى ابو يعلى الحنبلى. فقد عقد كل منهما فى كتابه «الأحكام السلطانيه» بابا خاصا بالقضاء و احكامه، و تناول كل منهما الموضوع من الناحيتين الفقهيه و الاداريه.

---

١- مقدمه ابن خلدون / ١٢٠.



و هناك شروط معينه يجب ان تتوفر فيمن يعين للقضاء، و اهمها: الاسلام، و الحريه، و كمال العقل، و سلامه الحواس، و ان يكون اهلا للاجتهاد فيما يجوز له ان يقضى بين الناس (١).

و اهم واجبات القاضى ان يسوى فى الحكم بين القوى و الضعيف، و ان يعدل فى احكامه فلا يتبع هواه فى تقصير المحق او ممالاه المبطل (٢). و قد اتسعت سلطات القاضى فى خلال العهد العباسى الأول، فبعد ان كان ينظر فى القضايا المدنيه و الجنائيه اصبح ينظر فى قضايا اخرى تتعلق بالحقوق العامه كالنظر فى شؤون الاوقاف و التصرف بمواردها، و تنفيذ الوصايا، و النظر فى اموال المحجور عليهم من المجانين و اليتامى و اهل السفه، و تزويج الأيامى عند فقد الأولياء، و اقامه الحدود الدينيه على مستحقيها. و قد تضاف اليه احيانا الشرطه او المظالم او الحسبه او دار الضرب او بيت المال (٣).

و يعتبر الخليفه ابو جعفر المنصور اول من عين القضاء فى الأمصار، و كان تعيينهم قبل ذلك يتم محليا من قبل الولاة (٤). و كان القاضى يعين مشافهه او بالعهد كتابه. و كان عهد التعيين يتضمن تحديد منطقه عمل القاضى، و تعيين القضايا التى ينظر فيها. و قد اورد قدامه بن جعفر نسخه من عهد توليه احد القضاء، و هو يتضمن توجيهات الخليفه له حول عمله بما يؤمن العدل و تطبيق احكام الشريعه، و توجيهات اخرى (٥).

١- الاحكام السلطانيه للماوردى / ٥٤.

٢- نفس المصدر / ٥٩.

٣- مقدمه ابن خلدون / ١٢١.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٨٩.

٥- الخراج و صناعه الكتابه / ٣٩ - ٤٠.

و كان الخلفاء عند تعيين القضاة فى الولايات يتوخون الأنسجام بين الوالى والقاضى المعين، و ذلك ضمنا لعدم قيام النزاع بين السلطتين التنفيذيه و القضائيه.

و يعاون القاضى فى اداء مهمته اضافة الى الشهود و الى من يقوم بالتحرى عن عدالتهم و عدم ارتكابهم ما يمنع من قبول شهاداتهم، عدد من الموظفين يؤلفون معه ديوان القضاء. فكان هناك كاتب الاحكام الذى يجب ان يكون عارفا بعلوم الشريعة و حدودها و له خبره بالاقرار و الانكار، و دربه باحكام الوكالات و الشهود و طبقاتهم(١). و كاتب آخر يتولى عرض الدعاوى و الخصومات، و خازن يقوم بخزن اوراق القاضى و احضارها عند الطلب، و عدد من الحرس و الأعوان يتولون حمايه مجلس القضاء و تنفيذ الأحكام(٢).

و كان اللباس الرسمى للقاضى الطيلسان الاسود و العمامه السوداء(٣). اما رواتب القضاة فقد كانت زهيدة اول الأمر، فقد عين الخليفه المهدي المفضل بن فضاله قاضيا على مصر و اجرى عليه ثلاثين ديناراً فى كل شهر(٤). ثم زيدت رواتبهم فبلغت فى ايام المتوكل على الله لبعض القضاة مائه و ثمانيه و ستين ديناراً فى كل شهر(٥).

١- سلوك المالك / ١٥٩ - ١٦٠.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٥٧٤.

٣- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٥٢٢.

٤- نفس المصدر / ٣٧٧.

٥- نفس المصدر / ٥٠٧.

**٢- قاضى القضاء:****اشاره**

انشىء فى العهد العباسى الاول منصب قاضى القضاء، اى رئيس القضاء، و كان يقيم فى حاضره الخلافه ليكون على مقربه من الخليفه الذى لا يستطيع الاستغناء عنه فى الامور و القضايا الفقيهيه و الشرعيه. و كان قاضى القضاء يولى من يراه لمنصب القضاء فى الأمصار و الأقاليم ممن تتوفر فيهم شروط القضاء و صفاته، بعد ان يستحصل موافقه الخليفه على ذلك. و يعتبر ابو يوسف يعقوب ابن ابراهيم صاحب كتاب الخراج و قاضى هارون الرشيد اول من اشغل هذا المنصب فى الدوله العربيه فى عهد العباسيين ببغداد.

اما فى عهد سامرا فقد تولى هذا المنصب سته من كبار الفقهاء هم على التوالى: احمد بن ابى دواد، و يحيى بن اكثم التميمى، و جعفر بن عبد الواحد الهاشمى، و جعفر البرجمى، و الحسن بن ابى الشوارب، و على بن ابى الشوارب، و فى الصفحات التاليه تعريف موجز بكل منهم.

**احمد بن ابى دواد:**

ابو عبد الله احمد بن ابى دواد بن جرير بن مالك الأيادى.

اصله من قنسرين بين حلب و معره النعمان. و يقال ان اسم ابى دواد الفرّج، الا ان المأمون كان سأل احمد عن اسم ابيه فاجاب هو اسمه، و يؤيد الخطيب البغدادى ان كنيته اسمه (١). ولد

بالبصره و فيها نشأ، و نبغ في الفقه و علم الكلام. و هو احد القضاة المشهورين من المعتزله، و رأس محنه القول بخلق القرآن.

تلك الحركه التي شغلت الخلافة العباسيه و العالم الاسلامي على عهد المأمون و المعتصم بالله و الواثق بالله و قسم من عهد المتوكل على الله. اذ حمل المعتصم بالله و ابنه الواثق من بعده الفقهاء و القضاة على الامتحان بذلك. كان ابن ابي دواد واسع الاطلاع على اخبار العرب و انسابهم، فصيح المنطق قوى الحجج. قال ابو العيناء:

ما رأيت رئيسا افصح قط و لا انطق من ابن ابي دواد(١). و هو اول من افتتح الكلام مع الخلفاء، اذ كانوا لا يبدأهم احد حتى يبدأوه(٢). و له شعر جيد، و من شعره قوله(٣):

ما انت بالسبب الضعيف و انما نجح الامور بقوه الأسباب

فاليوم حاجتنا اليك فانما يدعى الطيب لشده الأوصاب

اتصل ابن ابي دواد باربعه من خلفاء بني العباس: المأمون و المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله و المتوكل على الله. و كان مقربا اليهم محترما لديهم ما خلا فتره قصيره في اواخر ايامه على عهد المتوكل على الله. اتصل اول امره بالخليفه المأمون، قدمه اليه قاضيه يحيى بن اكنم، فاعجب به، حتى انه قال عنه: اذا استجلس

١- تاريخ بغداد ١٤٢ / ٤، و وفيات الاعيان ١ / ٦٣.

٢- وفيات الاعيان ١ / ٦٣.

٣- الفهرست / ٢٥٤، و تاريخ بغداد ١٤٣ / ٤.

الناس فاضلا فمثل احمد(١). وقد حاز ثقته فركن اليه. و عند ما اوصى الى اخيه ابى اسحاق جاء فى وصيته «و ابو عبد الله احمد ابن ابى دواد لا يفارقك و اشركه فى المشوره فى كل امرك»(٢).

و لما استخلف المعتصم بالله جعل ابن ابى دواد قاضى القضاة و مستشاره الخاص، و لم يكن يخرج عن رأيه. قال الحسين بن الضحاك الشاعر لبعض المتكلمين: ان ابن ابى دواد عندنا لا يحسن اللغه و عندكم لا يحسن الكلام و عند الفقهاء لا يحسن الفقه، و لكن عند المعتصم بالله يعرف هذا كله(٣). و مع ما فى هذا القول من التجنى و المبالغه بانكار معرفه ابن ابى دواد شيئا مما ذكره ابن الضحاك، فان تقدير المعتصم بالله له امر طبيعى اذا ما قورن علمه و معرفته بالفقه و علم الكلام بجهل المعتصم الله الذى كان اميا رغم فصاحته(٤). و الواقع ان وجوده الى جانب الخليفه عدل من مزاجه و حد من قسوته. لأن المعتصم بالله كان متسرعا عجولا، فاذا اسرع اليه الغضب هدأه ابن ابى دواد و اراه وجه التوءده و الأناه، فلا يسعه الا ان يسير فى سبيلهما. فصار لأحمد من الداله عليه و سمو المركز لديه، ما يستعين به على الخير و الصلاح. فكانت له معه مواقف جليله حاسمه معتمدا فيها على ثقته به و تأييده اياه فى كل ما يقول و يفعل.

و من هذه المواقف انقاذه ابى دلف القاسم بن عيسى العجلي عند ما حاول القائد التركى الأفشين اغتياله(٥). اذ ذهب ابن ابى

١- وفيات الاعيان ١ / ٦٤.

٢- الطبرى ٨ / ٦٤٩.

٣- وفيات الاعيان ١ / ٦٦ و الفرج بعد الشده ٢ / ٦٦ - ٧٥.

٤- العقد الفريد ٢ / ٤٤٠، و تاريخ الخلفاء / ٣٣٤.

٥- وفيات الاعيان ١ / ٦٤ - ٦٥.

دواد الى دار الافشين و استنفد ابا دلف باسم الخليفة الذى اقره على فعله، و عنف الافشين فيما كان عزم عليه. و يظهر ان الافشين كان يمهد للوثوب بان يتخلص من القواد العرب الموالين للخلافه العباسيه، و لا ريب ان هذا ما دفع ابن ابى دواد الى انقاذ ابى دلف و اقرار المعتصم بالله مبادرته.

و عند ما غضب الخليفة على محمد بن الجهم و امر بضرب عنقه، انقذه ابن ابى دواد بما ارضى المعتصم بالله ساعه غضبه، بحيث امر بحبس ابن الجهم حتى يحقق معه (١). و لما قرر المعتصم بالله معاقبه القائد خالد بن يزيد الشيبانى لجأ هذا الى ابن ابى دواد ليشفع له عند الخليفة، فكلمه فلم يجبه. و لما جلس الخليفة لمعاقبه خالد حضر ابن ابى دواد المجلس و جلس دون مكانه المعتاد، و وقف من الخليفة موقفا جعله يرضى عن خالد و يخلع عليه و يكرمه. فلما خرج خالد و عليه الخلع، و كان بعض اتباعه فى الخارج يتوقعون الأيقاع به، صاح احدهم: الحمد لله خلاصك يا سيد العرب. فقال خالد: اسكت، سيد العرب و الله ابن ابى دواد (٢).

و فى ثنايا مصادر التاريخ العربى بعض الأخبار مما يستدل منها على شده احترام المعتصم بالله قاضى قضاته ابن ابى دواد.

فقد جاء فى تاريخ بغداد ان احمد بن ابى دواد قال: عند ما كنا بعموريه قال لى المعتصم بالله ما تقول يا ابا عبد الله فى البسر؟

فقلت: يا امير المؤمنين نحن ببلاد الروم و البسر بالعراق. قال

١- نفس المصدر.

٢- وفيات الاعيان ١/ ٧٠-٧١، و الفرج بعد الشده ٢/ ٦٠-٦٢.

قد وجهت الى مدينة السلام فجاءوني بكباستين، و قد علمت انك تشتهييه. ثم قال يا ايتاخ هات احدى الكباستين. فجاء بكباسه بسر، فمد المعتصم بالله ذراعه و قبض عليها بيده، و قال: كل بحياتي عليك من يدي. فقلت: جعلني الله فداك يا امير المؤمنين، بل تضعها فأكل كما اريد: لا و الله الا من يدي. فوالله ما زال حاسرا ذراعه و مادا يده و انا اجتنى من العذق(١). و قال ابن ابى دواد انه ركب يوما مع المعتصم بالله فاتتهوا الى واد لا يعرف غور مائه، فقال الخليفة لرحال ابن ابى دواد: مكانك حتى اتقدم فاعرف غور الماء و اطلب قلته و اتبع انت سيرى. و تقدم رجل فدخل الوادى و جعل يطلب قله الماء، و تبعه المعتصم بالله فمره ينحرف عن يمينه و اخرى عن شماله و تاره يمضى لسننه، و نحن نتبع اثره حتى قطعنا الوادى(٢).

لقد كان ابن ابى دواد يمثل الروح العربيه الأصيله فى الكرم و الأيثار و النخوه، تلك الروح التى ساعدت العرب على الاحتفاظ بمقامهم فى الدوله فى عهد العباسيين، رغم سيطره الجند الاتراك و سلطان قوادهم. كما كان كريما جوادا، حتى قيل انه لم ير فى ابناء جنسه اكرم و لا انبل و لا اسخى(٣). و رآه اعرابى فقال: صفته شافيه للقلوب، و نصحيته جالبه للمنافع(٤).

و كان ابن ابى دواد يعزف عن مجالس اللهو و يكره سماع الموسيقى و الغناء. يروى عنه انه قال: كنت اعيب الغناء و انكر

١- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٥.

٢- نفس المصدر.

٣- الفهرست / ٢٥٤.

٤- البصائر و الذخائر ١ / ١٣٣.

امر الطرب على الناس و ما يستفز الناس منه و يغلب على عقولهم، و انماظر المعتصم بالله في ذلك. حتى كان يوم خرج فيه المعتصم بالله الى الشماسيه في حراقه يشرب، و وجه في طلبى فصرت اليه.

فلما قربت منه سمعت غناء حيرنى و شغلنى عن كل شىء، فسقط سوطى من يدى، فالتفت الى غلامى اطلب منه سوطه، فقال لى:

قد سقط منى لصوت سمعته فشغلنى عن كل شىء، فاذا قصته قصتى. فلما دخلت على المعتصم بالله اخبرته بالأمر، فضحك و قال: هذا عمى ابراهيم بن المهدي كان يغينى:

ان هذا الطويل من آل حفص نشر المجد بعد ما كان ماتا

فان ثبت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء، سألته ان يعيده. ففعلت و امره باعاده غنائه. فبلغ بى الطرب حدا كبيرا بحيث رجعت عن رأى في الغناء منذ ذلك اليوم(١).

و قد عرف احمد بن ابى دواد بحبه الأدب و رعايه الادباء و الشعراء و اغداقه عليهم، و اعاله بعضهم بحيث انهم افتقدوه عند موته. و كان الجاحظ ملازما محمد بن عبد الملك الزيات خاصا به، و منحرفا عن ابن ابى دواد للخصومه التى كانت بين الاثنين. فلما قتل ابن الزيات جىء بالجاحظ مقيدا الى قاضى القضاء فانبه و عاتبه، الا انه سرعان ما عفا عنه و اطلق سراحه(٢). فنال الجاحظ بعد ذلك حظوه لديه عند ما اهدى اليه كتابه «البيان

١- الآغانى ١٠٦/١٠-١٠٧.

٢- معجم الادباء ٥٨/٦-٥٩، و الفرغ بعد الشده ١/٣٦١.



و التبين» فاعطاه خمسه الاف دينار. و لعل من المناسب ان ننقل نص كلمه الاهداء التى صدر بها الجاحظ الكتاب. يقوم امام الادباء: «حفظك الله و ابقاك و امتع بك، و جعل ما بينى و بينك من ود موصولا أبد الدهر. فقد عرفتك صديقا لا يشوب صداقته زيف من شوائب الدنيا. و عرفتك على تقادم العهد و تطاول الزمان، أذا ثابت الاخاء، و ثيق النفس، ليس كمن يدور بخلته بين الناس ملتصبا بها الغنم و باغيا بها النفع. فكان ذلك، ايدك الله، مما اكبرك فى عينى و اعظمك فى نفسى. و بسطنى ان اقدم اليك هذا الكتاب الخالد، لترى فيه، و لتعلم ايها السمي الكريم، أنى احفظ لك فى نفسى مثل ما تحفظ لى من وفاء، و اطوى لك صدرى مثل ما تطوى من ولاء»(١).

كما مدحه ببضعه ابيات من الشعر بمناسبات مختلفه، منها قوله(٢):

و عويص من الامور بهيم غامض الشخص مظلّم مستور

قد تسهلت ما توعر منه بلسان يزينه التحبير

مثل وشى البرود هلهله النسج و عند الحجاج در نثير

حسن الصمت و المقاطع امانطق القوم و الحديث يدور

١- البيان و التبين ٣/١.

٢- نفس المصدر/٢٢٣، و معجم الادباء ٥٩/٦ - ٦٠، مع تغيير طفيف.

ثم من يعد لحظه تورث اليسر و عرض مهذب موفور

و مدح بعض الشعراء القاضى بن ابى دواد، و على رأسهم ابو تمام الطائى الذى امتدحه بقصائده عديده فى مناسبات مختلفه قال فى احدى قصائده فى مدحه (١):

يا ابا عبد الله أوريت زنادفى يدي كان دائم الاصلاح

انت جبت الظلام عن سبل الآمال اذ ضل كل هاد و حاد

كادت المكرمات تنهد لو لأنها أيدت بحى اباد

و قال فى قصيده اخرى يمدحه بها (٢):

لقد انست مساوى ء كل دهرمحاسن احمد بن ابى دواد

متى تحلل به تحلل جنابارضيعا للسوارى و الغوادى

توشح نعمه الأيام فيه و تقسم فيه ارزاق العباد

و ما اشتبهت طريق المجد الاهداك لقبه المعروف هاد

---

١- القصيده فى ديوان ابى تمام ١ / ٣٥٦ - ٣٦٨.

٢- القصيده فى ديوان ابى تمام ١ / ٣٦٩ - ٣٨٢.

و ما سافرت فى الآفاق الاو من جدواك راحلتى و زادى

و عند ما ولى احمد ابن ابى دواد ديوان المظالم مدحه ابو تمام بقصيده انطوى قسم منها على بعض الحكم، و مطلعها(١).

ألم يأن بأن تروى الظماء الحوائم و أن ينظم الشمل المشتت ناظم

و يقول فيها:

ينال الفتى من عيشه و هو جاهل و يكدى الفتى فى دهر و هو عالم

و لو كانت الارزاق تجرى على الحجاهلكن اذن من جهلهن البهائم

الى ان يقول:

الى احمد المحمود رامت بنا السرى نواعب فى عرض الفلا و رواسم

الى سالم الاخلاق من كل عائب و ليس مال على الجود سالم

له من ايااد قمه المجد حيثما سمت و لها منه البنا و الدعائم

ثم ينتهي بقوله:

إذا أنت لم تحفظه لم يك بدعهو لا عجا أن ضيعته الأعاجم

فقد هز عطفيه القريض توقعالعدلك مذ صارت اليك المظالم

و لو لا خلال سنها الشعر ما درى بغاه الندى من اين توتى المكارم

كما مدح الشاعر ابو حفصه مروان بن ابى الجنوب ابن ابى دواد بقوله(١):

لقد حازت نزار كل مجدو مكرمه على رغم الاعادى

فقل للفاخرين على نزارو منهم خندف و بنو اباد

رسول الله و الخلفاء مناو منا احمد ابن ابى دواد

و ليس كمثلهم فى غير قومى بموجود الى يوم التنادى

و لما اصابته العله البارده- الفالج و عجز عن الكلام قال ابن ابى الجنوب فيه(٢):

---

١- وفيات الاعيان ١ / ٦٩.

٢- تاريخ بغداد ٤ / ١٥٠.

لسان احمد سيف مسه طبع من عله، فجلالها عنه جاليها

ماضر احمد باقى عله درست و الله يذهب عنه رسم باقيها

موسى بن عمران لم ينقص نبوته ضعف اللسان به قد كان يمضيها

قد كان موسى على علات منطقته رسائل الله تأتية يؤديها

و قد هجا ابن ابى دواد شعراء آخرون، و على رأسهم البحترى الذى كان ينقم عليه انه رأس المحنه بالقول بخلق القرآن، و لذا فقد هجاه و هجا كتابه بعده قصائد. فقد قال يهجو<sup>(١)</sup>:

يا احمد بن ابى دوادو الحادثات بكل ناد

ماذا رأيت اذا انتسبت الى اباد فى اباد

و هجاه بقصيده اخرى عند ما رفع المتوكل على الله المحنه، باعتبار ان ابن ابى دواد هو المسؤول عن قيامها، و سنأتى على بعض ابياتها فيما بعد.

و هجا الشاعر هفان المهزومى ابن ابى دواد عند ما سمع مدح مروان بن ابى الجنوب فيه، فقال يعارضه<sup>(٢)</sup>:

---

١- ديوان البحترى.

٢- وفيات الاعيان ١/ ٧٠، و تاريخ بغداد ٤/ ١٤٣.

فقل للفاخرين على نزارو هم في الأرض سادات العباد

رسول الله و الخلفاء مناو نبرأ من دعي بني اباد

و ما منا اباد ان اقرت بدعوه احمد بن ابي دواد

فلما بلغت هذه الأبيات ابن ابي دواد قال: ما بلغ مني احد ما بلغ هذا الغلام المهزومي، لو لا اني اكره ان انبه عليه لعاقبته عقابا لم يعاقب احد بمثله جاء الى منقبه لي فنقضها عروه عروه.

كما هجاه ابو الحجاج الأعرابي بقوله (١):

نكست الدين يا ابن ابي دواد فأصبح من اطاعك في ارتداد

زعمت كلام ربك كان خلقاً مالك عند ربك من معاد؟

كلام الله انزله بعلم و أنزله على خير العباد

و من امسى ببابك مستضيفا كمن حل الفلاه بغير زاد

---

١- نشوار المحاضرہ ٥/ ٢٢٠، و تاريخ بغداد ٤/ ١٥٣ و فيه «اظرفت» في اول البيت الاخير.

لقد أطرفت يا ابن ابي دواد بقولك اننى رجل ايادى

و من الشعراء المشهورين الذين هجوا ابن ابي دواد الشاعر الهجاء دعبل الخزاعى. فقد كان ابن ابي دواد يطعن بالشاعر المذكور بحضره المأمون و المعتصم بالله و يسبه تقربا اليهما لأنهما يبغضانه لطول لسانه. فلما تزوج ابن ابي دواد بامرأتين من قبيله عجل فى سنه واحده قال دعبل يهجو به بايات مقذعه، منها(١):

غصبت عجلا على فرجين فى سنهافسدتهم ما اصلحت من نسبك

و لو خطبت الى طوق و اسرته فزوجوك لما زادوك فى حسبك

ان كان قوم اراد الله خزيهم فزوجوك ارتغابا منك فى ذهبك

فذاك يوجب ان النبع تجمعه الى خلافك فى العيدان او غربك

و لو سكت و لم تخطب الى عرب كما نسبت الذى تطويه من سبيك

عد البيوت التى ترضى بخطبتها تجد فزاره العكلى من عربك

---

١- ديوان دعبل / ٦٩، و الاغانى ٢ / ١٣٤ - ١٣٥.

و لما ولى الواثق بالله الخلفه ابقى ابن ابى دواد على قضاء القضاء، و قد حسنت حاله لديه، و بقى على ما كان عليه من سعه النفوذ و التأثير على الخليفه. و كان اليه تعيين القضاء، فلم يعين الا من كان من القائلين بخلق القرآن.

و قد استمر الواثق بالله فى مناخره المعتزله بتأثير ابن ابى دواد، بل لقد تطرف و اشتد فى محاربه اهل السنه، حتى انه قتل الفقيه احمد بن نصر الخزاعى لأنه لم يستجب الى دعوته بالقول بخلق القرآن. و كان ابن ابى دواد هو الذى تولى محاكمته بحضوره الخليفه مع عدد آخر من الفقهاء، و قد فصلنا ذلك فى الفصل الخاص بالمحنه.

كان الواثق بالله شديد الاعجاب باحمد بن ابى دواد، و يستشيريه فى معظم اموره و يعمل بمشورته. و قد امره ان يصلى بالناس فى يوم عيد، و كان عليل فلما انصرف من الصلاه، قال له: يا ابا عبد الله كيف كان عيدكم؟ قال: كنا فى نهار لا شمس فيه. فضحك الواثق بالله و قال: يا ابا عبد الله انا مؤيد بك (١).

قال احمد بن ابى دواد: دخلت يوما على الواثق بالله، فقال لى: ما زال قوم فى ثلبك و نقصك. فقلت: يا امير المؤمنين «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْاِثْمِ وَ الَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (٢) و الله ولى جزائه، و عقاب امير المؤمنين من ورائه، و ما ذل من كنت ناصره، و لا ضاع من كنت حافظه فماذا قلت لهم؟

قال: قلت.

١- تاريخ بغداد ١٤ / ١٨.

٢- الآيه (١١) من سوره النور.



و سعى الى بعيب عزه نسوهجعل الاله خدودهن نعالها

وقال الواثق يوما لابن ابي دواد، وقد ضجر من كثره حوائجه: ان بيوت الأموال خلت بطلباتك للائدين بك و المتوسلين اليك. فقال: يا امير المؤمنين، نتائج شكرها متصله بك، و ذخائر اجرها مكتوبه لك، و مالى من ذلك الاعشق الأنس بحلو المدح فيك. فقال: يا ابا عبد الله لا منعناك ما يزيد فى عشقك و يقوى همتك، فتناولنا بما احببت(١).

و لما توفى الواثق بالله حضر ابن ابي دواد ساعه وفاته فاغمضه و اصلح من شأنه، و صلى عليه و انزله قبره(٢). و حضر مع بقية رجال الدوله و القواد الاجتماع الذى عقد فى دار الخلافه لاختيار خليفه للواثق بالله. و قد أبعد ابنه لصغر سنه، فشارك فى اختيار اخى الواثق بالله جعفر بن المعتصم بالله، و هو الذى البسه الطويله و عممه و سلم عليه بالخلافه، و اقترح ان يلقب بالمتوكل على الله.(٣)

و كان ابن ابي دواد يحسن معامله جعفر فى عهد اخيه الواثق بالله الذى كان يجفوه و يحق عليه. و قد كلمه ابن ابي دواد فى ذلك و اقسم عليه بحق ابيه المعتصم بالله ان يرضى عنه، فرضى الواثق بالله عن اخيه. فلما استخلف جعفر ابقاه على رئاسه القضاء. الا ان ابن ابي دواد اصيب بالفالج فى جمادى الآخره سنه (٢٣٣ هـ) و رغم ذلك ابقاه الخليفه فى منصبه حتى اواخر شهر

١- تاريخ بغداد ١٤٦ / ٤.

٢- الطبرى ١٥٠ - ١٥١ / ٩.

٣- الطبرى ١٥٤ - ١٥٥، و الكامل ٣٤ / ٧.

صفر من سنه (٢٣٧ هـ) فغضب عليه و عزله من رئاسه القضاء و امر بالقبض على ضياعه و املاكه، و حبس ابنه ابا الوليد و سائر اولاده. فحمل ابو الوليد الى المتوكل على الله مائه و عشرين الف دينار و جواهر قيمتها عشرون الف دينار، ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر الف الف درهم، و اشهد الخليفه عليهم جميعا ببيع املاكهم (١). و يظهر مما ذكره ابن و كيع القاضى ان احمد ابن ابى دواد كان يميل الى الامويين (٢). الا ان هذا القول لا يمكن الاعتداد به لأن خدمه ابن ابى دواد الطويله برهنت على اخلاصه لبني العباس، و لم يكن هناك سبب واضح لغضب الخليفه عليه سوى طبيعه المتوكل على الله المتقلب المزاج، و حسده ذوى النعمه و المكانه من رجاله، مما سيأتى ذكره فى فصول قادمه.

توفى احمد بن ابى دواد فى المحرم من سنه (٢٤٠ هـ) (٣) و نقل عنه انه قال: ولدت سنه ستين و مائه (٤) و هذا يتفق مع ما جاء فى كتاب العبر من انه مات و له ثمانون سنه (٥). و عند ما شيعت جنازته وقف ببابه جماعه من الشعراء، فقالوا: يدفن من كان على ساقه الكرم و تاريخ الأدب و لا يتكلم فيه، فقال احدهم (٦):

اليوم مات نظام الفهم و اللسن و مات من كان يستعدى على الزمن

١- الطبرى ٩ / ١٨٩، و الكامل ٧ / ٥٩.

٢- اخبار القضاء ٣ / ٢٩٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٩٧، و الكامل ٧ / ٧٥.

٤- وفيات الاعيان ١ / ٧٣.

٥- العبر ١ / ٤٣١.

٦- وفيات الاعيان ١ / ٧٤.

و اظلمت سبل الآداب اذ حجبت شمس المكارم فى غيم من الكفن  
و تقدم آخر فقال:

ترك المنابر و السرير تواضعاو له منابر لو يشا و سرير  
و لغيره يجبى الخراج و انما تجبى اليه محامد و اجور

و قال ثالث:

و ليس فتيق المسك ريح حنوطه و لكنه ذاك الثناء المخلف  
و ليس صرير النعش ما تسمعونه و لكنها اصلا ب قوم تقصف

### يحيى بن اكنم التميمى:

ابو محمد، يتصل نسبه باكنم بن صيفى التميمى حكيم العرب المشهور. بدت عليه علائم النباهه فى سن مبكره، فقد جلس لسمع  
الحديث على عبد الله بن المبارك، و هو صغير السن، فاحتفل ابوه بهذه المناسبه فصنع طعاما و دعا الناس متفاخرا بابنه(١).  
و عبد الله بن المبارك من علماء العرب فى خراسان، و من قبيله بنى تميم كذلك. و قد جمع الحديث و الفقه و اللغه و قضى  
عمره فى

الاسفار حاجا و مجاهدا و تاجرا، توفى سنة (١٨١ هـ) فى هيت على الفرات منصرفا من غزو الروم(١).

لقد نشأ يحيى عالما بالفقه بصيرا بالاحكام، و كان عالما بالقرآن و الحديث و اللغة، متكلمما، فاذا جادل رجلا اتاه من جميع الابواب حتى يفحمه، فاذا وجدته يحفظ الحديث سأله عن الفقه، و اذا رآه يحفظ الفقه سأله عن النحو، فاذا رآه ملما به سأله عن الكلام، حتى يقطعه و يخجله، و يعزو الخطيب البغدادي ذلك الى شدة حسده(٢). و لكنه على ايه حال دليل على سعه علمه و تعدد معارفه.

و كان يحيى مع فقهه و سعه علمه من ادهى الناس و اخبرهم، حاضر البديهه، سريع الجواب. و قد تولى قضاء البصره و سنة احدى و عشرون سنة، فاستصغره شيوخها فامتنوه، فقالوا، كم سن القاضى؟ قال: سن عتاب بن اسيد حين و لاه رسول الله صلى الله عليه و سلم على مكه، فجعل جوابه احتجاجا(٣). و لقيه مره رجل، و هو يومئذ قاضى القضاة، فقال له اصلح الله القاضى، كم آكل؟ قال: فوق الجوع و دون الشبع، فقال: فكم اضحك؟ قال:

حتى يسقر وجهك و لا يعلو صوتك، قال: فكم ابكى؟ قال: لا تمل البكاء من خشيه الله تعالى، قال: كم اخفى من عملى؟ قال: ما استطعت، قال: فكم أظهر منه؟ قال: ما يقتدى بك البر و يؤمن عليك قول الناس(٤).

١- الاعلام ٤ / ٢٥٦.

٢- تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٥، و وفيات الاعيان ٥ / ٢٠٢.

٣- تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٨، و وفيات الاعيان ٥ / ١٩٩ بروايه اخرى.

٤- تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠٠.

وقد اتهم يحيى بن اكنم ببعض الهنات التي اشيعت عنه و هو منها برى ء. و مما يؤيد انها نسبت اليه بهتاناً انه ذكر للامام احمد ابن حنبل عنه و ما يرميه بعض الناس به، فعجب من ذلك و انكره انكاراً شديداً(١). و كتب الخليفة المتوكل على الله الى الامام احمد يسأل عن رجلين احدهما يحيى بن اكنم، فكتب اليه: اما فلان فلا و لا كرامه، و اما يحيى بن اكنم فقد ولى القضاء فما طعن عليه احد(٢). و لما قدم احمد بن المعذل و هو من فقهاء المالكية على المتوكل على الله، ذكر يحيى بن اكنم فى مجلس الخليفة، فقال بعض الحاضرين: ذاك صاحب غلمان، فستر ابن المعذل وجهه، و قال: سبحانك هذا بهتان عظيم(٣). و يقول ابن وكيع القاضى كان يحيى كثير المزاح لا يدع الهزل فى مجلسه، و له طرائف فى الهزل(٤). و روى عن احد العلماء قوله: كان يحيى بن اكنم لا يدع العبث و النظر، فاما ما وراء ذلك فلا، و للحمد لله(٥). و مما يؤيد ما ذكره ابن وكيع ان احد البلغاء سئل عن يحيى بن اكنم و احمد بن ابى دواد، أيهما انبل؟ فقال: كان احمد يجد مع جاريتته و ابنته، و يحيى يهزل مع خصمه و عدوه(٦). و لعل ميل يحيى الى الهزل و أنسه بالناس و مآزحتهم سببت له تلك السمعة المشينه.

و لا ينكر ان من يكون فى منزلته العلميه و الاجتماعيه لا يخلو ممن يحسده و يروج ما يسيء الى سمعته و ينتقص من منزلته.

١- وفيات الاعيان ٥ / ٢٠١.

٢- اخبار القضاء ٢ / ١٦١.

٣- اخبار القضاء ٢ / ١٦٥.

٤- اخبار القضاء ٢ / ١٦٦.

٥- نفس المصدر ٢ / ١٦٤.

٦- تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٨، و وفيات الاعيان ٥ / ١٩٨.

لقد اتصل يحيى بن اكنم بالخليفة المأمون لما كان فى مرو، و خرج معه فى بعض غزواته الى بلاد الروم. و بعثه المأمون فى سنه (٢١٦ هـ) فى حملته الى بلاد الروم فغزا و عاد ظافرا(١). و قد اعجب المأمون بسعه علم يحيى بالفقه و الحديث، و غزاره ادبه، و سرعه جوابه، و قوه حجته، فقربه اليه و نادمه، فغلب عليه يحيى بحيث لم يتقدمه عنده احد من الناس(٢). و كان اذا صحب المأمون فى سفر ركب معه بمنطقه و قباء و سيق بمعاليق، و اذا كان الموسم شتاء ركب فى اقبية الخز و قلانس السمرور و السروج المكشوفه(٣).

و استصحبه المأمون الى مصر فى سنه (٢١٧ هـ) و كانت مصر بلا- قاض، فأمره الخليفة ان يجلس فى المجلس للقضاء، فجلس و قضى بين الناس لمدته قصيره(٤). و يقول ابن خلكان انه حكم ثلاثه ايام(٥).

و قلده المأمون منصب قاضى القضاء و اوكل اليه تدبير اهل مملكته، فكان وزراء الخليفه لا يعملون شيئا الا بعد مطالعه يحيى ابن اكنم(٦). الا انه لم يلبث ان سخط عليه عند ما كان فى مصر، و يبدو ان للحسد و الوشايات دورا فى ذلك. يقول اليعقوبى ان يحيى كان قد وشى بالمعتصم الى المأمون و قال له: بلغنى انه يحاول الخلع. و كان المأمون قد وجه ابا اسحاق الى مصر عند ما استفحلت الثوره فيها فى سنه (٢١٤ هـ) فبعث اليه يأمره بالقدوم. و لما

- 
- ١- الاعلام ٤ / ٢٥٦.
  - ٢- وفيات الاعيان ٥ / ١٩٨.
  - ٣- مروج الذهب ٤ / ٢٢.
  - ٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٤٤١ - ٤٤٢ و ٥٨٦.
  - ٥- وفيات الاعيان ٥ / ٢١١.
  - ٦- تاريخ بغداد ١٤ / ١٩٧ - ١٩٨، و وفيات الاعيان ٥ / ١٩٨، و العبر ١ / ٤٣٩.

ذهب المأمون الى مصر في اوائل سنه (٢١٧ هـ) وشى محمد بن ابى العباس و احمد ابن دواد بيحيى بن اكثم الى المأمون تقربا الى ابى اسحاق، فسخط عليه المأمون و امر بنفيه من عسكره و نزع السواد عنه- دليل اقضائه من منصبه- و اخراجه الى بغداد و امره ان لا يخرج من منزله(١).

و يستنتج مما جاء فى وصيه المأمون الى اخيه ابى اسحاق عن يحيى بن اكثم انه اتهمه بخبث السيره و الخيانه، اذ قال: «و لا تتخذن بعدى وزيراً تلقى اليه شيئاً، فقد علمت ما نكبنى به يحيى بن اكثم فى معامله الناس و خبث سيرته حتى ابان الله ذلك منه فى صحه منى، فصرت الى مفارقتة، قالبا له غير راض بما صنع فى اموال الله و صدقاته، لاجزاه الله عن الاسلام خيراً»(٢).

و قد ابعده المعتصم بالله لما ولى الخلافة، عملاً بوصيه اخيه.

و قد يكون لسبق و شايه يحيى عند المأمون تأثير فى ابعاده عن مناصب الدوله. فبقى بعيداً عن القضاء طيله عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله. لأن الواثق بالله كان شديد التأثير بعمه المأمون و يحاول ان يقتدى به فى كل اموره، فلم يستخدم يحيى طيله حكمه لأن عمه لم يكن راضياً عنه.

و عند ما غضب المتوكل على الله على قاضى القضاء احمد بن ابى دواد و عزله عن عمله فى سنه ٢٣٧ هـ رضى عن يحيى بن اكثم، و كان مقيماً ببغداد، فأشخصه الى سر من رأى و ولاه منصب قاضى القضاء و اضاف اليه رد المظالم(٣). و يقول الخطيب البغدادي ان

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٦٥ - ٤٦٦.

٢- الطبرى ٨ / ٦٤٩.

٣- الطبرى ٩ / ١٨٨، و مروج الذهب ٤ / ٩٦.

الخليفه خلع عليه خمس خلع (١). وقد استفتح يحيى عمله بأن ولى حيان بن بشر القضاء على الجانب الشرقى من بغداد و سوار ابن عبد الله العنبرى قضاء الجانب الغربى منها، و كلاهما اعور، فقال الجماز الشاعر (٢):

رأيت من الكبائر قاضيين هما احدوثة فى الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين قدا كما اقتسما قضاء الجانبين

و تحسب منهما من هز رأسا لينظر فى موارىث و دين

كأنك قد وضعت عليه دنا فتحت بزاله من فرد عين

هما فأل الزمان بهلك يحيى اذ افتتح القضاء باعورين

الا ان المتوكل على الله سخط على يحيى بن اكنم فى سنة (٢٤٠ هـ) فعزله عن القضاء، و امر بمصادره امواله و املاكه، و أعيد الى بغداد و الزم منزله. فقبض ما كان له ببغداد و مبلغه خمس و سبعون الف دينار، و من اسطوانته فى داره الفا دينار، و اربعة آلاف جريب فى البصرة (٣).

---

١- تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠١.

٢- الطبرى ٩ / ١٨٩.

٣- الطبرى ٩ / ١٩٧ - ١٩٨، و الكامل ٧ / ٧٤، و العبر ١ / ٤٢٩ و فيه انه اخذ منه مائة الف دينار.



و خرج يحيى الى الحج فى سنة (٢٤٢ هـ) و حمل اخته معه، و عزم على ان يجاور و ينقطع للعباده. و يقول ابن وكيع ان المتوكل على الله نفاه الى مكه (١). و اتصل بيحيى ان الخليفه قد رضى عنه فبدأ له فى المجاوره، و رجع يريد العراق، حتى اذا صار الى الربذه وافته المنيه فى يوم الجمعة منتصف ذى الحجه من السنه نفسها، و قيل فى مطلع السنه التاليه، و عمره ثلاث و ثمانون سنه و دفن هناك (٢).

### جعفر بن عبد الواحد الهاشمى:

هو جعفر بن عبد الواحد بن سليمان بن على، هاشمى من البيت العباسى. كان فقيها حافظا للحديث، لسنا بليغا، و قد وصف بأنه رجل تصلح له الخلافه من ولد العباس لما يتمتع به من سكينه و وقار (٣). و لاه المتوكل على الله منصب قاضى القضاة بسامرا فى صفر سنه (٢٤٠ هـ) بعد عزل يحيى بن اكثم (٤).

و عند ما تم الاتفاق على المفاداه مع الروم فى شوال سنه (٢٤١ هـ) طلب جعفر بن عبد الواحد ان يؤذن له فى حضور عمليه الفداء، و ان يستخلف رجلا يقوم مقامه فى اثناء غيابه، فوافق الخليفه المتوكل على الله و امر له بمائه و خمسين الف درهم معونه، و ارزاق ستين الف. فاستخلف جعفر الحسن بن ابى الشوارب، و لحق بشنيف الخادم المكلف بالفداء، و حضر معه عمليه المفاداه (٥).

١- اخبار القضاة ٣/ ٣٠٣.

٢- تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٣، و وفيات الاعيان ٥/ ٢١٢.

٣- تاريخ بغداد ٧/ ١٧٤.

٤- الطبرى ٩/ ١٩٨، و المنتظم ٥/ ١١.

٥- الطبرى ٩/ ٢٠٢-٢٠٣، و الكامل ٧/ ٧٧.

و لما آلت الخلافه الى المنتصر بالله استمر جعفر بن عبد الواحد فى منصبه. و عند ما خلع المعتز و المؤيد نفسيهما من ولايه العهد فى صفر سنه (٢٤٨ هـ) بناء على طلب اخيهما الخليفه المنتصر بالله، حضر قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد للشهاده على ذلك مع كبار القواد و بنى هاشم و اصحاب الدواوين(١).

و عند ما بويع للمستعين بالله بالخلافه ابقى جعفر بن عبد الواحد قاضيا على القضاة حتى ربيع الأول من سنه (٢٥٠ هـ) حينما تمرد الشاكريه فبعث به الخليفه اليهم ليستمع الى شكواهم و يدعوهم الى الطاعه. و يظهر انه فشل فى ذلك، مما جعل القائد و صيفا يزعم بانه افسدهم. فغضب عليه الخليفه و عزله من منصبه و امر بنفيه الى البصره(٢). و يظهر انه عفى عنه و عاد الى سامرا عند ما بويع فيها للمعتز بالله. فقد استعان به الخليفه المذكور ليصلح بين الجند من الاتراك و المغاربه عند ما استولى المغاربه على الجوسق و بيت المال، فاستطاع جعفر ان يصلح ذات البين بينهما، فاصطلحا على الا يحدثا شيئا(٣).

و لما قتل المهتدى و اشهد على وفاته، صلى عليه جعفر بن عبد الواحد(٤). و قد توفى جعفر فى سنه (٢٥٨ هـ)، و يظهر مما ذكره الخطيب البغدادي و ابو المحاسن انه كان قاضيا على الثغور عند وفاته(٥).

١- الطبرى ٩ / ٢٤٦.

٢- الطبرى ٩ / ٢٧٦، و الكامل ٧ / ١٣٤.

٣- الطبرى ٩ / ٣٦٩.

٤- الطبرى ٩ / ٤٦٢، و الكامل ٧ / ٢٣٣.

٥- الطبرى ٩ / ٣٧١.

**جعفر البرجمي:**

جعفر بن محمد بن عمار البرجمي، من اهل الكوفه من قبيله تميم. كان يتولى قضاء الكوفه عند ما ولى منصب قاضى القضاء بسامرا، بعد ما عزل جعفر بن عبد الواحد(١). و كان قد تولى قضاء سامرا فى سنه (٢٣٥ هـ)، و تولى بعد ذلك قضاء واسط.

و كان البرجمي صلبا فى القضاء لا يسمح لأحد بالتدخل فى احكامه. و يقال ان صاحب البريد اراد ان يحضر مجلس قضائه، فقال له: من انت؟ قال: بعث بى لأجلس معك. فقال: انت متصفح وجوه حرم المسلمين، و ختم القمطر و قام. فبلغ الخليفه ذلك فارسل اليه و ولاه قضاء القضاء(٢). و بقى البرجمي فى منصبه حتى مات فى اوائل شهر رمضان سنه (٢٥٠ هـ)(٣)، اى بعد ستة اشهر تقريبا من توليه منصب قاضى القضاء.

و كان الشاعر ابو السرى احمد بن بديل قد هجاه، ثم عاد فمدحه، و مما قاله فى مدحه(٤):

سأشكر جعفرا و اقول فيه مقاله صادق فيما يقول

جبلت على العفاف و كل فضل و جل الناس خيرهم القليل

١- الطبرى ٩ / ٢٦٥ و ٢٧٦، و الكامل ٧ / ١٢٤.

٢- اخبار القضاء ٣ / ١٩٤.

٣- الطبرى ٩ / ٢٧٦، و الكامل ٧ / ١٣٥.

٤- اخبار القضاء ٣ / ١٩٦.

و وليت القضاء فخير وال على الأحكام ليس له عدول

و سرت كسيره العمرين حتى انار الحق و اتضح السبيل

### الحسن بن محمد بن ابي الشوارب:

الاموى البصرى. ولى القضاء فى عهد المتوكل على الله، و هو فتى حدث السن عند ما استخلفه قاضى القضاء جعفر بن عبد الواحد. و اراد المعتر بالله توليه قاض للقضاء جعفر بن عبد الواحد. و اراد المعتر بالله توليه قاض للقضاء فطلب الى مؤدبه محمد بن عمران الضبى ان يسمى له عددا من الفقهاء فسمى له ثمانيه، كان فيهم الخلنجى، و الخصاف. الا ان حاشيه الخليفه اتهموهم بانهم من اصحاب احمد بن ابي دواد و انهم قدريه جهميه، اى انهم من اهل الاعتزال. فأمر المعتر بالله باخراجهم الى بغداد، و ولى الحسن بن محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب المنصب المذكور، و ذلك فى سنه (٢٥٢ هـ) (١).

ولد الحسن بالبصره و نشأ فيها، و ابوه محمد بن عبد الملك الاموى البصرى من نسل خالد بن اسيد، و هو اخو عتاب بن اسيد الذى ولاه رسول الله صلى الله عليه و سلم على مكه. و كان محمد ابن عبد الملك من محدثى البصره و فقهاؤها. و قد اشخصه المتوكل على الله الى سامرا ليحدث فيها، عند ما نهى عن القول بخلق القرآن. و عند ما ورد كتاب الحسن على ابيه يعلمه بتوليه القضاء، كتب ابوه اليه: وصل كتابك بتوليتك القضاء، و حاشا لوجهك

الحسن باحسن من النار(١). اى انه يوصيه بالتمسك بالعدل فى احكامه لئلا يعرض نفسه لعذاب الآخرة.

كان الحسن من المروه و السخاء و الكرم على حانه لم ير عليها حاكم قط(٢). و كان الخليفه المعتر بالله يمتدحه كثيرا و يقول: ما رأيت أفضل منه، و لا احسن وفاء، ما حدثنى قط فكذبنى، و لا ائتمنته قط على شىء من سر او غيره فخانى عليه، و انى لأراه يستوحش من ذكر القبيح و يحسن الثناء(٣). و لم يزل الحسن يتقلد عمله طيله ايام المعتر بالله. و لما خلع المعتر بالله من الخلافه فى اواخر رجب سنه (٢٥٥هـ) حضر الحسن للشهاده على خلعه، فطلب اليه القائد صالح بن وصيف ان يكتب كتاب الخلع فاعتذر، فكتبه احد الكتاب الحاضرين. و حاول الحسن ان يؤمن سلامه الخليفه المخلوع و ذويه. فأخذ الشهاده على صالح بن وصيف بأن للمعتر و لاخته و امه و ابنه الأمان قبل ان يشهد على خلعه(٤).

و لما تولى المهتدى بالله الخلافه أقر الحسن بن ابى الشوارب على عمله فى القضاء، الا انه بعد مده قصيره حبسه و ولى عبد الرحمن بن نائل البصرى قضاء سامرا. و يظهر مما ذكره ابن وكيع القاضى ان الخليفه امر بحبس الحسن لاعتقاده بأن له علاقته بما اتهم به حماد بن اسحاق و اخاه القاضى اسماعيل بن اسحاق(٥).

١- تاريخ بغداد ٧ / ٤١٠.

٢- تاريخ بغداد ٧ / ٤١٠.

٣- نفس المصدر.

٤- الطبرى ٩ / ٣٩٠، و الكامل ٧ / ١٩٦.

٥- الطبرى ٩ / ٤٣٧، و اخبار القضاء ٣ / ٢٨١.

و قد اعيد الحسن بن ابى الشوارب الى منصبه لما تولى الخلافة المعتمد على الله. و عند ما عين الخليفة ابنه جعفر اوليا للعهد فى شوال سنه (٢٤١ هـ) و سماه المفوض الى الله، و عين اخاه ابا احمد الموفق وليا للعهد بعد جعفر، و اخذت البيعه بذلك على الناس، و فرقت نسخ كتاب العهد فى الأمصار، بعث المعتمد على الله نسخه من الكتاب المذكور مع الحسن ليعلقها فى الكعبه. فخرج الحسن الى الحج، فوافته المنيه بعد ما ادى فريضة الحج (١). الا ان الخطيب البغدادي يقول انه توفى بمدينه السلام لثمان عشره خلت من ذى الحجه سنه ٢٤١ هـ، و يشاركه فى ذلك ابن الجوزى (٢).

و احسبه انه نقل ذلك عنه. و يقول ابن الاثير انه توفى فى شهر رمضان من السنه المذكوره (٣). اى قبل ان يدرك موسم الحج.

### على بن محمد بن ابى الشوارب:

هو اخو قاضى القضاة الحسن بن محمد بن ابى الشوارب.

نشأ فى بيت علم وفقه، فسمع الحديث على محدثى عهده، و رواه.

و كان رجلا صالحا، ثقة امينا، لا مطعن عليه فى شىء، و قد حمل الناس عنه حديثا كثيرا (٤).

و لما توفى قاضى القضاة الحسن بن ابى الشوارب و جّه الخليفة المعتمد على الله وزيره عبيد الله بن يحيى الى على بن محمد بن ابى الشوارب فعزاه بأخيه و هنا بالقضاء، فأمتنع على عن قبول ذلك.

١- الطبرى ٩ / ٥١٥.

٢- تاريخ بغداد ٧ / ٤١٧، و المنتظم ٥ / ٢٧.

٣- الكامل ٧ / ٢٨٩.

٤- تاريخ بغداد ١٢ / ٦٠.

الا ان عبيد الله لم يبرح عليا حتى قبل المنصب، فتقلد قضاء القضاء في سامرا، و مكث بهذا المنصب حتى وفاته(١).

بقى على في منصبه حتى ايام المعتضد على الله، و قد أخذ برأيه في وجوب رد الفاضل من سهام المواريث على ذوى الأرحام، و امر بالكتاب الى جميع النواحي بردها(٢).

توفى على بن ابي الشوارب في عهد المعتضد بالله، و كانت وفاته لسبع خلون من شوال سنة (٢٨٣ هـ)، و هو بمدينة السلام، فحمل الى سامرا من يومه في تابوت و دفن فيها(٣).

### ٣- قضاء مدينة السلام:

#### اشاره

عند ما نقلت عاصمه الدوله العرييه الى سامرا ظلت مدينة السلام بغداد تحتفظ بمركزها المهم في النواحي المختلفه، و بخاصه النواحي العلميه و الاداريه. فكان و اليها يعتبر نائبا للخليفه او خليفه عنه. و لقضائها منزله لا تقل عن منزله قضاء العاصمه. و لذا رأينا من المناسب ان نستعرض سيره اولئك الذين تولوا قضاءها في عهد سامرا.

#### محمد بن سماعه:

ابو عبد الله محمد بن سماعه بن عبيد الله التميمي، من رجال الحديث و رواة الثقات، حتى قيل: لو كان اصحاب الحديث

١- المصدر السابق، و المنتظم ٥/ ١٦٤، و نشوار المحاضره ٤/ ١٣٣.

٢- المنتظم ٥/ ١٦١.

٣- الطبرى ١٠/ ٤٩، و المنتظم ٥/ ١٦٤، و تاريخ بغداد و فيه انه توفى لاحدى عشره خلت من شوال.

يصدقون كما يصدق محمد بن سماعه لكانوا فيه على نهائه(١).

كان ابن سماعه متعبدا متقشفا، و يروى عنه انه قال: مكثت اربعين سنه لم تفتنى التكييره الاولى فى جماعه الا يوما واحدا ماتت فيه امى(٢). و هو من اصحاب القاضى ابى يوسف و اخذ عنه و عن محمد بن الحسن، و روى عن ابن الحسن كتبه(٣). و قد ولاه المأمون قضاء مدينه المنصور بعد وفاه القاضى يوسف بن ابى يوسف، رغم انه كان يطعن بتقشفه، فقد روى عنه انه قال: عشره من اعمال البر لا يصعد الى لله، و الله، منها شىء، و لما سئل عنها عددها و كان من ضمنها تقشف ابن سماعه(٤).

استمر ابن سماعه على قضاء مدينه المنصور فى عهد المعتصم بالله، رغم انه كان على مذهب ابى حنيفه و يعتبر من ذوى الرأى فيه، و امتنع عن القول بخلق القرآن. و يظهر ان سبب بقاءه فى القضاء انه كان عالما ثقه محمود السيره(٥). الا انه لما ضعف بصره عزله المعتصم بالله، و يقال انه استعفى من العمل(٦).

و لمحمد بن سماعه عدد من المصنفات فى اصول الفقه. ذكر ابن النديم منها كتاب ادب القاضى و كتاب المحاضر و السجلات(٧). و ذكر له المسعودى كتاب نوادى المسائل و قد

١- تاريخ بغداد ٥ / ٣٤٢.

٢- نفس المصدر، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٧١.

٣- الفهرست / ٣٠٣، و العبر ١ / ٤١٤.

٤- تاريخ بغداد ٥ / ٣٤١ - ٣٤٢.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٢٧١.

٦- تاريخ بغداد ٥ / ٣٤٢، و النجوم الزاهره ٢ / ٧٢١.

٧- الفهرست / ٣٠٣.



وضعه عن استاذة محمد بن الحسن، و هو من الوف الاوراق(١).

لقد عمر محمد بن سماعه طويلا، فقد توفي سنة (٢٣٣ هـ) بعد ان بلغ مائه سنه من عمره، و هو صحيح الجسم و العقل(٢).

### شعيب بن سهل:

ابو صالح شعيب بن سهل بن كثير الرازى المولد، من رجال المعتزله المتطرفين، و لاه الخليفه المعتصم بالله فى اول خلافته قضاء الجانب الشرقى من بغداد عند ما توفي قاضيها جعفر بن عيسى الحسنى. و يظهر ان احمد بن ابى دواد رشحه لهذا المنصب لأنه من اهل الاعتزال. و قد جعل الخليفه اليه، اضافه الى القضاء، الصلاه بالناس فى مسجد الرصافه فى ايام الجمع و الأعياد(٣).

اى انه انا به عن نفسه فى اداء هذا الواجب الدينى، و فى ذلك تقدير كبير له، علما انه لم يكن يعين للامامه الا من بنى هاشم، او ممن يوثق به من افاضل المسلمين(٤).

كان شعيب من القائلين بخلق القرآن و نفى الصفات و الرؤيه عن البارى عز و جل فى الآخره. و كان ينتقص اهل السنه و يتحامل عليهم، و قد كتب على جدار مسجده «القرآن مخلوق» و حاول عوام الجند و الغوغاء فى ربيع سنه (٢٢٧ هـ) اثر مبايعه الواثق بالله ان يمحو هذه الكتابه، فمنعهم خادم المسجد، فذهبوا الى بيت القاضى نفسه و احرقوا بابه و انتهبوا داره، و ارادوا نفسه فهرب

١- مروج الذهب ٩٥ / ٤.

٢- مروج الذهب ٩٥ / ٤، و تاريخ بغداد ٣٤٣ / ٥، و الكامل ٤٠ / ٧.

٣- تاريخ بغداد ٢٤٣ / ٩، و اخبار القضاة ٢٧٧ / ٣.

٤- الخراج و صناعه الكتابه / ٤٣ - ٤٤.

منهم. فانفذ صاحب الشرطه اسحاق بن ابراهيم حرسا استطاعوا انقاذ شعيب و صاروا به الى دار اسحاق(١).

بقى شعيب على قضاء الرصافه، و لما تولى الواثق بالله الخلافه عزله من منصبه(٢). و قد توفي سنه (٢٤٦ هـ) فى ايام المتوكل على الله(٣).

### عبد الرحمن بن اسحاق:

عبد الرحمن بن اسحاق بن سلمه الضبى، كان جده من رجال الدوله(٤). و كان هو احد فقهاء المذهب الحنفى و من اصحاب الرأى فيه، و كان مترفا جماعا للمال(٥). و يروى ابن طيفور كيفيه توليه القضاء، و ذلك انه كان يختلف الى ولد ابن سماعه القاضى، فاتاهم يوما فتغدى عندهم، و اخذوا قلنسوته و تراموا بها و خرقوها، فاغضبه ذلك. فصار الى ايهم ليشكوهم فوجد عنده جماعه فاحتشم ان يشكوهم بحضره تلك الجماعه فجلس ينتظر خروجهم. فأتى ابن سماعه كتاب طاهر بن الحسين كبير قواد المأمون يذكر حاجته الى قاض يكون فى عسكره لينظر فى امورهم. فقال لعبد الرحمن: هل لك ان تمضى اليهم؟ قال:

نعم. فبعث به الى طاهر فجعله قاضيا فى عسكره، و استمر به الأمر، و دخل فى عداد القضاة(٦).

١- تاريخ بغداد ٩/ ٢٤٣، و اخبار القضاة ٣/ ٢٧٧، و تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٧٩.

٢- اخبار القضاة ٣/ ٢٧٧.

٣- الاعلام ٣/ ٢٤٤.

٤- تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٠.

٥- نفس المصدر/ ٢٦٠-٢٦١، و اخبار القضاة ٣/ ٢٨٢.

٦- بغداد لابن طيفور/ ١٤١.

و نقل عبد الرحمن الضبي بعد حين الى قضاء الرقه و بقى على قضائها مده، و قيل انه لما تولى قضاء الرقه لم يكن له علم بشىء من الفقه، الا انه عنى بعد ذلك بحفظ الحديث و حفظ منه شيئاً صالحاً(١). ثم عينه المأمون على قضاء مدينه المنصور بدلا من اسماعيل بن حماد، ثم ضم اليه قضاء الشقيه(٢)، لما عزل قاضيها بشر بن الوليد، فصار قاضيا على الجانب الغربى باسره.

و ظل فى منصبه هذا طيله ايام المعتصم بالله(٣). و عند ما خرج المعتصم بالله الى حرب الروم سنه (٢٢٣ هـ) احضر القضاء و رجالا- من ذوى العداله فاشهدهم على ما اوقف من الضياع، كان عبد الرحمن بن اسحاق احد القضاة الذين شهدوا على ذلك(٤).

و لما استخلف الواثق بالله عزل عبد الرحمن بن اسحاق فى سنه (٢٢٨ هـ) و ولى مكانه الفقيه الحسن بن على بن الجعد على قضاء مدينه المنصور، و عبد الله بن محمد الخلنجى على قضاء الشقيه(٥). و حضر عبد الرحمن بن اسحاق بصفته من كبار الفقهاء مجلس محاكمه احمد بن النصر الخزامى فأيد كفره، و قال هو حلال الدم(٦).

١- اخبار القضاء ٢٨٢ /٣.

٢- الشقيه محله كبيره بالجانب الغربى من بغداد، سمت بالشقيه لانها، شرقى مدينه المنصور.

٣- تاريخ بغداد ١٠ / ٢٦١.

٤- الطبرى ٩ / ٥٦.

٥- تاريخ بغداد ١٠ / ٢٧١.

٦- الطبرى ٩ / ١٣٨.

توفى عبد الرحمن الضبي في ذى القعدة سنة (٢٣٢ هـ) بفيد و هو بطريقه الى مكه لاداء فريضه الحج، و دفن بها(١).

### اسماعيل بن اسحاق:

ابو اسحاق اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد الأزدي.

نشأ بالبصره و درس اللغه و الحديث و الفقه على مذهب الامام مالك بن انس، حتى صار علما فيه، و قد عمل على شرحه و نشره، و صنف الكتب في الاحتجاج له، كما اتقن علوم القرآن و الحديث و صنف عددا من الكتب فيها(٢). و يقول ابن النديم ان اسماعيل بن اسحاق هو الذى بسط فقه مالك و دعا الناس اليه و رغبتهم فيه، و صنف فيه الكتب(٣). و كان ابوه اسحاق على المظالم في مصر في عهد المأمون(٤).

استوطن اسماعيل مدينه السلام و ولى القضاء فيها، و لم يزل يتولاه حتى وفاته. و قد تولى القضاء لأول مره فى سنه (٢٤٤ هـ) لما مات القاضى سوار بن عبد الله العنبرى، فأمر الخليفه المتوكل على الله قاضى القضاء جعفر بن عبد الواحد الهاشمى ان يولى اسماعيل بن اسحاق قضاء الجانب الشرقى من بغداد فولاه(٥).

و ظل فى منصبه حتى ايام المهتدى على الله الذى نقم على حماد بن

١- تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤١.

٢- تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٤ - ٢٨٥، و وفيات الاعيان ٢ / ٢٥٧، و المنتظم

٣- الفهرست ٢٩٦. ٥ / ١٥١ - ١٥٢.

٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٨٩ و ٥٠٢.

٥- تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٧.

اسحاق اخى اسماعيل لما بلغه عن مكاتبتة الموفق ايام كان بمكة و صرف اسماعيل عن القضاء(١).

و لما بويح للمعتمد على الله بالخلافه اعاد اسماعيل بن اسحاق الى عمله فى القضاء. و كان الموفق شديد الاعجاب باسماعيل و بعلمه، فسأله اسماعيل ان ينقله الى الجانب الغربى من مدينه السلام، و كان على قضاء الشقيه القاضى البرتى و على قضاء مدينه المنصور احمد بن يحيى، فكره ذلك قاضى القضاء الحسن بن ابى الشوارب و اجتهد فى رده، الا انه لم يستطع ذلك لتمكن اسماعيل من الموفق. فاجابه الى طلبه، و نقل البرتى الى الجانب الشرقى من المدينه، و اسماعيل الى الجانب الغربى باسره، و ذلك فى سنه (٢٥٨ هـ)، ثم جمع قضاء بغداد بجانبها لاسماعيل بن اسحاق فى سنه (٢٦٢ هـ) و قلد معها قضاء المدائن و النهروانات و قسم من اعمال السواد، و صار المقدم على سائر القضاء(٢).

كان اسماعيل بن اسحاق مقربا الى الخليفه المعتمد على الله و الى اخيه الموفق، فكانا يتتد بانه لبعض المهام. فقد اوفده الخليفه ضمن الوفد الذى بعث به الى يعقوب بن الليث لما استحوذ على اقليم فارس فى سنه (٢٥٧ هـ)(٣). و عند ما تغلب ابن واصل على فارس فى سنه (٢٦١ هـ) و اسر احد قواد موسى بن بغا، وجه الخليفه اسماعيل بن اسحاق الى ابن واصل يسأله اطلاق القائد

١- الطبرى ٩ / ٥٢٦، و تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٧ - ٢٨٨، و اخبار القضاء / ٣ / ٢٨١.

٢- الطبرى ٩ / ٥٢٦، و تاريخ بغداد ٦ / ٢٨٧ - ٢٨٨، و اخبار القضاء / ٣ / ٢٨١، و المنتظم ٥ / ١٥٢.

٣- الطبرى ٩ / ٤٧٦ / ٩ / ٤٧٦.

الأسير(١). ووجهه الخليفة كذلك الى يعقوب بن الليث عند ما وافى رامهرمز و عاد برسالة من يعقوب، في رجب سنة (٢٦٢) هـ(٢).

توفي اسماعيل بن اسحاق في ذي الحجة من سنة (٢٨٢ هـ) فجاهه و هو قاض على جانبي مدينة السلام(٣). و يقول ابن الجوزي انه لبس سواده ليخرج الى الجامع و لبس احد خفيه و جاء ليلبس الآخر فمات(٤). و اهم ما صنفه اسماعيل من الكتب كتاب في احكام القرآن، و كتاب في القراءات، و كتاب في معاني القرآن، و المسند(٥). و يضيف ابن النديم على هذه الكتب: كتاب احوال القيامة، و كتاب المبسوط، و كتاب شواهد الموطأ، و كتاب المغازي(٦).

### الحسن بن الجعد:

هو الحسن بن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري و كان ابوه مولى ام سلمة المخزومية امرأه ابى العباس السفاح(٧). و قد درس الفقه و الحديث على عليه اصحاب الحديث و رواته. و قد اخذ عنه البخاري(٨). و توفي بعد تولي ابنه القضاء

١- نفس المصدر / ٥١٣.

٢- نفس المصدر / ٥١٦.

٣- الفهرست / ٢٩٦، و تاريخ بغداد / ٦ / ٢٩٠، و أخبار القضاء / ٣ / ٢٨١.

٤- المنتظم / ٦ / ٣٨٤.

٥- تاريخ بغداد / ٦ / ٢٨٤ و ٢٨٦، و وفيات الاعيان / ٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨.

٦- الفهرست / ٢٩٦.

٧- المعارف / ٢٢٥.

٨- مروج الذهب / ٤ / ٧٦، و الكامل / ٧ / ١٨.

بستين(١). درس الحسن الفقه والحديث على ابيه، و تابع الدرس و التحصيل حتى غدا من مشاهير العلماء بمذهب اهل العراق(٢). و مال اول امره الى مذهب المعتزله ثم رجع عنه.

فقد سئل الامام احمد بن حنبل عنه، فقال: كان معروفا عند الناس بانه جهمي مشهور، ثم بلغني انه قد رجع عن ذلك(٣).

عرف الحسن بن الجعد بنبله و مروءته و سمو اخلاقه. و قد اختاره الواثق بالله لقضاء مدينه المنصور فى سنه (٢٢٨ هـ) و لم يزل قاضيا عليها الى ان مات فى رجب سنه (٢٤٢ هـ) فى عهد الخليفه المتوكل على الله(٤).

### عبد الله الخلنجى:

عبد الله بن محمد بن يزيد الخلنجى، من اصحاب الرأى، كان واسع العلم حاذقا فى الفقه الحنفى و من القائلين بخلق القرآن.

تقلد المظالم فى اقليم الجبل، و القضاء فى همذان نحو من عشرين سنه، فكان مستقلا بالقضاء و وجوهه(٥). كتب اليه الخليفه المعتصم بالله بأن يمتحن الناس، فكان معتدلا يضبط نفسه و لم يتطرف فى الاعتزال. فقد تقدمت اليه امرأه فقالت:

ان زوجى لا يقول بقول امير المؤمنين، ففرق بينى و بينه، فصاح بها(٦).

١- تاريخ بغداد ٧ / ٣٦٤.

٢- نفس المصدر، و اخبار القضاء ٣ / ٢٨٣.

٣- تاريخ بغداد ٧ / ٣٦٤.

٤- نفس المصدر، و الطبرى ٩ / ٢٠٨.

٥- تاريخ بغداد ١٠ / ٧٣.

٦- نفس المصدر، و اخبار القضاء ٣ / ٢٩٠ و جاء فيه ففرق بينه و بينها.

و تولى الخلنجى القضاء على الشرقيه بالجانب الغربى من بغداد فى ايام الواصل بالله (١)، و بقى فى منصبه حتى ايام المتوكل على الله، فعزله فى سنه (٢٣٧ هـ) و امر ان يكشف للناس ليفضحه، لأنه كان من اصحاب احمد بن ابى دواد. فاقيم للناس فى جمادى الأخيره من السنه المذكوره (٢). فلم يتقدم احد بالشكوى عليه او اتهامه بأخذ حبه من احد، حتى لقد قال بعض الشهود الذين حضروا الكشف: ما علمت ان القرآن مخلوق الا اليوم. فلما سئل كيف علم ذلك، قال: سمعت القاضى يقول ذلك (٣). و هو دليل على ما كان يتمتع به الخلنجى من ثقه عاليه فى نفوس الناس.

كان الخلنجى عفيفا و فيه تيه و كبر شديد، و يظهر انه كان اسود اللون ذا شكل مهيب، فقد قال فيه احد الشعراء (٤).

نسبته فى سواد لبسته اشبه شىء بلون خلقته

كأنى بالجمال قد نصبوا فيه الخلنجى فوق بغلته

اكرم به من فتى مناسبين اجاوينه و قصعته

١- تاريخ بغداد ١٠/ ٧٣ و اخبار القضاء ٣/ ٢٩٠.

٢- الطبرى ٩/ ١٨٩.

٣- تاريخ بغداد ١٠/ ٧٤.

٤- اخبار القضاء ٣/ ٢٩٠.



ما عذب الله امه سلفت فيما سمعنا بمثل صورته

يصطلىح الناس حين يقعد للحكم فرارا من هول طلعتة و عند ما اشتد الخلاف بين المستعين بالله و القواد الأتراك و اضطر الخليفة على الانحدار مع مؤيديه الى بغداد كان عبد الله الخلنجى من جملة حاشيته. و لما طلب امير بغداد محمد بن عبد الله الى المستعين بالله ان يتنازل عن الخلافة لانهاء الحرب مع المعتز بالله، بحضور عدد من القواد و الفقهاء، قال الخلنجى للخليفة محتجا على طلب محمد: يا أمير المؤمنين انه يسألك ان تخلع قميصا قمصك به الله(١). و لما اسقط بيد المستعين بالله و لم ير بدا من الموافقة على التنازل عن الخلافة. اشترط شروطا معينة لتنازله، فبعث محمد بن عبد الله وفدا الى قائد جيش المعتز بالله ابى احمد الموفق، يحمل كتابا بشروط الخليفة المستعين بالله، كان الخلنجى احد اعضائه، ففاوض الوفد و عاد بجواب ما سأل المستعين بالله من الشروط(٢).

و كان المعتز بالله بعد ان استقر له الأمر فى سامرا، طلب الى مؤدبه عمران الضبى ان يسمى له عددا من الفقهاء ليوليهم القضاء، فاقترح له ثمانية رجال فيهم عبد الله الخلنجى، الا انهم اتهموا بالاعتزال، فأمر المعتز بالله باخراجهم الى بغداد(٣). و قد سبقت الاشاره الى ذلك.

١- الطبرى ٩ / ٣٤٣.

٢- نفس المصدر / ٣٤٤.

٣- نفس المصدر / ٣٧١.

الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراك ١- الأتراك فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله.

٢- الصراع بين المتوكل على الله و الاتراك.

٣- ايام الفتنه.



## الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراك

### الفصل الأول الاتراك فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله

#### ١ - مقدمه:

كان الجيش عماد الدوله العربيه فى عهد العباسيين. و قد توسع كثيرا و ازداد عدده، و تنوعت صنوفه، و لم يعد يقتصر على العرب و حدهم، كما كان الأمر فى عهد الأمويين. اذ سمح لابناء البلاد المفتوحه ممن اعتنقوا الدين الاسلامى ان ينخرطوا فى صفوفه. و قد توسع العرب فى فتوحاتهم الى بلاد ما وراء النهر و استولوا على امهات المدن فيها مثل بخارى و كاشغر و فرغانه و سمرقند. و كان سكان هذه المناطق من القبائل التركيه البدويه، اعتنق اكثرها الدين الاسلامى. و يتميز ابناء هذه القبائل بقوه اجسامهم و شجاعتهم فى القتال. و كان قسم من غلمانهم من الاسرى و السبايا يجلبون الى مركز الخلافه و يباعون رقيقا. و قد

استخدم بعضهم فى الجيش لشجاعتهم و لياقتهم البدنيه. و يعتبر ابو جعفر المنصور اول خليفه استعمل مواليه و غلماناه و قدمهم على العرب، فامتثلت ذلك الخلفاء بعده(١). الا- ان عددهم كان قليلا، و لم يكن استخدامهم بموجب سياسه مرسومه. فبقيت اكثره الجيش على عهده من العرب و الخراسانيين.

و كان العباسيون فى اول عهدهم اكثروا من استخدام الخراسانيين فى الجيش لأنهم كانوا عوننا لهم فى التغلب على الامويين، مما جعلهم العنصر المسيطر فيه. و اتخذ الخلفاء الأوائل حرسهم الخاص منهم. غير ان انتصار المأمون على اخيه محمد الأمين اتاح لأنصاره من الفرس الذين اولاهم ثقته ان يهيمنوا على الجيش العربى هيمنه تامه. مما دفعه الى ان يستخدم ابناء ما وراء النهر، بعد ان اخضع كاتبه احمد بن ابى خالد الأحوال فى بلاد اشروسنه. و كان يأمر عماله فى خراسان ان يشجعوا اهل تلك البلاد على اعتناق الاسلام، فكان يستميلهم بالترغيب و يقرض لهم فى الديوان، و يجزل صلاتهم(٢). و لا ريب فى ان انعطاف المأمون نحو الأتراك كان رد فعل لما لمس من مطامع الفرس و محاولتهم الاستئثار بالسلطه. و كان الأفشين حيدر بن كاوس من امراء اشروسنه، و قد اصطنعه المأمون و اعتمد عليه، هو الذى زين له ان يتوسع شرقا فاستولت الدوله العربيه على مناطق و اقاليم جديده فى آسيا الوسطى.

ان المعتصم بالله الذى شاهد جراه الفرس و تطاولهم على قتل اخيه الخليفه محمد الأمين، اخذ يرتاب فى ولائهم منذ ان كان

١- مشاكلة الناس لزمانهم / ٢٣ لمن، و تاريخ الخلفاء / ٢٤.

٢- فتوح البلدان / ٤١٩ - ٤٢٠.

أميرا. كما ان نكبه الفضل بن سهل، و ترك المأمون مدينه مرو الى بغداد، مما اساء الى العلاقه بين العباسيين و الخراسانيين.  
فكان ذلك من جمله ما حدا بالمعتصم بالله الى الاعتماد على الاتراك.

لأنه رأى فى ذلك خير وسيله لاضعاف النفوذ الفارسى فى الجيش العربى. و يقول احد رجال المعتصم بالله، و هو جعفر الخشكى انه كان يوجه به فى ايام المأمون الى نوح بن اسد فى سمرقند لشراء الأتراك و انه كان يعود عليه فى كل سنه بجماعه منهم، بحيث اجتمع لديه منهم حينذاك زهاء ثلاثه الاف(١). و جعل حرسه الخاص منهم. و يقول ابن قتبيبه ان المأمون امر المعتصم بالله باتخاذ الاتراك و جلبهم(٢). و يقول اليعقوبى انه لما افضت اليه الخلافه اشترى من كان منهم من الرقيق فى بغداد. و كان ممن اشتراهم اشناس مملوك نعيم بن خازم، و ايتاخ مملوك سلام الابرش، و وصيف مملوك آل النعمان، و سيما الدمشقى مملوك الفضل بن سهل(٣). و اراه قد نوه بهذه الاسماء لما بلغه اصحابها من مراكز قياديه فى الجيش و الدوله، و لما كان لهم من تأثير كبير فى سير الاحداث.

و قد كلف المعتصم بالله عند ما كان اميرا بمهمتين عسكريتين اعتمد فيها على غلمانه من الاتراك. فعند ما ندبه الخليفه المأمون الى قمع الثوره التى قامت فى مصر فى سنه ٢١٤ هـ توجه اليها ابو اسحاق فى اربعة الاف من اتراكه(٤). و لما خرج مهدي بن علوان (٣) نفس المصدر / ٤١٩.

١- كتاب البلدان / ٢٥٥-٢٥٦.

٢- المعارف / ٣٩١.

٣- كتاب البلدان / ٢٥٦.

٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٨٨.

الحرورى على ابراهيم بن المهدي فى سنة ٢٠٣ هـ وجه اليه ابراهيم ابا اسحاق فى جماعه من القواد، و مع ابي اسحاق غلمان له اتراك(١).

و هكذا صار اكثر جند المعتصم بالله عند ما تولى الخلافه من اهل ما وراء النهر من الصغد و الفراغه و الاشروسنيه و اهل الشاش و كلهم من الأتراك(٢) بحيث صار له منهم جيش كبير، و يقول فى تقدير عددهم الشاعر على بن الجهم(٣).

امام من له سبعون الفامن الاتراك مشرعه السهام

و يقول ياقوت الحموى مؤيدا هذا العدد من جند المعتصم بالله الأتراك: ان جيوش المعتصم كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الأتراك سبعين الفا(٤).

## ٢- المعتصم بالله و استخدامه الاتراك فى الجيش:

لقد كانت هناك بالاضافه الى ما ذكرناه من عزم المعتصم بالله على القضاء على سيطره العنصر الفارسى على الجيش العربى، عوامل اخرى دفعته الى تترك جيشه جندا و قوادا. و من هذه العوامل هو ما له علاقه بشخصيه المعتصم بالله نفسه. و انه كان قوى الجسم بدرجه تلفت النظر، و يغلب عليه حب الفروسيه و الولع بالحرب و شؤونها، و لذا اعجب بشجاعه الغلمان الأتراك

١- الطبرى ٧ / ٥٥٨.

٢- فتوح البلدان / ٤٢٠.

٣- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٢، و الاغانى ١٠ / ٢٠٥.

٤- معجم البلدان ٣ / ١٧٤.

و جرأتهم. و كان يتخير عند شرائهم من يتوسم فيه الشجاعه و قوه الجسم، و اعتمد عليهم فى امر سلامته الشخصيه. و ميزهم على بقيه جنده فالبسهم حلل الديباج و المناطق المذهبه(١). و آثرهم على المتقدمين من اوليائه و نصحاء آبائه(٢).

و لما كان حظ المعتصم بالله من العلم و الثقافه ضئيلا، فقد كان يشعر بتقارب ذهنى مع هؤلاء الغلمان الذين كانوا اميين و قد جاءوا من مناطق متخلفه من الناحيه الحضاريه عن بقيه بلدان الدوله العربيه، و لا سيما مركزها مدينه السلام. و الواقع انهم كانوا لا يزالون فى دور البداوه فلا يخضعون الا لأمرء قبائلهم او رؤسائهم.

و كما يقول الطبرى انهم كانوا عجماء جفاه(٣). و لذلك فان الجيش الذى تكون منهم كان يختلف كثيرا عن بقيه الجيش العربى.

و لهذا افرد المعتصم بالله قلائعهم عن قطائع الناس جميعا عند ما بنى مدينه سامرا، و اشترى لهم الجوارى التركيات فازوجهم منهن، و جعلهم منعزلين عن غيرهم، و منعهم ان يتزوجوا او يصاهروا الى احد المولدين، و اجرى لجواريههم ارزاقا و اثبت اسماءهن فى الديوان، فلم يقدر احد منهم ان يطلق امرأته او ان يفارقها(٤). و قد اكد المعتصم بالله حرصه على عدم اختلاط الجند الاتراك بغيرهم عند ما اقطع اشناس ارضا فانه امره ان لا يطلق لغريب من تاجر و لا غيره مجاورتهم(٥)، بحيث جعل

١- مروج الذهب ٤ / ٥٣.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.

٣- الطبرى ٩ / ١٨.

٤- كتاب البلدان / ٢٥٨ - ٢٥٩.

٥- نفس المصدر / ٢٥٩.



للأتراك قطائع متحيزه (١). و قد كان اعتزازه بهم من اهم اسباب تشييد عاصمته سامرا.

يضاف الى ذلك موقف بعض القواد العرب منه عند ما بويح بالخلافه و ميلهم الى مبايعه العباس بن المأمون، مما جعله لا يطمئن الى ولائهم. كما ان انصراف العرب عن الحياه العسكريه الى النواحي الحضاريه الاخرى، لا سيما النواحي العلميه و الاقتصاديه نتيجة ارتفاع مستواهم الحضارى، ساعده على اضعاف شأنهم فى الجيش، مما اتاح له ان يخرج كثيرا منهم و يسقط اسماؤهم من الديوان دون ان يلقى مقاومه تذكر. اما من بقى من قبائل اليمن و قيس و مضر فى الجيش فقد اصطنعهم (٢) و ابقى عليهم.

ان هذه العوامل مجتمعه جعلت الخليفه المعتصم بالله لا- يأمن الجيش الذى وجده عند توليه الخلافه، سواء لتغلب العنصر الفارسى فيه، او لعدم ولاء بعض قواده من العرب، مما دفعه الى الاعتماد على عنصر جديد يركن اليه تتوفر فيه الكفايه و الولاء.

ولذا فقد اعتبر غلمان الأتراك اساس جيشه الجديد و اناط قياداته بمن توسم فيهم الجرأه و الشجاعه من جهه و الولاء من جهه اخرى، من بين هؤلاء الغلمان. و بدأ اصبح معظم القواد الكبار على عهد من الأتراك.

### ٣- كبار القواد الأتراك:

#### اشاره

اعتاد المعتصم بالله تكريم قواده الأتراك عند عودتهم من الحروب منتصرين، اعترافا بما قاموا به من خدمه الدوله و حمايه

١- مروج الذهب ٤ / ٥٤.

٢- مروج الذهب ٤ / ٥٣.

الدين، و تقديرًا لجهودهم في ذلك، و تشجيعًا لهم. و من اهم مظاهر هذا التكريم تقليد القائد الطوق و الأسوره، و السيف و المنطقه، بحيث صار ذلك رسماً لامراء الدوله (١). او الاغداق عليهم بالاموال و الهدايا الثمينه. فقد كرم الأفشين عند ما قدم ببابك اسيرا الى سر من رأى، بأن البسه و شاحين بالجوهر، و توجه، و وصله بعشرين الف الف درهم (٢). كما اجلس القائد اشناس على كرسي و توجه و وشحه (٣).

و كان تشجيع المعتصم بالله و تقديره قواده عاملاً مهماً في بروزهم على مسرح السياسه بعد وفاته، بحيث غدا لهم نفوذ سياسى الى جانب سلطاتهم العسكريه. و بدأ يكون المعتصم بالله قد خلق طبقه جديده من القواد الحكام. الذين لم تقتصر هيمنتهم على شؤون الدوله العسكريه فقط، بل شملت النواحي الاداريه و السياسيه كذلك. فقد عينوا للحجاب، و الولايه، مع احتفاظهم بمناصبهم القياديه في الجيش، فاصبح لهم السلطان الحقيقى على شؤون الدوله. و قد اتيح لهذه الطبقة من القاده الأتراك ان تلعب دوراً خطيراً في حياه الدوله العربيه بعد عهد المعتصم بالله.

و اظهرت الحوادث بعد مده قصيره ان استخدام الاتراك في الجيش كان خطأ كبيراً من المعتصم بالله، لأن قادتهم و رؤساءهم اساءوا استعمال نفوذهم و سلطانهم في فرض ارادتهم على الخلفاء، و اخذوا يتصرفون كغرباء متغلبين.

١- رسوم دار الخلافه / ٩٤.

٢- الطبرى ٩ / ٥٥.

٣- نفس المصدر / ١٠٣.

و قد برز فى عهد المعتصم بالله عدد من كبار القواد الأتراك.

و لعل ابرز هؤلاء حيدر بن كاوس، و قد اشرنا الى ما فيه الكفايه عنه عند الكلام عن حروبه و مطامحه و غضب الخليفه عليه و محاكمته. و من القواد الاتراك الذين اعتمد عليهم المعتصم بالله، و اتيح لهم ان يلعبوا ادوارا مهمه بعده: ايتاخ الخزرى، و بغا الكبير، و اشناس، و وصيف. و فيما يلى لمححه موجزه عن سيره كل منهم. و لسوف نتعرف على كثير عنهم فى الفصول القادمه.

### ايتاخ الخزرى:

اصل ايتاخ من الخزر، و كان طباخا مملوكا لسلام الأبرش خادم المأمون و الرشيد من قبله، فاشتره منه المعتصم بالله. و كان له من البأس و الشجاعه ما ساعده على ان يصل الى مركز مرموق فى الدوله. اذ قربه المعتصم بالله و رفع من شأنه، فولاه معونه سامرا بالاشتراك مع اسحاق ابراهيم المصعبى، اضافه الى البريد، و قياده قسم من الجيش. و فى حملته المعتصم بالله على بلاد الروم ولى ايتاخ قياده ميمنه جيشه (١). و كان يعتمد عليه فى مهام الامور و بخاصه فى التخلص من اعدائه، فمن اراد حبسه او قتله فعند ايتاخ يحبس و بيده يقتل (٢). و هو الذى تولى قتل العباس بن المأمون و عجيف بن عنبسه عند ما تأمرا على الوثوب بالخليفه، و هو ببلاد الروم (٣). و قد احتفظ ايتاخ بمركزه طيله ايام المعتصم بالله. و زاد نفوذه و توسع سلطانه فى عهد الواثق

١- الطبرى ٥٧ / ٩، و الكامل ٤٥١ / ٦.

٢- الطبرى ١٦٦ - ١٦٧، و النجوم الزاهره ٢٧٦ / ٢.

٣- النجوم الزاهره ٢٧٦ / ٢.

بالله الذى ولاه السند و خراسان، و عند ما مات اشناس صير الواثق ولايه مصر الى ايتاخ.

و لما استخلف المتوكل على الله بقى ايتاخ فى مرتبته، فكانت اليه قياده الأتراك و المغاربه و الموالى، ثم البريد اضافه الى الحجابيه بدار الخلافه. و لكن ما لبث المتوكل على الله ان تغير عليه اثر مشاجره قامت بينهما، هم فيها ايتاخ بقتله (١). فانتهمز المتوكل على الله فرصه خروج ايتاخ الى اداء فريضه الحج، فاتفق مع امير بغداد اسحاق بن ابراهيم على استدراجه عند عودته الى بغداد و القبض عليه هناك. و نجح اسحاق فى ذلك فقيد ايتاخ و سجنه. و ما لبث ان مات فى السجن و يقال انه قتل عطشا فى سجنه (٢). و سنأتى على تفصيل ذلك فى موضوع الصراع بين المتوكل على الله و الأتراك.

### أشناس:

من الغلمان الأتراك الذين اشتراهم المعتصم بالله ببغداد، و كان مملوكا لنعيم بن خازم. و قد اعجب المأمون بشجاعته فقربه و اعتمد عليه. و عند ما تكررت الثورات بمصر ضد الولاة قدم اليها المأمون فى سنه ٢١٥ و معه اشناس، الذى عاونه فى اعاده النظام الى البلاد. و لما وجه ابراهيم بن المهدي، فى اثناء توليه الخلافه، ابا اسحاق لحرب ابن علوان الحرورى طعنه احد الحروريه فحامى عنه اشناس فحاز ثقته، بحيث لما آلت اليه الخلافه جعله من كبار قواده، و انعم عليه بولايه مصر و دعى له

١- الطبرى ٩/ ١٦٧، و الكامل ٧/ ٤٣.

٢- النجوم الزاهره ٢/ ٢٧٦.

على منابرها. كما انه استخلفه على العاصمه سامرا عند ما خرج الى السن فى سنه ٢٢٥ هـ (١). و عند تأسيس سامرا اقطعه الخليفه المعتصم بالله و اصحابه الموضع المعروف بالكرخ و ضم اليه عدده من قواد الاتراك و الجند، و امره ان يبنى المساجد و الاسواق و ان لا يطلق لغريب من تاجر و لا غيره مجاورتهم (٢). و كان قد جعله على مقدمه جيشه فى حملته على بلاد الروم، فكان اشناس اول من ورد عموريه عند ما افتتحها المعتصم بالله (٣).

كما كان لاشناس دور كبير فى كشف مؤامره العباس على المعتصم بالله، و فى القضاء على رؤوسها مما زاد فى اعتماد الخليفه عليه، و صار اثيرا لديه. و قد كرمه بأن اشرف على حفل زواج ابنته اترنجه من الحسن بن الافشين، و أمر بأن يكون العرس فى قصره، و احضر عرسها عامه اهل سامرا، و كان يتفقد بنفسه من حضره (٤). و اجلسه على كرسى و وشحه بنفسه فى سنه ٢٢٥ هـ (٥).

و قد ازداد نفوذ اشناس فى عهد الخليفه الواثق بالله، اذ استخلفه فى سنه ٢٢٨ هـ على السلطنه و البسه تاجا مجوهرا و وشاحين مجوهرين (٦). مما زاد فى سلطاته التى تعدت المهام العسكريه. و يلاحظ انه اول قائد يقلد السلطنه فى ظل الخلافه العباسيه. و قد توفى اشناس فى سنه ٢٣٠ هـ فى ايام الخليفه الواثق بالله.

١- الطبرى ٩/ ١٠٣.

٢- كتاب البلدان / ٢٥٨ - ٢٥٩.

٣- الطبرى ٩/ ٦٣، و الكامل ٦/ ١١١

٤- الطبرى ٩/ ١٠١.

٥- الطبرى ٩/ ١٠١.

٦- نفس المصدر / ١٢٤.

**وصيف:**

من مماليك المعتصم بالله الذين اشتراهم ببغداد، و كان زرادا ملمو كالأل النعمان. و لم يلبث ان اصبح من كبار القواد الأتراك، لما كان يتمتع به من جرأه و بساله. و اتخذته المعتصم بالله، عند ما تولى الخلافة حاجبا له. و عند تأسيس سامرا أقطعه و اصحابه مما يلي الحير ليقيموا مساكنهم هناك(١).

و قد تولى وصيف في عهد الواثق بالله قياده الحمله التي جردت لاختماد تمرد الاكراد في الجبال و فارس، فنجح فيما ندب اليه و قدم سامرا و معه مئات من الاسرى فجازاه الخليفه بخمسه و سبعين الف دينار، و قلده سيفاً(٢). و عند ما توفي الواثق بالله من غير ان يعهد بالخلافه، اشترك وصيف في اختيار من يخلفه و لما اختير المتوكل على الله تولى وصيف حجابته، و لكنه بعد حين تزعم مؤامره اغتياله. و كان سبب نقمه وصيف على المتوكل على الله ان الخليفه امر بقبض ضياعه باصبهان و الجبل و اقطاعها الفتح ابن خاقان(٣). و ذلك في جملة اجراءاته لاضعاف شأن القواد الأتراك. فبلغ ذلك وصيفا فغضب و انضم الى جانب محمد المنتصر ابن المتوكل على الله في النقمه على ابيه و العمل على التخلص منه.

و حاول المنتصر بالله لما استخلف ابعاد وصيف في شؤون الدوله. فعهد اليه في سنه ٢٤٨ هـ قياده حمله لغزو بلاد الروم

١- كتاب البلدان / ٢٥٨.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٠ - ١٤١.

٣- نفس المصدر / ٢٢٢.

و حمايه الثغور العربيه. و امره ان يقيم هناك حتى يأتيه امره(١). و لما غزا وصيف و كان بالثغور الشاميه، ورد عليه خبر موت الخليفه المنتصر بالله، فعاد الى سامرا. و لعب دورا مهما مع القائد بغا في تحريض الجند على القائد اوتامش الذى كان قد استولى على امور الخلافه فى اوائل عهد المستعين بالله. و لما قتل اوتامش سيطر هذان القائدان على شؤون الدوله فى عهد الخليفه المذكور.

و عند ما ترك المستعين بالله عاصمته سامرا الى مدينه السلام للتخلص من نفوذ الأتراك و ضغطهم عليه، كان القائد وصيف احد القواد الأتراك الذين صحبوه، و ظل الى جانبه الى ان خلع من الخلافه. و قد استطاع وصيف ان يسترضى المعتز بالله الذى آلت اليه الخلافه، فرضى عنه، و عاد الى سامرا، و اعيدت اليه اعماله و رتبه السابقه. الا انه لقي مصرعه بعد مده على يد الجند الأتراك الذين شغبوا مطالبين بارزاقهم فى سنه ٢٥٣ هـ. و سنطلع على تفصيل ذلك فى الفصل الخاص بالتزاع بين المعتز بالله و القواد الأتراك.

### بغا الكبير:

من مماليك المعتصم بالله الذين تقدموا على عهده، فاصبح من كبار قواده. و قد شارك فى حروب عديده. فقد وجهه المعتصم بالله على رأس جيش كبير مددا للقائد الأفشين فى حربه مع بابك. كما بعثه الى حرب منكجور عند ما اعلن عصيانه. فجاء به اسيرا الى

سامرا. و هو الذى تولى اعتقال الأفشين عند ما نقم عليه المعتصم بالله. كما قاد عدة حملات فى عهد الخليفة الواثق بالله لتأديب بعض القبائل العربيه. فقد وجهه لاختضاع الاعراب من بنى سليم الذين اغاروا على اطراف المدينه المنوره فتغلب عليهم و قضى على تمردهم. كما انتدبه لتأديب بنى نمير الذين هاجموا الحجاز و اليمامه فالتقى بهم و هزمهم، و عاد الى سامرا بعدد كبير من اسراهم.

و صار بغا من قواد المتوكل على الله البارزين. و عند ما قتل القائد يوسف الثغرى فى ارمينيه عين الخليفه بغا واليا عليها و طلب اليه ان يثار لدم يوسف. فاحرق تفليس و خرب عددا من الحصون. و حمل عددا من البطارقه اسرى الى سامرا.

و اعاد فى خلال ولايته على ارمينيه و اذربيجان بناء مدينه و شمكور القديمه التى خربت و هجرها اهلها، فحصنها و اسكنها قوما خرجوا اليه من الخزر مستأمنين لرغبتهم فى الاسلام. و نقل اليها التجار من برذعه و سماها المتوكليه، لتكون من الثغور العربيه (١). و بذل جهودا كبيره فى اصلاح و تعمير الحصون فى الثغور، بشكل لم يكن على مثله (٢).

و عند ما قتل المتوكل على الله كان بغا الكبير فى سميساط يرد الروم الذين اغاروا عليها و على الثغور القريبه منها. و لما مات المنتصر بالله اوكل القواد الاتراك باقتراح من احمد بن الخصيب، الى بغا الكبير و اوتامش و بغا الصغير، و هم ابرز القواد الاتراك

١- فتوح البلدان / ٢٠٦.

٢- نفس المصدر / ٢١٣.



الحاضرين حينذاك، اختيار من يرون للخلافه(١). فتشاوروا فيما بينهم، و قد كرهوا ان يولوا احد ابناء المتوكل على الله لثلا ينتقم منهم، و اجمعوا على اختيار احمد بن محمد بن المعتصم بالله، محتجين بحرصهم على ابقاء الخلافه فى ولد مولاهم المعتصم بالله، و لقب بالمستعين بالله.

مات بغا الكبير فى سنة ٢٤٨ هـ و قد تجاوز عمره التسعين سنة، و كان قد خاض من الحروب ما لم يخضه غيره، فما اصابته جراحه قط(٢). و كان متدينا من بين القواد الا-تراك. و لما مرض عاده الخليفه المستعين بالله، و عند ما توفى عقد لأبنه موسى على الأعمال التى كانت لأبيه اضافه الى ولايه البريد(٣).

#### ٤- الأتراك فى عهد الواثق بالله:

اتبع الواثق بالله سياسه ابيه المعتصم بالله فى الاعتماد على الجند الاتراك فزاد عددهم فى عهده و اتسع نفوذهم و بخاصه كبار قوادهم اشناس و ايتاخ و وصيف و بغا. و سبق ان اشرنا الى ما و صلوا اليه من مراكز رفيعه فى الدوله العرييه فى عهد المعتصم بالله. و قد استمروا فى ايام الواثق على ما كانوا عليه فى عهد ابيه، بل أن سياسته تجاههم ساعدت على ازدياد نفوذهم و تدخلهم فى شؤون الدوله. فانه لم يقم طيله حياته بايه فعليه عسكريه يشغلهم بها و انما استخدم بعضهم فى مناصب اداريه وسعت لهم مجال التدخل فاتسع بذلك سلطانهم. و لسوف نرى فى فصول

١- الطبرى ٩ / ٢٥٦.

٢- مروج الذهب ٤ / ٦٠.

٣- الطبرى ٩ / ٢٥٨.

قادمه ما ترتب على ازدياد نفوذ الأتراك و تدخلهم من عواقب خطيره أثرت فى مسيره الدوله العرييه فى عهد العباسيين.

لقد ولى الواثق بالله، غداه مبايعته بالخلافه، القائد اشناس من بايه الى آخر عمل المغرب(١). و يشمل ذلك اعمال الجزيره و بلاد الشام و ارمينيه و مصر و شمالى افريقيه. و ولى ايتاخ خراسان و السند و كور دجله(٢). كما ولاه اكثر اعمال اشناس عند ما توفى فى سنه ٢٣٠هـ(٣)، و اتخذ القائد وصيفا حاجبا له(٤). و خلع اشناس لقب السلطان و استخلفه على السلطنه فى سنه ٢٢٨ هـ و البسه تاجا مجوهرا و وشاحين مجوهرين(٥). فكان اول خليفه استخلف سلطانا(٦).

و كان الواثق بالله مثل ابيه لا- يألوا جهدا فى مكافأه قواد الأتراك و اعلاء شأنهم كلما انجزوا مهمه تناط بهم. فعند ما تمكن القائد وصيف من اخضاع الأكراد الذين كانوا قد تمردوا فى نواحى اصبهان و الجبال فى اواخر ايام المعتصم بالله، و قدم الى الى سامرا و معه خمسمائه من الأسرى، منحه خمسه و سبعين الف دينار و قلده سيفا(٧).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٩.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر / ٤٨١.

٤- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٥.

٥- الطبرى ٩ / ١٢٤، و المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٣٥، و الكامل ٧ / ٩.

٦- تاريخ الخلفاء / ٣٤٠.

٧- الطبرى ٩ / ١٤٠-١٤١، و الكامل ٧ / ٢٣-٢٤.

الا ان قوه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات و سياسه الحكمه من جهه، و قوه شخصيه الواثق بالله من جهه اخرى حددت من نفوذ القواد الأتراك و سلطاتهم. بحيث استطاع الخليفه ان يامن جانبهم و يضمن ولاءهم و ان يستفيد من خدماتهم فى الميادين العسكريه الداخليه. فقد اعتمد عليهم فى اخضاع حركات التمرد المتتاليه التى قامت فى الجزيره العربيه.

## الفصل الثانى الصراع بين المتوكل على الله و الأتراك

### اشاره

سبق ان اوضحنا تأثير كبار القواد الاتراك فى اختيار المتوكل على الله للخلافه، و توخيهم ان يكون طوع ارادتهم ليؤمنوا مصالحتهم و يحافظوا على مراكزهم. لما لهم عليه من منه فى رفعه الى مركز الخلافه بعد ان كان مضطهدا مغضوبا عليه فى ايام اخيه الواثق بالله. الا ان الاحداث اظهرت انهم كانوا و اهمين فى ذلك. اذ انه عند ما تسلم مقاليد الخلافه و لمس تعاظم نفوذهم، اخذ يفكر فى العمل على اضعاف شأنهم و الحد من سلطانهم. و الواقع انه جفاهم و اطرحهم، و حط من مراتبهم، و عمل على الاستظهار عليهم و استئصالهم(١). الا- انه لم يكن يستطيع ذلك علانيه بالنظر لقوه مراكزهم و انقياد الجند لهم، فاخذ يتحين الفرص المواتيه لتنفيذ سياسته نحوهم.

و قد لمس القواد الاتراك موقف الخليفه منهم و ما يرمى اليه من اخضاعهم، فأخذوا بدورهم يعملون جهد امكانهم على مقاومته و عدم السماح له بالمساس بمصالحتهم. فنشأ عن ذلك صراع خفى بين الطرفين، يتحين كل جانب الفرصه للايقاع بالجانب الآخر.

حتى انتهى الأمر بفشل محاولات المتوكل على الله، و نجاحهم فى

التخلص منه. و من الجدير بالذكر ان نشير الى ان قتل المتوكل على الله وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، كان غلظه كبيره منه، اذ ان ذلك افقده شخصيه سياسيه قويه متمرسه كانت تقف الى جانبه بوجه الطغيان التركي، و تساعد على الحد من نفوذهم. كما ان غضبه على قاضى القضاة احمد بن ابى دواد افقده ايضا شخصيه عربيه مخلصه كان يمكن ان يستفيد من خبرته و آرائه و نفوذه. و سنحاول فيما يأتى ان نتلمس نواحي الصراع المذكور و ما ادى اليه من النتائج.

### ١- التخلص من القائد ايتاخ:

سبق ان اشرنا الى ان ايتاخ كان قد اشتراه المعتصم بالله فرأى فيه شجاعه و لمس منه ولاء، فضمه الى الجيش و رفع منزلته حتى غدا من كبار قواده و قواد ابنه الواثق بالله. فلما تولى المتوكل على الله الخلافة كان ايتاخ يتولى الحبس و قياده قسم كبير من الجيش يشمل المغاربه و الأتراك، و يتولى كذلك البريد و الحجابه و شؤون دار الخلافة(١). مما جعله اقوى القاده الاتراك سلطه و اوسعهم نفوذا. بحيث ان القضاء عليه يؤثر فى تقليص نفوذ القواد الآخرين. و قد سبقت الاشاره الى موقف ايتاخ فى اختيار خلف للواثق بالله و انه كان من مؤيدى اختيار ابن الواثق بالله على صغر سنه، مما جعل المتوكل على الله يضم له شرا. و شرب المتوكل ذات ليله و عريد على ايتاخ فهم هذا بقتله. فلما اصبح المتوكل على الله و قيل له بما حصل بالأمس اعتذر اليه(٢).

١- تجارب الامم ٦ / ٥٤٢، و الطبرى ٩ / ١٦٦٧ و فيه: كان يتولى الجيش، الا انه سبق ان اشار فى ص: ١٦٦ الى انه بيده الحبس.

٢- الطبرى ٩ / ١٦٧.

و يظهر من روايه الطبرى ان المتوكل على الله لم يعد يأمن جانب ايتاخ فاراد التخلص منه «فدس اليه من يشير عليه بالاستئذان للحج ففعل»<sup>(١)</sup>. و يؤيد ابن الاثير هذا بقوله «ثم وضع عليه من يحسن له الحج فأستأذن من المتوكل فاذن له»<sup>(٢)</sup>.

الا- ان اليعقوبى يقول «و اتصل بالمتوكل انه كان على ايقاع الحيله به، فلما لم يمكنه ذلك طلب الحج»<sup>(٣)</sup>. و مهما كان السبب فى خروجه الى الحج فان المتوكل على الله قد تظاهر باكرامه، فخلع عليه و صيره امير كل بلد يمر به فى طريقه، و ذلك كسبا لثقتة. و لما انصرف ايتاخ عائدا من الحج اراد العوده الى سامرا عن طريق الانبار. الا ان المتوكل على الله كتب الى اسحاق بن ابراهيم عامله على الشرطه ببغداد يأمره بحبسه<sup>(٤)</sup>. فكتب اسحاق الى ايتاخ ان امير المؤمنين قد أمره بأن يتلقاه بنو هاشم و وجوه الناس ببغداد زياده فى اكرامه. و عند ما وصل بغداد احتال عليه اسحاق فحبسه و قيده. فاقام عدة ايام فى الحبس ثم مات. و يقال انه أطمع فاستسقى فمنع عنه الماء حتى مات عطشا<sup>(٥)</sup>.

و قد اتقن المتوكل على الله تدبير القضاء على ايتاخ باختياره بغداد لاعتقاله فيها، لأن اهل بغداد كانوا يعادون الاتراك و هم الذين ارغموا المعتصم بالله على الانتقال الى سامرا. و يقول الطبرى «لو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على اخذه، و لو دخل الى سامرا فاراد باصحابه قتل جميع من خالفه امكنه ذلك»<sup>(٦)</sup>.

١- نفس المصدر.

٢- الكامل ٧ / ٤٣.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٥.

٤- الكامل ٧ / ٤٦.

٥- الطبرى ٩ / ١٧٠.

٦- الطبرى ٩ / ١٦٩.

**٢- انشاء جيش من العرب:**

من الدلائل الواضحه على عزم المتوكل على الله على مقاومه نفوذ الأتراك و الاستظهار عليهم محاولته تأسيس جيش يخلو من الاتراك قوادا و افرادا، و يعتمد بالدرجه الاولى على العرب. يقول المسعودى «انه ضم الى وزيره عبيد الله بن يحيى نحو من اثني عشر الف رجل من العرب و الصعاليك و غيرهم برسم المعتز و كان فى حجره»<sup>(١)</sup>. و رغم ان عبيد الله بن يحيى بن خاقان كان تركيا الا انه كان مواليا للخليفه، و هو ابن اخى الفتح بن خاقان القائد التركى المقرب جدا من المتوكل على الله. لقد ادرك الاتراك خطر تأليف هذا الجيش و توسيعه، و ان نموه سيكون على حسابهم، لا سيما و قد شعروا بضيق المال عليهم لأن قسما منه ينفق على هذا الجيش. فاخذوا يقاومون توسعه بمختلف الوسائل، فلم يزد عدده كثيرا. اذ عند ما قتل المتوكل على الله دخل قاده هذا الجيش على عبيد الله بن يحيى و طلبوا اليه ان يسمح لهم بمقاومه قتله الخليفه من الاتراك و غيرهم، اختلف فى عدد افراد هذا الجيش فقال البعض انهم كانوا عشره الاف، و زاد آخرون او نقصوا<sup>(٢)</sup>. يبدو ان المتوكل على الله لم ينجح فى محاولته هذه بشكل يؤثر على قوه الاتراك و نفوذهم. و يمكن القول بأن قيام المتوكل على الله بتأسيس هذه الفرقة من الجيش دليل على نيته فى اعاده النفوذ

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٢٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٧، و الكامل ٧ / ٩٩.

العربى الى الجيش، و ان هذه الفرقة ستكون نواه جيش كبير يستطيع بواسطته ان يضع حدا لتسلط القواد الاتراك. و لكن يبدو انه كان يحذر جانب اولئك القواد و يخشى اثارهم فلم يعهد بقياده الفرقة المذكوره الى احد كبار القواد العرب، و انما عهد بها الى وزيره. الا ان القواد المذكورين احسوا بالخطر الذى يكمن وراء تشكيل هذه الفرقة فعملوا جهدهم على عدم توسعها من جهه، و على الايقاع بالمتوكل على الله من جهه اخرى. و قد استطاعوا ان يستميلوا ولى العهد محمد المنتصر الى جانبهم ضد ابيه، مما سهل القضاء عليه. و بهذا تكون جريمه المنتصر مزدوجه اذ ساهم فى اغتيال ابيه، و ساعد القواد الاتراك فى تقويه مراكزهم و نفوذهم باضعاف الفرقة المذكوره و حلها. فأبقى الأتراك و حدهم اصحاب الصوله فى الميدان السياسى و العسكرى.

### ٣- نقل العاصمه الى دمشق:

اراد المتوكل على الله الانتقال من سامرا لبيتعد عن تسلط الاتراك و تدخلهم فى شؤون الدوله. و يظهر انه اختار دمشق لتكون عاصمه له لنزعتها العربيه و خلوها من نفوذ الاتراك. كما ان كره اهل الشام لبعض العلويين مما يتفق مع ميوله. و قد احتج فى انتقاله الى دمشق بسبب صحى. فقد وصف له برد هوائها و كان محرورا(١). فأمر باصلاح الطريق و اقامه المنازل عليه للاستراحه، و اعداد القصور فى المدينه لسكناه و سكنى



حاشيته. فدخلها في صفر سنة ٢٤٤ هـ وعزم على المقام بها ونقل دواوين الدولة اليها، و امر بالبناء فيها(١).

الا ان القواد الاتراك سرعان ما ادركوا غرضه من الانتقال الى دمشق فحرضوا جنودهم على الشغب، فاحتجوا يطلبون باعطيائهم و ارزاقهم، ثم جردوا اسلحتهم و رموا قصر الخليفة بالنشاب بحيث ارتفعت السهام الى الرواق الذي يجلس فيه المتوكل على الله. فاستدعى احد القواد ممن يعتمد عليه، و هو رجاء الحضاري ليستطلع رأيه فيما حدث، فنصحته هذا بأن يأمر بدفع ارزاقهم حالا، و ان يعود الى سامرا. فأمر بدفع ارزاق الجند و ضرب الطبول للرحيل الى العراق. و يظهر ان الجند الاتراك فرحوا بذلك حيث سارعوا بالحرکه للرحيل.

و يظهر مما يرويه المسعودى ان الاتراك حاولوا ان يقتلوا المتوكل على الله بدمشق الا انهم لم يتمكنوا من ذلك بسبب وجود القائد بغا الكبير الى جانبه. و قد عملوا على ابعاده عنه و خططوا للوقيعه بينهما ليعزلوا عن الخليفة احد كبار مؤيديه. فكتبوا الرقاع الى المتوكل على الله يحذرونه من ان بغا يزعم على الفتك به، و عينوا لذلك وقتا. ثم كتبوا الى القائد بغا بان جماعه من الاتراك عزموا على الفتك بالخليفه و يحثونه على تشديد حراسته و حمايته له. و لما ذهب بغا مستعدا بحرسه للحيلولة دون الايقاع بالخليفه، تأكد لدى المتوكل على الله تصميم بغا على الفتك به، فاخذ يتوجس منه. و لهذا لما عاد الى سامرا ابقى بغا في دمشق(٢). و ما ذكره اليعقوبى يؤيد ما ذهب اليه المسعودى في

١- الطبرى ٩ / ٢٠٩.

٢- تفصيل ذلك فى مروج الذهب ٤ / ١١٥-١١٧.

سبب عودته المتوكل على الله الى سامرا بقوله «و بلغه عن بعض الموالى امر كرهه فشخص عن دمشق الى العراق»<sup>(١)</sup>.

و برر المتوكل على الله عودته الى سامرا بأنه «استوبأ البلد و ذلك ان الهواء بها بارد ندى، و الماء ثقيل، و الرياح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضى عامه الليل، و هى كثيره البراغيث، و غلت فيها الأسعار، و حال الثلج بين السابله و الميره»<sup>(٢)</sup>. ان القسم الأول مما ذكر عن مدينه دمشق قد يكون صحيحا، و كذلك غلاء الاسعار فيها بسبب انتقال هذا العدد الكبير من الجند و بعض موظفى الدوله و حاشيه الخليفه. الا ان حيلولة الثلج بين السابله و وصول الميره الى المدينه لا يتفق و الواقع. لان المتوكل على الله دخل دمشق فى صفر سنه ٢٤٤ هـ و اقام بها شهرين و اياما ثم خرج عائدا الى سامرا فوصلها فى اواخر جمادى الآخره من نفس السنه. و لا بد انه ترك دمشق فى ربيع الثانى.

و هذه الأشهر من السنه المذكوره تقابل الأشهر مايس و حزيران و تموز من السنه ٨٥٨ الميلاديه<sup>(٣)</sup>. و هى من اشهر الصيف فى دمشق و لم يكن الثلج قد سقط فيها. و قد يكون الطبرى اراد ان يشير الى ان الثلج يحول بين السابله و وصول الميره فى فصل الشتاء مما لا يشجع على البقاء فى المدينه، الا انه لم يحسن التعبير عن ذلك. و نقل نص قوله المؤرخون ممن جاءوا بعده.

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩١.

٢- ٩ / ٢١٠، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٢، و الكامل ٧ / ٨٥.

٣- التوفيقات الالهاميه / ١٢٢.

**٤- تغلب القواد الأتراك:**

ذكرنا فى البحث الخاص بمقتل المتوكل على الله كيف ان المنتصر، عند ما تفاقم خلافه مع ابيه، اخذ يستقطب كبار القواد الاتراك حوله. و مما ساعده على ذلك عدم اطمئنان اولئك القاده الى سياسه المتوكل على الله و نواياه تجاههم. و قد ذكر ان المتوكل على الله عزم هو و الفتح بن خاقان ان يصيرا غداءهما عند عبد الله ابن عمر المازيال يوم الخميس لخمس ليال خلون من شوال ٢٤٧ هـ على ان يفتك بالمنتصر و يقتل و صيفا و بغا و غيرهما من قواد الأتراك و وجوههم (١). و كانت نتيجته محاوله المتوكل على الله هذه انها دفعت بالقواد المذكورين و غيرهم ممن كانوا يناصرون المنتصر ضد ابيه، الى الاسراع فى القضاء عليه قبل ان يحكم تدبيره فى الفتك بهم.

و كان من جمله الوسائل التى اتخذها المتوكل على الله فى اضعاف نفوذ القواد الاتراك، ان ينتزع منهم بعض الضياع التى التى اقطعت لهم فى مناسبات مختلفه. و قد ابتداء بالقائد و صيف، فأمر فى سنه ٢٤٧ هـ بانشاء الكتب بذلك، و صارت الى ديوان الخاتم لتوقيعها على ان تنفذ فى الخامس من شعبان. فبلغ ذلك و صيفا، فراد فى غضبه على المتوكل على الله بحيث كانت هذه الخطوه من الخليفه السبب المباشر الذى ادى الى اغتياله.

يتضح مما ذكرناه ان المتوكل على الله حاول جاهدا ان يقضى على نفوذ الأتراك او يضعفه على الأقل، و قد اتبع لتحقيق ذلك

١- الطبرى ٩ / ٢٢٥، و تجارب الامم ٦ / ٥٥٤.

عده وسائل، و امتد صراعه معهم طيله مده خلافته. الا انه لم يستطع التغلب عليهم لسيطرتهم على الجيش، و لا شغالهم وظائف و مراكز مهمه تتيح لهم التعرف على محاولاته ضدهم، فكانوا سرعان ما يبادرون الى العمل على احباط تلك المحاولات. بل انهم لم يتورعوا عن اغتياله لما علموا بعزمه على الفتك بهم.



## الفصل الثالث أيام الفتنه

## ١- مقدمه:

اطمأن القواد الاتراك بعد ان اغتالوا المتوكل على الله الى عدم وجود من يهدد مصالحهم، او يقف بوجه مطالبهم المالى، او يقلص نفوذهم و سلطانهم بل نستطيع القول انهم ازدادوا نفوذا و تأثيرا على الدوله و الخلفاء، فسيطروا على الخلافه بعد المتوكل على الله مده امتدت منذ خلافه المنتصر بالله حتى مقتل المهتدى بالله، بحيث اصبح الحكم الفعلى خلال هذه المده بايديهم. و قد سادها صراع عنيف بينهم و بين الخلفاء، و كثرت الفتن خلالها و اهمها قيام الحرب بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله و مقتل اربعة خلفاء، حتى سماها ابن خلدون «ايام الفتنه»<sup>(١)</sup>.

كان مجيء المنتصر بالله الى عرش الخلافه بعد تواطئه مع القواد الاتراك على اغتيال ابيه، كسبا كبيرا للقواد المذكورين.

---

١- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٢٩٣.

الا انهم ما لبثوا ان انقلبوا عليه بعد ان شعروا بنواياه و ما بيته ضدهم و قرروا قتله او التخلص منه بالسم، و قد اشرنا الى ذلك فى موضوع وفاته. و لما تخلصوا منه اجتمعت كلمتهم على ان يبعدوا اولاد المتوكل على الله الآخرين عن عرش الخلافة، بل انهم فى ايام المنتصر بالله دفعوه الى ان يرغم اخويه المعتز و المؤيد على التنازل عن ولايه العهد. بحيث تسنى لهم ان يختاروا للخلافه من يتوسمون فيه الانقياد لهم. فاختاروا احمد بن محمد بن المعتصم بالله الذى لقب بالمستعين بالله، مبررين اختيارهم له بانهم لا يرغبون فى خروج الخلافة من اولاد مولاهم المعتصم بالله.

الا ان القواد، لما اشتد خلافهم مع المستعين بالله رغم ضعفه و استكائه، بايعوا للمعتز بالله بن المتوكل على الله، لأنهم توقعوا انه سيكون طوع ارادتهم. و تجاهلوا الخليفة القائم الذى فر الى مدينه السلام. مما نشأ وضع شاذ فى رئاسه الدوله العربيه، و ذلك بوجود خليفتين فى وقت واحد، فقام الصراع بينهما و نشبت الحرب بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله، ثم انتهت وفق ما يرغب به كبار القواد الاتراك الذين كانوا اضطروا المستعين بالله على الهرب الى بغداد، ثم التنازل عن الخلافة للمعتز بالله، و ما لبثوا ان اقعوا المعتز بالله بقتله.

و لما تحقق للقواد المذكورين عجز المعتز بالله عن سد حاجتهم المستمره الى المال بادروا الى خلعه و اختيار محمد بن الواثق بالله الذى عرف بزهده و عزوفه عن بهرجه الخلافة و مباحج الحياه، و طمعوا ان يجدوا فيه اداه طبعه لتلبيه رغباتهم. الا انهم لما لمسوا حرصه الزائد على اموال الأمه، و عمله فى نشر العدل، و محاسبته موظفى الدوله، ثاروا عليه و قتلوه. و اختاروا للخلافه

المعتمد على الله الذي كان منهمكا في ملذاته اكثر من اهتمامه بشؤون الدوله. و توقعوا ان سيكون لهم المجال واسعا في عهده للاستئثار بالسلطه و جر المغانم و حيازه الاموال. الا ان ابا احمد الموفق وقف الى جانب اخيه الخليفه و ضرب على ايديهم و كفهم عن العبث بشؤون الدوله. و هو و ان استأثر بالسلطه دون اخيه، استطاع ان يستعيد للخلافه هيبتها و للدوله العربيه سطوتها و سلطانها، فانهى عهد الفتنه التي سيطر خلالها الاتراك على شؤون الدوله، و اثروا تأثيرا سيئا في مسيرتها.

و سنحاول فيمايلي من الصفحات ان نستعرض علاقته القواد الأتراك بخلفاء هذه المده لتلمس نواحي قوتهم و ضعف هؤلاء الخلفاء. مع الاشاره الى مظاهر الصراع الذي استمر طيله المده المذكوره بين الطرفين، و الذي كان ينتهي دوما بانتصار القواد الاتراك، حتى استطاع الموفق ان يضع حدا لتسلطهم طيله وجوده في الحكم الى جانب اخيه الخليفه.

## ٢- المنتصر بالله يتنكر للاتراك:

اتخذ المنتصر بالله موقف الحذر من القواد الأتراك و العمل على تفريق كلمتهم و اضعاف شأنهم بل و الانتقام منهم. و كانت سياسته هذه قد كلفته حياته. اذ ان نجاح مؤامرتهم في قتل المتوكل على الله زاد من نفوذهم و تسلطهم على شؤون الخلافه، و اضعف النفوذ العربى فى الدوله. و كان هؤلاء القواد اول من بايع الخليفه الجديد حليفهم فى المؤامره، مما جعلهم يعتقدون بأن لهم الفضل فى توليه الخلافه. و تأييدا لسلطتهم عليه انهم استطاعوا



ان يرغموه على خلع اخويه من ولايه العهد لكي يأمنوا انتقام اولاد المتوكل على الله الآخرين اذا ما تولى احدهم الخلافه.

الا ان المنتصر بالله، و قد ساهم فى مؤامره اغتيال ابيه، أخذ يشعر بتأنيب الضمير، فلا تغيب ذكراها عن ذهنه. كما لا تغيب صورته ابيه عن باله، حتى انه رآه اكثر من مره فى منامه يعاتبه و يعنفه، مما نغص عليه عيشه و اسلمه الى الكآبه و اليأس.

و اخذ يحس كأنه خسر الدنيا و الاخره. و كثيرا ما صرح بما كان يقاسيه من آلام نفسه. و لذلك كان يشعر بكره طاغ تجاه هؤلاء القواد الذين زينوا له الاشتراك فى المؤامره، و بخاصه اولئك الذين تولوا قتل ابيه. و يود لو انه ينتقم منهم ليكفر عن خطيئته بحق ابيه. فكان اذا سكر قال عنهم هؤلاء قتله الخلفاء و اكثر من تهديدهم(١). و يظهر انه كان عزم على الفتك بهم فقد قال للفضل بن المأمون. قتلنى الله ان لم اقتلهم و افرق جمعهم بقتلهم المتوكل على الله(٢). فأخذ يغتنم الفرص للايقاع بهم. و عند ما اقترح عليه وزيره احمد بن الخصيب اخراج القائد وصيف على رأس جيش لحرب الروم، اغتنم هذه الفرصه للتخلص من احد كبار قوادهم.

و كانت العلاقه بين الوزير ابن الخصيب و القائد وصيف قد ساءت، و لكي يأمن الوزير شر وصيف و تدخله فى اعماله، رأى ان خير وسيله لذلك ابعاده عن حاضره الخلافه. فأشار على الخليفه باقتراحه المذكور. فتظاهر المنتصر بالله بالاهتمام بموضوع احباط نيه الاعتداء و استطاع ببراعته ان يقنع وصيفا

١- الطبرى ٩ / ٢٥٢.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣٤، و شذرات الذهب ٢ / ١١٩.

بالخروج. اذ قال له انه بلغه ان طاغية الروم قد اقبل يريد الثغور العربيه، و هو ما لا يمكن السكوت عليه، و لا بد من رده بحمله عسكريه توجه اليه، و ان لا مناص من ان يخرج بنفسه على رأس حمله للجهاد فى سبيل الله، ان لم يخرج على رأسها احد كبار قواده. فقال وصيف بل انا اشخص يا امير المؤمنين. فاعز المنتصر بالله الى وزيره ان يبادر فوراً الى تجهيز الحمله، و ان يبذل كل جهوده فى تأمين جميع ما تحتاجه. و كتب بنفس الوقت الى خليفته ببغداد محمد بن عبد الله بن طاهر يعرفه توجيهه وصيفا للروم و يعلمه بخروج حملته الى ثغر ملطيه، و يأمره بان يبلغ عماله فى نواحي عمله بكتاب امير المؤمنين لقراءته على من قبلهم من المسلمين و ترغيبهم فى الجهاد و استنفارهم اليه، و الانفاق فى سبيل الله. و ينوه بفضل منزله المجاهدين على القاعدين، و يدعو الى بذل النفوس و الاموال لا علاء كلمه الله. و جاء آخر الكتاب «وقد رأى امير المؤمنين - لما يحبه من التقرب الى الله بجهاد عدوه .. ان ينهض وصيفا مولى امير المؤمنين فى هذا العام الى بلاد اعداء الله الكفره الروم، غازيا لما عرف الله امير المؤمنين من طاعته و مناصحته و محمود نقيته و خلوص نيته، فى كل ما قر به من الله و من خليفته. و قد رأى امير المؤمنين - و الله ولى معونته و توفيقه - ان تكون موافاه وصيف فيمن انهض امير المؤمنين معه من مواليه و جنوده و شاكريته ثغر ملطيه .. فأعلم ذلك و اكتب الى عمالك على نواحي عملك بنسخه من كتاب امير المؤمنين هذا، و مرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين و ترغيبهم فى الجهاد، و حثهم عليه و استنفارهم اليه، و تعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله، ليعمل ذووا النيات و الحسبه و الرغبة فى الجهاد على حسب ذلك فى

النهوض الى عدوهم، و الخفوف الى معاونه اخوانهم و الزيادة عن دينهم و الرمي من وراء حوزتهم، بموافاه عسكر وصيف مولى امير المؤمنين ملطيه»(١).

و كان غرض الخليفه الرئيس من اخراج هذه الحمله الكبيره للغزو ابعاد القائد وصيف عن التدخل فى شؤون الخلافه، و اضعاف نفوذ القواد الا-تراك بنفس الوقت. و مع هذا بقى المنتصر بالله يتوجس خيفه من هؤلاء القواد، و يرهب جانبهم لسيطرتهم على الجيش و يخاف ان يتآمروا عليه كما تآمروا على ابيه من قبل. و رغم تكتمه فى العمل على تفريق كلمتهم و مناوراته فى ذلك فقد ظهر منه ما يدل على انه ينوى بهم شرا، و يحاول ان يتنصل من الاشتراك فى المؤامره على ابيه ليحملهم كامل المسؤوليه. و قد روى عنه انه قال(٢):

لو يعلم الناس الذى نالنى فليس لى عندهم عذر

كان الى الأمر فى ظاهره ليس لى فى باطن امر

كما يحتمل قول هذا شكواه من تسلطهم بحيث لم يبق له من الخلافه سوى مظاهرها.

ان موقف المنتصر بالله هذا من الاتراك دفعهم الى الاسراع فى العمل على التخلص منه قبل ان يتمكن هو منهم. لأنهم لما علموا

١- نص الكتاب فى الطبرى ٩ / ٢٤١ - ٢٤٣.

٢- فوات الوفيات ٢ / ٣٧٣.

بسوء نيته فيهم و انه يعمل على التدبير عليهم، بادروه بذلك(١).

الا ان هيبه المنتصر بالله و شجاعته و يقظته و شده تحرزته حالت دون ان يتمكنوا من اغتياله(٢). و لذلك عمدوا الى التخلص منه بالسم. و سبق ان ذكرنا ذلك فى الموضوع الخاص بوفاته. و بذلك انتصر القواد الاتراك على المنتصر بالله.

### ٣- المستعين بالله و الاتراك:

انقسم القواد الاتراك اثر مبايعه المستعين بالله الى كتلتين متناحرتين تتنازعان على السلطه و حيازه الاموال. و كان لهذا الانقسام سببان مهمان، اولهما استيلاء القائد اوتامش، و هو ابن اخت القائد بغا الكبير، على السلطه و احتوائه الاموال دون بقيه القواد. فقد استوزره المستعين بالله عند ما تولى الخلافه و اطلق يده و يد شاهك الخادم فى بيوت الاموال. و فعل الخليفه مثل ذلك مع امه فتيان فلم يمنعها من شىء تريده. فكانت الاموال التى ترد الى بيت المال يصير معظمها الى هؤلاء الثلاثة، و ما يفضل عن ذلك يترك لأوتامش ايضا لينفقه على العباس بن المستعين بالله الذى كان فى حجره. فاحتوى اوتامش بذلك على كثير من الاموال و الضياع. مما اثار حفيظه عدد من كبار قواد الاتراك و بخاصه وصيف و بغا الصغير. فأخذوا يعملان على الايقاع به. و استطاعا ان يثيرا عليه قسما كبيرا من الجند فهاجموه و هو فى الجوسق مع الخليفه، و ذلك فى منتصف ربيع الآخر سنه ٢٤٩ هـ، فقبضوا عليه و قتلوه، و قتلوا معه كاتبه شجاع بن القاسم، و انتهبوا دور

١- التنبيه و الاشراف / ٣١٤.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٥٧.

اوتامش و اخذوا منها اموالا جمه. «و يقال ان ذلك جرى بموافقه المستعين بالله (١)».

و فى احدى قصائد البحترى فى مدح المستعين بالله يشير الشاعر الى قتل اوتامش و كاتبه لتماديهما فى الاستيلاء على الاموال العامه، و افسادهما الحكم، و ظلم الرعيه و اضطهادهما، كما يشير الى نغمه قسم من الأتراک عليهما، منها قوله (٢):

لقد نصر الامام على الاعادى و اضحى الملك موطود العماد

و عرفت الليالى فى (شجاع) و (تامش) كيف عاقبه الفساد

تمادى منهما غى فلجاو قد تردى اللجاجة و التمادى

و ضلا فى معانده الموالى فما اغتبطا هناك بالعناد

برار فى اقتطاع المال جم و سعى فى فساد الملك باد

بهضم للخلافه و انتقاص و ظلم للرعيه و اضطهاد

أمير المؤمنين اسلم فقد مانفيت الغى عنا بالرشاد

---

١- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٦.

٢- كامل القصيده فى ديوان البحترى ١/ ٥٢٤-٥٢٦.

## تدارك عدلك الدنيا فقرت و عم نداك آفاق البلاد

اما السبب الثاني لانقسام الأتراك فكان مقتل باغر التركي الذى كان على رأس الزمره التى اغتالت المتوكل على الله، فزيد فى ارزاقه، و اقطع عددا من الضياع. و كان مما اقطع بعض القرى بسواد الكوفه. فوثب رجل من اهل تلك الناحيه بوكيل ياغر، فحبسه هذا و قيده. فشكى الرجل امره الى القائد بغا الشرابي، و كان باغر احد قواده، فانصف له و كف يد باغر و وكيله عنه، و ذلك بتأثير كاتبه دليل بن يعقوب النصراني. فغضب باغر و بيت لبغا و دليل سرا. فجمع اليه الفئه التى كانت شاركته فى قتل المتوكل على الله، و غيرهم من مؤيديه و اصحابه و ناظرهم و تأكد من تأييدهم له، و قال لهم «الزموا الدار حتى نقتل المستعين و وصيفا و بغا، و نجىء بعلى بن المعتصم بالله او ابن الواثق بالله، فنقعه خليفه، حتى يكون الامر لنا كما هو لهذين اللذين قد استوليا على امر الدنيا، بقينا نحن فى غير شىء، فأجابوه الى ذلك»<sup>(١)</sup>. و انتهى الأمر الى المستعين بالله فبعث الى وصيف و بغا و قال لهما «ما طلبت اليكما ان تجعلانى خليفه، و انما جعلتمانى و اصحابكما، ثم تريدان ان تقتلانى»<sup>(٢)</sup>. فحلفا له انهما ما علما بذلك. و اتفق رأيهم على اخذ باغر و رجلين من اصحابه من الأتراك و حبسهم. فاحضروا باغرا و حبسوه. فلما بلغ الخبر

١- ٧٧٩ / ٩ - ٢٨٠، و الكامل ٧ / ١٣٨.

٢- الطبرى ٩ / ٢٨٠ و الكامل ٧ / ١٣٩.

مؤيديه و اتباعه و ثبوا على اصطبل الخليفه فانتهبوه و ركبوا ما فيه من الخيل و الدواب، و حضروا الى الجوسق بالسلاح لانقاذه.

الا ان اتباع وصيف و بغا قتلوا باغرا. فثار اتباعه و حاصروا المستعين بالله و وصيفا و بغا في دار الخلافه، فخاف الخليفه و القواد المناصرين له على انفسهم، فركبوا حراقه خفيفه اعدوا لهم ميسان ملاح الخليفه فصاروا الى بغداد. و سحب الخليفه اضافه الى القائدين المذكورين، بعض رجاله و افراد حاشيته، منهم شاهك الخادم، و احمد بن صالح بن شيرزاد كاتب وصيف، و احمد بن اسرائيل. فوصلوها في يوم الأربعاء لأربعه او خمسه خلت من المحرم سنه ٢٥١هـ (١). فنزل الخليفه في دار محمد بن عبد الله ابن طاهر. ثم التحق به بعض القواد الأتراك، و جلّه الكتاب و العمال و بني هاشم.

و قال الشاعر ابو علي اليماني في شخوص المستعين بالله الى بغداد(٢):

ما زال الا لزوال ملكه و حتفه من بعده و هلکه

و كأنه تنبأ بمصير المستعين بالله. فقد خسر الخلافه و خسر حياته بانتقاله من عاصمه ملكه سامرا و لجوئه الى بغداد.

اضطرب الأتراك الذين بقوا في سامرا، فمنعوا الناس من الانحدار الى بغداد. و ذكر انهم اخذوا ملاحا اكرى سفينته فضربوه مائتي سوط و صلبوه على دقل السفينه. فامتنع اصحاب

١- الطبری ٢٨٣/٩، و تاريخ بغداد ٨٤/٥، و الكامل ١٤١/٧.

٢- الطبری ٢٨٢/٩.

السفن من الانحدار، الاسرا(١). ثم اتفقوا على ضروره اعاده الخليفه الى سامرا، و قرروا ان يبعثوا اليه وفدا منهم يسألونه العوده الى دار ملكه. فصار اليه عدده من كبار قادتهم منهم كلباتكين و بايكباك. و يقال انهم اخذوا اليه البرد و القضيب و بعض الخزائن و مائتي الف دينار(٢). و عند ما قابلوه سألوه ان يصفح عما بدر منهم و من اتباعهم من خلاف، فأجابوهم بما يكرهون، فقال لهم «انتم اهل بغى و فساد و استغلال للنعم الم ترفعوا الى فى اولادكم فالحقتهم بكم .. و فى بناتكم فامرت بتصيرهن فى عداد المتزوجات .. و ادررت لكم الارزاق حتى كان لكم آنيه الذهب و الفضة .. كل ذلك اراده لصلاحكم و رضاكم، و انتم تزددون بغيا و فسادا»(٣). فاعترفوا بخطأهم و سألوه العفو، فعفا عنهم.

فقال له القائد بايكباك «فان كنت رضيت عنا و صفحت فقم فاركب معنا الى سامرا، فان الاتراك ينتظرونك»(٤) فاحتج محمد بن عبد الله على طريقه مجادله الخليفه فاعز لأحد اتباعه فلكن بايكباك. فضحك المستعين بالله قائلا ان هؤلاء عجم لا معرفه لهم باصول الكلام. و امر بايكباك و جماعته ان يصيروا الى سامرا، و اكد لهم ان ارزاقهم ستستمر، و انه سينظر فى امر مقامه ببغداد او عودته الى سامرا.

عاد القواد الاتراك الى سامرا و قد يؤسوا من عوده الخليفه اليها، فاجمعوا على خلعها و مبايعه المعتز بالله بن المتوكل على الله. و قد سبق ان اوضحنا ذلك فى سيره المعتز بالله.

١- الطبرى ٢٨٢ / ٩، و تجارب الامم ٥٧٧ / ٦.

٢- مروج الذهب ١٦٢ / ٤.

٣- الطبرى ٢٨٣ / ٩.

٤- الطبرى ٢٨٤ / ٩، و الكامل ١٤٢ / ٧.



#### ٤- الحرب بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله:

##### اشاره

ان مبايعه المعتز بالله بالخلافه فى سامرا مع وجود الخليفه الأصلى فى بغداد اوجد وضعاً غريباً فى الخلافه العباسيه ادى الى نشوب الحرب بين انصار الخليفتين، اى بين جيش المستعين بالله و جيش المعتز بالله. فعند ما بلغ امير بغداد محمد بن عبد الله ان الأتراك فى سامرا نقضوا بيعه المستعين بالله و بايعوا المعتز بالله، أمر بقطع الميره عن اهل سامرا، فممنع السفن او اى شىء من الميره من ان ينحدر من الموصل اليها، او ان يصعد نحوها شىء من ذلك من بغداد.

و امره المستعين بالله بتحسين بغداد، فنشط لاحاطه المدينه بجانيها بسور. و كان السور فى الجانب الشرقى يبدأ من باب الشماسيه على ضفه دجله من فوق قصر المهدي، و هو على هيئه ربع دائره تبدأ من باب بردان و تنتهى عند باب خراسان. فكان السور يحيط بمحلتى الرصافه و الشماسيه، ثم يعطف بهيئه ربع دائره ليشمل محله المخرم حتى يصل الى دجله ثانيه عند باب سوق الثلاثاء. اما فى الجانب الغربى فكان السور يبدأ من فوق باب قطيعه زبيده مشتملاً على الفرضه العليا حتى يمر بباب قطربل متبعاً خندق طاهر حتى باب الأنبار، و هو بهيئه نصف دائره كبيره يشتمل على مدينه المنصور، و قسم من الكرخ حتى يصل الى دجله خلف باب البصره تحت الموضع الذى يصب فيه نهر الصراه. و رتب على كل باب من ابواب السور قائداً على رأس ثله من الجنود، و حفر الخنادق حول السورين كما يدوران فى الجانيين. و اقام مظلات يأوى اليها الفرسان فى الحر و المطر. و بلغت النفقه فيما

ذكر على السورين و حفر الخنادق و اقامه المظلات ثلاثمائة و ثلاثين الف دينار(١).

و جعل على باب الشماسيه من الخارج بابا سميكا معلقا قد البس بصفائح الحديد و شد بالحبال، فاذا ما وافى احد ذلك الباب ارسل عليه الباب المعلق فيسقط عليه و يقتله. كما نصب على جميع ابواب السور العرادات و المجانيق، و عليها ما تحتاجه من الرجال(٢). و من هذا يظهر ان المستعين بالله اتخذ موقف المدافع فيما اذا هاجمته جيوش سامرا.

و قبل ان تبدأ الحرب جرت بين المعتز بالله و محمد بن عبد الله مكاتبات، دعا فيها المعتز بالله محمدا الى خلع المستعين بالله و مبايعته، و ذكره بعهد ابيه المتوكل على الله له بالخلافه بعد اخيه المنتصر بالله. و دعا محمد بدوره المعتز بالله الى الأوبه الى طاعه المستعين بالله. و احتج كل منهما على صاحبه فيما يدعوه اليه بما يراه حجه له تسنده ضد خصمه.

كما كتب المستعين بالله الى عمال الخراج بكل بلده ان يحملوا الأموال اليه في بغداد و الا يحملوا شيئا منها الى سامرا. و امر بالكتابه الى القواد و الجند الاتراك بسامرا يأمرهم بنقض بيعه المعتز بالله، و الوفاء ببيعتهم له، و ينهاهم عن معصيته و نكث بيعته(٣).

### بدايه الحرب و حصار بغداد:

عقد المعتز بالله لأخيه ابى احمد الموفق لسبع بقين من المحرم سنة ٢٥١ هـ على حرب المستعين بالله، و ضم اليه جيشا بقياده

١- الطبرى ٩ / ٢٨٧، و تجارب الامم ٦ / ٥٨٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٨٨، و تجارب الامم ٦ / ٥٨٠.

٣- الطبرى ٩ / ٢٨٨ - ٢٨٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٨١.

كلباتكين. فتجمع فى القاطول خمسـه الاف من الأتراك و الفراغنه، و الفان من المغاربه، فسار الجيش حتى وافى عكيرا(١).

و لما بلغ المستعين بالله تحرك جيش المعتر بالله نحو بغداد ولى القائد الحسين بن اسماعيل مهمه الدفاع عن باب الشماسيه باعتباره الباب الرئيس للمدينه. و قبل ان تبدأ المعارك بين الجانبين امر محمد بن عبد الله بحشد جيش بغداد فى القفص(٢)، ليرهب الجيش المهاجم، و ركب معه و صيف و بغا فى الدروع، و استصحب معه الفقهاء و القضاة، و بعث اليهم يدعوهم الى الرجوع عما هم عليه من الطغيان و العصيان و انه يبذل لهم الأمان، و ان يكون المعتر بالله ولى العهد بعد المستعين بالله فلم يجيبوا(٣).

### اهم المعارك:

#### اشاره

جرت بين الجانبين مناوشات و معارك عديده كانت الحرب فيها سجالا بينهما لم تسفر عن انتصار حاسم لأحدهما. فكانت حرب استنزاف للطرفين. حتى اضطر فى الأخير جيش بغداد على الاستسلام بسبب ما قاسته مدينه بغداد من جراء حصارها.

و سنقتصر على ذكر اهم المعارك من حيث نتائجها و كثره الجيوش المشتركه فيها.

١- الطبرى ٩ / ٢٩٠، و تجارب الامم ٦ / ٥٨٢، و الكامل ٧ / ١٤٥، و فيه كان جيش الاتراك و الفراغنه خمسين الفا.

٢- القفص: قريه بين بغداد و عكبرا و هى الى بغداد اقرب، و كانت من مواطن اللهو. معجم البلدان ٤ / ٣٨٢.

٣- الطبرى ٩ / ٢٩٢، و الكامل ٧ / ١٤٧.

**معركة الشماسيه:**

وافى قسم من جيش المعتز بالله الشماسيه ليله الأحد لسبع خلون من صفر، فرماهم حماه الباب بالسهم والمجانيق والعراات، فوقع كثير من القتلى والجرحى بين الجانبين. ولما رأى جند سامرا تكاثر جيش المستعين بالله عليهم انسحبوا الى معسكرهم (١).

**معركة النهروان:**

اتصل بابن طاهر ان جمعا من جند المعتز بالله صاروا الى ناحيه النهروان، فوجه اليهم ما ينوف على الف فارس و راجل و عليهم قائدان، فهاجمهم جيش المعتز بالله و هزمهم، و انصرف من نجا منهم الى بغداد. و سيطر جيش المعتز بالله على طريق بغداد- خراسان، و هو الطريق الذى يربط بغداد بالولايات، الشرقيه (٢).

**معركة قطربل:**

وجه المعتز بالله جيشا آخر من الاتراك و الفراغنه و المغاربه الى بغداد، و عليه القائدان الدرغمان الفرغانى و ربله المغربى. فاجتاز الجيش قطربل (٣) قاصدا بغداد من الجانب الغربى، و عسكر عند قطيعه ام جعفر، و ذلك فى يوم الثلاثاء لاثنتى عشره ليله بقيت من صفر. فوجه ابن طاهر ثلاثه من كبار قواده هم الشاه بن ميكال، و بندار، و خالد بن عمران، و معهم اصحاب من

١- الطبرى ٩ / ٢٩١-٢٩٢ و الكامل ٧ / ١٤٥-١٤٦.

٢- الطبرى ٩ / ٢٩٤، و الكامل ٧ / ١٤٧.

٣- هى قريه شمالى بغداد، بينها و بين عكبرا- معجم البلدان ٤ / ٣٧١.

الفرسان و الرجاله. فاشتبك الجانبان فى اليوم التالى بمعركه عنيفه انتصر فيها جيش المستعين بالله و قتل و غرق كثير من جنود جيش المعتز بالله و أسر آخرون منهم، و عبر قسم من المنهزمين الى معسكر ابي احمد فى الجانب الشرقى. و ذكر انهم كانوا اربعة الالف فقتل منهم الفان(١). فاعتبر ذلك انتصارا للمستعين بالله، و كتب به بيان قرىء على اهل بغداد فى جامعها، و هو بمثابة بيان حربى مسهب يشير الى خروج جماعه ضاله نكثت ببعه الخليفه و ناصرته غيره، و ان هؤلاء الناكثين جمعوا جموعهم من الاتراك و الفراغنه و ساروا نحو مدينه السلام معلنين البغى، فهزموا عند باب الشماسيه، الا انهم استنهضوا جيشا آخر من سامرا. و لم تزل الحرب بين المواليين لأمير المؤمنين المستعين بالله و الفرقة الضاله حتى انزل الله بهم البوار و احل عليهم النقمه فولوا منهزمين مغلولين(٢).

ثم استأنف جيش المعتز بالله بعد فشله فى معركه قطربل، الهجوم على باب الشماسيه و باب البردان، فرد على اعقابه بعد ان خسر عددا غير قليل من القتلى و الجرحى، فهاج الغوغاء فى سامرا اثر هذه الهزائم، و اعتبروها ضعفا فى امر المعتز بالله، فانتهبوا سوق اصحاب الحلى و السيوف و الصيارفه و اخذوا جميع ما وجدوا فيها من متاع و اموال. و يظهر ان اهل سامرا ملوا الحرب فاخذوا يعلنون احتجاجهم على استمرارها، و لا سيما عند وصول الاسرى و رؤوس القتلى من بغداد. مما اضطر المعتز بالله

---

١- الطبرى ٩ / ٢٩٥.

٢- كامل البيان فى الطبرى ٩ / ٢٩٦ - ٣٠٣.

ان يأمر بتغطيه وجوه الاسرى، و ان يمنح كلا منهم دينارين، و ان تدفن الرؤوس(١).

و لما طالت الحرب دون نتيجه و اظهر اهل سامرا تدمرهم من استمرارها كتب المعتز بالله الى اخيه الموفق يلومه على تقصيره فى قتال اهل بغداد. فكتب اليه الموفق ما سبق ان قاله الشاعر على بن اميه فى حرب الأمين و المأمون(٢):

لأمر المنايا علينا طريق و للدهر فيه اتساع و ضيق

فايامنا عبر للانام فمناها البكور و منها الطروق

الى ان يقول:

فبالله نبلغ ما نرتجيه و بالله ندفع ما لا نطبق

### معركة الأنبار:

وقعت بالقرب من الانبار معركتان مهمتان كان النصر فيهما لجيش المعتز بالله. فقد وجه محمد بن عبد الله بن طاهر الى الانبار جيشا عليه القائد نجوبه بن قيس(٣)، ليحول دون وصول جيش سامرا من جهتها. فبثق الماء من الفرات الى خندق المدينة و قطع القناطر التى توصل اليها. و سبق لأبن طاهر ان امر بكسر القناطر و بثق المياه بطسوج الأنبار و ما قرب منه من طسوج:

١- الطبرى ٣١٣/٩، و الكامل ١٥١/٧.

٢- تتمه الابيات فى الطبرى ٣١٦/٩، و الكامل ١٥٢/٧-١٥٣.

٣- فى الاصل بحونه، الا انه جاء فى الصحيفتين ٢٨٧ و ٢٨٩ من نفس الكتاب، و فى الكامل ١٤٣ و ١٥٣، نجوبه.

بادوريا ليقطع الطريق على جيش سامرا اذا ما ورد الأنبار(١).

ثم استمد القائد نجوبه قوه اخرى ليعزز جيشه، فندب اليه ابن طاهر قوه اخرى عليها القائد رشيد بن كاوس، اخو الأفشين قائد جيش المعتصم بالله.

و كان المعتز بالله قد ارسل من سامرا جيشا على رأسه ابو نصر محمد بن بغا الكبير للاستيلاء على الأنبار، فباغت ابو نصر جيش ابن كاوس فهاجمه و هزمه. فلما بلغ نجوبه ما لقيه الجيش الذى ارسل مددا له، عبر النهر بقسم من جيشه و قطع جسر الأنبار، فوصل بغداد و اعلم ابن طاهر بمصير جيش ابن كاوس.

فوجه ابن طاهر القائد الحسين بن اسماعيل مع عدد من القواد الآخرين الى الانبار لايقاف زحف جيش سامرا.

و عند ما هزم جيش ابن كاوس و تنحى نجوبه عن الانبار، و رأى اهلها تقدم جيش المعتز بالله نحو المدينة، طلبوا الأمان و سمحوا للجيش المذكور بدخولها. و كانت قد وصلت الى الانبار فى هذه المده عدد من السفن من الرقه عليها دقيق و زيت و ابل و دواب اخرى، فاستولى جند المعتز بالله عليها، و وجهوا ما بها و بالاسرى الى سامرا. و يظهر ان الحسين بن اسماعيل الذى ارسل لانقاذ مدينه الأنبار كانت تنقصه الكفايه العسكريه، فلم يحسن اختيار الموقع الذى نزله بجيشه. بحيث انه عند ما اشتبك بجيش سامرا هزم و جيشه هزيمه شنيعه، و احتوى جند سامرا جميع ما فى عسكره من المضارب و السلاح و الأثاث و صناديق الأموال. و عاد الحسين مع من هزم معه من القاده و الجنود الى الجانب الغربى من

بغداد. و لما اتصل خبر هذه الهزيمة بابن طاهر منع المنهزمين من العبور الى الجانب الشرقى من المدينة، و نودى فيمن دخلها من جند الحسين ان يلتحقوا بمعسكره. و قد وبخ ابن طاهر الحسين و امره بجمع فلول جيشه و العوده الى الأنبار ليحارب عنها ثانيه.

عاد الحسين بن اسماعيل الى الأنبار فنزل باصحابه موقعا يسمى «دمما» و هو قرية كبيره على نهر الفرات عند الفلوجه شرقى الفرات(١). ثم عبر جدولا صغيرا رغم مقاومه جيش المعترز بالله. على ان هذا الجيش قام بهجوم عبر فيه نهر الفرات، و كان الحسين قد تهاون بامر عبوره لعدم تقديره قوته، فتكاثر عليه و هزمه للمره الثانيه، بعد ان قتل و اسر من جيشه اعداد كثيره، مما اضطره على العوده الى بغداد بفلول جيشه المهزوم(٢).

### الوضع الداخلى فى بغداد:

كان الأمراء من بنى هاشم الموجودون ببغداد قد تدمروا من معامله محمد بن عبد الله لهم، و اهماله شؤونهم و تأخيرهم ارزاقهم، مما دفع بعضهم الى ان يلتحق بالمعترز بالله مع من كان قد التحق به من الكتاب و القواد، منهم على و محمد ابنا الواثق بالله، و محمد ابن هارون بن عيسى بن جعفر و محمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن على(٣). اما الذين بقوا ببغداد فقد صاحوا بالمستعين بالله، و تناولوا ابن طاهر بالشتيم القبيح و قالوا «قد منعنا

١- معجم البلدان ٢ / ٤٧١.

٢- راجع عن تفصيلات معركة الانبار: الطبرى ٩ / ٣٢١ - ٣٢٦.

٣- الطبرى ٩ / ٣٢٦.



ارزاقنا .. فان دفعت الينا ارزاقنا و الا قصدنا الابواب ففتحناها و ادخلنا الاتراك فليس يخالفنا احد من اهل بغداد»<sup>(١)</sup>. و قد عجز ابن طاهر عن ترضيتهم، مما زاد فى حنقهم عليه و على المستعين بالله.

كما ان حصار المدينه اشتد على سكانها فاخذوا يتذمرون و يشكون القحط و غلاء الأسعار «و صاحوا فى اول ذى القعدة يوم الجمعة: الجوع و مضوا الى الجزيره التى هى تلقاء دار ابن طاهر لىسمعوه صراخهم و احتجاجهم»<sup>(٢)</sup>. و اجتمع فى اواخر الشهر المذكور «قوم من رجاله الجند و كثير من العامه، فطلب الجند ارزاقهم، و شكت العامه سوء الحال التى هم عليها من الضيق و غلاء السعر و شدة الحصار»<sup>(٣)</sup>.

و حاول ابو احمد قائد جيوش المعتز بالله ان يقتحم سور بغداد. فبعث فى يوم الخميس لاثنتى عشره ليله خلت من شعبان حملة لمهاجمته من ابواب الشماسيه و بغواريا و الأنبار. و قد استطاع قسم من رجال الحمله الذين هاجموا باب بغواريا ان ينقبوا السور فى موضعين تدفق منهما الجند الى داخل المدينه. كما ضرب قسم آخر من رجال الحمله باب الأنبار بالنار فاحرقوه و احرقوا ما كان عليه من المجانيق و العرادات، و دخلو المدينه ايضا. اما باب الشماسيه فقد استعصى على الجند الذين وجهوا اليه. و شعر ابن طاهر بخطر هذا الهجوم فركب على رأس قواده.

و استثار الجند و الناس. و وجه القائدين وصيفا و بغا الى باب

١- نفس المصدر / ٣٢٧.

٢- الطبرى ٩ / ٣٢٥.

٣- نفس المصدر / ٣٢٤.

بغواريا، و القائدين الشاه بن ميكال و الحسين بن اسماعيل الى باب الأنبار فالتقوا بمن دخل المدينة من جيش المعتز بالله و تكاثروا عليهم فطردوهم و ردوهم على اعقابهم بعد ان قتلوا و جرحوا و اسروا اعدادا منهم(١).

و يظهر ان محمد بن عبد الله اخذ يشعر بضعف مقاومه جيش المستعين بالله و فتور حماسه للقتال. فحاول ان يثير عزائم قواده، فجمع المكلفين منهم بابواب بغداد و غيرهم و شاورهم فى امر استمرار الحرب بعد ما اصابهم من و هن و ضعف، فأبدوا استعدادهم لبذل النفس و الدم و المال. فادخلهم على المستعين بالله، و علمه بما ناظرهم به و ما ردوا عليه من الجواب. فقال لهم «و الله يا معشر القواد لئن قاتلت عن نفسى و سلطانى ما اقاتل الا عن دولتكم و عامتكم، و أن يرد الله اليكم اموركم قبل مجىء الاتراك و اشباههم، فقد يجب عليكم المناصحه و الجهد فى قتال هؤلاء الفسقه. فردوا احسن مرد، و جزاهم الخير و امرهم بالانصراف»(٢).

### الاستعانه بالعيارين:

كان محمد بن عبد الله أمر بأن يستعان بالعيارين فى الحرب، و ان يجعل عليهم عريف، و ان تعمل لهم تروس من البوارى المقيره، و مخال تملأ بالحجاره. فكان الواحد منهم يقف خلف الباريه فلا يرى منها. و قد نصب عليهم عريف يقال له ينتويه(٣).

١- راجع عن معركتى ابواب بغداد: الطبرى ٩ / ٣٣٠ - ٣٣١.

٢- الطبرى ٩ / ٣٣٤.

٣- الطبرى ٩ / ٢٨٨.

و يظهر ان الحاجه اشتدت اليهم فامر محمد بن عبد الله بتسليحهم و اثبت اسماءهم. ففرق يتتويه اتباعه على ابواب بغداد ليكونوا عوناً للجيش المدافع عنها(١). و يقول الطبرى انهم كانوا أثبت من العامه فى الحرب(٢). و خرج يتتويه و اصحابه من العيارين فى احد الايام من باب قطربل و اشتبكوا بالمهاجمين من جيش المعتز بالله و استطاعوا ان يردوهم الى معسكرهم مثنخين بالجراح. فأمر له محمد بن عبد الله بخمسمائه درهم، الا انه امره الا يخرج بجماعته الى الحرب الا فى يوم قتال(٣).

### محاولة فك الحصار عن بغداد:

رغم فشل جيش المعتز بالله فى اقتحام اسوار مدينه بغداد الا ان حصاره لها كان محكما بحيث اضطر محمد بن عبد الله ان يقوم بهجوم كبير على محاصريه ليجليهم و يفك حصار المدينه. فأمر فى اوائل ذى القعدة بفتح الابواب كلها فى الجانبين الشرقى و الغربى، و نصب المجانيق و العرادات عليها و على السفن فى نهر دجله، و خرج على رأس الجند و معه كبار القواد. فتزاحف الفريقان و اشتبكا فى معركة عنيفه هزم فيها جيش المعتز بالله و هرب من ساحه القتال حتى صار الى معسكره. فتعقبه جند المستعين بالله و انتهبوا قسما من المعسكر، و ضربوا زورقا لهم يقال له (الحديدى) كان شديدا على اهل بغداد برمى النار. الا ان ابا احمد الموفق استطاع ان يرد جنده الى استئناف القتال و القيام

١- نفس المصدر / ٣٠٩.

٢- نفس المصدر / ٢٩٣.

٣- نفس المصدر / ٣١٠.

بهجوم معاكس. اذ قال لهم انهم ان لم يكرروا لم تبق لهم بقية(١).

فعادوا و صمدوا فى اماكنهم. و صادف ان جمعا من جيش المستعين بالله رجعوا عن الاتراك المنهزمين مما اؤهم جماعتهم ان جنود المعتز بالله قد رجعوا عليهم، فانهزموا نحو بغداد متزاحمين.

و هكذا انصرف الفريقان عن بعضهما.

و قد سر ابن طاهر مما حققه جنده من الانتصار فى المعركة الأخيرة على بعض ابواب بغداد، و جعل يطوق كل من جاءه برأس قتيل، حتى بدت الكراهية فى وجوه اتباعه و وصيف من الأتراك لمقتل اصحابهم جنود المعتز بالله.

### المستعين بالله يخلع نفسه و يبائع المعتز بالله:

يمكن اعتبار معركة فك الحصار عن بغداد و فشلها نهاية للحرب بين جيش المعتز بالله و جيش المستعين بالله. و قد ذكر ان ابن طاهر كان قد كاتب المعتز بالله قبل ذلك فى الصلح(٢). اذ كان جادا فى نصره المستعين بالله حتى استطاع عبيد الله بن يحيى ابن خاقان و احمد بن اسرائيل و الحسن بن مخلد ان يصدقوه عما كان عليه. اذ اقنوه بان المستعين بالله يعمل للتخلص منه(٣).

و كان استياء اهل بغداد من استمرار الحرب، و ما قاسوه من تأثير الحصار المفروض عليهم، مما شجعه على ان يبعث وفدا الى عسكر ابي احمد لمناظرته فى امر الصلح. كما انه خرج بنفسه لمقابلته.

و كان قد ضرب لابن طاهر باب الشماسية مضرب كبير، و جاء ابو احمد فى زلال و دخل المضرب. فتناظرا طويلا ثم خرجا. و انصرف

١- نفس المصدر / ٣٣٤.

٢- الطبرى ٩ / ٣٣٥.

٣- نفس المصدر / ٣٤٢.

ابن طاهر الى المستعين بالله و اخبره بما دار بينه و بين ابي احمد «فذكر انه فارقه على ان يعطى خمسين الف دينار، و يقطع غله ثلاثين الف دينار فى السنه. و ان يكون مقامه بغداد حتى يجتمع له مال يعطون الجند، و على ان يولى بغا مكه و المدينه و الحجاز، و وصيف الجبل و ما والاى، و يكون ثلث ما يجبى من الخراج لمحمد ابن عبد الله و جند بغداد، و الثلثان للموالى و الأتراك»<sup>(١)</sup>.

كانت هذه شروط المستعين بالله، و قد امتنع اول الأمر من ان يخلع نفسه من الخلافه، «الا انه عند ما ناظره ابن طاهر و وصيف و بغا و اغلظ لهم كاشفوه بنواياهم. فقال له وصيف:

انت امرتنا بقتل باغر فصرنا الى ما نحن فيه، و انت حرضتنا لقتل اوتامش، و قلت ان محمدا ليس بناصح، و ما زالوا يفرعونه و يحتالون له. فقال له محمد بن عبد الله: و قد قلت لى ان امرنا لا يصلح الا باستراحتنا من هذين الاثنين. فلما اجتمعت كلمتهم اذعن لهم بالخلع و كتب بما اشترط لنفسه»<sup>(٢)</sup>. و قد كشفت هذه المناظره عن سوء تدبير المستعين بالله و فساد نيته تجاه رجاله، مما ازال الثقه بينه و بينهم و جعلهم يحجمون عن الاستمرار بالحرب الى جانبه.

و يظهر ان مفاوضات الصلح قد اثمرت، اذ وجه الموفق خمس سفائن من دقيق و حنطه و شعير و تين الى ابن طاهر. فوجه هذا قواده اليه فبايعوا للمعتز بالله. كما ان رشيد بن كاوس احد كبار قواد المستعين بالله كان قد قابل الموفق ثم عاد الى بغداد يقول

١- نفس المصدر / ٣٤٣.

٢- نفس المصدر ٣٤٤ - ٣٤٥.

للناس «ان امير المؤمنين المعتز و ابا احمد يقرآن عليكم السلام و يقولان من اطاعنا وصلناه و من أبى فهو أعلم»<sup>(١)</sup>.

و لما علم اهل بغداد بهذه الاتصالات ظنوا ان مفاوضات الصلح تجرى باذن الخليفة المستعين بالله على ان يستمر هو فى الخلافه و يكون المعتز بالله ولى عهده. الا انهم اتضح لهم ان ذلك تم دون موافقه المستعين بالله فهاجوا على ابن طاهر و قصدوا داره و شتموه، الا ان جنده ردوهم عن داره.

ان المستعين بالله بعد ان رأى ما صارت اليه الأمور، و ان اتباعه تخلوا عن نصرته اذعن لما ستسفر عنه نتيجة المفاوضات.

فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذى الحجه ادخل محمد بن عبد الله جميع القضاة و الفقهاء على المستعين بالله و اشهدهم عليه بأنه صير امره اليه<sup>(٢)</sup>. و استمر محمد فى مفاوضاته التى انتهت بالموافقه على ان يتنازل المستعين بالله عن الخلافه و يبايع للمعتز بالله بشرط ان يقطع المستعين بالله بعض الاراضى و ينزل المدينه المنوره و يسمح له بالتنقل بينها و بين مكه. فوافق ابو احمد الموفق على ذلك، الا ان المستعين بالله طلب ان يكتب المعتز بالله موافقته عليها بخطه. فاخرج ابن طاهر جماعه من قواده الى المعتز بالله فى الشروط المذكوره، فوقع ذلك بخطه و شهدوا على اقراره. و خلع المعتز بالله على الرسل و قلدهم السيوف، و وجه معهم جماعه من رجاله لأخذ البيعه له من المستعين بالله<sup>(٣)</sup>.

١- الكامل ٧ / ١٥٨.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٥.

٣- نفس المصدر، ٣٤٤-٣٤٥، و الكامل ٧ / ١٦٢.

و يقال ان المستعين بالله طلب ان ينزل بواسط الى وقت مسيره الى مكه و ان المعتز كتب له على نفسه شروطا متى نقض شيئا منها فالله و رسوله منه براء، و الناس فى حل من بيعته(١). فخلع المستعين بالله نفسه من الخلافة فى يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة ٢٥٢هـ (٢). و بذلك انتهت الحرب التى قامت بين المستعين بالله و المعتز بالله، و غدا على رأس الدوله العربيه رئيس واحد فى سامرا. و تسلم محمد بن عبد الله منه البرده و القضيبي و الخاتم، و هى شارات الخليفه، و وجه بها الى المعتز بالله مع اخيه عبيد الله بن عبد الله، و كتب معه كتابا، قال فيه «اما بعد، فالحمد لله متمم النعم برحمته و الهادى الى شكره بفضله، و صلى الله على محمد عبده و رسوله .. كتابى الى امير المؤمنين و قد تمم الله له امره، و تسلمت تراث رسول الله صلى الله عليه و سلم ممن كان عنده، و انفذته الى امير المؤمنين ..»(٣).

و قال بعض الشعراء فى خلع المستعين بالله(٤):

خلع الخلافة احمد بن محمد و سيقتل التالى او يخلع

و يزول ملك بنى ابيه و لا يرى أحد تملك منهم يستمتع

ايها بنى العباس ان سييلكم فى قتل أعبدكم طريق مهيع

١- مروج الذهب ١٤ / ١٦٣.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٥، و مروج الذهب ٤ / ١٦٣.

٣- الطبرى ٩ / ٣٤٨ - ٣٤٩.

٤- الطبرى ٩ / ٣٥٠، و الكامل ٧ / ١٦٨.

رقعتم دنياكم فتمزقت بكم الحياه تمزقا لا يرقع

و تمثل هذه الايات على قصرها شعور الناس حينذاك، و رأيهم فى تصرفات الخلفاء من بنى العباس و مصيرهم على ايدى مواليهم الأتراك المتسلطين عليهم، الذى ينتهى بالخلع و القتل.

## ٥- المعتز بالله و الأتراك:

### اشاره

كان الأتراك قد استحوذوا منذ مقتل المتوكل على الله على شؤون الخلافة و استضعفوا الخلفاء. فكان الخليفه كالأسير فى ايديهم يبقوه اذا شاءوا، و يخلعوه اذا ما اختلفوا معه. و يورد ابن الطقطقى قصه للدلاله على تسلط القواد الأتراك على مقادير الخلفاء، فيقول «لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصه و احضروا المنجمين، و قالوا لهم: انظروا كم يعيش و كم يبقى فى الخلافة. و كان بالمجلس بعض الظرفاء فقال: أنا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره و خلافته. فقالوا: فكم تقول انه يعيش و يملك؟ قال: مهما اراد الأتراك»<sup>(١)</sup>.

و مما يدل على ان المعتز بالله كان يرهب جانب الأتراك، ما يقال ان امه لم تزل تحرضه على الفتك بقتله ابيه من الأتراك، فكان يعدها و يمنيها، و هو يعلم انه لا يقوى عليهم لشده شوكتهم و غلبتهم على الامور. فأخرجت اليه يوما قميص ابيه المتوكل على



اللّه و هو مخضب بدمائه، و جعلت تبكى و تستيره، فقال لها: يا امى ارفعى القميص و الا صار قميصين(١).

و يظهر ان عامه الناس و قسما من الجند لم يكونوا راضين عن تسلط الأتراك لاستغلالهم مراكزهم و اضطهادهم الناس. فقد وثب بعض الجند الاتراك بالوزير عيسى بن فرخان فى اول رجب سنه ٢٥٢ هـ، فثار له المغاربه من الجند و غلبوا الاتراك على الجوسق و اخرجوهم منه، و قالوا لهم: كل يوم تقتلون خليفه و تخلعون آخر و تقتلون وزيراً(٢). فصار الجوسق و بيت المال بيد المغاربه.

فتجمع الأتراك ثانيه و اشتبكوا مع المغاربه. و قد اعان الناس المغاربه كرها بالاتراك حتى قاربوا ان يتغلبوا عليهم. الا ان قاضى القضاء جعفر بن عبد الواحد اصلح بين الطرفين.

### القائدان وصيف و بغا و مقتلهما:

بقى القائدان وصيف و بغا الى جانب المستعين بالله الى ان خلع نفسه من الخلافه و بايع المعتز بالله. فأمر المعتز بالله محمد بن عبد الله ان يسقط اسميهما مع اتباعهما من الديوان ببغداد. الا ان وصيفا وجه اخته سعاد الى ابراهيم المؤيد، و كان نشأ فى حجرها، فكلم اخاه المعتز فى الرضا عنه. و يقول الطبرى ان سعادا اخرجت من قصر وصيف الف الف دينار كانت مدفونه فيه، فدفعتها الى المؤيد، فكلم هذا اخاه الخليفه. فرضى عن وصيف،

١- الديارات / ١٦٩، و ثمار القلوب / ٨٦.

٢- الطبرى ٩ / ٣٦٩، و الكامل ٧ / ١٧٣، و فيه: و تعملون وزيراً.

و كتب اليه بالرضا عنه(١). و كلم الموفق اخاه المعتز بالله بشأن بغا الصغير، فرضى الخليفه عنه كذلك(٢). فعادا الى خدمته فى سامرا، رغم انه كان يرغب ببقيائهما ببغداد بعيدين عنه. اذ اعز الى ابن طاهر ان يحول دون خروجهما الى سامرا.

الا انهما استطاعا الشخوص اليها، و عادا الى مراتبهما(٣).

و كان الاتراك و الفراغنه و الاشروسنيه من الجند قد شغبوا فى اوائل شوال سنه ٢٥٣ هـ و طالبوا بارزاقهم المتأخره لأربعه اشهر.

فخرج اليهم من القواد وصيف و بغا الصغير و سيما الشرابى ليناظروهم فى طلباتهم. فاغلظ وصيف فى كلامه مع الجند فوثبوا به و قتلوه، و نصبوا رأسه على محراك تنور(٤). فتخلص بذلك المعتز بالله من احد كبار القواد المتغلبين.

لقد صفا الجو بعد مقتل وصيف للقائد بغا الصغير، فأخذ المعتز يظهر اكرامه فجعل اليه ما كان الى وصيف من المهام و القيادات، ثم خلع عليه و البسه التاج و الوشاحين(٥). و من الجدير بالذكر ان نشير الى ان اكرام القواد الاتراك فى المناسبات المختلفه لا سيما عند انتصارهم فى الحروب، فى عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله، لم يكن لقوه نفوذهم و سلطانهم، و انما كان تشجيعا لهم و تقديرا لجهودهم و دفعهم الى مزيد من الولاء للخليفه و خدمه الدوله العرييه. اما فى عهد بقيه خلفاء سامرا فان الباعث على تكريمهم كان محاوله كسب رضاهم و دفعا لنقمتهم و غضبهم، بعد ان قوى نفاذهم و اشتد ازهرهم كطبقة عسكريه حاكمه.

١- الطبرى ٩ / ٣٥٥.

٢- نفس المصدر

٣- الطبرى ٩ / ٣٥٦، و الكامل ٧ / ١٦٩.

٤- الطبرى ٩ / ٣٧٤، و الكامل ٧ / ١٧٩.

٥- نفس المصدرين.

و حاول بغا ان يقنع المعتز بالله بالمسير الى بغداد لكي ينفرد بالهيمنة على شؤون الخلافة، الا ان المعتز بالله كان يأبى ذلك.  
 و لما زوج بغا بنته من صالح بن وصيف، و قد اصبح هذا من كبار قادة الاتراك، ازداد بغا قوه و نفوذا، فطغى و تفرد بالأمور(١).  
 فاخذ المعتز بالله يرهب جانبه بحيث «كان لا ينام فى غيبه بغا الا فى ثيابه و عليه السلاح»(٢) و قال «لا ازال على هذه الحالة حتى اعلم لبغا رأسى او رأسه لى»(٣).

و يبدو ان الخلاف اشتد بين الخليفة و بغا، لا سيما و ان المعتز بالله قد استطاع ان يكسب ولاء بعض القواد الاتراك. و لما بلغه ان بغا عزم على الوثوب به دبر على قتله، فلما بلغ ذلك بغا هرب(٤). و حاول ان يتظاهر بالخروج من سامرا لكي يباغت المعتز بالله و اعوانه. فخرج فى غلमानه و قواده الى السن ثم عاد بمفرده ليلا متخفيا ليجمع الى صالح بن وصيف ليدبرا الوثوب بالخليفة. الا- انه وقع بيد الحراس، و لما اعلموا المعتز بالله بالقبض عليه، أمر بقتله. فقتل و حمل رأسه اليه، فنصب بسامرا و بغداد(٥). و يقول الطبرى ان المعتز بالله وهب قاتله عشرة الاف دينار و خلع عليه خلعه(٦). مما يدل على اغتباطه بالتخلص منه.

١- كتاب دول الاسلام ٢ / ١١١.

٢- الكامل ٧ / ١٨٧.

٣- مروج الذهب ٤ / ١٧٧.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥٠٣.

٥- الطبرى ٩ / ٣٨٠، و الكامل ٧ / ١٨٧، و المروج ٤ / ١٧٧.

٦- الطبرى ٩ / ٣٨١.

## سيطره صالح بن وصيف:

انتهت زعامه الجند الأتراك بعد مقتل وصيف و بغا الى القائد صالح بن وصيف. فصار الشخص الاول بعد الخليفه، تخرج الكتب باسمه، و يتولى تعيين الوزراء و الولاة و الكتاب. و عند ما ساء الوضع المالى و لم يعد فى بيت المال ما يكفى لدفع ارزاق الجند التى اخذت تتأخر كثيرا عن مواعيدها، عمد صالح بن وصيف الى مصادرته الكتاب للحصول على الأموال. فأخذ احمد بن اسرائيل كاتب الخليفه و وزيره، و الحسن بن مخلد كاتب ام الخليفه، و ابا نوح عيسى بن ابراهيم، فقيدهم و طالبهم باخراج ما يملكونه من الاموال. و قال للخليفه مبررا فعلته هذه «ليس للاتراك عطاء، و لا فى بيت المال مال، و قد ذهب ابن اسرائيل و اصحابه باموال الدنيا»<sup>(١)</sup>. و ضرب ابن اسرائيل حتى كسرت اسنانه، و ضرب ابن مخلد مائه سوط، و كان عيسى بن ابراهيم محتجما فلم يزل يصفع حتى سالت الدماء من محاجمه، و لم يتركوا حتى اخذت رقاعهم بمال جليل قسط عليهم<sup>(٢)</sup>.

لقد حاول المعتز بالله ان يعتمد على قوه تساعد فى مناهضه صالح و مؤيديه من الاتراك، فاصطنع المغاربه و الفراغنه من الجيش. الا ان نتيجة سياسته هذه ان الاتراك وحدوا صفوفهم، و قد رأوا الخليفه يعمل على اضعاف شأنهم. فعمد قوادهم و على رأسهم صالح بن وصيف الى تحريض الجند و دفعهم الى مطالبه الخليفه بارزاقهم التى كان عاجزا عن دفعها لفراغ بيت المال نتيجة سوء الاداره و اهمال الشؤون الزراعيه و تكاليف الحرب

١- الطبرى ٩ / ٣٨٧.

٢- نفس المصدر.

الأهليه التي قامت بين سامرا و بغداد(١). و يقول الطبرى ان حاجه الجند الأتراك دفعتهم الى ان يطلبوا الى الخليفه ان يعطيهم خمسين الف دينار على ان يقتلوا صالحا. فارسل المعتز بالله الى امه يعلمها باضطراب الاتراك، و شغبهم عليه، و خوفه على نفسه منهم، و يطلب مساعدتها من المال. فارسلت اليه ان ليس عندها مال و لينتظروا حتى تقبض و تعطيهم. علما انها كانت معها اموال لا تحصى، و قد قوموا جواهرها بالفى الف دينار(٢). فقد كانت بخيله و قد جمعت اموالا طائله و كانت تخفيها عن ابنها. و قد وقع صالح على خزائن لها فيها اموال كثيره من اللؤلؤ و الياقوت و غير ذلك بحيث ظلت تلك الخزائن تباع فى سامرا و بغداد عده شهور حتى نفذت(٣). و يقول السيوطى انها كانت اختفت اثر مقتل ابنها، و لما ظهرت اعطت صالح بن وصيف قاتل ابنها مالا عظيما، من ذلك الف الف دينار، و سفت زمرد و آخر لؤلؤ. فلما رأى صالح تلك الأموال قال: قبحتها الله عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين الف دينار و عندها هذا(٤).

### خلع المعتز بالله من الخلافة:

عند ما رأى القواد الاتراك انهم لم يحصل لهم شىء من المال من المعتز بالله اتفقت كلمتهم على خلعه و التخلص منه. فساروا اليه، و دخلوا عليه و طلبوا اليه ان يخرج اليهم، فاحتج بالمرض.

١- الطبرى ٩ / ٣٩٤ - ٣٩٥.

٢- كتاب دول الاسلام ٢ / ١١٢.

٣- الطبرى ٩ / ٣٩٤ - ٣٩٥.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٦٠.

الـ ان بعضهم اقتحموا عليه الغرفه و جروا برجله و ضربوه بالدبابيس، و خرقوا قميصه. و اقاموه فى الشمس فكان يرفع رجلا و يضع اخرى من شدة الحر، و كان بعضهم يلطمه (١). ثم امره ان يخلع نفسه من الخلافه طالما عجز عن تدبير المال لهم.

و احضروا القاضى ابن ابى الشوارب، و كتبوا كتاب خلعه، فأقر المعتز بالله مكرها بما جاء فى كتاب الخلع (٢). و شهد عليه الحاضرون، كما شهدوا على صالح بن وصيف بان للمعتز بالله و امه و ولده و اخته الأمان (٣). و كان ذلك فى يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنه ٢٥٥هـ (٤). و كان نص كتاب الخلع كما يأتى (٥):

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشهد عليه الشهود المسمون فى هذا الكتاب، شهدوا ان ابا عبد الله بن امير المؤمنين المتوكل على الله أقر عندهم، و اشهدهم على نفسه فى صحه من عقله، و جواز من امره، طائعا غير مكره، انه نظر فيما كان تقلده من امر الخلافه و القيام بامور المسلمين، فرأى انه لا يصلح لذلك، و لا يكمل له، و انه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها، ضعيف عن ذلك، فاخرج نفسه، و تبرأ منها، و خلعها من رقبته، و خلع نفسه منها، و برأ كل من كانت له فى عنقه بيعه من جميع اوليائه و سائر الناس ممن كان له فى رقابهم من البيعه و العهود و المواثيق و الايمان بالطلاق و العتاق و الصدقه و الحج و سائر الأيمان، و حللهم

١- الطبرى ٩ / ٣٨٩، و الكامل ٧ / ١٩١، و الفخرى / ٢٢١.

٢- العبير ٢ / ٩.

٣- الطبرى ٩ / ٣٩٠.

٤- الطبرى ٩ / ٣٨٩.

٥- نفس المصدر / ٣٩١ - ٣٩٢.

من جميع ذلك، و جعلهم فى سعه منه فى الدنيا و الآخرة، بعد ان تبين له ان الصلاح له و للمسلمين فى خروجه عن الخلافه و التبرؤ منها، و اشهد على نفسه بجميع ما سمي و وصف فى هذا الكتاب جميع الشهود المسمين فيه و جميع من حضر، بعد ان قرىء عليه حرفا حرفا، فأقر بفهمه و معرفته جميع ما فيه طائعا عن مكره، و ذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ هـ.

و وقع المعتز فى ذلك: أقر ابو عبد الله بجميع ما فى هذا الكتاب و كتب بخطه. و كتب الشهود شهاداتهم.

ثم حبس المعتز بالله، و كان القواد الاتراك قد اوعزوا بقتله و قد ذكرنا تفصيل ذلك فى سيرته.

## ٦- المهتدى بالله و محاوله اضعاف سلطه الاتراك:

### اشاره

الخلاف بين المهتدى بالله و موسى بن بغا:

كان موسى بن بغا الكبير على رأس جيش فى محاربه الحسن بن زيد العلوى فى بلاد الرى. فاستنجدت به ام المعتز بالله لما ضايق القواد الاتراك ابنها، فلم يتمكن آنذاك من الشخوص الى سامرا.

و لكن بعد ان بلغه نبأ مقتل الخليفه صعب عليه ذلك فقرر العوده بجيشه الى سامرا للانتقام من قاتله صالح بن وصيف و اصحابه.

و كان الجند الذين مع موسى بلغهم ما اخذه صالح و جنده من اموال الكتاب و اسلاب المعتز بالله و اموال امه، فحسدوا المقيمين بسامرا من الجند و دعوا موسى الى الشخوص بهم الى سامرا.

و لما بلغ المهتدى بالله خبر توجه موسى نحو سامرا انكر ذلك عليه و كتب اليه بالمقام فى موضعه للحاجه المامه اليه فى القضاء

على الخارجين على الدوله فى تلك النواحي. و كان صالح بن وصيف بدافع خوفه من انتقام موسى منه و محاسبته على الاموال التى حازها، يعظم على الخليفه قدومه و ينسبه الى المعصيه و الخلاف. الا ان موسى ابى الاذعان لأمر الخليفه و سار بجيشه قدما حتى وصل سامرا. و رأى صالح بن وصيف، و هو المسيطر على شؤون الخلافه، فى عوده موسى و جيشه خطرا عليه، و عجب من قدومه رغم ممانعه الخليفه، مما جعله يعتقد ان الخليفه هو الذى طلب اليه سرا ان يقدم الى سامرا لكى يباغت اتباعه، فانفض عن المهتدى بالله.

و عند ما جاء موسى الى دار الخلافه كان المهتدى بالله قد جلس للمظالم فلم يأذن له و لمن معه الا بعد ان فرغ من المجلس، فدخلوا عليه. و كانوا رأوا فى تأخير الخليفه الأذن لهم بالدخول مطاوله منه حتى يكبسهم صالح بن وصيف و اتباعه. فخافوا من ذلك، فأخذوا المهتدى بالله من مجلسه و حملوه معهم الى دار ياجور احد كبار قواد الاتراك. و بعد مناظره الخليفه اخذ موسى و جماعته عليه «العهود و المواثيق ان لا يمايل صالحا عليهم، و لا يضم لهم آلا مثل ما يظهر، ففعل ذلك، فجدوا له البيعه»<sup>(١)</sup> ورددوه الى الجوسق.

علم صالح بما تم بين الخليفه و موسى و اتباعه، و انهم ينقمون عليه قتله المعتر بالله و الكتاب و اخذه اموالهم، فاختفى خوفا على حياته. فخاف موسى ان يعمل صالح عند اختفائه على الوثوب به، فبث العيون و الارصاد فى طلبه. فوصل الى الخليفه كتاب من صالح، فدعا بسليمان بن وهب ليقراه بحضور جماعه من قواد



الاتراك فيهم موسى بن بعا و مفلح و بايكباك و ياجور. و ذكر صالح فى كتابه انه مستخف بسامرا و قد استتر متخيرا للسلامه و ابقاء على الموالى، و خوفا من ايصال الفتن بحرب ان حدثت بينهم، و بين ما صار اليه من اموال الكتاب و من وصل اليه ذلك المال و تولى تفريقه، ثم ذكر اشياء يعتذر ببعضها و يحتج ببعض الآخر(١).

و تكلم المهتدى بالله يحض الحاضرين على المهادنه و الصلح و الألفه، و يكره اليهم الفرقة و التباغض. مما جعل موسى و اتباعه يهتمونه بالميل الى صالح و انه يقدمه عليهم، و انه يعلم بمكان اختفائه فخرجوا منه و صاروا مع موسى الى داره فى داخل الجوسق و تناظروا فيما بينهم، و ذكر بعض من كان حاضرا ان القوم اجمعوا على خلع المهتدى بالله(٢).

و لما اتصل الخبر بالمهتدى بالله خرج الى مجلسه متقلدا سيفا ثم امر بادخالهم اليه، فقال لهم «انه قد بلغنى ما انتم عليه من امرى، و لست كمن تقدمنى مثل احمد بن محمد المستعين و لا مثل ابن قبيحه ... و هذا سيفى، و الله لا ضربن به ما استمسك قائمه بيدي .. أما دين، أما حياء، أما رعه؟ كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء، و الاقدام و الجراه على الله ... هل تعلمون انه وصل الى من دنياكم هذه شىء؟ اما انك يا بايكباك ان بعض المتصلين بك ايسر من جماعه اخوتى و ولدى .. ثم تقولون انى أعلم علم صالح، و هل صالح الا رجل من الموالى و كواحد منكم فكيف الاقامه معه اذا ساء رأيكم فيه؟ فان آثرتم الصلح كان ذلك ما

١- نفس المصدر / ٤٤١.

٢- نفس المصدر / ٤٤٢، و الكامل / ٧ / ٢١٩.

اهوى لجمعكم، و ان ايتم الا الاقامه على ما انتم عليه فشأنكم، فاطلبوا صالحا ثم ابلغوا شقاء انفسكم، و اما انا فما اعلم علمه»<sup>(١)</sup>.  
 ان خطاب المهتدى بالله خطاب رجل ضعيف يتوسل، و ليس خطاب رئيس دوله حازم يرهب من يحدد عن طريق الصواب، و يهدد بمحاسبه من يسىء الى الخلافه. و هو يترك المشاكل القائمه، و بخاصه امر صالح بن وصيف، اليهم ليتخذوا ما يرونه بشأنه. بينما كان من الضرورى ان يشعروهم بانه سيتولى ذلك بنفسه و يحاسب كل مقصر او مسيء. و لا شك فى انه بخطابه هذا اطعمهم بنفسه و جرأهم عليه، لما لمسوا من ضعفه و فقدانه الحزم.

و ذكر ان المهتدى بالله قال لبايكباك و لابي نصر محمد بن بغا: قد حضرتما ما عمله صالح فى اموال الكتاب و ام المعتر فان اخذ من ذلك شيئا فقد اخذتما مثله، فاحفظهما ذلك<sup>(٢)</sup>.

و قد قيل ان القوم من لدن قدوم موسى بن بغا الى سامرا للتأثر لمقتل المعتر بالله، كانوا يضمرون خلع المهتدى بالله، و انما كان يمنعهم من ذلك قله الأموال لديهم لدفع ارزاق الجند و كسب رضاهم. فلما استحوذوا على المال الوارد من الأهواز فى المحرم سنة ٢٥٦ هـ و مقداره سبعة عشر الف الف و خمسمائة الف درهم، تحركوا للعمل على تحقيق نواياهم<sup>(٣)</sup>.

١- الطبرى ٩ / ٤٤٢ - ٤٤٣.

٢- نفس المصدر / ٤٤٣ و الكامل ٧ / ٢٢١.

٣- نفس المصدرين، و جاء فى الكامل ان مبلغ المال عشره الاف الف و خمسمائة الف درهم.

و مما زاد فى قوه مركز موسى بن بعا انه تخلص من صالح بن وصيف. اذ عثر عليه غلام صدفة فى احد الدور فى اوائل صفر، فاستعان بعيار يعرفه، فجمع هذا آخرين معه و هجموا على الدار و اخرجوا صالحا و ذهبوا به الى دار موسى. فاخذ بعض القواد الى الجوسق، الا انهم قتلوه فى الطريق و احتزوا رأسه و صاروا به الى المهتدى بالله، فأمرهم ان يواروه. الا انهم حملوه على قناه و طافوا به ينادون عليه: هذا جزاء من قتل مولاه، ثم نصبوه بباب العامه(١). و هناك من يقول انه رأى انه حوى له حمام و ادخل اليه فمات فيه(٢).

### تنكر المهتدى بالله للقواد الاتراك:

ضاق المهتدى بالله ذرعا بتسلط القواد الاتراك و بخاصه استحواذهم على الأموال التى ترد من الولايات الى بيت المال متجاهلين جهود الخليفة فى تقويم الوضع المالى. فحاول ان يستفيد من نغمه الجند على قوادهم، و ان يعمل على ايقاع الخلاف بين القواد انفسهم. و كان قد وجه فى مستهل جمادى الاولى موسى بن بعا و بايكباك الى حرب مساور الشارى، فكتب بعد ان حبس ابا نصر محمد بن بعا الى موسى يأمره بتسليم قياده جيشه الى بايكباك و القدوم الى سامرا. و كتب بنفس الوقت الى بايكباك يستميله بتسلم قياده الجيش و القيام بقتال الشارى، و ان يقتل موسى و مفلحا او يحملهما اليه مقيدين. الا ان بايكباك اطلع موسى على كتاب الخليفة، و قال له: هذا تدبير علينا جميعا، فاذا فعل بك

١- الطبرى ٩/٤٥٣-٤٥٥، و الكامل ٧/٢٢٥.

٢- مروج الذهب ٤/١٨٥.

اليوم شىء فعل بى غدا مثله. و اتفقا على ان يتظاهر بايكباك بمولاه الخليفه، و من ثم يدبران امر قتله(١).

و قد اخبر بعض الاتراك المهتدى بالله بان بايكباك قد اتفق مع موسى على الفتك به فى الجوسق. فلما دخل بايكباك مع بعض قواده على المهتدى بالله امر بحبسه و صرف الباقين، ثم امر بضرب عنقه. و لما احتج اتباعه على حبس قائدهم و تجمعوا لمهاجمه الدار و اطلاق سراحه، رمى الخليفه برأسه اليهم، مما اثار غضبهم و زاد فى ثورتهم عليه(٢). و قد حاول المهتدى بالله بعمله هذا ان يتخذ موقف ابى جعفر المنصور من ابى مسلم الخراسانى، متصورا ان ذلك سيفل قوه الاتراك و يضعف سلطانهم. الا انه لم تكن له منعه المنصور و قوته. و لذا فقد اعتبر قواد الاتراك هذا غدرا بهم، و انهم لذلك اصبحوا فى حل من بيعته. و الواقع ان محاوله المهتدى بالله الايقاع بين موسى و بايكباك لم تكن محكمه لأنه كاشف كلا منهما بنيته تجاه زميله دون ان يتوثق من ولائه و اخلاصه، مما انعكس عليه بنتيجه سيئه. اذ صارت محاولته دافعا لجمع كلمتهم و توحيد قواهم لمقاومته. كما كان قبضه على ابى نصر محمد بن بغا بعد ان كتب اليه بالأمان على نفسه و من معه و من ثم امره بقتله(٣)، قد اثار مزيدا من سخط الاتراك و غضبهم عليه.

### محاولته الاعتماد على الجند و العامه:

لما انتشر الخبر بين العامه ان القواد الاتراك على و شك ان يخلعوا المهتدى بالله و يفتكوا به، كتبوا الرقاع انتصارا له

١- الطبرى ٩/ ٧٤٥٦-٤٥٧.

٢- نفس المصدر / ٤٥٩.

٣- نفس المصدر / ٤٦٠.

و القوها فى المساجد و الطرقات. و ذكر انها كانت كالاتى «بسم الله الرحمن الرحيم: يا معشر المسلمين، ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضى المضاهى لعمر بن الخطاب ان ينصره على عدوه و يكفيه مؤونه ظالمه، و يتم النعمه عليه و على هذه الأمه ببقائه، فان الموالى قد اخذوه بان يخلع نفسه و هو يعذب منذ ايام، و المدبر لذلك احمد بن محمد بن ثوابه و الحسن بن مخلد. رحم الله من اخلص النيه و دعا و صلى على محمد صلى الله عليه و سلم».

و كان المهتدى بالله من جانبه يؤلب الجند و العامه ضد القواد الاتراك. فقد جاء بالفراغنه و الاشروسنيه و الطيريه و الديالمه و غيرهم، فسألهم النصره على موسى و مفلح، و قال: «قد اخذوا الاموال و استأثروا بالفى ء، و انا اخاف ان يقتلونى. و ان نصرتمونى اعطيتمكم جميع ما فاتكم و زدتمكم ارزاقكم. فاجابوه الى نصره و الخلاف على موسى و اصحابه. كما اخذ المهتدى بالله يركب فى بنى هاشم و يدور فى الاسواق، و يسأل الناس النصره على الفساق قتله الخلفاء(١).

لقد اخافت دعوه العامه برقاعهم لنصره الخليفه قسما من الجند فارسوا الى الخليفه انهم مستعدون للموت دونه اذا ما استمع الى شكاواهم و ازال اسبابها. و تقدموا اليه بمطالب معينه يتعلق قسم منها بالامور العامه، و يخص القسم الآخر شؤونهم المسلكيه و تنظيم امورهم. و اهم هذه الطلبات(٢):

١- ان ترد الامور الى امير المؤمنين فى الخاص و العام و لا يعترض عليه معترض.

(٩٣) نفس المصدر/ ٤٤٤.

(٩٤) الطبرى ٩/ ٤٦٨.

١- نفس المصدر ٤٦٩.

٢- نفس المصدر/ ٤٤٦-٤٤٧.

٢- ان ترد رسومهم الى ما كانت عليه ايام المستعين بالله، و هو ان يكون على كل تسعه منهم عريف، و على كل خمسين خليفه، و على كل مائه قائد.

٣- ان يدفع لهم العطاء فى كل شهرين.

٤- ان تبطل الاقطاعات.

٥- ان يصير امير المؤمنين الجيش الى احد اخوته او غيرهم ممن يرى، على ان لا يكون من الموالى.

٦- ان يأمر الخليفه بمحاسبه صالح بن وصيف و موسى بن بغا على ما عندهما من الأموال.

و قالوا انهم لا يرضيهم دون ما سألوا، مع تعجيل ارزاقهم المتأخره. فأجابهم الخليفه بسروره من طاعتهم له و تأييدهم اياه، و انه موافق على جميع ما سألوه و سيعمل على تنفيذه، و يزيل ما يشتكون منه.

الا- ان عدم توفر المال اللازم فى بيت المال حال دون تلبية تعجيل عطائهم، و هو أهم طلباتهم و لا شك. كما انه لم يتخذ أى اجراء لأبطال الاقطاعات الممنوحه للقواد، و لم يبادر الى اعاده رسوم الجيش و تنظيمه بالشكل الذى كان عليه ايام المستعين بالله.

كما انه لم يقرر محاسبه القائدين الكبيرين اللذين طلبوا محاسبتهم. فكان ذلك مما افقدهم الثقة بالخليفه، لا سيما و انه كان يتظاهر بالتودد للقواد الاتراك و يحاول ترضيتهم.

و كان القواد بنفس الوقت يعملون على ترضيه الجند. فاعلنوا موافقتهم على طلباتهم التى تقدموا بها الى الخليفه، و تأييد

اخلاصهم له، و انهم لا يريدون به سوء، كما سارعوا الى دفع ارزاقهم المتأخره. و بدأ اصبحت الظروف مهيئه لان يفرض الخليفه سلطته على الا-تراك و قوادهم، الا- ان موقفه المتسم بالحيره و التردد. و تظاهر بالتودد للقواد مع انه يبطن الشر لهم، و عدم مبادرته الى اى عطف او استجابته لطلبات الجند، افقده ثقته الطرفين.

### نهاية المهتدى بالله:

عند ما استشعر المهتدى بالله شرا من جموع الاتراك، خرج فعسكر بجسر سامرا فى جمع من الجند الموالين له من الفراغنه و المغاربه و بعض الأ-تراك فأصطدم الطرفان و وقع بينهما كثير من القتلى. و انضم الجنود الاتراك الذين اعلنوا ولاءهم للخليفه الى جماعتهم، و انهزم بقيه جنده و مؤيدوه، و تركوا الخليفه يواجه مصيره مع عدد قليل من اتباعه. فخرج و اضطر الى الهرب.

فخرج الى باب العامه و هو يستغيث طالبا النجده، فلم يجبه احد من عامه الناس. فصار الى باب السجن فاطلق من فيه و هو يظن انهم يعينونه، فلم يكن منهم الا- الهرب، فصار الى دار صاحب الشرطه. الا- ان الا-تراك دخلوا خلفه و اخرجوه الى الجوسق و حبسوه عند القائد احمد بن خاقان.

ثم اجتمع القواد الأ-تراك و قرروا خلعه من الخلافه، و مالبتوا ان قتلوه بحجه عدم موافقته على التنازل عن الخلافه. و قد اوضحنا ذلك مفصلا عند الكلام عن خلعه و مقتله.

**٧- انحسار نفوذ القواد الاتراك:**

بعد ان تم للقواد الاتراك بزعامه القائد موسى بن بغا، التغلب على الخليفة المهتدى بالله و قتله، انتخبوا للخلافه احمد بن جعفر المتوكل على الله، و لقب بالمعتمد على الله، و قد ورث الخليفه الجديد تركه ثقيله من المشاكل. فقد كان الوضع المالى للدوله سيئا جدا بحيث كان الخليفه عاجزا عن دفع ارزاق الجند. و ذلك لاستغلال امراء الولايات و عمالها ضعف الخلافه و استثمارهم باموال الخراج و لم يوجهوا شيئا منها الى بيت المال. كما كانت ثوره الزنج قد استفحلت و اصبحت تهدد الخلافه و كيان الدوله العربيه و وجودها. يضاف الى ذلك اطماع امراء الولايات المستقله و محاولاتهم فى توسيع اماراتهم على حساب الدوله. هذا الى جانب المشكله المزمنه و هى سطوه القواد الاتراك و عبثهم بشؤون الخلافه و الدوله. و كانت هذه المشاكل مما ينوء المعتمد بالله بحملها و بعجزه عن التغلب عليها، لو لا ان قدر بان يكون اخوه الموفق طلحه الى جانبه. و قد سبق ان اشرنا الى ما كان يتمتع به الموفق من صفات قياديه و اهمها الحزم و الشجاعه، مما اهله للسيطره على شؤون الخلافه بحيث لم يترك لأخيه منها سوى الاسم.

و كان المعتمد على الله عند توليه الخلافه اناط بأخيه الموفق رئاسه الجيش. و يبدو ان ذلك كان تنفيذا لطلب الجند من سلفه المهتدى بالله أبى بصير رئاسه الجند الى احد اخوته، او غيرهم ممن يراه من القواد على ان لا يكون من الاتراك. و بذلك اطمأن الخليفه الى ولاء الجيش، و أمن شر الاحتكاك بقواده الاتراك.

و قد استطاع الموفق ان يستفيد من الظروف المحيطه بالخلافه فى ان



يوقف تدخل هؤلاء القواد بشؤون الدوله و فرض رغباتهم على الخليفه. و اهم ما ساعده فى ذلك اضافه الى كفايته السياسيه و قوه شخصيته عاملان، اولهما النزاع الذى كان قد قام بين القواد انفسهم منذ عهد المستعين بالله حتى تولى المعتمد على الله، مما اضعف من قوتهم و قلل من شأنهم. و ثانيهما الحروب القائمه التى استطاع الموفق ان يوجههم اليها و يشغلهم بها. و بذلك تسنى للموفق ان يعيد للخلافه هيبتها، و للدوله سلطانها و نفوذها.

و كما من الاخطار المهمه التى هددت الخلافه فى سامرا، اضافه الى استفحال ثوره الزنج، ان يعقوب بن الليث الصفار قدم بجيشه يطرق ابواب عاصمه الخلافه، لانه رغم ما كان يتظاهر به من ولاء و طاعه للخليفه، لم يكن قانعا بما و ليه من الاقليم و الولايات، لأن ذلك لا يزال دون هدفه فى ازاله دوله العرب.

فعزم على محاربه الخليفه لىتم له الاستيلاء على الدوله العربيه كلها مدعيا «بانه لم يجىء الا لخدمه الخليفه و التشرف بالمشول بين يديه و النظر اليه و ان يموت فى ركابه»<sup>(١)</sup>. الا- ان الخليفه و اخاه الموفق ادركا ما كان يخفيه من النوايا الخبيثه تجاه الدوله العربيه، خلف هذا القناع من المسكنه و التذلل. فخرج اليه الخليفه بنفسه بجيش اشترك فيه اغلب القواد و على رأسهم الموفق. و سرعان ما دارت الدائرته على الصفار و جيشه فهزم شر هزيمه، و عاد خائبا و قد تحطمت احلامه. و اعادت الدوله سيطرتها على ما سبق ان استولى عليه من الاقليم عنوه.

كما ان الامير احمد بن طولون الذى كان نازع الخلافه و ارسل جيوشه لمحاربتها ردحا من الزمن، قد انتهى نزاعه بالخضوع لسياده الخلافه فى سامرا. و هكذا كانت الحروب التى

دامت اكثر ايام المعتمد على الله اهم عامل فى تدعيم سلطه الموفق، بحيث انه انتزع من القواد الاتراك ما كانوا يتمتعون به من نفوذ و سلطان على الخلافه، و جعلهم ينصرفون الى داء واجباتهم العسكريه حسب. و بذلك مهد للخليفه القادم و هو ابنه احمد الملقب بالمعتضد بالله، ان يتفرغ لاعاده بناء الدوله العربيه و تقويه شأن الخلافه، بحيث سمى المنصور الثانى.



الباب الخامس العلويون و خلفاء سامرا ١- خلفاء سامرا و العلويون ٢- خروج العلويين في عهد سامرا



## الباب الخامس العلويون و خلفاء سامرا

### الفصل الأول خلفاء سامرا و العلويون

#### اشاره

كانت علاقته العلويين تتسم بالخلاف و التوتر مع خلفاء بنى العباس، و لم يدخروا وسعا فى الخروج كلما سنحت لهم الفرصه.  
الا- ان الخليفه المأمون حاول ان يتقرب اليهم و يحسن معاملتهم ليكسب ولائهم. و قد زوج بنته من الامام الرضا و عهد اليه بالخلافه من بعده، كما زوج بنته الثانيه من الامام محمد الجواد.

و عند ما اوصى لأخيه ابى اسحاق اكد عليه بأن يرعى العلويين و يحسن معاملتهم. و لما تولى المعتصم بالله الخلافه انتهج سياسه اخيه المأمون فى التسامح مع العلويين التزاما بوصيته اليه، و قد جاء فيها «و هؤلاء بنوعمك من ولد امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه، فأحسن صحبتهم، و تجاوز عن مسيئتهم، و اقبل من محسنهم، و لا تغفل صلاتهم فى كل سنه عند محلها، فان حقوقهم تجب من وجوه شتى»<sup>(١)</sup>. و لكى يدلل المعتصم

١- الطبرى ٨ / ٦٥٠، و الكامل ٦ / ٤٣١.

بالله على رعايته العلويين واهتمامه بشؤونهم استدعى الامام محمد الجواد فى سنة ٢٢٠ هـ من المدينة المنوره ليقوم الى جانبه فى سامرا. فجاء و معه امرأته ام الفضل بنت المأمون. و لا يخفى ان استدعاءه كان حذرا من ان يلتف الناس حوله. و ليكون تحت انظار الخليفه. الا انه ما لبث ان توفى فى اواخر السنه المذكوره. و هناك من يقول انه مات مسموما(١). فأمر المعتصم بالله بأن تحمل زوجه الامام الى قصره لتعيش مع حرمه(٢). و لما خرج محمد بن القاسم فى عهده، اكتفى المعتصم بالله بسجنه.

و سار الواثق بالله على نهج ابيه و عمه فى اتباع سياسه التسامح و اللين مع العلويين. فاشتمل عليهم، و بالغ فى اكرامهم و الاحسان اليهم، و التعهد لهم بالاموال، بحيث انه لما توفى كان بعض نساء اهل المدينة يخرجن كل ليله الى البقيع فيبكين عليه و يندبنه حزنا عليه، لما كان يكثر من الاحسان اليهم(٣). يقول ابو الفرج «و كان آل ابى طالب مجتمعين بسر من رأى فى ايامه تدور الارزاق عليهم(٤) و يقول ابن الطقطقى «و لما ولى الخلفاه احسن الى بنى عمه الطالبين و برهم(٥). و يقول القاضى يحيى بن اكرم «ما احسن احد الى آل ابى طالب ما احسن اليهم الواثق، ما مات و فيهم فقير(٦). و قد اثمرت سياسه الواثق بالله القائمه على

١- مروج الذهب ٥٢ / ٤، و الكامل ٤٥٥ / ٦.

٢- تاريخ بغداد ٥٤ / ٣، و وفيات الاعيان ٣٥ / ٣.

٣- الكامل ٣١ / ٧.

٤- مقاتل الطالبين / ٥٩٣.

٥- الفخرى / ٢٥١.

٦- تاريخ بغداد ١٩ / ١٤.

التسامح و اللين تجاه العلويين و تعهده اياهم، اذ لم يخرج عليه احد منهم طيله خلافته.

اما المتوكل على الله فقد كان شديدا في معاملته العلويين، مما جعل عهده ثقيل الوطأه عليهم، على ان اسباب بغض المتوكل على الله للعلويين غير واضح، الا- انها يمكن ان تعزى الى ما كان يغيظه ما يراه من ولاء اتباع العلويين لأئمتهم و اخلاصهم لهم و تقديسهم اياهم. فقد امر بهدم قبر الامام الحسين بن على بن ابى طالب، و هدم ما حوله من المنازل، و ان يحرق موضع القبر و يبذر، و ان يمنع الناس من اتيانه. فامتنع الناس من المصير اليه(١).

و كان اكثر منادى المتوكل على الله ممن اشتهروا ببغض العلويين، منهم على بن الجهم الشاعر الشامي، و ابو السمط من ولد مروان ابى حفصه من موالى بنى اميه، و عمر بن فرج الرخجى. و كانوا يخوفونه منهم و يشيرون عليه بالاعراض عنهم و الأساءه اليهم(٢). و احسبهم انهم كانوا يتملقونه بذلك و يستدرون عطاياه. و يقول ابو الفرج «ان عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره كان يسيء الرأى فيهم، فحسن له القبيح فى معاملتهم»(٣).

و بلغ مسامح المتوكل على الله ان احد زعماء العلويين، و هو يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى (٨) مقاتل الطالبين / ٥٩٧.

(٩) الكامل ٧ / ٥٦.

١- الطبرى ٩ / ١٨٥، و مروج الذهب ٤ / ١٣٥، و الكامل ٧ / ٥٥.

٢- الكامل ٧ / ٥٦.

٣- مقاتل الطالبين / ٥٩٧.



طالب، قد جمع جمعا ببعض النواحي، فأمر بالقبض عليه، فأخذ و ضرب و حبس في سجن المطبق ببغداد(١).

كان امام العلويين في عهد المتوكل على الله على بن محمد الجواد الملقب بالنقى و بالهادى، يقيم في المدينه المنوره، و قد عرف بالزهد و التقوى و الانصراف الى العلم، الا ان و شايات عنه وصلت الى المتوكل على الله فأمر باشخاصه الى سامرا ليكون تحت رقابته المباشره. فبعث به والى مكه ابو العباس عبد الله بن محمد ابن داود مع يحيى بن هرثمه حتى صار الى بغداد. و لما وصلا قريبا منها ركب اسحاق بن ابراهيم المصعبى لتلقيه، و لما رأى تشوق الناس اليه و اجتماعهم لرؤيته، انتظر حلول الليل فدخل به بغداد، ثم وجه به فى اليوم التالى الى سامرا(٢). و مما ذكره يحيى بن هرثمه عن الامام انه قال: و فى احد ايام السفر، و السماء صاحيه ركب و عليه ممطره و قد عقد ذنب دابته، فعجبت من فعله، فلم يكن بعد ذلك الا هنيهه حتى جاءت سحابه و نالنا من المطر امر عظيم. فالتفتت الى و قال: انا اعلم انك انكرت ما ما رأيت و توهمت انى اعلم من الأمر ما لا تعلمه، ليس ذلك كما ظننت و لكن نشأت بالباديه فانا اعرف الرياح التى يكون عقبها المطر، فلما اصبحت هبت ريح شممت منها رائحه المطر فتأهبت لذلك(٣).

و يظهر ان المتوكل على الله ابقاه فى سامرا، الا انه كان يتمتع بحريه كبيره فيلقى اصحابه، و يحضر مجالس الخليفه. و لكن ما

١- الطبرى ٩/ ١٨٢، و الكامل ٧/ ٥٣، و جاء سمه فيه يحيى بن عمر بن يحيى.

٢- تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٨٤.

٣- عقيدته الشيعه/ ٢١٧ عن الكافى للكلينى / ٢٠٦.

لبث ان وشى به بعضهم الى المتوكل على الله بان فى بيته سلاحا و كتبنا من شيعته، و انه يطلب الأمر لنفسه. فوجه اليه من الجند الاتراك من داهم منزله ليلا على غفله من اهله، فوجده وحيدا جالسا على الأرض فى غرفه مغلقة، و عليه مدرعه من شعر و على رأسه ملحفه من صوف، و هو مستقبل القبلة يرتل آيت من القرآن الكريم. فحمل الى الخليفه فى جوف الليل، فمثل بين يديه و هو فى مجلس شراب. و قال من اتى به انه لم يجد فى منزله شيئا مما قيل عنه. فأعظمه المتوكل على الله و اجلسه الى جانبه، و ناوله الكأس التى كانت فى يده، فاعتذر بأنه لم يذقه. فطلب اليه ان ينشده مما يحفظ من الشعر، فأعتذر بأنه قليل الروايه للشعر. فالح عليه المتوكل على الله فأنشده(١):

باتوا على قتل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهم فاودعوا حفرا، يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسره و التيجان و الحلل

أين الوجوه التى كانت منعمهم دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

---

١- مروج الذهب ٩٣/٤ - ٩٤، و وفيات الاعيان ٢/٤٣٤ - ٤٣٥.

قد طالما اكلوا دهرا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طالما عمروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

و طالما كثروا الاموال و ادخروا فخلفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلهم ساكنوها الى الأجداث قد رحلوا

فتأثر الخليفة و بكى حتى بلت دموعه لحيته، و بكى الحاضرون، فأمر برفع الشراب. ثم قال له: يا ابا الحسن أعليك دين؟ قال:  
نعم، اربعه الاف دينار. فأمر بدفعها اليه و رده الى منزله مكرما.

لبث الامام على الهادى فى سامرا طيله حكم المتوكل على الله، و ابنه المنتصر بالله، و المستعين بالله بعده، حتى توفى فى ايام  
المعتز بالله لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ هـ ١٧، و دفن بداره بسامرا.

**الملحق: الامام على الهادي:**

و الأمام على الهادي هو ابن الامام محمد الجواد و يعرف بابى الحسن العسكري و انما قيل له العسكري لأنه لما كثرت السعاه به عند المتوكل على الله احضره من المدينه المنوره و أقره بسر من رأى و كانت تدعى العسكر ايضا فاقام بها عشرين سنه فنسب اليها(١).

و هو عاشر الأئمه الأثنى عشر. ولد بالمدينه المنوره و بها كانت نشأته. و هناك خلاف بسيط فى تاريخ مولده، اذ يقول الخطيب البغدادي انه ولد فى رجب سنه ٢١٤ هـ، بينما يقول ابن الأثير انه ولد فى سنه ٢١٢ هـ، و يتردد ابن خلكان فى ان ولادته كانت فى سنه ٢١٣ هـ او فى سنه ٢١٤ هـ(٢).

كان الامام الهادي من الاتقياء الصالحين، فقيها متعبدا منصرفا الى العلم. و لما ارتاب المتوكل على الله به لكثره الوافدين عليه من مختلف الاقطار، استقدمه الى سامرا ليكون تحت رقابه الخلافة مباشره. فبقى الامام فى سامرا لا يبرحها، الا انه كان يستقبل اصحابه و زائريه و يحضر مجالس الخلفاء و مجالس كبار

---

١- وفيات الاعيان ٢/ ٤٣٥، و شذرات الذهب ٢/ ١٢٩.

٢- تاريخ بغداد ١٢-٥٧، و الكامل ٧/ ١٧٩، و وفيات الاعيان ٢/ ٤٣٥.

رجال الدوله. و يروى الخطيب البغدادي خبرا يدل على سمو منزلته لدى الخليفه و اطمئنانه اليه. فقد اعتل المتوكل على الله فقال لئن برئت لا- تصدقن بدنانيه كثيره. فلما برىء جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلفوا في الاجابه، فبعث الى الامام على بن محمد يسأله، فقال: يتصدق بثلاثه و ثمانين ديناراً. فعجب بعض الفقهاء من ذلك و تعصب قسم منهم عليه، و قالوا تسأله يا امير المؤمنين من اين له هذا. فرد الرسول اليه و قال: قل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنذر لأن الله تعالى قال «لقد نصركم في مواطن كثيره» فروى اهلنا جميعاً ان المواطن في الوقائع و السرايا و الغزوات كانت ثلاثه و ثمانين موطناً. و ان يوم حنين كانت الرابع و الثمانين، و كلما زاد امير المؤمنين في فعل الخير كان انفع له و آجر عليه في الدنيا و الآخرة(١).

بقى الامام على الهادي طيله عهد المتوكل على الله و عهد المنتصر بالله و خلفه المستعين بالله مقيماً في سامرا مكرماً، لأن ما كان يمتاز به من هدوء الطبع و كرم النفس و قوه الصبر و الاحتمال، قد ساعده على الاحتفاظ بمنزلته رغم حذر الخلفاء منه و فرضهم الرقابه عليه. و قد انتقل الى جوار ربه في سنه ٢٥٤ هـ في يوم الخميس ليلال بقين من جمادى الآخره و هو ابن اربعين سنه، في ايام المعتز بالله. فبعث الخليفه باخيه ابى احمد ابن جعفر المتوكل على الله فصلى عليه في الشارع المعروف بشارع ابى احمد. و لما كثر الناس و اشتد بكأؤهم و علا ضجيجهم، رد النعش الى دار الامام فدفن فيها(٢). و يقول الخطيب البغدادي ان

١- تاريخ بغداد ١٢ / ٥٦ - ٥٧.

٢- الطبرى ٩ / ٣٨١، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥٠٣، و تاريخ بغداد ١٢ / ٥٧.

هذه الدار كان الامام قد اشتراها من دليل بن يعقوب النصراني(١).

### الامام الحسن العسكري:

و كان خلف الامام على الهادي ابنه الامام الحسن العسكري و هو الامام الحادي عشر، ابو محمد، و غلب عليه لقب العسكري لسكناه في سامرا، و قد اقام بها طيله حياه ابيه و بعده حتى توفي بها. و هناك بعض الاختلاف في مكان ولادته و تاريخها، و يستنتج من تاريخ وفاته و مقدار عمره انه ولد في سنه ٢٣١ هـ و قيل ٢٣٢ هـ او ٢٣٣ هـ. و يقول ابو المحاسن ان ولادته كانت في سنه ٢٣١ هـ(٢). اما محل ولادته فليس هناك اشاره واضحه الى ذلك في المصادر الأوليه عدا ما قاله ابو المحاسن بانه ولد بسر من رأى و امه ام ولد(٣). الا انه يظهر من تاريخ ولادته ما يرجح بانه ولد بالمدينه المنوره لأن اباه كان حينذاك لا يزال فيها و لما يشخص بعد الى سامرا.

انتقل الامام الحسن العسكري مع ابيه على الهادي الى سامرا فنشأ بها نشأه دينيه على سنن سلفه الصالح، فكان ناسكا متعبدا.

و يظهر انه عنى بتعلم عدد من اللغات لاختلاف جنسيات الوافدين الى زيارته و زياره ابيه من قبل. فكان يتكلم بالهنديه مع الزوار الهنود، و بالتركيه مع الاتراك و بالفارسيه مع العجم(٤). و عند ما

١- تاريخ بغداد ١٢-٥٧.

٢- مروج الذهب ١٩٩/٤، وفيات الاعيان ٣٧٢/١، و النجوم الزاهره ٣٢/٣

٣- النجوم الزاهره ٣٢/٣.

٤- عقيدته الشيعه/ ٢٢٣ اعتمادا على خلاصه الاخبار للسيد محمد مهدي.

توفى ابوه سجن الامام الحسن فى بغداد، الا- انه ما لبث ان اطلق من السجن و سمح له بالعوده الى سامرا، فاقام بها حتى نهايه حياته.

توفى الامام الحسن العسكرى فى سنه ٢٦٠ هـ و يقول ابن خلكان انه توفى بسر من رأى و دفن بجنب قبر ابيه(١). و لما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى، و عطلت الأسواق، و ركب بنو هاشم و القواد و الكتاب و القضاء و سائر الناس لتشيع جنازته(٢).

و لما تولى المنتصر بالله الخلافه بعد مقتل ابيه المتوكل على الله، اتسمت سياسته تجاه العلويين بالتسامح معهم و العمل على استرضائهم، فأمر بعدم التعرض لهم، و الا يمنع احد من زياره قبر الحسين و قبر غيره من أئمه آل البيت. فلم يجز على احد منهم قتل او حبس او مكروه(٣). و كان اول عمل قام به لتنفيذ سياسته هذه انه أقال و الى ابيه على المدينه المنوره صالح بن على الذى كان آل ابى طالب هناك ينقمون عليه لسوء معاملته لهم.

و استعمل عليها على بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد.

و ذكر عن على هذا انه قال «دخلت على المنتصر اودعه، فقال لى:

يا على انى اوجهك الى لحمى و دمي و مد جلد ساعده: و قال لى:

الى هذا وجهتك، فانظر كيف تكون للقوم و كيف تعاملهم، يعنى آل ابى طالب. فقلت: ارجو ان امثل رأى امير المؤمنين ايده الله فيهم ان شاء الله. فقال: اذا تسعد بذلك عندى(٤).

١- مروج الذهب ٤ / ١٩٩، و الكامل ٧ / ٢٧٤، و وفيات الاعيان ١ / ٣٧٣.

٢- الاعلام ٢ / ٢١٥.

٣- الطبرى ٩ / ٣٨١، و وفيات الاعيان ٢ / ٤٣٥.

٤- مقاتل الطالبين / ٦٢٦.

كما اطلق المنتصر بالله ما كان محبوسا عليهم من الأوقاف، ورد «فدك» الى اولاد الحسن و الحسين(١). و كان الرسول صلى الله عليه و سلم صالح اهل فدك على نصف الارض بتربتها، و كان ذلك النصف خالصا له لأنه لم يوجت عليه المسلمون بخيل و لا ركاب، و كان يصرف ما يأتيه منها فى ابناء السبيل. و لما قبض عليه الصلاه و السلام قالت فاطمه الزهراء لأبى بكر الصديق: ان رسول الله صلى الله عليه و سلم جعل لى فدكا فاعطني اياها، و شهد لها على بن ابي طالب. فسألها ابو بكر شاهدا آخر. فشهدت لها ام أيمن مولاه الرسول صلى الله عليه و سلم، فقال لها: قد علمت يا بنت رسول الله انه لا تجوز الا شهاده رجل و امرأتين، فانصرفت. و لما تولى المأمون الخلفه امر بدفعها الى ولد فاطمه.

فردت الى وراثتها و سلمت الى محمد بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين و محمد بن عبد الله بن الحسن. الا ان المتوكل على الله كان قد ردها الى ما كانت عليه قبل المأمون(٢).

لقد لقيت مبادره المنتصر بالله برده فدك الى آل البيت رضى من العلويين و شيعتهم. و قال الشاعر يزيد المهلبى فى ذلك(٣):

و لقد بررت الطالبيه بعد ماذموا زمانا بعدها و زمانا

ورددت الفه هاشم فرأيتهم بعد العداوه بينهم اخوانا

١- الطبرى ٩ / ٢٥٤.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣٥، و الكامل ٧ / ١١٦.

٣- عن موضوع فدك راجع: فتوح البلدان / ٤٢-٤٣، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٦٩، و الخراج و صناعه الكتابه / ٢٥٩-٢٦٠.



آنست ليلهم و صبرت عليهم حتى نسوا الأحقاد و الاضغانا

لو يعلم الاسلاف كيف بررتهم لرأوك أثقل من بها ميزانا

و لشده بر المنتصر بالله بالعلويين قال عنه صاحب الذهب المسبوك انه كان شيعيا(١). كما مدحه البحترى بقصيده اشاد فيها بسياسته تجاه العلويين. و لعلها القصيده الوحيده التي قالها في مدحه، لأنه كان قد اتهمه بالمشاركه في اغتيال ابيه، قال فيها يخاطب المنتصر بالله(٢):

رددت المظالم و استرجعت يداك الحقوق لمن قد قهر

و آل ابي طالب بعد ما أذيع بسربهم فابذعر

و نالت ادانيهم جفوكتاد السماء، لها تنفطر

وصلت شوابك ارحامهم و قد أوشك الحبل ان ينبت

فقربت من حظهم ما نأى و صفت من شربهم ما كدر

---

١- مروج الذهب ٤ / ١٣٥ - ١٣٦.

٢- الذهب المسبوك / ٢٢٧.

قرابتكم، اشقاؤكم و اخوتكم دون هذا البشر

و من هم و انتم يدا نصره هو حدا حسام قديم الأثر

بقيت امام الهدى، للهدى تجدد من نهجه ما دثر

و كان من نتيجته محاسنه المنتصر بالله العلويين، انهم اخلدوا الى مسالمة الخلافة العباسيه على عهده.

و عند ما ضعفت الخلافة في ايام الفتنة كثرت و ثبات العلويين.

و لكن رغم ضعف الخلفاء كان الجيش الذى يعتمد عليه القواد الحكام من الاتراك قويا و هو تحت قيادتهم، و لذلك كانوا يبادرون الى توجيهه لاختصاع تلك الوثبات و البطش بالقائمين بها. و يمكن القول ان جميع و ثبات العلويين على خلفاء سامرا قد قضى عليها سوى فتنه الحسن بن زيد العلوى التى اندلعت فى ايام المستعين بالله. فقد استمرت الى ما بعد عوده العاصمه الى مدينه السلام ثانيه حتى تم القضاء عليها فى سنة ٢٨٧ هـ على أيدي السامانيين، كما سنرى فى الفصل القادم، بعد ان استمرت سبعا و ثلاثين سنة، بحيث ان ابن خلدون سماها الدوله العلويه.

و بلغ الخليفه المعتر بالله فى سنة ٢٥٢ هـ ان بعض العلويين المقيمين فى بغداد لهم اتصالات بالحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان، و ان احدهم شخص الى ناحيه الكوفه مع عدد من اتباعه.

فأوجس خيفه من انهم يعتزمون الخروج عليه، فكتب الى نائبه فى بغداد محمد بن عبد الله ان يحمل هؤلاء الطالبين الى سامرا،

فحملوا جميعاً، و كان فيهم ابو هاشم داود بن القاسم الجعفرى و هو من احفاد جعفر بن ابى طالب، و على بن عبيد الله بن عبد الله من احفاد الحسن بن على بن ابى طالب، و ابو احمد محمد بن جعفر من احفاد الحسن كذلك و هم من رؤساء العلويين. و كان ابو احمد المذكور سبق ان ولاه المعتر بالله ولايه الكوفه بعد ما قضى مزاحم بن خاقان على ثوره الحسين بن محمد العلوى، فاساء ابو احمد فى ادارته و اعتدى على اموال الناس و ضياعهم. فارسل محمد بن عبد الله نائبا عنه الى الكوفه، فاستطاع ان يخذع ابا احمد و يقبض عليه و يحمله مقيدا الى بغداد، فحبسه محمد ثم ما لبث ان اطلقه بكفاله بعض العلويين، و كان مع العلويين الذى حملوا الى سامرا من بغداد عدد من اتباعهم(١).

و يظهر ان المعتر بالله رأى ان يضع بقيه العلويين تحت رقابته فى حاضره الخلافه سامرا، فأمر بحمل العلويين الموجودين فى مصر الى سامرا كذلك. فقدم عيسى الشيبانى من مصر و معه سته و سبعون من سائر ولد ابى طالب من اولاد على و جعفر و عقيل.

و كان هؤلاء قد خرجوا الى مصر خوفا من الفتنه و بسبب الجهد النازل بالحجاز. فلما وصلوا سامرا احسن المعتر بالله معاملتهم و امر بتكفيهم و اطلاقهم(٢).

و يتضح مما يذكره ابو الفرج فى كتابه مقاتل الطالبين ان ايام المعتمد على الله كانت شديده على العلويين، و قد مات عدد منهم فى سجن سامرا فى ايامه. فقد توفى محمد بن الحسين بن محمد ابن الحسن بن على بن ابى طالب و هو محبوس بسجن سامرا.

١- القصيده فى ديوان البحترى ٢ / ٨٤٨ - ٨٥١.

٢- الطبرى ٩ / ٣٦٩ - ٣٧١، و الكامل ٧ / ١٧٥ - ١٧٦.

و توفي موسى بن موسى بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب، و كان ممن حمل من مصر في ايام المعتز بالله و سجن.  
كما توفي محمد بن احمد بن عيسى بن الحسين بن علي بن ابي طالب، و كان قد حمله سعيد الحاجب مع ابنه احمد و علي،  
فتوفي محمد و ابنه احمد في الحبس ايضا (١)(٢).

---

١- مروج الذهب /٤ /٧٧٧.

٢- مقاتل الطالبين / ٦٨٨ - ٦٨٩.



## الفصل الثاني خروج العلويين في عهد خلفاء سامرا

## ١- خروج محمد بن القاسم العلوي:

كان محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (١)، و يكنى بابي جعفر، يسكن المدينه المنوره ملازما المسجد النبوي الشريف (٢). وقد عرف بحسن السيره و الزهد، و لقب بالصوفي لأنه ادمن لبس الثياب من الصوف الأبيض (٣). فاتصل به احد الخراسانيين المجاورين واقنعه بحقه في الامامه و بايعه عليها، و صار يأتيه ببعض حجاج خراسان يباعونه (٤). و لما رأى محمد بن القاسم كثره من بايعه من الخراسانيين سافر الى الطالقان من كور خراسان و اظهر دعوته فيها

- 
- ١- هكذا ورد اسمه في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٧١، و مروج الذهب ٤ / ٥٢، مقاتل الطالبين / ٥٨٧ و ورد في الطبري ٩ / ٧: محمد بن القاسم ابن عمر بن علي ... و نقله عنه ابن الاثير - الكامل ٦ / ٤٤٢.
  - ٢- الكامل ٦ / ٤٤٢.
  - ٣- مقاتل الطالبين / ٥٧٨.
  - ٤- الكامل ٦ / ٤٤٢.

فى سنة ٢١٩هـ، فصار اليه كثير من الاتباع و الأنصار فى تلك المناطق.

و يقول المسعودى انه كان بالكوفه و قد عرف بالزهد و التقوى، و لما خاف على نفسه هرب الى خراسان و تنقل بين كورها، و اظهر دعوته هناك(١).

و ذكر ابو الفرج ان ابراهيم بن عبد الله العطار، و هو احد دعاه محمد بن القاسم، قال انه نزل بمرو و معه عدد من الكوفيين من اتباعه، فلما اجتمع امره عين يوما لخروجه على الخلافه، فاجتمع اليه اتباعه فى يوم محدد ليتلقوا امره بالخروج. و يروى ابراهيم المذکور خبرا عن احد الانتهازيين ممن بايعوا محمد بن القاسم لمجرد الانتفاع و الكسب. قال ما خلاصته: بينما نحن عنده نعد للخروج سمعنا صوت استغاثه رجل، فقال لى محمد انظر ما هذا الصراخ، فأتيت الموضوع فرأيت رجلا حائكا قد اخذ رجل ممن بايعنا لبدا و الحائك متعلق به يستغيث. فاستفسرت عن الأمر، فقال الحائك: اخذ صاحبكم هذا لبدى. فقلت للرجل اردد عليه لبده، فقد سمع ابو جعفر صراخه. فقال لى: انما خرجنا معكم لنكتسب و ننتفع و نأخذ ما نحتاج اليه. فلم ازل ارفق به حتى اخذت منه اللبد و رددته الى صاحبه. و رجعت الى محمد بن القاسم و اخبرته الخبر، فقال: يا ابراهيم أبمثل هذا ينصر الدين؟ ثم قال لنا: فرقوا الناس حتى ارى رأى(٢).

١- مروج الذهب ٥٢ / ٤.

٢- مقاتل الطالبين / ٥٧٩ - ٥٨٠.

و عند ما شعر امير خراسان عبد الله بن طاهر بخطر دعوه محمد بن القاسم قرر ان يقبض عليه. فجرت بين قواته و اتباع محمد عدّه وقائع بنواحي الطالقان و جبالها، كان نتيجتها فشل محمد، فانهزم و بعض اتباعه الى احدى القرى فقبض عليه عبد الله بن طاهر و سيره الى سامرا. و لم يجسر ابن طاهر على اشخاصه علنا لكثرة اتباعه و مؤيديه، فكان يخرج بغالا عليها قباب ليوهم الناس انه قد اخرجها، ثم يردّها، و قد فعل ذلك عدّه مرات حتى استطاع ان يبعث به فى احدى الليالى و معه جيش لحمايته، حتى اوصله الى الخليفة ببغداد(١). فأمر المعتصم بالله بحبسه ريثما ينظر فى امره(٢).

و كان المعتصم بالله امر ببناء حبس فى بستان موسى و كان القيم به مسرور مولى الرشيد، و هو نموذج للحبوس فى ذلك العهد، و قد وصف بانه كالبئر العميقه حفرت الى الماء، ثم بنى فيها بناء على هيئة المناره مجوف من باطنه و مدرج. و قد حفر فى مواضع من التدرىج مستراحات، و بنى فى كل مستراح ما يشبه الغرفه، يجلس فيها رجل واحد كأنها على مقداره بحيث لا يستطيع ان يمد رجله. فلما قبض على محمد بن القاسم حبس فى اسفل ذلك الحبس. فاصابه من الجهد لضيقه، و من البرد امر عظيم. فكاد ان يتلف من ساعته، فقال: ان كان امير المؤمنين يريد قتلى فالساعه اموت، و الا فقد اصبحت على وشك منه.

---

١- مقاتل الطالبيين / ٥٨٤.

٢- الطبرى ٨ / ٩.



فلما بلغ المعتصم بالله قوله، قال: ما اريد قتله، و امر باخراجه و حبسه فى بيت كان قد بنى فى البستان(١).

و قد استطاع محمد بن القاسم ان يهرب من سجنه بمساعده بعض اتباعه. و هناك عدّه روايات عن كيفيه هروبه.

يقول الطبرى: و لما كانت ليله الفطر و اشتغل الناس بالعيد و التهنته، احتال للخروج من الحبس بالليل. و انه دلى اليه جبل من كوه كانت فى اعلى البيت الذى حبس فيه يدخل منها الضوء. فلما اصبحوا اتوه بالطعام فافتقدوه، و جعلوا لمن دل عليه مائه الف درهم، الا- انه لم يعرف له خبر(٢). و جاء فى مقاتل الطالبين انه هو الذى صنع الجبل من لبد كان تحته فى السجن و ربطه فى الكوه و تدلى الى الخارج و هرب(٣). اما المسعودى فيقول ان جماعه من شيعته من الطالقان أتو ذلك البستان، فتأتوا للخدمه فيه من غرس و زراعه و اتخذوا سلالم من الحبال و اللبود و نقبوا الازج و اخرجوه، فذهبوا به، و لم يعرف له خبر(٤).

و وردت عن نهايه محمد بن القاسم روايات متعدده ايضا.

فان المسعودى يقول ان هناك من يقول انه قتل بالسم، و ان كثيرا من اتباعه يزعمون انه مهدى هذه الأمه. و هو يرى أن قولهم هذا

- 
- ١- التفصيلات فى الفرج بعد الشده ١٧٥ / ٢ - ١٧٩ و يبين كيفيه هروبه. و فى مروج الذهب ان المعتصم بالله حبسه فى ازج اتخذ فى بستان- ٥٢ / ٤.
  - ٢- الطبرى ٧ / ٩ - ٨.
  - ٣- مروج الذهب ٥٥ / ٤.
  - ٤- مقاتل الطالبين / ٥٨٦.

فى محمد بن القاسم يشبه قول الكيسانى فى محمد بن الحنفىة (١). و جاء فى مقاتل الطالبين انه رجع الى الطالقان، و قيل انه انحدر الى واسط و اختفى طيله ايام المعتصم بالله و الواثق بالله، ثم اخذ فى ايام المتوكل على الله فحبس و مات فى حبسه (٢). و من المرجح ان نهايه محمد بن القاسم كانت القتل، لأن خروجه على الخليفه العباسى بدعوه الامامه العلويه مما يهدد خلافته. اما الادعاء باختفائه فانه يلائم السلطه لتخلص من تهمة قتله، كما انه يلائم اتباعه الذين يرون فيه المهدي المنتظر الذى سيتمثل بمن سيخرج على الدوله من العلويين.

## ٢- خروج محمد بن صالح:

رغم سياسه الشده التى اتبعها المتوكل على الله مع العلويين فقد حاول بعضهم الخروج عليه. فقد خرج فى الحجاز فى ايامه ابو عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله من احفاد الحسن بن على ابن ابى طالب. و كان خروجه فى موسم الحج فى سنه ٢٤٢ هـ.

و كان القائد ابو الساج قد عينه المتوكل على الله فى سنه ٢٤٢ هـ و ايا على طريق مكه و احداث الموسم (٣). فخاف موسى بن عبد الله، و هو عم محمد بن صالح، على نفسه و اولاده و اهله فضمن لأبى الساج تسليمه. و استطاع موسى ان يقنع ابن اخيه بالتسليم، فخرج محمد الى ابى الساج فقيده و حمله الى سامرا مع جماعه من اهله. فأمر المتوكل على الله بسجنه فيها. الا ان الفتح

١- نفس المصدر / ٥٢-٥٣.

٢- مقاتل الطالبين / ٥٨٧.

٣- الطبرى / ٩ / ٢١٠.

ابن خاقان تكفل بأمره فوافق المتوكل على الله اطلاقه على ان يجعله الفتح تحت رقابته. و ان يكون مقامه بسامرا و لا يخرج الى الى الحجاز. فلم يزل بسامرا حتى مات بالجدرى فى ايام المنتصر بالله. و كان يجهد فى ان يؤذن له بالرجوع الى الحجاز، فلا يجاب الى ذلك.

و يعتبر محمد بن صالح من شعراء آل ابى طالب المتقدمين.

و قد عدّه ابو الفرج الاصبهاني من شعراء الحجاز الظرفاء، و افرد له فصلا فى كتابه باعتبار ان له شعرا يغنى به (١). و قد قال محمد بن صالح فى عبيد الله بن يحيى بن خاقان. وزير المتوكل على الله، هجاء كثيرا، لأنه كان لشده انحرافه عن الطالبين يغرى المتوكل على الله به و يحذره من اطلاقه. و قد هجاه فى قصيده مدح بها صديقه ابراهيم بن المدبر، جاء فيها (٢):

و ما فى آل خاقان اعتصام اذا ما عمم الخطب الكبير

لثام الناس اثناء و فقرا و اعجزهم اذا حمى القتير

و قوم لا يزد حبههم كريم و لا تسنى لنسوتهم مهور

و كان محمد بن صالح حلو اللسان، ظريفا، ادبيا، و كان فى سامرا يخالط سراة الناس و وجوه البلد، و لم يكن يفارق

١- الاغانى ١٦ / ٣٦٠ - ٣٧٢.

٢- كامل القصيده فى الاغانى ١٦ / ٣٦٧ - ٣٦٨، و عن خروجه راجع مقاتل الطالبين / ٦٠٠ ج ٦١٣.

سعيد بن حميد، و هو من كبار كتاب الدوله. بحيث لما توفي محمد رثاه سعيد بقصيده منها(١):

لعمري لقد غال التجلد أنفاقدناك فقد الغيث و العام جادب

فما اعرف الايام الا ذميمهو لا الدهر الا و هو بالثأر طالب

فقدت فتى قد كان للارض زينهكما زينت وجه السماء الكواكب

سقى جدثا امسى الكريم ابن صالح يحل به، و ان من المزن ساكب

اذا بشر الرواد بالغيث برقه مرته الصبا و استحلبته الحجائب

فغادر باقى الدهر تأثير صوبه ربيعا زهت منه الربا و المذائب

### ٣- خروج يحيى بن عمر:

خرج فى سنه ٢٥٠ هـ على عهد المستعين بالله احد الطالبين هو يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المكنى بابى الحسين، بالكوفه و بها كان مقتله. و قد سبق ان شرنا الى محاولته الوثوب فى عهد المتوكل على الله و فشله فى

ذلك. فقد سافر بعد اطلاقه من السجن الى خراسان، الا ان اميرها عبد الله بن طاهر رده الى سامرا خوفا من ان يتجمع حوله اولياؤه و مؤيدوه. فنالته ضائقه ماليه شديده و تراكت عليه ديون ضاق بها ذرعا. فلقى عمر بن فرج الرخجى، و كان يتولى امور الطالبين، و كلمه فى صلته، فاغظ له عمر القول فقذفه يحيى فى مجلسه. و لما شكاه الرخجى الى المتوكل على الله امره بضربه و حبسه، و لم يزل محبوسا حتى كفله بعض اهله فاطلق سراحه.

فشخص الى بغداد فاقام بها بحال سيئه، فعاد الى سامرا و كلم وصيف القائد ان يخصص له رزق يجرى له، فجاببه وصيف و قال «لأى شىء يجرى على مثلك» (١) متجاهلا مكانته، فانصرف حانقا غاضبا.

كان يحيى بن عمر دينا عفيفا كثير العطف و المعروف على عوام الناس، بارا بحوائجهم لم تظهر له زله (٢). و فارسا شجاعا شديد البدن مجتمع القلب (٣). و يظهر ان ما قاساه من ضيق مالى، و ما لقيه من معامله سيئه من رجال الخليفه، دفعه الى شق عصا الطاعه و الخروج. يقول المسعودى «و كان ظهوره لذل نزل به، و جفوه لحقته، و محنه نالته، من المتوكل و غيره من الأتراك» (٤).

فتوجه الى الكوفه و اظهر امره، فاجتمعت اليه الزيديه و كثير من اهل الكوفه و الاعراب النازلين حولها، فبايعوه، فقوى امره بهم.

فطرد عامل الكوفه، و صار الى بيت مالها فاخذ ما فيه و مقداره

١- الطبرى ٩ / ٢٦٦.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٤٩.

٣- مقاتل الطالبين / ٦٣٩.

٤- مروج الذهب ٤ / ١٤٨.

الفا دينار و زياده شى ء، و من الورق سبعون الف درهم(١). و وجه الى قوم من الصيارفه عندهم مال للسلطان فاخذهم منهم(٢). و فتح السجون و اخرج جميع من كان فيها.

و لما بلغ خبره محمد بن عبد الله أمير بغداد أمر عبد الله بن محمود السرخسى عامله على معاون السواد بمحاربه يحيى. فلما لقيه جرح السرخسى و انهزم مع اصحابه. و استولى يحيى على ما كان معه من المال و الدواب. فوجه محمد بن عبد الله لمحاربه القائد الحسين بن اسماعيل و معه عدد من القواد. فقدم الحسين الى شاهی، و هو موضع غير بعيد من الكوفه، و اقام ينتظر تحرك يحيى و اتباعه.

و اخذ يحيى بن عمر يستعد للحرب فجمع ما تيسر له من السيوف لتسليح بعض اتباعه. و نظرا لقله خبرته بشؤون الحرب استجاب الى جماعه من اتباعه الزيديه ممن لا- معرفه لهم باصول الحرب، بمعاجله الحسين. كما الح عليه عوام اتباعه بالخروج اليه. فزحف الى الجيش باتباعه و اكثرهم عزل من السلاح، و التقى الطرفان عند شاهی و اقتتلا قتالا شديدا، فانهم اصحاب يحيى لما رأوا كثافه الجيش و شدة الحرب. اما يحيى فقد صرع فى احدى حملاته على عسكر الحسين، فحز رأسه و ارسل الى بغداد.

فلما رآه اهلها استنكروا ذلك و ضجوا لما كان فى نفوسهم من المحبه له(٣). و جعلوا يصيحون ان يحيى لم يقتل، ميلا منهم اليه، حتى

١- الطبرى ٩ / ٢٦٧.

٢- مقاتل الطالبين / ٦٤٠.

٣- مروج الذهب ٤ / ١٤٨.

حتى ان الغوغاء كانوا يصرخون فى الطرقات: ما قتل و ما فر و لكنه دخل البر(١).

أمر محمد بن عبد الله بحمل رأس يحيى الى المستعين بالله و كتب اليه بالنصر عليه. و نصب الرأس بباب العامه بسامرا، الا ان الناس اجتمعوا متذمرين، فأمر الخليفه برده الى بغداد و ان ينصب بها بباب الجسر. الا ان محمدا لم يقدر على ذلك لكثره من اجتمع من الناس و تذرهم، فخاف ان يأخذه، فجعله فى صندوق فى بيت السلاح فى داره(٢). و جلس محمد بن عبد الله يتقبل التهاني بمقتل يحيى. و كان ممن دخل عليه ابو هاشم داود بن القاسم، و كان ذا علم و ورع و زهد فقال لأبن طاهر: ايها الأمير انك لتهنا بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه و سلم حيا لعزى به. فما رد محمد عليه بشىء، فخرج ابو هاشم و هو يقول(٣):

يا بنى طاهر كلوه و بيان لحم النبى غير مرى

ان و ترا يكون طالبه الله لو تر نجاحه بالحرى

و قد اكثر الشعراء فى رثاء يحيى لما كان عليه من حسن السيره و ما اتصف به من خصال حميده، و عداله و نزاهه. يقول ابو الفرج: «و ما بلغنى ان احدا ممن قتل فى الدوله العباسيه من آل ابى طالب رثى باكثر مما رثى به يحيى، و لا قيل فيه من الشعر باكثر مما قيل فيه»(٤).

١- مقاتل الطالبين / ٦٤٤.

٢- الطبرى / ٩ / ٢٧٠، و الكامل / ٧ / ١٢٨.

٣- الطبرى / ٩ / ٢٧٠، و مروج الذهب / ٤ / ١٤٨ مع اختلاف يسير.

٤- مقاتل الطالبين / ٦٤٦.

و كان الشاعر ابن الرومى على بن العباس اشهر من رثاه فقد قال فى رثائه قصيده اربت على مائه بيت، منها(١):

ألا أيهذا الناس طال ضريركم(٢)

بآل الرسول فاحشوا او ارتجوا

أكل أوان للنبي محمدقتيل زكى بالدماء مخرج

تبعون فيه الدين شر أئمهفله دين الله قد كاد يمرج(٣)

أيحيى العلا لهفى لذكراك لهفهبياشر مكواها الفؤاد فينضح

أحين تراء تك العيون جلاءها و اقذاءها اضحت مراثيك تنسج(٤)

أرديتم يحيى و لو يطو أيطل طرادا و لم يدبر من الخيل منسج(٥)

تأت لكم فيه منى السوء هينهو ذاك لكم بالغى اغرى و ألهج

تمدون فى طغيانكم و ضلالكم و يستدرج المغرور منكم فيدرج

---

١- القصيده فى مقاتل الطالبيين / ٦٤٦ - ٦٦٢.

٢- ضريركم: ضرركم.

٣- يمرج: يفسد و يضطرب.

٤- تراء تك: نظرتك فكنت جلاء لعيون احبابك و قذى لاعدائك.

٥- الا يطل: الخاصره، و الطراد: حمل الفرسان بعضهم على بعض، و المنسج ما بين العرف و موضع اللبد.



أجنوا بنى العباس من شتآنكم و شدوا على ما فى العياب و اشرجوا(١)

و لم تقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابكم منها بهيم و ديزج

و رثاه على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى الشاعر بعدد من القصائد ذكر المسعودى بعضها منها(٢). و كان على هذا نقيب الهاشميين فى الكوفه، و قد تخلف عن زياره الحسين بن اسماعيل قائد الجيش الذى حارب يحيى بن عمر، فتفقدته الحسين بن اسماعيل قائد الجيش الذى حارب يحيى بن عمر، فتفقدته الحسين و بعث بجماعه فاحضروه. فأنكر الحسين عليه تخلفه عن سلامه، فاجابه على بقوله(٣):

قتلت أعز من ركب المطاياو جئتك استلينك فى الكلام

و عز على ان القاك الاو فيما بيننا حد الحسام

و لكن الجناح اذا أهيضت قواده يرف على الأكام

كما رثاه احمد بن طاهر الشاعر بقصيده طويله ذكر المسعودى عددا من ابياتها منها(٤):

١- أجنوا: استروا، الشآن: البغض، العياب: جمع عيبه و هى ما يجعل فيها المتاع، و الاشرج شد الخريطه.

٢- مروج الذهب /٤ /١٤٨ - ١٥١.

٣- نفس المصدر / ١٥١.

٤- نفس المصدر / ١٤٨ - ١٤٩.

سلام على الاسلام فهو مودع اذا ما مضى آل النبي فودعوا  
فقدنا العلى و المجد عند افتقادهم و اوضحت عروش المكرمات تضعضع

بنو طاهر و اللؤم منكم سجيها للغدر منكم حاسر و مقنع  
قواطعكم فى الترك غير قواطع و لكنها فى آل احمد تقطع  
لكم مرتع فى دار آل محمد و داركم للترك و الجيش مرتع  
أخلمت بأن الله يرعى حقوقكم و حق رسول الله فىكم مضيع

#### ٤- خروج الحسن بن زيد الطالبى:

لعل اخطر الوثبات العلويه و ابعدها اثرا من حيث طول مدتها وسعه رقعتها هى التى قام بها الحسن بن زيد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن ابى طالب المعروف بالحسن العلوى او الطالبى، فى رمضان سنه ٢٥٠ هـ على عهد الخليفه المستعين بالله(١). و كان سبب خروجه ان الخليفه كافأ امير بغداد

---

١- النسب، و انه من نسل الحسين بن ابى طالب لا الحسن كما فى الطبرى ٩ / ٢٧١، و الكامل ٧ / ١٣٠ و فيه بعض الخلاف فى سلسله الطبرى.

محمد بن عبد الله لما قضى على حركة يحيى بن عمر، فاقطعه بعض القطائع من اراضى الدوله بطبرستان و منها قطيعه على حدود الديلم. فوجه محمد بن عبد الله جابر بن هارون و هو اخو كاتبه بشر بن هارون النصرانى، لحيازه ما اقطع هناك من الأراضى.

و كان عامل طبرستان حينذاك سليمان بن عبد الله خليفه اخيه محمد بن عبد الله، و الغالب على سليمان محمد بن اوس البلخى الذى فرق اولاده حكاما على مدن طبرستان. و هم احداث سفهاء تأذى الناس بهم و استنكروا منهم و من ايهم سيرتهم و سوء تصرفاتهم. و قد اثار محمد بن اوس الديلم باجتياحه ما قرب من بلادهم من حدود طبرستان فقتل و سبى منهم عددا كبيرا، و هم اهل سلم و موادعه لأهل طبرستان، مما جعل الطبريه ينقمون عليه و على اولاده و يتحينون الفرصه للوثوب بهم. فلما وصل رسول محمد ابن عبد الله الى طبرستان عمد الى ما اقطع محمد من الاراضى فحازه و حاز معه ما اتصل به من موات الارض التى كان اهل تلك الناحيه يرتفقون بها، فترعى فيها مواشيهم و منها يحتطبون، فأثار بعمله هذا حفيظتهم. و كان فى تلك المنطقه اخوان معروفان بالشجاعه و البأس يقال لاحدهما محمد و للآخر جعفر، فانكرا ما فعل جابر بن هارون من حيازه الارض الموات. و كان الاخوان مطاعين فاستنهضا اتباعهما لمنع جابر من ذلك. فنهضوا معهما، فهرب جابر خوفا على نفسه، و لحق بسليمان بن عبد الله. فأيقن الأخوان و اتباعهما بالشر لأن سليمان عامل طبرستان هو اخو محمد بن عبد الله و عم محمد بن طاهر بن عبد الله عامل الخليفه على خراسان و جميع اقاليم المشرق. فاتصلوا بجيرانهم من الديلم و تعاقدوا على معاونه بعضهم بعضا فى مجابهه سليمان اذا قصدهم بحرب.

و لكي يعزز هؤلاء مركزهم ارسلوا الى رجل من الطالبين المقيمين بطبرستان يقال له محمد بن ابراهيم يدعونه الى البيعه له ليتولى رئاستهم و قيادتهم فأبى ذلك و امتنع عليهم. الا- انه دلهم على طالبى آخر و قال لهم انه يصلح للرئاسه. و كان ذلك الطالبى هو الحسن بن زيد. فوجهوا الى الرى من يدعوه الى الشخصوص الى طبرستان فوافاهم الحسن بن زيد، و اجمعوا على مبايعته و قتال سليمان بن عبد الله، و بايعه معهم رؤساء الديلم.

و كان اول اعمال الحسن بن زيد انه طرد عمال ابن اوس و اولاده من تلك المناطق. فانضم اليه كثيرون من اهل جبال طبرستان و سفوحها، فزحف باتباعه نحو مدينه آمل، و هى حاضره طبرستان، فاقبل ابن اوس يريد دفعه عنها الا انه هزم و دخل الحسن و اتباعه المدينه. و باحراز الحسن هذا النصر كثف جيشه و غلظ امره. و انضم اليه كل طالب نهب و مرید فتنه من الصعاليك و الحوزيه و غيرهم(١). و جى الحسن الخراج من اهل المدينه، و نظم اتباعه، و سار نحو مدينه ساريه لمحاربه سليمان بن عبد الله و اخراجه منها. فنشب القتال بين الطرفين، و استطاع الحسن ان يهزم جيش سليمان و يدخل المدينه. فهرب سليمان الى جرجان تاركاً اهله و عياله و امواله بمدينه صاريه. فاستولى الحسن و اتباعه على الاموال، اما الحرم و الاولاد فقد سيرهم الحسن الى سليمان بجرجان. و يقول ابن الأثير «يقال ان سليمان انهزم اختياراً لأن الطاهريين كلهم كانوا يتشيعون لآل ابي طالب، فتأثم سليمان من قتال الحسن بن زيد»(٢). فأجتمع للحسن بن زيد بهزيمة سليمان امره طبرستان كلها. و قد شجعه ذلك على ان يوجه

١- الطبرى ٩ / ٢٧٤.

٢- الكامل ٧ / ١٣٢.

حملة الى مدينة الرى فطردت عاملها و استولت عليها فأستخلف الحسن احد الطالبين عليها، يقال له محمد بن جعفر. و بذلك اجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرى الى حد همذان.

و لما بلغ خبر استفحال امر الحسن بن زيد الخليفة المستعين بالله ارسل القائد اسماعيل بن فراشه على رأس جيش الى همذان و امره بالقيام بها و الدفاع عنها، اما ما وراء ذلك فقد ترك امر الدفاع عنه لمحمد بن طاهر و عماله(١). و كان محمد بن طاهر قد اغتتم فرصه و ثوب اهل الرى بمحمد بن جعفر الطالبى لسوء سيرته فيهم، فوجه اليها جيشا يقوده محمد بن ميكال فأستطاع ان يأسر الطالبى و يهزم اتباعه و يسترجع المدينة. و حمل محمد بن جعفر الى نيسابور فسجنه محمد بن عبد الله بن طاهر فمات فى محبسه(٢). الا ان الحسن بن زيد جرد حملة اخرى على رأسها احد قواده المسمى و اجن، فهاجم ابن ميكال الذى قتل فى المعركة فصارت الرى ثانياه الى الحسن بن زيد.

و قد استطاع سليمان بن عبد الله ان يجمع جيشا كثيفا فى جرجان، و هاجم فى سنة ٢٥١ ه طبرستان و اضطر الحسن بن زيد على ان يتنحى عنها و يلحق بالديلم. فدخل سليمان الرى و استرجع كذلك مدينتى ساريه و آمل. و كتب الى ابن اخيه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان و هزيمه الحسن بن زيد و استرجاع ساريه و آمل، فابلق ابن طاهر الخليفة المستعين بالله بذلك، فقرىء كتابه ببغداد(٣). و لكن الحسن بن زيد ما لبث بعد مده ان لم شمل

١- الطبرى ٩ / ٢٧٥.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٥٣.

٣- الطبرى ٩ / ٣٠٧.

اتباعه و هاجم مدينه الرى مجددا و استولى عليها فى رمضان سنه ٢٥٦ هـ، فوجه اليه الخليفه المعتمد على الله كبير قواده موسى ابن بغا، فخرج بجيشه فى شوال و شيعه الخليفه بنفسه»(١).

الا- ان الحسن بن زيد قصد فى السنه التاليه مدينه جرجان و كان محمد بن عبد الله قد جهز جيشا و بعث به لحمايتها، فظفر الحسن بهذا الجيش و غنم ما كان معه من اموال و دواب و استولى على المدينه(٢). كما استطاع بعد ذلك بسنتين اى فى سنه ٢٥٩ هـ ان يتغلب على عامل مدينه قومس و يستولى عليها(٣).

على انه واجه فى السنه التاليه خطر اماره بنى الصفار التى اخذت بالتوسع فى الأقاليم الشرقيه للدوله العربيه. فقد هاجمه يعقوب بن الليث و هزمه و دخل طبرستان. و كان سبب هجومه انه كان قد استرد سجستان من عامله عبد الله السجزي الذى كان خرج عليه، فهرب و لحق بالحسن بن زيد فى طبرستان. فبعث يعقوب الى الحسن يطلب اليه ان يسلمه السجزي، الا- ان الحسن ابنى تسليمه فاذنه ابن الليث بالحرب. و عند ما التقى جيشاهما انهزم الحسن بن زيد و فر الى ارض الديلم و دخل ابن الليث مدينه ساريه ثم مدينه آمل. و حاول ان يتعقب الحسن، الا ان و عوره الطريق حالت دون ذلك.

و استفاد الحسن بن زيد فى السنه التاليه من غضب الخليفه المعتمد على الله على يعقوب بن الليث الصفار، و كان قد امر

١- الطبرى ٩/ ٤٧٤، و الكامل ٧/ ٢٤٠.

٢- الكامل ٧/ ٢٤٨.

٣- الطبرى ٩/ ٥٠٦، و الكامل ٧/ ٢٦٦.

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بأن يجمع من ببغداد من حجاج خراسان و الرى و طبرستان و جرجان و يقرأ عليهم كتابا يعلمهم فيه ان الخليفه لم يول ابن الليث ولايه خراسان، و ينكر عليه دخولها و اسره اميرها محمد بن عبد الله بن طاهر، و يأمرهم بالبراءه منه. فاغتنم الحسن الفرصه و هاجم طبرستان باتباعه من الديلم و استعدادها، و عاقب الذين ايدوا ابن الليث عليه(١).

و ما لبث الحسن بن زيد بعد ذلك بضع سنوات حتى توفي فى طبرستان فى رجب سنه ٢٧٠ هـ، بعد ان استمر خروجه قرابه عشرين عاما، و تولى مكانه اخوه محمد بن زيد(٢). و كان الحسن زاهدا متواضعا، عالما بالفقه و العربيه، جوادا. مدحه احد الشعراء، فقال(٣):

لا تقل بشرى و لكن بشريان عزه الداعى و يوم المهرجان

فقال له الحسن: كان الواجب الا تفتح الأبيات بلفظ (لا) لأن الشاعر المجيد يتخير لأول قصيدته ما يعجب السامع و يتبرك به، و لو ابتدأت بالشطر الثانى لكان أحسن. فقال الشاعر: ليس فى الدنيا كلمه اجل من قوله لا اله الا الله، و اولها (لا)، فقال له: اصبت، و اجازه.

و حكى عنه ان مغنيا غنى امامه قصيده الفضل بن العباس فى عتبه بن ابي لهب التى اولها:

١- الطبرى ٥١٢ / ٩، و الكامل ٢٨٨ / ٧.

٢- الكامل ١٠٧ / ٧، و الطبرى ٦٦٦ / ٩ و فيه انه مات فى رجب او فى شعبان.

٣- الكامل ٤٠٨ / ٧.

و انا الآخر من يعرفنى اخضر الجلوده من بيت العرب

فلما وصل الى قوله:

برسول الله و ابني عمه و بعباس بن عبد المطلب

غير الشطر الثاني من البيت و قال: لا بعباس بن عبد المطلب.

فغضب الحسن و قال له: يا ابن اللخناء تهجو ابن عمنا بين يدي، و تحرف ما مدح به؟ لئن فعلتها ثانيه لأجعلنها آخر غنائك (١).

و يظهر ان محمد بن زيد لم يكن كأخيه الحسن درايه و كفايه، اذ هاجمه القائد التركي اذكوتكين فى منتصف جمادى الاولى من سنه ٢٧٠ هـ باربعه الاف فارس، فلاقاه بمن معه من الديلم و الطبريه و الخراسانيه، و اقتتلوا قتالا شديدا. و رغم كثافه جيش ابن زيد فقد هزم و تفرق اتباعه بعد ان قتل منهم ستة الاف و اسر الفان، و غنم جيش اذكوتكين من ائقالهم و دوابهم شيئا كثيرا، و دخل بجيشه الرى (٢).

و فى سنه ٢٧٥ هـ سار رافع بن هرثمه الى جرجان و ازال عنها محمد بن زيد الذى فر الى استراباد. فتعقبه جيش رافع و حاصره فى المدينه نحو سنتين. و قد استطاع محمد ان يفر منها ليلا مع عدد يسير من اتباعه الى مدينه ساريه، فسير اليه رافع جيشا، فأجبره على الالتجاء الى ارض الديلم (٣).

---

١- الكامل ٧ / ٤٠٨.

٢- نفس المصدر / ٤١٨.

٣- نفس المصدر / ٤٣٤.



و لما نشبت الحرب بين عمرو بن الليث الصفار و رافع بن هرثمه. حاول رافع ترضيه محمد بن زيد طمعا بمساعدته على ابن الليث فبعث اليه و صالحه بأن اعاد اليه طبرستان و جرجان.

الا ان محمدا لم يخف الى نجده رافع عند ما احاط به جيش الصفار و اضطره على الهرب. فعرف الصفار لمحمد بن زيد موقفه و خلى عليه طبرستان(١).

و عند ما قامت اماره بنى سامان و دخلت فى حرب طاحنه مع بنى الصفار و بلغ محمد بن زيد ان اسماعيل بن احمد السامانى قد اسر عمرو بن الليث خرج فى جيش كثيف نحو خراسان طامعا بالاستيلاء عليها ظنا منه ان اسماعيل السامانى قد انهكته الحرب مع بنى الصفار و لا- يطمع فى الوصول اليها. فلما صار الى جرجان كتب اليه اسماعيل يسأله ان يتركها و يعود الى طبرستان، فابى محمد ذلك. فوجه اسماعيل جيشا يقوده محمد بن هارون.

و لما التقى الجيشان على ابواب جرجان اقتتلا قتالا شديدا فاصيب محمد بعده طعنات، و اسر ابنه زيد، و احتوى محمد بن هارون على ما فى عسكره من اموال و متاع. و لبث محمد بعد هذه الوقعه اياما قليله و مات من اثر الطعنات التى اصابته فى الحرب، فدفن عند باب مدينه جرجان. اما ابنه زيد فقد حمل الى اسماعيل السامانى فاكرمه و وسع عليه و انزله بخارى، و كان الجيش السامانى دخل طبرستان(٢).

١- نفس المصدر / ٤٥٨.

٢- الطبرى ١٠ / ٨١، و الكامل ٧ / ٥٠٤.

و بهذا انتهت الاماره التى اقامها الحسن بن زيد الطالبى و قد سماها ابن خلدون «الدوله العلويه»<sup>(١)</sup>. الا انه فى الواقع لم يؤسس دولة بالمعنى المعروف، لأنه اقرب الى الثائر المتغلب منه الى الامير المستقر. و قد مر بنا كيف انه كان يستولى على المدن و يتنحى عنها. و قد تكرر ذلك عدة مرات. و قضى حياته فى كر وفر. و من الطبيعى ان مثل هذا الأضطراب لا يساعد على قيام دولة. و قد انتهج محمد اخو الحسن نفس نهجه فى الاستيلاء على المدن و التنحى عنها حتى قتل بعد ثمانى عشره سنه من توليه الأمر على ايدى السامانيين كما ذكرنا.

#### ٥- خروج اسماعيل بن يوسف الطالبى:

اشرنا الى ان من اسباب تدمير الطالبيين و وثوب بعضهم بين آن و آخر ما كانوا يلقونه من سوء المعامله من رجال السلطه. و هذا طالبى يسكن المدينه المنوره، خرج فيها فى سنه ٢٥١ اثر خلاف بينه و بين الوالى فيها حول وقف كان له، فتحامل عليه الوالى و اغلظ له الكلام مما اثار غضبه، فاعلن العصيان. و جمع حوله لفيفا من الاعراب المتعطشين للسلب و النهب، و هاجم بهم ناحيه الروحاء و استولى على اموال كانت تحمل الى المدينه من بعض الجهات. ثم انصرف الى مكه و كان العامل عليها جعفر بن الفضل ابن عيسى بن موسى بشاشات، فقاومه و حاول منعه من دخولها.

الا ان اسماعيل استطاع باتباعه ان يهزم الوالى و حاميته. و انتهب منزله

و منازل اصحابه(١). و لما حاول اهل مكه مساعده الوالى و خرجوا لمقاتله اسماعيل و اتباعه، وضع هؤلاء السيوف فيهم و قتلوا جماعه منهم فتهاربوا امامهم. فدخل اسماعيل و اتباعه مكه و استولى على ما كان حمل من المال لاصلاح بئر زمزم، و اخذ كسوه الكعبه و ما وجده فى خزائنها من الذهب و الفضة، و بقى فيها خمسين يوما عاث فيها و اتباعه قتلوا و نهبا و حرقا، و استولى على نحو من مائتى الف دينار.

ثم عاد اسماعيل باتباعه الى المدينه المنوره فهرب عاملها على ابن الحسين بن اسماعيل لضعف حاميته، فدخلوها، ثم رجعوا الى مكه و حاصروا اهلها الذين لقوا منهم البلاء، و مات كثير من اهلها جوعا و عطشا. و لما لم يجدوا فى مكه ما يشبع نهمهم من الاموال هاجموا جده و استولوا على ما فيها من مؤونه و اخذوا اموال التجار و ما وجدوه من متاع فى المراكب.

و لما وافى اسماعيل مكه للمره الثالثه كان موسم الحج قد حل، فصار الى عرفه. فقابله جيش كان قد وجهه الخليفه المعتر بالله لقتاله عليه محمد بن احمد بن عيسى الملقب بكعب البقر و معه عيسى بن محمد المخزومى صاحب جيش مكه. فقاتلهم اسماعيل و قتل ما يزيد على الف من الحجاج الواقفين بعرفه، فهرب الباقيون الى مكه دون ان يقفوا بعرفات ليلا و لا نهارا(٢). و قد توفى

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٨.

٢- الطبرى ٩ / ٣٤٦-٣٤٧، و الكامل ٧ / ١٦٥-١٦٦ و فيهما كان خروجه بمكه اولاً.

اسماعيل بن يوسف فى سنه ٢٥٢ هـ (١). فخلفه اخوه محمد بن يوسف و كان اسن منه بعشرين سنه فنال الناس بسببه جهدا شديدا، حتى تمكن منه القائد ابو الساج الاشروسنى الذى بعث به المعتر بالله، فهرب محمد بعد ان قتل اكثر اصحابه (٢).

ان خروج اسماعيل بن يوسف و اخيه من بعده لم يكن ثوره منظمه تستهدف الحكم القائم، و انما هو مجرد عصيان و ما يتبعه من سلب و نهب اموال الدوله و الناس لمجرد الانتقام و الكسب.

ولذا فانهما لم يلقيا من الناس اى عطف او مساعده، بل انهم على العكس قاوموهما و ساعدا السلطه ضدهما. و لا يعتبره ابو الفرج من الثوار العلويين و انما اعتبره عابثا مفسدا تبعه امثاله، فعرضوا للحجاج و قطعوا الميره عن بيت الله الحرام (٣).

### ٦- خروج الحسين بن محمد العلوى:

لم يكن يقضى على فتنه يحيى بن عمر الطالبى الذى خرج مع من بايعه من الزيديه فى الكوفه، حتى وثب طالبى آخر فى نفس المدينه، هو الحسين بن محمد بن حمزه بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب، و يكتنى ابا احمد (٤).

و يلاحظ ان المسعودى و ابن الأثير يحذفان من سلسله نسبه اسم

١- الطبرى ٣٢٧ / ٩، الكامل ١٧٧ / ٧.

٢- مروج الذهب ١٧٦ / ٤ - ١٧٧.

٣- مقاتل الطالبين / ٦٦٩.

٤- هكذا ورد اسمه فى الطبرى ٣٢٨ / ٩، و مقاتل الطالبين / ٦٦٥، و الكامل ١٦٤ / ٧، و مروج الذهب ١٥٤ / ٤.

«الحسين بن علي» المكرر. و نميل الى صحه ما جاء في الطبرى و مقاتل الطالبين لأن بقيه الطالبين الذين خرجوا فى السنيتين ٢٥٠ هـ و ٢٥١ هـ جاء نسبهم بثمانيه اجيال كالحسن بن زيد و يحيى ابن عمر. و يلقب ابو الفرج الحسين بن محمد العلوى بالحرون(١).

خرج الحسين العلوى فى سنه ٢٥١ هـ على عهد المستعين بالله بسواد الكوفه فى اتباعه من الزيديه و من بنى اسد، و هم بضع مئات. و كان عامل الكوفه احمد بن نصر بن مالك الخزاعى، فقتل العلوى بعض رجاله مما اضطره على الهرب منها فاستولى عليها اتباع العلوى. فأمر الخليفه و كان حينذاك فى بغداد، محمد بن عبد الله ان يبادر الى اخماد الفتنه الجديده. فوجه ابن طاهر احد كبار القواد الا-تراك الذين صحبوا الخليفه عند انتقاله الى بغداد، و هو مزاحم بن خاقان، فى جيش كبير. فلما وصل الجيش مدينه الكوفه هرب منها الحسين لتخلى اصحابه عنه(٢).

لأنهم ادركوا ان لا- قبل لهم بمواجهه جيش كثيف. الا- ان ابن خاقان دخل المدينه فقابله اهله بالحجاره فامر بضرب المدينه بالنار، فأحرق فيما يقال الف دار و ثمانيه اسواق، و قبض على جميع من وجدته من العلويين فى الكوفه و اودعهم السجن. و اخذ للحسين العلوى جوار و فيهن امرأه حره، فنادى عليها لبيعها بباب المسجد(٣).

١- مقاتل الطالبين / ٦٦٥.

٢- الطبرى ٩ / ٣٢٩، و مروج الذهب ٤ / ١٠٤.

٣- الطبرى ٩ / ٣٢٩.

و يظهر ان الحسين العلوى كان قد ظهر بناحية نينوى و اجتمع اليه جماعه من الأعراب، فلقبه القائد هاشم بن ابى دلف و قتل جماعه من اصحابه، فهرب الى الكوفه و اعلن الخروج ثانيه(١).

و يذكر ابو الفرج عن نهايه الحسين انه عند ما قارب جيش ابن خاقان مدينه الكوفه هرب و خالف طريق الجيش و صار الى سامرا و بايع للمعتز بالله الذى كان قد بايعه القواد الاتراك فيها بعد التجاء الخليفه المستعين بالله الى بغداد، الا انه ما لبث بعد مده ان هم بالوثوب ثانيه فقبض عليه و سجن، و بقى سجيناً حتى سنه ثمان و ستين و مائتين فاطلق المعتمد على الله سراحه، و لكنه خرج للمره الثالثه بسواد الكوفه فقبض عليه و امر الخليفه بحبسه فى مدينه واسط. و انه لبث فى الحبس الى ان مات فى سنه ٢٧١هـ (٢).

### ٧- ظهور الكوكبى الطالبى:

يشير كل من الطبرى و ابن الأثير الى ظهور احد العلويين المعروف بالكوكبى الطالبى فى سنه ٢٥٣ هـ بقزوين. و قد التقى به و باتباعه جيش القائد موسى بن بغا فهزمه بخدعه حربه، فهرب على أثرها الكوكبى و لحق بالديلم. و كان سبب الهزيمه ان اصحاب الكوكبى لما التقوا بجيش موسى جعلوا تروسهم فى وجوههم يتقون بها السهام، و لما رأى موسى ان سهام اصحابه لا تصيب منهم مقتلاً امر بما معه من النفط ان يصب فى ساحه المعركه. ثم امر اصحابه بالاستطراد لاتباع الكوكبى ففعلوا ذلك.

١- الطبرى ٣٢٩ / ٩، و الكامل ١٦٧ / ٧.

٢- مقاتل الطالبين / ٦٦٥.

فظن الكوكبي ان اصحاب موسى قد انهزموا فامر اتباعه فتبعوهم فلما توسطوا النفط امر موسى بالنار فالقيت فيه، فالتهب النفط من تحت اقدام اصحاب الكوكبي و جعل يحرقهم، فانهزموا، فدخل جيش موسى قزوين(١).

و يلاحظ ان كلا- من الطبرى و ابن الأثير لم يذكر اسم الكوكبي الطالبى و نسبه حسب العاده، بل اكتفى بلقبه فقط. الا ان ابن الأثير سبق ان اشار فى حوادث سنه ٢٥١ هـ الى ظهور احد الطالبين بناحية قزوين و اسمه الحسين بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الأرقط بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب، المعروف بالكركى، و طرد عمال بن طاهر منها(٢). كما ان المسعودى يذكر انه ظهر فى السنه المشار اليها آنفا بقزوين «الكركى» الحسين بن احمد بن اسماعيل .. و هو من ولد الأرقط، فحاربه موسى بن بغا، و صار الكركى الى الديلم(٣). و لعدم اشاره الطبرى الى ظهور من سماه المسعودى و ابن الأثير بالكركى، يمكن القول انه هو الذى خرج فى سنه ٢٥٣ هـ باسم الكوكبي العلوى، فقاتله موسى بن بغا و هزمه، كما اشرنا. و ان احد اللقبين تصحيف للآخر، فقد يكون لقبه الصحيح الكوكبي فصحف الى الكركى، او بالعكس، و ذلك ما جعل ابن اثير يعتبرهما شخصين. و مما يؤيد ما ذهبنا اليه ان اليعقوبى يسميه الكوكبي الارقط(٤).

١- الطبرى ٣٧٨ / ٩، و الكامل ١٨٤ / ٧.

٢- الكامل ١٦٥ / ٧.

٣- مروج الذهب ١٥٤ / ٤، و اسمه فيه الحسن بن احمد.

٤- تاريخ اليعقوبى ٥٠١ / ٢.

**٨- خروج على بن زيد العلوي:**

يظهر مما جاء في الطبري و مروج الذهب و الكامل ان على ابن زيد الحسنى حاول فى اواخر خلافه المعتز بالله الخروج بمعاونه طالبى آخر هو عيسى بن جعفر العلوى فخرجا فى سنه ٢٥٥ هـ و قتلوا عاملها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى فوجه الخليفه اليهما القائد سعيد بن صالح المعروف بسعيد الحاجب فى جيش كبير، فانهزم العلويان لتفرق اصحابهما عنهما(١). و بعد فشلهما انفرد على بن زيد بالخروج فى السنه التاليه، فى اواخر خلافه المهتدى بالله. فظهر فى الكوفه ايضا و استطاع ان يطرد و اليها عنها و ان يستولى عليها. فتوجه اليه القائد الشاه بن ميكال على رأس جيش كثيف، الا ان على بن زيد استطاع ان يهزمه و يقتل كثيرا من افراده(٢). مما قوى مركزه فى الكوفه و ما حولها.

و عند ما تولى المعتمد على الله الخلافه ارسل القائد كنجور التركى الى محاربه العلوى و امره ان يدعوه الى الطاعه و يبذل له الأمان قبل مبادرته بالقتال. فسار اليه كنجور و نزل فى موضع يقرب من الكوفه يسمى شاهى، و ارسل الى على بن زيد يبذل له الأمان اذا ما استسلم و اعلن طاعته. فاشترط على شروطا لم يقبلها كنجور. و لما رأى على بن زيد كثافه الجيش الذى جاء لمحاربه، تنحى عن الكوفه الى القادسيه فعسكر فيها باصحابه و مناصريه، فدخل كنجور مدينه الكوفه.

١- الطبرى ٣٨٨ /٩، و مروج الذهب ١٨٠ /٤، و الكامل ٢١٦ /٧.

٢- الطبرى ٤٧٤ /٩، و الكامل ٢٣٩ /٧.



اوغل على بن زيد فى الباديه و دخل اراضى بنى اسد و كان قد صاهرهم، فارسى كنجور خلفه جيشا يتعقبه، فتوارى على عن الانظار، و بذلك انتهت فتنته. و يقول ابو الفرج ان اتباع على بن زيد كانوا قليلى العدد، فلما هاجمه جيش كنجور، قال لأتباعه «ان القوم لا- يريدون غيرى، فاذهبوا انتم فى حل من بيعتى»<sup>(١)</sup>. فرفض اتباعه التخلى عنه رغم جزعهم و خوفهم من الجيش الكبير المحيط بهم، فحاول على ان يثير حماسهم فانتضى سيفه و حمل على الجيش، فتشجع اتباعه و حملوا معه فهزموا جيش منكجور. و لكن رغم انتصار على فقد تخاذل اصحابه من الكوفه و خذلوه خوفا لما لحقهم من الاذى، و ما اصاب مدينتهم من الحرق و التدمير عند ما ايدوا يحيى بن عمر، فاضطر على الهرب و الاختفاء.

#### ٩- وثوب محمد و على ابنى الحسين بن جعفر:

دخل الأخوان محمد و على ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المدينه المنوره فى سنه ٢٧١ هـ، فقتلا جماعه من اهلها، و اخذ اموال الناس. فذعر اهل المدينه طيله مقام الأخوين فيها، و لم يصلوا فى مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم اربع جمع، لا جمعه و لا جماعه<sup>(٢)</sup>. و لا تعرف

١- مقاتل الطالبين / ٦٧٥.

٢- الطبرى ٧/١٠، و الكامل ٧/٤١٣ و فيه اسم الشاعر الفضل بن العباس العلوى، و فى البيت الثالث (امسى) بدلا من (اضحى) و لا ذكر للبيت الأخير.

اسباب وثوبهما الا ان يكون ذلك عبثا و فسادا منهما، لأن احد شعراء العلويين و هو ابو العباس بن الفضل، قد تألم من اعمالهما و شتمهما بقوله (١).

أخربت دار هجره المصطفى البر فابكى ائرابها المسلمينا

عين فابكى مقام جبريل و القبر فبكى و المنبر الميمونا

و على المسجد الذى أسه التقوى خلاء اضحى من العابدينا

و على طيبه التى بارك الله عليها بخاتم المرسلينا

قبح الله معشرا أخربوها و اطاعوا متبرا ملعونا

#### ١٠- اسباب فشل خروج العلويين:

اذا ما القينا نظره فاحصه على ما ذكرناه من الوثبات العلويه و دققنا فى اسباب كل منها و نتائجها، لرأيناها قد فشلت كلها تقريبا من تحقيق هدف العلويين الأساسى و هو ازاحه بنى العباس عن الحكم و القيام مقامهم فيه. و هناك عوامل عديدة ادت الى فشلها يمكن تلخيصها بما يأتى:

---

١- الطبرى ٧/١٠ و الكامل ٧/٤١٣ و فيه اسم الشاعر الفضل بن العباس العلوى و فى بيت الثالث (امسى) بدلا من (اضحى) و لا ذكر للبيت الاخير.

١- التسرع باعلان الخروج قبل ان تستكمل اسباب نجاحه، من حيث تهيئه العدد الكافي من المؤيدين، و تجهيزهم بالسلاح الكافي، و ضمان تأييد الناس لها.

ب- لم تكن اسباب الفتن التى قامت من العمق و السعه بما يمس مصالح الناس بحيث يهبون لنصرتها و تأييدها عند قيامها.

فقد كان اكثر اتباع العلويين الخارجين اما من الأعراب المتعطشين للغزو و السلب و النهب و لا يستهدفون من تأييدهم الا ما يكسبون من الاسلاب، او من الانتهازيين الذين يتوخون مكاسب آنيه. و قد كانت اغلب الفتن التى استعرضناها قد قامت لأسباب شخصيه تتعلق بالعلوى الخارج، مما كان يجعلها اقرب الى العصيان و التمرد.

ج- عدم تنظيم الدعوه العلويه، و توحيد اجنحتها المختلفه.

فان العلويين انفسهم كانوا شيعا متعدده. مما جعل اكثر تلك الوثبات مبتسرا لم تسبقه دعوه لمبادئ و اهداف واضحه، او ترتبط بشخص معين مهياً لذلك بحيث تستحق التضحيه فى سبيل انجاحها.

د- ان معظم القاده العلويين الذين اعلنوا عصيانهم كانت تنقصهم الخبره العسكريه بحيث انهم لم يستطيعوا المناوره او الصمود امام الجيوش التى كانت توجه لحربهم و اخضاعهم، الا نادرا. فللحرب اساليبها و فنونها، و لا بد من معرفتها و الاحاطه بها لتحقيق النصر فى ايه معركة حريه.

ه- قرب مواقع الفتن من حاضره الخلفه. اذ اعلن اغلبها فى مدينه الكوفه او فى اماكن قريه من مراكز جيوش الدوله

العربيه. لان قيام الفتنه فى اماكن لا تبعد كثيرا عن حاضره الخلافه لا تتيح لها فرصه كافيه لأن تتوسع و تستفحل، لأنه سرعان ما تصل انباؤها و اخبارها الى المسؤولين، سواء من رجال البريد او من العيون المبتوثه لرقابه العلويين اينما كانوا. كما كان هذا القرب يساعد ايضا على سرعه وصول الجيوش التى ترسل لقمع الفتن و اخضاع القائمين بها.

و قد رأينا كيف ان فتنه الحسن بن زيد الطالبى اتسعت و استمرت مده طويله بسبب بعدها عن حاضره الخلافه و قيامها فى منطقه نائيه.

انتهى















## الباب السادس الفتن و الاضطرابات فى عهد سامرا

### الفصل الأول الفتن الكبرى

#### ١- فتنه الخرميه:

#### اشاره

على الرغم من طول مدته حكم الخليفه المأمون التى بلغت عشرين عاما و نصف العام، و على الرغم من كفايته الاداريه و ما عرف عنه من الحزم و الدهاء، فانه لم يستطع التغلب على الفتنه الخرميه التى اندلعت نيرانها فى اذربيجان، أو التغلب على تمرد الزط و عبثهم فى نواحي البطائح. و يبدو ان انهماكه فى توطيد عرشه الذى انتزعه من أخيه الخليفه محمد الامين، و تعيين الامام على بن موسى الكاظم لولايه العهد، و ما نشأ عن ذلك من مشاكل بينه و بين بنى العباس.

و كذلك اعتناقه مذهب المعتزله و تعصبه لآرائهم، و ما اثاره من خلاف مع فقهاء السنه فى موضوع خلق القرآن، قد شغله عن التفرغ للقضاء على تلك الفتن يضاف الى ذلك استمرار العلاقات العدائيه بين الدوله العربيه و البيزنطيين مما جعل الثغور العربيه عرضة لهجمات الروم. بحيث اضطرت المأمون ان يقود الحملات فى السنوات

الاربع الاخيره من حكمه لمقارعه البيزنطيين. حتى انه ادركته الوفاه و هو يجاهد فى بلاد الروم.

و لا ريب فى ان الجهود التى بذلها المأمون فى القضايا آنفه الذكر استنفدت منه وقتا و جهدا كبيرين، مما اضعف من امكانياته فى القضاء على الاخطار الداخليه التى أشرنا اليها رغم اهتمامه بأمرها. و قد تمثل هذا الاهتمام بتأكيدہ فى وصيته على أخيه أبى اسحاق ان يتفرغ لها و يبذل كل جهوده للقضاء عليها. و لذا كان من أولى واجبات المعتصم بالله الا يألو جهدا فى مقاومه تلك الاخطار و القضاء عليها. اذ لم يكد ينتهى من أمر المبايعه حتى انصرف الى العمل بجد و حزم لمجابهه تلك الاضطرابات التى كانت قائمه و التى قامت بعد ذلك فى عهده. و سنحاول فيما يأتى ان نتبين جهوده فى القضاء عليها.

و بالنظر لأهميه الفتنة الخرميه التى كانت تهدد بالقضاء على الخلافه و الدوله العربيه، فستكلم عنها بشىء من التفصيل.

### الحركه الخرميه:

يرى ياقوت الحموى ان الحركه الخرميه عرفت بهذا الاسم نسبه الى بابك الخرمى. و خرم (بضم أوله و تشديد ثانيه مع الفتح) رستاق باردبيل. كما يقول: و قيل ان الخرميه تعبير فارسى معناه الذين يتبعون الشهوات و يستبيحونها(١). و جاء فى كتاب السياه العربيه ان اسمها مشتق من خرم و هى مدينه ببلاذ ميديا، أو من كلمه خرم الفارسيه و معناها لذيد(٢). و يرى المسعودى ان الخرميه هى الطائفه التى تدعى بالمسلميه القائلين بامامه ابى مسلم الخراسانى، و قد تنازعوا بعد وفاته، فمنهم من رأى انه لم يمت و لن يموت حتى يظهر فيملاً الدنيا عدلاً، و فرقه قطعت بموته و قالت

١- معجم البلدان، ٢ / ٣٦٢.

٢- السياه العربيه / ٩٩ - ١٠٠.

بإمامه ابنته فاطمه و هم يدعون الفاطميه (١). أما البغدادي فيرى ان الخرميه صنفان صنف منهم كان قبل الاسلام كالمزديكيه الذين استباحوا الحرمات و زعموا ان الناس شركاء فى الاموال و النساء.

و الصنف الثانى الخرميه الذين ظهوروا فى دوله الاسلام، و هم فريقان: بابكيه و مازياريه، و كلتاهما معروفه بالمحمره (٢). و لأبن الأثير رأى فاحش فى التسميه (٣).

لقد نشأت هذه الحركه بين سكان اذربيجان و المناطق الفارسيه المجاوره لها، بين من احتفظوا بمجوسيتهم، و الذين كانوا شديدى البغض و الكراهيه للاسلام و العرب. فكانوا يجرون وراء كل دعوه تستهدف محاربه الاسلام و القضاء على دوله العرب. و الخرميه اصناف عديده غير انهم يجمعون على القول بالرجعه و يقولون بتغيير الاسم و تبديل الجسم (٤)، اى انهم يؤمنون بتناسخ الارواح و القول بالحلول. فقد جاء فى وصيه جاويدان التى بلغتها زوجته لاصحابه بعد موته: انى أريد أن أموت فى هذه الليله، و ان روحى تخرج من بدنى و تدخل بدن بابك و تشترك مع روحه (٥). و كان بابك يقول لمن يستغويه انه اله (٦). و يدعون الى اباحه النساء و الاموال.

يقول المقدسى، وجدنا منهم من يقول باباحه النساء على الرضاء منهن، و اباحه كل ما يلد للنفس و ينزع اليه الطبع ما لم يعد على أحد يقرر (٧). و قد أمر المازيار الأكره بانتهاب أموال أرياع

١- مروج الذهب ٣ / ٣٠٥.

٢- الفرق بين الفرق / ١٦١.

٣- الكامل ٦ / ٣٢٨.

٤- البدء و التأريخ ٤ / ٣٠.

٥- الفهرست / ٤٩٦.

٦- نفس المصدر / ٤٩٤.

٧- البدء و التأريخ ٥ / ١١٤.

الضياع و غلاتها(١). كما انهم يعملون على اعاده الملك الى العجم و الدعوه الى الالحد(٢).

و كانت الحركه منظمه يتولاها اناس متمرسون بأساليب الدعايه، مما ساعد على حفظ آراء مزدك و مبادئه و نشرها بين سكان هذه المناطق. و قد آلت رئاستها فى نهايه القرن الثانى للهجره الى جاويدان بن سهل(٣)، و كان من الاغنياء المتنفذين فى جبالد البذل. و هو الذى اكتشف بابك و قابليته، و مهد له السبيل لرياسه الحركه.

### بابك يتولى قياده الحركه:

كان بابك فى أول نشأته صبيا مغمورا يرعى البقر، و عمل سائسا ردحا من حياته، ثم التحق بخدمه جاويدان الذى وجدده على رداءه حاله و تعقد لسانه بالأعجميه، فهما، و رآه خبيثا شهما.

فاتخذه وكيلا لأعماله و أمواله و ضياعه(٤)، و اطلعه على أسرار الحركه المجوسيه. و سرعان ما اظهر بابك تفهما عميقا لمبادئها و أهدافها. و لما مات جاويدان ساعدت زوجته و كيله بابك ليحل محله فى رياسه الحركه و اتباعها، بأن لفقت وصيته على لسان زوجها و بلغت لرجاله، و خلاصتها ان روح جاويدان حلت فى بدن بابك، الذى سيبلغ أمرا لم يبلغه أحد، و ان النصر سيحالفه فيملك الارض، و يقتل الجبابره، و يرد المزدكيه، و يعتز به الذليل و يرتفع الوضع(٥). و بايعته هى و تزوجت منه، فتبعها أصحاب جاويدان، فأصبح الرئيس الجديد للحركه. و يقول أبو حنيفه الدينورى انه صح عنده ان بابك من ولد مطهر بن فاطمه بنت أبى مسلم

١- الطبرى ٨١ / ٩، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٩.

٢- البدء و التأريخ ٥ / ١٣٤.

٣- فى التنبيه و الاشراف / ٣٠٦ ورد اسمه جاووزان بن شهرک.

٤- الفهرست / ٤٩٥.

٥- نفس المصدر / ٤٩٦، و البدء و التأريخ ٦ / ١١٤ - ١١٨.

الخراساني(١). بينما يظهر خبر أورده ابن النديم انه ولد سفاحا لدهان من أهل المدائن(٢). وكذلك يرى الطبرى انه من أصل وضيع(٣).

تختلف حركه بابك عن الحركات الاخرى التى قامت ضد الدوله العربيه فى انها كانت منظمه تنظيميا جيدا كفل لها سرعه الانتشار، و طول مداه الصمود فى صد الجيوش العربيه التى وجهت لضربها. فلم يقتصر انتشارها على المجوس من الفرس وحدهم، بل انضم اليها كثير من الاكراد و الأرمن و غيرهم ممن يتشكون من وطأه الحكم العباسى. و من الطبيعى ان ينضم اليها كذلك قطاع الطرق و اللصوص طمعا فى الغنائم و الكسب المادى(٤)، و هربا من مطارده السلطه. كما مالأه بعض القواد و الحكام المحليين بدوافع شخصيه، فقد شايعه محمد بن البعث و عصمه الكردى و منكجور القرتماتى، و كاتبه حاتم بن هرثمه بن أعين فى اذربيجان و هون له الأمر هناك فتحرك بابك و غلب على اذربيجان(٥). كما كاتبه مازيار يحرضه و يعرض عليه النصره(٦).

### اعلان الخروج على الدوله:

لقد استطاع بابك خلال فتره قصيره تنظيم اتباعه و اعدادهم للحرب، و يقول المسعودى انهم كانوا مائتى ألف(٧). بحيث استطاع أن يعلن الانتفاض على الحكم العربى الاسلامى المتمثل بالخلافه العباسيه، فى صيف سنه ٢٠١(٨) فى اران و البيلقان و اذربيجان،

١- الاخبار الطوال / ٤٩٦.

٢- الفهرست / ٤٩٤.

٣- الطبرى / ٩ / ٥٤.

٤- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.

٥- تاريخ اليعقوبى / ٢ / ٤٦٢.

٦- الطبرى / ٩ / ٨١ و الكامل / ٦ / ٤٩٦.

٧- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.

٨- الطبرى / ٩ / ١١.

و اتخذ مدينة البذ(١) مركزا حربيا له. و اخذ يزحف منها على المناطق المجاوره. و من العوامل المهمه التى ساعدت بابك فى حركته معرفته و اصحابه بطبيعه اراضى المناطق التى انتشرت فيها الخرميه، من حيث ممراتها و مكامنها، و قيامهم بتخريب ما يستولون عليه من القلاع و الحصون. و قد اطلق على أصحاب بابك من الخرميه اسم «المحمره»(٢). و سبب هذه التسميه انهم صيغوا ثيابهم بالحمرة التى اتخذوها شعارا لهم(٣).

لقد استطاع بابك ان ينشر حركته فى أقاليم و مدن عديده مثل اصبهان و همذان و الرى و سائر أراضى العجم(٤). و دخل فى سنه ٢١٨ هـ و هى السنه التى تولى فيها المعتصم بالله الخلافه، جماعه كبيره من أهل الجبال فى الدعوه الخرميه و تجمعوا و عسكروا فى همذان(٥). و كان هدف بابك ان يزيل ملكا و يقلب مله و يبدلها(٦). كما أراد أن يقيم مله المجوس(٧). و الواقع ان خرميه بابك استهدفت ازاله الحكم العربى و استبدال الخرميه المجوسيه به. فهى حركه دينيه سياسيه معا تسعى الى اداله دوله العرب و دينهم، و ذلك بالقضاء على الدوله العربيه أو الاستقلال عنها.

و رغم ما كانت تنطوى عليه الحركه الخرميه من خطر جسيم بات يهدد الدوله العربيه و الدين الاسلامى، فان الحرب الاهليه

- 
- ١- البذ: بتشديد الذال، كوره بين اذربيجان و ايران، كان بها مخرج بابك الخرمى، و يقال: و فيها تعقد اعلام المحمره المعروفين بالخرميه، و فيها يتوقعون المهدي- معجم البلدان ١ / ٣٦١.
  - ٢- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧١.
  - ٣- المنتظم ٥ / ١١٤.
  - ٤- التنبيه و الاشراف / ٣٠٦.
  - ٥- الطبرى ٨ / ٦٦٧.
  - ٦- مروج الذهب ٤ / ٥٨، و للمسعودى فى كتابه التنبيه و الاشراف / ٣٠٦ قول مماثل اذ يقول ان ما ينتظره الجميع فى المستقبل من الزمان الآتى من عوده الملك فيهم، و من خلق الاسلام منهم.
  - ٧- شذرات الذهب ١ / ٣٨٤.



التي قامت بين الخليفة محمد الامين و أخيه المأمون قسمت الجيش على نفسه مما اضعفه و لا- شك، و اشغلت الدوله عن الاهتمام بشأن هذه الحركه مده من الزمن، مما ساعدها على التوسع و الانتشار.

و كان من المفروض ان يبادر المأمون بعد أن تربع على عرش الخلافة الى مجابهه هذا الخطر. الا انه لم يتخذ أى اجراء بشأنه حتى سنه ٢٠٤ هـ عند ما عاد الى بغداد، و ذلك مما يدعو الى الاستغراب، و لا ندرى ما اذا كان المأمون و هو فى مرو على علم بأمرها و لم يعرها الأهميه الكافيه استصغارا لشأنها، أم لم يكن يعلم عنها شيئاً، لان و زيره الفارسى الفضل بن سهل كان يحجب عنه بعض الاخبار و الحقائق و يموه عليه بعضها. على ان تستر الفضل بن سهل على الحركه الخرميه و عدم اخبار المأمون بها مما يدعو الى التساؤل.

هل كان ذلك ناشئاً عن عدم اهتمامه بها و انه اعتبرها مجرد حركه دينيه محليه تسعى فى أحياء المزدكيه القديمه، فلم يلتفت الى خطرها السياسى، أم انه أراد أن يشجعها و يتيح لها فرصه التوسع و الانتشار لانها تستهدف اعاده الحكم الفارسى؟ و لعل مما يؤيد الاحتمال الثانى ما كان يهدف اليه الفضل نفسه من نقل الدوله الى الفرس. فقد قال له القائد العربى نعيم بن حازم بحضره المأمون:

انك تريد ان تزيل الملك عن بنى العباس الى ولد على ثم تحتال عليهم، فتصير الملك كسرويا(١). كما ان هرثمه بن أعين أكبر قواد المأمون من العرب كان قد شعر بخطر سياسه الفضل و تبين أهدافه البعيده، فجاى الى المأمون مغاضباً و انتقد تصرفات الفضل و سياسته، و سماه المجوسى(٢).

و يلاحظ كذلك ان طاهر بن الحسين و هو فارسى الأصل أيضاً، قد تولى اماره خراسان و ما جاورها من ولايات المشرق منذ ان وصل المأمون الى بغداد، و استمر فى منصبه الى ان مات فى سنه ٢٠٧ هـ لم

١- الوزراء و الكتاب / ٣١٣.

٢- نفس المصدر / ٣١٧.

يقم بأى اجراء ضد استفحال أمر الخرميه، لا سيما و انها امتدت الى امهات مدن ولايات المشرق. فهل كان ذلك منه تشجيعا لها، أو عدم اهتمام و استهانته بأمرها؟ على ان الدينورى ينفرد بخبر يقول فيه ان المأمون لما اتصل به خبر بابك وجه اليه طاهر بن الحسين فى جيش عظيم، فواقى البذ و قد عظم أمر بابك و تهيئه الناس، فحاربوه فلم يقدروا عليه، بل انه فض جمعهم(١).

و مهما كان الامر فان أحد ولاء المأمون و هو يحيى بن معاذ قد اشتبك ببعض قوات بابك فى سنه ٢٠٤ هـ دون طائل(٢). ثم أخذ المأمون بعد ذلك يوجه الحملات لحرب بابك بين حين و اخر حتى سنه ٢١٤ هـ. و كانت الغلبه فيها لاتباع بابك اذ هزموا تلك الحملات و اسروا بعضها و قتلوا بعض قادتها. و يظهر مما يذكره اليعقوبى انهم هزموا عددا من قواد المأمون كانوا قد توجهوا لحربهم(٣). أما فى السنوات التى تلت ذلك فقد انشغل المأمون فى رد هجمات الروم على الثغور العربيه، و غزو ديارهم، و لم يستطع توجيه حملات أخرى لحرب الخرميه، حتى توفى و هو متألم لعدم استطاعته القضاء على الحركه المذكوره. مما دعا ان يؤكد على أخيه أبى اسحاق فى وصيته بأن يوجه أكفأ قواده و احزمهم لحرب بابك و ان لا يالو جهدا فى القضاء عليه، حتى و ان تطلب الأمر خروجه بنفسه لحربه(٤).

المعتصم بالله و تمرد بابك:

و هكذا اصبحت حركه بابك و تمرده أهم خطر يهدد الدوله العربيه واجهه المعتصم بالله عند توليه الخلافه. اذ كانت الحملات التى وجهت اليه فى عهد المأمون قد باءت بالفشل. و من الواضح ان انقسام الجيش العربى فى الحرب الاهليه، و انشغاله بعدها باخماد

١- الأخبار الطوال / ٣٣٧.

٢- الكامل / ٦ / ٣٥٨.

٣- تاريخ اليعقوبى / ٢ / ٤٦٣.

٤- الطبرى / ٨ / ٦٤٩.

الاضطرابات المتعاقبه فى مصر، و تمرد الزط فى بطائح العراق، و مقارعه الروم فى الثغور العربيه مما انهكه و جعله دون القوه المطلوبه لمجابهه الحركه الخرميه، مما اتاح الفرصه لبابك و اتباعه ان يعدوا أنفسهم، بل و يكسبوا بعض المعارك الحربيه. و لذلك فقد اولى المعتصم بالله هذا الامر اهتماما بالغا. و قد يكون لوصيه أخيه بشأنه أثر مهم فى هذا الاهتمام. حتى انه لم يكن له شأن يشغله، و لم تنصرف همته الى غيره(١). و قد انتهج خطه عسكريه بارعه تضمن هزيمه بابك و اتباعه. و تقوم هذه الخطه على توجيه خيره قواد الدوله و أكفأهم لمحاربتة، و استماله بعض الموالين له و ضمان تأييدهم للجيش العربيه التى توجه الى حربيه. و اصلاح القلاع و الحصون التى خربها اتباعه، و شحنها بالرجال. فقد وجه الخليفه القائد أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى الى اردبيل و أمره باصلاح القلاع و الحصون المخربه فيما بين زنجان و اردبيل، و بناء الحصون الضروريه، و تخصيص القوات الكافيه لها و لحفظ الطرق التى ستستخدم لاىصال الميره و المؤن للجيش المقاتله(٢).

و لما علم بابك بالاعمال التى يقوم بها أبو سعيد ادرك خطرها عليه. فوجه اليه سريه لتشغله عن انجاز ما كلف به. فاعترضها أبو سعيد بعدد وافر من جنوده فقتل أكثر أفرادها و أسر منهم جماعه. فكانت هذه هزيمه أخرى تحل باصحاب بابك فى عهد المعتصم بالله(٣). فقد كان ثمة انتصار اخر سبق أن أحرزه الجيش العربى و ذلك عند ما تجمع اتباع بابك و عسكروا فى همذان سنه ٢١٨ هـ و قطعوا الطريق. فوجه اليهم المعتصم بالله القائد هاشم بن بايتجور فلم يتمكن منهم(٤). فاتبعه باسحاق بن ابراهيم المصعبى

١- الأخبار الطوال / ٣٣٩.

٢- الطبرى ٩ / ١١.

٣- نفس المصدر / ١٣.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧١.

الذى تمكن من سحقهم، و قتل منهم مقتله عظيمه(١). و يقدر الطبرى عدد من قتل من الخرميه بستين ألفا، ثم يعود فيقول انه قتل منهم نحو من مائه ألف سوى النساء و الصبيان(٢). و يقال ان الخرميه كانوا تواعدوا الى موضع علم به اسحاق فكمن لهم فيه، و كل من جاء منهم قتل و حزت اذنه، حتى انه وجه الى الخليفه بستين الف اذن(٣). و قد مدح ابو تمام الطائى اسحاق المصعبى و اشاد بايقاعه باتباع بابك بقصيده جاء فيها قوله(٤).

لاسحاق بن ابراهيم كف كفت عافيه نوء المرمرين

و مجد لم يدعه الجود حتى اقام مناوئا للفرقدين

ازلت الشك عنهم يوم رانت ضلالتهم عليهم اى رين

لقيتهم بحلاب المنايا بعيد الرز نائى الحجرتين

فاضحوا بعد عز و اختيال و هم عبر لأهل المشرقين

رددت الدين و هو قرير عين بها و الكفر و هو سخين عين

و طارد اسحاق فلول المنهزمين حتى حدود بلاد الروم حيث التجا قسم منهم اليها. و كان لهذه الهزيمة التى حلت بالخرميه فى همذان تاثير كبير فى اضعاف شأنهم فى اقليم الجبال. و تضيق رقعه انتشارهم بحيث حصروا فى اقليم اذربيجان و ما حوله. و كانت نكسه ثالته حلت ببابك، فقد نزل أحد قواده مع اتباعه فى قلعه الشاهى الحصينه، و كان صاحبها محمد بن البعث مصالحا للخرميه، الا انه فتك باتباع القائد و أسره و بعث به الى الخليفه

١- نفس المصدر، و الطبرى ٨ / ٦٦٧-٦٦٨.

٢- الطبرى ٨ / ٩.

٣- ديوان ابى تمام ٣ / ٢٩٧.

٤- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ٣ / ٢٩٧-٣٠٧.

بسامرا، قسالة عن بلاد بابك فاعلمه بطرقها و وجوه الحرب فيها(١).

على ان بابك، رغم هذه الخسائر، كان يحتفظ بالقسم الاكبر من جيشه فى منطقه اران، بحيث يستطيع أن يزوج به فى ميدان المعركة لمواجهة الجيش الذى يوجهه الخليفه لحربه.

### توجيه الأفشين لحرب بابك:

عقد المعتصم بالله فى أوائل جمادى الآخرة سنة ٢٢٠ هـ لأ-كبر قواده الافشين حيدر بن كاوس، الأماره على الجبال و وجه به لحرب بابك(٢). فنزل فى برزند من نواحى تفليس، و عسكر بها. و وزع قواده و امرهم باصلاح الحصون، و حفر الخنادق، بحيث امن سلامه تموين جيشه، ثم الحق به الخليفه عددا من القواد الاخرين. و قد استطاعت حمله الافشين ان تلحق عددا من الهزائم بجيوش بابك و تكبدها خسائر جسيمه فى الرجال فى عده معارك. و مما ساعد الافشين على الاحتفاظ بانتصاراته و مطارده الخرميه، الامدادات المستمره من الجند و الأموال التى كان الخليفه يبعث بها بصوره متلاحقه. فقد بعث اليه بعد أن أخذت جيوشه مواقعها، بغا الكبير و معه مال للجند و للنفقات الاخرى كما وجه اليه فى سنة ٢٢٢ هـ مددا من الجند يقوده القائد جعفر الخياط. و بعث اليه مع القائد ايتاخ ثلاثين ألف ألف درهم، فوصلها اليه و عاد.

و كان الافشين يحسن معامله جواسيس بابك عندما يقعون فى يده و يجزل عطاءهم، و يحصل منهم على معلومات عن العدو من حيث مواضعه و عدد قواته، و تحصيناته و مكانه. كما استطاع ان يدفع

١- الطبرى ١٢/٩.

٢- نفس المصدر / ١١.

جنوده الى الاستبسال فى القتال بما بذله لهم من بذر الاموال، و الاسوره و الاطواق التى كان يقلد بها قواده، و وعوده لهم بزياده أرزاقهم، و بانه سيكتب باسماء المستبسليين الى الخليفه ليجزل عطاءهم(١).

كانت خطه الافشين فى محاربه الخرميه تقوم على مطاولتهم فى الحرب و تضيق الخناق عليهم تدريجيا، و قطع سبل مواصلاتهم، مستهدفا حصرهم فى عقر دارهم، و من ثم الانقضاض عليهم. و أول عمل قام به، كما سبق ان أشرنا، أنه أمن سبل مواصلاته بان وزع قواده على مواقع معينه تؤمن حراسه قوافل تموينه و امدادات جيشه، و أمرهم بتحسينها. كما انه انتهج سياسه الحذر الشديد من مباغته اتباع بابك و كمائنهم. و كان يجعل نصف جيشه على أهبة الاستعداد دائما، عملا بتوجيه الخليفه الذى كتب اليه بان يجعل الناس نواب، گراديس تقف على ظهور الخيل، كما يدور العسكر بالليل، فبعض القوم معسكرون و بعض وقوف على دوابهم، كما يدور العسكر بالليل و النهار مخافه البيات حتى اذا ما دهمهم امر كان الناس على تعبيه(٢).

لقد اشتبك الجيش بالخرميه فى عدد من المعارك انتصر فيها عليهم، قبل معركة البذ الفاصله. و لعل أهم هذه المعارك التى انهكت الخرميه، معركة أرشق و معركة هشتادسر. و تعتبر معركة أرشق أولى المعارك الكبيره التى انتصر فيها الافشين. و قد أبلى فيها المتطوعون و على رأسهم القائد أبو دلف بلاء حسنا. فقد وصل القائد بغا الكبير الى اردبيل و هو يحمل أموالا الى الافشين. فعلم به بابك و استعد بكمائن نصبها لقطع الطريق عليه و الاستيلاء على الاموال. فبلغ ذلك الافشين فلجأ الى الخداع و التضليل، فأمر بغا بأن يسير بقافلته حتى حصن النهر ثم يعود بالاموال الى اردبيل،

١- الطبرى ٩ / ٤٠ - ٤١.

٢- نفس المصدر / ٤١.

و يترك القافلة تسير نحو برزند، مقر الافشين. فلما انقض بابك على القافلة و تمكن منها لم يجد الاموال معها. فظن ان الاموال قد وصلت الى حصن أرشق فتوجه بقواته لمحاصره الحصن المذكور، و طلب استسلام حاميته. الا ان الافشين الذى توقع هجوم بابك على حصن ارشق، كان قد خرج بحمله نحو الحصن المشار اليه و فاجأ قوات بابك و أحاط بها و قضى عليها. و لكن بابك استطاع مع نفر قليل من اتباعه الافلات و الهرب الى موقان، و ما لبث ان وصل الى معقله فى مدينه البذ(١).

أما معركة هشتادسر فقد خطط لها الافشين بحيث تكون المعركة الحاسمه اذا تمكن فيها من جيش الخرميه. فوجه ثلاثة جيوش نحو معقل بابك، و ذلك بان يسير الافشين نفسه من برزند، و يسير محمد بن يوسف الطائى من خش، و يتوجه بغا الكبير من خنادقه قرب جبل هشتادسر. الا ان تسرع بغا فى دخول المعركة و هزيمته فيها حال دون تحقيق هدف الافشين، رغم انتصاره على بابك و اتباعه فى هذه المعركة. لان بابك استطاع الفرار و العوده الى معقله و التحصن فيه أيضا(٢).

### معركة البذ الفاصله و نهايه بابك:

بادرت قوات الجيش العربى الى محاصره مدينه البذ، فوزع الافشين قواته حولها منتظرا الفرصه المواتيه للهجوم. الا ان قسما من الجيش بقياده جعفر الخياط و بعض جيش أبى دلف من المطوعه، اشتبكوا باتباع بابك و تغلبوا عليهم، و أوشكوا ان يدخلوا المدينه. و كان ذلك بدون اذن من الافشين. فاستدعاهم و انكر عليهم قيامهم بالهجوم قبل الاوان. و استمر مقيما فى موضعه حتى

١- الطبرى ٩/ ١٤-١٦.

٢- نفس المصدر/ ٢٣-٢٤.

سُمّ الجند و لا سيما المطوعه منهم، فاتهموه بالتهاون، و انه لو كان أمرهم عند هجومهم السابق لدخلوا المدينه. فاضطر الافشين ان يأمر بالتجهيز و التهيوء للهجوم العام، و وزع المواقع على قواده، ثم أمر بالزحف صوب المدينه. فتقدم قسم من الجيش و وصل أسوار المدينه و اخذ يقاتل عندها. الا ان القوات المرابطه فى المدينه من الخرميه استطاعت ان تصد هذا الهجوم.

أعاد الافشين ترتيب قواته و ازمع على تطويق المدينه ليلا، فوزع رجاله بشكل يؤمن ذلك، و أمرهم بالاستيلاء أولا على التل الذى تسيطر عليه ثله من الخرميه بقياده آذين أحد كبار قواد بابك.

و كان بابك قد امره ان يحصن هذا التل المشرف على المدينه، و جعل معه ثلاثه آلاف رجل للدفاع عنه(١). الا ان القوه التى وجهها الافشين اجبرت جيش آذين على النزول من التل، فنشبت معركة كانت فاصله اذ انتصر الجيش العربى فيها، مما جعل الاستيلاء على المدينه و شيكا. و يظهر ان هذه المعركة كانت آخر ما استطاعت القوات الخرميه ان تقاتل فيها. لان بابك تقدم على أثرها يطلب الامان من الافشين و يتعهد بتقديم الرهائن و الضمانات لاستسلامه(٢). محاولا-الحفاظ على معقله و على ما بقى من جيشه. و لكن قبل ان تتم المفاوضات حول الاستسلام و شروطه، جاء الخبر ان قسما من الجيش قد دخل مدينه البذ. و كان بابك قد كمن فى قصوره الاربعه فى المدينه عددا من أشداء رجاله يقدرون بستمائهم رجل(٣). فخرجوا للقتال، فانتهم بابك الفرصه و فر هاربا و معه أهله و بعض اتباعه، بعد أن رأى قواته قد قضى عليها. فسقطت المدينه، و احرقها الجيش و هدم قصورها و قتل من فيها من الخرميه،

١- الأخبار الطوال / ٣٣٩.

٢- الطبرى ٩ / ٤٤.

٣- الطبرى ٩ / ٤٤، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٦، و يقدر عددهم باربعه الاف و ستمائهم رجل.



و أسر من بقى من أولاد بابك و عياله. و كان سقوط مدينه البذ فى يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان سنه ٢٢٢ هـ (١).

سار بابك فيمن معه يريد الهرب الى ارمينيه، فكتب الافشين الى بطارقتها يأمرهم بحفظ نواحيهم و ان لا يتركوا احدا يمر بهم الا اخذوه و عرفوه به. و قد علم الافشين من جواسيسه بموضع بابك، و كان فى واد كثير الاشجار طرفه الاول باذريجان و طرفه الاخر بارمينيه، فأمر بمحاصره ذلك الوادى. و لما ورد كتاب الخليفه بالامان لبابك كلف الافشين بعض من كان استأمن اليه من أصحاب بابك بان يذهبوا بالكتاب اليه. الا ان بابك رفض الامان الذى عرض عليه (٢). و يقال انه احرق كتاب الامان و شتم الخليفه (٣).

و عند ما أحس بابك بان جيش الافشين يحيط به ركب هو و من معه و سار مستخفيا حتى استطاع سهل بن سباط أحد بطارقه ارمينيه ان يحتال عليه و يأسره. و كان الافشين قد جعل لمن جاء به حيا الفى ألف درهم، و لمن جاء برأسه ألف ألف درهم (٤). فجاء القائد أبو سعيد على رأس قوه من الجيش و قبض عليه و جاء به الى الافشين (٥).

و قد انقذ جيش الافشين من أسرى بابك نساء كثيرات و صبيان، و جعل لهم حظائر اسكنهم فيها و أجرى لهم الخبز و أمرهم أن يكتبوا الى أوليائهم حيث كانوا. فجاء الناس و استرجعوا كثيرا منهم (٦).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٤، و العبر ١ / ٣٨٤.

٢- الطبرى ٩ / ٤٥ - ٤٦.

٣- العبر ١ / ٣٨٤.

٤- العبر ١ / ٣٨٤، و فى النجوم ان الخليفه المعتصم بالله قد جعل لمن جاء ببابك حيا الفى ألف درهم، و لمن جاء برأسه ألف ألف درهم، فاعطى المعتصم بالله ابن سباط الفى ألف درهم و حط عنه خراج عشرين سنه - ٢ / ٢٧٣.

٥- تفصيلات القبض على الافشين فى الطبرى ٩ / ٤٧ - ٥٠، و فى مروج الذهب ٤ / ٥٦، و فى الكامل ٦ / ٤٧٢ - ٤٧٤.

٦- الطبرى ٩ / ٥٠، و جاء فى تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٤ ان عدد الاسرى الذين استنقذوا عند سقوط مدينه البذ، كان سبعة الاف و ستمائه.

و كان بابك أرسل أخاه عبد الله الى حصن اسطفانوس، اذ قال لسنباط ليس يستقيم أن أكون أنا و أخي في موضع واحد، فلعله أن يعثر باحدنا فيبقى الآخر(١). فارسل الافشين الى عيسى بن يوسف بن اسطفانوس يطلب منه عبد الله فانفذه اليه. فلما صار في يده حبسه مع أخيه و وكل بهما حرسا يحافظ عليهما. و كتب الى الخليفة بالفتح و اطلق الحمام بذلك(٢). فأمره بالقدوم بهما عليه. فقدم بهما في أوائل صفر سنة ٢٢٣ هـ و لما صار قريبا من سامرا تلقاه هارون بن المعتصم بالله و آخرون من عائله الخليفه، و انزل الافشين بابك عنده في قصره بالمطيره.

و في اليوم التالي قعد المعتصم بالله لبابك، و اصطف الناس من باب العامه الى المطيره. و أمر الخليفه ان يشهر ببابك و ان يراه الناس، فحمل على فيل. فقال الوزير محمد بن عبد الملك الزيات(٣):

قد خضب الفيل كعادته يحمل شيطان خراسان

و الفيل لا تخضب أعضاؤه الا لدى شأن من الشان

فاستشرفه الناس حتى ادخل الى دار العامه أمام أمير المؤمنين، فأمر بقتله. و يصف المسعودى كيفيه قتله وصفا دقيقا. اذ جرد من الزينه و قطعت يده و رجلاه، ثم طعن بالسيف في قلبه، و جز لسانه، ثم صلبه على خشبه عاليه، و حمل رأسه الى بغداد و نصب على الجسر، ثم حمل الى خراسان ليطاف به في كل مدينه من مدنها، لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره و عظم شأنه(٤). ثم أمر

١- الطبرى ٩ / ٤٨.

٢- مروج الذهب ٤ / ٥٦.

٣- الطبرى ٩ / ٥٣، و الكامل ٦ / ٤٧٧.

٤- مروج الذهب ٤ / ٥٨.

يحمل أخيه الى اسحاق بن ابراهيم المصعبى ببغداد و أمره أن يفعل به ما فعل بأخيه بابك، و صلب فى الجانب الشرقى بين الجسرين (١).

و كان المعتصم بالله يجزى الافشين فى أثناء حربه مع بابك، سوى الارزاق و الانزال و المعاون، فى كل يوم يركب فيه عشره آلاف درهم، و فى كل يوم لا يركب فيه خمسه آلاف درهم (٢). كما كان كثير الاهتمام بسير الحرب دائم الاتصال بقيادتها. و لشده اهتمامه باخباره و لفساد الطريق بالثلج و غيره رتب بريدا خاصا ليوافيه بالاخبار يوميا. فجعل من سامرا الى حلوان خيلا مضمرة، على رأس كل فرسخ فرسا معه مجر مرتب، فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه الى الذى يليه يدا بيد. و كذلك رتب الخيول بعد حلوان الى اذريجان، فكانت يركض بها يوما أو يومين ثم تبدل. كما اقام دبادبه على رؤوس الجبال بالليل و النهار فيشعروا اذا وصلهم الخبر، ليتها الذى يليهم، و بدأ كان البريد يصل من عسكر الافشين الى سامرا فى اربعة أيام أو أقل (٣).

لقد ارتفعت منزله الافشين بعد انتصاره على بابك و قضائه على حركته التى شغلت الدوله قرابه اثنتين و عشرين سنه. فتوجه المعتصم بالله و ألبسه و شاحين بالجوهر، و وصله بعشرين ألف ألف درهم، منها عشره آلاف ألف درهم صله، و عشره آلاف ألف درهم بضرقتها فى عسكره، و عقد له على السند (٤). و فى ذلك يقول اسحاق بن خلف الشاعر فى قصيدته التى مدح بها المعتصم بالله، و أشاد بالافشين (٥):

١- الطبرى ٩ / ٥٤.

٢- نفس المصدر.

٣- الطبرى ٩ / ٥٢.

٤- الطبرى ٩ / ٥٥، و الكامل ٦ / ٤٧٨ و فيه انه وصله بعشرين ألف ألف درهم و عشره الاف ألف درهم يفرقها فى عسكره.

٥- الاخبار الطوال / ٣٤١.

ما غبت عن حرب تحرق نارها بالبذ كنت هنا و انت هنا كما

عزت بافشين حسامك امهو الدين متمسك به استمساكا

لما اتاك ببابك توجهه و احق من أضحي له تاجاكا

و قام فى مجلس المعتصم بالله بعض الخطباء فتكلموا، و قالت الشعراء. و من جمله من قام ابراهيم بن المهدي فقال شعرا منه (١):

يا أمين الله ان الحمد لله كثيرا هكذا النصر فلا زال لك النصر نصيرا

و على الأعداء أعديت من الله ظهيرا و هنيئا هيا الله لك الفتح الخطيرا

فهو فتح لم ير الناس له فتحا نظيرا

و مع ما كان يتمتع به الافشين من كفايه عسكريه، و شجاعه فائقه، فان نجاحه فى القضاء على بابك و حركته لم يتحقق الا بتوجيهات المعتصم بالله، و متابعتة اليوميه اخبار الحرب و سير المعارك، و انفاقه الاموال الطائله فى سبيل ذلك، بحيث وفر له كل مستلزمات النجاح للحمله العسكريه التى قادها لحرب الخرميه.

لقد حفظ لنا الطبرى احصائيه بخسائر كل من الدوله و الحركه الخرميه، اذ يقول: و كان جميع من قتل بابك فى عشرين سنه مائتى ألف و خمسه و خمسين ألفا و خمسمائه انسان. و غلب من القواد يحيى بن معاذ، و عيسى بن محمد بن أبى خالد، و أحمد بن الجنيد و قد اسره، و زريق بن على بن صدقه، و محمد بن حميد الطوسى، و ابراهيم بن الليث. و أسر مع بابك ثلاثه آلاف و ثلثمائه و تسعه اتاسى، و استنقذ ممن كان فى يده من المسلمات و أولادهن سبعة

آلاف و ستمائه. و عده من صار فى يد الأفشين من بنى بابك سبعة عشر رجلا و من البنات و الكنات ثلاث و عشرون امرأة(١). و يقدر المسعودى مجموع من قتلهم بابك فى اثنتين و عشرين سنة من جيوش المأمون و المعتصم بالله من الامراء و القواد و غيرهم من سائر طبقات الناس خمسمائة ألف على أقل تقدير(٢). و ما يذكره ابن خلدون عن عدد من قتل و من أسرو و من أنقذ من الاسرى لا- يختلف عما جاء فى الطبرى(٣)، و أحسبه قد نقل ذلك عنه. الا اننا اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد المتحاربين من الطرفين و نوع الاسلحة المستخدمة آنذاك و طبيعه الحرب التى لم تكن معاركها متواصله، و ان المعارك كانت موضعيه، فان فى تقدير المسعودى مبالغه، حتى و ان اضيف الى قتلى المعارك ما يقتل من السكان الاخرين. و ان تقدير الطبرى الذى أيدته ابن خلدون أقرب الى الصواب.

و قد انفق المعتصم بالله على حرب بابك حتى تم القضاء عليه مبالغ طائله من الاموال. فقد تذاكر بعض الكتاب فى مقدار تلك المبالغ التى انفقت، الا انهم لم يتهيا لهم حصرها، فقद्रوها بخمسمائة و قر من الدراهم(٤).

## ٢- مؤامره العباس بن المأمون:

### اشاره

واجه المعتصم بالله و هو يحارب الروم و قد اتم فتح عموريه، مؤامره استهدفت اغتياله مع عدد من كبار قواده، لا سيما الاتراك منهم، و مبايعه العباس بن المأمون بالخلافه. و كان العباس نفسه يتزعم هذه المؤامره و يؤيده عدد من القواد. و كان لهذه المؤامره،

١- الطبرى ٩/ ٥٤-٥٥.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٥.

٣- تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٥٦.

٤- العيون و الحدائق ٣/ ٣٨٩.

اضافه الى السبب المباشر لها، أسباب أخرى غير مباشره كانت تدفع المتآمرين لتنفيذ مؤامرتهم. و يمكن حصر الاسباب غير المباشره بأمرين مهمين، أولهما طمع العباس بالخلافه رغم انه كان قد بايع عمه المعتصم بالله. و سبق ان رأينا ان مبايعته كانت عن اضطرار و كراهيه. فقد سبق لمؤيديه ان شغبوا لما بويح لأبى اسحاق غداه وفاه المأمون و أرادوا العباس للخلافه و نادوه باسمها. مما اضطر المعتصم بالله حينذاك الى ان يستدعيه ليعلن لأولئك المعارضين انه بايع عمه و يطلب اليهم ان يقتدوا به، و يخلدوا الى السكينه.

و عند ما عاد المعتصم بالله الى مدينه السلام استصحب معه العباس لكي لا يتيح له فرصه للاتصال بمؤيديه. و لكن يظهر انه كانت له رغم ذلك علاقات و اتصالات ببعض مؤيديه من القواد. و ثانيهما ان استفحال سيطره القواد الاتراك و ازدياد نفوذهم على الخلافه و الجيش، و استكانه المعتصم بالله الى ولائهم جعلهم يسأثرون بالمراكز المهمه فى الجيش و حصر المغانم بهم. مما اثار حفيظه القواد العرب، و الخراسانيين على قتلهم، و من شايعهم من الجند.

و كانوا لا يفتأون يبدون تدمرهم من تزايد نفوذ الاتراك فى الجيش و الدوله.

أما السبب المباشر فقد نشأ عند ما وزع الخليفه كبار قواده على مواقعهم فى حملته على بلاد الروم، و عين صلاحيات كل منهم فى الشؤون الماليه و الاداريه. فاطلق يد الافشين و القاده الاتراك الاخرين مثل اشناس و ايتاخ فى الانفاق، و اناط بهم القيادات المهمه الفعاله. مما جعل بعض القواد الاخرين ينقمون من ذلك و اعتبروه استصغارا لشأنهم. و كان القائد العربى عجيف بن عنبسه الذى سبق ان قضى على تمرد الزط، على رأس هؤلاء الناقمين. اذ اعتقد ان الخليفه يستصغر شأنه و يستقصر أمره، فلم يطلق يده فى النفقات كما اطلق يد الافشين(١). فاشتكى ذلك الى العباس الذى

كان فى الحمله مع عمه، و لاسمه على تفريطه فى المبايعه و شجعه على ملافاه ما كان منه، و اكد له ان هناك عددا من القواد ممن ينحازون الى جانبه و يؤيدون مبايعته دون عمه. فلقى ذلك استجابته من العباس، و اتفقا على ان يتولى تنظيم الدعوه الى العباس الحارث السمرقندى الذى يصفه الطبرى بانه كان رجلا أدبيا له عقل و مداراه(١). أى انه كان سياسيا بليغا. و كان العباس يأنس بالحارث و يطمئن اليه، فصيره سفيره الى القواد الناقمين على الخليفه.

و قد استطاع الحارث ببلاغته و دهائه ان يستميل جماعه من القواد الى مبايعه العباس. و كان من بين من بايعه بعض خواص المعتصم بالله. و سمي لكل رجل من رجال الخليفه المخلصين رجلا من ثقات من بايعوه و قال لهم: اذا اظهرنا أمرنا فليشب كل منكم بالقائد الذى كلف به. فوكل من بايعه من خواص الخليفه بقتله، و من بايعه من خواص القواد الكبار كالافشين و أشناس و غير هما بقتلهم(٢). أى ان المؤامره دبرت على أساس اغتنام الفرصه المواتيه لاغتيال المعتصم بالله و كبار قواده ممن لم يشتركوا فى المؤامره، و مبايعه العباس بالخلافه. و يلاحظ ان التامر بدأ قبل تحرك الجيش من سامرا الى بلاد الروم. اذ كان المتحمسون لتنفيذ المؤامره أرادوا الوثوب بالمعتصم بالله عند ما دخل الدرب فى قله من اتباعه و هو فى طريقه الى بلاد الروم، الا ان العباس أبى ذلك، و قال: لا أفسد هذه الغزاه(٣). ثم حاولوا ثانيه عند ما تم فتح عموريه و انشغل الجند بالغنائم، و لكن العباس ارتأى تأجيل الأمر حتى

١- نفس المصدر، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٦١ و فيه ان الحارث السمرقندى من بطانه عجيف بن عنبسه.

٢- الطبرى ٧١ / ٩، و تجارب الامم ٤٩٥ / ٦، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٦.

٣- الطبرى ٧٢ / ٩، و تجارب الامم ٤٩٦ / ٦، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٦.

عوده الجيش و مرور المعتصم بالله بالدرب خاليا من اتباعه، كما حصل في المره الاولى فيسهل الوثوب به و قتله(١).

### اكتشاف المؤامرة:

رغم التكنم و الحرص الشديد للذين التزم بهما الحارث السمرقندي، فقد تسربت اخبار المؤامرة الى بعض القواد المواليين للمعتصم بالله. اذ تقدم أحد المتآمرين و هو أحمد بن الخليل الى القائد اشناس و اعلمه بان لديه معلومات مهمه عن مؤامره دبرت ضد الخليفه و انه لا يخبر بها احدا غير أمير المؤمنين نفسه. الا ان اشناس أرغمه على أن يدلى بمعلوماته الى شخصين يثق بهما الخليفه هما القائد أبي سعيد الثغرى و الكاتب احمد بن الخصيب. فأفشى اليهما أحمد بن الخليل أمر العباس و الحارث السمرقندي و من والاهما من القواد. و يبدو ان ما دفع أحمد بن الخليل الى أن يفشى سر المؤامرة هو ان اشناس كان قد ازعجته بعض تصرفاته و تصرفات زميله عمرو الفرغاني فقبض عليهما و جعلهما تحت انظاره.

فتصور ابن الخليل ان التآمر قد انكشف فحاول ان ينجو بنفسه باعترافه على الاخرين. و عند ما علم المعتصم بالله بالأمر تريت حتى تأكد من صحه الخبر لكثره عدد القواد المتهمين و بينهم عدد من خواص قواده و رجاله. فقبض على الحارث أولا فادلى بمعلومات تطابق لما اخبر به ابن الخليل. فلم يبق لدى الخليفه شك في صحه ما وصله من اخبار عن التآمر على حياته و حياه عدد من قواده، فقبض على العباس و استطاع ان يستدرجه و يتعرف على القواد المتآمرين معه. و قد ذكر الطبرى أسماء عدد ممن تآمروا من القواد و هم: عمرو الفرغاني، و عجيف بن عنبسه، و السندی بن بختاشه،



و الشاه بن سهل، و هرثمه بن النضر الختلى (١). فاتبعت المعتصم بالله القواد المتآمرين حتى اخذهم جميعا. و قد استخدمت وسائل مختلفه فى القضاء عليهم، بحيث لم يمض على القبض عليهم بضعة أيام حتى قتلوا جميعا، عدا هرثمه الختلى اذ كان الافشين استوهبه من المعتصم بالله فوهبه اياه (٢)، و السندى بن بختاشه الذى أمر الخليفه بان يوهب لأبيه القائد بختاشه لأنه لم يشترك فى المؤامره (٣) و بذلك قضى على المؤامره و هى فى مهدها. و يظهر ان المعتصم بالله تفنن فى طرق قتلهم تشفيا منهم. و يقول صاحب العيون و الحدائق: لم يزل المعتصم بالله يقتل واحدا واحدا من القواد كل واحد منهم بفن من القتل، الواحد بضرب العنق، و الآخر بالخنق، و الآخر بالضرب بالخشب حتى يموت (٤).

أما العباس فكان فى قبضه الافشين، فلما وصل المعتصم بالله منبج طلب العباس طعاما فقدم اليه الكثير منه فأكل. و لما طلب الماء منع منه، و ادرج فى مسح فمات ٨٢. و قد وجد له مائه ألف و ستة عشر ألف دينار، فأمر الخليفه أن تفرق على الجند و يومروا ان يلعنوه. فاحصى عددهم فوجدوا ثمانين ألف مرتزق، فدفع اليهم دينارين لكل جندي، و تمم المعتصم بالله المبلغ المطلوب من عنده (٥). و فى هذا الخبر اشاره الى عدد من بقى من الجند الذين كانوا فى الحمله مما يجعلنا نستنتج ان عدد افراد الحمله لم يكن يقل عن المائه ألف جندي. و يقدر ابن لعيه عدد الفاتحين بأكثر من

- 
- ١- الطبرى ٧٨ / ٩، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٨ و يقدر عدد القواد الذين قبض عليهم بسبعين قائدا، و تجارب الامم ٦ / ٥٠١ - ٥٠٢ و فيه: عمر الفرغانى و هرثمه بن النضر الجيلى.
  - ٢- الطبرى ٧٨ / ٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٠٢.
  - ٣- الطبرى ٧٨ / ٩.
  - ٤- العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٨.
  - ٥- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٦.

ثلثمائه ألف رجل(١). و لا بد انه أخذ بنظر الاعتبار فى تقديره المطوعه الى جانب الجند النظامى.

و ذكر ابن الاثير عن عجيّف بن عنبسه الذى قتل عطشا و دفن فى باعثايا قرب الموصل، قصه تستدعى التأمل. قال: ان محمد بن على الاسكافى، كان يتولى اقطاع عجيّف، فرفع عليه انه خانه، فاخذة عجيّف و اراد قتله، فبال فى ثيابه خوفا من عجيّف، ثم شفع فيه فحبسه. و لما قتل عجيّف اطلق سراح محمد. ثم ما لبث ان تقلد عملا- فى نواحى الجزيره. فخرج يوما الى تل فى باعثايا فجلس يبول عليه. فخرج عليه رجل من أهل المنطقه و قال له: فى هذا التل الذى تبول عليه قبر عجيّف. فعجب محمد الاسكافى من بوله على نفسه خوفا من عجيّف، و بوله على قبره(٢).

عاد المعتصم بالله الى سامرا سالما فسمى العباس يومئذ باللعين.

و أمر بسجن أولاد المأمون فحبسهم ايتاخ فى أحد سراديب داره حتى ماتوا(٣). و قد انشد مروان بن أبى الجنوب المعتصم بالله قصيده لما كان من أمر العباس و عجيّف، جاء فيها(٤):

ألا يا دوله المعصوم دومى فانك قلت للدنيا استقيمى

هوى العباس حين أراد غدرا فوافى اذ هوى قعر الجحيم

كذلك هوى كمهواه عجيّف فاصبح فى سواء لظى الحميم

قال المعتصم بالله: أبعدہ اللہ.

١- النبراس / ٦٣.

٢- الكامل ٦ / ٤٩٢-٤٩٣، و الفرج بعد الشده ٢ / ٢٦ و فيه اسمه محمد بن الفضل الجرجرائى.

٣- الطبرى ٩ / ٧٩. و تفصيل المؤامره فى: الطبرى ٩ / ٧١-٧٩، و تجارب الامم ٦ / ٤٩٣-٥٠٢، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٥-٣٩٨، و الكامل ٦ / ٤٨٩-٤٩٢.

٤- الاغانى ١٢ / ٨٤.

**نتائج المؤامره:**

كان من أهم نتائج القضاء على مؤامره العباس استقرار الخلافة للمعتصم بالله و أبنائه، بعد ان تخلص من منافسه ابن أخيه الذى كانت تراوده فكره الوثوب بعمه بتأييد عدد من القواد الناقلين على الخليفه. الا- ان ذلك أدى الى زياده نفوذ ال-تراك على الخليفه و توسع سلطانهم و تدخلهم فى شؤون الدوله، بعد ان وقف قاداتهم الى جانبه ضد المتآمرين، و عاونوه فى القضاء عليهم.

و بالعكس فقد اضعف ذلك شأن القواد و الجند العرب، لا سيما و انه سبق للمعتصم بالله ان أمر فى أوائل خلافته باسقاط عدد من الجند العرب من الديوان و قطع اعطياتهم عند ما وقفوا الى جانب المنادين بخلافه العباس عند موت المأمون.

على ان هذه المؤامره اضطرت الخليفه المعتصم بالله على ايقاف حملته العسكريه على بلاد الروم، و الاسراع فى العوده الى العاصمه سامرا. بعد ان كان سير المعارك يبشر بانتصارات و فتوح واسع للجيوش العربى. و قد اشرنا عند الكلام عن فتح عموريه الى ان خطه المعتصم بالله فى حربته مع الروم كانت تستهدف التقدم نحو القسطنطينيه عاصمه البيزنطيين. و لذلك فان هذه المؤامره حالت دون سحق الدوله البيزنطيه و فتح عاصمتها، و يمكن اعتبار ذلك من أهم نتائج المؤامره المذكوره.

**٣- مؤامره الافشين:****اشاره**

يظهر مما يرويه البلاذرى ان الافشين حيدر بن كاوس كان ابن ملك اشروسنه و قد غضب عليه أبوه حين قتل أحد رجاله.

فشخص الى مدينه السلام و أظهر اسلامه. و انه اتصل بالخليفه المأمون و سهل له أمر الاستيلاء على اشروسنه و وصف له طريقا مختصره لتحقيق ذلك، فوجه المأمون كاتبه احمد بن أبى خالد

لغزوها. فقدمها وافتتحها، فاستسلم ملكها كاوس و أظهر اسلامه، فأقره المأمون ملكا عليها(١). و اثر الافشين البقاء فى عاصمه الخلافه لانه رأى فيها مجالا واسعا لتحقيق مطامحه.

و قد اتصل الافشين بابى اسحاق و هو امير على مصر و بلاد الشام من قبل أخيه المأمون. فاعجب أبو اسحاق بشجاعته و كفايته فى الحرب، فقربه اليه و جعله من رجاله. و عند ما تولى الخلافه أصبح الافشين فى مقدمه قواده. و عقد له على رياسه الجيش الذى وجهه لحرب بابك الخرمى الذى استفحلت دعوته. و استطاع الافشين بما بذله الخليفه من الاموال و ما سيره من الجيوش و كبار القواد، ان يقضى على ثوره بابك و جاء به اسيرا الى سامرا حيث قتل و صلب.

و لما وصل الافشين سامرا عائدا من حرب بابك أكرمه الخليفه و منحه مبلغا كبيرا من المال، و قد سبقت الاشاره الى ذلك.

و عند ما خرج المعتصم بالله الى بلاد الروم لتأديبهم و ايقاف اعتداءاتهم على الثغور العربيه، اسند الى الافشين قياده أحد جيوش الحمله. و قد استطاع ان يهزم ملك الروم فى أحد المعارك مما سهل لجيش الخليفه اقتحام عدد من مدن الروم و حصونهم و فتح حموريه أكبر مدنهم بعد القسطنطينيه.

### الأفشين و عصيان مازيار:

الأفشين و عصيان مازيار(٢):

لقد تعرض الافشين الذى بلغ أوج مجده بعد قضائه على تمرد بابك، و حسن بلائه فى حرب الروم، الى غضب الخليفه المعتصم بالله لما بدر منه من أمور تنطوى على سوء النيه. و من هذه الامور عصيان مازيار حاكم طبرستان. فقد كان الخليفه المأمون قد ولى مازيار بن قارن اماره طبرستان و سماه محمدا. و كان أبوه من قبل ملكا عليها

١- فتوح البلدان / ٤١٩.

٢- يسميه البلاذرى مايزديار- فتوح البلدان / ٣٣٤.

و قد أعلن العصيان فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور، و كان المهدي بن المنصور حينذاك فى خراسان على رأس حملة عسكريه، فأمره أبوه بالقضاء على عصيانه. فوجه اليه القائد خازم بن خزيمه فاسر قارن و فتحت طبرستان(١).

و لما استخلف المعتصم بالله أقر مازيار على عمله. و كانت علاقته مازيار بعبد الله بن طاهر أمير خراسان سيئه، و لم يكن مازيار يحمل اليه خراجه مباشره، بل يتسلمه ممثل للخليفة و يحمله الى عبد الله(٢). و كان عبد الله لا يفتأ يكتب الى المعتصم بالله عن مخالفات مازيار مما اقنعه بعدم ولائه للخلافه و الدوله العربيه.

و مما شجع مازيار على مخالفته أمير خراسان تأييد الافشين له، لانه كان يطمح بولايه خراسان، و يريد أن ينقل الملك الى العجم(٣).

و لذلك اتصل بمازيار يستميله و يغيره بعبد الله و يدفعه الى محاربه(٤). كما كان بنفس الوقت يحرض المعتصم بالله على و انى خراسان سيما و انه كان يسمع من الخليفه أحيانا ما يدل على انه يريد عزله(٥). و يهدف من ذلك ان يضعف مركز عبد الله فيعجز عن القضاء على عصيان مازيار. فلا يجد الخليفه بدا من اقالته و تعيين الافشين بدلا عنه. على ان مناصره الافشين لمازيار لم تكن بدافع النكايه بعبد الله بن طاهر فقط، بل كما يبدو من فحوى المكاتبه بينهما انما كانا يسعيان لهدف مشترك هو اضعاف الدوله العربيه و الاسلام و أحياء المجوسيه. فقد اعترف مازيار لما قبض عليه و حمل الى سامرا: انه بعثه على الخروج و العصيان لمذهب كانوا اجتمعوا

١- كتاب البلدان / ٣٠٣.

٢- الطبرى ٨٠ / ٩، و تجارب الامم ٥٠٢ / ٦.

٣- البدء و التاريخ ١١٩ / ٦.

٤- الطبرى ٨٠ / ٩، و تجارب الامم ٥٠٢ / ٦-٥٠٣، و العيون و الحداثق ٣ / ٣٩٩.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٢٤٠.

عليه، و دين اتفقوا عليه من مذاهب الثنويه و المجوس(١). و مازيار مثل الافشين لم يعتنق الاسلام الا-ظاهريا، فقد كفر و غدر(٢). و قد سبق ان اشرنا الى انه كاتب بابك الخرمي يحرضه و يعرض عليه النصره. كما ظهرت ميوله الخرميه عند ما أمر الاكره بانتهاب أموال أرباب الضياع و غلاتهم.

اعلن مازيار تمرده في سنه ٢٢٤ هـ و اجبر الناس على مبايعته و أخذ منهم الرهائن، و اهتم بجمع الاموال فجبي في شهر ما كان يؤخذ في سنه(٣). ثم بعث أحد قواده الى مدينه آمل فاجلى أهلها و خرب سورها. ففرغ أهل جرجان القريبه من آمل و خافوا على أنفسهم و أموالهم فهرب منهم كثيرون الى نيسابور. و لما انتهى خبير ذلك الى عبد الله بن طاهر وجه عمه الحسن بن الحسين في جيش كثيف لحمايه جرجان، و وجه حيان بن جبله في عدّه آلاف لحمايه قومس. و وجه الخليفه القائد محمد بن ابراهيم المصعبى في جيش كثيف ليدخل طبرستان، معاونه لعبد الله بن طاهر في اخماد الحركه و الفتنة المجوسيه.

لم يستطع مازيار و اتباعه مواجهه الجيوش التي احاطت بهم، فضعفت مقاومتهم و طردوا من المدن التي كانوا استولوا عليها.

و بعد عدّه معارك تمكنت هذه الجيوش من الانتصار على المتمردين و أسر رئيسهم مازيار. و للقبض على مازيار قصه ذكرها مفصله كل من الطبرى و مسكويه و صاحب العيون و الحقائق(٤). و بعث عبد الله بن طاهر الى عمه الحسن ان يسلم مازيار و أهل بيته الى محمد بن ابراهيم ليحملهم الى أمير المؤمنين بسامرا، كما طلب اليه ان

١- مروج الذهب ٤ / ٦١.

٢- فتوح البلدان / ٣٣٤.

٣- الطبرى ٩ / ٨٣.

٤- الطبرى ٩ / ٨٩ - ٩٥، و تجارب الامم ٦ / ٥٠٨ - ٥١١، و العيون و الحقائق ٣ / ٤٠٠ - ٤٠٢.

يستصفي أموال مازيار، فاحضره الحسن و سأله عن أمواله و أحضر شهودا ليشهدوا عليه. فاعترف بان جميع ما حملة من أمواله ستة و تسعون ألف دينار، و سبع عشره قطعه زمرد، و ست عشره قطعه ياقوت أحمر، و ثمانية أوقار سلال مجلده فيها ألوان الثياب، و تاج، و سيف من ذهب، و خنجر من ذهب و كلل بالجواهر، و حق كبير مملوء جواهر. و قد تسلمها منه محمد بن الصياح خازن عبد الله بن طاهر.

و ذكر على بن ربن الطبرى كاتب مازيار ان ذلك الحق كان ثمن شراء جوهره ثمانية عشر ألف درهم (١).

و عند ما حمل مازيار الى عبد الله بن طاهر، و عده ان هو اظهره على كتب الافشين اليه فسوف يسأل فيه الخليفه ليصفح عنه، فاطهر مازيار الكتب لعبد الله فاخذها منه و سيرها معه الى اسحاق بن ابراهيم المصعبى و طلب اليه الا يسلم مازيار و الكتب الا بيد أمير المؤمنين (٢). فاوصل اسحاق ذلك الى الخليفه. فسأل المعتصم بالله مازيار عن الكتب فانكرها، فأمر بضربه (٣). الا انه عند ما جمع بينه و بين الافشين فى دار العامه، و كان الافشين قد حبس، أقر مازيار بان الافشين كان يكاتبه و يصوب له الخلاف و المعصيه (٤).

الا ان الطبرى يقول ان المازيار عند ما سئل بحضور الافشين ما اذا كان كتب اليه، قال «نعم، كتب أخوه خاش الى أخى قوهيار انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيرى و غيرك و غير بابك، أما بابك فأنه بحمقه قتل نفسه، و لقد جهدت أن أصرف عنه الموت فابى حمقه الا- ان دلاه فيما وقع فيه. فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ... ثم تجول الخيل عليهم جوله فتأتى على

١- الطبرى ٩/ ٩٦، و تجارب الامم ٦/ ٥١٢، و فيه: على بن زين كاتب مازيار.

٢- الطبرى ٩/ ٩٩- ١٠٠، و تجارب الامم ٦/ ٥١٤، و العيون و الحقائق ٣/ ٤٠٣.

٣- الطبرى ٩/ ١٠٠.

٤- الكامل ٦/ ٥١٠.

آخرهم، و يعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم»<sup>(١)</sup>. و يقول اليعقوبى ان مازيار قال و الله ما كتب الى و لا راسلنى الا ان أبا الحارث و كيلي أخبرنى انه لما قدم عليه بره و أكرمه<sup>(٢)</sup>.

و ازاء هذا التردد فى الاعتراف و الانكار من مازيار غضب الخليفة عليه فأمر به فضرب حتى مات، و صلب الى جانب بابك.

و يقال ان الخشبه التى صلب عليها مالت نحو خشبه بابك فتدانت أجسامهما. و كان صلب فى ذلك الموضع ياطس بطريق عموريه أيضا، و قد انحنت خشبه نحوهما كذلك. و فى ذلك يقول أبو تمام الطائي<sup>(٣)</sup>.

و لقد شفى الاحشاء من برحائها ان صار بابك جار مازيار

ثانيه فى كيد السماء و لم يكن لأثنين ثان اذ هما فى الغار

و كأنما انتبذا لكيما يطوياعن ياطس خبراً من الاخبار

### الأفشين و عصيان منكجور:

من الامور الاخرى التى اتهم بها الافشين عصيان منكجور الفرغانى خال أولاد الافشين و عامله على اذربيجان. فقد احتجز منكجور لنفسه أموالا-وجدها فى بعض قرى بابك، و لما طوب بها انكرها. و بلغ ذلك الخليفة فامر الافشين بان يعزله من الولايه.

فوجه اليه الافشين أبا الساج المعروف بديوداد. و لما بلغ منكجور الخبر أعلن العصيان. الا انه هزم أمام الجيش الذى وجه اليه و التجأ الى أحد الحصون فى اذربيجان مما خربه بابك، و حاول ان

١- الطبرى ٩ / ١٠٩.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٧.

٣- ديوان ابى تمام ٢ / ١٩٨ - ٢٠٩، و جاء اسم ياطس فيه: ناطس.



يتحصن فيه. الا ان بعض اتباعه و ثبوا به و اسلموه الى قائد الحمله. و لكن الخليفه اتهم به الافشين لأنه بلغه ان منكجور انما أعلن التمرد بأمره و انه وجه أبا الساج مددا له لا- حريا عليه. مما اضطر الخليفه ان يرسل اليه القائد بغا الكبير فاسره و قدم به الى سامرا(١)، فأمر الخليفه بحبسه.

### غضب الخليفه على الأفشين:

اعتاد الافشين فى خلال حربته بابك ان يجمع ما يصل اليه من الاموال و الهدايا و يبعث به مع بعض اتباعه الى بلده اشروسنه. و لما علم عبد الله بن طاهر بذلك كتب به الى الخليفه المعتصم بالله، فأمره باعلامه بكل ما يوجه به الافشين الى هناك. فأخذ أمير خراسان يتبعه و يوصل اخباره الى الخليفه. و لا- ريب فى ان جمع الافشين أمواله فى بلده و بين اتباعه دليل على انه كان ينوى أمرا، مما يقتضى مراقبته و متابعه حركاته و اتصالاته. كما لوحظ ان الافشين كان يتلکأ فى محاربه بابك مما اثار الشبهه بأنه كان متواطئا معه، و جعل الخليفه يشك بولائه. يقول ابن الجوزى انه عند ما توجه لمحاربه بابك تخاذل عن قتاله و اضمر موافقته فى ضلاله(٢). و يرى ابن دحيه ان المعتصم بالله قتل الافشين لما واطأ بابك، فانه تاره كان معه و تاره كان عليه(٣). و عند ما يتكلم البغدادى عن الباطنيه يذكر الافشين منهم و يقول انه كان فى سره مع بابك و قد توانى فى القتال معه و دله على عورات عساكر المسلمين فقتل الكثير منهم، و لما اسر بابك و صلب ظهر للخليفه غدر الافشين و خيانتته فى حروبه مع بابك، فأمر بقتله و صلبه(٤).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٨، و هو يرى ان هذا اول أسباب حبس الافشين، ص: ٤٧٧.

٢- المنتظم ٥ / ١١٤.

٣- النبراس / ٧٣.

٤- الفرق بين الفرق / ١٧١.

يمكن الاستنتاج من هذا ان الافشين كان يخطط لحركه انفصاليه يقوم بها فى منطقته التى يدين اهلها بالولاء له و لعائلته.

و تمهيدا لذلك تطلع الى ولايه خراسان فكاتب مازيار و هو حاكم طبرستان، و كان يتفق معه فى أهدافه، يغريه بالتمرد على عبد الله بن طاهر و يشجعه على الانتقاض على الخلافه العباسيه. و ازاء هذا كله ليس من الغريب ان يتغير الخليفه على كبير قواده، و يتوجس منه الانتقاض و شق عصا الطاعه. كما ان الافشين شعر بتغير الخليفه عليه، فعزم على ان يحتال للهرب قبل أن ينكشف أمره. فدبر أمر هروبه بطريق الموصل الى أرمينية، كان المعتصم بالله قد ولاءه عليها، و من هناك يعبر الى بلاد الخزر ثم يتجه صوب أشروسته(١). و قد اختار هذا الطريق للوصول الى بلده تمويها للآخرين. الا ان الهرب تعسر عليه لكثرة العيون التى كانت تراقب حركاته. فعزم على ان يفتك بالخليفه و كبار قواده بوليمه يدعوهم اليها و يدس لهم السم فى الطعام فيقضى عليهم جميعا.

و حتى اذا تعذر حضور الخليفه الى وليمته فانه سيتخلص من كبار القواد الموالين له امثال ايتاخ و اشناس، مما يسهل له أمر الوثوب، و قد أخذ يهوى لذلك. الا ان أحد قواده و هو واجن الاشر و سنى علم بنواياه فاستنكرها فتهدهد الافشين. فبادر واجن الى اعلام الخليفه بما عنده من نوايا الافشين و ما عزم على القيام به. فوجه المعتصم بالله حاجبه محمد بن حماد بن دنقش يدعو الافشين اليه. فجاء الافشين فى سواد، فأمر الخليفه بأخذ سواده و حبسه فى الجوسق.

و كتب الى عبد الله بن طاهر ان يحمل اليه الحسن بن الافشين من خراسان. فاحتال عبد الله فى القبض عليه، ثم وجه به و بزوجته اترنجه الى سامرا. و لما حبس الافشين عزل عن الحرس و ولى اسحاق بن يحيى بن معاذ بدلا عنه(٢).

١- الكامل ٥١٢ / ٦

٢- الطبرى ١٠٣ / ٩

و يعزو ابو المحاسن غضب المعتصم بالله على الافشين الى عداوته لعبد الله بن طاهر و لأحمد بن ابي دواد، فعملا عليه و نقلا عنه انه يكاتب مازيار، و يقول ان المعتصم بالله تأكد من ذلك من كاتب الافشين الذى اعترف بانه كتب الى مازيار يأمر الافشين يقول له «لم يبق غيرى و غيرك و غير بابك الخرمى، و قد مضى بابك، و جيوش الخليفة عند ابن طاهر، و لم يبق عند الخليفة سوى، فان هزمت ابن طاهر كفتك أنا المعتصم بالله، و يخلص لنا الدين الابيض - يعنى المجوسيه- و كان الافشين يتهم بها»(١).

و يقول شمس الدين الذهبى ان سبب غضب المعتصم بالله على الافشين انه اتهم بعباده صنم، و كان اقلف، ثم يقول: و خافه أيضا(٢).

و قيل ان احمد بن أبى دواد وجد على الافشين لكلام بلغه عنه، فإشار على المعتصم بالله بان يجعل الجيش نصفاً مع الافشين و نصفاً مع أشناس. ففعل الخليفة ذلك، فوجد الافشين من هذا الاجراء باعتباره يقلل من أهميته كقائد عام للجيش، و طال حزنه و اشتد حقه. فقال ابن ابي دواد للمعتصم بالله: ان أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده فى أبى مسلم فكان جوابه ان قال: يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول «لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا»(٣) فقال له المنصور: حسبك، ثم قتل أبا مسلم. فقال المعتصم بالله: حسبك انت أيضا يا أبا عبد الملك، ثم وجه الى الافشين فقتله(٤).

و جاء فى الهفوات النادرة ان الافشين رأى فى منامه قبل ان يسخط عليه المعتصم بالله رؤيا افزعته، فبعث الى مفسر ليفسرها له.

١- النجوم الزاهرة ٢ / ٢٤٢.

٢- كتاب دول الاسلام ١ / ٩٨.

٣- سورة الانبياء، الايه: ٢٢.

٤- الاخبار الطوال / ٣٤١.

قال: رأيت كأن الشمس والقمر دخلا- على وأنا جالس في بهو فقعد احدهما على كتفى الايمن و الاخر على كتفى الايسر، فانتبهت لجزعى منهما. قال المفسر: اقرأ «لا اقسم بيوم القيامة» فقرأها حتى بلغ «جمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر»(١). فاخذته رعدة وزمع- و الزمع رعدة تعترى الانسان ان هم بأمر- فما مضت عليه ثلاثه حتى قبض عليه(٢). و اذا صحت هذه الروايه فهي دليل على ما كان يشغل بال الافشين من الخروج عن الخليفه و احتمال فتل حركته و ما يترتب على ذلك من وقوعه بأيدي الخليفه و قتله، مما أظهره عقله الباطن بهذه الرؤيا المرعبه.

### محاكمه الأفشين:

أوكل المعتصم بالله الى مجلس خاص مؤلف من وزيره محمد بن عبد الملك الزيات و كبير قضااته أحمد بن أبي دواد، و خليفته ببغداد اسحاق بن ابراهيم المصعبى، و عدد من القضاة و الفقهاء، ليتولى محاكمه الافشين. و لما كان العباسيون قد أقاموا خلافتهم على أساس دينى و اتخذوا الدين وسيله لتثبيت سلطانهم، و ضرب من يخرج عليهم، اذ انهم مزجوا الدين بالسياسه بحيث يعتبر الخروج على الخلافه جريمه دينيه تنطوى على الكفر، فقد حاول المجلس المذكور حشد ما اعتبر من المخالفات الدينيه التى قام بها الافشين و التى اذا ما ثبتت عليه كانت كافيه لادانته بالكفر و الزندقه و انه لم يسلم حقيقه، و الحكم عليه بالموت بموجب أحكام الشريعه الاسلاميه.

عقد المجلس المذكور للمحاكمه و احضر الافشين. كما احضر الشهود و هم مازيار حاكم طبرستان، و الموبد، و المرزبان بن

١- سوره القيامه، الايات ١- ١٠.

٢- الهفوات النادره / ١٨٥- ١٨٦.

تركش و هو أحد ملوك الصغد، و رجالان من اهل الصغد. و كان المناظر له قاضى القضاء احمد بن أبى دواد. أما التهم التى وجهت اليه فهى:

١- انه ضرب كلا من امام و مؤذن المسجد الذى بنى فى الصغد ألف سوط كل واحد منهما.

٢- احتفاظه فى بيته بكتاب محلى بالذهب و الجواهر فيه كفر بالله تعالى.

٣- شهاده الموبذ بأكله لحم المخنوقه، اذ قال: ان هذا كان يأكل المخنوقه و يحملنى على أكلها، و يزعم انها ارطب لحما.

٤- كتابه أهل بلده اليه بالاشر و سنيه ما معناه الى اله الآلهه من عبده فلان ابن فلان.

٥- عدم اختتانه.

٦- مكاتبته مازيار و اغراؤه بالخروج على أمير خراسان.

أجاب الافشين عن التهمه الاولى بأن بينه و بين ملك الصغد عهد بات يترك كل قوم على دينهم، و ان هذين الرجلين و ثبا على بيت فيه أصنام لأهل أشروسنه، فاخرجا الاصنام و صيراه مسجدا، فضربهما على ذلك لتعديهما.

و عن احتفاظه بالكتاب المحلى بالذهب و الجواهر، قال انه ورثه عن أبيه و فيه آداب العجم و كفرهم، و انه كان يأخذ الآداب و يترك الكفر. أما الحليه التى فيه فانه غير محتاج الى انتزاعها منه، فتركها على ما هى عليه.

أما عن أكله لحم المخنوقه، و كان قد شهد عليه بذلك الموبذ و هو مجوسى، فقد طعن الافشين بشهادته لانه لا يجوز قبولها بموجب أحكام الشريعه الاسلاميه، و ان الموبذ شخص غير ثقه.

و أجاب عن أسلوب مكاتبه أهل بلده معه بأن تلك هي عادتهم في مكاتبه أبيه و جده، و قد كره ان يضع نفسه دونهما فتنفسد عليه طاعتهم.

و عن عدم اختنانه قال انه خاف ان يقطع ذلك العضو من جسمه فيموت. و لما قيل له انه يقاتل بالسيف و الرمح، و يخوض الحرب، و يجزع من قطع قلفه. أجاب ان تلك ضروره تصيبه، و الاختتان شىء يستجلبه لنفسه.

أما التهمه الاخيره التي كانت وحدها ذات الطبيعیه السياسيه و التي كانت سبب غضب الخليفه عليه و حبسه فلم تثبت عليه بشكل قاطع. اذ ان شهاده مازيار، كما سبق أن أشرنا، ترددت بين الاعتراف و الانكار. و كان الافشين قد انكر التهمه منذ البدايه.

و عند ما قيل له ان أخاه كاتب اخا مازيار بذلك، انكر ان تكون المكاتبه قد جرت بعلمه، و انه غير مسؤول عما كتبه أخوه. ثم استفسر عما اذا كان هناك ما يمنع من أن يحاول استماله مازيار ليثق به ثم يسلمه الى الخليفه، فيكون بذلك قد نصر الخليفه و نال الحظوه لديه. و هو استفسار أقرب الى أن يدينه من أن يبرىء ساحته من هذه التهمه، لأنه ينطوى على اعترافه الضمنى بمكاتبته مازيار.

قال أحمد بن ابى دواد فى نهايه المناظره انه قد وضح أمر الافشين، أى انه ثبتت عليه المخالفات التي اتهم بها. و أمر بغا الكبير ان يعيده الى السجن، رغم اعتراض الافشين على ذلك. و كان الحبس الذى سجن فيه فى الجوسق شبيها بالمناره، و قد جعل فى وسطها دكه لجلوسه(١).

لقد حاول الافشين ان يقنع الخليفه ببراءته مما نسب اليه من التهم. فطلب اليه ان يبعث له بمن يثق به لكي يؤدى اليه ما

سيقوله له. فانفذ المعتصم بالله نديمه حمدون بن اسماعيل. فأخذ الافشين ينفي كل ما قيل فيه من التهم، و عزا ذلك الى انه حسد على ما ناله من حظوه و منزله عاليه لدى الخليفه، و انه لا يزال على و لائه له لانه ربي فى كنفه و تقدم برعايته. ثم التمس من الخليفه ان يراعى حقه عليه و خدمته له. فلما انصرف حمدون من الافشين و ابلى رسالته الى الخليفه، أمر بقطع الطعام و الشراب عنه الا القليل حتى مات (١). و يذكر حمدون انه رأى بين يدي الافشين طبق فاكهه أرسله اليه المعتصم بالله مع ابنه هارون، و انه لما خرج منه لم يلبث قليلا حتى قيل ان الافشين يموت أو قدمات (٢). اشارة الى ان الفاكهه كانت مسمومه.

و لما مات الافشين حمل الى دار ايتاخ، ثم اخرج و صلب على باب العامه بسامرا عريانا ساعه من نهار ليراه الناس. ثم طرح و احرق مع خشبته و القى الرماد فى نهر دجله (٣).

و كان الخليفه حين أمر بحبس الافشين وجه الكاتب سليمان بن وهب ليحصى ما فى داره فى المطيره. فوجد بيتا فيه تمثال انسان من خشب عليه حليه كثيره و جوهر، و فى اذنيه حجران أبيضان مشتبان، عليهما ذهب. كما اخرج من منزله اصناما مع الاطراف الخشب التى اعدھا لهروبه. و وجد له كتابا من كتب المجوس، و كتب دينيه أخرى (٤).

و مدح أبو تمام الطائى الخليفه المعتصم بالله بهذه المناسبه مشيرا الى صلب الافشين و حرقه، بقصيده طويله جاء فيها (٥):

الحق أبلج و السيوف عوارف حذار من اسد العرين حذار

١- الطبرى ٩ / ١١٤.

٢- الطبرى ٩ / ١١٣، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٥، و الكامل ٦ / ٥١٨.

٣- الطبرى ٩ / ١١٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٥، و الكامل ٦ / ٥١٨.

٤- الطبرى ٩ / ١١٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٥.

٥- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ٢ / ١٩٨ - ٢٠٩.

ملك غدا جار الخلافه منكم و الله قد اوصى بحفظ الجار

يا رب فتنه أمه قد بزها جبارها في طاعه الجبار

جالت بخيذر جوله المقدار فأحله الطغيان دار بوار

كم نعمه لله كانت عنده فكأنها في غربه و أسار

ثم يقول:

مكرا بنى ركنيه الا انه وطد الاساس على شفيرها

حتى اذا ما الله شق ضميره عن مستكن الكفر و الاصرار

و يقول:

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى

نارا يساور جسمه من حرها لهب كما عصفت شق ازار

طارت لها شعل يهدم لفحها أر كانه هدمها بغير غبار

مشبوهه رفعت لاعظم مشرك ما كان يدفع ضوءها للساوى

فصلن منه كل مجمع مفصل و فعلن فاقره بكل فقار

صلى لها حيا و كان وقودها ميتا و يدخلها فى الفجار

و كذلك اهل النار فى الدنيا هم يوم القيامة جل اهل النار

### خاتمه:

مما يلفت النظر فى محاكمه الافشين عدم سماع شهاده واجن الاشر و سنى الذى يعتبر الشاهد الاصلى على محاوله الافشين الخروج على الخليفه و الفتك بكبار القواد، و التى بموجبها أمر المعتصم بالله بحبسه. كما أن ما ادلى به هذا الشاهد لم يسأل عنه الافشين، و لم يسأل كذلك عن مواطأته بابك، و مساعدته منكجور. و لا ندرى



ما اذا كان مجلس التحقيق اغفلها مكتفيا بالتهم الدينيه لوضوحها، أم ان المؤرخين الذين سردوا تفاصيل المحاكمه اهلوا الاشاره اليها، أم ان التهم الدينيه وحدها كانت سبب غضب الخليفه على كبير قواده. و نرجح ان ما ذهبنا اليه آنفا من ان اهمال الجوانب السياسيه و التأكيد على المخالفات الدينيه مما اتهم به الافشين كان مقصودا المسبب الذى أشرنا اليه.

على اننا يجب ان لا نغفل ما صار اليه الافشين من مركز مرموق، و ما له من داله على الخليفه المعتصم بالله، بسبب الانتصارات المتتاليه التى احرزها فى حروبه. بحيث اخذ كبار رجال الدوله يرهبون جانبه و يخشون سطوته. و قد تسرب الحسد الى نفوسهم، فعملوا على التخلص منه، مستغلين بعض ما ظهرت منه من تصرفات يؤاخذ عليها، فكان لهم ما اردوا. و لعل مما زاد فى حقدهم عليه اعتداده بنفسه و تعاليه عليهم. و قد اورد الخطيب الاسكافى ما يؤيد هذا حيث يقول ما خلاصته ان الافشين بعد عودته مع أمير المؤمنين من حرب عموريه تقدمت حاله لديه لبلائه الحسن فى حرب بابك و حرب الروم. فاخذ يستخف برجال الدوله، لا سيما بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات و القاضى أحمد بن ابى دواد، فاعملا الفكر فى كيفيه التخلص منه. و لم يريا أبلغ من ايحاشه من الخليفه. فاستخدما لذلك محمد بن ابراهيم، و كان صديقا حميما للافتين و وعداه بولايه فارس و الاهواز اذا استطاع ان يوحش الافشين من المعتصم بالله. فادخل محمد فى روع الافشين بما لفته من الاخبار ان امير المؤمنين قد تغير عليه و انه يعمل على التخلص منه، مما زرع بذور الشك و سوء الظن فى نفس الافشين. و عند ما دخل الافشين بعد ذلك على المعتصم بالله و كان فى حينه ضجرا ببعض أموره، رآه متغير البشر عابس الوجه، فصدق عنده ما اخبره به محمد بن ابراهيم، فحاذر على نفسه و تحرز فى بيته. و لما بلغ المعتصم بالله فعله انكره، و كان ابن الزيات و ابن ابى دواد لم يألوا

جهدا فى اىحاشه منه. و اغنم ابن ابى دواد الفرصه فحذر المعتصم بالله من دخول الاعاجم عليه و هم مسلحون بالسيوف و الخناجر و هو أعزل. فنفر قلب المعتصم بالله من الافشين. و لم تزل الوحشه تتفاقم بينهما حتى أمر المعتصم بالله بحبس الافشين و قتله(١).

رغم ان الافشين من أصل تركى من قبائل ما وراء النهر التى كان أغلبها و ثنيا، فقد كان يعتنق المجوسيه. و قد اتضح من محاكمته انه لم يكن اسلم عن يقين و ايمان. و لهذا فهو يلتقى مع الفرس فى مجوسيته و فى كراهيته الشديده للعرب. فقد كان يقول:

اذا ظفرت بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بالدبوس(٢).

و وصفهم فى كتابه الى مازيار بقوله: و العربى بمنزله الكلب اطرح له كسره ثم اضرب رأسه بالدبوس(٣). و قد اتخذ الدين الاسلامى الذى اعتنقه عند ما جاء الى بغداد، و التقرب الى العرب الحكام و سيله لتحقيق مطامحه التى تكشفت فى عمله على الانفصال عن الدوله العربيه و اعاده المجوسيه. و ذلك نفس ما كان يعمل بابك الخرمى على تحقيقه. و قد كانت تصرفات الافشين فى حرب بابك تنم عن أهدافه المذكوره التى حاول اخفاءها بولائه الظاهرى للخليفه. الا انه لم يستطع الاستمرار على ذلك بحكم ما يعمل له و يستهدف تحقيقه، فظهرت دلائله فى القضايا التى اثرت ضده و حوكم عليها.

و يمكننا الان على ضوء هذه الحقائق ان نفسر أسباب ارساله ما يتوفر له من الاموال الى اشروسنه، و نفسر كذلك تلك تلوئه و تباطؤه فى حرب بابك، و سعيه لاقناعه بالاستسلام ليضمن حياته و يقلل خسائره، بحيث يصدق عليه قول ابن الجوزى: فتخاذل عن قتاله

١- لطف التدبير / ٩١-٩٣، و جاء مثل ذلك فى آثار الاول مع تغيير طفيف / ١٠٧-١٠٨.

٢- البيان و التبيين / ٣ / ٥٨.

٣- الطبرى / ٩ / ١٠٩.

و اضمر موافقته فى ضلاله. و قول ابن دحيه: فانه تاره كان معه و تاره كان عليه. الا ان حذره من رقابه عبد الله بن طاهر أمير خراسان، و يقظه الخليفه و اتصاله المستمر به، و لهفه الجند و القواد و بخاصه العرب منهم على القضاء على بابك و الحرمة الخرميه، جعله لا يستطيع الا ان يستجيب لحرب بابك و القضاء عليه. و لذلك نراه بعد الانتهاء من هذه الحرب و العوده من غزو بلاد الروم، يخطط لحركته التى باءت بالفشل و انتهت بمصرعه.

و لعل مما يؤيد تخطيطه للوثوب بالخلافه انه حاول القضاء على القواد المواليين للمعتصم بالله. فقد حاول قتل القائد العربى أبا حلف القاسم بن عيسى، فخف القاضي أحمد بن أبى دواد لانقاذه، و كان مما قاله للافشين: كم تراك قدرت تقتل أولياء أمير المؤمنين واحدا بعد واحد، و تخالف أمره فى قائد بعد قائد(١).

#### ٤- حركة الزنج: بدايه الحركة:

#### اشاره

من الحركات الخطيره التى جابهت الدوله العربيه فى عهد سامرا، و كانت عميقه التأثير فى أمن البلاد و أحوالها الاقتصادية و الاجتماعيه، الحركة التى حمل لواءها الدعى على بن محمد و عرفت بحركة الزنج.

ان ما اصاب الدوله العربيه من وهن شديد من جراء استبداد القواد الاتراك بالسلطه و منازعتهم الخلفاء، شجع ذوى المطامح على الخروج على سلطانها. و قد استطاع أحد المغامرين و هو على بن محمد العبقسى(٢) ان يقوم بدعوه فى جنوبى العراق مستغلا

١- الاغانى ٨ / ٢٥٠ - ٢٥١.

٢- نسبه الى عبد القيس - العبر ٢ / ٤٢.

اوضاع العبيد من الزوج الذين استطاع ان يثير حفيظتهم على مالكيهم من أصحاب الاراضى الزراعيه، فهربوا منهم و التحقوا به.  
كما التف حوله كل صاحب فتنه(١).

ان دعوه على بن محمد لم تقم على قواعد سياسيه و اجتماعيه معينه تستهوى الناس اليه، و انما اكتفى بادعائه بتحسين أحوال العبيد «و انه يريد ان يرفع اقدارهم، و يملكهم العبيد و الاموال و المنازل، و يبلغ بهم اعلى الامور(٢) و مناداته بعدم التمييز بين العناصر و الاجناس، و هى من دعاوى الخوارج، مما بدا ان ذلك كافيا عند اولئك الذين انضموا اليه من الزوج. و بصرف النظر عن العوامل الاخرى فان مجرد وعد الزوج بتحريرهم و تمليكهم الاموال كان كافيا لان يسارعوا الى اجابه دعوته. كما انه ادعى الانتساب لآل البيت ليضفى على دعوته سمه روحيه و يكسبها الشرعيه المطلوبه ... و قد اطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين، و ضرب ذلك على نقوده الذهبيه و الفضييه(٣).

و لم يلبث على بن محمد مدته و جيزه حتى التف حوله الوف من الزوج ينشدون الخلاص من العبوديه و شظف العيش. فكون منهم جيشا استطاع ان يتحدى به سلطات الدوله مدته من الزمن.

فاستولى على ضواحي البصره و اخذ يهدد المدينه نفسها. و يظهر انه اختار منطقه البصره لعدده اسباب منها ان طبيعه المنطقه الجغرافيه ساعدت الزنج على حرب كمائن و عصابات متنقله، مما أدى الى اطاله أمد الاضطرابات و تعسر قمعها على الجيش النظامي.

و كثره العبيد العاملين فى ازاله السباخ عن الاراضى الزراعيه فيها، فقد كانت «كسوح الزوج معروفه بالبصره كالجبال، و كان فى

١- العبر ٢ / ٨.

٢- الطبرى ٩ / ٤١٥.

٣- ثوره الزنج / ١٧٢.

انهار البصره منهم عشرات الالوف يعذبون بهذه الخدمه»(١).

يضاف الى ذلك ان البصره كانت مركزا لطبقه كبيره من الاغنياء الذين كونوا ثرواتهم من استثمار العبيد فى الزراعه، و ان هذه الطبقة وقفت ضد حركه الزنج منذ البدايه(٢).

و قد اتخذ صاحب الزنج منطقه القنوات و المستنقعات جنوبى البصره للاسباب التى ذكرناها قاعده له، و استطاع ان يصمد امام الجيوش التى سيرت اليه.

### استنفحال الحركه:

صرف صاحب الزنج جهوده اول أمره لاحتواء البصره فحاصرها حتى أضر بأهلها، فاستولى فى سنه ٢٥٦ هـ على الأبله و قتل بها نحو ثلاثين ألف(٣). ثم هاجم فى منتصف شوال من السنه التاليه مدينه البصره. و كان القائد المكلف بحمايتها قد تهاون فى اتخاذ العده لصد هجوم الزنج(٤). فدخلوها و احرقوا المسجد الجامع و قسما من المدينه، و نهبوا ممتلكاتها، و قتلوا عددا هائلا من أهلها، و هرب الباقون بأسوأ حال. و يقول المسعودى انهم قتلوا ثلثمائه ألف نفس من أهل المدينه(٥). فكانت هذه اول مذبحه يقوم بها الزنج.

و مما ساعد الزنج على التوسع شرقا و شمالا انشغال الجيش بمحاربه يعقوب بن الليث الذى بات يهدد العاصمه سامرا، فدخلوا

١- نفس المصدر / ٢٨.

٢- نفس المصدر / ١١٢.

٣- العبر ٢ / ١٣.

٤- الطبرى ٩ / ٤٨٤.

٥- مروج الذهب ٤ / ٢٠٧.

الاحواز فى رجب سنة ٢٥٩ هـ (١). و دخلوا مدينه واسط فى سنة ٢٦٤ (٢)، ثم صاروا الى جبل و النعمانيه و جرجرايا فهرب كثير من أهل السواد الى بغداد (٣). الا ان بعد هزيمة ابن الليث تفرغ الجيش للقضاء على الحركة فى جنوبى البلاد.

### الموقف بتفرغ لحرب الزنج:

بعد أن أمن الموقف، أخو الخليفة المعتمد على الله، جانب ابن الليث، أخذ يستعد لحرب الزنج الذين استفحل أمرهم و صاروا خطرا كبيرا يهدد الخلافة بعد الانتصارات التى حققوها على الجيوش التى أرسلت لقتالهم. و بعد أن أكمل استعداده أرسل ابنه أبا العباس أحمد فى سنة ٢٦٦ هـ الى واسط لحربهم، فقاتلهم أبو العباس فى عدد من المعارك و تغلب فيها عليهم و استرد منهم كثيرا من المواقع و الاموال و انقذ اعدادا كبيرة من الاسرى و السبايا (٤).

و بهذا بدأ مد الزنج بالانحسار.

أخذ صاحب الزنج بعد أن وصلته انباء الخسائر التى حلت بجيشه، يجمع جموعا جديدة يسيرها الى حرب ابى العباس.

فسار الموقف بنفسه الى حربه فى صفر سنة ٢٦٧ هـ و نزل قريبا من واسط، و جعل جيش ابنه مقدمه لجيشه فى زحفه على قاعده صاحب الزنج. و كان أول نصر كبير حققه جيش الموقف انه هزم قائد الزنج سليمان بن موسى الشعرانى و دخل مدينه المنيعه و استنقذ زهاء خمسة آلاف امرأه سوى الزنجيات، و حملن الى واسط ليدفعن الى أوليائهن، و استولى على كل ما فى المدينه من امتعه الزنج

١- الطبرى ٩ / ٥٠٣.

٢- نفس المصدر / ٥٣٩.

٣- نفس المصدر / ٥٤٢ و ٥٤٤.

٤- نفس المصدر / ٥٦٤.

و ميرتهم، و هدم أسوارها و طم خندقها(١). ثم استولى على مدينه المنصوره، و هى معقل آخر من معاقل الزنج، و اصيب قائدهم أحمد بن مهدى الجبائى بسهم مات على أثره. و استنقذ زهاء عشره آلاف من نساء أهل واسط و صبيانهم، فاعيدوا الى ذويهم، و احتوى الجيش على ما فى المدينه من الذخائر و الاموال و الاطعمه و المواشى(٢).

بعد هذه الانتصارات استعد الموفق للهجوم على المختاره قاعده صاحب الزنج على نهر أبى الخصيب. و قبل أن يشن عليه الهجوم كتب اليه يدعوه الى التوبه و الاتابه الى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء و انتهاك المحارم و تخريب البلدان، و يعلمه ان الأمان مبسوط له ان هو نزع عما هو عليه من الامور التى يسخطها الله، الا ان صاحب الزنج ازداد عنادا و لم يجب على الكتاب(٣). و يقال انه قتل الرسول(٤).

حاصرت جيوش الموفق مدينه المختاره فى أواخر رجب سنه ٢٦٧ هـ. و كان صاحب الزنج قد جمع قواده كافة من جميع الجهات بجيوشهم ليدافعوا عن عاصمته. فقاتلوا دونها قتالا شديدا. مما حمل الموفق على أن يقيم عسكره مقابل المختاره فى موقع سماه الموقيه، و ما لبث هذا العسكر ان صار مدينه عامره بالاسواق و أنواع التجارات، و بنى بها أبو أحمد مسجدا جامعاً، و اتخذ بها دارا لضرب الدنانير و الدراهم(٥). و قد نشط الموفق فى تشديد الحصار على قاعده صاحب الزنج الذى أخذ يطاول فى الحرب. و لما أصيب الموفق بسهم فى صدره فى جمادى الاولى لم يترك

١- الطبرى ٩ / ٥٦٦ - ٥٦٨.

٢- نفس المصدر / ٥٧٣.

٣- نفس المصدر / ٥٨١.

٤- العبر ٢ / ٤٣.

٥- الطبرى ٩ / ٥٨٥ - ٥٨٦.

مدينته الموفقيه، فعولج من جرحه حتى شفى منه. فاستأنف تشديد الخناق على صاحب الزنج فى عقر داره.

### المعركه الفاصله:

كان صاحب الزنج قد قطع القناطر و الجسور التى كانت على نهر ابى الخصيب و احدث سكرافى النهر من جانبه و جعل فى وسط السكر بابا ضيقا ليحتد فيه جرى الماء فلا تستطيع السفن دخوله.

لذا رأى الموفق ضروره قلع هذا السكر فارسل عليه الجند و الفعله فالحوا عليه حتى قلعه، و فتح النهر أمام سفن الجيش. و كان للزنج مزارع فى ناحيه النهر الغربى و لهم قنطرتان على هذا النهر، فوجه الموفق ابنه العباس بجمع من شجعان جيشه، فنصب لهم الكمائن و أقام من فوهه النهر المذكور. و عند ما هم الزنج بالعبور اعترضتهم سفن أبى العباس، فقتل منهم فى النهر و على ضفتيه خلق كثير، و أسر منهم اعدادا كبيره.

و قد وصل الى الموفق مدد كبير، اذ وصله وزيره و قائده صاعد بن مخلد من سامرا و معه جيش قدر بعشره آلاف مقاتل. كما وصل لؤلؤ قائد ابن طولون بعد ان خرج على سيده و معه جيش عظيم (١).

فوزع الموفق قواده و جيوشهم حسب الخطه التى أعدها للهجوم الاخير على صاحب الزنج و من بقى يحارب الى جانبه. فتحركت القوات من جهات مختلفه على مواقع الزنج التى ضاقت بهم فولوا منهزمين، بعد ان احتوى أصحاب الموفق مدينتهم باسرها، و اطلقوا من كان فيها من الاسرى.

و كان صاحب الزنج و ابنه و عدد من قواده قد اوغلوا فى نهر أبى الخصيب، هارين الى موضع كان صاحبهم قد وطأه ملجأ اذا



غلب على مدينته (١). فأمر الموفق بملاحقتهم، فزحفت اليهم جموع متتاليه من الجيش و اوقعت بهم. فاسر سليمان بن جامع قائد قواد الزنج، مع قواد آخرين مما فت فى عضد على بن محمد.

و لم يكف الجيش عن مطاردته حتى وافى البشير بقتله، و جاءوا الى الموفق برأسه، فخر الموفق ساجدا لله على ما أولاه و أبلاه، و سجد أبو العباس، و قواد الموفق شكرا لله. و أمر الموفق برفع الرأس على قناه و نصبه بين يديه ليراه الناس (٢).

و بذل الموفق الامان لمن يستسلم ممن بقى من الزنج المحاربين، فوافى معظمهم مستسلمين. و أمر أن يكتب الى سائر الامصار بالنداء فى أهل البصره و الابله و كور دجله، و الاحواز، و أهل واسط و ما حولها، بقتل صاحب الزنج، و ان يؤمروا بالعوده الى أوطانهم.

و قدم أبو العباس أحمد الى مدينه السلام، اذ كان الخليفه المعتمد على الله آنذاك فيها، و معه رأس على بن محمد صاحب الزنج، فدخلها لأنتى عشره بقيت من جمادى الأولى سنه ٢٧٠هـ، فاستبشر الناس بالقضاء عليه و على حركته التى أجاج أوارها، و دامت أربع عشره سنه و أربعه أشهر و سته أيام (٣).

### أسباب فشل تمرد الزنج و حركتهم:

هناك أسباب عديده تظافرت على فشل الحركه التى قادها الدعى على بن محمد. فعلى الرغم من تكاثر اتباعه سواء ممن طمع باسترداد حريره، أو بالمغانم من الاموال و السبايا، فان عدم دربتهم على فنون القتال، و ضعف قيادتهم، اضطره على أن يتبع ما

١- المنتظم ٥ / ٥٩.

٢- الطبرى ٩ / ٦٥٩ - ٦٦٠.

٣- الطبرى ٩ / ٦٦٣.

يعرف بحرب العصابات. وقد حققت له هذه الخطه قدرا كبيرا من النجاح، و لكنه تجاح موضعى موقت. فاذا ما استولى على موضع ما سرعان ما كان ينسحب أو يهرب منه. على انه بمرور الزمن أصبح من الاخطار التى تهدد كيان الدوله العربيه. و لما توجه الامير الموفق لمحاربه الزنج اتبع خطه اضطهرهم بموجبها على المواجهه و خوض المعارك الكبيره. فقد شدد الحصار على جماعات الزنج المتفرقين فى المناطق الجنوبيه من العراق و لا سيما فى البطائح و الاهوار و أطرافها مما اضطهرهم على التجمع بفوات كبيره لكى تستطيع خرق الحصار المفروض عليها، ورد الجيوش التى أخذت توالى هجومها عليها. و على الرغم من كثره الخسائر التى حلت بهذه الجيوش فانها اضطرت صاحب الزنج على خوض معارك كبيره كانت نتائجها فى معظم الحالات و بالا عليه.

و من العوامل الاخرى المهمه التى ساعدت على فشل الحركه ما رافقها من عنف الزنج و قسوتهم و تشبعهم بروح الحقد و الانتقام، مما جعل الناس ينقمون عليها و يتطوعون لمحاربتها. فضضع ذلك قوات على بن محمد مما أدى به الى الفشل، و قد انتهى بقتله كل نشاط للزنج فى جنوبى العراق.

## الفصل الثانى الاضطرابات الأخرى

### أشاره

واجه خلفاء سامرا اضافاه الى الفتن و المؤامرات التى ذكرناها آنفا، حركات أخرى أقل شأنًا و أضعف خطرا. و هى أقرب الى أن تكون حركات تمرد و عصيان تقوم بين آن و آخر فى ولايات و أقاليم مختلفه من أنحاء الدوله العربيه المتراميه الأطراف. الا انها مع ذلك استنفدت كثيرا من الجهود للقضاء عليها، مع ما سببته من خسائر فى الارواح و الاموال.

و من المؤسف ان مصادرنا التاريخيه التى عاصر أصحابها تلك الاحداث أو جاءوا بعدها بقليل، عند ما تذكر تمردا ما أو حركه عصيان، لا تهتم بأسبابها و لا تتحوى العوامل التى أدت اليها و الظروف التى كانت تحيط بها بقدر ما تركز من اهتمام بتوجيه العساكر اليها و اخضاعها و وصف ما يرافق ذلك من قسوه و بطش.

و يرجح ان ذلك ناشىء من الاعتقاد بأن الخروج على الخلافه غير جائز شرعا. و لذا فلا داعى لمعرفه أسبابه. أما الاهتمام بالقضاء على تمرد ما و ما يتبع ذلك من تقتيل و حرق و نهب، فيظهر انه تهديد للاخرين و تحذيرهم من سوء المصير اذا ما أقدموا على أمر مماثل.

سوف نتناول في هذا الفصل حركات التمرد و العصيان التي قامت ضد خلفاء سامرا بحسب تسلسلها التاريخي لكي تعطينا صورة عن جانب من الاوضاع الداخليه للدوله العربيه حينذاك.

كما سنفرد بحثا خاصا بكل حركه من حركات الخوارج لاختلاف طبيعه خروجهم على الخلافه، و الفتن التي قامت في أرمينيه و اذربيجان لتعددتها على فترات متقاربه.

### ١- تمرد الزط:

تسلل الى منطقه البطائح في جنوبي العراق قبل الفتح العربى بعض القبائل الهنديه عرفت بالزط. و قد هاجروا من مواطنهم في الهند لغلاء وقع هناك فتنقلوا في بلاد كرمان و الاهواز الى أن صاروا الى هذه المواضع(١). و يعتبرهم ابن خلدون انهم أخلاط من الناس(٢). و الواقع انهم أصبحوا كذلك بعد أن التجأ اليهم عدد من اللصوص و قطاع الطرق و العبيد الفارين. و هناك قول بأن الحجاج الثقفى عند ما كان واليا على العراق أتى بخلق من زط السند و اصناف ممن بها من الامم و معهم أهلوهم و أولادهم و جواميسهم، و اسكنهم باسافل كسكر فغلبوا على البطيحه و تناسلوا بها(٣). و ان محمد بن القاسم هو الذى حملهم من السند الى العراق(٤).

عاش الزط في منطقه البطائح بعزله عن بقيه السكان، و احتفظوا بعاداتهم و تقاليدهم الغريبه و بطراز معيشتهم و لباسهم.

و على الرغم من حسن معامله العرب لهم، و خاصه بعد الفتح العربى، لم يلبثوا ان اصبحوا عنصر فتنه و فساد، فالتجأ اليهم اباق العبيد و الهاريين من وجه السلطه، و اخذوا ينتهبون الغلات الزراعيه من

١- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.

٢- تاريخ ابن خلدون / ٣ / ٥٤٦.

٣- فتوح البلدان / ٣٦٨.

٤- نفس المصدر / ١٦٦.

البيادر. و عند ما نشبت الحرب الاهليه بين الخليفه الامين و أخيه المأمون، اغتتموا فرصه ضعف السلطه فخرجوا عليها. و اخذوا يقطعون طريق البصره بالسلب و الاعتداء، فتحامى الناس عن الاجتياز بهم. و انقطع عن بغداد ما كان يحمل اليها من البصره بالسفن، فاشتد امرهم على الناس. فلما استقر المأمون ببغداد حاول تأديبهم، فارسل فى سنه ٢٠٥ هـ عيسى بن يزيد الجلودى لمحاربتهم(١). ثم بعث فى السنه التاليه حملة أخرى بقيادة داود بن ماسجور(٢). الا انه فشل فى التغلب عليهم لصعوبه تعقيبهم فى أهوار البطائح.

و لما استخلف المعتصم بأنه قرر ان يقضى على عبثهم بصرامه.

فوجه اليهم أحمد بن سعيد الباهلى فهزموه(٣). فبعث اليهم فى منتصف سنه ٢١٩ هـ جيشا بقيادة عجيف بن عنبسه الذى اتبع فى محاربتهم خطه تقوم على سد منافذ الطرق النهريه و محاصرتهم.

فضيق عليهم الخناق قرابه سته شهور حتى اضطرهم على الاستسلام.

و كان الخليفه هو الذى أمره باتباع هذه الخطه فى حربهم(٤). و مما يدل على اهتمام المعتصم بالله بامر الزط انه أمر عجيفا بترتيب الخيل فى كل سكه من سكه البريد لتركض بالاخبار، فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل الى المعتصم بالله فى يومه(٥).

و كان برأس الزط محمد بن عثمان و قد اسقط فى يده بعد أن حاصرهم عجيف، فطلب الامان على دمائهم و أموالهم، فامنهم عجيف، و حملهم فى السفن و جاء بهم الى بغداد. و كان عددهم

١- الطبرى ٨ / ٥٨٠. و الكامل ٦ / ٣٦٢.

٢- الطبرى ٨ / ٥٨١. و الكامل ٦ / ٣٧٩.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٢.

٤- فتوح البلدان / ٣٦٩.

٥- نفس المصدر، و الطبرى ٨ / ٨، و الكامل ٦ / ٤٤٣.

حوالى سبعة و عشرين ألفا بين رجل و امرأه و صبى، و عدد المقاتله منهم اثنا عشر ألفا(١). و يصف لنا الطبرى كيفيه عرضهم على الخليفه الذى رغب فى مشاهدتهم بازياهم. اذ عبأهم عجيف فى زواريقهم على هيتهم فى الحرب، معهم البوقات، و دخل بهم بغداد يوم عاشوراء من سنه ٢٢٠ هـ و المعتصم بالله عند الشماسيه فى سفينه كبيره من نوع الزو، فمر به الزط على تعبثهم ينفخون بالبوقات.

فكان أولهم بالقصص و آخرهم بحذاء الشماسيه، و اقاموا فى سفنهم ثلاثه أيام، ثم عبر بهم الى الجانب الشرقى فدفعوا الى بشر بن السمين فذهب بهم الى خانقين، ثم نقلوا الى عين زربه(٢). و هى احدى الثغور الشاميه، و يظهر ان نقلهم اليها كان تقويه لحاميتها.

و يقول البلاذرى ان عجيفا أخذهم جميعا و قدم بهم بغداد فى الزواريق، فجعل بعضهم بخانقين و فرق سائرهم فى عين زربه و الثغور(٣). و يؤيد هذا ما ذكره المسعودى بأنه انزلهم بلاد خانقين و جلولاء من طريق خراسان، و بلاد عين زربه من الثغر الشامى(٤). و قد قضت الهجمات البيزنطيه على الثغور العربيه على القسم الاكبر منهم.

## ٢- تمرد جعفر الكردى:

عصى فى الموصل أحد زعماء الاكراد اسمه جعفر بن مهرجش(٥) فى سنه ٢٢٦ هـ و تبعه عدد كبير من الاكراد و غيرهم ممن كانوا يتذمرون من تعسف الولاة. فولى المعتصم بالله عبد الله بن السيد بن انس الأزدي على الموصل و أمره بالقضاء على تمرد جعفر و اتباعه. و كان جعفر قد استولى على مدينه الموصل و الجبال

١- الطبرى ٩ / ١٠.

٢- نفس المصدر.

٣- فتوح البلدان / ١١٨.

٤- التنبيه و الاشراف / ٢٠٧.

٥- الطبرى ٩ / ١١٨، و الكامل ٦ / ٥٠٧ و فيه اسمه جعفر بن فهرجس، و مثل هذا جاء اسمه فى تاريخ ابن خلدون - ٣ / ٥٧٦.

القريبه منها، فقاتله عبد الله و أخرجه من الموصل. فلجأ جعفر مع أتباعه الى أحد الجبال المنيعه. و لما تبعه جيش عبد الله استظهر عليه جعفر لمعرفته بتلك المواضع الجبلية، و اعتياد اتباعه على القتال فيها. فهزم عبد الله و قتل كثير من أفراد جيشه، و كاد أن يقضى عليه، الا ان أحد قواده استطاع ان يشاغل اتباع جعفر عن أصحابه من جيش عبد الله مما سهل لهم الانسحاب و النجاه.

و لما علم الخليفة بفشل حمله عبد الله بن انس و تمزق جيشه، وجه في المحرم من سنه ٢٢٧ هـ القائد ايتاخ على رأس حمله لقتال ابن مهرجش. فالتقى ايتاخ بالتمردين، و استطاع بعد عدة معارك أن يتغلب عليهم و يمزق شملهم. فتفرق من بقى من اتباع جعفر عنه، و وثب به أحد أصحابه فقتله (١). فوقع ايتاخ باتباعه و لاحقهم و أكثر فيهم القتل و السبي. ثم حشد الاسرى و النساء و الاموال و حمل ذلك الى تكريت (٢).

### ٣- خروج المبرقع اليماني:

من الحوادث المهمه التي حدثت في السنه الاخيره من عهد المعتصم بالله، و كانت من نتائج تعاظم سلطه الجند الاتراك، و عدم مراعاتهم حقوق الناس و تعديهم على حرياتهم، ظهور ثائر في جبال الأردن هو أبو حرب تميم اللخمي، و قد عرف بالمبرقع اليماني.

و هو رجل من أهل فلسطين اشتهر بالشجاعه و شده البأس. و قد ثار على السلطه عند ما حاول أحد الجنود الاتراك النزول في داره و هو غائب، فمانعته امرأه كانت في البيت فضربها و اغلظ لها الكلام.

١- الطبرى ٩ / ١١٨، و الكامل ٦ / ٥٠٧، و فيه: قيل ان جعفرا شرب سما كان معه فمات.

٢- الطبرى ٩ / ١١٨.

فلما عاد أبو حرب شكت إليه الأمراء سوء معاملته الجندی التركي، لأن العرب لم يألفوا نزول الجند قسرا في بيوتهم. فاخذ سيفه و بحث عن الجندی، فوجده و قتله. ثم هرب من ملاحقه السلطه و قصد أحد جبال الاردن و أقام مختفيا. و قد جعل على وجهه برقعاً لئلا يعرف (١). و كان يظهر في النهار متبرقعاً، فاذا جاءه أحد أمره بالمعروف و نهاه عن المنكر، فاذا استجاب له ذكر الخليفه و ما يأتيه من الاعمال القبيحه و يعيبه عليها (٢). فاستجاب له جماعه من فلاحى تلك الناحيه و القرى القريبه منها، رغبه فى التخلص من أوضاعهم الاقتصاديه و المعيشيه السيئه.

و زعم المبرقع انه أموى، و لعل ذلك كان سبب تخوف السلطه من توسع دعوته، لا سيما اصحابه زعموا انه السفينانى (٣). و كان ممن استجاب الى دعوته جماعه من رؤساء اليمانيه انتصارا له و عصبية لانه من اليمانيين، منهم زعيم يقال له بيهس و كان مطاعا فيهم، و رجلان آخران من أهل دمشق (٤). مما جعل الخليفه المعتصم بالله يهتم بأمره، فسير اليه القائد رجاء الحضارى فى زهاء الف من الجند. فلما اتاه رجاء وجد جماعته يزيدون على مائه ألف، فتحاشى الاصطدام بهم. و لقله خبره المبرقع العسكريه فانه لم يبادر الى مهاجمه الجيش الذى قدم لتأديبه. و قد عسكر رجاء بعيدا عنه و اخذ يشاغله و يطاوله حتى آن وقت الزرع فانصرف من كان مع المبرقع من الفلاحين الى أراضيهم، و لم يبق معه الا قرابه الالفين. و نظرا لقله معرفتهم بشؤون الحرب فقد استطاع رجاء الحضارى ان يفل جمعهم بسهولة. و يقول مسكويه: فتأمل رجاء عسكر المبرقع فلم يجد فيه من له فروسيه غيره، فقال لاصحابه لا

١- نفس المصدر / ١١٦، و تجارب الامم ٥٢٧ / ٦، و العيون و الحدائق ٣ / ٤٠٨.

٢- الطبرى ١١٦ / ٩، و تجارب الامم ٥٢٧ / ٦، و الكامل ٥٢٢ / ٦.

٣- نفس المصادر.

٤- الكامل ٥٢٢ / ٦، و الطبرى ١١٦ / ٩.



تعجلوا عليه فانه سيظهر لأصحابه بعض ما عنده. فما لبث المبرقع ان حمل، فقال رجاء لأصحابه: افرجوا له. فأفرجوا له، ثم حمل ثانيه. فقال رجاء: افرجوا له، فاذا اراد الرجوع فحولوا بينه وبين ذلك و خذوه. فافرجوا له، ففعل ذلك، و احاطوا به فانزلوه عن دابته، و اسره رجاء و حمله الى الخليفه بسامرا(١).

و لما قدم رجاء بأبي حرب على المعتصم بالله عاتبه على تلكؤه فى حربته.

فاوضح رجاء للخليفه ان سبب ذلك هو قله جنده و كثره اتباع المبرقع، و كلهم من حراثى تلك الناحيه، و لذلك فقد تمهل حتى قل عدد اتباعه لما انصرف أكثرهم الى عملهم فى المزارع و وجد الفرصه لحربه و التغلب عليه(٢).

و يستدرك الطبرى فيقول ان هناك من يزعم بان خروج المبرقع اليماني كان فى سنه ٢٢٦ هـ بالرملة، و قالوا انه سفيانى. فصار فى خمسين ألفا من أهل اليمن و غيرهم. و قد ناصره ابن بيهس و آخران معه من رجال دمشق. فسار اليهم رجاء الحضارى و واقعهم بدمشق فتغلب عليهم و اخذ ابن بيهس اسيرا. ثم اتجه الى مقاتله أبى حرب، فقتل عددا كبيرا من أصحابه و أسره و حمله الى سر من رأى، حيث جعل هو و ابن بيهس فى المطبق(٣).

و ما ذكره ابن خلدون يقرب مما استدركه الطبرى، اذ جاء فيه، انه بينما كان رجاء و جيشه يعسكرون قبالة اصحاب المبرقع ينتظرون أوان الزراعته، توفى المعتصم بالله. و كانت الفتنة قد ثارت بدمشق، فأمر الواثق بالله رجاء ان يقضى على هذه الفتنة أو لا ثم يعود لحرب المبرقع. ففعل رجاء بأمر الواثق بالله فقاتل ثوار دمشق و هزمهم، و اصلح أمر دمشق، و رجع الى قتال المبرقع فاخذه

١- الطبرى ١١٧/٩، و تجارب الامم ٥٢٧/٦.

٢- الطبرى ١١٧/٩.

٣- نفس المصدر/ ١١٨.

أسيرا و ابن بيهس معه(١). و اذا صحت هذه الروايه، فان ما ذكره الطبرى عن معاتبه المعتصم بالله قائده، يصبح من الاخبار الموضوعه، أو أن يكون الواثق بالله هو الذى عاتب القائد المذكور.

#### ٤- تمرد القبائل العربيه:

#### تمرد القيسيين فى دمشق:

كان بعض زعماء اليمانيه و عدد من أهل دمشق و على رأسهم ابن بيهس الذى كان ذا نفوذ فى قومه، قد استجابوا لدعوه المبرقع اليماني الذى تمرد على الدوله فى فلسطين. و قد يكون لعامل العصبية القبليه تأثير فى انتصارهم له. و قد سبقت الاشاره الى أسباب تمرد و الى توسع دعوته. و خرج ابن بيهس اثر وفاه المعتصم بالله فى عدد كبير من بطون قيس بدمشق، و حاصر أميرها أبا المغيث الرافقى. فبعث الواثق بالله القائد رجاء الحضارى لاختماد ثورته. فقدم رجاء دمشق و رأى ثوارها يعسكرون بمرج راهط، فنزل بدير مران و دعاهم الى الطاعه، فلم يرجعوا عن غيهم فقاتلهم و هزمهم و قضى على تمردهم(٢).

#### تمرد بعض القبائل العربيه:

و تمرد عدد من القبائل العربيه التى تقع منازلها قرب المدينه المنوره، منهم بنو سليم و بنو هلال و بنو مره، و هم من أقوى القبائل العربيه. فكانوا يعتدون على الناس و يغتصبون أموالهم. و عند ما هاجم بنو سليم جماعه من كنانه و باهله و قتلوا بعض أفرادها وجه اليهم أمير المدينه محمد بن صالح بن العباس ثله من الجند، الا انهم

١- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٧٢-٥٧٣.

٢- راجع عن تمرد القيسيين: الكامل ٦ / ٥٢٨-٥٢٩.

استعدوا للقائها و قطعوا الطريق بين مكة و المدينة و نهبوا القرى و المناهل، حتى تخلف الناس عن الحج. و نصبوا رجلا من سليم يقال له عزيزه الخفاجى و سلموا عليه بالخلافه(١). فكان ذلك و لا شك محاوله للخروج على الخلافه العباسيه و الانفصال عنها اذا ما نجحت. فبادر الواثق بالله و وجه فى سنة ٢٣٠ هـ حمله على رأسها القائد التركى بغا لاخضاعهم. فهاجمهم بغا و تمكن من دحرهم، فدعاهم الى الامان فاستسلم أكثرهم. و لكى يأمن تمردهم ثانياه احتبس من وصف منهم بالشر و الفساد و سجنهم فى المدينة المنوره(٢).

و كان فيهم عزيزه بن القطاب. فلما انقضى موسم الحج استطاع بغا ان يجبر بنى هلال أيضا على الاستسلام، و احتبس من أشرارهم عددا سجنهم فى المدينة المنوره كذلك.

و قد حاول المسجونون الهرب فنقبوا السجن، و قتلوا الحرس و اخذوا سلاحهم. فلما علم بهم اهل المدينة أحاطوا بهم و قاتلوهم حتى قضا عليهم. و كان عزيزه بن القطاب قد فك قيوده و جعل يقاتل بها و يرتجز قائلا(٣):

لا بد من زحم و ان ضاق الباب انى انا عزيزه بن القطاب

للموت خير من العاب هذا و ربي عمل للبواب

حتى قتل فأمر به أمير المدينة المنوره فصلب(٤).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٠.

٢- الطبرى ٩ / ١٣٠ - ١٣١، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٠.

٣- الطبرى ٩ / ١٣٣.

٤- النجوم الزاهره ٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧.

و كان القائد بغا قد توجه نحو قبائل بني مره و فزاره الذين كانوا قد استولوا على مدينه قذك، و استطاع ان يخضعهم و يأسر عددا كبيرا منهم.

و تمردت قبائل بني نمير فى اليمامه فى سنه ٢٣٢ هـ و عاثت فسادا. فأمر الواثق بالله القائد بغا ان يتوجه اليها بجيشه لتأديبها. فلقبها و حاربها فى معارك متعدده حتى تغلب عليها. و لما تم اخضاع جميع القبائل المتمرده قفل عائدا الى بغداد، و طلب الى أمير المدينه المنوره ان يلحق به بمن معه من الاسرى. فلقبه ببغداد و سارا جميعا الى سامرا و معهما من الأسرى ما يزيد على الألفى رجل من مختلف تلك القبائل التى تمردت. و بذلك قضى على حركات تمرد القبائل العربيه.

ان استمرار هذه الاضطرابات المحليه طيله السنوات ٢٢٨-٢٣٢ هـ، أى طيله خلافه الواثق بالله، بين القبائل العربيه فى الحجاز و اليمامه لا بد و ان تكون لها أسباب دفعت تلك القبائل الى التمرد و الخروج على السلطه الى حد انها تسمى خليفه لها. الا ان مراجعنا التاريخيه لا تشير الى تلك الاسباب، و انما اكتفت بذكر حشد الجيوش لا خمادها و نجاحها فى القضاء عليها. أى ان أخماد تلك الاضطرابات لم يتم بالقضاء على أسبابها و معالجه دوافعها التى قد تكون اقتصاديه او سياسيه، و انما اخضعت بقوه السيف التى تمثلت بحشود الجند التى كانت قاسيه فى قتالها تلك القبائل.

و يقول الطبرى ان المتمردين كانوا يرددون حين هاجمهم بغا:

يا بغيه الخير و سيف المنتبه و جانب الجور البعيد المشتبه

من كان منا جانبا فلست به أفعل هداك الله ما أمرت به

فقال بغا: انما امرت ان اقتلكم(١).

**٥- تمرد قبائل البجه****٥- تمرد قبائل البجه (١)**

البجه قبائل بدويه كانت تسكن شرقى بلاد النوبه ما بين نهر النيل و بحر القلزم. و بين أرض النوبه و البجه جبال منيعه. و فى بلادهم معدن الذهب و الزبرجد(٢). و هم ينزلون خياما من الجلود، و ينتفون لحاهم، و ينزعون فللك ثدى الغلمان لئلا يشبه ثديهم ثدى النساء، و غالب طعامهم الذره، و هم يركبون الابل و يحاربون عليها، و يرمون بالحرا ب فلا يخطئون(٣). و هم يقاسمون من يستخرج المعادن النفيسه من أرضهم، و يؤدون الى عمال مصر فى كل سنه أربعمائه مثقال من التبر(٤). و خمسائه نفر من العبيد و الجوارى مع عدد من البخت البجاويه و زرافتين و فيلين(٥). و قد توقفوا عن دفع ذلك فى سنه ٢٤٠ هـ و لعدده سنوات، و منعوا من كان يعمل من العرب فى استخراج الذهب و الجواهر، كما اخذوا يغيرون على أراضي مصر و ينتهبون بعض قرى الصعيد مثل اسنا و ادفو(٦).

و كتب والى مصر عنبسه بن اسحاق الى الخليفه المتوكل على الله بتمرد البجه و اعتداءاتهم، فانكر الخليفه الامر. الا ان بعد بلادهم الصحراويه عن العمران جعله يتردد فى توجيه حمله عسكريه لتأديبهم. فشاور فى أمرهم أرباب الخبره بمسالك تلك البلاد، فعرفوه انهم أهل بادية و ان الوصول الى بلادهم و منه برارى و مفاوز موحشه معطشه، و انهم متى ما طرقتهم طارق استنجدوا بقبائل

١- كذا وردت فى الطبرى و فى مختلف المصادر ما عدا فى الكامل ٧ / ٧٧ فهى: البجاه.

٢- مختصر كتاب البلدان / ٥٩ و ٧٨.

٣- كتاب البلدان / ٣٣٦.

٤- الطبرى ٩ / ٢٠٦.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٥.

٦- الكامل ٧ / ٧٧. و النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٥.

الاحباش المتصله على شواطىء النيل حتى بلاد الزنج(١). فبلغ الامر محمد بن عبد الله، و كان من القواد الذين يتولون خفاره الحجاج أكثر السنين، فحضر الى الفتح بن خاقان و عرض عليه انه اذا ما أمر الخليفه عامل مصر بتجهيزه كما يريد عبر الصحراء الى بلاد البجه. فلما عرض الفتح ذلك على المتوكل على الله أمر بتجهيزه بسائر ما يحتاج اليه و تقدم الى عنبسه ان يمدّه بالرجال و الخيل و الجمال و ما يحتاج اليه من الميره و السلاح و الاموال(٢).

فخرج اليهم محمد بن عبد الله من مصر و قد انضم اليه عدد كبير من المتطوعين ممن كانوا يعملون فى استخراج المعادن، بحيث صار عدد جيشه نحو من عشرين ألف مقاتل بين فارس و راجل.

كما سير بنفس الوقت سبعة مراكز موقره بالمؤونه من الدقيق و التمر و الزيت و الشعير و السويق فى بحر القلزم. و امر بعض أصحابه أن يرافقوا هذه السفن لتوافيه فى ساحل البحر عند عيذاب من أرض البجه. و قد أعدّها احتياطاً لاحتمال عدم امكان حصول جيشه على الطعام هناك.

و لما وصل محمد بجيشه الى حصون البجه خرج اليه ملكهم، و اسمه على بابا، فى جيش كثيف و سلاحهم الحراب و المزاريق و أكثرهم على الجمال و هى على غايه من النفرة و الشراسه. و لما قارب البجه عسكر محمد رأوا ان لا- قبل لهم بهم لكثره عددهم و كمال عدتهم. فعزم ملكهم على مطاولتهم فى الحرب حتى تفنى ازوادهم و تضعف خيولهم فيسهل التغلب عليهم. فاخذ يراوغ بجيشه و يستطرد أمام جيش محمد. الا ان وصول مراكز المؤونه الى جيش محمد أفسد خطه على بابا الذى أيقن ان المدد لا ينقطع من

١- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٦.

٢- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٧.

جبهه الساحل، لا سيما و ان محمدا كان قد شدد الحراسه عليها كى لا تستولى عليها جموع البجه. فصمم على الاشتباك بجيش محمد.

و راي محمد بن عبد الله ان يربك جيش البجه ليضعف من أهميه كثره عددهم فجمع اجراس الابل و الخيل التى فى جيشه و جعلها فى اعناق خيل المقدمه، و أمر بضرب الطبول و نفخ الابواق ساعه الحمله. و عند ما حمل على البجه نفرت ابلهم من الاصوات الصاخبه و اشتد رعبها، فولت الادبار و تساقطت عن ظهورها اكثر ركابها. فارتبك جيش على بابا و داس بعضه بعضا. فتبعهم جيش محمد و أوقع بهم قتلا و أسرا. فلما رأى ملك البجه ذلك و ايقن بالهزيمه طلب الامان. فاجابه محمد الى طلبه بعد أن أدى ما عليه من الخراج و غيره عن السنوات التى كان ممتنعا فيها عن الاداء.

و أخذ محمد أسيرا الى سامرا، فوصلها فى أواخر سنه ٢٤١ هـ.

و لما مثل على بابا بين يدى المتوكل على الله أمره الحاجب بتقبيل الأرض فامتنع، فعزم الخليفه على أن يأمر بقتله، و خاطبه على لسان الترجمان: انه بلغنى ان معك صنما من حجر اسود تسجد له كل يوم مرتين، فكيف تتأبى على تقبيل الارض بين يدى، و بعض غلمانى قد قدر عليك و عفا عنك؟ فلما سمع على بابا كلامه قبل الارض ثلاثا، فغفا عنه و خلع عليه و على أصحابه، و سمح له بالعوده الى بلاده(١).

و كان قد وقف بباب العامه بسامرا سبعون من البجه على ابلهم و قد رفعوا على حرابهم رؤوس عدد ممن قتل من عسكرهم فى الحرب. و قد ولى الخليفه على البجه و الطريق بين مكه و مصر سعدا الخادم، فولى هذا محمد بن عبد الله خليفه عنه، فخرج محمد عائدا بعلى بابا الى بلاده(٢).

١- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٩.

٢- الطبرى ٩ / ٢٠٦، و الكامل ٧ / ٧٩.

## ٦- الاضطرابات فى أرمينية:

## اشاره

كان المأمون قد ولى خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى على أرمينية، فخالط بطارقتها، أى أمراءها المحليين - و قبل هداياهم، مما جرأهم على من جاء بعده من العمال(١). وبقى خالد فى منصبه هذا الى أيام المعتصم بالله، فولى بدلا عنه الحسن بن على الباذغيسى المعروف بالمأمونى. فأهمل شؤون البطارقة و لان لهم فزادوا فسادا على الدوله(٢). و قد ولى المعتصم بالله بعده عددا من الولاة لم يتمكنوا من السيطرة على المنطقه. و كان اخرهم على بن الحسين بن سباع القيسى. فاستضعفه الامراء المحليون حتى سموه اليتيم لضعفه و مهاتته(٣). فاعاد المعتصم بالله خالد بن يزيد الشيبانى الى الولايه على أرمينية و ديار ربيعته. فلما بلغ خبره البطارقة خافوه و عملوا على العصيان عليه، و قد تحصن كل منهم فى قلعتهم. مما اضطر الخليفه على رد خالد، و اعاده الوالى السابق على بن الحسين.

و كانت رواتب الجند قد تأخر دفعها لقله الجبايه فشغبوا مطالبين بارزاقهم، فطالب الوالى أهل البلاد بدفع ما عليهم من الخراج، فامتنعوا عن الدفع و ثاروا به و حاصروه، مما اضطر الخليفه على أن يبعث القائد حمدون بن على بن الفضل ليتولى مساعده الوالى فى اخضاع الولايه(٤).

ثم اضطرت أرمينية فى عهد الواثق بالله و تحرك بها بعض البطاركة و العرب و تغلبوا على نواحيهم. فولى الخليفه خالد بن يزيد الشيبانى الولايه عليها و ضم اليه بعض الكور من ديار

١- فتوح البلدان / ٢١٢.

٢- فتوح البلدان / ٢١٢، و مختصر كتاب البلدان / ٢٩٤.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٥.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٥.



ربيعه، فسار إليها في جيش كثيف. فلما بلغ المتغلبين أمره خافه أكثرهم وكتبوا إليه يعلنون طاعتهم و أرسلوا إليه الهدايا، فرفضها و طلب ان يأتي بها مرسلوها بانفسهم، و ذلك ليختبر ولاءهم و طاعتهم. و طلب الى اسحاق بن اسماعيل العامل على تفليس، و كان من جملة المتغلبين يأمره بالقدوم إليه، فلم يفعل. فزحف إليه، الا ان الموت عاجله قبل ان يصل إليه. فولى الخليفة محمد بن خالد مكان أبيه. و لما كان أصحاب أبيه قد انصرفوا عند موته فقد طلب الى الخليفة ان يمدّه. فسير إليه القائد أحمد بن بسطام الذي ساعده في جمع أصحاب أبيه و مواليه، و في محاربه قسم من المتغلبين و اخضاعهم، مما ساعده على ضبط شؤون الولاية.

### عصيان ابن البعيث في اذربيجان:

كان محمد بن البعيث من جملة المتغلبين على بعض نواحي اذربيجان، فقاتله عاملها فظفر به و أسره و حمله الى سامرا فسجن فيها. الا- انه ما لبث ان هرب في سنة ٢٣٤ هـ و عاد الى منطقته مرند، و جمع اليه اتباعه من ربيعه و غيرهم، و اعلن الخلاف و العصيان، ثانيه. و لم يستطع والي اذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمه ان يظفر به. فولى المتوكل على الله حمدويه بن الفضل السعدي على اذربيجان و وجهه من سامرا على البريد(١). فلما وصل الى مقر عمله زحف الى ابن البعيث و الجأه الى مدينه مرند. و كان ابن البعيث قد حصنها و جمع فيها ما يحتاجه من آله و مؤونه للحصار.

فاقام حمدويه على حصاره زمنا دون جدوى لمتانته أسوار المدينه و قوه حاميتها. فوجه الخليفة اليه قائدا اخر لمساعدته، فلم يفلح في فتح المدينه. فسير الخليفة القائد بغا الشرابي في أربعة آلاف من الجند الأتراك و المغاربه. فلما قرب بغا من مرند حاول ان يستميل.

بعض أصحاب ابن البعيث، فارس بن عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني(١). و معه امان لوجوه المدينة و لابن البعيث نفسه، على أن ينزلوا على حكم أمير المؤمنين الخليفة، و الا- فانه سيقاتلهم، و ان ظفر بهم لم يستبق احدا منهم، و كان عامه من مع ابن البعيث من ربيعه قوم عيسى بن الشيخ، فخرج اليه عدد كبير منهم(٢). ثم فتحت المدينة أبوابها فدخلها الجيش، و حاول ابن البعيث الهرب فلحقه بعض الجند و أخذوه أسيرا، و انتهب الجند منزله و منازل أصحابه و أهل المدينة ممن لم يستأمنوا.

و قدم بغا الشرايبي الى سامرا في شوال سنة ٢٣٥ هـ بابن البعيث مع أخوين له واحد أبناؤه، و كانوا خرجوا بأمان، مع عدد من الاسرى. و قد حملوا على الجمال ليراهم الناس. فأمر المتوكل على الله بحبسهم. و ذكر انه لما أتى المتوكل على الله بمحمد بن البعيث أمر بضرب عنقه، و قبل ان يقتله السياف سأله الخليفة عما دعاه الى ما صنع، فقال: الشقوه، و انت الحبل الممدود بين الله و بين خلقه، و ان لى فيك لظنين اسبقهما الى قلبى أولاهما بك و هو العفو، ثم اندفع يقول(٣):

أبى الناس الا انك اليوم قاتلى أمام الهدى و الصفح بالناس أجمل

و هل أنا الا جبله من خطيهو عفوكم من نور النبوه يجبل

فانك خير السابقين الى العلا و لا شك ان خير الفعالين تفعل

فقال الخليفة لبعض أصحابه: ان معه لأدبا. فقال: بل يفعل أمير المؤمنين خيرهما و يمن عليه. فأمر برده فحبس مقيدا. و قيل

١- فى الكامل ٧ / ٤٢ ابن السليل، و فى المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٤٤ ابن السليكم.

٢- الطبرى ٩ / ١٦٥، و الكامل ٧ / ٤٢.

٣- الطبرى ٩ / ١٧٠، و الكامل ٧ / ٤٧-٤٨ و فيه آخر البيت الاول: بالمرء أجمل.

ان المعتز شفع فيه الى أبيه فعفا عنه(١). و لم يلبث ابن البعث ان مات فى السجن بعد وصوله سامرا بشهر واحد.

### خروج أرمينية فى سنة ٢٣٧ هـ:

عين المتوكل على الله القائد أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى على أرمينية و اذربيجان، فعسكر بكرخ فيروز متأهبا للخروج الى ولايته. الا انه توفى فجأه فى أوائل شوال سنة ٢٣٦ هـ. فولى الخليفة ابنه يوسف، فشخص الى ارمينية و استطاع ان يضبطها.

و عند ما خرج بقراط بن آشور، و هو بطريق البطارقة، يطلب الاماره على الولاية فى سنة ٢٣٧ هـ استطاع يوسف ان يظفر به فقيده و بعث به الى سامرا، فاثار عمله هذا عددا من البطارقة فاعلنوا عصيانهم على الوالى، و تحالفوا على قتله، و قد انضم اليهم اسحاق بن اسماعيل عامل تفليس. و صادف موسم سقوط الثلج فى طرون، و هى المدينة التى كان فيها يوسف الثغرى، فحاصروه، فقاتلهم الا- انهم تغلبوا عليه و قتلوه، كما قتلوا كل من قاتل معه من أهل المدينة، و أما من لم يقاتل معه قالوا له: انزع ثيابك و انج بنفسك عريانا، ففعلوا و مشوا حفاه عراه فهلك أكثرهم من البرد، و سقطت أصابع كثير ممن نجا منهم، و كان ذلك فى رمضان(٢). ثم تغلبوا على عمال بقيه النواحي فقتلوهم.

لما بلغ المتوكل على الله خبر خروج البطارقة و قتلهم يوسف بن محمد و عماله وجه بغا الشرابي الى ارمينية طالبا بدم يوسف.

فسار اليهم بغا بجيش كبير و حارب قتله يوسف فظفر باكثرهم، و قتل زهاء ثلاثين ألفا من أهل أرمينية و سبى منهم خلقا كثيرا(٣).

ثم توجه بغا الى تفليس للقبض على عاملها الثائر اسحاق بن

١- الطبرى ٩ / ١٧١، و الكامل ٧ / ٤٨.

٢- الطبرى ٩ / ١٨٧، و الكامل ٧ / ٥٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٨٨، و الكامل ٧ / ٥٨ - ٥٩.

اسماعيل. و أمر قائده زيرك التركي بمهاجمه المدينه، فخرج اسماعيل الى محاربتة. و كان بغا يقف على تل مطل على المدينه يراقب المعركه، فلما رأى خروج اسحاق بعث النفاطين فضربوا المدينه بالنار، و كان أكثر بيوتها من خشب الصنوبر فالتهمتھا النيران. فعاد اسحاق الى المدينه ليعالج أمر الحريق فاحاط به الجند و أخذوه أسيرا فضرب بغا عنقه و سير رأسه الى الخليفه بسامرا. و احترق بالمدينه نحو خمسين ألف انسان، و أسر الجند من بقى حيا فيها، و سلبوا الموتى (١).

ثم وجه بغا جيشه لتأديب بقيه العصاه من البطارقه، ففتح قلعه الجردمان (٢)، و هى بين بردعه و تفليس و اخذ بطريقها اسيرا. كما استطاع ان يخضع البيلقان و أران و يأسر أصحابهما من البطارقه. و بذلك قضى على حركه العصيان و التمرد الذى كان قد عم أغلب أنحاء أرمينيه. الا ان اليعقوبى يذكر ان بغا زحف الى الصناريه فحاربهم فهزموه فانصرف عنهم، و تتبع من كان أعطاهم الامان فأخذ بعضهم، و هرب جماعه و كاتبوا صاحب الروم و صاحب الخزر و صاحب الصقالبه، فاجتمعوا فى خلق عظيم، فكتب بغا بذلك الى المتوكل على الله، فندب للبلد محمد بن خالد بن يزيد الشيبانى، فلما قدم ارمينيه جدد الامان للثائرين فسكنوا (٣).

مما يلفت النظر تعدد الفتن التى قامت فى أرمينيه و اذربيجان.

و يظهر ان السياسه التى انتهجتها الدوله العرييه فى تلك المناطق، فى الابقاء على الامراء المحليين بمراكزهم طالما كانوا مواليين للدوله، كانت نتيجتها ان تمسك هؤلاء الامراء بسلطاتهم التى غدت مشروعه باعتراف الدوله بها. و كانوا يسخطون لأى تدخل من الولاه فى شؤونهم، لا سيما اذا كان اولئك الولاه ضعفاء.

١- الطبرى ٩/ ١٩٢-١٩٣، و الكامل ٧/ ٦٧.

٢- الطبرى ٩/ ١٩٣، و الكامل ٧/ ٦٨، و جاء فيه اسم لقلعه الحرزمان.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٠.

و الواقع ان بطارقه ارمينيه كانوا شبه مستقلين فى اماراتهم. فاذا قدم عليهم وال داروه فان رأوا منه عفه و صرامه و كان فى قوه و عدده اذعنوا له بالطاعه و أدوا الخراج، و الا- طمعوا فيه و استخفوا بأمره(١). كما ان القسوه المتناهيه التى كان يلجأ اليها قواد الحملات العسكريه التى توجه لاختضاع العصاه كاحراق المدن و الامعان فى تقتيل السكان و سبيهم، كانت تولد رد فعل لدى سكان تلك المناطق فيزدادون بغضا للسلطه و بعدا عنها، و يبادرون الى مناصره كل من يناهضها، انتقاما لما أصابهم. و لذلك يلاحظ ان حركات التمرد فى المناطق المذكوره قلت كثيرا و كادت تتلاشى عند ما شغلت الدوله بمقاومه حركه الزنج، اذ انصرفت بكل جهودها للقضاء عليها. مما ترك للبطارقه الحريه الكامله فى اداره شؤونهم، و لذا لم يكن ثمة ما يدعوهم الى التمرد و العصيان.

## ٧- فتن الخوارج:

### اشاره

كان جمهور الخوارج بدوا تغلب عليهم نزع المساواه، و لذا لم يختصوا قبيله أو فخذاً بالخلافه، بل قالوا بترشيح كل مسلم لها، و ان يختار لها أفضل الناس بانتخاب الامه كافه(٢). و يذكر الشهرستاني ان عدد فرقهم الرئيسه ثمانيه، و قد تشعبت بحيث أصبحت خمسا و عشرين فرقه، يجمعها كلها وجوب الخروج على الامام اذا غير السيره و عدل عن الحق(٣). و هم لا يقرون مبدأ الوراثه أو التفويض و لذلك اعتبروا الخلفاء الامويين جائرين يجب الخروج عليهم، لانهم لم تختارهم الامه.

و كان رأى الخوارج فى الخلفاء العباسيين لا يختلف عن رأيهم فى الخلفاء الامويين، فانهم لا يرونهم صالحين للخلافه لانهم لم

١- فتوح البلدان / ٢١٢.

٢- النظم الاسلاميه للدورى / ٨٧-٨٨.

٣- الملل و النحل / ١ / ١١٥.

يستوفوا شروطها، و لم يختاروا من قبل الامه اختيارا حرا، و لذلك ظلوا يحملون لواء الخروج عليهم طيله عهد سامرا. و كانوا يستفيدون من الاضطراب القائم فى حاضره الخلافه بسبب النزاع بين الخلفاء و القواد الا-تراك، فيستضحل أمرهم و يشنون الغارات على القرى و الرساتيق و يجبون منها الزكاه و العشور. و قد دخلوا اكثر من مره بعض المدن و القرى. و لم تستطع الدوله القضاء عليهم رغم الحملات التى وجهت اليهم، لانهم لم يكونوا يتبعون قواعد الحرب النظاميه. فهم يظهرون عند ما تسنح لهم الفرصه، فيقاتلون بشجاعه و استبسال، ثم يفرون ملتجئين الى الجبال أو المناطق الوعره عند ما يهزمون أمام الجيش الموجه لقتالهم. و لم يتيسر لهم ان يستولوا على منطقه معينه بصوره دائمه و يؤسسوا اماره خاصه بهم. و لعل أهم أسباب ذلك قله عددهم، و ان الناس لم يكونوا يؤيدونهم، فضلا عن انهم كانوا يرهبون جانبهم لشدتهم و صرامتهم فى معامله من لم يأخذ بعقيدتهم، و كثيرا ما كانوا يتطوعون لمحاربتهم.

و سنستعرض فيما يأتى الانتفاضات التى قام بها رؤساء الخوارج ممن طالت مقارعتهم جيوش الخلافه فى عهد سامرا. فقد خرج عدد من زعماء الخوارج فى أماكن مختلفه من أرجاء الدوله العربيه لا سيما فى منطقه الموصل و الجزيره. كما كان أمرهم قد استفحل لوقت ما فى سجستان من الولايات الشرقيه. الا ان أكثرهم لم يتمكنوا من الثبات فى وجه السلطه، اذ سرعان ما كان يقبض عليهم فيسجنون أو يقتلون. و لم يستطع الاستمرار فى مقارعه الحملات التى توجه اليهم سوى نفر قليل منهم. فقد خرج فى سنه ٢٣١ هـ على عهد الواثق بالله، محمد بن عمرو الشيبانى الخارجى من بنى تغلب، فى ثلاثه عشر رجلا من اتباعه، فى ديار ربيعه فى الجزيره، و استجاب له كثيرون. فخرج الى محاربتة غانم بن ابى مسلم، و كان على جيش الموصل، فاخذه أسيرا و بعث به الى سامرا،

فحبس في سجن المطبق ببغداد، و نصبت رؤوس القتلى من أصحابه عند خشبه بابك بسامرا(١). و يروي اليعقوبي اخبار هذا الخارجي بشكل آخر فيقول ان محمد بن عمرو الشيباني خرج بديار ربيعه و ابو سعيد محمد بن يوسف بها فخرج اليه مع الجند، و كان محمد بن عمرو في ثلاثمائة أو أربعمائه من الخوارج فصار الى سنجار ثم انهزم الى ناحيه الموصل، فتبعه أبو سعيد فاسره و ادخله نصيبين على بقره، و حمله الى الواثق فكتب اليه: ما ينبغي ان يقتل، فانه لن يخرج خارجي مادام حيا، فلم يترك محبوسا في ايام الواثق بالله(٢).

و يظهر ان محمد بن عمرو اطلق من السجن او انه استطاع الهرب، لانه خرج ثانيه بناحية الموصل في سنة ٢٤٨ هـ في أيام المنتصر بالله. فوجه اليه القائد اسحاق بن ثابت الفرغاني، فاخذه أسيرا مع عدد من أصحابه فقتلوا و صلبوا(٣). الا ان ابن الأثير يشير في حوادث سنة ٢٥٢ هـ الى ان محمدا المذكور قتل في ديار ربيعه، قتله خليفه لأيوب بن احمد في ذى القعدة(٤). و لعله و أهم في ذلك لأنه سبق له أن أيد روايه الطبري، الا ان يكون قد نجا من القتل في سنة ٢٤٨ هـ و هرب من السجن، أو ان الطبري و اهم في تأريخ قتله و صلبه. على ان المسعودي يذكر و ثوب خارجي آخر في أيام المنتصر بالله غير محمد بن عمرو، هو ابو العمود الشاري الذي ظهر بالبوازيج قرب تكريت، و قد استفحل أمره اذ انضمت اليه جماعات من ربيعه و من الـكراد. فسرح اليه المنتصر بالله جيشا على رأسه القائد التركي سيما، فكانت بين الفريقين عده مواقع تمكن الجيش بعدها من أسر الشاري فجيء به الى سامرا. و يظهر ان

١- الطبري ٩ / ١٤٠، و الكامل ٧ / ٢٣ و جاء اسمه فيه محمد بن عبد الله الثعلبي، و لعلها مصحقة عن التغلبي.

٢- تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٨٣.

٣- الطبري ٩ / ٢٥٥، و الكامل ٧ / ١٢٠.

٤- الكامل ٧ / ١٧٦-١٧٧.

المنتصر بالله عفا عنه و اطلق سراحه بعد ان اخذ عليه العهد و المواثيق بعدم الخروج ثانيه(١). و لا- يعرف ما اذا كان أبو العمود هذا هو نفسه محمد بن عمرو الذى سبقت الاشاره اليه. و يبدو ان المسعودى قد توهم فى التفصيلات، لا سيما و انه لم يذكر شيئا عن خروج ابن عمرو الشارى. كما ان مده خلافه المنتصر بالله و هى ستة أشهر، لا تتسع لقيام فتنين فى نفس المنطقه. الا ان اختلاف مصير أبى العمود و اختلاف القائد الذى وجه اليه، و عفو المنتصر بالله عنه. مما يستدعى التأمل فى روايه المسعودى.

و يشير ابن الاثير الى خارجى آخر اسمه طوق من بنى زهير خرج فى سنه ٢٥٧ هـ فاجتمع اليه أربعة آلاف فسار الى أذرمه(٢)، فحاربه أهلها، الا انه استطاع ان يدخلها عنوه، و يظهر انه استباح المدينه. فجمع عليه الحسن بن أيوب بن أحمد العدوى جمعا كثيرا فحاربه و ظفر به فقتله و قطع رأسه و انفذه الى سامرا(٣).

على ان اهم فتن الخوارج فى خلال هذه المده هى فتنه مساور بن عبد الحميد الشارى البجلي الموصلى و خلفه هارون بن عبد الله التى استمرت قرابه ثلاثين سنه، و فتنه حمدان بن حمدون التغلبى التى دامت أربعة عشر عاما.

### مساور بن عبد الحميد البجلي:

ظهر لأول مره فى رجب سنه ٢٥٣ بالبوازيح، و هى بلد على فم الزاب الأسفل حيث يصب فى دجله(٤). و كان من دهاقينها. و قد

١- مروج الذهب ١٣٧ / ٤.

٢- أذرمه: بلده من ديار ربيعه قريبه من نصيبين، و هى من أعمال الموصل - معجم البلدان ١ / ١٣١ - ١٣٢.

٣- الكامل ٧ / ٢٤٩.

٤- معجم البلدان ١ / ٥٠٣.



اعتنق مذهب الخوارج و اعلن العصيان لأن صاحب الشرطه. كما يذكر ابن الاثير، اخذ ابنا لمساور اسمه حوثره فحبسه فى الحديثه، و هى بليده صغيره كانت على الجانب الشرقى من دجله قرب الزاب الاعلى(١). و كان حوثره فتى جميلا، فكان صاحب الشرطه يخرج من السجن ليلا و يحضره عنده، ثم يرده الى الحبس نهارا. فغضب مساور لذلك و خرج و أيدته جماعه فقصد الحديثه و استولى عليها و اخرج ابنه من الحبس. فاخفى صاحب الشرطه و لم يظفر به مساور. و كثر اتباع مساور من العرب و الاكراد فطمع بالاستيلاء على الموصل فسار اليها و نزل بجانبها الشرقى. و كان الوالى عليها آنذاك عقبه بن محمد بن جعفر الخزاعى، فخرج لمقاتلته. الا ان مساور كره القتال و آثر الانسحاب الى البوازيج، و كان ابنه معه فسمع يقول(٢):

أنا الغلام البجلى الشارى اخرجنى جوركم من دارى

و لما ادرك الخليفه المعتز بالله خطر فتنه مساور الخارجى وجه اليه القائد التركى ساتكين لحربه، فهرب مساور نحو طريق خراسان. و كان المسؤول عن هذا الطريق بندار الطبرى قد علم بخبره فاستعد لملاقاته، و توجه نحوه بثلاثمائة فارس حتى اشرف على معسكره ليلا، فرأى اتباع مساور مشغولين بالصلاه. فأشار عليه بعض أصحابه بمباغتتهم، الا انه امتنع عن مهاجمتهم غيله.

فلما أحس مساور و اتباعه بالخطر بالسلاح فأشتبك الطرفان و تمكن مساور من ان يهزم جيش بندار، و تبعهم حتى لحق ببندار و تمكن منه فقتله، و فر من نجا من أصحاب بندار و يتراوح عددهم بين مائه و مائه و خمسين رجلا. فسار مساور باتباعه الى حلوان(٣)،

١- نفس المصدر ٢ / ٢٣٠.

٢- الكامل ٧ / ١٧٥.

٣- حلوان: مدينه فى اخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد فتحها العرب صلحا فى سنه (١٩).- معجم البلدان ٢ / ٢٩٠.

يريد الاستيلاء عليها، فخرج اليه أهلها فقاتلوه و منعوه من دخول مدينتهم، فقال ابن مساور في ذلك(١):

فجعت العراق ببندارها و حزت البلاد بأقطارها

و حلوان صبحتها غار هفتلت أغرار غرارها

و عقبه بالموصل أحجرتة و طوقته الذل في كارها

و كان مساور قد استولى في سنة ٢٥٤ هـ على أكثر أعمال الموصل و قوى أمره. فنهض لقتاله الحسن بن أيوب بن أحمد العدوى التغلبي، و كان خليفه لاييه بالموصل، و معه خلق كثير، فعبر الزاب، فانسحب مساور و نزل في واد عميق، فسار الحسن في طلبه.

فالتقى به و اقتتلوا، فانهمز الحسن و عاد بعسكره الى الموصل مغلولاً. فقوى شأن مساور و خافه الناس.

و رغم ان القائد نوشري خرج اليه في رمضان و قتل من أصحابه عددا كبيرا، الا انه لم يستطع التغلب عليه. مما شجع مساورا على أن يطمع بالاستيلاء على الموصل، فقصدتها و نزل بظاهرها عند الدير الاعلى. فاستتر امير البلد منه، و هو عبد الله بن سليمان، لضعفه عن مقاتلته، كما لم يساعده أهل المدينه لميلهم الى الخلاف.

فدخل مساور المدينه بغير حرب، و لم يعرض لأحد من أهلها بسوء، سوى ان اتباعه احرقوا دار عبد الله بن سليمان. و لما حل يوم الجمعة دخل مساور المسجد الجامع، فصعد المنبر و خطب عليه و قال في خطبته: اللهم اصلحنا و اصلح و لاتنا(٢). و عند ما خطب و صلى جعل من أصحابه من يحرسه بالسيوف لانه لم يكن مطمئنا الى أهل الموصل لكثرتهم و عدم ميلهم اليه فضلا عن حذرهم منه. و يظهر انه

١- الكامل ٧ / ١٨٠.

٢- نفس المصدر / ٢٠٥.

لم يستطع المقام بها فتركها و سار الى الحديثه التي اتخذها مقرا له.

و قد استفاد مساور من الاضطراب السائد فى حاضره الخلافه بسبب الخلاف بين الخليفه و القواد الاتراك فاستولى على جزء من شمالى العراق و منع الاموال عن الخليفه فضاقت على الجند أرزاقهم(١). فخرج اليه القائد يارجوخ الا ان مساورا هزمه.

و لما بلغ الخليفه المهتدى بالله فى أول صفر سنه ٢٥٦ هـ ان مساورا الشارى صار الى بلد فقتل من أهلها و أحرق منازلهم، عزم على تجريد حمله كبيره للقضاء عليه. فأمر كبير قواده موسى بن بغا و القائدين مفلحا و بايكبال بالخروج اليه. الا انهم لم يخرجوا لعدم اطمئنانهم الى نيه الخليفه تجاههم و خوفهم من اتفاهه مع غريمهم القائد صالح بن وصيف. الا انهم بعد ان ظفروا بصالح و قتلوه سار موسى و بايكبال لحرب مساور فى مستهل جمادى الاولى، و قد شيعهما الخليفه، الا افهما سرعان ما عادا الى سامرا لاضطراب الاحوال فيها.

و عند ما بويح الخليفه المعتمد على الله سير القائد مفلحا فى عسكر حسن العده الى قتال مساور و القضاء على تمرده، فلما قرب العسكر من الحديثه فارقتها مساور و اتجه الى الجبال فتبعه جيش مفلح.

فالتقى الجيشان و اقتتلا، فهزم مساور و فر باصحابه صاعدين أحد الجبال و صاروا الى ذروته. فعسكر جيش مفلح فى سفح الجبل لحاصرتهم، فعمد مساور الى الخداع فأمر أصحابه بايقاد النيران و ان يركزوا رماحهم ليوهم جيش مفلح بانهم معسكرون فوق الجبل، ثم هبط بهم من الجهه الاخرى من الجبل و مضى هاربا لضعف أصحابه و لكثره ما أصابهم من الجراح(٢).

١- نفس المصدر / ٢٢٦.

٢- الطبرى ٩ / ٤٥٥ - ٤٥٦، و الكامل ٧ / ٢٢٧.

عاد القائد مفلح الى الموصل و أخذ يتهيأ للخروج للقاء مساور الذى كان قد عاد الى الحديثه، فلما اقترب جيش مفلح منها، تركها مساور و توغل باتباعه فى الجبال و الوديان، فاستعصى على مفلح الظفر به، فعاد و قد اصاب جيشه الارهاق. فارسل مساور جماعه من أصحابه لملاحقه الجيش المنسحب، حتى وصل مفلح الى الحديثه. الا ان هجمات أصحاب مساور اضطرته على تركها و الانحدار فى أول شهر رمضان سنة ٢٥٦ هـ الى سامرا، مما ساعد مساورا على فرض هيمنته على المنطقه و جبايه خراجها، فاشتد أمره و قوى شأنه(١).

و استطاع مساور ان يظفر فى سنة ٢٦١ هـ بوالى خراسان يحيى بن جعفر فقتله(٢)، فشخص القائد مسرور البلخى فى طلبه، فهرب مساور و لم يستطع اللحاق به. و قد توفى مساور فى سنة ٢٦٣ هـ و هو فى طريقه الى لقاء الجيش الذى وجه من سامرا لحرابه(٣).

يستخلص مما ذكرناه عن مساور الشارى انه خرج عاصيا على الدوله انتقاما لسوء تصرف صاحب الشرطه، و انه لم يكن له من المؤيدين و الاتباع ما يساعده على ان يستثمر تغلبه على الحملات العسكريه التى وجهت اليه. و انه كان شجاعا لا ينقصه المكر و الخديعه، و انه كان ينهج حرب العصابات، فكان يهاجم مكانا ما فيقتل و يحرق و ينهب ثم يهرب. و بقى يظهر بين مده و أخرى فى أماكن مختلفه حتى توفى و هو يستعد لمحاربه أحد الجيوش التى وجهت اليه.

---

١- الكامل ٧ / ٢٢٧.

٢- الكامل ٧ / ٢٨٨، و الطبرى ٩ / ٥١٢، و جاء فيه اسم والى خراسان يحيى بن جقص.

٣- الطبرى ٩ / ٥٣٢، و الكامل ٧ / ٣٠٩.

**حمدان بن حمدون التغلبي:**

أما الخارجي الآخر الذي استمر مده طويله أيضا فهو حمدان بن حمدون التغلبي. وقد انتصر لهارون الشاري في بعض معاركه. و سار اليه أول خروجه في أول رمضان سنة ٢٦٧ هـ والى الموصل اسحاق بن كنداج فهزمه و اتباعه الى نصيبين، و تبعهم الى قرب آمد، و جرت بين الطرفين معارك لم تكن حاسمه، و يظهر ان حمدانا و اتباعه استطاعوا الافلات من ابن كنداج فلم يظفر بهم (١).

و كان حمدان قد دخل الموصل بمعيه هارون الشاري، الا انهما ما لبثا ان خرجا منها. و ظل حمدان يقارع الجيوش التي ترسل الى محاربتة، حتى خرج اليه الخليفة المعتضد بالله في سنة ٢٨١ هـ، و كان حمدان قد التجأ الى قلعه ماردين. فلما بلغه مجيء المعتضد بالله هرب منها فاستولى الجيش على ما فيها من الاموال و الاثاث و هدمها. و توجهت ثله من الجند خلف حمدان، فطلبوه حتى ظفروا به، فأمر الخليفة بحبسه (٢).

**هارون بن عبد الله البجلي:**

عند ما توفي مساور الشاري كتب اصحابه الى محمد بن خرزاد الخارجي بشهرزور ليولوه أمرهم فامتنع، فبايعوا أيوب بن حيان البجلي. الا ان ابن خرزاد ما لبث ان ارسل الى اصحاب مساور يعلمهم بموافقة على ان يتولى أمرهم. فاجابوه انهم بايعوا ابن حيان البجلي و لا يغدرون به، فسار ابن خرزاد اليهم و قاتلهم، فقتل ابن حيان، فبايع اصحابه محمد بن عبد الله الوارقي المعروف بالغلام فقتل أيضا، فبايعوا بعده هارون بن عبد الله البجلي الذي

١- الطبري ٩ / ٥٨٧، و الكامل ٧ / ٣٦٢.

٢- الطبري ١٠ / ٣٨.

استطاع ان يهزم ابن خرزاد و ان يستولى على أعمال الموصل و يجبي خراجها(١).

ثم تجدد النزاع بين محمد بن خرزاد و هارون البجلي. و كان ابن خرزاد زاهدا خشن العيش، يلبس الصوف الغليظ و يرفع ثيابه، و لذلك انفض عنه أغلب اتباعه. و كان هارون قد كاتبهم و استمالهم اليه فاتاه منهم الكثيرون. و لم يبق مع ابن خرزاد غير أبناء عشيرته، فضعف أمره، و ما لبث أن قتل في أحد معاركه مع الـكراد في منطقه شهرزور. فانفرد هارون البجلي بالرئاسه على الخوارج، فقوى شأنه و كثر اتباعه، و تغلب على القرى و الرساتيق، و جعل على دجله من يأخذ الزكاه من الاموال المتحدره و المصعده، و بث نوابه في الرساتيق يأخذون العشر من الغلات(٢).

و استطاع هارون ان يدخل مدينه الموصل بمعاونه حمدان بن حمدون التغلبي الخارجي. و صلى هارون بالناس في جامع المدينه.

الـان بنى شيبان كانوا قد تجمعوا في بعض جهات الموصل، فجمع هارون اتباعه لمقاتلتهم. و كتب الى حمدان التغلبي يطلب نجده، فسار الاثنان الى نهر الخازر فاصطدما بتجمع بنى شيبان و اشتبكا صعهم في قتال هزم فيه هارون و صاحبه حمدان و اتباعهما.

استمر هارون الشاري خارجا على الدوله حتى عهد المعتضد بالله، فخرج اليه بنفسه الى الموصل في سنه ٢٨٣ هـ، و انتدب الحسين بن حمدان التغلبي لحربه. فاشترط الحسين على الخليفه ان هو جاء بهارون ان يطلق سراح ابيه حمدان الذي سبق ان ظفر به المعتضد بالله قبل سنتين و سجنه، فوافق الخليفه على ذلك. و من الواضح ان المعتضد بالله اختار الحسين لهذه المهمه لانه كان بمعيه ابيه الخارجي مده، و كان أبوه يتعاون مع هارون الشاري، و لذا

١- الكامل ٧ / ٣٠٩ - ٣١٠.

٢- الكامل ٧ / ٣٥٩ - ٣٦٠.

فانه كان على معرفه بكمائث الشراه و مخابئهم و أساليب القتال التي يتبعونها. و لم يخيب الحسين ظن الخليفه به، فطارده هارون الشارى و اتباعه و اشتبك معهم و هزمهم و ظفر بهارون و جاء به أسيرا بغير عهد و لا عقد(١).

و لما تم القبض على هارون الشارى انصرف المعتضد راجعا الى مدينه السلام، و خلع على الحسين بن حمدان و طوقه بطوق من ذهب، و أمر بفك قيد أبيه حمدان و التوسعه عليه و الاحسان اليه، ثم اطلق سراحه.





## الباب السابع خلفاء سامرا و المحنه

### اشاره

١- المعتزله و أهل السنه.

٢- المعتصم بالله و المحنه.

٣- المحنه فى عهد الواثق بالله.

٤- نهايه المحنه.



## الفصل الأول المعتزله و أهل السنه

## ١- مقدمه:

المعتزله طائفه من المسلمين يسمون بأصحاب العدل و التوحيد.

و تتلخص عقيدتهم بان الله تعالى قديم، و القدم أخص صفاته، و هو عالم قادر وحي بذاته، و انه لا يرى يوم القيامة بالابصار، و نفوا عنه التشبيه من كل وجه. و ان كلامه، أى القرآن، مخلوق محدث و ليس أزليا، و سموا هذا النمط توحيدا. و ان الانسان قادر على أفعاله من خير أو شر و لذا فهو يستحق فى الدار الآخرة على أفعاله ثوبا أو عقابا. و ان الله تعالى منزه عن أن يضاف اليه شر أو ظلم و انه لا يفعل الا الخير و الصلاح، و سموا هذا النمط عدلا. و ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعه و توبه فانه يستحق الثواب، و اذا خرج من غير توبه عن كبيره ارتكبها استحق الخلود فى النار، و لكن عقابه أخف من عقاب الكافر، و هذا ما يعبرون عنه بالمنزله بين المنزلتين، أى انه لا مؤمن و لا كافر، و سموا هذا النمط و عدا و وعيدا. و هم يدعون الى اقامه حكم الله على من يخالف أوامره

و نواهيه، و ذلك هو النهى عن المنكر. و بهذا تقوم عقيدته المعتزله على الاعتقاد بالعدل و التوحيد و الوعد و الوعيد و القول بالمنزله بين المنزلتين و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و سموا معتزله لان رأسهم واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى فى حلقات الدرس، فلما نشب الخلاف فى الرأى حول مرتكب الكبائر، فقالت الخوارج بكفره، و قالت الجماعه بانه مؤمن و ان فسق، قال واصل ان الفاسق من هذه الامه ليس مؤمنا و لا- كافرا، بل هو فى منزله بين المنزلتين. فطرده الحسن من مجلسه، فاعتزل واصل عنه، فاطلق عليه و على اتباعه ممن يقولون قوله اسم المعتزله(١). و بالنظر لايمان المعتزله بحريه الرأى فقد تعددت اراؤهم حول القواعد الاساسيه لمذهب الاعتزال، باختلاف اجتهاد البارزين منهم.

و مع تعدد فرق المعتزله فهم متفقون على عدد من العقائد أهمها(٢):

١- نفى الصفات عن الخالق عز و جل و استحاله رؤيته بالابصار.

٢- ان كلام الله محدث مخلوق.

٣- الفاسق من المسلمين لا مؤمن و لا كافر، و انما هو بمنزله بين المنزلتين.

٤- ان كل ما أمر الله به أو نهى عنه من أعمال لم يشاء الله منها شيئا، لانه خلق الاجسام و لم يخلق شيئا من الاعراض، أى انه لم يخلق أفعال العباد و انما هم يفعلون أعمالهم بالقدره التى خلقها الله فيهم.

١- راجع عن المعتزله و نشوئهم و فرقهم: الملل و النحل ١/ ٤٣- ٨٥، و ثمرات الاوراق ١/ ١٦، و الفرق بين الفرق / ٦٧- ١٢٢.

٢- الفرق بين الفرق / ٦٨- ٦٩.

٥- ان الله تعالى شىء لا كالأشياء وانه خلق كل ما خلقه من لا شىء.

و كان مذهب الاعتزال قد ظهر فى أيام الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان، و لم يزل ينمو و يتزايد اتباعه الى أيام الخليفة المأمون العباسى الذى اعتنق هذا المذهب و اظهر القول بخلق القرآن، و حاول ان يجعل الاعتزال مذهب الخلافة الرسمى.

أما خلاصه عقيدته أهل السنه فى القرآن الكريم فقد لخصها ابن دحيه بما يلى: ان القرآن كلام الله عز و جل، صفه ذاته و هو سبحانه متكلم به. نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فدعاه عنه و بلغه بلسانه العربى. و انه فى المصاحف مثبت، و فى القلوب محفوظ، و بالآذان مسموع، و بالأصوات متلو، و بالفهام مفهوم، و بالحروف و الاشكال و الاصباغ مخطوط، و بالالفاظ مقروء، فمكتوبه و مخطوطه و مسموعه و متلوه و محفوظه و مقروءه، حقيقه كلام الله عز و جل غير محدث و لا مخلوق و لا مجعول. و ان كل تلك الصفات محدثه كائنه بعد ان لم تكن، مختلفه متغيره فانيه، و كلام الله باق واحد ثابت لا يزول و لا يحول و لا يبدل(١).

و قد اتفق جمهور اهل السنه و الجماعه على أصول أركان الدين، و أهمها(٢):

١- ان العالم كل شىء هو غير الله عز و جل، و ان كل ما هو غير الله تعالى و غير صفاته الأزليه مخلوق مصنوع، و ان صانعه ليس بمخلوق و لا مصنوع. و ان الحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع، و ان صانع العالم خالق الأجسام و الأعراض خيرها، و شرها.

٢- ان علم الله تعالى و قدرته و حياته و ارادته و سمعه و بصره و كلامه صفات أزليه له و نموت أبدية.

١- النبراس / ٧١ - ٧٢.

٢- للمزيد من التفصيلات راجع الفرق بين الفرق / ١٩٤ - ٢١٧.

٣- ان مآخذ أسماء الله تعالى و أوصافه، التوقيف عليها أما بالقرآن أو بالسنة الصحيحة و أما باجماع الأمة عليه، و لا يجوز اطلاق اسم عليه من طريق القياس.

٤- الفرق بين الرسول و النبي، ان كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة و كان مؤيدا بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي. و من حصلت له هذه الصفه و خص أيضا بشرع جديد أو بفسخ بعض أحكام شريعته كانت قبله فهو رسول. و ان المعجزه أمر يظهر بخلاف العاده على يد مدعى النبوه مع تحديه قومه بها و مع عجز قومه عن معارضته بمثلها، على وجه يدل على صدقه.

٥- ان اركان شريعته الاسلام خمسه: شهاده ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله، و اقامه الصلاه، و ايتاء الزكاه، و صوم رمضان، و حج البيت الحرام. و من اسقط وجوب ركن منها أو تأويله فهو كافر. و ان الايمان هو المعرفه و التصديق بالقلب.

٦- ان أفعال المكلفين خمسه: واجب و محذور و مسنون و مكروه و مباح. فالواجب ما أمر به الله تعالى على وجه اللزوم و تاركه مستحق العذاب. و المحذور ما نهى الله تعالى عنه و فاعله يستحق العقاب. و المسنون ما يثاب عليه فاعله و لا يعاقب تاركه. و المكروه ما يثاب عليه تاركه و لا يعاقب فاعله.

و المباح ما ليس فى فعله ثواب و لا عقاب.

٧- ان الله سبحانه و تعالى قادر على افناء جميع العالم جمله، و على افناء بعض الاجسام مع بقاء بعضها.

٨- ان الخلافه و الامامه فرض واجب على الأمة و ان طريق عقد الامامه للامام الاختيار بالاجتهاد.

## ٢- بدايه المحنه فى أيام المأمون:

ان تمسك أهل السنه بنصوص القرآن و السنه النبويه، و قولهم بأن الايمان ليس بحاجه الى غيرهما، و ان الاعتماد على النظر و العقل قد يوصل الى الالحاد، يجعلهم على طرفى نقيض من مبادئ المعتزله التى تقوم على العقل و النظر. مما أدى الى ذلك الصراع العنيف بين الفريقين حول القول بخلق القرآن. فقد كتب الخليفه المأمون فى ربيع الاول سنه ٢١٨ هـ، و هى السنه التى توفى فيها، و كان على رأس حملته عسكريه فى بلاد الروم، الى خليفته بمدينة السلام اسحاق بن ابراهيم المصعبى، يأمره بامتحان القضاة و المحدثين، و خلاصه كتابه(١): ان السواد الاعظم من الرعيه أهل جهاله بالله، و ضلاله عن حقيقه دينه و توحيدده، و انهم ساووا بينه تبارك و تعالى و بين ما انزل من القرآن. فاتفقوا على ان القرآن قديم أول لم يخلقه الله و لم يحدثه. و ينسب هؤلاء أنفسهم الى أهل السنه. و طلب اليه ان يجمع القضاة و يمتحنهم فيما يقولونه فى خلق القرآن و احداثه، فان أقرؤا بذلك كانوا على سبيل الهدى و النجاه، و عليهم ان لا- يقبلوا شهاده من لم يقر بان القرآن مخلوق محدث. و أمره أن يكتب اليه بما يحصل من ذلك.

ثم كتب المأمون بعد ذلك الى اسحاق كتابا ثانيا خلاصته(٢): ان من واجب أمير المؤمنين أن يجهد لله نفسه، و يهدى من زاغ عنه، و ان يقف رعيته على حدود ايمانهم و سبيل فوزهم. و ان أمير المؤمنين رأى ما ينال المسلمين من القول فى القرآن الذى جعل الله اماما لهم، و اشتباهه على كثير منهم بأنه غير مخلوق. مما أدى الى التلم بالدين و الاعتراف بالتبديل و الالحاد. و طلب اليه أن يمتحن قاضى بغداد و سائر القضاة فى عمله، فلا يبقى أحدا منهم ما لم يقر

١- نص الكتاب فى الطبرى ٨ / ٦٣١-٦٣٤.

٢- نص الكتاب فى الطبرى ٨ / ٦٣٤-٦٣٧.

بأن القرآن مخلوق. و ان يطلب اليهم ان يمتحنوا من يحضر مجالسهم للشهادة، و ان لا يقبلوا شهاده من لم يقر بذلك.

فدعا اسحاق بقضاه بغداد و فقهاها و ينوف عددهم على العشرين (١)، فمنهم من أجاب و منهم من امتنع و منهم من راوغ فى جوابه. فكتب اسحاق بجواب كل منهم الى الخليفه المأمون. فكتب الخليفه الى اسحاق كتابا ثالثا (٢). و فيه رد المأمون على من لم يجب.

و ابرز عيوبهم و الماخذ عليهم و طلب الى اسحاق أن يعاود امتحانهم، و من لم يرجع منهم عن شركه، يشخصهم موثقين الى أمير المؤمنين ليرى فيهم رأيه. و قد نفذ الخليفه هذا الكتاب فى خريطه بنداريه- أى بالبريد المستعجل- فأجاب القوم كلهم عدا أحمد بن حنبل و محمد بن نوح، فقيدا بالحديد و وجها الى طرسوس. الا ان المأمون كان قد مات قبل وصولهما اليه، فاعيدا الى مدينه السلام.

و كان صاحب الخبر قد أبلغ المأمون ان بشر بن الوليد، و هو أحد الفقهاء الذين أقروا بخلق القرآن، قد تأول الآيه الكريمه «إِلَّا مَنْ أْكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (٣). أى انه أقر بخلق القرآن تقيه خوفا من البطش به. فكتب المأمون الى اسحاق بانهم أخطأوا تأويل الآيه الكريمه، و انما عنى الله تعالى بها من كان معتقدا الايمان مظهر الشرك، فليست هذه لهم. و طلب اليه ان يشخصهم جميعا الى طرسوس، فاشخصهم اليه. فلما وصلوا الرقه بلغتهم وفاه المأمون، فاعادهم و اليها عنبسه بن اسحاق الى مدينه السلام.

و يبدو ان المأمون كان يستهدف من اظهار مذهب الاعتزال ان يضعف نفوذ الفقهاء و سلطانهم على عامه الناس.

١- أورد الطبرى اسمائهم فى ٨ / ٦٣٧.

٢- نص الكتاب فى الطبرى ٨ / ٦٤٠-٦٤٤.

٣- سوره النحل، الايه: ١٦٠.



## الفصل الثاني المعتصم بالله و المحنه

### ١- المعتصم بالله يناصر المعتزله:

كان أبو اسحاق قد ولاه المأمون على مصر منذ سنة ٢١٤ هـ، فكتب الى كيدر و هو خليفته في مصر، بأن أخاه أمير المؤمنين عبد الله المأمون أمره بأن يكتب الى قضاة عمله بامتحان من يحضرون للشهادة، فمن أقر منهم بان القرآن مخلوق و كان عدلا قبلت شهادته، و من امتنع أسقطت شهادته. كما طلب اليه ان يمتحن القضاة بذلك أيضا، فمن قال ان القرآن مخلوق أقره بموضعه، و من رفض أمره باعتزال عمله، و أوعز اليه بمثل ذلك فيما يتعلق باهل الفقه و الحديث(١).

و لما بويع المعتصم بالله بالخلافه جعل أحمد بن أبي دواد رئيس قضاة، و اتخذه مستشارا له في كل أموره، حسب ما أوصاه به أخوه المأمون. و ابن أبي دواد هذا كان رأس القائلين بخلق القرآن. و المعتصم بالله شبه أمي لا يكاد يعرف شيئا من علوم الدين القرآن. و المعتصم بالله شبه أمي لا يكاد يعرف شيئا من علوم الدين أو فقهه، لا سيما ما يقول به المعتزله من الآراء. و لذا فقد وقع

١- نص الكتاب في كتاب الولاة و كتاب القضاة / ٤٤٥-٤٤٧.

تحت تأثير رئيس قضااته من جهة، كما انه رغب أن لا يكون أقل اهتماما من أخيه بهذه الدعوه من جهة أخرى و بخاصه انه قد قال له فى وصيته: و خذ بسيره أخيك فى القرآن. و لذا فقد استمر على نهج المأمون بأن جعل الاعتزال مذهب الخلافه الرسمى، و فى امتحان رجال الدين بخلق القرآن. و امر المعلمين ان يعلموا الصبيان ذلك(١).

كما أمر بمناظره أحمد بن حنبل.

## ٢- المحنه و أحمد بن حنبل:

يعتبر الامام أحمد بن حنبل أقوى من تصدى للمحنه من رجال الفقه و الحديث. و قد أصبح أبرز فقهاء أهل السنه بعد وفاه الامام محمد بن أدريس الشافعى. و بعد ان قضى فى السجن ما ينوف على السنتين اخرجته المعتصم بالله لامتحانه مجددا طمعا فى ان يلين و يقر بخلق القرآن. فعقد له مجلسا لمناظرته حضره قاضى القضاة أحمد بن أبى دواد و قاضى بغداد عبد الرحمن بن اسحاق و غيرهما من رجال الدين المعتزله. فناظروه ثلاثه أيام فلم يقر بذلك. فأمر الخليفه به فجلد جلدا عظيما حتى غاب عقله و تقطع جلده(٢).

الا ان لليعقوبى رأيا آخر فى موقف أحمد بن حنبل من المحنه.

فهو يقول انه امتنع أول الأمر عن أن يقول بان القرآن مخلوق فضرب عده سياط. فطلب اسحاق بن ابراهيم الى الخليفه ان يسمح له بمناظرته لعله يستطيع ان يقنعه بتغيير رأيه. فحاجه اسحاق و استدرجه الى ان يعترف بانه لا يعلم كل شىء، و ان ما يعلمه من أمور قد تعلمه بالتدريج، و انه لا يزال يجهل أمورا كثيره. و اقنعه اسحاق بان ما لم يعلمه قد علمه أمير المؤمنين. فقال ابن حنبل انى أقول بقول أمير المؤمنين فى خلق القرآن، فاشهد اسحاق على قوله،

١- تاريخ الخلفاء / ٣٣٥.

٢- الكامل ٦ / ٤٤٥.

و خلع عليه و اطلقه الى منزله(١). و يؤيد هذا ان الجاحظ قال فى رساله له بعنوان «فضيله المعتزله» طبعت على هامش كتاب الكامل للمبرد فى سنه ١٣٢٤ هـ، ان أحمد بن حنبل لم يضرب سوى ثلاثين سوطا مقطوعه الثمار، مشعبه الأطراف، حتى أفصح بالاقرار مرارا(٢). و لكن ابن دحيه يقول: ان هذا القول لا يصح، و هى حكاية مفتعله من بعض سفله المعتزله، ثم يصف طريقه ضرب ابن حنبل، و كيف ان المعتصم بالله كان يهيب بالجلادين ان يوجعه ضربا، و يطلب منه بين آن و آخر ان يجيب الى ما يدعوه اليه فلا يرضى، و ان ضربه استمر حتى فقد وعيه(٣).

ان دعوى اقرار الامام احمد بن حنبل التى قال بها اليعقوبى و الجاحظ تناقض ما اجمعت عليه المصادر الاخرى من انه رفض القول بخلق القرآن رغم سجنه و ضربه، و قد عرف الامام أحمد بصلابه رأيه و انه فضل الموت لما حمل مقيدا الى الخليفه المأمون بطرسوس، على القول بذلك. كما انه كان يدرك اهميه موقفه من دعوه المعتزله، و تأثيره على أهل السنه. و قد لام الفقهاء السبعه الذين أجابوا بالموافقه، فقال: لو انهم صبروا و قاموا لله لكان انقطع الامر و حذرهم الرجل - يعنى المأمون - و لكن لما أجابوا، و هم عين البلد، اجترأ على غيرهم(٤). و يرجح ان ما اورده اليعقوبى و الجاحظ موضوع من قبل المعتزله أو غيرهم من مناوئى أحمد بن حنبل، للحط من منزلته من جهه، و انتصارا لموقف السلطه و تأييدا لدعوتها الى القول بخلق القرآن.

١- تفصيل ذلك فى تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٢.

٢- أحمد بن حنبل و المحنه / ١٤.

٣- النبراس / ٤٨ - ٤٩.

٤- أحمد بن حنبل و المحنه / ١٠٩.

على ان امر المحنة كان فى عهد المعتصم بالله سهلا، اذ لم يكن الناس يلزمون بالقول بخلق القرآن(١). و يظهر ان الامر اقتصر على القضاة و الفقهاء و المحدثين و الشهود.

ولأبن الأثير تسلسل تاريخى طريف فى نشوء فكره القول بخلق القرآن يذكره عند ما يشير الى وفاه أحمد بن أبى دواد، فيقول عنه و انه أخذ ذلك عن بشر المريسى، و اخذه بشر عن الجهم بن صفوان، و انه أخذ ذلك عن بشد المريسى، و اخذه بشد عن الجهم بن صفوان.

و أخذه الجهم عن الجعد بن أدهم، و أخذه الجعد عن ابان بن سمعان، و أخذه ابان عن طالوت ابن أخت ليلى الأعصم و ختته، و أخذه طالوت عن ليلى اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه و سلم، و كان ليلى يقول بخلق التوراه، و أول من صنف فى ذلك طالوت و كان زنديقا فافشى الزندقه(٢). و هدف ابن الأثير من هذا التسلسل اعتبار القول بخلق القرآن رأيا يهوديا، يقول به الزنادقه، و من ثم فهو دخيل على الاسلام و القول به كفر.

---

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٤٥١.

٢- الكامل ٧ / ٧٥.

## الفصل الثالث المحنه فى عهد الواثق بالله

### ١- التشدد فى المحنه:

أخذ الخليفه الواثق بالله بمبادئ الاعتزال. اذ كان قد الزم نفسه بتقليد عمه المأمون فى ادخاله فانساق فى دعوته على حمل الناس على القول بخلق القرآن من جهه، كما انه وقع تحت تأثير ابن أبى دواد من جهه أخرى. فناصر المعتزله فى نشر آرائهم. و بلغ من تأييده لهم و تعصبه لآرائهم انه أمر بحصر الوظائف الدينيه فيهم.

بل انه عند ما اتفق مع الروم على مفاداه اسرى العرب لديهم، أمر بأن يمتحن الاسارى فمن قال بخلق القرآن و ان الله لا يرى فى الاخره فودى به، و من لم يقل بذلك ترك فى أيدي الروم. كما سبق أن أمر بامتحان أهل الثغور و أمر بضرب أعناق من لم يقل بخلق القرآن(١).

و يلاحظ ان النزاع بين المعتزله و خصومهم انحصر فى موضوع القول بخلق القرآن دون آراء المعتزله الاخرى كالعدل الالهى و حريه الاراده و مسؤوليه الانسان عن أعماله، و غير ذلك. و ذلك لأن هذا الموضوع يسير الفهم فلا يحتاج الى عمق فى التفكير أو مزيد من

١- الطبرى ٩ / ١٤١، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢.

العلم. فهو يتلخص فى أن القرآن و ان كان كلام الله تعالى فانه مخلوق و ليس أزليا مثله. اذ ان ما القى فى اذن الرسول صلى الله عليه و سلم من كلام الله تعالى، عند نزول الوحي عليه، لم يكن هو صوت الخالق عز و جل، بل انه كلام خلقه الله تعالى و ظهر بارادته بصوره غير مباشره، و هو يتفق فى وضعه و فحواه مع ارادته تعالى.

و على هذا فانه من مخلوقات الله تعالى الماديه مثل غيره من المخلوقات الاخرى، و ليس فكرته الأبدية التى هى جزء من حقيقته لا تنفصل عنه. و هذا يناقض رأى أهل السنه الذين يقولون ان كلام الله تعالى صفة أبدية ملازمه له لا بدايه له و لا نهايه، و هو فى ذلك مثل الخالق نفسه. و لذا فان القرآن الذى هو كلام الله تعالى أوحاه الى رسوله الكريم لم يحدث فى مجرى الزمن، بل انه وجد منذ الأزل، أى انه وجد بوجوده تعالى، و لذا لا يمكن أن يكون مخلوقا.

على الرغم من بساطه الموضوع و عمق نتائجه، فان اهتمام السلطه و الرأى العام به مما يدل على التقدم الثقافى الذى وصل اليه المجتمع العربى فى عهد الواثق بالله فى سامرا. و مع ان المعتزله اتيح لهم ان يستخدموا سلطه الخلافه فى فرض آرائهم على الناس، فانهم لم ينجحوا فى النهايه، لأن عددا غير قليل من العلماء و الفقهاء، اظهروا استقلالاً فكرياً و شجاعه أدبيه فى مناهضه هذه الآراء، و لأن المحافظين من رجال الدين كان لهم نفوذ كبير على عامه الناس.

لقد قام الاعتزال أصلا على الاجتهاد و الرأى، و شأنه فى ذلك شأن المذاهب الاسلاميه الاخرى. فهى تختلف فى عديد من القضايا الفقهييه، غير ان خلافاتها لم تتعد المساجله و المناقشه و حشد الآيات القرآنيه و الاحاديث النبويه لتأييد وجهه نظرها. أما دعاه الاعتزال فقد أخذوا مخالفيهم بالشده و العنف، بل بالسجن و التعذيب و القتل أيضا. و انهم و سموا بالكفر كل من لم يقل بمقولتهم. و هذا مما يدعو الى الاستغراب، اذ اوقع المعتزله أنفسهم بتناقض واضح بين دعوتهم الى التمسك بالمبادئ العقلية و الدفاع عن حريه الرأى،

و ممارستهم التعصب الأعمى باضطهاد مخالفيهم، و عدم التسامح معهم. و الواقع انهم اساءوا استخدام السلطه فى فرض آرائهم على الآخرين، مما كان له رد فعل واضح. فقد ناهض عدد من الفقهاء و العلماء هذه الدعوه رغم ما تعرضوا له من اضطهاد و تنكيل وصل ببعضهم الى السجن و بالبعض الآخر الى القتل.

كان أمر المحنه فى أيام المعتصم بالله سهلا اذ لم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أم أبوا، فلما استخلف الواثق بالله أمر أن يؤخذ الناس بها بالشده(١). و يقال ان قاضى قضاته ابن ابى دواد قد استولى عليه و حمله على التشدد فى المحنه(٢). و قد أمر القضاة فى سائر الامصار ان لا يقبلوا شهاده من لم يقل بخلق القرآن(٣). فقد ورد فى سنه ٢٣١ هـ كتاب الواثق بالله على أمير البصره بامتحان الأئمه و المؤدبين بخلق القرآن(٤). و جاء فى كتاب الولاه و القضاة انه لما ورد كتاب الخليفه الواثق بالله على قاضى مصر محمد بن ابى الليث بامتحان الناس أجمع، لم يبق فقيه و لا محدث و لا مؤذن و لا معلم حتى أخذ بالمحنه، فهرب كثير من الناس، و ملئت السجون ممن انكر المحنه، و أمر ابن ابى الليث بأن يكتب على المساجد: لا اله الا الله رب القرآن المخلوق. فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر.

و منع الفقهاء من أصحاب مالک و الشافعى من الجلوس فى المسجد و أمرهم ان لا يقربوه(٥).

و يبدو ان الناس فى مصر أخذوا بصنف و ألزموا القول بخلق القرآن بتأثير الجو الارهابى الذى أحدثه القاضى ابن ابى الليث.

و قد أورد صاحب كتاب القضاة و كتاب الولاه أمثله على ذلك. اذ

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٤٥١.

٢- تاريخ بغداد ١٤ / ١٨، و تاريخ الخلفاء / ٣٤١.

٣- مروج الذهب ٤ / ٣١٩.

٤- شذرات الذهب ١ / ٤٠٨، و العبر ٢ / ٦٩.

٥- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٤٥١.

روى عن نصر بن مرزوق انه قال: كنت جالسا فى المسجد فسمعت ضوضاء و رأيت الناس قد جفلوا فنظرت فاذا هارون بن سعيد الأيلى و طيلسانه تحت عضده و عمامته فى رقبته، و مطر غلام القاضى ابن ابى الليث يسوقه بعمامته، و هارون ينادى بأعلى صوته القرآن كذا و كذا، ثم اخرجه من المسجد يطاف به فى الطرق(١). كما يذكر اسماء عدد من العلماء الذين هربوا من مصر لأنهم امتنعوا عن القول بخلق القرآن(٢).

و من طريف ما يروى عن الحارث بن مسكين و قد امتحن على عهد الواثق بالله، فقيل له أتشهد ان القرآن مخلوق مخلوق؟ قال: قال: أشهد ان التوراه و الانجيل و الزبور و القرآن هذه الأربعة مخلوقه، و قد مد أصابعه الأربعة، فعرض بها و كنى عن خلق القرآن، و خلص مهجته من القتل(٣).

## ٢- محنه أحمد بن نصر الخزاعى:

ان الفقهاء و غيرهم من رجال الدين الذين رفضوا القول بخلق القرآن و تحملوا الطرد من وظائفهم و السجن و التعذيب، لم يتوقفوا عن تحدى السلطه و معارضه دعوتها. و قد تمثلت هذه المعارضه فى أيام الواثق بالله بفقهاء بغداد هو احمد بن نصر بن مالك الخزاعى، و هو اخو ثابت بن نصر الخزاعى الذى كان أميرا على الثغور مده سبع عشره سنه و قد حسن أثره فيها(٤).

و كان أحمد بن نصر قد سبق له أن تزعم المتطوعين الذين بايعوه على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لمقاومه أهل الشر و الفساد ممن

١- نفس المصدر / ٤٥١-٤٥٢.

٢- نفس المصدر / ٤٥٣.

٣- العقد الفريد ٢ / ٤٦٥.

٤- تاريخ بغداد ٧ / ١٤٢.



استغلوا ضعف السلطه ببغداد أيام الحرب بين الأمين و المأمون فعاثوا فى البلد فسادا. و استطاع ابن نصر و اتباعه حينذاك ان يعيدوا الأمن الى نفوس الناس و يطمئنوهم على أموالهم. و لذلك تيسر له ان يقود حملته ضد الدعوه الدينيه الجديده التى يدعو اليها الخليفه و قاضى قضاته.

و قد بدأت دعوه ابن نصر هذه مثل غيرها، تنتشر بصوره سريه فى أول الأمر و قد ساعدته ظروف معينه على كسب مزيد من الاتباع. و لعل أهم تلك الظروف هى شخصيته نفسه، فان نسبه يتصل بكعب بن عمرو الذى ورد ذكره فى الحديث الشريف «نزل القرآن على لغه الكعبين، كعب بن لؤى و هو ابو قريش، و كعب بن عمرو و هو ابو خزاعه»<sup>(١)</sup> و كان جده مالك الخزاعى أحد نقباء الدعوه العباسيه، مما جعل له منزله مميزه فى مجتمع بغداد. يضاف الى ذلك انه من أهل العلم و الحديث، أمار بالمعروف قوال بالحق و داع اليه. فكان يشنع على القائلين بالدعوه الجديده. فقد روى عنه انه قال<sup>(٢)</sup>: رأيت مصابا قد وقع فقرأت فى اذنه فكلمتنى الجنيه من جوفه فقالت: يا أبا عبد الله بالله دعنى أخنقه فانه يقول القرآن مخلوق. كما كان يطلق لسانه فى الطعن بالخليفه و حاشيته، و يقول: ما دخل عليه أحد يصدقه.

و جاء فى تاريخ اليعقوبى ان احمد بن نصر كان قد قصد قاضى القضاة أحمد بن أبى دواد فى بعض أموره فرده، فانصرف غاضبا عليه ذاما له، و جعل يبسط عليه لسانه و يتهمه بالكفر و المروق عن الدين، فمال اليه قوم لا يشكون بان ذلك غضب للدين، فاشر أبت قلوبهم للمعصيه انتصارا للقرآن<sup>(٣)</sup>. فاعاد ابن نصر تنظيمه

١- تاريخ بغداد ٥ / ١٧٤.

٢- نفس المصدر / ١٧٥.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٢.

السابق القائم على مبايعته على الامر بالمعروف و معارضه القول بخلق القرآن. و قد بايعه عدد من العامه، كما اشرنا انتصارا للدين. فالتست دعوته و قويت حتى طمع بعض اتباعه بالثوره على الخلفه.

ان المصادر المتوفره عن الموضوع لا توضح ما اذا كان احمد بن نصر قد استهدف من تنظيمه الجديد الخروج على الخلفه لانها لم تعد شرعيه فى نظر و نظر اتباعه. و لكن يبدو انه قد استغلته جماعات اخرى و اتخذته واجهه لتحقيق مطامعها. اذ يذكر الخطيب البغدادي ان اثنين من الموسرين بذلا مالا و عزموا على الوثوب فى بغداد فى شعبان سنه ٢٣١هـ (١). و ذكر الطبرى ما يشبه هذا و خلاصته ان شخصين من اهل بغداد أحدهما يعرف بابى هارون السراج، و الآخر يقال له طالب، و معهما شخص ثالث من اهل خراسان من أصحاب اسحاق بن ابراهيم المصعبى صاحب الشرطه، و هم ممن كانوا يظهرون تأييد ابن نصر، و يحركون اتباعه من اصحاب الحديث، و ممن ينكر القول بخلق القرآن من اهل بغداد، ليحملوه على اظهار حركته، و انهم قصدوه دون غيره لمنزلته التى اشرنا اليها. و كان طالب و اتباعه يعملون فى الجانب الغربى من بغداد، و يعمل أبو هارون و اتباعه فى الجانب الشرقى منها، و ان هذين الشخصين فرقا أموالا فى سبيل الوثوب بالخلفه، و قد عينوا موعدا لذلك (٢).

على ان اخبار المؤامره بلغت صاحب الشرطه، فبادر بالقبض على بعض اتباع أحمد بن نصر ثم تتبع الآخرين، و أصابت الشرطه فى منزل أحدهم اعلاما. ثم أخذ ابن نصر و أولاده و جماعه كانوا عنده فحملوا مقيدى الى سامرا. فعقد الخليفه مجلسا حضره قاضى

١- تاريخ بغداد ٥/ ١٧٦.

٢- الطبرى ٩/ ١٣٥-١٣٦.

القضاء أحمد بن أبي دواد، و اسحاق بن ابراهيم، و عبد الرحمن بن اسحاق، و كان قاضيا على الجانب الغربى من بغداد، و هو صديق لأحمد بن نصر. و لم يناظره الخليفة فى الشغب، و لا فى ارادته الخروج عليه، و قال له: دع ما اخذت له (١). و انما امتحنه فى القول بخلق القرآن، فأبى ان يعترف بأنه مخلوق. و لما سأله عن رؤيه الرب عز و جل فى الآخرة، أجاب بالايجاب مستشهدا بالحديث النبوى القائل «ترون ربكم يوم القيامه لا- تضامون فى رؤيته» و بالحديث «ان قلب ابن آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن» فقال الواثق بالله: ويحك، يرى كما يرى المحدود و المتجسم، يحويه مكان و يحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته (٢).

و لما استطلع الخليفة ممن حضر المجلس رأيهم فى أقوال أحمد بن نصر، أحل القاضى عبد الرحمن بن اسحاق دمه، و طلب آخر ان يشرب من دمه. أما ابن أبي دواد فقال انه شيخ مختل العقل أو انه كافر يستتاب. الا ان الواثق بالله ضرب عنقه. و صلب و فى رجليه قيود، فى الحظيره التى صلب فيها بابك الخرمى و حمل رأسه الى بغداد فنصب فى الجانب الشرقى أياما، ثم حول الى الجانب الغربى.

و منع الناس من التقرب منه، و اقيم عليه الحرس. و علفت فى أذنه رقعه فيها: هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر قتله الله على يدى هارون الامام الواثق أمير المؤمنين بعد ان اقام الحججه عليه فى خلق القرآن و نفى التشبيه، و عرض التوبه عليه فابى الا المعانده، فعجل الله به الى ناره و أليم عذابه (٣).

و أمر الواثق بالله بحبس كل من عرف بصحبه أحمد بن نصر ممن ذكر انه كان مشايعا له. و وضع نيف و عشرون رجلا منهم فى

١- تأريخ بغداد ١٧٧ / ٥.

٢- نفس المصدر.

٣- تجارب الامم ٥٣٢ / ٦، و ورد هذا النص بشىء من التغيير فى الطبرى ١٣٩ / ٩ و فى تاريخ بغداد ١٧٨ / ٥.

حبوس الظلمه، و منعوا من أخذ الصدقه التي يعطاها المسجونون، كما منعوا من الزوار و ثقلوا بالحديد(١).

و يقول الذهبي ان الواثق بالله قتل ابن نصر بيده لامتناعه من القول بخلق القرآن، و لكونه اغلظ له في الخطاب، و قال له: يا صبي. و يقول ان أحمد بن نصر كان رأسا في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فقام و معه خلق من المطوعه و استفحل امرهم، فخافته الدوله من فتق يتم بذلك(٢).

و يلاحظ على محاكمه أحمد بن نصر ان الخليفه تغاضى عن جريمته السياسيه و ما قام به من الشغب و التآمر على الدوله و الاستعداد للوثوب بالخلافه، رغم وضوح الأدله على ذلك و ثبوتها.

و انما استهدف من المحاكمه اثبات كفره و مروقه من الدين مما يحل قتل. و يظهر ان ذلك ناشى عن اعتبار الخلافه منصبا دينيا و ان الخروج عليها و الكفر بالدين سواء. و قد يكون اغفال الجانب السياسى مقصودا لصرف اذهان الناس عن فكره التآمر على الخلافه أو الخروج عليها(٣).

و يذكرنا هذا بمحاكمه الأفسنين حيدر بن كاوس عند ما تهيأ للانتقاض على الخليفه المعتصم بالله، فقد اغفلت جريمته السياسيه كذلك، و حوكم على مخالفاته الدينيه فقط. لأن السياسه و الدين سواء فى نظر العباسيين.

١- تجارب الامم ٦ / ٥٣٢، و الطبرى ٩ / ١٣٩.

٢- العبر ١ / ٤٠٨.

٣- راجع عن تفصيلات حركه احمد بن نصر و محاكمته و قتله: الطبرى ٩ / ١٣٥ - ١٣٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٩ - ٥٣٢، تاريخ بغداد ٥ / ١٧٥ - ١٧٨، و الكامل ٧ / ٢٠ - ٢٣.

### ٣- رجوع الواثق بالله عن القول بخلق القرآن:

تدل حركه احمد بن نصر بشكل واضح على قوه مناهضى الاعتزال من الفقهاء رغم تشدد ثلاثه من الخلفاء فى قرضه. و يقال ان الخليفه الواثق بالله رجع عن القول بخلق القرآن قبل موته (١).

و يروى المسعودى سبب رجوعه كما رواه ابنه محمد المهتدى بالله الذى قال ما خلاصته انه أقدم على الواثق بالله بشيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنه من الثغر الشامى مقيّد ... فقال له: يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن ابى دواد فيما يسألك عنه. فقال:

يا أمير المؤمنين، أحمد يقل عن المناظره .. أتأذن لى فى كلامه؟

فأذن له، فأقبل الشيخ على ابن ابى دواد و قال له: مقاتلك هذه التى دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن، داخله فى الدين بحيث لا يكون تاما الا بالقول بها؟ قال: نعم. قال الشيخ: رسول الله صلى الله عليه و سلم (دع الناس اليها أو تركهم؟ قال: تركهم. فقال: فعلمها أو لم يعلمها؟ قال: علمها. قال: فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم اليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و تركهم منه؟ فأمسك أحمد ... فصرف الرجل وجهه الى الواثق بالله و قال: يا أمير المؤمنين، اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لاصحابه فلا وسع الله علينا.

فقال الواثق بالله: نعم لا وسع الله علينا ان لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه و سلم .. ثم قال الواثق بالله: اقطعوا قيده .. و أمر له بجائزه .. و احسب ان الواثق بالله رجع عنها منذ ذلك الوقت (٢).

١- تأريخ الخلفاء / ٣٤١.

٢- فى تأريخ بغداد ١٠ / ٧٥، و تأريخ الخلفاء / ٣٤٢ هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الازرمى شيخ أبى داود و النسائى. مفصل الخبر فى مروج الذهب ٤ / ١٩٠ - ١٩٢، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٦١ - ٢٦٩، و جاء الخبر فيه بثلاث روايات - و تأريخ بغداد ٤ / ١٥١ - ١٥٢.

و يظهر ان محاوله الانتقاض على خلفه الواصل بالله لم تقتصر على أحمد بن نصر الخزاعي و اتباعه. فقد كان هناك عدد غير قليل من رجال الدين، ممن رفضوا القول بخلق القرآن، قد راودتهم فكره الخروج على الخليفه الا ان الامام أحمد بن حنبل الذي كان رأس المعارضين لم تؤيد ذلك حرصا على وحده الامه و سلامتها و لم ير في دعوه الخليفه الى القول بخلق القرآن ما يخرج عن الخلافه. و يقول ابو يعلى الحنبلي: اجتمع فقهاء بغداد الى ابي عبد الله أحمد بن حنبل، و قالوا: هذا أمر قد تفاقم و فشا- يعنون القول بخلق القرآن- نشاورك في انا لسنا نرضى بأمرته و لا سلطانه. فقال: عليكم بالنكره بقلوبكم، و لا تخلعوا يدا من طاعه، و لا تشقوا عصا المسلمين(١).

---

١- الاحكام السلطانيه لأبي يعلى الحنبلي / ٥.

## الفصل الرابع نهايـه المحنـه

## ١- المتوكـل على الله ينهي المحنـه:

سبقت الاشاره الى ان الواثق بالله كان قد تراجع في أواخر أيامه عن الامعان في فرض اراء المعتزله على الفقهاء و المحدثين.

و يقال انه تاب و رجع عن القول بخلق القرآن. الا ان المنيه ادركته قبل ان يشيع ذلك(١). فلما تولى المتوكل على الله الخلافه خالف ما كان عليه المأمون و المعتصم بالله و الواثق بالله من الاعتقاد بمذهب المعتزله، فنهى عن الجدل و المناظره و عاقب عليه. و أظهر السنه و تكلم بها في مجلسه، و كتب الى الولايات برفع المحنـه و اظهار مذهب السنه(٢).

و يظهر مما ذكره أبو المحاسن عن المحنـه ان مبادره المتوكل على الله بانهاء القول بخلق القرآن كانت في سنه ٢٣٤ هـ و يؤيده في ذلك السيوطي(٣). و يبدو ان الخليفه الجديد كان متحمسا لالغاء المحنـه و اعاده الطمأنينه الى النفوس باظهار السنه. فقد استقدم المحدثين و الفقهاء الى سامرا و اجزل لهم العطاء و اكرمهم و طلب اليهم ان

---

١- النجوم الزاهره ٢/ ٢٦٦.

٢- الطبرى ٩/ ١٩٠، و مروج الذهب ٤/ ٨٦.

٣- النجوم الزاهره ٢/ ٢٧٥، و تاريخ الخلفاء / ٣٤٦.

يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية (١). تلك الامور التي منع المعتزله القول بها. و من جمله من استقدمهم المتوكل على الله من بغداد وغيرها، عبد الله و عثمان ابنا محمد بن ابى شيبة الكوفيين و كانا من حفاظ الناس، و قاضى البصره ابراهيم بن محمد اليتى، و محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب. و قسم فيهم الجوائز و الاعطيات، و اجرى عليهم الارزاق، و أمرهم بان يجلسوا للناس و يحدثوا بالاحاديث التي فيها رد على المعتزله (٢).

و قد لقيت مبادره المتوكل على الله بالغاء المحنه و اظهار السنه قبولا حسنا من عامه الناس، فتركوا تلك المقاله، و انكرها من كان يقول بها، و ارتفع الجدل و المناظره (٣). و استحق عليها ثناء الناس و تقديرهم. حتى قال القاضى اليتى: الخلفاء ثلاثه: أبو بكر الصديق قاتل أهل الرده حتى استجابوا، و عمر بن عبد العزيز رد مظالم بنى أميه، و المتوكل على الله محا البدع و أظهر السنه (٤).

و قال محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب: انى جعلت دعائى فى المشاهد كلها للمتوكل، و ذلك ان عمر بن عبد العزيز جاء الله به لرد المظالم، و جاء بالمتوكل لرد الدين (٥).

و قال الشاعر البحرى يمتدح سياسه المتوكل الدينيه باحياء السنه، و يعرض بالقاضى أحمد بن ابى دواد، منها قوله (٦):

أمير المؤمنين لقد سكتالى أيامك الغر الحسان

رددت الدين فذا بعد ما قد اراه فرقتين تخاصمان

١- نفس المصدرين السابقين.

٢- تاريخ بغداد ١٠ / ٢٧ و ٢ / ٣٤٤.

٣- مشاكلة الناس لزمانهم / ٣٢.

٤- فوات الوفيات ١ / ٢٥٢.

٥- نفس المصدر ٢ / ٩٠.

٦- تاريخ بغداد ٧ / ١٦٩ - ١٧٠.



قصمت الظالمين بكل أرض فاضحى الظلم مجهول المكان

فى سنه رمت متجبريهم على قدر بدايه عوان

فما ابقى من ابن أبى دواسوى جسد يخاطب بالمعانى

تحرير فيه سابور بن سهل فطاوله و مناه الامانى

اذا اصحابه اصطحبوا بليل اطلالوا الخوض فى خلق القرآن

يديرون الكؤوس و هم نشاوى يحدثنا فلان عن فلان

ثم خطا المتوكل على الله فى سنة ٢٣٧ هـ خطوه أخرى فى تصفيه آثار المحنه، فاطلق من كان فى السجون من أهل البلدان ممن امتنع عن القول بخلق القرآن فى أيام أبيه، أو أخذ فى خلافه الواثق بالله، فخلاهم جميعا و كساهم(١). و كان ممن اطلق سراحه القاضى بشر بن الوليد الكندى أحد اصحاب ابى يوسف و قد اخذ عنه الفقه، و كان المأمون و لاه القضاء على مدينه المنصور، و قد ابتلى بالمحنه فى عهد المعتصم بالله، فاعفاه من القضاء و أمر أن يحبس فى منزله و وكل ببابه الشرط، و نهى ان يفتى احدا بشىء. فأمر المتوكل على الله باطلاقه و ان يفتى للناس و يحدثهم(٢).

و قد هم المتوكل على الله بانزال جثه احمد بن نصر الخزاعى المصلوبه منذ أيام الواثق بالله. فاجتمع الغوغاء حولها و كثروا و تكلموا فى أمر ابن نصر. فبلغ ذلك الخليفه فأمر بضرب قسم منهم و حبسهم. ثم أمر بعد ذلك بانزال الجثه و دفعها الى أوليائه فغسلت و دفنت. و كتب صاحب البريد ببغداد الى الخليفه بخبر العامه الذين احتشدوا حول الجنازه باعداد لا تحصى و تمسحوا بها.

فأمر المتوكل على الله خليفته ببغداد ان يمنع اجتماع العامه فى مثل هذا الأمر و شبهه(٣).

١- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٤-٤٨٥، و النجوم الزاهره ٢/ ٢٩٠.

٢- تاريخ بغداد ٧/ ٨٣.

٣- الطبرى ٩/ ١٩٠.

لقد كانت هناك بعض العوامل التي دفعت المتوكل على الله الى انتهاج هذه السياسه، لعل أهمها انه كان يتعصب للسنة و يمقت المعتزله. يضاف الى ذلك رغبته فى التقرب الى عامه الناس التي كان تأثير الفقهاء و رجال الدين عليها كبيرا. فقد لمس فشل اسلافه الثلاثه فى استماله الناس الى اعتناق مذهب المعتزله، و حاول كسب رضاهم و ولاءهم بالغاء المحنه و احياء السنه. قال يزيد المهلبى(١):

قال لى المتوكل يوما يا مهلبى ان الخلفاء كانت تغضب على الرعيه لتطيعها، و أنا ألين لهم ليحبونى و يطيعونى(٢).

## ٢- من ضحايا المحنه:

### اشاره

كان الى جانب من ذكرنا من الفقهاء و رجال الدين ممن تعرضوا لغضب السلطه لعدم قولهم بان القرآن مخلوق، فقهاء و محدثون آخرون أودوا فى سبيل تمسكهم بالسنة و عدم اقرارهم بخلق القرآن. و كان اشهرهم:

### عفان بن مسلم الصفار:

أبو عثمان عفان بن مسلم الصفار البصرى، نشأ فى البصره و انتقل الى بغداد و صار من رجال الفقه و الحديث المرموقين فيها.

روى عنه الامام أحمد بن حنبل، و محمد بن سعد الزهرى، و البخارى فى صحيحه. يقول الخطيب البغدادي ان عفان بن مسلم أول من امتحن من الناس بمحنه القول بخلق القرآن، و روى عنه انه قال: دعانى اسحاق بن ابراهيم، فلما دخلت عليه قرأ على الكتاب الذى بعث به المأمون من الرقه، فاذا فيه امتحن عفان

١- تاريخ بغداد ١٦٦/٧، و فوات الوفيات ٢٠٣/١.

٢- يزيد بن المهلب من بنى المهلب بن ابي صفره، شاعر محسن، من الندماء الرواه، اتصل بالمتوكل على الله و نادمه و مدحه، و رثاه بعد موته. و هو بصرى الاصل نشأ ببغداد و بها اشتهر، توفى سنة ٢٥٩.

و ادعه الى أن يقول القرآن كذا و كذا، فان قال ذلك فاقره على عمله، و ان لم يجبك بما كتبت به اليك فاقطع عنه الذى يجرى عليه- و كان المأمون يجرى على عفان خمسمائه درهم كل شهر- فلما قرأ اسحاق الكتاب، قال لى: ما ذا تقول؟ فقرأت عليه: «قل هو الله أحد، الله الصمد ..» حتى ختمتها، فقلت: مخلوق هذا؟ فقال اسحاق يا شيخ ان امير المؤمنين يقول انك ان لم تجبه الى الذى يدعوك اليه يقطع عنك ما يجرى عليك، و ان قطع عنك أمير المؤمنين قطعنا نحن عنك ايضا. فقلت له: يقول الله تعالى «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوَعَدُونَ»(١). فسكت اسحاق فانصرفت(٢).

و يلاحظ ان الطبرى الذى أورد تفصيلات دعوه المأمون الى القول بخلق القرآن و المراحل التى مرت بها تلك الدعوه، لم يشر الى ما ذكره الخطيب البغدادي. فقد ذكر الطبرى ان المأمون طلب الى اسحاق بن ابراهيم ان ينفذ اليه سبعة نفر عددهم(٣)، ليس فيهم عفان بن مسلم. و طلب اليه فى كتابه الثانى ان يمتحن القضاء و الفقهاء، فاحضر اسحاق ستة و عشرين عالما و فقيها(٤)، و لم يكن عفان بن مسلم بينهم. و لما اشخص اسحاق الى المأمون اثنين من الفقهاء مقيدين بالحديد(٥)، لم يكن عفان أحدهما. و عند ما اشخص اسحاق عددا اخر من الممتنعين عن الاجابه بالقول بخلق القرآن الى طرسوس ليقيموا فيها حتى خروج المأمون من بلاد الروم(٦)، فان عفان بن مسلم لم يكن بينهم كذلك.

و ما جاء فى الكامل عن هذا الموضوع يكاد يطابق ما اورده الطبرى(٧). و هو خال أيضا من الاشاره الى امتحان عفان بن

١- سورة و الذاريات، الايه: ٢٢.

٢- تاريخ بغداد ١٢ / ٢٧١.

٣- الطبرى ٨ / ٦٣٤.

٤- الطبرى ٨ / ٦٣٧.

٥- نفس المصدر / ٦٤٤.

٦- نفس المصدر / ٦٤٥.

٧- الكامل ٦ / ٤٢٣-٤٢٤ و ٤٢٧.

مسلم. و كذلك ما جاء فى كتاب العيون و الحدائق، و كتاب تجارب الأمم عن أمر المأمون بامتحان القضاء و الفقهاء (١)، خلا من الاشاره الى عفان بن مسلم. الا ان عدم ذكر اسم عفان بن مسلم الصفار فى المصادر التى أشرنا اليها لا يعنى عدم صحه ما اورده الخطيب البغدادي، فقد يكون امتحانه قد جرى فرديا. و قبل ورود كتاب الخليفه الى اسحاق بن ابراهيم بامتحان القضاء و الفقهاء.

توفى عفان ببغداد فى صفر سنه ٢١٩ هـ و عمره خمس و ثمانون سنه (٢).

### محمد بن نوح:

القيه الزاهد محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد العجلي، و يعرف أبوه بالضرورب (٣). عرف بشده التمسك بالسنة و الدين، و حدث شيئا يسيرا. و كان ممن ابتلى بالمحنة بالقول بخلق القرآن فى أواخر عهد المأمون. و يعتبر من الرعيل الأول من ضحايا تلك المحنة. اذ كان هو و الامام احمد بن حنبل ممن امتنع عن الاجابه بالقول بخلق القرآن عند ما امتحن اسحاق بن ابراهيم القضاء و الفقهاء و المحدثين ببغداد بأمر من المأمون. و لما كتب اسحاق الى الخليفه، و كان حينذاك غازيا فى بلاد الروم غزوته الأخيره، باسماء من رفض الاجابه، كتب اليه يرد على الممتنعين عن القول بخلق القرآن، و قد اتهم محمد بن نوح بالتعامل بالربا، اذ قال عنه:

و اما محمد بن حاتم، و ابن نوح، و المعروف بابن معمر، فاعلمهم انهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد، و ان امير

١- العيون و الحدائق ٣/ ٣٧٦-٣٧٧، و تجارب الامم ٦/ ٤٦٥-٤٦٦.

٢- تاريخ بغداد ١٢/ ٢٧٧، و الكامل ٦/ ٤٥٤.

٣- تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣.

المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله و مجاهدتهم الا لأربائهم و ما نزل به كتاب الله في امثالهم، لاستحل ذلك، فكيف و قد جمعوا مع الأرباء شركا و صاروا للنصارى شبيهاً(١). ثم أمره بعد ذلك ان يشخص اليه المخالفين. فقيد اسحاق الامام احمد بن حنبل و محمد بن نوح بالحديد و وجه بهما الى طرسوس ليقبلا فيها حتى يصلها المأمون عند عودته من بلاد الروم. و قد حملا متلازمين على بعير واحد، فلما وصلا الرقه جاء النبا بوفاه المأمون، فاعادهما والى الرقه الى مدينه السلام.

و كان محمد بن نوح قد مرض في الطريق، فمات في عانه.

فصلى عليه الامام احمد، و دفنه هناك، و كانت وفاته في سنة ٢١٨ هـ (٢). قال عنه الامام احمد: ما رأيت أحدا أقوم بأمر الله من محمد بن نوح رغم حدائه سنه، و قله علمه، فقد قال لى ذات يوم يا ابا عبد الله انت رجل يقتدى بك ... فاتق الله و اثبت لأمره، أو بما معناه، يشجعنى على الثبات بمعارضه القول بخلق القرآن(٣).

### نعيم بن حماد:

نعيم بن حماد بن معاويه بن الحارث بن همام، أبو عبد الله الخزاعي الفارضى. كان من الرحاله فى طلب الحديث. نشأ فى مرو من اسره عربيه و رحل الى العراق و الحجاز، ثم سكن مصر و لم يزل مقيما فيها الى ان أشخص الى سامرا فى أيام المعتصم بالله، سمع الحديث على بعض محدثى عصره، و اختص بالمحدث عبد الله بن

١- الطبرى ٨ / ٦٤٢.

٢- العير ١ / ٣٧٧، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٢٩.

٣- تاريخ بغداد ٣ / ٣٢٣.

المبارك، و سمي الفارضى لأنه كان من أعلم الناس بالفرائض(١).

و يقال انه أول من جمع المسند فى الحديث و صنفه(٢).

و قد اختلفت فيه آراء رجال الحديث، فمنهم من وثق بروايته و اعتبره ثقة صدوقا فروى عنه، و منهم من اتهمه بوضع الحديث و الحكايات المزورة، و وصفه بالوهم فيما يرويه، و قال بعضهم انه ليس من الحديث فى شىء(٣).

عند ما استخلف المعتصم بالله أمر قاضى مصر بحمل الفقهاء على القول بخلق القرآن. و قد تولى محمد بن ابى الليث تنفيذ أمر الخليفة، بعد ان استعفى القاضى هارون العوفى من هذه المهمه، فحمل نعيم بن حماد و آخرين ممن لم يجيبوا الى القول بخلق القرآن، الى دار الخلافه. و هناك قيد و سجن، و كان ذلك فى سنه ٢٢٤ هـ.

و لنعيم عده كتب فى الرد على الجهميه، و هو الخبير بأرائهم و أقوالهم، و قد قال: أنا كنت جهميا، فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت انهم يدعون الى التعطيل(٤). و من هنا انبرى للرد عليهم. و جاء فى هديه العارفين ان له ثلاثه عشر كتابا فى الرد على الجهميه، و كتب فى الرد على أبى حنيفه، و ناقض محمد بن الحسن الشيبانى، و ان من تصانيفه أيضا كتاب الملاحم و الفتن، و مسند فى الحديث(٥).

ظل نعيم محبوسا حتى مات فى السجن. فكان ضحيه من ضحايا المحنه. و كان أوصى ان يدفن فى قيوده، و قال: انى مخلص(٦).

١- تاريخ بغداد ٣/ ٣٠٧، و النجوم الزاهره ٢/ ٢٥٤.

٢- تاريخ بغداد ٣/ ٣٠٦.

٣- شذرات الذهب ٢/ ٦٧، و تاريخ بغداد ٣/ ٣١٢.

٤- تاريخ بغداد ٣/ ٣١٢.

٥- هديه العارفين ٢/ ٤٩٧.

٦- تاريخ بغداد ٣/ ٣١٣.

و قد مات فى جمادى الاولى من سنة ٢٢٨ هـ (١). فجر فى قيوده و القى فى حفرة دون ان يكفن او يصلى عليه أحد (٢). لأن دعوه المعتزله كانت فى عنفوان قوتها.

### محمد بن اسماعيل البخارى:

يظهر ان الخلاف فى القول فى القرآن اتخذ وسيله للطعن على بعض الفقهاء و رجال الحديث. فقد كان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى يقول: ان أفعال العباد مخلوقه، لأن النبى صلى الله عليه و سلم قال «ان الله يصنع كل صانع و صنعته» و على هذا فان حركاتهم و أصواتهم و اكتسابهم مخلوقه. أما القرآن المتلو المبين، المثبت فى المصحف، المسطور فى الكتب، المدعى فى القلوب فهو كلام الله ليس بخلق. قال الله تعالى «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» (٣). فاتخذ منافسو البخارى قوله هذا حجه لا تهامه فى عقيدته. فقد قال محمد بن يحيى المحدث: من زعم ان القرآن مخلوق فقد كفر و خرج عن الايمان ... و من قال لا- أقول مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، و من زعم ان لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، و من زعم ان لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس و لا يكلم. و من ذهب بعد مجلسنا هذا الى محمد بن اسماعيل البخارى فاتهموه، فانه لا يحضر مجلسه الا من كان على مذهبه (٤).

و قد رد البخارى على ذلك بقوله «من زعم انى قلت لفظى بالقرآن مخلوق فهو كاذب فانى لم أقله ... الا- انى قلت ان افعال العباد مخلوقه (٥).

١- نفس المصدر، و النجوم الزاهره، ٢/ ٢٥٤. و يقال انه توفى سنة ٢٢٩- تاريخ بغداد ٣/ ٣١٤، و النجوم الزاهره ٢/ ٢٥٧.

٢- تاريخ بغداد ٣/ ٣١٤.

٣- سوره العنكبوت، الايه: ٤٩.

٤- تاريخ بغداد ٢/ ٣١-٣٢.

٥- نفس المصدر/ ٣٣.





## الباب الثامن علاقات الدوله العربيه بمملكه الروم

### اشاره

- ١- الحروب بين العرب و الروم.
- ٢- المفاداه بين العرب و الروم.
- ٣- العلاقات الثقافيه و التجاريه بين العرب و الروم.



## الفصل الأول الحروب بين العرب و الروم

## ١- مقدمه:

اضطر الخليفه المأمون الى أن يخرج غازيا الى بلاد الروم فى كل سنه من السنوات الأربع الأخيره من سنى حكمه. فقد خرج فى سنه ٢١٥ هـ و فتح بعض الحصون الروميه. و لما هجم الروم فى السنه التاليه ٢١٦ هـ على طرسوس و المصيصه خرج على رأس حمله لردهم و تأديبهم، ففتح هرقله و عددا من الحصون. كما خرج فى سنه ٢١٧ هـ و حاصر مدينه لؤلؤه فهادنه أهلها. و قد توفى فى السنه التاليه و هو فى بلاد الروم. و كان قد قرر انشاء حصن قوى فأمر ببناء مدينه طوانه من أرض الروم و حشد لها الصناع، و ولى أبنه العباس أمر بنائها(١).

---

١- تجارب الامم ٦/ ٤٦٤، و العبر ١/ ٣٧٢.

ان هذه اللمحه القصيره عن أواخر أيام المأمون تعطينا صوره واضحه عن طبيعه العلاقه العدائيه المستمره بين الدوله العربيه و مملكه الروم.

لقد كان أبو اسحاق محمد بمعيه أخيه المأمون فى حملته الاخيريه، و كان المأمون أوصى له بالخلافه من بعده. و نظرا لما واجهه أبو اسحاق من معارضه بعض القواد الذين طالبوا بمبايعه العباس بن المأمون بدلا عنه، فقد قبل مهادنه الروم، و اسرع فى العوده الى عاصمه الخلافه. و أمر بهدم ما كان المأمون أمر ببنائه فى طوانه و حمل ما كان بها من السلاح و الآله الحربيه و غيرها مما قدر عليه، و احرق ما لم يقدر على حمله، و أمر بصرف من كان المأمون قد أسكنهم هناك، الى بلادهم(١). و قد يكون اسراع المعتصم بالله بالعوده الى العاصمه تنفيذا لما جاء فى وصيه المأمون له «و عجل الرحله عنى و القدوم الى دار ملك بالعراق»(٢). الا ان قيامه بتخريب الحصن الذى أمر أخوه ببنائه ليقف فى وجه هجمات البيزنطيين لم يعرف سببه، الا ان يكون يخالف أخاه فى أهميه موقع هذا الحصن من الناحيه العسكريه، أو انه أراد أن يغيض العباس، و قد كلفه أبوه بالقيام على بناء الحصن المذكور.

لقد شغل المعتصم بالله فى خلال السنوات الخمس الاولى من خلافته بالقضاء على ما واجهه من المشاكل و الاضطرابات الداخليه مما لم يستطع معه مهاجمه بلاد الروم أو توجيه بعض الحملات الى مدنهم الحدوديه. و يظهر ان الروم من جانبهم قد ملوا استمرار القتال مع الجيوش العربيه، و اغتنموها فرصه للراحه و الاستعداد على ان انشغال الجيش العربى فى القضاء على الاضطرابات، و بخاصه حركه بابك الخرمى، أصابه شىء من الانهاك. مما اثار فى نفوس

١- الطبرى ٨ / ٦٦٧، و تجارب الامم ٦ / ٤٧٠.

٢- الطبرى ٨ / ٦٤٩.

البيزنطيين أطعمهم الدفينه فى اجتياح بعض الثغور العربيه.

لا سيما و ان بابك الخرمى كان يغرى ملك الروم بمهاجمه الدوله العربيه لانشغال جيوشها بمقاتله اتباعه، مستهدفا من ذلك ان يخفف ضغط الجيش العربى عليه، اذا ما شغل الجيش المذكور فى جبهه اخرى.

و بالنظر لما كان للمدن الحدوديه القائمه بين الدوله العربيه و بلاد الروم من دور كبير فى الحروب التى كانت شبه مستمره بينهما، فقد اهتم الخلفاء العباسيون الأوائل بهذه المدن و الحصون فاعادوا بناء ما تخرّب منها، و زادوا فى تحصينها و فى عدد القوات المقاتله المرابطه فيها، كما شجعوا على السكن بها.

و يطلق اسم الثغور على المدن الحدوديه الحصينه التى حشدت بالمقاتلين، و منها كانت تشن الغارات على مدن الروم. كما يطلق اسم العواصم على الحصون و المدن العربيه الداخليه التى تنزل فيها الجيوش فتعتصم بها و تحتوى اذا عادت من هجماتها، او اذا أرادت الخروج الى الثغور(١). و هى بهذا الاعتبار تعصم الثغور و تمدّها فى وقت الحاجه.

## ٢- فتح عموريه:

عند ما ضيقت الجيوش العربيه الخناق على بابك الخرمى، و وجد نفسه و اتباعه مشرفين على الهزيمة و الهلاك، كتب الى ملك الروم توفيل يعلمه ان جيوش الخليفه مشغوله بمقاتلته، حتى ان المعتصم بالله وجه خياطه و طباخه- و يقصد بذلك من باب التهكم و السخرية، القائد جعفر الخياط و القائد ايتاخ الذى كان فى أول أمره طباخا- و يحثه على مهاجمه الثغور العربيه، لأنه ليس هناك

من يستطيع منعه عنها و صدّه عنها. و كان يستهدف من ذلك ان يضطر الجيش العربى على الحرب فى جبهه أخرى، فيسحب الخليفه بعض الجيوش التى تحاربه و يوجهها الى محاربه الروم، فيخف عليه ضغطها(١). و ذلك مما يتيح له فرصه لجمع شمل جيشه الممزق و مطاوله الجيش العربى.

و قد لقي اقتراح بابك استجابته من لدن توفيل الذى اغتنم الفرصه فخرج فى سنه ٢٢٣ هـ و معه ملوك برجان و البرغر و الصقاليه و غيرهم ممن جاورهم(٢). على رأس جيش كبير قدر بمائه ألف مقاتل، و قيل أكثر من ذلك، و فيهم من الجند نيف و سبعون ألفا، و بقيتهم اتباع منهم المحمره الذين كانوا قد انهزموا الى بلاد الروم حين قاتلهم اسحاق بن ابراهيم المصعبى فى سنه ٢١٩ هـ. و سار حتى وصل الى زبطره فدخلها و قتل عددا كبيرا من رجالها، و سبى نساءها و أطفالها، و أحرقها(٣). ثم اغار على ملطيه و ما جاورها من الحصون العربيه و أمعن فيها قتلا و سبيا و نهبا.

و مثل بمن صار فى يده من العرب فسمّل اعينهم و قطع آذانهم و أنوفهم(٤). فضح الناس فى سامرا و بغداد، و استغاثوا فى المساجد. و دخل ابراهيم بن المهدي على المعتصم بالله و انشده قائما قصيده يذكر فيها ما نزل باهل الثغور على أيدي الروم و يحضه على الانتصار لهم، و مما قاله(٥):

١- الطبرى ٥٦ / ٩.

٢- مروج الذهب ٥٩ / ٤.

٣- الطبرى ٥٦ / ٩، و مختصر تاريخ العرب / ٢٥٠، و جاء فيه ان زبطره مسقط رأس المعتصم بالله، بينما يذكر المسعودى ان مولده كان بالخلد ببغداد سنه سنه ثمانين و مائه- مروج الذهب ٦٤ / ٤.

٤- الكامل ٤٧٩ / ٦.

٥- مروج الذهب ٥٩ / ٤ - ٦٠، و ثمار القلوب / ١٦ و فيه: يا عتره الله، كناية عن بنى العباس.

يا غاره الله قد عاينت فانتهكى هتك النساء و ما منهن يرتكب

هب الرجال على أجرامها قتلت ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

استعظم الخليفة الأمر، لا سيما عند ما بلغه ما يقال ان امرأه أسيره عند الروم صاحت: وا معتصماه. فاستثارته الحميه و أجابها و هو جالس على سريره: لبيك لبيك، و أعلن نفي الحرب (١) و يقول ابن العماد الحنبلي ان المعتصم بالله كان في مجلس انسه و الكأس في يده، فبلغه ان امرأه عباسيه أسيره في عموريه عند عالج رومي و قد لطمها على وجهها يوما فصاحت وا معتصماه. فقال لها العالج متهمكما ما يجي ء اليك الا على حصان أبلق. فختم المعتصم بالله كأسه و اقسم الا يشربه الا بعد قتل العالج و تحرير الامراه الاسيره. و يقول انه عند ما نادى بالرحيل لغزو عموريه أمر أن لا يخرج أحد من العسكر الا على حصان أبلق. فلما فتح عموريه دخلها و هو يقول: لبيك لبيك، فطلب العالج و ضرب عنقه و فك قيود الاسيره، و أمر ساقيه أن يأتيه بكأسه المختوم، فغك ختمه، و قال: الآن طاب الشراب (٢).

أما سبب الحمله على رأى القزويني فهو ان الروم في انقره اعتدوا على رجل من أهل العراق، فنادى يا معتصماه. فقالوا له اصبر حتى يأتيك على الأبلق لينصر ك. فوصل هذا الخبر الى المعتصم بالله فأمر بشراء كل فرس ابلق و قصد بلاد الروم (٣).

ان ما اورده كل من المؤرخين المذكورين لا يعدو عن نقل ما اشيع من روايات و اخبار بين أهل سامرا و بغداد عند ما بلغهم خبر اجتياح الروم بعض الثغور، و اعلان الخليفه نفي الحرب. و ليس

١- العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٠، و الكامل ٦ / ٤٨٠.

٢- شذرات الذهب ٢ / ٦٣-٦٤.

٣- اثار البلاد / ٥٠٦.

بالضرورة ان تكون تلك الروايات و الأخبار حقيقيه. على انها بنفس الوقت تعطينا صورته عن اهتمام الناس بالأمر و محاولتهم استشاره الخليفه بمثل هذه الروايات. كما انها دليل على وقوع اعتداء الروم على المدن الحدوديه مما يستلزم نهوض الدوله لصدته و الرد عليه.

دعا المعتصم بالله الناس الى الجهاد و أمر بالاسراع فى تهيئه الجيش و تجهيزه بما يلزمه من السلاح و الآله و العدد، و حياض الادم و الروايا و القرب، و آله الحديد و النفط، و الدواب. حتى ذكر انه لم يتجهز مثله قبله خليفه قط. و بعد ان اكتمل اعداد الحمله قادها المعتصم بالله بنفسه. فخرج غازيا عليه دراعه بيضاء من الصوف، و قد تعمم بعمامه الغزاه(١) و ركب دابته و سمط خلفه شكالا و سكه حديد و حقيه فيها زاده(٢).

و كان ورود الخبر بهجوم الروم بعد الظفر ببابك الخرمى، مما سهل للخليفه التهيؤ لحرب واسعه جديده. و قد اشهد المعتصم بالله قاضى بغداد عبد الرحمن بن اسحاق و معه عدد من أهل العداله، على ما أوقفه من ضياعه، فجعل ثلثا لولده، و ثلثا لله تعالى، و ثلثا لمواليه(٣). ثم عسكر بموضع خارج سامرا يعرف بالعيون غربى دجله، فى أوائل جمادى الاولى سنه ٢٢٣ هـ(٤). و قد تألفت الحمله من جيشين تولى الخليفه نفسه قياده الجيش الرئيس و عبر به جبال كيليكيا سالكا درب طرسوس. و اناط قياده الجيش الآخر بالافشين حيدر بن كاوس و أمره بدخول بلاد الروم من الممر الشمالى، درب الحدث، عبر جبال طوروس، على أن يتلاقيا بأنقره، و جعل الخليفه على مقدمه جيشه القائد أشناس و اتبعه

١- مروج الذهب ٤ / ٦٠.

٢- الطبرى ٩ / ٥٦، و الفخرى / ٢١٠.

٣- الطبرى ٩ / ٥٦.

٤- نفس المصدر، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧٥.



بالقائد محمد بن ابراهيم، و على يمتته ايتاخ، و على ميسرته جعفر بن دينار الخياط، أما القلب فقد اناط قيادته بعجيف بن عنبسه(١).

و قبل ان يتحرك المعتصم بالله بجيشه وجه عجيف بن عنبسه و عمر الفرغانى و جماعه من القواد الى زبطره اعانه لأهلها، فوجدوا ان الروم قد انصرفوا عنها، فمكتوا بها قليلا حتى اطمأن أهلها و عادوا الى قراهم و بيوتهم(٢).

لقد عزم المعتصم بالله على ان يسير الى مدينه عموريه بعد أن عرف انها أكبر المدن الروميه بعد القسطنطينيه و أمنعها، و انها موطن الاسره التي كانت تحكم الروم يومئذ. و لأهميه عموريه يسميها الدينورى القسطنطينيه الصغرى(٣). و يفهم مما جاء فى كتابى الطبرى و العيون و الحدائق، ان المعتصم بالله كان قد استفسر و هو بسامرا، أى قبل أن يتحرك بحملته، عن أمنع بلاد الروم فقيل له عموريه(٤). الا- ان صاحب الفخرى يقول ان المعتصم بالله ظفر ببعض أهل الروم فسأله عن أحصن مدنهم و أعظمها و أعزها عندهم، فقال له الرومى ان عموريه هى عين بلادهم، فتوجه اليها(٥). الا- اننا نرى ان ما ذكره ابن الطقطقى كان من باب الاستنتاج، لأن معرفه مدن العدو من حيث مواقعها و تحصينها و طرق الوصول اليها من ضرورات الامور العسكريه التي يتعين على الجيش الغازى أن يعرفها قبل سيره الى ساحه القتال. و مما يؤيد ذلك ان المعتصم بالله لما خرج بجيشه نقش على الألويه و التروس اسم

١- الطبرى ٩ / ٥٧.

٢- نفس المصدر.

٣- الاخبار الطوال / ٣٣٨.

٤- الطبرى ٩ / ٥٧، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٠.

٥- الفخرى / ٢١٠.

عموريه و أمر أن يكتب كل حامل لواء على انه يقصد عموريه باللغه اليونانيه(١).

لقد استطاع قواد الحمله تنفيذ ما كلفوا به من الواجبات.

و كان جيش الافشين قد توغل فى بلاد الروم بعد ان هزم ملكهم فى معركة مهمه، و دخل بجيشه انقره، بعد ان استولى على عدد من المدن و الحصون الروميه. و تقدم الجيش العربى حتى وافى مدينه عموريه فاحاط بها. و كانت محصنه تحصينا قويا و لسورها أربعه و أربعون برجاً(٢). و بعد حصار شديد استخدمت فيه العرادات و المجانيق تمكن المهاجمون من عبور الخندق المحيط بالمدينه. و قد حاول المعتصم بالله ان يستخدم الدبابات فى اجتياز الخندق فأمر بأن يطم جزء منه بجلود الغنم المملوءه بالتراب، و عمل دبابات كبارا تسع الواحده منها عشره رجال ليدحرجها على الجلود المذكوره الى السور. الا انه لما تقدمت واحده من الدبابات و صارت فى منتصف الطريق تعلقت بتلك الجلود، و لم يتخلص الرجال منها الا بعد جهد و شده، فاهمل استخدامها(٣).

و مما ساعد على اقتحام المدينه ان احد اسرى العرب بعموريه أخبر الخليفه بان السيول كانت قد اجتاحت جزء من السور، فأمر ملك الروم عامل عموريه بأن يعمره، فتعجل فى ذلك و بناه بناء ضعيفا موقتا. فتعرف المعتصم بالله على ذلك الموضع من السور و امر بضربه بالمجانيق فتهدم، مما مكن الجيش العربى من دخول المدينه، فاضطرت حاميتها على الاستسلام، و اسر كبير قوادها ياطس(٤).

و أمر الخليفه بهدم المدينه و احراقها. و لكثرة الغنائم و الاسرى،

١- العرب و الروم / ١٣١.

٢- المسالك و الممالك / ١٠٧.

٣- الطبرى ٩ / ٦٥.

٤- الطبرى ٩ / ٦٨.

كان لا ينادى على بيع شىء منها أكثر من ثلاثة أصوات ثم يباع، أما الأسرى فكان ينادى عليهم خمسة خمسة و عشرة عشرة، و ذلك طلبا للسرعه(١).

و يقال ان ملك الروم عند ما هزمته الجيوش العربيه قبل فتح عموريه أرسل وفدا الى الخليفه المعتصم بالله يقول له «ان الذين فعلوا بزبطره ما فعلوا تعدوا أمرى، و أنا أبنيتها بمالى و رجالى، وارد ما أخذ من أهلها و اخلى جملته من فى بلد الروم من الاسارى، و ابعث اليك بالقوم الذين فعلوا بزبطره على رقاب البطارقه»(٢).

الا ان المعتصم بالله لم يأذن لوفد الروم فى المصير اليه و احتجزه حتى تم فتح عموريه فاذن له بالانصراف(٣). و يؤيد خبر الوفد ما ذكره صاحب كتاب رسل الملوك من ان ملك الروم توفيل بن ميخائيل ارسل الى المعتصم بالله اثر موقعه عموريه وفدا يحمل هدايا من ثياب الديداج المذهبه و غيرها، و معه كتاب يعتذر فيه عما بدر من جيشه فى زبطره، و يسأل الخليفه ان ينعم عليه باطلاق سراح البطارقه الذين اسرهم الجيش العربى و عددهم مائه و خمسون بطريقا، و انه مستعد لافتداء كل واحد منهم بمائه من أسرى المسلمين لديه(٤). و لا يظهر من الخير ما اذا كان الخليفه قد استجاب لالتماس ملك الروم.

يقول المسعودى ان المعتصم بالله أراد المسير الى القسطنطينيه و النزول على خليجها، و الحيله فى فتحها برا و بحرا، فاتاه ما أزعجه و صرف عما عزم عليه، من أمر العباس بن المأمون و ان بعض القواد قد بايعوه، و انه كاتب طاغيه الروم، فاعجل المعتصم فى العوده بعد

١- العيون و الحقائق ٣ / ٣٩٥، و الكامل ٦ / ٤٨٨.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٦.

٣- الطبرى ٩ / ٦٩.

٤- رسل الملوك / ٣٤ - ٣٥.

ان حبس العباس و مؤيديه (١). و يقول السيوطى ان المعتصم بالله كان قد عزم على المسير الى أقصى الغرب ليملك البلاد التى لم تدخل فى ملك بنى العباس، و قد روى عن أحمد بن الخصيب انه قال: ان المعتصم بالله قال لى ان بنى أميه ملكوا و ما لأحدنا ملك، و ملكنا نحن و لهم بالاندلس هذا الأموى، فقد ر ما يحتاج اليه لمحاربتة و شرع فى ذلك فاشتدت علته و مات (٢).

يتضح من هذا ان المعتصم بالله كان يطمح فى الاستيلاء على الاندلس، و القضاء على المملكة البيزنطيه. و يبدو ان الروم كانوا يتوقعون ان يسير الجيش العربى، بعد اكتساحه عموريه، قدما نحو القسطنطينيه، بحيث بات الملك البيزنطى يخشى سقوط عاصمته فاستنجد بمدينه البندقيه و بملك الفرنج و بعبد الرحمن الثانى أمير الأندلس، الا انه لم يتلق ايه معونه من أحد منهم (٣).

على ان مؤامره العباس قد اضطرت المعتصم بالله على عقد الصلح مع ملك الروم و العوده الى سامرا، فسلمت بذلك القسطنطينيه و المملكة البيزنطيه.

و كان الشاعر أبو تمام الطائى الذى صحب المعتصم بالله فى حملته هذه، قال قصيدته المشهوره يمدح بها المعتصم بالله و يرد على تخرصات المنجمين و دعاواهم الكاذبه، و ان الفتح جلى وجه الجيش العربى بانتصاره المبين على الروم المخذولين، فكان ذلك انتصارا عظيما للاسلام، ننتخب منها الأبيات التاليه (٤):

السيف أصدق انباء من الكتب فى حده الحد بين الجد و اللعب

بيض الصفائح لاسود الصفائف فى متونهن جلاء الشك و الريب

١- مروج الذهب ٤ / ٦٠.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٣٧.

٣- الحدود الاسلاميه البيزنطيه ١ / ٣٨٨.

٤- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ١ / ٤٠ - ٧٤.

و العلم فى شهب الارماح لامعهبين الخميسين لا فى السبعه الشهب  
أين الروايه بل أين النجوم و ماصاغوه من زخرف فيها و من كذب  
تخرصا و أحاديثا ملفقهليست بنبع اذا عدت و لا غرب  
عجائبا زعموا الايام مجفلهعنهن فى صفر الأصفار أو رجب  
و خوفوا الناس من دهياء مظلمهاذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب  
و صيروا الابرج العليا مرتبهما كان منقلبا أو غير منقلب  
يقضون بالأمر عنها و هى غافلهمادار فى فلكك منها و فى قطب  
لو بينت قط أمرا قبل موقعه لم تخف ما حل بالأوثان و الصلب  
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب  
فتح تفتح أبواب السماء له و تبرز الأرض فى أثوابها القشب  
يا يوم وقعه عموريه انصرفت منك المنى حفلا معسوله الحلب  
أبقيت جد بنى الاسلام فى صعدهو المشركين و دار الشرك فى صبيب  
ثم يصف هزائم الروم، حتى يقول:  
تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب فى الله مرتعب  
الى أن يقول:

لم يغز قوما و لم ينهد الى بلاد الا تقدمه جيش من الرعب  
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدامن نفسه وحدها فى جحفل لجب  
رمى بك الله برجها فهدمهاو لو رمى بك غير الله لم يصب  
من بعد ما اشبوها واثقين بهاو الله مفتاح باب المعقل الأسب

لبيت صوتا زبطريا هرقت له كاس الكرى رضاب الخرد العرب

أجبتة معلنا بالسيف منصلتاو لو اجبت بغير السيف لم تجب

خليفه الله جازى الله سعيك عن جرثومه الدين و الاسلام و الحسب

فمنحه المعتصم بالله عن كل بيت منها ألف دينار(١). و كان عدد أبياتها واحدا و سبعين بيتا. و يقول ابن دحية ان أبا تمام كرر انشاد القصيده ثلاثه أيام، فقال له المعتصم بالله: الى كم تجلو علينا عجوزك؟ قال: حتى استوفى مهرها يا أمير المؤمنين. فأمر له باثنين و سبعين ألف درهم نقره، عن كل بيت ألف درهم شرعى(٢).

و يقول أبو الفرج الاصبهاني ان أول خليفه عد أبيات الشعر و أعطى على عددها هو الوليد بن يزيد الخليفه الأموى لما هنأه الشاعر يزيد بن ضبه بتوليئه الخلافه، فأمر أن يعطى ألف درهم لكل بيت من قصيدته(٣).

استغرقت حمله المعتصم بالله على عموريه منذ أن عسكر بجيشه غربى دجله فى الثانى من جمادى الأول حتى افتتاح المدينه قرابه سته شهور، أما حصارها فقد دام خمسه و خمسين يوما(٤). أما عدد من اشترك من الجند فى الحمله فان الطبرى رغم التفصيلات التى أوردتها عن الحمله و المعارك التى جرت فيها لم يشر الى عدد المشتركين فيها. الا- ان المسعودى قال عن عددهم «لم يكن يحصى الناس العدد و لا يضبطون كثره، فمن مكثر و مقلل، فالمكثر يقول خمسمائه ألف، و المقلل يقول مائتى ألف»(٥) و يقدر ابن دحية عدد المشتركين فى الحمله بأكثر من ثلثمائه ألف رجل(٦). و ذكر اليعقوبى عددهم بصوره غير مباشره، فقد جاء فى تاريخه انه لما حبس العباس بن المأمون بعد اكتشاف مؤامراته، وجد له مائه ألف و سته عشر ألف دينار، فأمر المعتصم بالله أن تفرق على الجند،

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢١.

٢- النبراس / ٦٤.

٣- الاغانى / ٧ / ٩٩.

٤- الطبرى / ٩ / ٧٠.

٥- مروج الذهب / ٤ / ٦٠.

٦- النبراس / ٦٣.

فاحصوا فوجدوا ثمانين ألف مرتزق(١). و لا- يغرب عن البال ان هذا العدد يمثل الباقي من الجند المسترزقه المشتركين فى الحمله، و ان تقدير كل من المسعودى و ابن دحيه يشمل جميع الرجال المقاتلين، المسترزقه منهم و المتطوعه و المجاهدين مع أمراء الجيش و قاداته. و جاء فى كتاب العيون و الحدائق ان القواد و الامراء الذين شهدوا فتح عموريه كانوا نحو سبعين(٢). فاذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان القائد يرأس ألف جندي، فان عدد المشتركين فى الحمله سبعون ألف جندي مرتزق، أى نظامى. و يمكن القول على ضوء ما ذكر ان عدد افراد الحمله لم يكن يقل عن مائه ألف جندي نظامى، يضاف اليهم المتطوعه و المجاهدون.

### ٣- أهم الحروب الحدوديه:

كانت الحروب على الحدود العربيه البيزنطيه سجلا بين الطرفين، ينال العرب من العدو، و ينال العدو منهم. و الذى يلفت النظر فى هذه الحروب كثره عدد أسرى العرب لدى الروم، و قد يكون سبب ذلك كثره هجمات العرب و غزواتهم على الثغور و الحصون الروميه. يقول المقريزى «و لكثره هجوم أساطيل العرب على بلاد العدو، فانها كانت تسير من مصر و الشام و من أفريقيا، فلذلك احتاج الخلفاء الى الفداء»(٣). و الواقع ان كثره الهجمات العربيه لم تقتصر على البحر فقط بل كانت فى البر أكثر.

و يلاحظ ان أكثر الغزو كان يقع فى الربيع و الصيف، لان الشتاء فى بلاد الروم قارس البرد كثير الثلوج، و ذلك مما لم يعتد عليه العرب. و يظهر ان حرب عموريه قد ارهقت الروم و انهكتهم،

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٦.

٢- العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٨.

٣- الخطط المقريزيه ٢ / ١٩١.



فلم يعد باستطاعتهم ان يتأروا لها طيله أيام الواثق بالله. كما ان الواثق بالله نفسه لم تراوده فكره استثمار ضعف الدوله البيزنطيه، و لم يكن له أى طموح عسكري فساد السلام على الحدود بين الدولتين فى عهده، مما أفسح المجال لمفاداه الاسرى بين الطرفين، فتم فداء سنه ٢٣١ هـ الذى عرف بفداء خاقان الخادم.

و يظهر ان العرب استشعروا ضعف الروم، و لما انقضت مده الاربعين يوما، و هى مده الهدنه التى حددت للمفادات، غزا الامير أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلى. الا ان التوفيق لم يحالفه اذ اصاب جيشه الثلج و المطر فمات من جنده حوالى المائتين، و غرق منهم فى نهر البرندون عدد آخر و أسر منهم آخرون، بحيث خسرت الحمله زهاء الخمسمائه رجل. و كان الروم قد تجمعوا لصد الحمله بعدد كبير مما اضطر الامير أحمد بن سعيد على التراجع مكتفيا بما غنمه من قطعان البقر و الماشيه. فغضب الخليفه الواثق بالله عليه و عزله (١). و هذا يؤيد ما قلناه من ان الواثق بالله كان يؤثر ان يسود السلام أرجاء الدوله العربيه.

و عند ما عين الأمير على بن يحيى الأرمنى أميراً على الثغور الشاميه اخذ يخرج لغزو الصواقي. فخرج فى سنه ٢٣٧ هـ، و استمر فى قياده صوائف السنتين التاليتين. و يبدو ان الغرض من خروجه سنويا كان لأرهاب العدو و منعه من التعرض للثغور العربيه.

و يقول أبو المحاسن عن غزوه على بن يحيى فى سنه ٢٣٩ هـ انه أوغل فى بلاد الروم حتى شارف القسطنطينيه، و احرق ألف قرية، و قتل عشره آلاف عالج، و سبى عشرين ألفاً، و عاد سالماً غانماً (٢).

و هاجم الروم فى يوم عرفه من سنه ٢٣٨ هـ السواحل المصريه، و كان والى مصر عنبسه بن اسحاق أراد طهور ولديه يوم العيد

١- الطبرى ٩/ ١٤٤- ١٤٥.

٢- النجوم الزاهره ٢/ ٣٠٠.

الاضحى حتى يجمع بين العيد والفرح، واحتفل لذلك احتفالا كبيرا و احضر جميع من كان من الجند فى الثغور المصريه، تيس و دمياط و الاسكندريه، ليشاركوا فى الاحتفال، فخلت تلك الثغور من حامياتها. و يبدو ان اسطول الروم فى البحر المتوسط اغتتم الفرصه فجاءت ثلاثمائه سفينه من سفنه مشحونه بالمقاتلين و هاجمت ثغر دمياط فى صباح يوم عرفه و دخلوا المدينه دون ان يلقوا مقاومه، سوى ان أحد المحبوسين يقال له أبو جعفر بن الأكشف، و كان من وجوه المدينه و قد حبسه عنبسه مقيدا، قد أخرجه بعض أعوانه من السجن، فقاتل بهم الروم فهزمهم و اخرجهم من دمياط. الا ان الروم كانوا قد احرقوا بعض دور المدينه، و استولوا على الاسلحه و قتلوا كثيرا من الرجال العزل و سبوا نحوا من ستمائه امرأه، و يقال ان المسلمات منهن مائه و خمس و عشرون، و البقيه من نساء القبط. كما استحوذوا على الاموال التى كانت قد وضعت لتحمل الى العراق كالقند و الكتان.

و كان عدد الروم الذين نزلوا المدينه زها خمسه آلاف رجل، فاقروا سفنهم من المتاع و الأموال و النساء، و احرقوا المسجد الجامع و الكنائس فى المدينه، و كان من غرق فى بحيره دمياط من النساء و الصبيان أكثر مما سباه الروم(١).

و لما بلغ عنبسه نبأ هجوم الروم على دمياط نفر اليها بعد النحر فى جيشه فلم يدركهم لأنهم كانوا قد مضوا الى مدينه تيس و نزلوا فى اشتومها و هو الموضع الذى يصب فيه النيل فى البحر المتوسط.

و كان لها سور له بابان من الحديد كان المعتصم بالله قد امر بعمله.

فخربوا السور و احرقوا ما فى الحصن من المجانيق و العرادات، و أخذوا باييه الحديد و حملوهما معهم(٢). و كان أحد شعراء مصر

١- راجع عن مهاجمه الروم دمياط: الطبرى ٩/ ١٩٣- ١٩٥، و الكامل ٧/ ٦٨- ٦٩ و فيه اسم ابن الاكشف يسر، و النجوم الزاهره ٢/ ٢٩١- ٢٩٥.

٢- الطبرى ٩/ ١٩٤- ١٩٥، و الكامل / ٦٩.

و هو يحيى بن الفضيل نظم شعرا يستنهض به همه الخليفه و يستثيره، و يعيب على الوالى تهاونه، اذ قال(١):

أترضى بأن يوطأ حريمك عنوهو ان يستباح المسلمون و يحربوا

حمار اتى دمياط و الروم وثب بتئيس رأى العين منه و اقرب

مقيمون بالأشتوم يبعون مثل ماأصابوه من دمياط و الحرب ترتب

فما رام من دمياط شبرا و لادرى من العجز ما يأتى و ما يتجنب

فلا تنسانا بدار مضيعه بمصر و ان الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل على الله ببناء حصن دمياط، فتولى عمارته عنبسه بن اسحاق و انفق فيه أموالا طائله. و قد دفع هجوم الروم على دمياط و تئيس الخليفه الى الاهتمام بانشاء اسطول بحرى فى مصر ليؤمن صد الهجمات البحريه التى قد تقع عليها. فانشأ عنبسه أول اسطول حربى لمصر، و بنى الموانى للسفن الحربيه أو جعل الارزاق لغزاه البحر كما هى لغزاه البر. و انتخب له القواد العارفين بمحاربه العدو فى البحر. و كان لا يستخدم فى الاسطول غشيم و لا جاهل بأمور الحرب، فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرمايه و فنون الحرب البحريه. و صار للعاملين فى الاسطول حرمه و مكانه، بحيث صار كل واحد من الناس يرغب فى ان يعد من جملتهم و يسعى الى ذلك بكل الوسائل(٢).

و اغار الروم فى سنه ٢٤١ هـ على عين زربه فاسروا من كان فيها من الزط مع نساءهم و أطفالهم و جواميسهم و بقرهم(٣)، و كان المعتصم بالله نقلهم اليها عند ما قضى على تمردهم فى سنه ٢٢٠ هـ.

١- الخطط المقريزيه ١/ ٢١٤، و كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٠١ و فيه اسمه يحيى بن الفضل.

٢- الخطط المقريزيه ٢/ ١٩١.

٣- الطبرى ٩/ ٢٠١، و الكامل ٧/ ٨٠.

و كان قد جرى في هذه السنه، أى ٢٤١ هـ، فداء بين العرب و الروم، و عند ما انتهت مده هدنه الفداء هاجم الروم في السنه التاليه ثغر شمشاط(١)، بعد خروج على بن يحيى من الصائفه و تقدموا حتى قاربوا مدينه آمد. و كان دخولهم من ناحيه أبرق شمالى ملطيه، ثم اتجهوا الى الثغور الجزريه فانتهبوا عده قرى و أسروا نحو عشره آلاف رجل. فتبعهم عمر بن عبد الله الأقطع و معه عدد كبير من المتطوعين فلم يلحقوا بهم، لأنهم كانوا قد انصرفوا الى بلادهم، فأمر الخليفه المتوكل على الله على بن يحيى ان يسير الى بلادهم شاتيا(٢).

و حينما كان المتوكل على الله فى دمشق فى سنه ٢٤٤ هـ وجه القائد بغا لغزو الروم، فغزا الصائفه و افتتح صمله و عاد غانما(٣). كما خرج على بن يحيى لغزو الصائفه فى السنه التاليه، الا ان الروم كانوا بنفس الوقت قد أغاروا على سميساط فقتلوا و سبوا نحوا من خمسمائه انسان. و بعث ملك الروم الى أهل حصن لؤلؤه بطريقا يقال له لغثيط(٤)، يضمن لكل رجل منهم ألف دينار اذا ما سلموه الحصن، فقبضوا عليه و سلموه الى القائد التركى بلكاجور فحملة الى أمير الثغور على بن يحيى، فبعث به الى الخليفه، و كتب ملك الروم يبدل مكانه ألف رجل من أسرى العرب(٥).

و شهدت سنه ٢٤٦ هـ عده غزوات عربيه قام بها عدد من القواد. فقد غزا عمر بن عبد الله الأقطع الصائفه و عاد بسبعه آلاف أسير(٦). و غزا قرياس و عاد بخمسه آلاف أسير، و غزا الفضل بن

١- الطبرى ٢٠٧ / ٩، و الكامل ٨١ / ٧ و فيه انهم هاجموا سميساط.

٢- الطبرى ٢٠٧ / ٩، و الكامل ٨١ / ٧.

٣- الطبرى ٢٠٩ / ٩.

٤- يقول ابن حوقل ان اللغثيط هو الوزير- صوره الارض / ١٧٨.

٥- الطبرى ٢١٨ / ٩، و الكامل ٨٩ / ٧.

٦- فى الكامل سبعة عشر ألفا.

قارن بحرا فى عشرين مركبا و افتتح حصن انطاكيه على الساحل الجنوبى لبلاد الروم، كما غزا على بن يحيى فعاد بخمسه آلاف أسير و من الدواب بعشره آلاف رأس، و غزا بلكاجور فغنم و سبا أيضا(١). فكان موسم الغزو العربى فى هذه السنه مفعما بالمغانم و الانتصارات الموضعيه.

و لما تولى المنتصر بالله الخلفه اخرج القائد وصيفا على رأس جيش قوامه اثنى عشر ألف رجل عدا المتطوعين، لرد هجوم رومى مزعوم، فنزل ملطيه و غزا الصائفه فدخل بلاد الروم و افتتح حصن فردريه(٢).

و غزا الصائفه فى سنه ٢٤٩ هـ القائد جعفر بن دينار فافتتح حصنا، و استأذنه عمر الأقطع أمير ملطيه فى المصير الى ناحيه الروم فاذن له، فسار عمر و معه جيش كثير العدد فتوغل فى بلاد الروم، فتصدى له ملك الروم فى جيش يزيد على خمسين ألف مقاتل فحاطوا بالحمله العربيه، فقتل الأقطع مع ألف رجل من جيشه. و تقدم جيش الروم نحو الثغور الجزريه و تغلب عليها. فبلغ ذلك الأمير على بن يحيى الذى قد نقل الى الولايه على أرمينيه و اذربيجان، فبادر الى مساعده جيش ابن الأقطع و اشتبك بجيش الروم، فقتل مع أربعمائه من أصحابه. و كان هذان القائدان الأقطع و الأرمنى من أبرز القاده الشجعان، و يصفهما الطبرى انهما كانا نابين من أنياب المسلمين، و كان الروم يرهبون جانبهما. و لذا كان مقتلهما، و هما فى ميدان الجهاد، خساره كبيره أصيب بها الجيش العربى، مما كان له صدى قويا فى مختلف أرجاء الدوله العربيه، و بخاصه فى حاضرتها سامرا و فى مدينه السلام. اذ شق الأمر على الناس و عظم عليهم فقدهما، مع حنقهم الشديد على القواد الاتراك

١- الطبرى ٩ / ٢١٩، و الكامل ٧ / ٩٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٦٠، و الكامل ٧ / ١١٩.

و استفضاعهم معاملتهم الخلفاء، اذ صاروا يستخلفون من يحبون استخلافه و لا يحدوهم فى ذلك غير مصالحهم الخاصه دون رعايه لشؤون الدين أو مصالح الامه. فاجتمعت العامه ببغداد بالصراخ و النداء بالنفير. و انضم اليهم الجند من الانباء و الشاكرية بحجه مطالبتهم بارزاقهم، ففتحوا السجون و اخرجوا من فيها، و احرقوا أحد جسرى المدينه و قطعوا الآخر. أما فى سامرا فقد وثب جمع كبير من الناس ففتحوا السجن و اخرجوا من فيه، و لما حاولت قوه من الجند تشتيتهم وثب بهم العامه و اتسع نطاق شغبهم. فخرج كبار قواد الأتراك: وصيف و بغا و اوتامش، على رأس جنودهم و قتلوا من العامه جماعه. و لما رمى وصيف بحجر أمر النفاطين فقتلوا حوانيت التجار و منازل الناس بالنار، و انتهوا بعض المنازل و الحوانيت. فاستثارت هذه الحوادث حميه بعض أهل اليسار من سامرا و بغداد فاخرجوا أموالا كثيره و فرقوها فيمن ينهض الى الثغور لحرب الروم، فاقبل المتطوعون من نواحى مختلفه من أرجاء الدوله(١).

و يظهر ان الدوله العربيه لم تكن مستعده لتوجيه جيش لحرب الروم فى تلك المده، و ذلك لاضطراب شؤون الخليفه المستضعف المستعين بالله بسبب النزاع القائم بين القواد الاتراك من جهه و الخليفه و القائد المتسلط أو تامش من جهه أخرى و الذى انتهى بقتل أو تامش و ازدياد ضعف مركز الخلافه، و لهذا لم يستطع الخليفه ان يستفيد من حماس الناس و يوجههم لحرب العدو. و فى هذا يقول الطبرى «فلم يبلغنا انه كان للسلطان فيما كان من الروم الى المسلمين من ذلك تغيير، و لا توجيه جيش اليهم لحربهم فى تلك الايام»(٢).

١- راجع عن حوادث الشغب المذكوره: الطبرى ٩ / ٢٦١-٢٦٣، و الكامل ٧ / ١٢١-١٢٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٦٢.

على ان القائد بلكاجور استطاع أن يغزو في صيفين متتاليين في الستين التاليتين و يستولى على بعض الحصون و يأسر جماعه من الروم(١).

ان انقسام الخلافه العباسيه فى عهد المستعين بالله و قيام خليفتين فى وقت واحد، و نشوب الحرب بين سامرا و بغداد، و ما تبع ذلك من مشاكل داخلية و ازدياد نفوذ القواد الاتراك، و اشتداد الصراع بينهم و بين الخلفاء، ثم قيام ثوره الزنج و استفحالها. كل ذلك أدى الى انشغال الدوله عن الثغور العربيه فضعفت حامياتها، و لم تعد متحمسه للغزو و القتال. بحيث انه لما غزا محمد بن معاذ من ناحيه ملطيه فى سنة ٢٥٣ وقع أسيرا بيد الروم و هزم جيشه(٢). و تلت هزيمته و اسره مده هدوء على الحدود العربيه-الروميه. الا ان انهماك الجيش العربى داخلها فى اخضاع ثوره الزنج فى عهد المعتمد على الله شجع الروم على اغتنام الفرصه، فارسيل باسيل الأول، مؤسس الاسره المقدونيه فى بلاد الروم، جيشا كبيرا ليقوم بهجوم واسع على طول حدود الدوله العربيه الفاصله بينها و بين مملكته. و قد استطاعت احدى الحملات أن تستولى على سميساط فى سنة ٢٥٩ هـ، ثم حاصرت ملطيه، الا ان أهلها استطاعوا رد المهاجمين، و قتلوا قائد الحمله(٣).

و فى سنة ٢٦٣ هـ سلمت حاميه لؤلؤه من الصقاليه الحصن الى الروم(٤). و يغزو ابن الاثير ذلك الى والى طرسوس القائد التركى ارخوز بن يولغ بن طرخان، و كان غرا جاهلا-فاساء السيره فى أهل الثغر و آخر عن حاميه لؤلؤه ارزاقهم و ميرتهم، فضجوا من ذلك و كتبوا الى أهل طرسوس يشكون منه و يهددون بتسليم القلعه الى

١- الطبرى ٩ / ٢٧٧ و ٣٢٧، و الكامل ٧ / ١٦٤.

٢- الطبرى ٩ / ٣٧٧، و الكامل ٧ / ١٨٣.

٣- الطبرى ٩ / ٥٠٦، و الكامل ٧ / ٣٦٧.

٤- الطبرى ٩ / ٥٣٢.

الروم اذا لم تصلهم ميراثهم و ارزاقهم. فغظم ذلك على أهل طرسوس فبادروا الى جمع مبلغ خمسة عشر ألف دينار من بينهم و سلموها الى ارخوز ليحملها الى أهل لؤلؤه فأخذها لنفسه. فلما أبطا المال على أهل لؤلؤ فسلموا القلعه الى الروم. و لما اتصل الخبر بالخليفه المعتمد على الله اضاف ولايه طرسوس الى اماره احمد بن طولون ليقوم بأمرها و أمر الحصون التابعه لهم، و ليغزو الروم منها(١).

و غزا في السنه التاليه عبد الله بن رشيد بن كاوس عامل الثغور في أربعة آلاف رجل من أهل الثغور الشاميه، فدخل بلاد الروم فقتل و سبى و غنم. و لما رحل عائدا احاط به ثلاثه من بطارقه الروم بجيوشهم، فقاتلهم باتباعه فقتل أكثرهم و تمكن الروم من أسره بعد اصابته بعده طعنات، فحمل الى ملك الروم. و لم يلبث في الأسر الا قليلا، اذ ان الروم شعروا بقوه ابن طولون المتناميه و شدته في منازلهم، فبعث ملكهم بعيد الله بن رشيد و عدد من الاسرى و انفذ معهم عددا من المصاحف المذهبه هديه اليه(٢).

و يظهر ان اناطه اماره الثغور بأمر مصر أحمد بن طولون اعاد الحماس الى حامياتها و المتطوعه فيها. فاخذت غزواتهم تترى سنه بعد أخرى فيغنمون و يعودون. فقد غزا سيما الخادم عامل ابن طولون على الثغور الشاميه في سنه ٢٦٦ هـ في ثلاثمائه رجل من أهل طرسوس، فخرج عليهم نحو أربعة آلاف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق كثير من العدو و أصيب آخرون، الا ان قسما من جيش الروم وصل الى ديار ربيعه شمالي الجزيره غربى نهر دجله، فقتلوا و أسروا نحو من مائتين و خمسين شخصا. فنفر اليهم بعض رجال الموصل و نصيبين، ففر الروم راجعين(٣).

١- الكامل ٧ / ٣٠٨ - ٣٠٩.

٢- الطبرى ٩ / ٥٤٥، و الكامل ٧ / ٣٢٨.

٣- الطبرى ٩ / ٥٤٩، و الكامل ٧ / ٣٣٢.



و غزا فى سنه ٢٦٨ هـ خلف الفرغانى عامل ابن طولون، من ناحيه الثغور الشاميه فقتل من الروم بضعه عشر ألفا، و غنم من الأموال كثيرا، بحيث بلغ سهم المحارب منها أربعين دينارا(١).

و لما أغار ملك الروم المعروف بابن الصقليه و اناخ على ملطيه فى نفس السنه المذكوره، بادر أهل مرعش و الحدث الى نجدتها، و ارغموا الجيش الرومى على الفرار(٢).

و حاول الروم فى سنه ٢٧٠ هـ القيام بهجوم واسع على الثغور العربيه. فتقدم بطريق البطارقه اندرياس على رأس جيش يربو عدده على مائه ألف مقاتل، فنزل على قلميه، و هى على بعد سته أميال من طرسوس. فخرج اليه القائد يا زمان عامل ابن طولون على الثغور و كمن لجيش الروم و أوقع به هزيمه منكره و أصابه بخسائر جسيمه جدا، اذ يقال انه كبده سبعين ألف قتيل، منهم عدد من البطارقه و كبيرهم بطريق البطارقه، و غنم العرب غنائم لا تحصى. فقد اخذوا لهم سبعة صلبان ذهب و فضه مع صليبهم الاعظم من الذهب المكلل بالجواهر. و استحوذوا على خمسه عشر ألف دابه و من السروج نحو ذلك، و استولوا على سيوف محلاه بالذهب و الفضه، و اربعة كراس من ذهب و مائتى كرسى من فضه، و مائتى طوق ذهب، و نحو عشره آلاف علم ديباج، و غير ذلك كثير(٣).

و يعتبر هذا أعظم انتصار للجيش العربى على الروم بعد عموريه.

ثم غزا يازمان القائد فى سنه ٢٧٥ هـ بحرا و هزم الروم و غنم منهم أربعة مراكب(٤). و يقول ابن خلدون ان يازمان غزا بالصائفه

١- الطبرى ٩ / ٦١٢، و الكامل ٧ / ٣٧٣.

٢- نفس المصدرين السابقين.

٣- الكامل ٧ / ٤٠٦-٤٠٧، و المنتظم ٥ / ٧٠-٧١، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧١٠ و جاء اسم القائد فى الكامل: بازمار.

٤- الكامل ٧ / ٤٣٣، و المنتظم ٥ / ٩٤.

أيضاً و توغل فى أرض الروم و قتل و سبى و أسر و غنم و عاد الى طرسوس(١).

و عند ما خرج يازمان للغزو فى سنه ٢٧٩ هـ وصل الى «شكند»، فاصابته شظيه من حجر منجنيق فى اضلاعه، فارتحل عائدا بعد أن أو شكك على الاستيلاء عليها، فتوفى الطريق، فحمل الى طرسوس فدفن فيها(٢). و كانت هذه آخر غزوه خرجت الى بلاد الروم من الثغور العربيه فى عهد الخلفاء العباسين فى سامرا.

---

١- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧١١.

٢- الكامل ٧ / ٤٤٩، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧١١ و سمي المدينه: اسكندا.



## الفصل الثانى المفاداه بين العرب و الروم

## ١- فداء سنه ٢٣١ هـ:

لعل أهم الاحداث التى جرت مع الروم فى عهد الواثق بالله هى عمليه الفداء التى تمت فى سنه ٢٣١ هـ. و تعتبر هذه المفاداه الثالثه التى تمت منذ تولى العباسيون حكم الدوله العربيه(١). فقد قدم على الخليفه بسامرا وفد من ملكه الروم تيودوره الوصيه على ابنها ميخائيل بن توفيل، يفاوض فى فداء أسرى الروم بمن فى أيديهم من أسرى الحرب، فاجاب الخليفه بالموافقه(٢). و قد جرت بين الوفد البيزنطى و الوزير محمد بن عبد الملك الزيات مفاوضه للاتفاق على شروط المفاداه. و كان رسل الروم قد اشترطوا ان لا يأخذوا فى الفداء امرأه عجوزا و لا شيخا كبيرا و لا صبيا، و استمرت المفاوضه عدّه أيام الى ان اتفق الطرفان على أن يكون الفداء على أساس كل نفس بنفس(٣).

١- تم الفداء ان الاول و الثانى فى عهد هارون الرشيد- التنبيه و الاشراف / ١٦١ و يقول الطبرى ١٤٢ / ٩ ان آخر فداء قد تم فى عهد محمد الامين.

٢- الطبرى ١٤١ / ٩، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢.

٣- الطبرى ١٤٢ / ٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٣.

و كان الخليفة قد بعث الى بلاد الروم من يتعرف على عدد أسرى العرب هناك، فكان عددهم ثلاثة آلاف رجل و خمسمائه امرأه(١).

و كان عدد أسرى الروم أقل من ذلك، فأمر الواثق بالله بشراء الرقيق و الاسرى الروم من سامرا و بغداد و غيرهما. فاشترى من وجد منهم، فلم يتم العدد المطلوب فتبرع الخليفة فاخرج من كان فى قصره من النساء الروميات العجائز و غيرهن حتى تم العدد(٢).

و عقد الخليفة لأحمد بن سعيد بن مسلم الباهلى على ولاية الثغور و العواصم و أمره ان يحضر عمليه الفداء، و بعث معه خاقان الخادم الذى عرف هذا الفداء بأسمه باعتباره ممثل الخليفة. كما حضر أحد الخبراء بالشؤون الروميه هو مسلم الجرمى، و كان ذا معرفه بأهل الروم و أرضها، و له مصنفات فى اخبارهم و ملوكهم و بلادهم و طرقها و مسالكها، و أوقات الغزو و الغارات عليها(٣).

كما وجه باثنين من أصحاب القاضى ابن ابى دواد، أى من المعتزله، هما يحيى بن آدم الكرخى و يكنى بابى رمله، و جعفر بن محمد الحذاء. و بعث معهما كاتباً يدعى طالب بن داود، و امرهم بامتحان الاسرى العرب وقت المفاداه، فمن قال بخلق القرآن و ان الله لا يرى يوم القيامة، فودى به واعطى دينارا واحداً، و من لم يقل بذلك ترك فى أيدي الروم(٤).

و لما كان يوم عاشوراء من سنه ٢٣١ هـ اجتمع العرب و معهم أسرى الروم، و اتى الروم و معهم الاسرى العرب. و حضر المفاداه عدد كبير من العرب من جند و متطوعه، و يقدر اليعقوبى عددهم

١- الطبرى ٩ / ١٤٢.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢، و الكامل ٧ / ٢٤.

٣- التنبيه و الاشراف / ١٦٢.

٤- الطبرى ٩ / ١٤٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٢ و فيه دفع لمن فودى به ديناران و ثوبان.

بسبعه آلاف رامح سوى من ليس معه رمح (١). و يظهر ان تقديره لا يخلو من المبالغه، اذ يقدر الطبرى عدد الحاضرين بأربعه آلاف فارس و راجل (٢). فخاف الروم لقلتهم و كثره العرب، فأمنهم خاقان الخادم و ضرب لهم أربعين يوما هدنه لا يقوم العرب خلالها بغزوهم، حتى تتسنى لهم العوده الى بلادهم (٣).

و تمت عمليه المفاداه على نهر اللامس على بعد مرحلتين من طرسوس. و كان النهر يفصل بين الطرفين، فوقف العرب من جانبه الشرقى، و الروم من الجانب الغربى. و كان العرب يطلقون الأسير من الروم، فيطلق الروم أسيرا من العرب، فيلتقيان فى وسط النهر و كان مخاضه يعبره الاسرى. و قيل كان على النهر جسر، كما قيل كان عليه جسران احدهما للعرب و الآخر للروم. فيأتى كل منهم الى أصحابه فاذا وصل الأسير العربى كبر العرب، و اذا وصل الاسير الرومى استقبله الروم بالصياح، حتى فرغوا من الفداء (٤).

و يقول ياقوت الحموى ان اللامس قريه على شاطىء بحر الروم من ناحيه طرسوس، كان فيها الفداء بين العرب و الروم، يقدم الروم فى البحر فيكونون فى سفنهم، و العرب فى البر، فيتم الفداء، و يؤيده ابن حوقل فى ذلك (٥).

استغرقت عمليه الفداء بين العرب و الروم أربعة أيام (٦).

أما عدد من فودى بهم من الاسرى العرب و من كان معهم من أهل الذمه، فقد تراوح بين خمسمائه رجل و سبعمائه امرأه على ما ذكره

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٢.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٣.

٣- الطبرى ٩ / ١٤٤.

٤- الطبرى ٩ / ١٤٣-١٤٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٣، و الكامل ٧ / ٢٤.

٥- معجم البلدان ٥ / ٨، و صورته الارض / ١٨٣.

٦- الطبرى ٩ / ١٤٤، و التنبية و الاشراف / ١٦١، و فيه انها استغرقت عشره أيام.

اليقوبى، و بين أربعه آلاف و ستمائه انسان بما فيهم من أهل الذمه على ما جاء فى تاريخ الطبرى و التنبيه و الاشراف و تجارب الامم و الكامل (١). و يبدو ان اليقوبى متحفظ جدا فى تقدير عدد من تم اقتداؤهم، لا سيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد من احصى من أسرى العرب فى بلاد الروم قبل عمليه الفداء. و يقدر ابن خلدون عدد الذين فودى بهم من العرب بأربعه آلاف و أربعه و ستين، و النساء و الصبيان بثمانمائه، و أهل الذمه بمائه (٢). و يقول الطبرى ان خاقان الخادم استفرخ جميع من كان فى بلد الروم من الاسرى العرب ممن علم موضعه، و انه أعطى صاحب الروم ممن كان قد فضل فى يده من أسرى الروم مائه نفس، ليكون عليهم الفضل استظهارا مكان من يخشى أن يأسروه من المسلمين الى انقضاء المده، و رد الباقين الى طرسوس فباعهم (٣).

## ٢- فداء سنه ٢٤١:

يعتبر هذا الفداء الرابع حسب ما يقول المسعودى. و يفهم مما جاء فى الطبرى عنه ان الملكه تيودوره الوصيه على ابنها ميخائيل الثالث، و جهت فى هذه السنه الى الخليفه المتوكل على الله أحد رجالها المدعو قرياقس تطلب مفاداه من فى أيدي الروم من أسرى العرب.

فوجه المتوكل على الله فى شعبان نصر بن الازهر بن المفرج المعروف بالشيعى، ليعرف عدد الاسرى فى بلاد الروم، لكى يتدبر امر مفاداتهم. و يقال ان تيودوره، بعد خروج نصر من بلادها، أمرت بعرض النصرانيه على أسرى المسلمين فمن تنصر منهم بقى فى

١- الطبرى ٩ / ١٤٣، و تاريخ اليقوبى ٢ / ٤٨٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢، و التنبيه و الاشراف / ١٦١، و الكامل ٧ / ٢٤.

٢- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٧٧ - ٥٧٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٤٣ - ١٤٤.

بلادها، و من ابى قتلته، و ذكر انها قتلت اثني عشر ألفا لانهم رفضوا الدخول فى النصرانيه.

و كتب الخليفه الى عمال الثغور الشاميه و الجزريه ان خادمه شنيفا قد فاوض الروم و اتفق معهم على هدمه امدها ثلاثه أشهر ليقوم كل من الطرفين يجمع الاسرى الذين لديه. و عند ما انتهت المده اجتمع الطرفان على نهر اللامس أيضا فى الثانى عشر من شوال، و تم الفداء بينهما. و كان عدد من فودى به من الاسرى العرب خمسا و سبعين و ثمانمائه انسان، منهم خمس و عشرون و مائه امرأه(١). و لا- يختلف ما ذكره ابن الاثير عن هذا الفداء عما جاء فى الطبرى سوى قوله ان الملكة تيودوره ارسلت تطلب المفاداه بمن بقى من أسرى العرب بعد ان قتلت من لم يدخل فى النصرانيه منهم، و ان قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد الهاشمى طلب ان يحضر عمليه الفداء فأذن له(٢).

أما المسعودى فانه لا يذكر موضوع عرض النصرانيه على المسلمين و قتل من لم يتنصر منهم، كما انه يختلف فى عدد من فودى به من الاسرى العرب، و يقول كان عددهم مائتين و ألفين من الرجال و مائتين من النساء، كما يذكر انه كان فى الاسرى بعض النصارى المأسورين من دار الاسلام بلغ عددهم مائه رجل و نيف، فعرضوا مكانهم عده اعلا-ج لأين الفداء لا- يقع على نصرانى(٣). و يؤيد المقريزى ما ذكره المسعودى(٤)، و احسب انه نقله عنه.

و ذكر اليعقوبى هذا الفداء باختصار، فلم يذكر عدد من فودى به من أسرى العرب، كما انه لم يشر الى الاسرى من النصارى. فهو

١- الطبرى ٩/ ٢٠٢-٢٠٣.

٢- الكامل ٧/ ٧٦.

٣- التنبيه و الاشراف / ١٦٢.

٤- الخطط المقريزيه ٢/ ١٩١.



يذكر ان ملك الروم وجه برسل و بعض الهدايا يطلب المفاداه، و قد بعث له باضعافها. و يشير الى انه قد حمل من كل بلد فيه من أسرى الروم، و اشترى عبيد النصرى(١). مما يدل على ان عدد اسرى الروم لدى الدوله العربيه كان قليلا.

مما يلفت النظر فى هذه الروايات التى ذكرناها عن هذا الفداء الاختلاف الكبير فى عدد من فودى بهم بين ما ذكره الطبرى و ما ذكره المسعودى. ثم اذا كانت ملكه الروم قد ابقت فى بلادها من تنصر من الأسرى و قتلت من رفض التنصر، فانه لم يعد هناك من يفادى به من الاسرى العرب، مما يستدل منه ان الروايه مبالغ فيها و تنقصها الدقه. و تتضمن روايه ابن خلدون و ضوحا أكثر، و هى أحرى بالقبول، اذ يقول: و كانت تدوره ملكه الروم حملت اسرى المسلمين على التنصر، فتنصر الكثير منهم، ثم طلبت المفاداه فيمن بقى منهم على الاسلام(٢).

### ٣- فداء سنه ٢٤٦ هـ:

و هو الفداء الخامس على قول المسعودى، و قد تم فى خلافه المتوكل على الله أيضا. يقول الطبرى عن هذا الفداء ان ملك الروم ميخائيل بن توفيل بعث الى الخليفه رسولا يدعى أطروبيليس و معه سبعة و سبعون رجلا من أسرى المسلمين أهدهم الى الخليفه. فانزل الرسول على شنيف الخادم. ثم وجه المتوكل على الله نصر بن الازهر الشيعى مع رسول ملك الروم، فشخص فى هذه السنه للمفاوضه مع ملكها على الشروط التى يتم الفداء بموجبها.

و قد وصف ابن الازهر مقابلته ملك الروم و تقديمه هدايا الخليفه اليه، و اتفاهه حول شروط المناداه، و صفا طريقا نقتطف

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٠ - ٤٩١.

٢- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٨٧ - ٥٨٨.

منه ما يأتي «لما صرت الى القسطنطينيه حضرت دار ميخائيل الملك بسوادى و سيفى و خنجرى و قلنسوتى، فجرت المناظره بينى و بين خال الملك بطرناس (و هو بادراس اخو تيودوره أم الملك، و قد صار وصيا عليه) و كانوا قد أبوا ان يدخلونى بسيفى و سوادى، فقلت: انصرف، فانصرفت. فرددت من الطريق و معى الهدايا، منها نحو ألف نافجه من المسك، و ثياب حرير، و زعفران كثير، و طرائف ... و حملت الهدايا معى، فدخلت عليه، فاذا هو على سرير فوق سرير، و اذا البطارقه حوله قيام. فسلمت و جلست على طرف السرير الكبير، و قد هى ء لى مجلس، و وضعت الهدايا بين يديه. و بين يديه ثلاثه تراجمه: غلام فراش كان لمسور الخادم، و غلام لعباس بن سعيد الجوهري، و ترجمان له قديم يقال له سرحون. فقالوا لى: ما تبلغه؟ قلت: لا تزيدون على ما أقول لكم شيئا. فاقبلوا يترجمون ما أقول. فقبل الهدايا و لم يأمر لأحد منها بشى ء. و قربنى و أكرمنى، و هيا لى منزلا بقربه. فخرجت فنزلت فى منزلى ... فراجعوا فى مخاطبتى، و انقطع الأمر بينى و بينهم فى الفداء على ان يعطوا جميع من عندهم من الاسرى و هم أكثر من ألفين منهم عشرون امراه و معهن عشره من الصبيان، و أعطى جميع من عندى و كانوا أكثر من ألف قليلا، فاجابونى الى المحالفه.

فاستحلفت خاله فحلف عن ميخائيل، فقلت: أيها الملك، قد حلف لى خالك، فهذه اليمين لازمه لك؟ فقال برأسه نعم. و لم اسمعه يتكلم بكلمه منذ دخلت بلاد الروم الى أن خرجت منها. انما يقول الترجمان و هو يسمع فيقول برأسه نعم أولا، و ليس يتكلم، و خاله المدير أمره. ثم خرجت من عنده بالاسرى بأحسن حال. حتى اذا جئنا موضع الفداء، أطلقنا هؤلاء جمله. و كان عداد من صار فى أيدينا من المسلمين أكثر من ألفين، منهم عدد ممن كان تنصر، و صار فى أيديهم أكثر من ألف قليلا ..»(١).

و قد تم هذا الفداء فى صفر من سنة ٢٤٦، و قيل انه تم فى جمادى الأولى، و ذلك على يد الأمير على بن يحيى الارمنى. و كان عدد من فودى بهم ألفين و ثلاثمائة و سبعة و ستين شخصا. و يسمى المسعودى هذا الفداء، فداء نصر بن الأزهر و على بن يحيى الأرمنى، و يقول انه تم فى مستهل صفر، و هو يتفق فى عدد من فودى بهم مع ما ذكره الطبرى، و يضيف ان الفداء تم فى سبعة أيام و ان من فودى بهم كانوا من الذكور و الاناث(١). و ما ذكره المقرئى عن هذا الفداء يطابق روايه المسعودى(٢). و يقتصر ابن الاثير فى ذكر هذا الفداء على انه تم فى سنة ٢٤٦ هـ على يد على بن يحيى الأرمنى، و يتفق مع الطبرى و المسعودى فى عدد من فودى بهم(٣).

و يشير المسعودى الى ما يقال عن فدائين آخرين تما فى عهد الخلفاء العباسيين فى سامرا، أحدهما فى سنة ٢٥٣ هـ فى أيام المعتز بالله على يد شفيح الخادم. و الآخر فى أيام المعتمد على الله فى رمضان سنة ٢٥٨ هـ على يد شفيح و محمد بن على. و هو يشكك فى حدوثهما بقوله: لم نجد لهما حقيقه و لا اشتهر أمرهما و لا استفاض خبرهما، و ان الصحيح المعول عليه ما كان قد ذكره(٤). و من الجدير بالذكر ان الطبرى و ابن الاثير لا يذكران شيئا عن الفدائين المذكورين اللذين نفى المسعودى حصولهما فى عهد سامرا.

١- التنبيه و الاشراف / ١٦٢-١٦٣.

٢- الخطط المقرئيه ٢ / ١٩١.

٣- الكامل ٧ / ٩٣.

٤- التنبيه و الاشراف / ١٦٣ و ١٦٦-١٦٧ على التوالى.

## الفصل الثالث العلاقات الثقافيه و التجاريه بين العرب و الروم

### ١- الاتصال الحضارى بين العرب و الروم:

عند ما انتقلت عاصمه الدوله العربيه فى عهد المعتصم بالله الى سامرا كانت بلاد الشام و مصر و شمالى أفريقيا و النصف الشرقى من آسيا الصغرى، جزء من الدوله العربيه. و كان العرب قد حرروا هذه البلاد من الامبراطوريه البيزنطيه، الا ان الطابع الرومى استمر فى هذه البلاد عهدا غير قصير فى النواحي الاجتماعيه كالتقاليد و طراز الحياه، و الناحيه الفنيه المتمثله فى الغناء و الموسيقى و طراز البناء، و كذلك فى الناحيه الثقافيه و الفكرية. و يروى أبو الفرج عن المغنى المدنى مسلم بن محرز المتوفى سنه ١٤٠ هـ انه صار الى الشام فتعلم ألحان الروم و أخذ غناءهم، فاسقط من ذلك ما لا يستحسن، و أتى بما لم يسمع المرء مثله (١). و قد وجد العرب فى هذه البلاد و انظمه أداريه و مراكز ثقافيه متقدمه، فأولوها رعايتهم

و استفادوا منها كثيرا مما ساعدهم على تقدمهم الحضارى. و لا ينكر انهم تعرفوا عن طريق الحضاره الهيلينيه التى كانت سائده فى البلاد المذكوره على آثار القدماء فى ميدان العلوم و الفنون(١).

و قد استهدف العرب فى عهد الفتوح اجتياح بلاد الروم نفسها و الاستيلاء على عاصمتهم القسطنطينيه، و قد اوشكت الامبراطوريه البيزنطيه ان تمحى من الوجود تماما على أيديهم ثلاث مرات بين سنتى ٤٨ و ٩٩ هـ، و كان الخطر العربى ماثلا على الدوام فى ذهن كل بيزنطى(٢). و كانت آخر مره استهدفت فيها العرب الاستيلاء على القسطنطينيه فى ٢٢٣ هـ عند ما اجتاح المعتصم بالله بلاد الروم و افتتح عموريه، الا ان مؤامره قامت ضده حالت دون تحقيق ذلك.

و على الرغم من توقف موجه الفتح العربى فى بلاد الروم على عهد الخلفاء العباسيين فى سامرا، فان الحروب ظلت مستمره تقريبا بين الدوله العربيه و امبراطوريه الروم. الا انها كانت على شكل غزوات على أطراف الحدود بينهما، و هدفها رد العدو و منع اذاه، أو ارهابه و الحاق الاذى به و الفوز بالغنائم. و قد اشرنا الى هذه الحروب فى فصل سابق.

و كانت هذه الحروب، كما رأينا، متصله بحيث لم تمر سنه من سنوات الخلافه العباسيه فى سامرا دون نشوب قتال بين الجانبين، خلا فترات و جيزه من الهدوء كما اشرنا فى صدر هذا الباب. و قد أدى استمرار الحروب الحدوديه بين الدولتين الى أن تقوم كل منهما بتحسين ثغورها و شحنها بالمقاتلين المحترفين، مما كان يستلزم حاله مستديمه من اليقظه و الاستعداد لدفع عدوان المغيرين. على أن تواصل هذه المعارك بما يستتبع من علاقات غير مقصوده بين

١- الامبراطوريه البيزنطيه / ٣٦٦.

٢- حضاره الاسلام / ٥١.

شعبين كبيرين لا يخلو من تأثير على التطور الداخلى لدى كل منهما.

و اذا كانت التجاره قد تأتى فى المكان الاول من حيث انها عامل فى التطور الثقافى للشعوب، فان العلاقات السياسيه أيضا قد خدمت الثقافه فى كثير من الاحيان. اذ يتطاحن شعبان فيتبادل المنتصرون و المنهزمون الافكار و العادات و الاخلاق و اللغات و الاداب(١).

لقد كان للروم، كسب عريق فى حضارته، عاداتهم و تقاليدهم يمارسونها فى حياتهم الاعتياديه. كما ان لهم طريقتهم فى أصول الحكم، و لهم فنونهم الخاصه بهم. و انهم يحتفظون بتراث كبير من كتب اليونان فى الطب و الفلسفه و الادب. و قد اقتبس العرب بعض ما تيسر لهم من ذلك عن طريق المعارك الحدوديه التى أشرنا اليها.

فان استيلاء الروم على أحد الثغور العرييه و بقاؤهم فيه مده حتى يجلبهم العرب عنه، يترك بين سكانه شيئا من تأثيرهم و لا سيما فى اللغه و أسلوب الحياه اليوميه. و ذلك بحكم اتصالهم المباشر بهم.

و كذلك الامر عند ما يقع الاسرى العرب بأيدى الروم، و كان عدد هم كبيرا نسبيا بسبب كثره غزواتهم و هجماتهم على الثغور و الحصون الروميه. أو عند ما يقع الاسرى الروم بأيدى الغزاه العرب، و كانوا من الكثره أحيانا بحيث ينادى على بيعهم خمسه و عشره عشره، كما حصل فى معركة عموريه. فيختلط هذا العدد الكبير منهم بأهل دار السلام. فكان هذا الاختلاط عاملا مهما فى الاتصال الحضارى و الثقافى بين الجانبين. اذ ان كل طرف يقتبس من الطرف الآخر بحكم معاشته قوما يختلفون عنه، بعضا من عاداتهم و تقاليدهم و أسلوبهم فى الحياه، و يتعلم شيئا قليلا أو كثيرا من لغتهم. و لعل ظهور بعض الشعراء و الادباء ممن كانوا من أصل رومى مثل ابن الرومى الشاعر، و ياقوت الحموى الرومى الأديب البلدانى البارع، دليل واضح على التأثير الذى أشرنا اليه.

و من الطبيعي ان يزداد تأثر الأسير كلما اتسعت ثقافته و ارتفع مستواه الاجتماعي و الحضارى، و ذلك بحكم نوع علاقاته و سعه اطلاعه. فينقل عند عودته من الأسر ما تعلمه أو اعتماده، الى بلاده. و يذكر أحد الاسرى العرب، و هو هارون بن يحيى، انه اسر في عسقلان و حمل الى القسطنطينيه على طريق البحر، و يذكر المدن و القرى و الاماكن التى مر بها حتى انتهى الى عاصمه الروم، فيصف مالفته نظره فيها أو تأثر به. كأبواب المدينه و بلاط الملك، و هو قصر كبير فى وسط المدينه يحيط به سور، و البذرون و هو ميدان واسع يجتمع فيه البطارقه فيشرف عليهم الملك من قصره. و ما شاهده فى القصر من التماثيل النحاسيه للبشر و الحيوانات. و يصف سباق العجلات المذهبه و لباس الرجال الذين يسوقونها. و كنيسه الملك و قبتها و أعمدتها و أبوابها و مقصورتها و التماثيل التى فيها، و حضور الملك اليها يوم الميلاد. و كيف يحضرون اسرى المسلمين لياً أكلوا على مائده الملك بعد أن ينادى منادى الملك ان هذه الاطعمه ليس فيها شىء من لحم الخنزير. ثم يصف (الارقنا) و هو الأرغن.

و يبدى اعجاباه بفخامه موكب الملك عند خروجه الى الكنيسه العظمى التى هى للعامه، و يذكر اديره الرهبان حوالى القسطنطينيه، و يتعجب من كثرة الرهبان فيها. ثم يصف سفره الى روما و مروره بسلانيك(١). و هو فى وضعه هذا يعطينا كثيرا من التفصيلات التى يبدو فى بعضها شىء من المبالغه. و يرجح ان هارون بن يحيى قد اسر و حمل الى عاصمه الروم فى أيام الملك باسيل الأول (٢٥٣-٢٧٣هـ)(٢).

كما لا يخفى تأثير الرقيق الرومى فى البيوت العربيه، لا سيما النساء و تأثيرهن على تربيته الأولاد، و تنظيم الشؤون المنزليه. بل لقد صار بعضهن أمهات خلفاء، فقد كان أربعه من خلفاء سامرا

١- الاعلاق النفيسه / ١١٩ - ١٣٢.

٢- الامبراطوريه البيزنطيه / ٤٨٤.

من أمهات روميات، فان قراطيس أم الواثق بالله، و حبشيه أم المنتصر بالله، و قبيحه أم المعتز بالله، و قرب أم المهتدي بالله كن أمهات أولاد روميات.

و مهما كان البون بين العرب و الروم شاسعا فى أدب اللياقه و أسلوب الحياه، فقد كان بينهما من الامور المشتركه ما يكفى لتمكين كل منهما من التأثير فى الجانب الآخر(١).

## ٢- العلاقات الثقافيه:

لاحظنا مما تقدم ان الحروب الحدوديه بين الدوله العربيه و المملكه البيزنطيه رغم استمرارها لم تمنع من قيام علاقات بين العرب و الروم. و لعل أوضح أوجه هذه العلاقات كانت فى النواحي الثقافيه و التجاريه. أما العلاقات الثقافيه فقد كان أبرز مظاهرها تلك المصادر الفلسفيه و الطبيه لارسطو و جالينوس و ابقراط و غيرهم من فلاسفه اليونان و حكماؤها، التى جلبت من بلاد الروم. اذ حصل العرب على كثير من كتب اليونان فى نواحي الطب و الفلسفه بصوره خاصه. و قد انكب عليها المترجمون و نقلوها الى اللغه العربيه بتشجيع من الخلفاء و رجال الدوله الذين لم يدخروا و سعا فى الانفاق على ذلك. مما كان له عظيم الأثر فى حركه التقدم العلمى التى ازدهرت فى القرنين الثالث و الرابع. و قد اسهنا فى بحث هذا الموضوع فى الباب الخاص بالحركه العلميه فى عهد سامرا.

و قد اشتهر فى سامرا عدد من فطاحل المترجمين و على رأسهم حنين بن اسحاق العبادى المتوفى سنه ٢٦٠ هـ الذى كلفه المأمون بنقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغه العربيه، و أوفده على وفد الى بلاد



الروم لاختيار ما يروونه مفيدا من الكتب(١). و كان حينئذ يتقن اليونانيه و آدابها كما يتقن العربيه و السريانيه. و قد عينه المتوكل على الله رئيسا للمترجمين و عين له كتابا نحارير عالمن بالترجمه ليعاونوه فى عمله، و قد ترجم كتب ابقراط و جالينوس و لخصها أحسن تلخيص(٢).

و يمكن اعتبار بعثه الواثق بالله الى بلاد الروم للتحرى عن الفتيه الذين آوا الى كهف هربا من تعسف دقلديانوس، من مظاهر العلاقه الثقافيه بين العرب و الروم أيضا. فقد أشرنا فى فصل آخر الى ان الواثق بالله قد بعث بأحد علماء العرب الى مدينه أفسوس فى بلاد الروم لتحرى أمر أولئك الفتيه، و رأينا كيف ان امبراطور الروم آنذاك ميخائيل الثالث قد أستجاب لطلب الخليفه العربى فأرسل مع مبعوثه رجلا- عارفا بموقع الكهف ليكون دليلا- له. و هذا يدل و لا- شك على نوع من التعاون فى الحقول العلميه بين الدولتين رغم الحروب التى كادت أن تكون متصله بينهما.

و كان من بعض نتائج هذا التأثير الثقافى المتبادل ان انتقلت كلمات عربيه كثيره الى لغه الروم، و كلمات يونانيه الى اللغه العربيه. و هذه الكلمات المنقوله سواء كانت عربيه أم يونانيه.

أصابها كثير من التحريف بحيث بات من الصعب معرفه أصلها المختفى وراءها.

### ٣- العلاقات التجاربه:

رأينا ان الحروب الحدوديه بين الدوله العربيه و بلاد الروم لم تقف حائلا دون قيام علاقات ثقافيه بين الطرفين. و الواقع انها لم تمنع كذلك قيام علاقات تجاربه بينهما. و يبين المقدسى البشارى

١- اخبار الحكماء / ١١٧، و عيون الانباء / ٢٦٠.

٢- عيون الانباء / ٢٦٢.

ان سبب ذكره الطرق الموصله الى القسطنطينيه هو «لحاجه المسلمين الى ذلك و قصدهم فى شراء الاسارى، و الرسالات، و الغزو، و التجارات»<sup>(١)</sup>. و فى هذا دلالة على تردد العرب على عاصمه الروم كوفود رسميه، أو لافتداء الاسرى، أو للغزو، أو لغرض التجاره.

و كما كان التجار البيزنطيون يظهرون فى كثير من المدن العربيه، كان التجار العرب يفتدون على بيزنطه لانجاز أعمالهم. و كانت مملكه الخزر بموقعها الجغرافى بين اقليم قزوین و الامبراطوريه البيزنطيه و الروس حلقة اتصال أبقت التجاره العربيه متصله مع أوروبا و بلاد الروم، كما كانت طرابزون على البحر الاسود مركز الاتصالات التجاربه بين الطرفين، و يتضح مما يذكره المسعودى ان طرابزنده (طرابزون) كانت تقام فيها أسواق سنويه يأتى اليها كثير من الاعمم للتجاره من المسلمين و الروم و الارمن و غيرهم<sup>(٢)</sup>. و الواقع ان طرابزون كانت حينذاك أهم الموانئ التى يعرض فيها التجار العرب بضائعهم على التجار من الروم و غيرهم.

و كان يقطنها عدد من التجار العرب<sup>(٣)</sup>.

لقد كانت بضائع الشرق تنقل الى أوروبا فى خلال القرن الثالث عن طريق الدوله البيزنطيه سواء بواسطه تجارها أو التجار العرب. فصارت القسطنطينيه مركزا لاستقبال بضائع الشرق و مصنوعات كالحريير و الكتان، و التوابل و البخور و العطور، و المنسوجات العراقيه و الشاميه التى اشتهر منها الموسلين و الدمقس، و المصنوعات النحاسيه و الزجاجيه و غيرها من البضائع التى كانت تبهر الغرب آنذاك. و منها تنقل الى أواسط أوروبا و غربيها.

و لا شك فى ان قيام بيزنطه بدور الوسيط اكسبها مركزا مهما بالنسبه للبلاد الاوربيه الاخرى، و أدى الى ازدهار حياتها

١- أحسن التقاسيم / ١٤٧.

٢- مروج الذهب / ١ / ١٧٦.

٣- تراث الاسلام / ١٥٩.

الاقتصادي له لما كانت تجنبه من الارباح من ذلك، كما كان التجار العرب يربحون الكثير من تجاراتهم هذه.

و عند ما يذكر ابن خرداذبه مسالك التجار حينذاك يعطينا صوره واضحه عن البضائع التي كانت تنقل من الشرق الى الغرب أو بالعكس. فهم يجلبون من الغرب الخدم و الجوارى و الغلمان و الديباج الرومى و جلود الخز و الفراء و السمور. و يركبون البحر فيخرجون بالفرما و يحملون تجاراتهم برا على الحيوانات الى القلزم (السويس) و منها يركبون البحر ثانياه الى جده فينطلقون منها الى السند و الهند و الصين، فيحملون بضائع هذه البلدان و مصنوعات كالمسك و العنبر و العود و الكافور و الدار صيني و الصندل و الساج و الفلفل و الحرير الصيني و السرج و غير ذلك مما يحمل من تلك البلدان(١)، ثم يرجعون بنفس الطريق. و قد يعدلون بتجاراتهم الى القسطنطينيه لبيعوها الى الروم. و ربما صاروا بها الى بلاد الفرنج مباشره لبيعها هناك. كما كانوا يحملون تجاراتهم أحيانا فى البحر الغربى فيخرجون بانطاكيه و يسيرون برا حتى يبلغوا نهر الفرات، ثم يركبون دجله الى بغداد و منها الى الابله، و منها الى عمان فالسند و الهند و الصين(٢).

و يقول المقدسى عن كفر سلام، و هى احدى قرى قيساريه «و لهذه القصبه رباطات على البحر يقع منها النفير، و تطلع اليها شلذيات الروم مع اسارى المسلمين للبيع كل ثلاثه بمائه دينار، و فى كل رباط قوم يعرفون لسانهم و يذهبون اليهم فى الرسالات»(٣).

و فى قوله هذا دليل آخر على قيام العلاقات التجاريه بين الدولتين حتى انها لتشمل بيع الاسرى و شرائهم، كما يظهر منه وجود من يحسن

١- المسالك و الممالك / ١٥٣ - ١٥٤.

٢- المسالك و الممالك / ١٥٣ - ١٥٤.

٣- أحسن التقاسيم / ١٧٧.

اللغة الروميه من العرب ليسهل أمور معاملات البيع و الشراء بين الطرفين.

و كان للثغور العربيه الشاميه منها و الجزريه أهميه خاصه فى العلاقات التجاريه بين الدوله العربيه و بلاد الروم، بالنظر لأهميه موقعها بينهما. فهى تتوزع فى منطقه متوسطه بين البحر المتوسط و البحر الاسود و بحر الخزر، و ترتبط بموانى البحر المذكوره.

مما ساعدها على ان تلعب دورا مميزا فى التجاره بين الدولتين.

و يذكر المقريزى ان الخليفه المستعين بالله كان قد انفذ أحد خدمه الى بلاد الروم ليحلب له أشياء نفيسه منها، فلما ابتاعها و كانت و قر بغل، عاد بها الى طرسوس و سافر منها مع القافله الى سامرا(١).

و مما زاد فى أهميه الثغور العربيه ان استمرار تدفق المجاهدين و الغزاه عليها أكسب طرقها الأمن و السلامه لسالكىها من التجار.

اذ كانت تلك الطرق عامره بدور الاستراحه و المرابط المخصصه للغزاه بالاصل الا- انها كانت بنفس الوقت ملجأ للتجار و قوافلهم عند مرورهم بها.

و كانت المسالحو المواضيع الحدوديه تراقب التجار بدقه و ذلك لاستيفاء العشور منهم عن البضائع التى يحملونها للتجاره، أما أمتعتهم الشخصيه فلا عشر عليها(٢). و كان من واجبهها أيضا التأكد من هويه التجار الغرباء فيفتشونهم لئلا يكون معهم سلاح، أو انهم

١- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٤.

٢- كتاب الخراج / ١٨٨.

يحملون كتباً تتضمن أخباراً تتعلق بشؤون الدوله العربيه(١).

الا- ان ذلك لم يحل دون نقل البضائع و السلع و مبادلتها. اذ كان التجار الاجانب يعتبرون مستأمنين فى دار الاسلام و لهم حق الاقامه و العمل فى التجاره، و لكنهم اذا اطالوا المقام أكثر من سنه أمروا بالخروج، و الا وضعت عليهم الجزيه(٢).

---

١- نفس المصدر / ١٩٠.

٢- نفس المصدر / ١٨٩.

## الباب التاسع الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا

### اشاره

١- اماره بنى الأغب.

٢- اماره الطاهريين.

٣- اماره بنى طولون.

٤- اماره الصفارين.



الباب التاسع الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا كان من جمله نتائج سيطره القواد الاتراك و استبدالهم بالخلفاء ان نفوذ الخلافه قد تداعى و غدا اسميا لا سيما فى أيام الفتنه، مما كان له أثر واضح فى اضعاف الدوله العربيه بصورة عامه. و يلاحظ انه كلما كانت الخلافه تزداد ضعفا بنتيجه الصراع بين الخلفاء و القواد الاتراك ظهرت امارات فى شرقى الدوله أو فى غربيها، و هى تقتطع جزء من ممتلكات الدوله و ترغم الخليفه أو تتوسل اليه بالاموال و الهدايا للاعتراف بها، لكى تضىفى الشرعيه على وجودها.

و كانت درجه استقلال هذه الامارات تتوقف على علاقاتها بالخلافه. و كلما ضعف مركز الخلافه ازدادت تلك الامارات حريه فى تصريف شؤونها. و توسعت على حساب الدوله. و سنعرض فيما يلى الى نشوء تلك الامارات التى قامت فى عهد سامرا، و استمرارها، او التى كانت قد قامت قبل ذلك و استمرت أو توسعت فى خلال العهد المذكور.





## الفصل الأول اماره بنى الأغب

## ١- تأسيس الاماره:

ساد الاضطراب فى أفريقيه فى عهد الخليفه هارون الرشيد، فظل يغير الولاة عليها دون جدوى. فارسل القائد هرثمه بن أعين مع جيش كبير لتهدئه الاضطرابات و دراسه حاله البلاد. و لما رجع هرثمه بعد ثلاث سنوات نصح الرشيد بأن يولى ابراهيم بن الاغب، و هو أحد الزعماء المتغلبين هناك، ولايه افريقيه، و لما لمس من عقله و دينه و كفايته(١). و قد تعهد ابراهيم بتهدئه الاحوال و تقديم أربعين ألف دينار سنويا الى بيت المال، مع الاستغناء عن الاعانه الماليه و قدرها مائه ألف دينار كانت مصر ترسلها من ايراداتها الى أفريقيه فى كل سنه، و بشرط أن يعهد الخليفه بالولايه اليه و لأبنائه من بعده بالوراثة، فوافق الرشيد و لاه ولايه أفريقيه فى منتصف جمادى الآخره سنه ١٨٤(٢). و كان هذا التعيين ينطوى على اعتراف الخلافه باستقلال أفريقيا استقلالاً داخليا.

١- الكامل ١٥٥ / ٦.

٢- البيان المغرب ٩٢ / ١.

و قد بقيت العلاقه بين اماره بنى الأغب و الخلافه فى سامرا وديه. و لابد من الاشاره الى ان اماره بنى الأغب تختلف عن بقية الامارات المستقله التى قامت فى أنحاء أخرى من الدوله، بانها كانت عرييه بأمرائها و بأغلبه رعاياها، و انها عملت على توسيع رقعته سلطانها على حساب دوله الروم. و الواقع ان التوسع العربى و نشر الدين الاسلامى فى جزر البحر المتوسط تم على أيدى أمراء بنى الأغب.

كان ابراهيم بن الأغب فقيها، شاعرا و خطيبا مفوها، ذا رأى و حزم و درايه فى الحرب. و لم يتول أفريقيه أحسن سيره و سياسه منه، و لا- أراف برعيه، و لا أوفى بعهد، فدانت له قبائل البربر بالطاعه، و هدأت البلاد فى أيامه(١). فقد استطاع بمؤهلاته و ما امتاز به من صفات قياديه أن يقضى على الفوضى فى أفريقيه و يعيد اليها الأمن فى خلال مده حكمه التى دامت اثنتى عشره سنه.

و أسس ابراهيم عند توليه الاماره مدينه على بعد ثلاثه أميال من مدينه القيروان، سماها مدينه القصر، و اتخذها مقاما له. ثم صارت من بعده دار للإقامه سكنها الأمراء من بنى الأغب. و عند ما انتقل ابراهيم الى مدينه القصر خرب دار الاماره التى كانت بالقيروان بقبلى الجامع. و بنى فى مدينه القصر جامعا رحيبا له صومعه مستديره بنيت بالآجر و العمد سبع طبقات، لم بين أحكم منها و لا أحسن منظرا. و أسس فيها الاسواق و الحمامات، و حفر مراحل للماء كانت مياها غزيره بحيث اذا نزر الماء فى مراحل القيروان نقلوا الماء اليها من مدينه القصر(٢).

ان جد بنى الأغب الذى ينتسبون اليه هو الأغب بن سالم التميمى أحد رجال الدعوه العباسيه، و كان من القاده الشجعان.

١- البيان المغرب ١ / ٩٢.

٢- المغرب للبكرى / ٢٨.

وقد عهد إليه أبو جعفر المنصور بولاية أفريقيه فى سنة ١٤٨ هـ، وقتل فى شعبان سنة ١٥٠ هـ لما خرج عليه الحسن بن حرب الكندى (١).

و حكم الاماره من أسره بنى الأغب أحد عشر أميرا دامت امارتهم مائه و اثنتى عشره سنة (١٨٤-٢٩٦ هـ) و كان اخرهم أبو نصر زياده الله الثالث الذى فر لما دخل أبو عبد الله الشيعى قائد جيش الفاطميين مدينه رقاده فى رجب سنة ٢٩٦ هـ. و ما لبث أبو نصر ان مات فى مدينه الرمله و هو فى طريقه الى القدس فى سنة ٢٩٩ هـ (٢).

و عاصر خلفاء سامرا من بنى الأغب سبعة امراء أولهم أبو محمد زياده الله الذى كان على الاماره عند تولى المعتصم بالله الخلفه.

و لسوف يقتصر بحثنا على مده حكم هؤلاء الامراء فقط.

## ٢- زياده الله الأول:

### اشاره

أبو محمد زياده الله بن ابراهيم، و هو الثالث من أمرائهم.

تولى الاماره فى سنة ٢٠١ هـ بعد أخيه أبى العباس عبد الله بن ابراهيم. و عند ما نشب الخلاف بين الخليفه محمد الأمين و أخيه المأمون و بايع بنو العباس ابراهيم بن المهدي بالخلفه ببغداد، ثبت زياده الله على ولائه للمأمون و الدعاء له. فلما انتصر المأمون شكر لزياده الله فعله فأقره على ولايته و منحه مزيدا من تأييده (٣).

قامت على عهد زياده الله عدده اضطرابات لقسوته و جوره و سوء ادارته. و قد اساء السيره فى الجند و سفك فيهم الدماء لسوء ظنه

١- البيان المغرب ١/ ٧٥.

٢- المختصر فى اخبار البشر ٢/ ٦٣.

٣- الاعلام ٣/ ٩٣.

بهم و وثوبهم بالأمراء قبله و خلافهم على أبيه (١). و قد بلغ من شدة قسوته عليهم انه عند ما شيع الجيش الذى وجهه الى قتال المنصور الطنبذى فى تونس هدد القائد الأغلب بن عبد الله المعروف بغلبون و جنده بالقتل اذا حلت بهم الهزيمة. مما جعل أكثر الجند ينقمون عليه و ينضمون الى عدوه (٢). و كانت خروج الطنبذى بتونس أهم الفتن التى قامت فى عهده. و قد استطاع الطنبذى فى أول الأمر ان يهزم عدده حملات و جهت اليه، حتى انه زحف على القيروان. الا انه بعد عدده معارك هزم و تفرق اتباعه. و كان أهل القيروان قد رحبوا بالطنبذى للتخلص من جور زياده الله الا انه عند ما تمت له الغلبة على الطنبذى صفع عنهم و جعل عقوبتهم هدم سور القيروان حتى الصقه بالأرض (٣). و بقيت المدينة بلا سور حتى اعاد بناء المعز بن باديس بن منصور الصنهاجى فى سنة ٤٤٤هـ (٤). و كذلك هدم سور مدينة تونس لأن أهلها أيدوا ثوره الطنبذى. و كان عليها سور من اللبن و الطين عدا القسم المواجه للبحر فكان من الحجاره (٥). كما تعرضت تونس مره أخرى لانتقام زياده الله عند ما التجأ اليها فضل بن ابى العنبر فقتل كثيرا من أهلها و شرد آخرين منهم، ثم عاد و أمن الهاريين فعادوا اليها (٦).

فقد قامت فى سنة ٢١٨هـ فتنه أخرى فى تونس ترعمها فضل بن ابى العنبر و استطاع ان يصد جيشا لزياده الله. الا ان الجيش الآخر الذى وجه اليه بقياده ابى فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب

١- البيان المغرب ١ / ٩٦.

٢- الكامل ٦ / ٣٣١.

٣- البيان المغرب ١ / ١٠٠.

٤- المغرب للبكرى / ٢٥.

٥- كتاب البلدان / ٣٤٨ - ٣٤٩.

٦- الكامل ٦ / ٤٤٠.

استطاع اقتحام المدينة و التغلب عليه. فأمن زياده الله كل من طلب الأمان ممن هرب من أهلها عند دخول أبي فهر إليها(١).

### زياده الله الأول و صقلية:

تطلع أمراء بنى الأغلب الى الاستيلاء على جزيره صقلية.

و قد لخص القزوينى ما ذكره عنها ياقوت الحموى و ابن حوقل، فوصفها بأنها جزيره عظيمه من جزائر المغرب مقابله لافريقيه، و هى مثلثه الشكل بين كل زاويه و أخرى من زواياها مسيره سبعة أيام، و هى خصبه كثيره البلدان و القرى، كثيره المواشى و الحيوانات الاخرى من الخيل و البغال و الحمير و البقر، و الحيوان الوحشى، و ارضها تنبت الزعفران. و كانت قليله العماره، خامله الذكر حتى فتح العرب بلاد أفريقيه، فهرب بعض أهلها الى صقلية و عمروها، و بالجزيره جبال شامخه، و عيون غزيره، و انهار جاريه. قال ابن حمديس مشتاقا إليها:

ذكرت صقلية و الهوى يهيج للنفس تذكراها

فان كنت أخرجت من جنهفانى أحدث أخبارها

و بها جبل النار و هو مطل على البحر، فى أعلاه منافس يخرج منها النار و الدخان، و ربما سالت النار منه الى جهه تحرق كل ما مرت به، و تجعل الارض مثل خبث الحديد لا تنبت شيئاً، و يسميه الناس الأخباث. و فى أعلى هذا الجبل السحاب و الثلوج. و الأمطار دائمه لا تكاد تقلع عنه فى صيف و لا شتاء، و الثلج لا يفارق أعلاه فى الصيف. و فيها البركان العظيم و ليس فى الدنيا بركان أشنع منه

منظرا و لا أعجب منه مخيرا، فاذا هبت الريح سمع له دوى عظيم كالرعد القاصف. و يقطع من البركان الكبرى الذى لا يوجد مثله. و بها آبار ثلاث يخرج منها أول الربيع الى آخره زيت النفط.

فينزل فى هذه الآبار على درج و يتقنع النازل و يسد منخره، فاذا تنفس فى أسفلها هلك من ساعته، يغرف ماءها و يجعله فى اجانات فما كان نفطا علا فيجمع و يجعل فى القوارير(١).

لقد دفع العرب فى أفريقيه الى الاستيلاء على جزيره صقلية عده عوامل أهمها عاملان، أولهما القضاء على القراصنه الروم الذين اتخذوا من موانى الجزيره مراكز لهم يشنون منها الغارات البحريه على سواحل أفريقيه فيخربون ثغورها و ينهبون أموالها و يأسرون من يقدرن عليهم من سكانها و يبيعونهم عبيدا أو يأخذون الفديه عنهم. و العامل الآخر انهم رأوا فى ذلك وسيلة لقطع دابر الفتن و الثورات الداخليه. فاعتبروا القتال فى سبيل الاستيلاء على صقلية جهادا يهدف الى نشر الدين الاسلامى. فدفع الأمير أبو محمد زياده الله الأول العناصر المثيره للفتن نحو غزو موانى صقلية و مدنها و فتحها. و لا شك ان مما شجع على ذلك قرب الجزيره من سواحل أفريقيه. فنزلت فيها طلائع القوات العربيه فى سنه ٢١٢ هـ فى ميناء مازره(٢)، على الساحل الجنوبي الغربى من الجزيره و تمكنت من الاستيلاء عليه.

و استمرت الحملات العربيه فى فتح الموانى و المدن فى القسم المذكور من جزيره صقلية حتى وصلت بالرم(٣)، فحاصروها

١- اثار العباد / ٢١٥-٢١٦، و معجم البلدان ٣ / ٤١٦-٤١٩، و صوره الارض / ١١٣-١٢٥.

٢- مازره: مدينه جميله عامره ذات أسوار حصينه- المسلمون فى صقلية / ٢١٧.

٣- بالرم: أعظم مدن صقلية و لها سور مبنى بالحجر- معجم البلدان ١ / ٤٨٣.

و ضيقوا الخناق عليها حتى اضطر قائدها الرومى على تسليمها بعد أن سمح له بمغادرتها بحرا مع بعض اتباعه، و ذلك فى سنة ٢٢٠ هـ، و قد جعلها العرب عاصمه للجزيره، فكثرت فيها العمران و بنيت فيها المساجد(١). فتوسعت المدينه و نمت حتى صارت من مراكز الحضاره العربيه المهمه آنذاك، مما ساعد على انتشار الدين الاسلامى بين سكانها الأصليين(٢).

و كانت مسينا(٣) قد افتتحت فى سنة ٢١٩ هـ فى خلال حصار بالرم، و هى تقع فى أقصى الشمال الشرقى من الجزيره. و بذلك استولى العرب على القسم الغربى من الجزيره و على قسم من شمالها. و بقى بيد الروم الساحل الشرقى و أواسط الجزيره و قلاعها. فركز بنو الاغلب اهتمامهم فى اجلاء الروم عنها و الاستيلاء عليها لتتم لهم السيطرة على الجزيره كلها.

لما توفى قائد الجيش العربى فى صقلية زهير بن عوف فى سنة ٢٢٠ هـ خلفه أبو الأغب ابراهيم بن عبد الله بن الأغب، و هو ابن أخى الامير زياده الله، فانتهج سياسه جديده للاستيلاء على ما بقى بيد الروم من الجزيره. فعمل على تقويه اسطوله البحرى، و أخذت سفنه تهاجم السواحل الجنوبيه و تطرد الروم منها. و بنفس الوقت تواجه النجديات البحرية القادمه لمساعدته الروم، فتضربها بقوه و تضطرها على الهروب و التراجع. مما اضعف القوات الروميه الموجوده فى الجزيره. حتى استطاعت احدى الحملات العربيه التوغل الى أواسط الجزيره و الاستيلاء على كبرى مدنها

١- مما يلفت النظر كثرة المساجد فيها، و لياقوت رأى طريف فى ذلك، هو رقاعه أهلها بسبب كثرة أكلهم البصل - معجم البلدان ١/ ٤٨٣.

٢- يراجع عن فتح بالرم و مسينا كتاب «المسلمون فى جزيره صقلية» / ٧٠-٧٢.

٣- مسينا: على ساحل صقلية المواجه لبلاد الروم، و هى أكبر موانى الجزيره و اكثرها عماره. بها تجتمع السفن الكبيره و المسافرين و التجار من بلاد الاسلام و بلاد الروم. و كان مرساها يستقبل أكبر ما يكون من السفن - معجم البلدان ٥/ ١٣٠ و المسلمون فى صقلية / ٢١٤.



قصريانه فى سنه ٢٢٣هـ (١). و كان الروم قد حشدوا جيشهم للدفاع عنها، فحاصرها الجيش العربى و ما لبث أن تمكن من فتح ثمره فى سورها مما سهل له اجتيازه و الدخول الى المدينه، فاضطرت حاميتها على الاستسلام.

و كانت سفن بنى الأغب، تهاجم فى نفس الوقت، سواحل ايطاليا الجنوبيه فاستولت على مدينه طارنطه (٢)، و مدينه بارى (٣)، اللتين اتخذهما الجيش العربى قواعد لزحفه شمالا نحو مدينه روما.

### أعماله العمرانيه:

كان الأمير زياده الله محبا للعمران، فجدد عماره جامع القيروان بعد أن هدمه كله. و أراد أن يهدم المحراب و يبنى غيره، فقبل له ان من تقدمه من الولاة توقفوا عن ذلك باعتباره أثرا قديما و قد وضعه الصحابى عقبه بن نافع. و لما الح على ذلك قال له أحد البنائين انه يستطيع أن يخفيه بين جداريه و يبنى أمامه محرابا جديدا، فاستصوب رأيه و عمل بموجبه (٤). و لا يزال الجامع المذكور على بنائه حتى اليوم. و المحراب كله و ما يليه مبنى بالرخام الأبيض من أعلاه الى أسفله، و مخرم بالنقوش بكتابه و زخارف جميله الصناعه. و طول الجامع ٢٢٠ ذراعا و عرضه ١٥٠ ذراعا و عدد أعمدته ٤١٤ عمودا، و قد بنيت فيه مقصوره.

و بلغ ما انفقته عليه سته و ثمانين ألف مثقال من الذهب (٥). أما

- 
- ١- قصريانه: مدينه جبلية ذات حصون و قلاع منيعه صعبه المنال.
  - ٢- طارنطه: تقع فى الجنوب الشرقى من شبه جزيره ايطاليا على الخليج المسمى باسمها، و تسمى اليوم ترنتو.
  - ٣- بارى: تقع شمالى شرقى طارنطه على الساحل الشرقى لجنوبى ايطاليا.
  - ٤- المغرب للبكرى / ٢٣.
  - ٥- نفس المصدر / ٢٣-٢٤.

المئذنه المربعه التي كانت قد شيدت على طراز المآذن السوريه فقد حافظت على شكلها و طرازها، و هي تعتبر من أقدم المآذن القائمه فى شمالى أفريقيا. و قد افضى هذا الجامع بفخامته و روعه بنائه على القيروان حله من المهابه جعلها من أمهات المدن العربيه الاسلاميه.

و قد اهتم زياده الله كذلك بتحسين مدن أفريقيا. فبنى لمدينه سوسه سورا كان يفخر به و يقول(١): ما أبالى ما قدمت عليه يوم القيامه و فى صحيفتى أربع حسنات: بنيانى الجامع بالقيروان، و بنيانى قنطره الربيع، و بنيانى حصن مدينه سوسه، و توليتى أحمد بن محرز قضاء أفريقيا. و كان زياده قد ولى الفقيه المالكى أحمد بن محرز الكلابى قضاء افريقيه فى سنه ٢٢٢ هـ، الا انه ما لبث أن توفى بعد سنه من تعيينه، و كان أوصى أخاه بن أبى محرز أن يكتفم موته الى أن يتم تجهيزه و الصلاه عليه خوفا من أن يكفنه زياده الله، ففعل عمران ذلك. فلما حمل نعشه من داره اقبل أحد فتیان الأمير بمسك و اكفان، فلما علم انه قد كفن ذر المسك الذى كان معه. و لما وصلوا بالجنازه الى المقبره حضر زياده الله و عزى أخا القاضى، و قال: يا أهل القيروان لو أراد الله بكم خيرا لما أخرج ابن أبى محرز من بين ظهرانكم(٢).

توفى زياده الله فى القيروان يوم الثلاثاء لاربع عشره خلت من رجب سنه ٢٢٣ هـ و عمره احدى و خمسون سنه و بضعه أشهر(٣).  
و قد دامت امارته احدى و عشرين سنه و سبعة أشهر.

### ٣- أبو عقاب الأغلب بن ابراهيم:

تولى الاماره بعد أخيه زياده الله، و هو رابع الامراء من بنى الأغلب، و قد عرف بحسن السيره، فاحسن الى الجنود و ازال مظالم

١- نفس المصدر / ٣٥، و معجم البلدان ٣ / ٢٨٣.

٢- البيان المغرب ١ / ١٠٦.

٣- نفس المصدر، و الكامل ٦ / ٤٩٣.

كثيره، و زاد فى أرزاق العمال و اجزل صلاتهم و كف أيديهم عن الرعيه. و قطع النييد عن القيروان و عاقب على بيعه و شربه(١).

استمر العرب فى حملاتهم على جزيره صقلية فى عهد الأمير ابى عقال، فاستولوا على عدد من الحصون صلحا بعد أن استأمنوا أهلها فى سنة ٢٢٣ هـ منها حصن البلوط، و حصن ابلاطنو، و حصن قزلون. كما سير أبو عقال اسطولا الى قلوريه ففتحها، و لقي الاسطول البيزنطى الذى جاء لنجدتها فهزمه. و غزت سريه من جيشه فى صقلية مدينه قصر يانه فغنمت و عادت دون مقاومه.

و رغم انها لم تستطع الاستيلاء على المدينه الا انها استولت على حصن مهم هو حصن الغيران، و هو أربعون غارا(٢).

توفى أبو عقال فى القيروان فى ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ و هو ابن ثلاث و خمسين سنة(٣). و كانت مده امارته سنتين و تسعه أشهر.

#### ٤- محمد الأول:

#### اشاره

عند تولى الواثق بالله الخلافه كان الوالى على أفريقيه الأمير أبا العباس محمد بن الأغلب الملقب بمحمد الأول، و هو خامس أمرائها. و قد تولى امارتها فى أواخر ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ بعد موت أبيه ابى عقال فى عهد المعتصم بالله. بقيت اماره بنى الأغلب فى عهد محمد الأول مستقلة بشؤونها الداخليه عن حاضره الخلافه التى لم تكن لها أيه سلطه عليها سوى ما تقدمه من المبلغ السنوى المقطوع، و الخطبه فى يوم الجمعه باسم الخليفه.

١- البيان المغرب ١/ ١٠٧، و العيون و الحدائق ٣/ ٣٩٨، و الكامل ٦/ ٤٩٣.

٢- تراجع تفاصيل هذه الحملات فى الكامل ٦/ ٤٩٤.

٣- البيان المغرب ١/ ١٠٧، و المختصر فى اخبار البشر ٢/ ٣٤.

كان الأمير محمد قد قلد أخاه أحمد كثيرا من شؤون الاماره رغم ان احمد كان جاهلا مغرورا يطمع بالاماره دون أخيه. و يروى ابن عذارى خيرا يؤيد جهله و قله علمه و مكابرتة، و ذلك انه كتب مره «لحم ضبى» بالضاد، فقال له كاتبه: أيد الله الأمير، الظبى يكتب بالضاء لا بالضاد. فقال أحمد: قد علمنا فيه اختلافا فابو حنيفه يجعله بالطاء و مالك يجعله بالضاد(١). و قد استطاع أحمد بن الأغلِب أن يغرى بعض الجند و يكسب ولاءهم، فقصد بهم مدينه القصر القديم، و هى مقر الاماره، و قد خلا- بابها من الرجال، فدخلوها و هاجموا دار الوزير ابى عبد الله بن على بن حميد فقبضوا عليه و قتلوه. و نشب القتال بين رجال الأمير محمد و اتباع أخيه أحمد. فقال أصحاب أحمد لرجال الأمير: ما بالكم تقاتلوننا و نحن فى طاعه الأمير؟ انما قمنا على أولاد حميد الذين استولوا على أموال البلاد. فوقف القتال، لأن الأمير محمدا رأى انه بوغت بهجوم أخيه و لم يكن مستعدا له، فمال الى المساله. فعقدت المصالحه بين الأخوين و تحالفا ألا يغدر أحدهما بالآخر. فاستولى أحمد على مرافق الاماره و دواوينها فقبض على من شاء و استصفى أموال من أراد. و جبى الأموال من الناس، و استوزر نصر بن حمزه(٢).

و بذلك بقى الأمير أبو العباس محمد و ليس له من الاماره سوى اسمها حتى نهايه عهد الواصل بالله(٣).

الا ان الأمير محمد تمكن فى سنه ٢٣٣ هـ ان يظفر بأخيه احمد المتغلب على الحكم، اذ ساعده جماعه من بنى عمه و من مواليه فهاجم بهم القيروان ليلا على غفله من أحمد و حرسه و استولى عليها و قبض على أخيه و نفاه الى المشرق، فمات فى العراق، و عند ما دخل أبو

١- البيان المغرب ١/ ١٠٧-١٠٨.

٢- البيان المغرب ١/ ١٠٨.

٣- الكامل ٧/ ٢٥.

العباس محمد القيروان وصل أهلها و اغدق عليهم العطاء حتى استنفذ جميع ما فى خزائنه من الأموال و الملابس(١).

بعد ان استعاد أبو العباس سلطانه على الاماره واجهته ففتتان الأولى فتنه سالم بن غلبون عامله على الزاب. و كان قد عزله فى سنه ٢٣٣، فأعلن التمرد و توجه على رأس جيش يريد القيروان.

فدخل مدينه باجه و احتمى بها ليستعد لحرب ابن الأغب. فوجه اليه الامير أبو العباس جيشا بقيادة خفاجه بن سفيان، فاستطاع ان يلحق الهزيمة بابن غلبون و اتباعه فقتله و حمل رأسه الى ابن الأغب. و كان ازهر بن سالم رهينه عند ابن الأغب فقتله عند ما اعلن أبوه العصيان(٢).

أما الفتنه الثانيه فقد قام بها عمرو بن سليم التجيبى المعروف بالقويح، فى تونس فى سنه ٢٣٤ هـ و دامت أكثر من سنتين، و لم يستطع القائد خفاجه بن سفيان الذى توجه لقتاله، اقتحام المدينه فرجع ادراجه. فسير ابو العباس فى السنه التاليه قائد اخر هو محمد بن موسى المدعو عربان على رأس جيش لمحاربه القويح، الا- ان كثيرا من أفراد جيشه انضموا الى جانب الثوار مما اضعف قوه عربان الذى قتل فى المعركه و هزم ما بقى من أفراد حملته فعادوا الى القيروان مفلولين(٣). فوجه أبو العباس فى سنه ٢٣٦ هـ حملة ثالثه على رأسها قائد جيوشه خفاجه بن سفيان، فهاجمت مدينه تونس و جرى قتال عنيف عند أبوابها. و بعد عده معارك هزم القويح و قتل الكثير من اتباعه، و قد ادركه احد جنود خفاجه فقتله و جاء برأسه اليه، فحملة خفاجه الى الامير أبى العباس، و دخل الجيش الأغلبى مدينه تونس. و قد سر أبو العباس بالقضاء على

١- البيان المغرب ١/ ١٠٩.

٢- نفس المصدر ١/ ١١٠، و الكامل ٧/ ٤٠.

٣- الكامل ٧/ ٤٤، و البيان المغرب ١/ ١١٠ وقيه القويح بدلا من القويح.

فتنه القويح و عوده تونس الى طاعته. فاكرم قائده و وصل قاتل القويح و كساه(١).

و كان البربر في منطقه «لها» بطرابلس تمردوا على عامل المدينه و امتنعوا عن أداء العشور و الصدقات، و حاربوه و اضطروه على ترك المدينه، فالتجأ الى مدينه لبدنه و بعث بطلب النجده من القيروان، فبعث اليه الأمير محمد جيشا بقياده أخيه زياده الله، فهزم البربر و قتل منهم خلقا كثيرا و اسر آخرين فضرب أعناقهم، و احرق ما كان في معسكرهم، ففضى بذلك على تمردهم، فعاد الباقيون الى الطاعه.

لقد اعجب أبو العباس بالفقيه المالكي سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، و اسمه عبد السلام و انما لقب بسحنون باسم طائر حديد الذهن بالمغرب يسمى سحنون، و ذلك لحدده ذهنه و فرط ذكائه(٢). و كان سحنون كبير علماء القيروان في حينه و اليه انتهت الرياسه في العلم في المغرب. و قد صنف «كتاب المدونه» في مذهب الامام مالك بن انس، و صار له من الاصحاب و الطلاب ما لم يحصل لغيره من رجال مالك. و عنه اشتهر المذهب المالكي في المغرب(٣). و كان سحنون الى جانب علمه عادلا نزيها، فولاه أبو العباس القضاء بعد ان أبى و امتنع عليه عاما كاملا- خشيه التدخل في أعماله، حتى حلف له الأمير بالايمان المؤكده ان يطلق يده على أهل بيته و قرابته و حاشيته، و ينفذ عليهم الحق أحبوا أو كرهوا(٤). و بقي سحنون على القضاء الى ان توفي في شهر رجب سنه ٢٤٠ هـ.

١- البيان المغرب ١ / ١١٠، و الكامل ٧ / ٤٤. (٣٩) الكامل ٧ / ٩١.

٢- البيان المغرب ١ / ١٠٩، و وفيات الاعيان ٢ / ٣٥٤.

٣- وفيات الاعيان ٣ / ٣٥٢.

٤- وفيات الاعيان ٣ / ٣٥٢، و البيان المغرب ١ / ١٠٩.

و بنى أبو العباس فى سنة ٢٣٩ هـ مدينه بقرب تاهرت سماها العباسيه، و ظلت قائمه حتى استولى عليها أفلح بن عبد الوهاب الأياضى و احرقها، و كتب الى الاموى فى الاندلس يعلمه بذلك تقربا اليه، فبعث اليه بمائه ألف درهم جزاء على ما قام به (١).

### الفتوحات فى صقلية:

استمرت سياسه بنى الأغلِب فى عهد الأمير محمد الاول فى محاربه الروم و طردهم من صقلية. و كان الروم قد استرجعوا مسينا التى فتحها العرب قبل عده سنوات، فاعز الأمير محمد الى الفضل بن جعفر باستردادها. فهاجمها الفضل و حاصرها برا و بحرا حتى اضطر أهلها فى سنة ٢٢٨ هـ ان يطلبوا الأمان لقاء تسليم المدينه. فأمنهم الفضل، و دخلها بجيشه (٢). ثم سار الفضل بن جعفر الى حصار مدينه لينتيني فى سنة ٢٣٢ هـ، و هى تقع جنوبى شرقى بثيره، و هى قلعه حصينه على بعد سته أميال من البحر، تقع على النهر المسمى باسمها، و كانت تصلها المراكب القادمه فى البحر (٣). فسارع أهلها الى الاستنجاد بقائد الروم فى مدينه قصرينان لينصرهم فى صد الحمله العربيه، فأجابهم الى طلبهم، و جعلوا بينهم علامه لوصول النجده للانضمام الى حاميه المدينه.

و يظهر ان علامه التى اتفقوا عليها، و هى ايقاد النيران على جبل معين فى ليله معينه، قد تسربت الى القائد العربى فاشعل النيران فى الوقت المعين و فى المكان المحدد. فظننها أهل لينتيني انها نيران النجده التى جاءت لمساعدتهم، ففتحوا باب الحصن لاستقبالهم. ففاجأهم الجيش العربى الذى اقتحم الحصن قبل ان تصل النجده الموعوده،

١- فتوح البلدان / ٢٣٦، و الكامل / ٥١٩ / ٦.

٢- المسلمون فى جزيره صقلية / ٧٧.

٣- نفس المصدر / ٢١٥.

و استطاع الاستيلاء على المدينة التي اضطر أهلها على تسليمها بعد أن أمنهم الفضل على أنفسهم و أموالهم(١).

و لما مات عامل صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب فى سنة ٢٣٦ هـ اجتمعت كلمه العرب فيها على توليه العباس بن الفضل، و كتبوا بذلك الى الأمير محمد فأقر العباس عاملا على الجزيرة و بعث اليه بعهدة(٢). و كان العباس قبل أن يصله العهد بتعيينه يغير و يرسل السرايا لمهاجمه الحصون و القلاع التى لا تزال بيد الروم.

فلما تم تعيينه جاهد كثيرا و غزا طويلا، و كانت له مع الروم مواقف هزمهم فيها و اذلهم(٣). فقد خرج فى العام التالى لتعيينه على رأس حملة فبلغ مدينة بثيره و هى من مدن الجزيرة المهمه تقع الى الشرق من قصر يان، و حاصرها خمسة أشهر، فصالحه أهلها على خمسة آلاف رأس، و كان فى حملته هذه قد خرب عددا من الحصون و غنم كثيرا من الاموال(٤).

توفى الأمير أبو العباس الأغلبى فى أوائل المحرم سنة ٢٤٢ هـ و له من العمر ست و ثلاثون سنة(٥). و كانت مدته ولايته خمس عشره سنة و ثمانية أشهر و عده أيام.

#### ٥- أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب:

ولى الاماره بعد أبيه و هو ابن عشرين سنة و كان حسن السيره، كريم الأخلاق و الأفعال، و من أجود الناس و أسمحهم، و أرفقهم بالرعيه مع تدين و اجتناب للظلم. و قد أحسن السيره مع الرعيه

١- الكامل ٦ / ٧.

٢- نفس المصدر ٦ / ٧٠.

٣- البيان المغرب ١ / ١١١.

٤- الكامل ٦ / ٦٠ - ٦١.

٥- البيان المغرب ١ / ١١٢.



و أكثر العطاء للجند و منع الظلم عن الناس(١). فكان عهده هادئا فلم تقم أية ثورة أو خلاف ضده. فصرف جهده الى بناء الحصون و تقوية القائم منها، و يقول ابن الأثير انه بنى بارض أفريقيه عشره آلاف حصن بالحجاره و الكلس و أبواب الحديد(٢). و يظهر ان اهتمامه بتقوية الحصون جاء نتيجة استرداد الروم عددا من الحصون التي كان العرب استولوا عليها في صقلية بسبب ضعف تحصينها. اذ لا يخفى ان مناعه أسوار الحصون و متانه أبوابها و ضخامتها كانت من أهم وسائل الدفاع عنها حينذاك.

كما اهتم الأمير أبو ابراهيم بالنواحي العمرانيه فانفق كثيرا من الأموال لحفر مواجل الماء و بناء المساجد و تشييد القناطر.

و اهتم بصوره خاصه بجامع القيروان فزاد في بنائه. و قد أشرنا في فصل سابق الى انه جلب من سامرا تربيعات من الغضار المذهب و زين بها محراب الجامع المذكور، كما انه جلب له منبرا خشبيا من بغداد و قد زين بزخارف سامرا، و هو يتكون من صفوف من الحشوات المقسمه الى مناطق مستطيله تزينها الزخارف الهندسيه المتشابهه و النباتات المجرده و تفريعات من ورق العنب(٣). و هو لا يزال قائما شاهدا على ما بلغته الزخرفه العربيه من أرقى درجات الروعه في عهد سامرا. و عند ما حدث سيل عظيم في مدينه القيروان في سنه ٢٤٧ هـ و كسر قنطره باب الربيع أمر أبو ابراهيم باصلاحها، و اكمل كذلك مآجل باب تونس الكبير(٤).

و يروى عن احسانه الى الفقراء انه كان يركب في ليالى شعبان و رمضان من القصر القديم حتى ينتهى الى جامع القيروان و بين يديه الشموع، و معه دواب محمله بالدرهم يتصدق بها على الضعفاء

١- البيان المغرب ١/ ١١٢، و الكامل ٦/ ٥٢٠.

٢- الكامل ٦/ ٥٢٠.

٣- الفنون الاسلاميه / ١١٦.

٤- البيان المغرب ١/ ١١٣.

و المساكين(١). و قد ولى القضاء بافريقيه أبا الربيع سليمان بن عمران بن أبي هاشم الملقب بخروفيه.

أما فيما يتعلق بصقليه فقد استمر الامير أحمد فى سياسه اسلافه فى فتح مدنهما و حصونها. فقد أرسل العباس بن الفضل عامله عليها عدده حملات للاستيلاء على مدينه قصر يانه، كانت آخرها حملته عليها فى سنه ٢٤٢ هـ حيث استطاع فتحها بعد أن قضى على الجيش الرومى المدافع عنها. و قد ساعد على فتحها أحد أسرى الروم الذى نصح القائد العربى بمهاجمه المدينه فى مده اشتداد البرد و تراكم الثلوج و انجاس الناس فى بيوتهم، فتمكنت ثله من الجند من الوصول الى سور المدينه فدلهم الأسير على فتحه صغيره فيه يدخل منها الماء الى المدينه، فدخلوا منها و فتحوا الابواب. فدخلها العباس صبيحه يوم الخميس منتصف شهر شوال بجيشه. و بعد قتال عنيف تغلبوا على من كان فيها من جيش الروم، و أصابوا من الغنائم ما يعجز الوصف عنه(٢). و بنى العباس فى المدينه مسجدا فى يومه و نصب فيه منبرا خطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة(٣).

و فى سنه ٢٤٦ هـ نكثت بعض القلاع التى سبق ان هادنت العرب مثل قلعه البلوط و قلعه ابلطنوا و قلعه أبى ثور، فبعث العباس بعض السرايا لتأديبها. ثم انصرف الى تعمير مدينه قصر يانه و تحصينها و شحنها بالعساكر(٤). و سار العباس فى السنه التاليه الى سر قوسه الا انه اعتل فى الطريق و وافته المنيه فى أوائل رجب، و قد دامت ولايته على جزيره صقليه احدى عشره سنه قضاها فى

١- نفس المصدر ١ / ١١٢.

٢- الكامل ٧ / ٦٢ - ٦٣.

٣- نفس المصدر ٧ / ٦٣.

٤- نفس المصدر ٧ / ٦٤.

مطارده الروم و اجلائهم عنها. و كان فى بعض حملاته قد غزا أرض قلوريه و انكبرده و اسكنها المسلمين(١).

و عند توفى العباس بن الفضل اجتمع اهل صقلية على توليه ابنه عبد الله مكانه، و عرضوا الامر على الأمير أحمد فى القيروان.

فاستمر عبد الله بارسال السرايا و استولى على عدة حصون. الا ان الامير أحمد بعث خفاجه بن سفيان عاملا على الجزيره. و أول عمل قام به خفاجه انه سير حمله يقودها ابنه محمود لمهاجمه سرقوسه، فتغلب على بعض حصونها و غنم ما فيها. كما تمكنت احدى السرايا التى بعث بها خفاجه من الاستيلاء على مدينه توطس بعد حصارها مده قصيره(٢).

توفى الامير أبو ابراهيم يوم الثلاثاء لثلاث عشره خلت من ذى القعدة سنه ٢٤٩(٣). و كانت مده امارته سبع سنوات و عشر اشهر و نصف الشهر.

## ٦- زياده الله الثانى:

ولى الاماره بعد وفاه الأمير أحمد أخوه أبو محمد زياده الله بن محمد بن الأغلب و كان يعاصر الخليفه المستعين بالله. و أول عمل قام به انه أقر خفاجه بن سفيان على ولايته على صقلية و خلع عليه لما لمسه من تفانيه فى الجهاد، و انشغاله المستمر فى حرب الروم و اجلائهم عن أراضي الجزيره. و قد واصل خفاجه فى عهد زياده الله الثانى هجماته على القلاع و المدن التى ما زالت فى حوزة الروم

---

١- نفس المصدر، و ارض قلوريه هى القسم الغربى من جنوبى شبه جزيره ايطاليا و تدعى اليوم (كلابريا) أما انكبرده فهى ما يدعى اليوم بالجبل الاسود و تقع على الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك.

٢- الكامل ٧ / ١٠٦.

٣- الكامل ٧ / ١٢٥.

و بخاصه سرقوسه. و كانت حملاته غزوات تكسب الغنائم و تعود دون ان تستولى على ما تهاجمه من القلاع و المدن. الا انه تمكن فى احدى حملاته ان يستولى على مدينه نوطس و هى من المدن الكبيره فى الجزيره، و تقع فى أقصى الجنوب الشرقى منها على مقربه من الساحل. و كان بعض أهلها اخبر العرب بموضع دخلو منه الى المدينه، فغنموا منها أموالا جليله (١).

كان الأمير زياده الله الثانى حليما جوادا، حسن السيره، ذا رأى و شجاعه، الا ان أيامه لم تطل. فقد توفى فى ليله السبت لعشر بقين من ذى القعدة سنه ٢٥٠هـ (٢)، و كانت ولايته سنه واحده و بضعه أيام.

#### ٧- محمد الثانى:

تولى أبو عبد الله محمد الثانى بن احمد الأول الاماره بعد وفاه عمه زياده الله الثانى، و لقب بابى الغرائق لولعه بصيدها، حتى انه بنى قصرا يخرج اليه لصيدها، انفق عليه ثلاثين ألف مثقال من الذهب (٣). و كان كريما الى حد الاسراف و لم تكن له هممه فى جمع المال، و لما مات لم يترك خلفه فى بيت المال شيئا (٤). كما كان حسن السيره، عادلا فى الرعيه. و فى عهد بنى جامع المعافرى بالتيروان.

و قد شيده محمد بن حمدون الاندلسى المعافرى فى سنه ٢٥٢ هـ فنسب اليه. و بناه بالآجر و الجص و الرخام و بنى فيه جبايا للماء (٥).

١- الكامل ١٠٦ / ٧.

٢- البيان المغرب ١ / ١١٤، و الكامل ٧ / ١٣٥.

٣- البيان المغرب ١ / ١١٤.

٤- البيان المغرب ١ / ١١٤.

٥- نفس المصدر.

و غضب الأمير محمد الثانى على قاضى القيروان سليمان بن عمران فصرفه و عين عبد الله بن احمد بن طالب أحد كبار فقهاء المالكيه، الا انه ما لبث بعد مده ان عزله و اعاد القاضى السابق الى منصبه. و حلت فى أيامه فى سنه ٢٦٠ مجاعه عامه بالمشرق و المغرب مع و باء الطاعون(١). و ممن توفى بالوباء المذكور عالم افريقيه و فقيها محمد بن ابراهيم بن عبدوس الذى دون المجموعه فى الفقه المالكي(٢).

أما فى صقلية فقد تميز عهد الامير محمد الثانى باشتداد الحرب و تواصلها، و انها كانت سجالا بين العرب و الروم. اذ كان الروم قد استردوا بعض المدن و الحصون التى كان العرب قد استولوا عليها. مما دفع الجيش العربى هناك الى محاوله استعادتها. فقد غزا خفاجه بن سفيان فى سنه ٢٥١ هـ مدينه قصريناه، ثم قصد سرقوسه و قاتل حاميتها و رجع عنها. ثم بعث ابنه محمدا فى حملته استطاعت ان تقتل ألف فارس من الروم، و عرفت حملته هذه بسريه الألف فارس.

و تكررت حملات خفاجه فى السنوات التاليه على المدن الرئيسه التى بيد الروم مثل سرقوسه و قصريناه و طرمين. و لعل أهمها حربته مع القائد الذى ارسلته القسطنطينيه على رأس جيش للدفاع عن سرقوسه، فانهمز القائد الرومى بعد قتال شديد، و قتل الاف من أصحابه. و قد اصاب الجيش العربى منهم سلاحا و خيلا و مغانم أخرى كثيره(٣).

١- البيان المغرب ١ / ١١٦.

٢- نفس المصدر، و الكامل ٧ / ٢٧٣. ( ٦٩ ) البيان المغرب ١ / ١١٤.

٣- الكامل ٧ / ١٠٧.

و خرج خفاجه فى سنه ٢٥٥ هـ فهاجم سرقوسه و حاصرها و ضيق عليها، ثم ما لبث ان عاد منها الى بلرم. و فى طريقه اغتاله أحد جنوده فطعنه طعنه قاتله، و ذلك فى مستهل رجب من السنه المذكوره، فحمل جثمانه الى بلرم فدفن فيها(١). فولى أهل صقلية ولده محمدا و كتبوا بذلك الى أمير بنى الأغلِب محمد الثانى فأقره على ولايته، و سير له العهد بالولاية و الخلع. و يظهر انه أصبح لأهل صقلية الحق فى اختيار الوالى على الجزيره بحيث يضعون أمير أفريقيه أمام الأمر الواقع فيقر اختيارهم الا فيما ندر من الحالات.

استمر محمد بن خفاجه على نهج أبيه فى مهاجمه مدن جزيره صقلية التى ما زالت بيد الروم، و محاوله انتزاعها منهم. و لعل أهم ما انجزه خلال مدته ولايته القصيره انه ارسل حملته فى سنه ٢٥٦ هـ الى جزيره مالطه و كان الروم يدافعون عنها، فاستطاع قائد الحمله أحمد بن عبيد الله بن الأغلِب ان يهزم الروم و يطردهم منها و يستولى عليها(٢).

الا ان محمدا ما لبث ان قتل فى السنه التاليه، اذ تواطأ عدد من خدمه الخصيان فقتلوه لثلاث خلون من رجب و كتموا أمره و لم يعرف أمر قتله الا بعد يوم من هروب الخدم، فادركهم حرسه و قتلوا بعضهم(٣). فعهد الامير محمد الثانى بولايه صقلية الى أحد قواده أحمد بن يعقوب بن المضاء بن سلمه الذى ما لبث ان مات فى السنه التاليه(٤). فولى أهل صقلية ابنه الحسين مكانه، و أقره أمير بنى الأغلِب عليها(٥).

١- البيان المغرب ١/ ١١٥، و الكامل ٧/ ١٠٨.

٢- الكامل ٧/ ١٠٩.

٣- البيان المغرب ١/ ١١٥، و الكامل ٧/ ١٠٩ و ٢٤٩.

٤- نفس المصدرين السابقين.

٥- البيان المغرب ١/ ١١٥.

هاجم الحسين بن أحمد فى السنه التاليه سرقوسه فصالحه أهلها على أن يخرجوا اليه من أسرى العرب الذين كانوا لديهم ٣٦٠ أسيرا(١).

و بعد ان حكم الامير أبو الغرائيق اماره بنى الأغلب مده عشر سنوات و نصف السنه توفى فى ليله الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى سنه ٢٦١ هـ. و كان قد عاصر من خلفاء سامرا كلا من المستعين بالله و المعتز بالله و المهتدى بالله و المعتمد على الله. و لما حضرته الوفاه عهد بالاماره لابنه ابى عقال و أوصى بأن يتولى أخوه ابراهيم حتى يكبر ولده، و استحلف أخاه الا ينازع ابنه و أشهد عليه آل الأغلب و مشايخ القيروان(٢).

## ٨- ابراهيم الثانى:

### اشاره

كان الأمير محمد الثانى قد عهد بالاماره لابنه أبى عقال و نظرا لصغر سنه فقد أوصى بأن يتولى الأمره أخوه ابراهيم بن أحمد حتى يكبر ولده. الا- ان أهل القيروان سألوا ابراهيم الذى كان واليا عليها آنذاك ان يتولى الاماره دون ابن أخيه، لما عرفوه عنه من العداله و الحزم و حسن السيره. فاجاب بعد تردد و امتناع، فبايعه مشايخ أفريقيه و وجوهها و جماعه من بنى الأغلب. و لعل من الطريف ان نشير الى انه اعتذر عن قبول تولى الاماره بانه حلف لأخيه بأن لا ينازع ولده و لا يدخل قصره. فكانت الفتوى للخروج من يمينه ان يتولى الاماره فى داره و ليس فى قصر الاماره، فدخل داره و بايعوه(٣). فكان خلال السنوات السبع الاولى من امارته

١- البيان المغرب ١/ ١١٦، و الكامل ٧/ ٢٦٦.

٢- البيان المغرب ١/ ١١٦، و الكامل ٧/ ٢٨٤.

٣- البيان المغرب ١/ ١١٦.

حسن السيره حميد الافعال. و قد اهتم ببناء الحصون و تقويه الجيش، و اشاعه العدل بين الناس. و كان يجلس بجامع القيروان لىسمع شكوى الخصوم و يفصل بينهم(١). و يظهر انه فعل ذلك مقتديا بمن جلس من الخلفاء لرد المظالم.

### بناء مدينة رقاده:

عنى الامير ابراهيم الثانى بالنواحى العمرانيه عنايه خاصه، و كان من أول أعماله انه بنى مدينة جديده اتخذها عاصمه له هى مدينة رقاده. و تقع على أربعه أميال من القيروان، و أكثرها بساتين و ليس بأفريقيه أعدل هواء و لا ارق نسيمًا و لا أطيّب ترابه منها(٢).

و هناك روايتان عن سبب تسميتها بهذا الاسم، أولاهما ان أحد أمراء بنى الأغلب أرق وفاقه النوم فعولج بالمشى. فلما وصل الى موضع رقاده تعب فغلب عليه النوم، فسمى من يومئذ رقاده. و تقول الروايه الاخرى ان ابا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى القائم بالدعوه الاباضيه باطرابلس، لما نهّد الى القيروان لقتال قبائل رفجومه و كانوا قد تغلبوا عليها، التقى بهم بهذا الموضع فقتلهم فيه قتلا ذريعا، فسمى رقاده لرقاد جث القتلى فيه بعضها فوق بعض(٣).

لقد انشأ الأمير ابراهيم فى هذا الموضع مدينة بنى بها قصورا عجيبه و جامعا. فعمرت بالاسواق و الفنادق و الحمامات. و لما تم بناء القصر المسمى بقصر الفتح انتقل ابراهيم اليه من القصر القديم. و قد استغرق بناء المدينة زهاء السنتين (٢٦٣-٢٦٤ هـ).

١- الكامل ٧ / ٢٨٣.

٢- معجم البلدان ٣ / ٥٥، و المغرب للبكرى / ٢٧.

٣- معجم البلدان ٣ / ٥٥، و المغرب للبكرى / ٢٨.



و بقيت رقاده عاصمه لامراء بنى الأغلّب الى ان هرب منها آخر أمرائهم زياده الله الثالث.

و لما منع الامير ابراهيم بيع النبيذ و شربه بمدينه القيروان و أباحه بمدينه رقاده، قال بعض الظرفاء من أهل القيروان(١):

يا سيد الناس و ابن سيدهم و من اليه الرقاب منقاده

ما حرم الشرب فى مدينتناو هو حلال بأرض رقاده؟

و من اعمال ابراهيم العمرانيه الاخرى توسيعه جامع القيروان.

فقد زاد فى عدد بلاطاته، و بنى فوقه قبه شاهقه تقوم على اثنتين و ثلاثين ساريه من بديع الرخام، و زينت جدرانها و سقوفها بالزخارف و النقوش العربيه الجميله. و كانت محكمه البناء عجيبه المنظر يشهد كل من رآها انه لم يرا حسن منها بناء. و بنى فى الجامع مقصوره للنساء يؤدين فيها الصلاه و جعلها محجوزه عن الجامع بحائط مخرم بالزخارف محكم العمل(٢).

### الحرب مع ابن طولون:

لعل أهم الاحداث التى واجهت الأمير ابراهيم الثانى و هددت امارته هو هجوم العباس بن احمد بن طولون على افريقيه فى سنه ٢٦٥ هـ يريد انتزاعها من بنى الاغلب. و كان العباس قد خرج على أبيه أحمد بن طولون فإشار عليه بعض اصحابه ان يتجه الى افريقيه. فكاتب عددا من زعماء القبائل فيها فاجابه قسم منهم.

و كتب الى الامير ابراهيم يقول ان امير المؤمنين الخليفه قد قلده

١- المغرب للبكرى / ٢٧- ٢٨.

٢- المغرب للبكرى / ٢٤.

أفريقيه و أعمالها و انه متوجه اليها. ثم سار الى برقه من ثمانمائه فارس و عشره الاف راجل من سودان أبيه حملهم على خمسه آلاف جمل. و قيل انه حمل من بيت مال مصر ثمانمائه حمل دنانير ذهباً، قيل ان مبلغها ألف ألف دينار و مائتا ألف دينار. فلما وصل الى مدينه لبدته بعث اليه الأمير ابراهيم القائد احمد بن قرهب على رأس جيش من الفرسان، فالتقى بجيش العباس و انهزم أمامه، و التجأ الى اطرابلس، فاستنجد أهلها بأبي منصور الاباضى صاحب مدينه نفوسه، فزحف هذا فى اثنى عشر ألف من رجاله لنجدتهم.

و كان الأمير ابراهيم قد ضرب حلى نسائه دنانير و دراهم لأن سلفه لم يبق فى بيت المال شيئاً يذكر.

و جهز جيشاً أرسله الى عامل اطرابلس و أمره بمقاتله ابن طولون. فاجتمع رئيس الاباضيه و عامل اطرابلس على قتال ابن طولون. فقتل من جيش ابن طولون عدد كبير، و نهبت أمواله، و هزم أقبح هزيمه، و كاد ان يقع فى الاسر، فعاد ادراجه بأسوأ حال. و لشده اهتمام الامير ابراهيم بالأمر خرج بنفسه يريده اطرابلس، فجاءه خبر هزيمه العباس. فبحث عن الاموال التى نهبها جيشه و اخذها ممن وجد معه منها، و كان الرجل من العسكر يبيع مثاقيل ابن طولون سرا خوفاً من أن تؤخذ منه (١).

### الفتوحات فى صقلية:

فتحت فى عهد ابراهيم الثانى مدينه سرقوسه، و كان فتحها هذه المره نهائياً اذ احتفظ بها العرب و لم يستطع الروم الاستيلاء عليها مره أخرى. فقد توجه اليها فى رمضان سنه ٢٦٤ هـ جعفر بن

١- البيان المغرب ١/ ١١٨-١١٩، و الكامل ٧/ ٣٢٤-٣٢٥، و الخطط المقريزيه ١/ ٣٢٠.

محمد و حاصرهما برا و بحرا. و لما سير الروم اسطولا لنجدتها هزمه العرب. و دام حصار المدينة تسعه أشهر، اضطر أهلها بعدها على الاستسلام. فقتل ألوف من جنودها، و أصاب العرب من الغنائم ما لم يصيبوا مثله من مدينة أخرى(١).

و لما توفي عامل صقلية الحسين بن أحمد فى سنة ٢٧١ هـ تولى بعده سواده بن محمد بن خفاجه التميمى(٢). و كان أول عمل قام به انه قاد حملته الى مدينة قطانيه فاهلك ما فيها. ثم سار الى طرمين و قاتل أهلها، حتى طلب اليه الروم المهادنه و المفاداه فوافق على ذلك، فانقذ ٣٠٠ أسير من العرب كانوا فيها، و عاد الى بلرم(٣).

الا ان اهل صقلية لم ترضهم سياسه العامل الجديد سواده التميمى فوثبوا به فى سنة ٢٧٣ هـ و تمكنوا منه، فبعثوه مقيدا مع أخ له الى أفريقيا، و اجتمعوا على توليه العباس بن على و لايه الجزيره(٤).

و عند ما تنسك الامير ابراهيم الثانى فى أواخر أيامه و عزم على الحج الى بيت الله الحرام، جعل طريقه على جزيره صقلية ليتلافى الاحتكاك بابن طولون بمصر، و ليجمع الحج و الجهاد بفتح ما بقى من حصون الجزيره. و اخرج جميع ما عنده من المال و السلاح و سار فى اسطول كبير. و لما وصل الى صقلية فى سنه ٢٨٩ هـ غزا بعض المدن و الحصون التى بيد الروم، و استولى على مدينة برطينو.

ثم هاجم مدينة طيرمين و كان أهلها قد استعدوا لقتاله الا انه هزمهم و دخل المدينة. و يقال ان ملك الروم لما سمع هزيمة جيشه فى طيرمين و استيلاء العرب عليها حزن و بقى سبعة ايام لا يضع التاج على رأسه. و بعد ان تم فتح طيرمين ارسل الامير ابراهيم

١- البيان المغرب ١/ ١١٨-١١٩، و الكامل ٧/ ٣٢٠.

٢- البيان المغرب ١/ ١١٩، و الكامل ٧/ ٤١٧.

٣- الكامل ٧/ ٤١٧.

٤- البيان المغرب ١/ ١٢٠.

سراياه الى حصون اخرى، فاستولت على بعضها و خربت البعض الآخر(١).

### سوء سيره ابراهيم:

سار الامير ابراهيم الثانى فى خلال السنوات السبع الاولى من حكمه سيره حسنه. و قد ذكرنا ما قام به من أعمال خلالها اكسبته رضاء الناس. الا- انه بعد ذلك غلبت عليه السوداء فتغيرت أحواله و ساء ظنه بالآخرين، فالتجأ الى القتل للتخلص ممن يسيء الظن بهم. و يقول ابن عذارى المراكشى انه قتل أخوته الثمانية و اعدادا كبيره من أقربائه و أصحابه و حجابيه و خدمه و جنده، و قتل ابنه و بناته(٢). و لما عزل أحمد بن طالب بن سفيان التميمى عن قضاء أفريقيه فى سنه ٢٧٥ هـ حبسه ثم قتله بالسم(٣). و كان قد حبس كاتبه محمد بن حيون المعروف بابن البريدى فى سنه ٢٧٦ هـ فكتب اليه هذا من السجن يستعطفه:

هبنى اسأت فاين العفو و الكرم اذ قادننى نحوك الاذعان و الندم

يا خير من مدت الايدى اليه اما ترثى لصب نهاه عندك القلم

بالغت فى السخط فاصفح صفح مقتدران الملوك اذا ما استرحموا رحموا

١- الكامل ٧ / ٢٨٥-٢٨٦.

٢- البيان المغرب ١ / ١٣٢.

٣- البيان المغرب ١ / ١٢١-١٢٣، و المسلمون فى جزيره صقلية / ١٠٣-١٠٥ و جاء فيه ان ما نسب اليه من هذه الاعمال الفظيحه قد تكون الدعايه القاطميه قد بالغت فى ذلك لتسىء الى سمعته.

فلما قرأ ابراهيم الأبيات، قال: يكتب لى هبنى أسأت و هو قد اساء، أما انه لو قال:

و نحن الكاتبون و قد أسأنا فهبنا للكرام الكاتيينا

لعفوت عنه. ثم امر به فجعل فى تابوت حتى مات.

و قتل فى سنه ٢٧٧ هـ حاجبه نصر بن الصمصامه بضربه خمسمائه سوط، فلم ينطق بكلمه و لا تحرك من موضعه، فأمر بضرب عنقه. و عرض فى سنه ٢٧٨ هـ ديوان الخراج على سواده النصرانى على ان يسلم، فقال سواده: ما كنت لأدع دينى على رياسه أنالها. فأمر به فقطع نصفين و صلب. و استشرى فى سنه ٢٧٩ هـ بالقتل بحيث صار يقتل بطرا و شهوه. فقد قتل فى هذه السنه اسحاق بن عمران المستطيب المعروف بسم ساعه. و قتل جميع فتيانه، لأن المنجمين قالوا له انه يقتله رجل ناقص العقل و انه قد يكون احد الفتيان. فقتل كل من رآه منهم يتقلد سيفا و فيه حركه و نشاط. و لما اوغل فى قتلهم خاف ان تفسد قلوب البقيه عليه فقتلهم جميعا. و استخدم عوضا عنهم السودان، ثم عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصقالبه فقتلهم كذلك جميعا(١).

و وثب اهل الزاب بعامله فى سنه ٢٦٨ هـ و كان وجوههم قد قدموا اليه فاحسن اليهم و اكرمهم، الا انه ما لبث ان فتك بهم، و امعن فى قتل أهل البلد حتى الاطفال منهم. و لكثره من قتل منهم أمر بأن تحمل جثثهم على العجلات الى حفره ليدفنوا فيها(٢).

١- البيان المغرب ١/ ١٢١-١٢٣، و المسلمون فى جزيره صقلية/ ١٠٣-١٠٥ و جاء فيه ان ما نسب اليه من هذه الاعمال الفظيحه قد تكون الدعايه القاطميه قد بالغت فى ذلك لتسىء الى سمعته.

٢- الكامل ٧/ ٣٧٠، و البيان المغرب ١/ ١١٩. و الزاب كوره عظيمه بأرض المغرب تمتد بين تلمسان و سجلماسه، و تكتنفها القرى العديده. و قيل ان زرعها يحصد فى السنه مرتين - معجم البلدان ٣/ ١٢٤.

الـ انه أظهر التوبه فى أواخر أيامه، لما استقام أمر ابى عبد الله الشيعى، فأراد أن يرضى العامه و يستميل قلوب الخاصه. فرد المظالم، و اعتق مماليكه، و اعطى فقهاء القيروان و وجوها أموالا كثيره ليفرقوها فى الضعفاء و المساكين(١).

و عند ما ذهب الى صقلية فى طريقه الى الحج أصيب بالذرب، و اشتد عليه المرض حتى توفى فى آخر ذى القعدة سنه ٢٨٩ هـ، فجعل جثمانه فى تابوت و حمل الى القيروان و دفن فيها(٢). و كان عمره اثنتين و خمسين سنه، و طالت ولايته ثمانيا و عشرين سنه و سته أشهر، فكان أطول أمراء بنى الأغلب عهدا فى الحكم. و قد عاصر طيله حكمه الخليفه المعتمد على الله.

١- البيان المغرب ١ / ١٣٢.

٢- الكامل ٧ / ٢٨٦، و البيان المغرب ١ / ١٣٢ و فيه انه توفى بارض الروم و نقل جثمانه الى جزيره صقلية و دفن فيها. و جاء مثل هذا فى كتاب (المسلمون فى جزيره صقلية) انه مات و هو يحارب فى قلوريه، و نقل جثمانه الى بلرم فدفن هناك، و بنى على قبره قصر- ص: ١٠٢.



## الفصل الثاني اماره الطاهريين

## ١- تأسيسها:

استطاع طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون أن يؤسس اماره مستقله شملت عددا من ولايات القسم الشرقى من الدوله العربيه فى عهد العباسيين. و ذلك عند ما عينه المأمون فى سنه ٢٠٥ هـ واليا على خراسان من مدينه السلام الى أقصى أعمال المشرق (١). بعد أن حقق له النصر على أخيه محمد الأمين. فاخذ طاهر يعمل على الانفصال عن الدوله بعد أن بلغه سوء رأى المأمون فيه (٢). و كان طاهر قد قتل الخليفه محمدا الأمين عند ما وجهه المأمون لمحاربتة. فاشتد ذلك على المأمون، و كان كلما تذكر مقتل أخيه ازداد حنقا على طاهر، و قد قال مره: لن يفوت طاهرا منى ما يكره (٣). و لذلك احتال

١- الطبرى ٨ / ٥٧٧، و تجارب الامم ٦ / ٤٤٨، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٥٦ و فيه انه ولاه فى سنه ٢٠٦.

٢- كتاب البلدان / ٣٠٧.

٣- الطبرى ٨ / ٥٧٩.



طاهر لتعيينه على ولايه خراسان(١). لكي يبتعد عن انظار المأمون من جهه، و لكي يكون بين بنى قومه و انصاره فإمن الايقاع به من جهه أخرى. و يظهر ان المأمون لم يكن مطمئنا الى ولائه لانه لم يوافق على تعيينه الا- بعد أن خمنه وزيره أحمد بن أبي خالد(٢).

و كان طاهر فى أواخر أيامه يحكم خراسان و الولايات الشرقيه التى ضمت اليه كأمرير مستقل لا يخضع للخليفه الا بالاسم. و قد تحقق ما توقعه المأمون عن محاوله طاهر الاستقلال عن الخليفه، اذ انه اسقط فى سنه ٢٠٧ هـ اسم الخليفه من خطبه الجمعة، دليلا على استقلاله. فقد صعد المنبر و خطب الناس، فلما بلغ الى ذكر الخليفه أمسك عن الدعاء له(٣). و يقول الذهبى انه دعوه الامام المأمون و عزم على الخروج عليه(٤). و كان ذلك قبيل وفاته بأيام، اذ باغته الأجل فمات فى جمادى الأولى من تلك السنه من حمى اصابته فوجد ميتا فى فراشه(٥). و يقال انه احتيل له بشره(٦).

و قد تتابع على حكم الاماره أولاد طاهر و احفاده. و رغم علاقتهم الوديه بالخلافه و انهم لم يتأخروا عن نصرتها اذا ما طلب اليهم ذلك، فقد حافظوا على استقلالهم الداخلى، و استمر خضوعهم للدوله العربيه شكليا. و استطاعوا أن يوسعوا نطاق امارتهم برضاء الخليفه حتى حدود الهند. و دامت امارتهم خمسا و خمسين سنه تولاهها خمسه أمراء منهم.

١- تفصيلات ذلك فى الطبرى ٨ / ٥٧٧ - ٥٧٩.

٢- الطبرى ٨ / ٥٧٩، و تجارب الامم ٦ / ٤٥٠.

٣- الطبرى ٨ / ٥٩٤، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٥٧، و تجارب الامم ٦ / ٤٥٣.

٤- العبر ١ / ٣٥١.

٥- الطبرى ٨ / ٥٩٣، و تجارب الامم ٦ / ٤٥٢.

٦- كتاب البلدان / ٣٠٧.

خلف طلحه أباه طاهرا فى اماره خراسان. و يظهر ان المأمون اضطر على توليته لعهده أسباب، منها رغبته فى ازاله الشك فى أن له يدا فى موت طاهر، ثم عظم نفوذ اسره بنى طاهر فى خراسان.

و عند ما توفى طلحه عين المأمون أخاه عبد الله بن طاهر مكانه لأنه كان شديد الثقه به و الاعتماد عليه. و كانت هذه التعيينات التى تمت فى عهد المأمون لطاهر و ولديه من بعده قد اكسبت بنى طاهر حقا وراثيا فى امارتهم.

## ٢- اماره الطاهريين و خلفاء سامرا:

عند ما استخلف المعتصم بالله كان الوالى على خراسان و ما يتبعها من الولايات الشرقيه عبد الله بن طاهر، و قد تولاه منذ سنه ٢١٤ هـ عند ما توفى أخوه طلحه. و قد اختلفت الروايات فى كيفيه توليه، فان يعقوبى يقول ان المأمون كان قد ولى عبد الله فى سنه ٢١٤ هـ أقاليم الجبال و أرمينية و اذربيجان، فاتخذ عبد الله مدينه الدينور مقرا له، و لما مات طلحه بن طاهر ولى المأمون عبد الله مكانه و وجه اليه بعهد و عقده مع اسحاق بن ابراهيم و قاضى القضاة يحيى بن أكثم، فنفذ عبد الله الى خراسان(١). الا ان الطبرى يقول قد وردت وفاه طلحه على المأمون فبعث الى عبد الله يحيى بن أكثم يعزیه عن أخيه و يهنئه بولايه خراسان(٢). و هناك روايه تقول ان المأمون خير عبد الله بين ولايه خراسان و ما اليها، أو ان يبقى على ولايته على الجبل و ارمينية و اذربيجان و حرب بابك، فاختر خراسان و شخص اليها(٣). أما ابن الاثير فيقول لما مات

١- تاريخ يعقوبى ٢ / ٣٦٣، و كتاب البلدان / ٣٠٧.

٢- الطبرى ٨ / ٥٩٥.

٣- الطبرى ٨ / ٦٢٢، و تجارب الامم ٦ / ٤٦٣-٤٦٤، و العيون و الحقائق ٣ / ٣٧٤.

طلحه ولى خراسان على بن طاهر خليفه لأخيه عبد الله الذى كان بالدينور، فثار الخوارج بخراسان فسار اليها عبد الله بأمر من المأمون، و اتخذ مدينه نيسابور مقرا له(١). و لم يكن قد نزلها و ال من و لاه خراسان قبله(٢).

و كيفما كان الأمر فان عبد الله بن طاهر قد ولى خراسان بعد وفاه اخيه طلحه و بقى على ولايتها الى أن توفى سنه ٢٣٠ هـ. و كان عبد الله نشأ فى كنف المأمون و رعايته، و لذلك اعتمد عليه فى مهمات الامور. و أوصى أخاه أبا اسحاق ألا يفرط به، فقد قال له فى وصيته: أقره على عمله و لا تهجه، فقد عرفت الذى سلف بينكما أيام حياتى و بحضرتى، استعطفه بقلبك، و خصه ببرك، فقد عرفت بلاءه و غناه عن أخيك(٣). و رغم ان المعتصم بالله كان سىء الرأى بعبد الله الا انه أقره على عمله، سواء كان ذلك استجابة منه لوصيه اخيه، أو لأنه كان بحاجة الى مناصرته فى حرب بابك الخرمى. و يقول الشابشتى ان المعتصم بالله كتب الى عبد الله عن رأيه فيه و طلب اليه الا يقدم عليه الى عاصمه الخلافة، و مع ذلك أجاب عبد الله بانه على طاعه أمير المؤمنين، و انه لو ورد عليه كتابه بالشخوص اليه لما امسى حتى يشخص(٤).

لقد أظهر عبد الله اخلاصا واضحا للدوله العربيه، فقد افسد خطط الأفشين حيدر بن كاوس فى توجيه أمواله الى بلده أشر و سنه فى أثناء محاربه بابك الخرمى. فكان عبد الله يكتب الى الخليفه المعتصم بالله بكل ما يوجه به الأفشين الى أشر و سنه. و اخذ مره مالا كان الأفشين قد بعث به مع بعض رجاله، و وزعه على الجند، و كتب

١- الكامل ٦ / ٤١٤.

٢- كتاب البلدان / ٣٠٧.

٣- الطبرى ٨ / ٦٤٩.

٤- الديارات / ١٣٩ - ١٤٠.

الى الافشين بذلك، فأقر الافشين عبد الله مرغما(١). و كان الافشين يطمع فى أن يحل محل عبد الله بن طاهر فى ولايه خراسان توطئه للوثوب بالخلافه. و يظهر ان هذا هو ما دعا عبد الله الى أن يكون مخلصا فى ولائه للمعتصم بالله. و كان موقف عبد الله من الافشين من أهم الاسباب التى حالت دون تحقيق الافشين نواياه.

كان عبد الله اداريا مجربا، و على درجه عاليه من الكفايه و الحزم، بحيث ضبط خراسان ضبطا ما ضبطه أحد قبله، و دانت له البلاد، و استقامت عليه الكلمه(٢). و من مظاهر حزمه انه عند ما ولى خراسان استناب بنيسابور محمد بن حميد الطاهرى، فبنى هذا دارا خرج بحائظها الى الطريق. فلما قدمها عبد الله جمع الناس و سألهم عن سيره محمد فيهم، فسكتوا. فقال بعض الحاضرين ان سكوتهم يدل على سوء سيرته فيهم. فعزله و أمره بهدم ما بنى فى الطريق(٣).

و يعتبر عبد الله من الأجواد. فقد ذكر الخطيب البغدادي اخبارا عديده عن كرمه الزائد، فيها كثير من المبالغه. و فى الخبر التالي مثال على ذلك: لما رجع عبد الله من الشام الى بغداد، صعد فوق سطح داره فرأى دخانا يرتفع الى جواره. فسأل حاجبه عن سبب الدخان، فأعلمه ان القوم يخبزون. فقال: و هل يحتاج جيراننا الى ان يتكلفوا ذلك؟ ثم أمره أن يحصى جيرانه ممن لا يقطعهم عنه شارع. فمضى و احصاهم فبلغ عددهم أربعة آلاف نفس. فأمر عبد الله لكل واحد منهم فى كل يوم بمنين من الخبز، و من من اللحم، و بعشره دراهم للتوابل فى كل شهر، و مائه و خمسين درهما لكسوه الشتاء، و مائه درهم لكسوه الصيف. و بقى ذلك دأبه

١- الطبرى ٩/ ١٠٤.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٠.

٣- الكامل ٧/ ١٤.

مدته مقامه ببغداد. فلما خرج انقطعت تلك المخصصات الا الكسوه ما عاش أبو العباس عبد الله (١). لا يخفى ان وجود أربعه آلاف نفس فى شارع واحد مبالغ فيه أو انه كان تقديرا اعتباريا. و ان اعاله هذا العدد و اكسائهم صيفا و شتاء أمر بالغ التكاليف، و لا اخال الامير عبد الله يطيق ذلك، لان كلفه الكسوه وحدها تبلغ ألف ألف درهم سنويا، ناهيك عن كلفه الخبز و اللحوم و التوابل. و مما يشبه هذا ما رواه الذهبى من ان عبد الله وقع مره على قصص بصلات بلغت اربعه آلاف ألف درهم (٢). و انما قيل هذا عنه، على ما نرى، مغالاه فى مدحه، و لا تنسى انه فارسى الاصل و الفرس مياون الى المبالغه بطبيعتهم. و قد بولغ فى اخبار كرمه لرفع شأنه و اظهاره على الآخرين ممن اشتهروا بالجود و الكرم من الولاة و القواد العرب.

و كان عبد الله أديبا شاعرا له شعر مليح و رسائل ظريفه. و قد انقطع اليه أبو العميثل عبد الله بن خليل الأديب الشاعر (٣). و كان كاتباً لأبيه طاهر بن الحسين، و قد تولى تأديب عبد الله فى صغره.

و لما صار عبد الله واليا على خراسان صار أبو العميثل كاتبه و شاعره. كما كان عبد الله يحسن الغناء و الموسيقى. و قد نسب اليه أبو الفرج أصواتا صنع ألحانها (٤). و قد بلغ من علمه بالألحان انه صنع ألحانا مشهوره و ألقاها على جواريه فأخذنها عنه و غنين بها و سمعها الناس عنهن و عمن أخذ عنهن (٥). الا انه يظهر

١- تاريخ بغداد ٩/ ٤٨٦.

٢- العبر ١/ ٤٠٦.

٣- من موالى العباسيين نشأ فى البادية و احسن قول الشعر. له عدد من كتب اللغه و الشعر. توفى سنة ٢٤٠.

٤- راجع عن بعض الاصوات التى نسبت اليه: الاغانى ١٢/ ١٠٦- ١١٢.

٥- الاغانى ١٢/ ١١٢.

مما رواه ابنه عبيد الله انه لم يكن يحب ان يشيع عنه شىء من ألحانه، أو ان ينسب اليه، لأنه كان يترفع عن الغناء، وانه ماجس و  
ترا بيده قط(١). و يقول الذهبي انه تاب قبل موته و كسر آلات الملاهى(٢).

و قد مدح عبد الله بن طاهر عددا من الشعراء على رأسهم أبو تمام الطائي الذي قصده الى خراسان. فلما وصل الى قومس، و  
كان قد طالت به الشقه و عظمت عليه المشقه، فقال(٣):

يقول فى قومس صحبى و قد اخذت منا السرى و خطا المهريه القود

أ مطلع الشمس تنوى أن تؤم بنافقلت: كلا و لكن مطلع الجود

و عند ما دخل عليه انشده قصيده التي مدحه فيها، و مطلعها(٤):

هن عوادى يوسف و صواحيه فعزما فقدمما ادركك السؤل طالبه

و يقول فيها:

و ركب كأطراف الأسنه عرسوا على مثلها و الليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره و ليس عليهم أن تتم عواقبه

---

١- نفس المصدر ١٢ / ١١١.

٢- العبر ١ / ٤٠٦.

٣- ديوان ابى تمام ٢ / ١٣٢.

٤- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ١ / ٢١٦ - ٢٣٣.

فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل ما تدب عقاربه

يقولون ان الليث ليث خفيهنواجذه مطروره و مخالفه

و يختمها بقوله:

بحسبك من نيل المناقب أن ترى عليما بأن ليست تنال مناقبه

إذا ما امرؤ القى بربحك رحلهفقد طالبتة بالنجاح مطالبه

فاعجب الحاضرون في مجلس عبد الله بن طاهر بشعره، و استحسنا قوله في الأمير. حتى ان أحد الشعراء من الحاضرين تنازل لأبي تمام عن جائزه قد أمر له بها الأمير، فقال له عبد الله:

بل نضعفها لك، و نقوم بالواجب له جزاء عن قوله.

و قد استمر عبد الله في أيام الخليفه الواثق بالله، أميراً على خراسان و أقاليم الري و جرجان و طبرستان و كرمان، و ظل يحكمها محتفظاً باستقلاله الداخلي. الا ان علاقته بالخليفه كانت وديه.

و توفي عبد الله بنيسابور في ربيع الأول من سنه ٢٣٠ هـ و عمره ثمان و أربعون سنه(١).

و عند ما توفي عبد الله استعمل الواثق بالله ابنه طاهر بن عبد الله على أعمال أبيه كلها، و ذلك عملاً بمشوره قاضي القضاة أحمد بن أبي دواد. اذ عند ما ورد الخبر بموت عبد الله أشار الوزير محمد بن عبد الملك الزيات على الخليفه أن يخرج اسحاق بن ابراهيم،

---

١- الطبرى ٩ / ١٣١، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨ و فيه انه مات و هو ابن سبع و اربعين سنه، و الكامل ٧ / ١٣، و وفيات الاعيان ٢ / ٢٧٥ و فيه انه مات في مرو.

نائب الخليفة ببغداد و رئيس شرطته، و هو من آل طاهر أيضا، الى خراسان واليا، و يظهر ان ابن الزيات كان يهدف بذلك الى اضعاف نفوذ الطاهريين، و ضمان ولاء الوالى الجديد، و قد اقترح ان يضم اليه خمسه آلاف من الجند و يطلق ارزاقهم، و ان يمنحه الخليفة خمسه آلاف درهم معونه. و لما استطلع الواثق بالله رأى ابن أبى دواد بما اقترحه الوزير ابن الزيات قال ابن ابى دواد: ان اسحاق رهينه القوم- يقصد الطاهريين- عندك يا أمير المؤمنين، فان اخرجته لم يكن فى يدك أحد منهم، و أما الجند فانك محتاج الى الزيادة منهم فكيف تفرقهم و لا سيما مع ما ينفق عليهم، و اخراج هذه الاموال لا وجه له، و هناك ما هو خير من ذلك. قال الواثق بالله: ما هو؟ قال: طومار ورق بدرهمين تكتب فيه الى طاهر بن عبد الله بالتعزیه عن أبيه، و بتجديد الولايه له، و تريح ما عزمت على انقاذه، و تكون قد اتممت الصنيعه عند عبد الله و ولده، و احسنت الخلافه فيه. فاستصوب الواثق بالله رأيه، و أمر ابن الزيات ان يكتب بموجه(١).

و قد اقام طاهر بن عبد الله واليا على خراسان طيله خلافه الواثق بالله، و استمر بعده حتى توفى بنيسابور فى رجب سنه ٢٤٨ هـ و له من العمر أربع و أربعون سنه(٢). فعين الخليفه المستعين بالله ابنه محمدا واليا مكانه. و قد جابه محمد بن طاهر كثيرا من المتاعب فى خلال فتره ولايته. و فى أيامه انتهت اماره بنى طاهر فى خراسان.

### ٣- نهاية الاماره:

كانت نهاية اماره بنى طاهر على يد يعقوب بن الليث الصفار الذى اطعمه ما لمسّه من ضعف محمد بن طاهر أمير خراسان. و قد

١- الديارات / ١٤٠-١٤١.

٢- تاريخ يعقوبى ٢/ ٤٩٤.



بدا ضعف محمد واضحا عند ما عجز عن مقاومه الحسن بن زيد العلوى الذى استفحل أمره فى طبرستان و استولى على الرى و جرجان، و كلها أقاليم تابعه لولايه خراسان. و كذلك فشله فى القضاء على عبث الشراه الذين خرجوا فى امارته و لم يستطع دفعهم. فانتهمز يعقوب الصفار الذى خرج فى سجستان و استولى على كرمان و بلخ و هرات و ولايه فارس، فرصه هروب عبد الله السجزي الذى نازعه على ولايه سجستان، و التجائه الى محمد بن عبد الله بن طاهر الذى رفض تسليمه الى يعقوب. فسار ابن الليث نحوه الى نيسابور.

و لما شعر محمد بخطر ابن الليث حاول ان يترضاها، فلم يرض، بل دخل المدينه و قبض عليه و على أهل بيته. و أرسل ابن الليث كتابا الى الخليفه يبرر فيه استيلاؤه على خراسان و دخوله نيسابور و انتهاء اماره الطاهريين، بتفريط محمد فى عمله، و ان أهل خراسان هم الذين سألوه المسير اليهم(١).

و يقال ان بعض أصحاب محمد بن عبد الله و بعض أفراد عائلته لما رؤا اديار أمره مالوا الى ابن الليث فكاتبوه و شجعوه على الاستيلاء على خراسان. و بنفس الوقت هونوا على محمد أمر ابن الليث و انه لا خوف عليه منه، فثبطوه من الاحتراز منه و الاستعداد لحربه(٢). و اذا صح هذا فهو دليل على ضعف محمد و قصر نظره.

و لما دخل يعقوب ابن الليث نيسابور فى شوال ٢٥٩ هـ و قبض على محمد و جميع أهل بيته استولى على أموالهم و ما تحويه منازلهم، و حملهم فى الأصفاذ الى قلعه بم بكرمان(٣). فانتهمز ولايه محمد بن عبد الله بن طاهر التى دامت احدى عشره سنه و شهرين، و بذلك انتهت ما عرفت باماره الطاهريين.

١- الكامل ٧ / ٢٦٢.

٢- نفس المصدر.

٣- كتاب البلدان / ٣٠٨.

## الفصل الثالث اماره بنى طولون

### ١- ولاية مصر:

كانت علاقته مصر بالدوله العربيه خلال عهد خلفاء سامرا قد مرت بدورين، أولهما الدور الذى مر منذ أن اتخذت سامرا حاضره للدوله فى سنة ٢٢٢ هـ فى عهد المعتصم بالله، حتى أواخر عهد المعتز بالله سنة ٢٥٤ هـ. و كانت مصر خلال هذا الدور احدى ولايات الدوله العربيه خاضعه للخلفاء العباسيين الذين كانوا يعينون عليها الولاة و القضاة و عمال الخراج و يتولون شئون امنها الداخلى و الدفاع عنها، و يجبى خراجها لبيت المال فى سامرا. و يبدأ الدور الثانى منذ ان تولى القائد التركى أحمد بن طولون ولايتها فى سنة ٢٥٤ هـ و تأسيسه اماره شبه مستقلة فيها استمرت حتى سنة ٢٨٢ هـ عند ما عادت مصر ولاية من ولايات الدوله العربيه كما كانت.

و سنستعرض فيما يأتى احداث كل من هذين الدورين.

و كانت أحوال مصر السياسيه و الاداريه قد اضطرت فى عهد الخليفه المأمون، فقد انتقض أسفل البلاد- الوجه البحرى- كله، عربيه و أقباطه «و أخرجوا العمال و خلعوا الطاعه بسبب سوء سيره

العمال فيهم»<sup>(١)</sup>. مما اضطر المأمون الى ان يقدم الى مصر بنفسه في مطلع سنة ٢١٧ هـ فسخط على عيسى بن منصور و عزله عن الولاية، و نسب ما وقع في البلاد الى سوء ادارته، اذ قال له «لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك و فعل عمالك، حملتم الناس ما لا يطيقون و كتمتموني الخبر حتى تفاقم الأمر و اضطربت البلاد»<sup>(٢)</sup>.

و عين بدلا عنه الأمير التركي أبا مالك كيدر الصغدى، و اسمه نصر بن عبد الله. كما عين هارون بن عبد الله الزهرى على قضاء مصر.

فقدم اليها هارون فى أواخر رمضان من تلك السنة، و «كان محمود السيره عفيفا محبوبا من أهل البلد»<sup>(٣)</sup> و قد اعتنى بشؤون الاوقاف، فثبت غلاتها و أوجه انفاقها، كما رعى شؤون الأيتام و عاقب من يتهاون بأموارهم من الأوصياء عليهم. و قد رفض أن يحضر ممثل صاحب البريد مجلس قضائه ما لم يكن ذلك بأمر الخليفة.

و لما كتب أبو اسحاق، و كان المأمون قد عينه على ولاية مصر، الى خليفته كيدر بأمر المحنة، استجاب القاضى هارون و وافقه على ذلك عامه الشهود و أكثر الفقهاء<sup>(٤)</sup>.

و عند ما تولى أبو اسحاق المعتصم بالله الخلافة ورد كتابه الى كيدر يقره على امارته، و يخبره ببيعته، و يأمره باسقاط من فى الديوان من العرب و قطع اعطياتهم. و يبدو انه اتخذ هذا الاجراء تأديبا للقواد و الجند العرب الذين ايدوا المناداه بالعباس خليفه غداه موت أبيه المأمون، و تنفيذاً لسياسته فى تترك جيش الدوله، ففعل كيدر ذلك. و كان من نتائج قطع الاعطيات عن العرب خروج

١- كتاب الولاة و كتاب القضاة / ١٩٠، و الخطط المقرينيه / ١ / ٣١١.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاة / ١٩٢.

٣- فتوح مصر / ٢٤٦ - ٢٤٧.

٤- كتاب الولاة و كتاب القضاة / ٤٤٥.

يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لخم و جذام(١). و قد استنكروا قطع أعطياتهم و اعتبروا ذلك انتزاعا لحقوقهم.

و لما ورد كتاب المعتصم بالله بالتشدد بالمحنة استعفى القاضى هارون من ذمك. فكلف قاضى القضاة أحمد بن أبى داود محمدا بن ابى الليث، و كان من رؤوس القائلين بخلق القرآن، ان يتولى القضاء. فقال هارون اللهم لك الحمد على معافاتي مما بلوت به غيرى(٢). فرفع ذلك الى ابن أبى دواد فأمر هارون بالتوقف عن الحكم، ثم ما لبث ان عزله و عين ابن أبى الليث قاضيا على مصر بدلا عنه. كان ابن أبى الليث وراقا يقيم بمصر، و هو فقيه على مذهب الكوفيين. فوضع يده على جميع الاموال المحبوسه. و حاول أن يسىء الى سلفه هارون الزهرى، فحاسبه على بعض أحكامه، فكان يحضره الى مجلس القضاء و يوقفه مع الخصوم و يحاول ان يهينه و كاد أن يحبسه. و قد بقى ابن ابى الليث على قضاء مصر طيله أيام الخليفه المعتصم بالله.

مات كيدر قبل أن يتمكن من القضاء على تمرد الجروى، فتولى ابنه المظفر ولايه مصر باستخلاف أبيه و اقرار الخليفه. و قد استطاع ان يقضى على الجروى و اتباعه بعد قتالهم فى وقائع عديده.

و كان المعتصم بالله أنعم على القائد التركى اشناس بولايه مصر، فصرف أشناس بن كيدر عن ولايتها و عين موسى بن ابى العباس واليا على الصلاه(٣). فوصل فى مستهل رمضان سنه ٢١٩ هـ و نزل بالعسكر. و كان موضع العسكر يعرف فى صدر الاسلام بالحمراء القصى، و هو خطه نزل بها بعض القبائل العربيه عند فتح مصر،

١- نفس المصدر / ١٩٤، و الخطط المقريزيه ٣١١ / ١.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٤٤٨.

٣- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٩٥ و النجوم الزاهره ٢ / ٢٣٢، و جاء فيه: و جمع له الخراج فى بعض الاحيان.

ثم دثر حتى صار صحراء. ونزلت عساكر العباسيين التي تعقبت مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين، في هذا الموضع عند جبل يشكر و اخذوا بينون فيه. و لما ولي مصر موسى بن عيسى الهاشمي - وقد تولاها ثلاث مرات في عهد الخليفة هارون الرشيد آخرها في سنة ١٧٩ هـ - ابنتى فيه دارا انزل فيها أهله و عبيده، ثم اذن للناس فابتنوا فيه، و اتصل بناؤه ببناء الفسطاط. ثم بنيت فيه دار للاماره، و مسجد جامع عرف بجامع العسكر، فسمى ذلك الموضع منذ ذلك الوقت بالعسكر، و صار أمراء مصر ينزلون به (١).

و قد طالت أيام موسى بن أبى العباس، و كانت أياما حسنه، اذ استطاع القضاء على الفتن الداخليه، و امتحن فقهاء مصر و علماءها فاجاب أكثرهم (٢). الا انه عزل و عين مالك بن كيدر بدلا عنه، فقدم الى مصر فى أواخر ربيع الآخر سنة ٢٢٤ هـ و سكن العسكر. و كانت له ولايه الصلاه فقط. أما الولايه على الخراج فكانت للخليفه يولى عليها من يشاء (٣). و كان مالك اداريا حازما الا انه صرف عن عمله بعد سنتين. و وليها القائد على بن يحيى الارمنى و قد ولاه أشناس على الصلاه فقط. فقدم اليها فى أوائل ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ، و استمر فى ولايته حتى وفاه المعتصم بالله. فأقره الواثق بالله على ولايته. و كان أبو الحسن قد سكن العسكر على عادته الولاة الذين سبقوه، و جدّ فى اصلاح أحوال البلاد و قمع الفتن و الفساد. و اقام واليا عليها حتى ورد الأمر عليه بعزله عن غير سخط عليه، فى أوائل ذى الحجه سنة ٢٢٨ (٤).

فتوجه الى العراق و قدم على الواثق بالله بسامرا فآكرمه (٥).

١- الخطط المقرئيه ١ / ٣٠٤.

٢- النجوم الزاهره ٢ / ٢٣٢.

٣- نفس المصدر ٢ / ٢٣٩.

٤- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ١٩٥ - ١٩٦، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٤٥.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٢٤٥، و كتاب الولاة و كتاب القضاء / ١٩٦، و يقول الكندى ان عيسى بن منصور سجن على بن يحيى و ضيق عليه، ثم اطلقه.

و ولى بعده عيسى بن منصور للمره الثانيه. و كان القائد أشناس قد توفى فعهد الخليفه بولايه مصر الى القائد ايتاخ، فأقر ايتاخ عيسى بن منصور على امارته، فاستمر فيها حتى وفاه الواثق بالله، فصرف عنها فى أول خلافه المتوكل على الله. و قد استطاع عيسى فى خلال ولايته الثانيه ان يمهد الامور و يقضى على الفتن.

و لما ورد أمر الواثق بالله فى سنه ٢٣١ هـ بامتحان العلماء و الفقهاء و الناس بخلق القرآن و التشدد فى ذلك، وقف الوالى الى جانب القاضى المتمزم محمد بن أبى الليث فى ارهاق الناس فى أمر المحنه. و قد استمرت سياسه ارغام الناس فى مصر على القول بخلق القرآن الى ان استخلف المتوكل على الله و ابطال المحنه.

لقد اكتسب عيسى بن منصور خيره فى الاداره و السياسه بحيث كانت أيام ولايته الثانيه فى مصر هادئه، عدا ما تعرض له الناس من أمر المحنه. و قد استمر فى ولايته هذه أربع سنوات و ثلاثه أشهر. و لم تطل أيامه بعد عزله غير فتره يسيره اذ مرض و لزم الفراش حتى مات فى منتصف ربيع الآخر سنه ٢٣٣ (١).

و عند ما صرف عيسى عين ايتاخ هرثمه بن النضر الجبلى، من أهل الجبل، واليا على الصلاه فقط، و فى عهدده ورد كتاب المتوكل على الله بترك الجدل فى القرآن و الرجوع الى اراء أهل السنه فى الامور الشرعيه (٢). و لما توفى هرثمه فى أواخر رجب سنه ٢٣٤ هـ أعاد ايتاخ على بن يحيى الى الولايه على مصر، الا-انه ما لبث ان صرفه بعد بضعه أشهر، و استصفيت أمواله (٣). و لما قتل ايتاخ جعل المتوكل على الله ولايه مصر لأبنه محمد المنتصر، فولى هذا اسحاق بن

١- النجوم الزاهره ٢ / ٢٥٠.

٢- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٢، و كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٩٧، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٧٤، و جاء لقبه فيه: الجبلى.

٣- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٢، و كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٩٧.

يحيى بن معاذ على الصلاه و الخراج (١). فورد اليه كتاب الخليفه باخراج الطالبين من مصر الى العراق، ففرض لهم الأموال ليستعينوا بها على السفر، فاعطى الرجل منهم ثلاثين ديناراً و المرأه خمسه عشر ديناراً، و فرق فيهم الثياب. فخرجوا من الفسطاط الى العراق، و منها أمروا بالخروج الى المدينه و الاقامه بها (٢). و يقال ان اسحاق عزم على أن يثور بمصر الا انه عزل، و لم يلبث يسيرا حتى مات (٣). و كان اسحاق من خبره الولاه، عادلاً و ادارياً قديراً، و شجاعاً ممدوحاً قصده بعض الشعراء و مدحوه، و قد رفق بالناس أيام ولايته (٤).

و عين المنتصر فى سنه ٢٣٨ هـ عنبسه بن اسحاق الضبى على ولايه الصلاه و جعله شريكاً لأحمد بن خالد صاحب الخراج.

فحاسب عنبسه العمال و أقامهم للناس و انتصف منهم، و اظهر من العدل ما ارتاح الناس اليه (٥). و فى أول ولايته نزل الروم فى دمياط فى يوم عرفه، فلم يتمكن أهلها من مقاومتهم، فدخلوا المدينه و قتلوا كثيراً من رجالها و سبوا النساء و الاطفال. فخرج اليهم عنبسه يوم النحر فى جيشه و كثير من المتطوعين فلم يدر كهم، اذ هربوا الى تنيس. و كان عنبسه قد أمر الجند من حاميه دمياط ان يحضروا الى مصر فساروا اليها. فلما نزلها الروم لم يكن فيها من يدافع عنها، فنهبوا و سبوا و احرقوا جامع المدينه، و أوقروا سفنهم بما اخذوه من سلاح و متاع، ثم ساروا الى تنيس شرقى دمياط و كان عليها سور له بابان حديدان بنى فى أيام المعتصم بالله، فنهبوا ما فيها و اخذوا البابين و رجعوا (٦).

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ١٩٨، و النجوم الزاهره / ٢ / ٢٨٣.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ١٩٨.

٣- نفس المصدر / ١٩٩.

٤- النجوم الزاهره / ٢ / ٢٨٣.

٥- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٠٠.

٦- الطبرى / ٩ / ١٩٣-١٩٥، و الكامل / ٧ / ٦٨-٦٩.

و عند ما بلغ الخبر الخليفه المتوكل على الله أمر ببناء حصن دمياط فابتدىء فى بنائه فى أوائل رمضان سنه ٢٣٩ هـ (١)، كما أمر عنبسه ان يبني حصن تنيس أيضا، و حصنا لمدينه الفرما (٢).

و صرف عنبسه عن ولايه مصر فى رجب سنه ٢٤٢ هـ، و كانت ولايته أربع سنوات و نصف سنه تقريبا.

و خلف عنبسه على ولايه مصر أبو خالد يزيد بن عبد الله بن دينار و قد ولاه المنتصر فقدم الى البلاد فى أواخر رجب من السنه المذكوره. و قام ببعض الاصلاحات الاجتماعيه، فأمر باخراج المؤنثين من مصر بعد أن ضربوا و طيف بهم، و منع من النداء و الصراخ خلف الجنائز، و عين المختارين فى الكور ليمثلوا فيها السلطه، و الغى سباق الخيل و باع الخيل التى كانت للوالى لغرض السباق (٣).

و من الاعمال المهمه التى انجزت فى أيامه بناء المقياس الهاشمى لنهر النيل بجزيره الروضه، فى سنه ٢٤٧ هـ بأمر من الخليفه المتوكل على الله، و هو المقياس الكبير المعروف بالمقياس الجديد.

و قد بناه المهندس محمد بن كثير الفرغانى الذى بعث به الخليفه من سامرا، و بطل بعمارته كل مقياس آخر كان بنى قبله فى الوجه البحرى أو الوجه القبلى (٤). و ولى أبا الرداد الفقيه عبد الله ابن عبد السلام الاشراف على المقياس و يقال انه من أهل البصره قدم الى مصر و حدث بها، و بقى مقياس النيل بأيدى أولاده و أحفاده مده طويله (٥).

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٤٢، و الخطط المقريزيه / ١ / ٢١٤.

٢- الخطط المقريزيه / ١ / ٢١١.

٣- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٠٣، و النجوم الزاهره / ٢ / ٣٠٨.

٤- النجوم الزاهره / ٢ / ٣١٠ - ٣١١.

٥- نفس المصدر / ٢ / ٣١١، و وفيات الاعيان / ٢ / ٢٩٦.



بقى يزيد واليا على مصر طيله أيام المنتصر بالله و المستعين بالله، و كذلك أقره المعتز بالله لما بويع له بالخلافه. الا ان ثوره قامت فى الاسكندريه و امتدت الى الجيزه و الفيوم، فى ربيع الاخر سنه ٢٥٢ هـ فى خلال فتره اضطراب الخلافه، و قد تزعمها جابر بن الوليد المدلجى و انضم اليه كثير من الناس و خاصه الانتهازيون منهم.

و يظهر ان يزيد عجز عن القضاء على ثوره جابر و عبث اتباعه، فاستنجد بالخليفه المعتز بالله فبعث اليه القائد مزاحم بن خاقان معيناً له، فقدم مزاحم الى مصر بجيش كبير. الا ان الاضطراب استمر فى البلاد مما دل على عجز يزيد، فصرفه المعتز بالله عن الولايه و عين القائد المذكور بدلا عنه، بعد ان دامت ولايته عشر سنوات و نصف السنه.

فصرف مزاحم جهوده فى اخماد الثوره و اعاده الأمن و الاستقرار الى البلاد، و قد استطاع بعد معارك عديده أن يقضى على اتباع جابر، و اضطره الى طلب الأمان، فأمنه مزاحم مع نفر من أصحابه، و بعث بهم الى حاضره الخلافه(١).

و كان مزاحم بن خاقان قد عين على شرطه مصر ارخوز بن طرخان التركى، فحاول هذا ان يحتدى بيزيد بن عبد الله، فمنع النساء من الخروج الى الحمامات و المقابر، و منع الحصر و المساند التى كانت تتخذ للمجالس فى الجوامع، و نهى عن أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجهه أو يحلق شعره أو تصيح امرأه، و سجن النوائح، و اشتد فى هذه الامور(٢).

١- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٢٠٥ - ٢١٠.

٢- النجوم الزاهره ٣٣٧ / ٢، و كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٢٠٨ و يسميه ازجور و الخطط المقريزيه ٣١٣ / ١ و جاء اسمه فيه ارجوز، و فضلنا ما جاء فى النجوم الزاهره لانه يتفق مع ما جاء فى الطبرى ٥٤٤ / ٩.

و بقى مزاحم على ولايه مصر حتى توفى فى أوائل المحرم سنه ٢٥٤ هـ فوليه ابنه أحمد باستخلاف ابيه، الا انه لم يلبث سوى شهرين فتوفى، فخلفه فى الولايه ارخوز صاحب الشرطه لبضعه أشهر، ثم صرف عنها بتعيين القائد التركى أحمد بن طولون الذى وصل مصر فى شهر رمضان سنه ٢٥٤ فبدأ بوصوله عهد جديد فيها.

## ٢- أحمد بن طولون و تأسيس الاماره:

### اشاره

ولد احمد بن طولون فى سنه ٢٢٠ هـ و أمه جاريه تدعى قاسم ابو هاشم(١). و كان أبوه طولون مملوكا تركيا أهداه نوح بن أسد عامل بخارى الى الخليفه المأمون سنه ٢٠٠ هـ فى جمله ما كان موظفا عليه من المال و الرقيق و غير ذلك(٢). و قد تقدمت الحال به فصار من قواد الجيش العربى، و تولى رئاسه حرس المأمون. و قيل ان أحمد لم يكن ابنه و انما تبناه، و هو ابن شخص آخر يدعى يلبخ، و يروى أبو المحاسن قصه لطولون مع أحمد و هو صبى صغير فحظى عنده و تبناه(٣). الا ان من يقول انه ابن طولون انما يستدل على ذلك بأن الموفق لما اختلف معه و أمر بلعنه على المنابر نسبه الى طولون(٤).

نشأ أحمد بن طولون بسامرا نشأ جميلا و ربي تربيته دينيه فحفظ القرآن و سمع الحديث، و كان حسن الترتيل، و عرف بالصلاح، و وصف بعلو المهما. و قد تميز على أبناء جلدته من الأتراك، و صار ممن يوثق به و يؤتمن على الأموال و الاسرار. و لما توفى طولون فى سنه ٢٤٠ هـ فوض الخليفه المتوكل على الله الى أحمد

١- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٣، و النجوم الزاهره ٣/ ١.

٢- وفيات الاعيان ١/ ١٥٦، و الخطط المقريزيه ١/ ٣١٣.

٣- وفيات الاعيان ١/ ١٥٦، و النجوم الزاهره ٣/ ٢.

٤- النجوم الزاهره ٣/ ٣.

ما كان لأبيه من الأعمال (١). و تزوج أحمد ابنه أماجور أحد كبار القواد الاتراك، و ولدت له ابنه العباس (٢).

كان أحمد يستاء من تصرفات الجند الاتراك، فطلب الى الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب رزقه فى الثغور، فكتب له بذلك و خرج الى طرسوس و أقام بهامده، ثم ما لبث ان عاد الى سامرا بناء على الحاح أمه بأن يكون الى جانبها (٣). و قد استفاد أحمد من اقامته بطرسوس اذ التقى بها بعدد من المحدثين، و جالس بعض العلماء فيها، فكتسب من علمهم و تأثر بهم. و عند عودته من طرسوس مع القافلة المتوجهه الى العراق انقذ القافلة من قطاع الطريق الذين تعرضوا لها، و كان فى القافلة خادم للخليفة المستعين بالله و معه ثياب و أمتعه ثمينه جلبها من بلاد الروم و كانت قد صنعت للخليفة، فلما وصل الخادم الى الخليفة بالثياب و الامتعه أعجب بها، فاخبره الخادم بانه لو لا شجاعه ابن طولون و شهامته لما سلمت القافلة من قطاع الطريق الذين اعترضوها، فاستحسن الخليفة فعل ابن طولون و بعث له مع الخادم ألف دينار، و واصل هباته اليه، فوهبه جاريه اسمها مياس فولدت له ابنه خمارويه فى سنة ٢٥٠ (٤).

و لما تنكر القواد الاتراك للمستعين بالله و احذروه الى واسط اختار أحمد بن طولون لأن يكون بصحبته، فأحسن أحمد معاملته و عشرته، و لما طلبوا اليه ان يقتله رفض و قال: لا رآنى الله قتلت خليفه بايعت له. أبدأ (٥).

١- نفس المصدر ٣ / ٤.

٢- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٤، و النجوم الزاهره ٣ / ٤ و فيه انه تزوج بابنه عمه.

٣- النجوم الزاهره ٣ / ٥، و الخطط المقريزيه ١ / ٣١٤.

٤- نفس المصدرين السابقين.

٥- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٤، و النجوم الزاهره ٣ / ٦ و فيه ان المستعين بالله هو الذى اختار ابن طولون ليصحبه.

و لما آلت ولايه مصر فى سنة ٢٥٤ هـ فى عهد المعتر بالله الى القائد بايكيال عهد هذا الى أحمد بن طولون بولايه مصر خليفه عنه.

فدخلها فى أواخر شهر رمضان من السنه المذكوره(١). و عند ما قتل بايكيال فى أيام المهتدى بالله انتقل ما كان اليه من الأعمال الى القائد أماجور، و هو حمو ابن طولون، فكتب اليه بقره على ولايه مصر و يزيده ولايه الاسكندريه(٢). و عهد الخليفه المهتدى بالله فى سنة ٢٥٥ هـ الى أحمد بن طولون اخضاع عيسى بن شيخ عامل فلسطين المتمرد(٣). فاغتنم ابن طولون هذه الفرصه لانشاء جيش مستقل آخذه بنظام صارم رغبه منه فى شد عناصره المتباينه(٤).

و يقول القلقشندى ان ابن طولون أول من جلب المماليك الترك الى الديار المصريه و استخدمهم فى عساكرها(٥).

آقر المعتمد على الله عند توليه الخلافه أحمد بن طولون على اماره مصر و كتب اليه يستحثه على حمل الأموال. فأجاب انه لا يطيق ذلك و الخراج بيد غيره، فانفذ المعتمد على الله نفيسا الخادم الى ابن طولون بتقليده خراج مصر و الولايه على الثغور الشاميه(٦) و بذلك تسنى للأمير أحمد بن طولون أن يقيم فى مصر اماره مستقله بشؤونها استقلالاً يكاد يكون تاماً عن الخلافه. و قد تولى امارتها بعده أبناؤه و أحفاده، الا ان مدتهم لم تدم طويلاً كما سنرى.

١- الطبرى ٩ / ٣٨١، و الكامل ٧ / ١٨٧.

٢- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٤ - ٣١٥، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٥٠٦ و فيه ان المعتمد على الله صير اعمال مصر بعد يايكيان الى يارجوخ و كتب هذا الى ابن طولون باقراره على ولايته.

٣- تاريخ يعقوبى ٢ / ٥٠٥، و الخطط المقريزيه ١ / ٣١٥ و فيه ان المعتمد على الله كتب الى ابن طولون ان يتأهب لحرب ابن شيخ.

٤- تاريخ الشعوب الاسلاميه ٢ / ٦٣.

٥- صبح الاعشى ٣ / ٤٢٤.

٦- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢١٧، و الخطط المقريزيه ١ / ١٠٣ - ١٠٤.

## القضاء على الاضطرابات و الفتن الداخليه:

صرف ابن طولون جهودا بالغه فى اخضاع الفتن و العمل على تهدئه الأوضاع الداخليه و توفير الأمن و الاستقرار فى ربوع البلاد. و استطاع ان يقضى بحزم على ما قام منها فى بدايه امارته. و كان أهمها فتنان اثارهما العلويون الذين كانوا ينتمون على الولاه الا-تراك لما يلقونه على أيديهم من التعسف و القسوه. و قد تزعم الاولى أحمد بن محمد بن عبد الله بن طبا طببا العلوى المعروف ببغا الأصغر، و قد خرج غربى مصر فى سنه ٢٥٥ هـ فى منطقه الكنائس بين الاسكندريه و برقه، ثم سار الى صعيد مصر. فوجه ابن طولون حملته عسكريه لمحاربه و قد استطاعت تشتيت اتباعه، و قتل العلوى، و جىء برأس العلوى الى الفسطاط، فقضى على فتنه(١). أما الفتنه الثانيه فقد تزعمها ابن الصوفى العلوى و هو ابراهيم بن يحيى بن عبد الله، و قد خرج فى الصعيد أيضا و دخل مدينه أسنا فى سنه ٢٥٦ هـ فنهبا و قتل كثيرا من أهلها. و استطاع أن يهزم الحمله التى وجهها اليه ابن طولون، و ظفر بقائدها فصلبه بعد أن قطع يديه و رجله. الا ان الحمله الثانيه التى وجهت اليه تمكنت منه فاضطر على الهرب الى الواحات. ثم ضعف أمره عند ما اصطدم فى سنه ٢٥٩ هـ بخارج اخر على السلطه هو أبو عبد الله العمرى و هزم أمامه. و لما وجه ابن طولون اليه جيشا آخر لم يصمد أمامه ففر هاربا، فعبر البحر الاحمر الى مكه فأقام بها. فعلم به و اليها فقبض عليه و حمله الى ابن طولون فسجنه مده، ثم اطلقه فخرج الى المدينه فمات فيها(٢).

و أعلن أهل برقه التمرد فى سنه ٢٦١ هـ و طردوا عامل ابن طولون فبعث اليهم غلامه لؤلؤا فقضى على تمردهم. و قبض لؤلؤ

١- كتاب الولاه و كتاب القضاء/ ٢١٢، و الخطط المقريزيه ٢/ ٣٣٩.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء/ ٢١٣-٢١٤، و الكامل ٧/ ٢٣٨-٢٣٩.

على جماعه من رؤسائهم و ضربهم بالسياط، و استصحب بعضهم معه الى مصر، فطيف بهم فى المدينه. فخلع ابن طولون على لؤلؤ خلعه و طوقه بطوقين (١).

كما قامت فتنه أخرى فى أعلى الصعيد و قد تزعمها أبو عبد الله العمرى و هو عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله من نسل عمر بن الخطاب (٢) و كان العمرى قد خرج غضبا لله و للمسلمين، اذ آلمه ما ارتكبه أبناء قبيله البجه الذين كانوا يهاجمون صعيد مصر و يقتلون و ينهجون ثم يعودون سالمين. فكمن لهم مع عدد من اصحابه فلما عادوا خرج اليهم و قتل قائدهم فولوا منهزمين فتبعهم الى بلادهم فنهبا و قتل منهم كثيرا، و لم يسلموا منه حتى أدوا له الجزية.

و اشتدت شوكة العمرى و كثر اتباعه، فسير اليه ابن طولون جيشا فحاول العمرى أن يقنع قائد الحمله بأنه ليس خارجا على السلطه و انما خرج للجهاد ضد البجه و ان الامير ابن طولون اذا عرف ذلك فسوف يتركه و شأنه. الا ان القائد لم يجبه الى ذلك فقاتله فانهمز جيش ابن طولون. فلما اخبروه بحال العمرى لامهم لأنهم لم يعلموه بأمره و انه نصر عليهم لبغيهم عليه. الا ان اثنين من غلمان العمرى و ثبا به و قتلاه و حملا رأسه الى أحمد بن طولون تقربا اليه. الا انه اسف على مقتله و قتلها به. و أمر برأس العمرى فغسل و كفن و دفن (٣).

و كان خروج العباس بن أحمد بن طولون فى سنه ٢٦٤ هـ اخطر ما واجه أحمد. اذ كان قد خرج فى السنه المذكوره الى بلاد الشام و استخلف ابنه العباس، و هو أكبر أبنائه، على مصر، و ابقى معه كاتبه أحمد بن محمد الواسطى ليعاونه فى اداره شؤون الاماره.

١- الكامل ٧ / ٢٨٣.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢١٤، و الكامل ٧ / ٢٦٤ و فيه: هو ابو عبد الرحمن العمرى و اسمه عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله.

٣- الكامل ٧ / ٢٦٤ - ٢٦٥.

فزین للعباس بعض قواده التغلب على مصر و القبض على الواسطی.

و قد بلغ الواسطی ما عزم علیه العباس و أتباعه فكتب الى الأمير أحمد يخبره بالأمر و يستعجله العوده الى مصر، فزاد ذلك في وحشه العباس من أبيه و خوفه منه. فأشار علیه أصحابه ان يتعد عن أبيه فيخرج من مصر. فقبض على الواسطی و قيده، و خرج الى الاسكندريه على رأس جيش كبير فيه ثمانمائه فارس و عشره آلاف راجل من سودان أبيه. و حمل معه مالا كثيرا. ثم توجه منها الى برقه، و قد راودته فكره تأسيس دوله في أفريقيه لكي يستطيع مهاجمه أبيه. فكتب بعض زعماء القبائل فيها فاجابه قسم منهم، فأقدم على مغامرته عسكريه. اذ كتب الى أمير بنى الأغلبي ابراهيم الثاني بان الخليفه قد قلده أمر أفريقيه و أعمالها و انه متوجه اليها. و قيل حمل معه من بيت مال مصر (٨٠٠) حمل من الدنانير الذهبية، و مبلغها ألف ألف دينار و مائتا ألف دينار(١). فلما دخل بجيشه مدينه لبدته اساء الى أهلها، و اضطر عاملها على الالتجاء الى اطرابلس التي استنجد أهلها بأبي منصور الاباضی المتغلب على مدينه تفوسه، فزحف هذا لنجدتهم. و كان الأمير ابراهيم قد بعث جيشا الى اطرابلس لحرب ابن طولون، و قد اشرنا الى ذلك عند الكلام عن الامير الأغلبي ابراهيم الثاني. و قد هزم العباس أقبح هزيمه و كاد ان يقع في الأسر، مما اضطره على العوده فقبض عليه أبوه و سجنه و قتل عددا من اتباعه ممن زينوا له الخروج على أبيه(٢).

ان قضاء أحمد بن طولون على الاضطرابات و الفتن المذكوره، و على تمرد ابنه ساعد على استتباب الأمن الداخلى مما اتاح له فرصه للبناء و التعمير و العمل على تحسين أحوال البلاد. فاهتم بشؤون الري و الزراعه مما أدى الى زياده الانتاج الزراعى فى مصر فبلغ خراجها أربعه آلاف ألف و ثلاثمائه ألف دينار، بعد أن كان قبله ثمانمائه ألف دينار(٣). و قد ساعده زياده خراج البلاد على

١- البيان المغرب ١/ ١١٨.

٢- الطبرى ٩/ ٥٤٥، و الكامل ٧/ ٣٢٤-٣٢٥ و البيان المغرب ١/ ١١٨-١١٩، و الخطط المقرئيه ١/ ٣٢٠.

٣- الخطط المقرئيه ١/ ٩٩.

ان يستغنى عن بعض الرسوم التي كانت مفروضة على بعض المرافق. فقد كان احمد بن المدبر لما ولى خراج مصر، و كان من دهاه الكتاب، ابتدع بدعا صارت سنه من بعده. فاحاط بالنظرون و حجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس، و قرر على الكلاً الذى ترعاه الماشيه رسما سماه «المراعى» و قرر مثله على ما يصاد من البحر و سماه «المصايد» و عرفت هذه الرسوم ب «المرافق و المعاون» فقرر أحمد بن طولون الغاءها و كانت عائداتها السنويه تبلغ مائه ألف دينار(١).

### الخلافة بين الموفق و ابن طولون:

نشأ خلاف حاد بين الموفق المهيمن على شؤون الخلافة فى سامرا و امير مصر أحمد بن طولون. و سبب الخلاف الرئيس كما يقول المقرئى ان الحرب الطويله مع صاحب الزنج دعت الموفق ان يكتب الى أحمد من حمل ما يستطيع من المال الى حاضره الخلافه للاستعانه به فى الحرب المذكوره. فبعث اليه ابن طولون ألف ألف و مائتى ألف دينار(٢)، الا ان الموفق استقل المبلغ، و غضب على ابن طولون و كتب اليه بذلك. فاجاب ابن طولون جوابا فيه كثير من التحدى مما لم يرتح له الأمير الموفق، فعزم على ان يبعث واليا الى مصر بدلا من أحمد بن طولون، فالتمس شخصا كفايه و درايه يبعث به، فلم يرشح له أحد لأن هدايا ابن طولون لقواد الدوله و ارباب

١- الخطط المقرئيه ١/١٠٣-١٠٤.

٢- الخطط المقرئيه ٢/١٧٩، و تاريخ اليعقوبى ٢/٥٠٨ و فيه ان حمل الى الخليفه ألفى ألف درهم.



المناصب العليا في سامرا كانت متصله(١). فطلب الموفق الى كبير القواد موسى بن بغان يصرف ابن طولون عن ولايه مصر و يقلدها اماجور والى دمشق. الا- ان اماجور احجم عن مقاتله ابن طولون للقربى التى بينهما و لقوه جيش ابن طولون. و لذلك اضطر موسى ان يخرج بنفسه على رأس جيش كثيف. فنزل الرقه و اقام بها عدّه أشهر لم تتوفر له خلالها الأموال اللازمه للجيش ليسيير الى حرب بن طولون. فاضطرب عليه اصحابه و ملوا الاقامه و طالبوا بأرزاقهم.

على ان موسى مرض و اشتدت عليه علته فمات(٢).

و لما علم ابن طولون بمسير موسى بن بغان بجيش يريد حربه و اقضاءه عن ولايه مصر استعد لملاقاته. فأخذ على الجند و سائر الناس البيعه لنفسه على أن يعادوا من عاداه و يوالوا من والاه و يحاربوا من حاربه من الناس جميعا(٣). و هذا ما معناه انهم بايعوه على ان يحاربوا الى جانبه و لو كان يحاربه جيش الخليفه.

و يمكن الاستنتاج من هذا ان ابن طولون كانت تساوره فكره الانفصال التام عن الدوله العربيه. فشرع بتحسين المدينه، فبنى حصنا في الجزيره، و هى جزيره الروضه بين الفسطاط و الجيزه، ليكون معقلا لماله و حرمة و ذخائره، و اجتهد في بناء المراكب الحريه و احاطتها بالجزيره زياده في تحصينها(٤).

و حينما بلغ ابن طولون نبأ موت أما جور في دمشق، و كان قد استخلف ابنه في الولايه بعده، اغتتم الفرصه لضم بلاد الشام اليه.

فخرج بجيش كبير و استطاع ان يستولى دون حرب على الرمله و دمشق و حمص، ثم اضطر على محاصره انطاكيه، لأن و اليها سيما

١- الخطط المقرزيه ٢ / ١٧٩، و الكامل ٧ / ٣٠٥.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢١٨، و الكامل ٧ / ٣٠٥ و فيه ان موسى اضطر الى العوده الى سامرا.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥١٠.

٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢١٨، و الخطط المقرزيه ٢ / ١٨٠ و جاء فيه انه احاطها بمائه مركب.

الطويل امتنع عليه. فحاربه ابن طولون و استولى على المدينه عنوه، فقتل سيما و استباح أمواله. ثم سار الى طرسوس فنزلها بجنوده، فضاقت بهم و غلت الاسعار فيها، مما سبب نقمه اهلها فطلبوا اليه الخروج منها. فأمر ابن طولون جنده ان يتظاهروا بالهزيمه من المدينه ليوهم الروم بقوه حاميتها و انها استعصت عليه رغم قوه جيشه و كثافته(١). فعاد منها الى دمشق فبلغه خبر خروج ابنه العباس عليه فعاد مسرعا الى مصر لمعالجه الامر.

خرج أهل طرسوس على عامل ابن طولون خلف الفرغانى و طردوه و ولوا عليهم القائد يا زمان الخادم. مما اضطر ابن طولون ان يخرج ثانيه الى دمشق لمحاربه أهل طرسوس. و كان الخليفه المعتمد على الله حينذاك قد ضاق ذرعا باستبداد أخيه الموفق بأمر الدوله دونه فاتصل بأبن طولون بدمشق يستنصره على أخيه، و بعث اليه يعلمه بانه خارج اليه. و قد رحب ابن طولون بالتجاء الخليفه اليه لأن ذلك سيجعل مصر حاضره للخلافه(٢). مما يدعم مركزه تجاه الامير الموفق و يزيد فى استقلال امارته، و انه لمكسب عظيم لمصر و لأميرها. الا ان محاوله المعتمد فى الهرب الى دمشق فشلت.

اذ استطاع عامل الموصل اسحاق بن كنداج الخزرى، بايعاز من الموفق، ان يحتال على الخليفه و حاشيته فمنعهم من السفر و ردهم الى سامرا حيث أصبح المعتمد على الله محجوزا عليه.

و لما بلغ ابن طولون ما فعله الموفق بالخليفه، أمر بكتاب وجهه الى مصر خلع فيه الموفق من ولايه العهد لمخالفته الخليفه و حجزه اياه، جاء فيه ان أبا أحمد الموفق خلع الطاعه و برىء من الذمه فوجب جهاده على الأئمه(٣). و اشهد على ذلك الحاضرين من القواد

١- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٢٠.

٢- نفس المصدر / ٥١٢.

٣- الخطط المقرنيه / ١ - ٣٢٠ - ٣٢١.

و القضاء، فامتنع عن الشهاده قاضى مصر بكار بن قتيبه، مما سبب غضب ابن طولون عليه فأمر بسجنه.

و كان بكار بن قتيبه قد ولاه المتوكل على الله قضاء مصر فى سنة ٢٤٦ هـ و أجرى عليه مائه و ثمانيه و ستين ديناراً فى الشهر. و كان غيفاً عن أموال الناس، محموداً فى ولايته، عارفاً بالفقه، يكثر وعظ الخصوم و نصحهم و بخاصه عند اليمين، و يحاسب أمناءه و يتحرى عن الشهود. و كان ابن طولون يعظمه و يحترمه، و كثيراً ما كان يتردد على مجلسه فى الحديث ليستمع اليه. و من مظاهر احترامه له ان كان من عادته اذا حضر جنازه لا يصلى عليها غيره الا اذا كان بكار حاضراً فيقدمه للصلاه. الا انه لما امتنع بكار عن لعن الموفق حبسه و نقم عليه. و يقال ان بكاراً قال: ألا لعنه الله على القوم الظالمين. فقيل لابن طولون انه انما قصدك بهذا القول.

مما زاد فى غضبه عليه. و كان من عادته ابن طولون ان يبعث الى بكار فى كل سنة بألف دينار، فلما غضب عليه أرسل اليه يستردها منه.

فاحضرها بكار من منزله بخواتيمها. و قد طال حبس بكار فطلب أصحاب الحديث الى ابن طولون أن يأذن لهم فى السماع منه فأذن لهم، فكان يحدثهم من طاقه فى السجن. و عند ما مرض ابن طولون حاول أن يسترضى بكاراً، الا انه رفض ذلك. و قد توفى بكار فى أواخر ذى الحجه سنة ٢٧٠ هـ، بعد وفاه أحمد بن طولون بأربعين يوماً، و كان قد تولى القضاء أربعاً و عشرين سنة (١).

لقد قطع ابن طولون الخطبه للموفق و اسقط اسمه من الطراز، فلما بلغ الموفق ما عمله ابن طولون طلب الى الخليفه أن يأمر بلعنه، ففعل المعتمد على الله ذلك مكرهاً، لان هواه كان مع ابن طولون (٢).

و كتب الموفق الى عمال الولايات يأمرهم بلعن ابن طولون على

١- لمزيد من التفصيلات راجع: كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٥٠٧-٥١٢.

٢- الكامل ٣٩٧ / ٧.

المنابر، و كانت صيغه اللعنه هي اللهم العنه لعنا يفل حده، و يتعس جده، و اجعله مثلاً- للغابرين، انك لا- تصلح عمل المفسدين(١).

و توجه ابن طولون الى أهل طرسوس ليحاول استمالتهم بالحسنى، فوجد يازمان الخادم قد تحصن بالمدينه، مما اضطره على محاصرتها. الا ان اشتداد البرد و كثرة الامطار و الثلوج اضطرته على الرحيل عنها فعاد الى مصر مريضاً.

### تأسيس مدينه القطائع:

عند ما جاء ابن طولون الى مصر سكن دار الاماره في العسكر، الا- ان مماليكه و رجاله ازداد عددهم كثيرا بحيث ضاق بهم العسكر.

فقرر ان يختط مدينه في سفح الجبل، فأمر بحرث قبور اليهود و النصارى و بنى في موضعها القصر و الميدان. و تقدم الى قواده و غلمانه بان يختطوا لأنفسهم حول القصر، فاختطوا و بنوا حتى وصل البناء الى الفسطاط. و قد تم البناء بشكل قطائع، أى حارات، و سميت كل قطيعه باسم من سكنها. فكان للجنود النوبيين قطيعه منفرده سميت بهم، و للروم قطيعه عرفت بهم أيضا، كما كان لكل صنف من غلمانه قطيعه خاصه. و بنى القواد في مواضع متفرقه. فعمرت القطائع و تفرقت فيها السكك و الأزقه. و بنيت فيها المساجد و الاسواق و الطواحين و الحمامات و الأفران. و سميت الاسواق بحسب حرف شاغليها و مهنهم، كسوق العطارين و سوق البزازين و سوق الصيارفه ..

و هكذا صارت القطائع مدينه كبيره عامره، و بنى الأمير أحمد قصره و جعل له ميدانا كبيرا يستعرض فيه الجيش و يلعب كره الصولجان. و سمى القصر كله الميدان، و قد عملت له عدده أبواب لكل منها اسم خاص، أهمها باب الميدان و منه يدخل و يخرج معظم

الجيش، و باب الخاصه لا يدخل منه الا خاصه ابن طولون، و باب الصلاه و منه يذهب الأمير الى الجامع الكبير الذى شيده، و عرف هذا الباب بباب السباع لأنه كان عليه صوره سبعين من الجبس، و باب خاص بمرور الحرير. و كان الطريق الذى يمر فيه ابن طولون و اسعا قطع بحائط فيه ثلاثه أبواب كبيره. و كانت هذه الابواب تفتح كلها فى أيام الأعياد، أو فى يوم عرض الجيش، أو يوم الصدقه، و ما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب فى أوقات معينه.

و اتخذ ابن طولون للقصر مجلس يشرف منه يوم العرض و يوم الصدقه. كما كان على باب السباع مجلس آخر كان يجلس فيه ليله العيد ليشرف على القطائع و يطلع على أحوال غلمانة فيرى حركاتهم و تصرفهم فى حوائجهم، فاذا رأى فى حاله أحدهم نقصا أو خللا أمر له بما يتسع به، و كان هذا المجلس يشرف على البحر أيضا (١).

و هكذا كانت القطائع مدينه خاصه لغلمان الأمير ابن طولون و جنده، و القصر و الميدان خاص به (٢).

### جامع ابن طولون:

شكا أهل مصر الى الأمير أحمد بن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة من كثره جنوده و سودانه، فأمر بعمارته الجامع الذى عرف باسمه. و قد شيده على جبل يشكر، و يشكر هو اسم قبيله عربيه اختطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بها (٣). و هناك من يقول ان يشكر هو اسم رجل صالح كان يسكن بيتا عند هذا الجبل فسمى باسمه، و قد ادخل هذا البيت فى بنائه الجامع (٤).

١- راجع عن مدينه القطائع: الخطط المقيزيه ٢ / ٣١٥-٣١٦.

٢- الانتصار / ١٢٢.

٣- الخطط المقيزيه ١ / ١٢٥.

٤- الانتصار / ١٢٣.

و حينما قرر بناء الجامع طلب ان يبنى مقاوما للغرق و الحريق فقبل له يبنى بالجير و الرماد و الآجر الأحمر القوى النارى الى السقف و لا يجعل فيه اساطين الرخام فانها لا صبر لها على النار، فبناه هذا البناء(١). و يظهر مما ذكره المقرئى انه قدر لسقف الجامع ثلاثمائة عمود من الرخام فقبل له لا يتوفر هذا العدد من الاعمده الا اذا جمعت من الكنائس المهجوره فى الأرياف و الضياع، فانكر ذلك و لم يوافق عليه. و شغل باله فى كيفية توفير هذه الأعمده الضرورية لقيام سقف الجامع. فتقدم اليه مهندس نصرانى كان يعمل عنده، و قد سبق أن غضب عليه و أمر بسجنه(٢)، بانه يستطيع بناء الجامع دون أعمده سوى عمودى القبله. و لكى يقنع الأمير ابن طولون باقتراحه صور الجامع على قطع من الجلود، فاعجب ابن طولون بذلك و استحسنته، فاطلقه من سجنه و خلع عليه و وضع تحت تصرفه مائه ألف دينار و قال له أن ينفق على تشييد الجامع وفق اقتراحه، و اذا ما احتاج الى زياده فى المال زاده له. فبوشر فى بنائه فى سنة ٢٦٤ هـ و تم فى سنة ٢٦٦ هـ و صلى فيه أحمد أول جمعه، فطالبه المهندس النصرانى بالأمان و الجائزه، فقال له: لقد أمنك الله و لك الجائزه. و أمر له بعشره آلاف دينار و أجرى عليه الرزق الواسع الى أن مات(٣).

و يرى الآثارى «قيوليه» ان هذه القصة أقرب الى أن تكون مختلفه لتظهر ان استخدام الأعمده فى بناء الجامع ابتكار مصرى، بينما كان قد بنى جامعان كبيران باستخدام الاعمده قبل سنوات قليله فى سامرا التى قدم منها ابن طولون، و كان و لا شك اطلع عليهما و تعرف على طريقه بنائهما(٤).

١- نفس المصدر، و الخطط المقرئيه ٢ / ٢٦٦.

٢- بين المقرئى سبب غضبه عليه و سجنه- الخطط المقرئيه ٢ / ٤٥٧.

٣- راجع عن تفصيلات أخرى عن بناء الجامع- الخطط المقرئيه ٢ / ٢٦٥-٢٦٦.

٤- . ٣٠٣ Creswell, E. M. A. P.

و تتميز مناره هذا الجامع بان مراقيها من ظاهرها و يطلع اليها بدرج ظاهره عريضه تسع جملين يصعدان اليها. و قد اقيمت خارج الجامع فوق قاعده مربعه، و بمصعد داخلي يتمشى حلزونيا، اضافه الى الدرج الخارجى (١). و يقال ان سبب عمارتها على هذه الصوره ان احمد بن طولون أخذ يوما و هو فى مجلسه درج ورق و عبث به باصابعه فخرج بعضه و بقى بعضه. فاستغرب الحاضرون منه، فقال لهم: انى أريد أن أبني مناره مسجدى الجامع كذلك، و أمر المهندسين أن يبنوها على ذلك الشكل (٢). و لعله كان بعثه بدرج الورق يحاول أن يصف لهم مناره سامرا الملويه التى كان يعرفها جيدا. و يقول المقرئى انه بناه على غرار جامع سامرا و كذلك المناره (٣). و يؤيد ذلك الاستاذ مارتن بريكنز Martin S. Briggs فى الفصل الذى كتبه عن «فن العماره» فى كتاب تراث الاسلام، عند كلامه عن جامع ابن طولون بقوله «ان أهميته فى تاريخ العماره الاسلاميه قد نقصت بعض النقص لأننا نلاحظ ان بعض الظواهر المعماريه فيه موجوده فى بعض أبنيه عراقيه أقدم عهدا منه. و جامع ابن طولون مسجد جامع كبير يكاد يكون مربع الشكل، و فيه صحن تحيط به أروقه ذات بوائك.

و رواق القبلة أكبر بكثير من الأروقه الأخرى. و بين جدران الجامع و سورہ الخارجى أروقه خارجيه مكشوفه ... و السور الخارجى ضخيم جدا، و عليه شرفات زخرفيه ... و فى أسفل شرفات السور صف من طاقات على شكل أقواس مدببه، و على هذه الطاقات ركبت شبايك من الجص مخرمه، و تفصل كل طاقه منها عن التى تليها حنيات مدببه و رؤوسها ذات فصوص عديده، أو فيها زخارف بارزه ... و يمكننا ان نقول فى ثقه و اطمئنان ان الجامع الطولونى (٧٢) الانتصار/ ١٢٤، و ذكر الجميلين هنا لتصوير سعه الدرج.

١- الفن الاسلامى / ٣٤.

٢- الانتصار / ١٢٤، و صبح الاعشى ٣ / ٢٤٠.

٣- الخطط المقرئيه ٢ / ٢٦٦.

عراقي الطراز من كل الوجوه وانه مأخوذ عن نماذج في سامرا و بغداد كانت مألوفه لابن طولون في شبابه. و هناك فوق الظواهر المعماريه التي مر ذكرها عناصر أخرى جديده منها كتابات بالخط الكوفي محفوره بالخشب يتجلى فيها الحدق و المهاره في استخدام حروف الكتابه في أغراض زخرفيه. و من هذه العناصر أيضا الزخارف الملونه و نكاد نراها فوق كل السطوح الظاهره، و هي أكثر ما تكون مصنوعه من الجص الابيض، و لكننا نراها فوق ألواح من الخشب في السقف»(١).

كما ان مؤلف كتاب «الفن الاسلامي» ارنست كولن Ernst Kuhnel يؤيد ان هذا الجامع قد شيد على طراز جامع سامرا(٢). كما اثبت الاثاريان المعماريان فيوليه و باتريكولو بالبرهان القاطع ان مناره جامع ابن طولون قد بنيت أول الأمر على شاكله ملويه سامرا، و ان القاعده المربعه الشكل التي تؤلف الطابق الأول من المناره قد اضيفت فيما بعد، و ذلك بعد أن أصاب الخراب الجامع في أواخر القرن السابع و قام الأمير المملوكي لاجين الملقب بحسام الدين المنصوري بتجديده في سنه ٦٩٦هـ(٣).

و كانت قد بنيت في مؤخره الجامع ميضأه و خزانه فيها جميع الشربات و الأدوية، و عليها خدم و فيها طيبب يجلس يوم الجمعه لما قد يحدث للحاضرين للصلاه(٤). كما انشأ ابن طولون الى جوار الجامع تجاه القصر و الميدان دارا لها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصوره بجوار المحراب و المنبر، و اثت هذه الدار بما يحتاج اليه من الفرش و الستائر و كان يجلس بها اذا ذهب الى صلاه

١- تراث الاسلام (لجنه الجامعيين لنشر العلم) ٢ / ١٣٥ - ١٣٧.

٢- الفن الاسلامي / ٣٤.

٣- ٣١٦ - ٣١٥ . E. M. A. P. Crewell.

٤- الانتصار / ١٢٣، و الخطط المقرزيه ٢ / ٢٦٦ و ٤٠٥.



الجمعه فيجدد و ضوءه و يغير ثيابه، و كان يقال لها دار الاماره(١).

و بلغت النفقه على الجامع مائه و عشرون ألف دينار(٢). و قد طالت الايام بجامع ابن طولون حتى أصابه الخراب فى أواخر القرن السابع. فأمر بتجديد عمارته حسام الدين المنصورى. و أوقف املاكا خصص ريعها لنفقات الجامع، و من طريق ما جاء فى باب النفقات ما يختص بالديكه التى تكون بسطح الجامع فى مكان مخصص لها لتعين المؤذنين على الأوقات، و ضمن ذلك كتاب الوقف(٣).

### المارستان:

يقول ابن دقماق لم يكن بمصر قبل أحمد بن طولون مارستان لمعالجه المرضى، فأمر أحمد ببناء المارستان الذى عرف باسمه، ثم سمي فيما بعد بالمارستان العتيق أو الاعلى(٤). و قد بنى فى سنة ٢٥٩ هـ و يقال فى سنة ٢٦١ هـ، و لعله كمل بناؤه فى السنه الأخيره.

و قد بنى فيه اضافه الى القاعات و الغرف حمامان أحدهما للرجال و الآخر للنساء. و لما فرغ من بنائه حبس عليه ايرادات بعض الاملاك كالقيساريه و سوق الرقيق. و بلغ مجموع ما انفق على المارستان و مستغله ستين ألف دينار. و كان ابن طولون اشترط ان لا يعالج فيه جندى و لا مملوك، اى أنه خصص لعامة الناس. و كان اذا جىء بالعليل تنزع ثيابه و يؤخذ ما عنده من المال و يحفظ ذلك عند امين المارستان، ثم يلبس ثيابا و يفرش له، و يفدى عليه و يراح بالادويه و الاغذيه و الأطباء حتى يشفى فيأمر بالانصراف بعد أن يعطى ماله و ثيابه. و كان الأمير أحمد يتفقد أحوال

١- الخطط المقريزيه ٢ / ٢٦٩.

٢- نفس المصدر ٢ / ٢٦٦، و الانتصار / ١٢٢، و النجوم الزاهره ٣ / ٨.

٣- الانتصار / ١٢٤.

٤- نفس المصدر / ٩٩.

المارستان فيركب اليه في كل يوم جمعه و يطلع على خزائن المارستان و ما فيها، و على أحوال الأطباء، و ينظر سائر المرضى و المحبوسين فيه من المجانين. و يذكر المقريزي حادثه وقعت للأمير مع مجنون من نزلاء المارستان، ترك ابن طولون بعدها زيارته (١).

### وفاه أحمد بن طولون:

مرض أحمد بن طولون حينما خرج الى طرسوس و سار منها الى أذنه و المصيصة و كان البرد شديدا. و يقال انه اقام في انطاكية لبضعه أيام أكثر فيها من شرب لبن الجاموس، فأصيب بالاسهال.

و قد فشل طبيبه الخاص سعيد بن توفيل الذي كان يصحبه في سفره، في معالجته لأنه لم يكن يلتزم بالحمية التي فرضها عليه.

و لما اشتدت عليه علته اراد العوده الى مصر، فثقل عليه ركوب الدواب، فعملت له عجله كانت تجر بالرجال و طئت له. فلما وصل الى الفرما ركب الماء الى الفسطاط (٢). و يقول ابن الأثير ان ابن طولون اصابته هيضه من أكل لبن الجاموس، و اتصلت حتى صار منها ذرب، و كان الأطباء يعالجونه و هو يأكل سرا، فلم ينجع الدواء (٣).

و لما وصل ابن طولون مصر اشتدت عليه علته فأمر الناس بالدعاء له، فغدا الناس بالدعاء بما فيهم النساء و الأطفال، و حضر اليهود و النصرارى كذلك للدعاء له (٤). و ما لبث ان مات ليله الأحد

١- للاطلاع على مزيد من التفاصيل عن المارستان الطولوني، راجع: الخطط المقريزيه ٢ / ٤٠٥ - ٤٠٦، و الانتصار / ٩٩.

٢- عيون الانباء / ٥٤٢، و النجوم الزاهره ٣ / ١٧ - ١٨ و جاء فيه انه نقل في محفه يحملها الرجال.

٣- الكامل ٧ / ٤٠٩.

٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٣١، و شذرات الذهب ٢ / ١٥٧.

العشر خلون من ذى القعدة سنة ٢٧٠هـ (١). و لما بلغ نبأ وفاته الخليفة المعتمد على الله جزع و حزن عليه.

كان أحمد بن طولون، كما تصفه المصادر، شجاعاً جواداً متواضعاً، حسن السيره، يتفقد أحوال رعاياه، صادق الفراسه، ذا حدس ثاقب. يباشر الامور بنفسه، و يحب رجال الدين و العلم.

و كان اذا جرت منه اساءه استغفر و تضرع بالدعاء. الا انه مع ذلك كان قاسياً طائش السيف. و يقال انه احصى من قتلهم صبراً و من ماتوا فى حبسه فكان عددهم ثمانيه عشر ألفاً. و كان كثير الصدقات و راتبه لذلك ألفاً دينار فى كل شهر. كما كانت مطابخه مفتوحه لعامه الناس يذبح فيها البقر و الكباش، و يغرف الطعام للناس فى القدور و القصاع. و يقال ان المشرف على صدقاته قال له انه قد تمتد اليه الكف الناعمه فيها الخاتم و المعصم فيه السوار، فقال له: هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فاحذر ان ترد يدا امتدت اليك و اعط كل من يطلب منك (٢).

و خلف أحمد بن طولون من الأولاد ثلاثه و ثلاثين، منهم سبعة عشر من الذكور اشتهر منهم العباس، و خمارويه، و مضر، و شيبان، و أبو العشائر (٣). و خلف فى خزائنه من الذهب عشره آلاف دينار، و من المماليك سبعة آلاف مملوك، و من الغلمان أربعة و عشرون ألف غلام، و من الخيل سبعة آلاف فرس، و من مراكبه الجياد مائه، و من البغال و الحمير ستة آلاف رأس (٤).

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٣١، و الخطط المقريزيه / ١ / ٣٢١. و الطبرى ٩ / ٦٦٦ و جاء فيه انه توفى يوم الاثنين لثمان عشره خلت من ذى القعدة.

٢- للمزيد من التفاصيل راجع: الخطط المقريزيه / ١ / ٣١٦، و النجوم الزاهره / ٣ / ١ - ٢١.

٣- النجوم الزاهره / ٣ / ٢٠، و شذرات الذهب / ٢ / ١٥٧.

٤- النجوم الزاهره / ٣ / ٢١.

## ٣- خمارويه بن أحمد بن طولون و النزاع مع الخلفاه:

## اشاره

عند ما توفي الأمير أحمد بن طولون بايع الجند ابنه خمارويه بالولاية على مصر خلفا له. و قد امتنع أخوه العباس، و هو أكبر أخوته- عن مبايعته فأمر بحجزه، و كان ذلك آخر العهد به، و يقال انه أمر بقتله(١). و قد ولى خمارويه الفقيه محمد بن عبده بن حرب البصرى القضاء، و كانت مصر قد بقيت بعد موت بكار بن قتيبه بغير قاض زهاء سبع سنوات. نظر خلالها ابن عبده فى المظالم، و كان سخيا مهيبا، يرهبه الشهود، و يجله الامير خمارويه و يعظمه و يجرى عليه كل شهر ثلاثه آلاف دينار، و قد فوض اليه مع القضاء النظر فى المظالم و الموارث و الاوقاف و الحسبه. و امتاز ابن عبده بالجرأه و قوه الحجج بحيث لما اختلف الامير خمارويه مع بعض كبار قواده توسط بينهم و أصلح الحال، فشكر له الأمير سعيه. و كان لابن عبده مجلسان أحدهما للفقه يحضره الفقهاء، و الآخر للحديث يحضره الحفاظ. و لم يزل بنظر فى القضاء و غيره مما فوض اليه الى ان قتل أبو الجيش خمارويه. فلما تولى ابنه جيش اماره مصر أقره على عمله، فاستمر حتى خلع الأمير، فرجع الى داره و استتر خوفا من الفتنة. و عند ما تولى محمد بن سليمان الكاتب امره مصر من قبل الخليفه المكتفى بالله اعاد ابن عبده الى منصب القضاء. فلبث فيه يسيرا ثم سار الى العراق صحبه محمد بن سليمان و اقام فيه الى ان مات فى سنه ٣١٣هـ (٢).

أما علاقته خمارويه بالخلفاه فقد استمرت القطيعه التى حدثت فى أيام أبيه مع الموفق بسامرا. فاستغل والى الموصل اسحاق بن كنداج و والى أرمينية ابن ابى الساج الفرصه و كاتبا الموفق يستمدانه على محاربه خمارويه، فامرهما بمحاربتة و وعدهما

١- نفس المصدر ٣/ ٤٩، و كتاب الولاه و كتاب القضاء/ ٢٣٣.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء/ ٥١٦- ٥١٨.

بالمساعدة و انفاذ الجيوش اليهما(١). فقصد ما يجاورهما من البلاد فاستوليا عليها. و اعانها والى ابن طولون فى دمشق فاعلن عصيانه على خمارويه، مما سهل لهما الاستيلاء على حلب و حمص و انطاكيه. فبلغ الخبر خمارويه فسير جيشا الى بلاد الشام فدخل دمشق ثم سار لمقابله جيش ابن كنداج و ابن ابى الساج فى شيزر.

فطاوله اسحاق حتى وصله المدد من العراق بقيادة ابى العباس أحمد بن الموفق، فاشتبك الطرفان و تغلب الجيش العراقى، و جلا جيش ابن طولون عن دمشق الى الرمله.

ان هزيمة جيش خمارويه اضطرته على ان يخرج بنفسه على رأس جيش كبير. فالتقى بجيش أبى العباس عند الماء الذى عليه الطواحين قرب الرمله، فدارت معركة عرفت بمعركة الطواحين، هزم بها خمارويه و عاد هاربا الى الفسطاط. الا ان قسما من جيشه بقيادة سعد الأيسر ثبت فى القتال و استطاع ان يهزم أبا العباس و يطارده حتى استرجع دمشق منه. و يظهر ان سعدا لما رأى خمارويه يهرب من ميدان المعركة استخف به فعصى بدمشق، مما اضطر خمارويه على العوده ثانيه اليها فدخلها و قبض على سعد و قتله(٢).

و يقول ابن الاثير ان خمارويه عامل اسرى جيش ابى العباس معاملة لم يسبقه الى مثلها أحد من القواد قبله. فقال لاصحابه ان هؤلاء أضيافكم فأكرموهم، و قال للاسرى من اختار المقام عندى فله الاكرام و المواساه و من اراد الرجوع جهزناه و سيرناه، فمنهم من أقام و منهم من سار مكرما(٣).

١- الكامل ٧ / ٤١٠.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٢٣٥- ٢٣٦، و الطبرى ٨ / ١٠ و يسميه سعد الاعسر، و الكامل ٧ / ٤١٥ و يسميه سعيد الايسر.

٣- الكامل ٧ / ٤١٥.

و كان اسحاق بن كنداج قد سار بجيشه ثانيه نحو الشام لاسترجاعها من الطولونيين، فعاد خمارويه على رأس جيشه، فالتقى بجيش اسحاق فهزمه حتى عبر الفرات، كما استطاع التغلب على جيش ابن ابي الساج الذي كان يسير نحو دمشق فهزمه حتى عبر نهر الفرات كذلك(١).

و استطاع خمارويه ان يستميل اليه يا زمان الخادم المتغلب على طرسوس، فعاد الى طاعته و دعا له بعد ان كان خرج على أبيه، فانفذ اليه ثلاثين ألف دينار و خمسمائه مطرف و سلاحا(٢). و يبدو ان تغلب خمارويه على القائدين ابن كنداج و ابن ابي الساج كان له تأثيره على يازمان و قدر انه لن يقوى على الصمود أمام جيش خمارويه اذا ما هاجم طرسوس، فآثر الصلح على الهزيمة.

و يظهر ان معركة الطواحين و المعارك التي تلتها اقنعت كلا من أبي العباس أحمد بن الموفق و خمارويه بن أحمد بن طولون بأن استمرار النزاع بينهما غير مجد، فمال كل منهما نحو المصالحة.

فكتب خمارويه الى ابي أحمد الموفق يسأله الصلح على مال يبذله عن ما فى يده من البلاد. فاجابه أبو احمد الى ذلك، و كتب اليه كتابا قدم به فائق الخادم الى الفسطاط فى رجب سنة ٢٧٣ هـ يذكر فيه ان الخليفة المعتمد على الله و أبا أحمد الموفق و ابنه أبا العباس كتبوه بايديهم، بولايه خمارويه و ولده مدده ثلاثين سنه على مصر و الشامات. فأمر خمارويه بالدعاء لأبي أحمد و ترك الدعاء عليه(٣).

و عند وفاه الموفق فى سنة ٢٧٨ هـ تولى ابنه أبو العباس أحمد ما كان يتولاه أبوه، و استحوز على عمه الخليفة المعتمد على الله،

١- نفس المصدر ٧/ ٤٢٧-٤٢٨.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاة/ ٢٣٩، و الطبرى ١٠/ ١٨، و الكامل ٧/ ٤٣٩.

٣- كتاب الولاة و كتاب القضاة/ ٢٣٧-٢٣٨، و النجوم الزاهرة ٣/ ٥١-٥٢.

و أصبح وليا للعهد. و توفي الخليفة في السنه التاليه فبويح لأبى العباس بالخلافه و لقب بالمعتضد بالله. فبعث اليه خمارويه بن أحمد بن طولون بهدايا و تحف، اذ قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر «و معه هدايا من العين عشرون حملا على بغال و عشره من الخدم و صندوقان فيهما طراز و عشرون رجلا على عشرين نجيبا بسروج محلاه بحليه فضه كثيره، و معهم حراب فضه، و عليهم أقيبه الديباج و المناطق المحلاه و سبع عشر دابه، بسروج و لجم منها خمسه بذهب و الباقي بفضه، و سبع و ثلاثون دابه بجلال مشهره، و خمسه بغل بسروج و لجم، و زرافه، يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال، فوصل الى المعتضد، فخلع عليه و على سبعة نفر معه. و سفر ابن الجصاص في تزويج ابنه خمارويه من على بن المعتضد، فقال المعتضد: أنا أتزوجها، فتزوجها»<sup>(١)</sup>. و لما تصاهر خمارويه مع المعتضد بالله زالت الوحشه التي كانت بينهما، فولده خمارويه مع المعتضد بالله زالت الوحشه التي كانت بينهما، فولاه المعتضد بالله من الفرات الى برقه و جعل اليه الصلاه و الخراج و جميع الاعمال على ان يحمل خمارويه الى المعتضد بالله في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى و ثلاثمائة ألف دينار عن كل عام للمستقبل، ثم قدم رسول الخليفة الى خمارويه بالخلع و كانت اثنتي عشره خلعه و سيفا و تاجا و وشاحا<sup>(٢)</sup>.

### اهتمام خمارويه بالبناء و التعمير:

بعد ان انهى خمارويه مشاكله مع الخلافه و استقر حكمه على مصر و بلاد الشام و الثغور انصرف الى البناء و التعمير، و يظهر انه

١- الطبرى ١٠ / ٣٠، و النجوم الزاهره ٣ / ٥٢ - ٥٣.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٤٠، و النجوم الزاهره ٣ / ٥٣، و الطبرى ١٠ / ٤٢ و جاء فيه ان المعتضد بلغه نبأ وفاه خمارويه فأمر الرسول بالرجوع اليه.

كان شغوفاً بذلك، وقد ساعده ما وجدته في بيت المال من ذهب و أموال طائلة على ان ينفق ببذخ و اسراف على ما انشأه من القصور و الحدائق و المنتزهات. و قد اسهب المقریزی في تعداد و وصف منشآته و ما انفق عليه من الاموال مما يدل على ميله للبذخ و حبه الترف. فزاد في في قصر أبيه و وسعه كثيرا بما اضافه اليه، فعمل فيه مجلسا برواق سماه «بيت الذهب» طلى حيطانه كلها بالذهب المزين باللآزورد بأحسن النقوش، و جعل فيه صورا بارزه من الخشب تمثله مع الحظايا و المغنيات و على رؤوسهن الأكاليل من الذهب مرصغه باصناف الجواهر، و لونت أجسامها بما يشبه الثياب بالاصباغ العجيبه(١).

و جعل بين يدي بيت الذهب فسقيه ملاءها زئبقا لأنه شكا الى طبيبه الأرق فأشار عليه بعمل برکه من الزئبق. فعمل برکه مربعه طول ضلعهما خمسون ذراعا و ملاءها بالزئبق، و جعل في أركان البرکه سكاكا من الفضة الخالصه و جعل في السكاك زنانير من حرير محكمه الصنع في حلق من الفضة و عمل فراشا من الجلد يحشى بالهواء حتى ينتفخ فيحكم شده و يلقي على تلك البرکه و يشد بزنانير الحرير التي في حلق الفضة ليثبت في مكانه، فينام على هذا الفراش، و لا يزال الفراش يرتج و يهتز بحركة الزئبق مادام عليه. و كانت هذه البرکه من أعظم ما سمع به، فكان يرى لها في الليالي المقمره منظر عجيب اذا تألق نور القمر بنور الزئبق. و انفق على ذلك مالا طائلا. و قد أقام الناس بعد خراب القصر مده يحقرون لجمع الزئبق من شقوق البرکه(٢).

أما الميدان الذي انشأه أبوه فقد جعله بستانا زرع فيه أصناف الاشجار و أنواع النخيل، و حمل اليه من مختلف البلدان أصنافا من

١- الخطط المقریزیه ١/ ٣١٦-٣١٧، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٤، و فيه انه بنى دار الذهب في البستان.

٢- الخطط المقریزیه ١/ ٣١٧، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٥، و الانتصار/ ١٢٢.



الشجر المطعم، و غرس فيه أنواع الورد، و زرع الريحان على شكل نقوش و كتابات يتعهد بها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقه على ورقه. و زياده فى البذخ كسا جذوع النخيل نحاسا مذهبا حسن الصنعه، و جعل بين النحاس و أجسام النخل أنابيب الرصاص يجرى فيها الماء ليخرج من تضاعيف جذع النخل فينحدر الى فساقى يفيض منها الماء الى مجارى تسقى البستان. و بنى فى البستان برجا واسعا من خشب الساج المنقوش بالنقر، ليقوم مقام الأفصاص، و بلط أرضه و زوقه بأصناف الأصباغ. و سرح فيه أصناف القمارى و الطيور الجميله. و جعل فيه أوكارا مثبته فى جوف الحيطان لتفرخ فيها. و سرح فى البستان الطواويس و دجاج الحبش و نحوه(١).

و شيد فى القصر فيه شاهقه الارتفاع سماها «الدكه» كانت من أجمل مبانى القصر بزخارفها و نقوشها و ألوانها، و جعل على نوافذها الستائر التى تقى الحر و البرد، فتسبل اذا شاء، و ترفع اذا أحب. و فرش أرضها بالفرش النادر الثمين، و عمل لكل فصل من فصول السنه فرشا يليق به. و كان خمارويه كثيرا ما يجلس فى هذه الدكه ليفرج منها على جميع ما فى داره من البستان و غيره، و يشرف على الصحراء و النيل و الجبل و جميع المدينة(٢).

و بنى للوحوش التى كانت عنده دورا مفردة لكل صنف من الحيوان كالنمور و الفهود و السباع و الفيله و الزرافات. و كان يحب الاسود كثيرا فبنى لها دارا خاصه فى قصره، فيها قاعات تسع كل منها أسد و لبوته. و لتلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها و منفذ صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمه ذلك البيت. و فى كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء. و أمام هذه

١- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٦، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٣-٥٤.

٢- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٧، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٦.

البيوت قاعه فسيحه فرش فيها الرمل، فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع اللحم المعين لغذائه رفع الباب بحيله من أعلى البيت و صاح بالسبع فيخرج الى القاعه المذكوره، فيرد السائس الباب و ينزل الى البيت من المنفذ الصغير فيبدل الرمل بغيره مما هو نظيف، و يضع اللحم فى مكانه المعين، و يغسل الحوض و يملؤه ماء ثم يخرج و يرفع الباب من أعلاه. و قد عرف السبع ذلك فحالما يرفع السائس باب البيت يدخل اليه السبع. و هناك أوقات معينه تفتح فيها سائر البيوت فتخرج السباع الى القاعه الفسيحه و تتمشى فيها و تمرح و تلعب و يهارش بعضها بعضا، و تقيم على ذلك حتى يصيح بها السواس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره(١).

و كان عند خمارويه سبع أزرق العينين سماه «زريق» قد أنس بسيده و صار مطلقا فى الدار لا يؤذى أحدا. فاذا نصبت المائده أقبل زريق معها و ربض بين يدي خمارويه فيرمى اليه الدجاجه و الفضله الصالحه من الجدى و نحو ذلك مما على المائده فيتنفكه بها.

و كان زريق يحرس خمارويه اذا نام، فاذا كان قد نام على سرير و ربض بين يدي السرير و جعل يراعيه مادام نائما، و ان كان نائما على الأرض بقى قريبا منه، و انتبه لمن يدخل و يقصد خمارويه و لا يغفل عن ذلك لحظه. و قد ألف ذلك و درب عليه، و كان فى عنقه طوق من الذهب(٢).

### وفاه خمارويه:

دام حكم خمارويه اثنتى عشره سنه، و كانت نهايته انه قتل فى دمشق فى منتصف ذى الحجه سنه ٢٨٢ هـ على أيدي بعض خدمه،

١- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٧، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٦-٥٧.

٢- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٧، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٧.

و هناك عده روايات عن سبب و كيفية قتله<sup>(١)</sup>. فحمل فى تابوت من دمشق الى مصر. كان خمارويه جوادا الى حد الاسراف، متلافا للمال، انفق أموالا طائلة فى تزيين قصوره و مجالسه. شغوفا بالصيد و سباق الخيل، و قد بنى ميدانا للسباق أكبر من ميدان أبيه، و كانت حلبه السباق فى أيامه تقوم مقام الأعياد لكثرة ما يتخذ فيها من الزينه، و ركوب سائر الغلمان و العاكو على كثرتهم بالسلاح التام و العدد الكامله، فيخرج الناس للتفريج عليهم. و كان عرض الخيل هذا يعتبر من عجائب الاسلام الأربع التى منها هذا العرض و رمضان بمكه و العيد بطرسوس و الجمعه ببغداد<sup>(٢)</sup>.

و كان خمارويه شديد الاهتمام بجيشه فلا يؤخر أرزاقهم، و قد بلغت فى أيامه تسعمائه ألف دينار فى السنه، و قد سار على نهج أبيه فى فتح مطبخه للناس و سماه بمطبخ العامه و بلغت نفقته على عهده ثلاثه و عشرين ألف دينار فى كل شهر<sup>(٣)</sup>.

وصف خمارويه بأنه كان طويل القامه مهيبا ذا سطوه، اذا سار فى موكبه لا يسمح من أحد كلمه، و لا عطسه و لا سعله و لا نحنحه البته، كأن الناس على رؤوسهم الطير، لما وقع فى أذهانهم انه متى اشار اليه أحد بيده أو قرب منه لحقه مكروه عظيم، و قد اتخذ لنفسه حرسا خاصا من أبناء الحرف المعروفين بالشجاعه و البأس و ضخامه الجسم، و ادر عليهم الارزاق و العطاء، و ألبسهم الأقيبه و جواشن الديقاج، و صاغ لهم المناطق العراض الثقال، و قلدهم السيوف المحلاه يضعونها على أكتافهم، اضافه الى ألف من السودان لهم درق الحديد و عليهم أقيبه و عمائم سود فيخال الناظر اليهم بحرا

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٤١، و الخطط المقيزيه / ١ - ٣٢١ - ٣٢٢ و الكامل ٧ / ٤٧٤ - ٤٧٥.

٢- الخطط المقيزيه / ١ / ٣١٨.

٣- الخطط المقيزيه / ١ / ٣١٨، و النجوم الزاهره / ٣ / ٥٩.

أسود يسير لسواد لونهم و ثيابهم، و يصير لبرق درقهم و سيوفهم و البيض تلمع على رؤوسهم تحت العمائم، منظر بهيج (١).

#### ٤- نهاية اماره بنى طولون:

لم تدم اماره بنى طولون بعد وفاه خمارويه الا يسيرا. فقد تولى الاماره بعده ابنه أبو العساكر جيش الذى خلعه أخوه هارون و تولى الاماره مكانه. و فى عهد هارون عاث القرامطه فى بلاد الشام و حاصروا عامل الطولونيين عليها و هزموا جيشه مما اضطر الخليفه المكتفى بالله أن يرسل فى سنه ٢٩٠ هـ جيشا من العراق بقياده محمد بن سليمان الكاتب لحرب القرامطه فهزمهم و شتت شملهم (٢). و حينئذ رأى الخليفه ان لا مبرر لبقاء الأمير الطولونى الضعيف، فبعث القائد المذكور واليا على مصر و أمره بازاله آل طولون من مصر و الشام. فدخل محمد بن سليمان مصر فى أواخر ذى الحجه سنه ٢٩١ هـ فبرز هارون لقتاله و حاربه أياما الا انه استسلم اخيرا فقبض ابن سليمان على بنى طولون و هم بضعه عشر رجلا- و حبسهم و استصفى أموالهم، ثم اشخصهم الى بغداد (٣).

و بذلك انتهى عهد الاماره التى اسسها أحمد بن طولون فى مصر.

و لعل أهم أسباب ضعف اماره بنى طولون بعد مؤسسها، و سقوطها بهذه السرعة ان أمراءها كانوا غرباء عن مصر، و قد اتخذوا لحراستهم أقواما مأجورين و أغلبهم من الأجانب. كما ان

١- نفس المصدر، و النجوم الزاهره ٣ / ٥٩ - ٦٠.

٢- الطبرى ١٠ / ١٠٧، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧٤٧ - ٧٤٨.

٣- الطبرى ١٠ / ١١٥ - ١١٦ و ١١٨ / ١١٩، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧٤٨.

جيشهم كان فى أغلبيته و بخاصه قواده من الأتراك. و من الطبيعى ان مثل هذا الحكم لا يستقيم الا اذا كان على رأسه رجل ذو شخصيه قويه و كفايه عاليه كأحمد بن طولون مؤسس الاماره، و الا فسرعان ما يدب الضعف فيه و ينهار. و مما سرع فى نهايه هذه الاماره النزاعات التى قامت بين أفراد الاسره منذ أيام خمارويه و بعده للاستحواذ على السلطه، ثم انصراف الأمراء الى اللهو و حياه البذخ و الترف.

## الفصل الرابع اماره الصفارين

## ١- تأسيس الاماره:

نشأت هذه الاماره فى ولايه سجستان فى القسم الشرقى من الدوله العربيه. أسسها يعقوب بن الليث الذى كان أول أمره يعمل فى صنع الصفر، و لهذا عرفت باماره الصفارين. و يظهر ان يعقوب كان شجاعا طموحا ذا حيله و دهاء. فقد عمل هو و أخوته مع المتطوعين فى مقاومه الخوارج الذين استفحل أمرهم فى تلك الولايه.

و استطاع بتدبيره و حسن سياسته أن يتولى رئاسه هؤلاء المتطوعين، و قد اكسب عمله صفه الشرعيه باعتبار ان المتطوعين يعملون لنصره الخلافه فى مقاومه المارقين. وجد فى محاربه الخوارج حتى اقتاهم، فاشتدت شوكته و اطاعه أصحابه، و رأى انه يستطيع توجيههم لامتلاك سجستان. فاستغل ضعف الطاهريين الذين انهمكوا فى حياه الترف و ركنا الى الراحة، و كانت سجستان احدى الولايات التابعه لهم. فثار يعقوب مع اتباعه يعاملهم عليها فى سنه ٢٥٣ هـ، و انتزع الولايه منه، و انفرد بحكمها متظاهرا بطاعه الخليفه و مدعيا بانه هو الذى أمره بقتال الخوارج(١).

يقول اليعقوبى ان الشراه كادوا ان يتغلبوا على سجستان، فسأل يعقوب ابن الليث الصفار محمد بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان، و كانت سجستان تابعه له، بأن يأذن له فى جمع المتطوعين و الخروج اليهم، فاذن له بذلك. فقاتل يعقوب الشراه حتى أبادهم فى سجستان و كرمان فعظم شأنه. فكتب الخليفه المستعين بالله الى محمد بن عبد الله ان يوليه كرمان(١). و يرجح ان اليعقوبى أوهم فيما يتعلق بكرمان لأن يعقوب دخلها فى سنه ٢٥٥ هـ (٢) و كان قد استولى على فارس فى نفس السنه و دخل شيراز(٣). و لما عاد الى سجستان بادر الخليفه المعتر بالله بارسال عماله الى أعمال فارس، مما يدل على عدم رضائه عن اعمال يعقوب، رغم انه كتب اليه بطاعته و وجه اليه بدواب و بزاه و مسك هديه، كما سنشير اليه فيما بعد.

على ان طموح يعقوب الصفار لم يقف عند حدود سجستان، بل اخذ يعمل على توسيع رقعته سلطانه. و حاول ان يظهر بمظهر من يجاهد فى سبيل الاسلام تحت رايه الخليفه. فهاجم ممالك الترك المتاخمه لحدود سجستان و حارب ملوكها و قتل بعضهم فهابه الآخرون و اذعنوا له. فأمن بذلك الحدود الشرقيه لولايته، و اخذ يتطلع الى الولايات المحيطه به، و كانت ضمن سلطان الطاهريين الذين طمع يعقوب باملاكهم. ان الأمعان فى تتبع خطوات يعقوب الصفار فى توسيع سلطانه يظهر انه كان قد اتخذ طريقه جديده للقضاء على الدوله العرييه، و ذلك باقتطاع أجزائها من ولايتها بحجه الانتصار للخلافه. و بدلا من أن يعلن الخروج على الدوله يسيطر عليها بأن يجعل الخليفه تحت حمايته. و قد استطاع ان يحقق ذلك الى حد بعيد مستفيدا من ضعف الطاهريين من جهه،

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٥.

٢- الطبرى ٩ / ٣٨٢، و الكامل ٧ / ١٩١.

٣- الطبرى ٩ / ٣٨٦، و الكامل ٧ / ١٩٤.

و انشغال جيوش الدوله بحرب الزنج من جهه أخرى. و تنفيذًا لسياسته هاجم يعقوب في سنه ٢٥٣ هـ هراه من خراسان، فخرج اليه محمد بن أوس الانباري عامل الطاهريين عليها لرد هجومه، الا انه هزم، و استولى يعقوب على مدينتي هراه و بوشىخ(١).

## ٢- توسع الاماره:

### الاستيلاء على فارس و كرمان:

بعث يعقوب الصفار الى الخليفه المعتر بالله هديه سنیه من جملتها مسجد من الفضه يتسع لخمسه عشر شخصا، و سألہ الولايه على فارس. و قبل أن يصل اليه جواب الخليفه شخص بجيشه نحو كرمان(٢). و كان عامل الطاهريين على فارس على بن الحسين بن سبل قد كتب الى الخليفه يطلب الولايه على كرمان. فكتب اليه الخليفه بولايه كرمان، و كتب بنفس الوقت الى يعقوب الصفار بولايته ايضا. و كان يهدف الى اغراء كل منهما بالآخر ليتخلص من أحدهما، لعلمه بان طاعتهما للخلافه ظاهريه و انهما يريدان التوسع على حسابها. فارسل على بن الحسين الى كرمان جيشا على رأسه طوق ابن المغلس، فسار اليها و استولى عليها. فاقبل يعقوب على رأس جيشه و أقام قريبا من المدينه، فلم يخرج طوق الى محاربتة. فعمد يعقوب الى الخداع فأظهر الارتحال عن المدينه، و عاد بجيشه مرحلتين عنها. فظن طوق انه عاد ادراجه عاجزا عنه، فركن الى الراحة و اللهو. ففكر يعقوب راجعا بسرعه و طوى المسافه في يوم واحد، و أحاط بطوق و أصحابه الذين بادروا الى الهرب، فأسر طوقا و استولى على المدينه. و يقال ان يعقوب لما نزع خفه من رجله تناثرت منه كسر خبز يابسه، فقال: يا طوق هذا خفى لم

١- الكامل ٧ / ١٨٥، و وفیات الاعيان ٥ / ٤٤٦.

٢- وفیات الاعيان ٥ / ٤٤٧.



أنزعه منذ شهرين، وخبزى فى خفى منه آكل، و لا أظأ فراشا، و انت جالس فى الشرب و الملاهى، بهذا التدبير أردت حربى و قتالى(١)؟

و لما بلغ على بن الحسين ما فعله يعقوب بطوق ايمن بانه سيهاجم شيراز للاستيلاء عليها، فجمع جيشه و استعد لملاقاته، و تحرك نحو مضيق و اقام على رأسه، و هو ضيق لا- يمكن اجتيازه طالما كان الجيش عليه. فعبر يعقوب النهر باصحابه و صار خلف جيش على و قطع عليه طريق الرجعه، و بذلك أسر عليا و هزم جيشه. فقيده يعقوب و احتوى على جميع ما فى عسكره، و دخل شيراز فنهب جيشه دور على و أصحابه، و استولى هو على ما فى بيت المال، و جبي الخراج ثم عاد الى سجستان ظافرا(٢). و يقال ان يعقوب لما عبر النهر اشتبك بحرب شديده مع جيش على و هزمه و دخل مدينه شيراز و كان يظن ان أهلها سيقاومونه فيستحل دماءهم و أموالهم. الا انهم ركنوا الى المسالمة و أقاموا فى بيوتهم، مما اضطره على أن ينادى بالأمان. فأطمأن الناس و خرجوا الى أعمالهم. و أخذ يعقوب من أموال على ألف بدره و يقال اربعمائه، و من السلاح و الخيول و غير ذلك مما لا يعد(٣). و عذب على بن الحسين بأنواع العذاب فاستخرج منه أربعة آلاف ألف درهم. و كان يعقوب و عد أصحابه بان يسمح لهم بنهب مدينه شيراز، فعوضهم عن نهبها بثلاثمائه درهم لكل رجل(٤).

كتب الصفار الى الخليفه يعلمه بانتصاره و يتقدم اليه بالطاعه، و بعث مع رسالته هديه من البزاه و المسك و طرائف أخرى، ثم عاد الى سجستان و معه أسيريه على بن الحسين و طوق بن المغلس، و لما

١- الطبرى ٩ / ٣٨٤، و الكامل ٧ / ١٩٢.

٢- الطبرى ٩ / ٣٨٥-٣٨٦، و الكامل ٧ / ١٩٣.

٣- الكامل ٧ / ١٩٤.

٤- وفيات الاعيان ٥ / ٤٥٢.

فارق يعقوب فارس أرسل الخليفة عمالها عليها(١). ثم تحرك يعقوب في سنة ٢٥٧ هـ للاستيلاء على فارس مجدداً. فأرسل اليه الخليفة المعتمد على الله ينكر عليه عمله. الا ان الموفق أخا الخليفة و المهيمن على شؤون الدوله رأى ان يهادن ابن الليث حتى يستطيع ان يتفرغ لحرب صاحب الزنج، فكتب اليه بالولايه على طخارستان و سجستان و السند و بلخ، فسار يعقوب الى بلخ ثم الى كابل. و لما عزم على العوده رأى أحد قواده قد حمل بعض أنقاله، فغضب و قال:

أترحلون قبلي؟ و أقام و جيشه سنه كامله في مدينه بست، عاد بعدها الى سجستان(٢).

### الاستيلاء على خراسان:

كان يعقوب الصفار، كما ذكرنا، يطمع بالاستيلاء على خراسان، و هو يعرف ان محمد بن عبد الله أعجز من ان يستطيع رده عنها. الا انه لم يكن هناك ما يسوغ له مهاجمتها. و قد سئحت له هذه الفرصه حينما هرب عبد الله السجزي الذي كان ينازعه على سجستان و التجأ الى محمد بن عبد الله في نيسابور. فأرسل يعقوب الى الطاهري يطلب اليه ان يسلمه السجزي. و لما رفض محمد طلب يعقوب سار هذا نحوه بجيشه في سنة ٢٥٩ هـ. و لما رأى الأمير محمد أن جيش الصفار صار على مقربه منه و انه لا قبل له به حاول ان يسترضيه، فوجه اليه يستأذنه في تلقيه، فلم يأذن يعقوب له، فبعث محمد بعمومته و رجال من أهل بيته فتلقوه. فدخل يعقوب نيسابور في شوال، فزاره محمد في مضربه الا انه اساء مقابله و وبخه على تفريطه في عمله، ثم حبسه و اهل بيته(٣). و يقال انه القى القبض عليه و قيده و قبض على نحو مائه و ستين رجلا من أهل

١- الطبري ٩/ ٣٨٦، و الكامل ٧/ ١٩٤-١٩٥.

٢- الكامل ٧/ ٢٤٧.

٣- الطبري ٩/ ٥٠٧، و الكامل ٧/ ٢٦١-٢٦٣.

بيته و حملهم الى سجستان(١). و يرى ابن الاثير ان سبب عدم استعداد الأمير محمد لمقابلة جيش يعقوب ان بعض أهل محمد و حاشيته لما رأوا ضعفه و ادياره مالوا الى يعقوب و كاتبوه بدعوته من جهه، و هو نوا أمره على محمد و أقنعوه بان لا خوف على ولايته منه من جهه أخرى، فركن محمد الى أقوالهم و لم يتحرز و يستعد لمقابله(٢).

و هكذا استولى يعقوب الصفار على خراسان دون قتال. فرتب نوابه فى أعمالها، و كتب الى الخليفة يذم محمد بن عبد الله بن طاهر و يصفه بالتقصير فى عمله، و ان العلويين تغلبوا فى طبرستان لضعفه عن مقاومتهم. و ادعى بأن أهل خراسان خرجوا اليه يسألونه المسير اليهم. الا ان الخليفة المعتمد على الله لم يقر تصرف يعقوب. اذ اجتمع جعفر بن المعتمد على الله و الموفق فى ديوان الجوسق و حضر القواد، فذكر رسل يعقوب ان الشراه و المخالفين قد غلبوا على خراسان و ضعف محمد عنهم، و ذكروا مكاتبه أهل خراسان و مساءلتهم يعقوب ان يقدم عليهم، و انه لما صار الى نيسابور أهلها و ادخلوه المدينة. فتكلم أبو أحمد الموفق و الوزير عبيد الله بن يحيى و قالوا- للرسول ان أمير المؤمنين لا- يقر يعقوب على ما فعله و انه يأمره بالانصراف الى العمل الذى ولاه اياه، و انه لم يكن له ان يفعل ذلك بغير أمره، فان رجع كان من الأولياء، و الا لم يكن له الا ما للمخالفين(٣).

### الاستيلاء على طبرستان و فارس:

عند ما دخل يعقوب الصفار نيسابور هرب عبد الله السجزي الى الحسن بن زيد فى طبرستان، فسار يعقوب فى أثره. فلما صار قرب

١- الكامل ٧ / ٢٦٣، و كتاب البلدان و فيه ان يعقوب حملهم فى الاصفاد الى قلعه يم يكرمان.

٢- الكامل ٧ / ٢٦٢.

٣- الطبرى ٩ / ٥٠٧.

مدينه ساريه كتب الى الحسن يسأله ان يبعث اليه بعبد الله السجزي فينصرف عنه و انه جاء الى طبرستان من أجله و ليس للحرب، فابى الحسن تسليمه. فقامت الحرب بين الطرفين قرب ساريه و هزم جيش الحسن، فدخلها يعقوب كما دخل مدينه آمل، و جبي خراجهما لسنة. و اخذ جيشه يعقب الحسن فى جبال طبرستان. الا ان كثره الأمطار اعاقته عن الاستمرار فى ملاحقته، لا سيما و ان الحسن افلت و دخل أرض الديلم. و كتب يعقوب الى الخليفه بما فعله بالحسن بز زيد من الهزيمة(١). ثم سار الى الرى التى التجأ اليها السجزي، و كان الصلابى عاملا عليها فسارع الى القبض على السجزي و تسليمه، فتسلمه يعقوب و قتله و عاد راجعا عن الرى(٢).

و كان ابن واصل قد تغلب على فارس و قتل عاملها الحارث بن سيماء، فاضاف الخليفه فارس الى القائد موسى بن بغا مع الأهواز و البصره و البحرين و اليمامة مع ما كان اليه. فوجه موسى قائده عبد الرحمن بن مفلح واليا على فارس و الأهواز. فلم علم ابن واصل بذلك زحف للقائه، فالتقى برامهرمز و اقتتلا فانهمز جيش عبد الرحمن و وقع هو اسيرا بيد ابن واصل الذى غنم ما فى عسكره من العدد و الاموال، ثم قتله، رغم ان الخليفه ارسل اليه يأمره باطلاق سراحه(٣).

و لما اتصل بيعقوب الصفار خبر انتصار ابن واصل على عبد الرحمن بن مفلح تجدد طموحه فى الاستيلاء على فارس و ان يغنم ما أخذه ابن واصل من أموال و سلاح. فقصدها فى سنة ٢٦١ هـ بجيش كبير و كتب الى ابن واصل يطلب اليه الدخول فى طاعته.

فحبس ابن واصل رسل الصفار، و توجه فى يوم شديد الحر لملاقاه

١- الطبرى ٩ / ٥٠٨ - ٥٠٩، و الكامل ٧ / ٢٦٨.

٢- الطبرى ٩ / ٥١٠، و الكامل ٧ / ٢٦٩ و فيه جاء اسم الصلابى: الصلاتى.

٣- الطبرى ٩ / ٥١٢ - ٥١٣، و الكامل ٧ / ٢٧٥.

جيشه، و كان قد عزم على مباغتته. الا ان يعقوب علم بخروج ابن واصل بجيشه نحوه فقصده. و كان التعب و العطش قد ارعقا جنود ابن واصل بحيث لم يستطيعوا مقابله هجوم يعقوب فانهمزوا أمامه من غير قتال. فتبعهم عسكر الصفار و استحوذوا على جميع ما كانوا غنموه من ابن مفلح. و مضى ابن واصل منهزما، و استولى يعقوب على قلعتة و احتوى على ما فيها من الأموال، و كانت اربعين ألف ألف درهم(١).

### ٣- حرب الصفار مع الخليفة و هزيمته:

أقام يعقوب الصفار بعد انتصاره على ابن واصل، بجرجان يعسف أهلها بالخراج و يأخذ أموال الناس. فأتى جماعه من أهلها الى حاضره الخلافه فستلوا عن سياسته فيهم فاشتكوا من جبروته و تعسفه و اخذه أموالهم بالباطل. و كان الخليفة قد ادرك خطر يعقوب لمطامحه الواسعه و جشعه، فأمر أمير بغداد عبيد الله بن عبد الله أن يجمع من كان ببغداد من حجاج خراسان و الري و طبرستان و جرجان و يقرأ عليهم كتابه بانه لم يول يعقوب الصفار خراسان و لم يكن دخوله اليها و أسره محمد بن عبد الله بأمره و يأمرهم بالبراء منه(٢). فلما نمت الخبر الى يعقوب و انكشف له رأى الخليفة فيه خرج على رأس جيشه فى المحرم سنة ٢٦٢ هـ الى الأهواز، و لما وصل عسكر مكرم بعث كتابا الى الخليفة يسأله ان يوليه خراسان و فارس و طبرستان و جرجان و الري و أمر الشرطه فى سامرا و بغداد. أى أن يعترف الخليفة بتجاوز الصفار و استيلائه

١- الطبرى ٩/ ٥١٤، و الكامل ٧/ ٢٧٧.

٢- الطبرى ٩/ ٥١٢، و وفيات الاعيان ٥/ ٤٥٤-٤٥٥ و جاء فيه ان عبيد الله عمل ثلاثين نسخه من الكتاب و دفع الى أهل كل بلد نسخه منه ليذيعوا ما جاء فيه.

على هذه الولايات و ان ذلك كان يأمر منه. فحاول الموفق ان يكسب بعض الوقت ليستعد لحربه فأجابه الى ما طلب، و امر باطلاق من كان فى الحبوس من أصحاب يعقوب، و أحضر جماعه من التجار، و يظهر انهم كانوا من تجار الولايات المذكوره، ممن كانوا حينذاك بسامرا و بغداد، و أعلمهم ان أمير المؤمنين الخليفه أمر بتوليّه يعقوب خراسان و طبرستان و جرجان و فارس و الرى و الشرطه بمدينه السلام. و بعث الخليفه رسولا بذلك الى يعقوب. فعاد الرسول يقول ان يعقوب لا يرضيه الا ان يسير الى باب المعتمد على الله، و انه سيتابع سيره عازما على دخول حاضره الخلافه(١).

يظهر مما تقدم ان يعقوب الصفار عازم على اجتياح عاصمه الدوله العرييه و وضع الخليفه تحت حمايته، لأنه اعتبر موافقته على طلباته دليلا على ضعف الدوله من ان ترده، لا سيما و ان جيوشها تحارب صاحب الزنج فى جنوبي البلاد، و اراد أن لا تفوته الفرصه من تحقيق احلامه بالاستيلاء على مقر الخلافه و الاطاحه بالدوله العرييه.

و كان القواد الأتراك و قد ادركوا خطر يعقوب الصفار عليهم، ارتابوا بموقف الخليفه و أخيه من مخالفه يعقوب، و اتهموها بالتواطؤ معه، و انه قدم الى عاصمه الخلافه بأمرهما(٢). فغضب الخليفه من ذلك و من عناد يعقوب و مكابرتة و اصراره على المخالفه، و ادرك انه غدا خطرا يهدد كيان الدوله و الخلافه، فخرج على رأس جيشه من سامرا، اذ كان الموفق قد سحب قسما كبيرا من جيوشه الموجهه الى حرب الزنج، فهياها لمقابله الصفار. و كان يعقوب قد دخل مدينه واسط ثم سار منها الى دير العاقول. فتحرك الجيش

١- الطبرى ٩/ ٥١٦، و الكامل ٧/ ٢٩٠، و وفيات الاعيان ٥/ ٤٥٥.

٢- وفيات الاعيان ٥/ ٤٥٥.

العربى الى سيب كوما و التقى بجيش الصفار فى الموضع المعروف باضطريد بين السيب و دير العاقول. و فى يوم الاحد لتسع خلون من رجب سنه ٢٦٢ هـ اشتبك الجيشان بقتال عنيف فى معركة فاصله. اذ وقف الخليفه فى الميدان و الى جانبه كبار القواد، و كشف الموفق رأسه و حمل أمام جيشه. و سرعان ما هزم يعقوب و جيشه.

و كان بعض اتباعه لما علموا بأن الخليفه على رأس جيشه و ان ادعاءات صاحبهم كاذبه انضموا الى جيش الخليفه. و غنم الموفق ما فى معسكر العدو من الدواب أكثر من عشره آلاف رأس، و من الأموال ما يكمل عن حملته، و من الدنانير و الدراهم مبالغ طائله.

كما انقذ محمد بن عبد الله من أسر يعقوب، و كان مثقلا بالحديد، ففكت قيوده و خلع عليه و ولى شرطه مدينه السلام(١).

و كان من جملة أسباب هزيمه يعقوب و جيشه اضافه الى ما ذكر، ان الموفق أمر ببتق النهر المعروف بالسيب، و ارسلوا الماء على جيشه، مما اربكه و اعاق حركته، و ان أحد قواد الموفق وافى مؤخره جيش يعقوب و طرح النار فى مرابط الأبل و الخيل فشردت و تفرقت فى العسكر، فاضطرب أصحاب يعقوب و ظنوا انهم اخذوا من المؤخره، فكانت الهزيمه(٢).

و قد برر يعقوب هزيمته بأنه لم يكن فى تقديره ان بإمكان الخليفه محاربتة و جيشه مشغول بحرب الزنج، و ان الرسل ستردد بينهما للمفاوضه على ما يتم عليه الاتفاق، اما و قد واجهه الموفق بجيشه فانه لم ير بدا من الاشتباك معه دون تنظيم و اعداد. و لكن ما غنمه الموفق من أموال و عدد و دواب يدل على انه جاء مستعدا للحرب.

و يظهر ان كلا من الطرفين كان يحاول خداع الطرف الآخر.

فان الخليفه لما توجه الى حربته كانت كتبه لم تزل ترد الى يعقوب يأمره بالانصراف و يحذره من سوء عاقبه فعله. و كانت أجوبه يعقوب تنطوى على التظاهر بالطاعه و انه قدم ليكون فى خدمه أمير

١- الطبرى ٥١٧/٩، و الكامل ٢٩١/٧، و مروج الذهب ٢٠٠/٤.

٢- مروج الذهب ٢٠٠/٤، و وفيات الاعيان ٤٥٩/٥.

المؤمنين و التشرف بالمثول بين يديه، و ان يموت فى ركابه. الا ان المعتمد على الله أعتبر ذلك من مخاريق الصفار، و قال: اعلموه انه ماله عندى الا السيف(١).

و جاء فى الطبرى انه قرىء على الناس كتاب بعد هزيمه يعقوب الصفار و انتصار الجيش العربى عليه جاء فيه: «و لم يزل الملعون المارق يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعه، حتى أحدث الأحداث المنكره من مصيره الى صاحب خراسان و غلبته اياه عليها ..

و مصيره الى فارس مره بعد مره و استيلائه على أموالها، و اقباله الى باب أمير المؤمنين مظهرا المسأله فى أمور اجابه أمير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه استصلاحا له، و دفعا بالتى هى أحسن، فولاه خراسان .. فما زاده ذلك الا طغيانا و بغيا. فأمره بالرجوع فابى، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسط الطريق بين مدينه السلام و واسط. و اظهر يعقوب اعلاما على بعضها الصليان.

فقدم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله ولى عهد المسلمين بالقلب .. فتسرع و اشباعه فى المحاربه فحاربه حتى اتخن بالجراح .. و ولوا منهزمين .. و سلم الملعون كل ما حواه ملكه»(٢). و يظهر ان ما ذكره الطبرى انما هو جزء من كتاب أوسع، لأن ابن خلكان ذكر فقرات عديده أخرى اضافه الى ما ذكره الطبرى(٣). فقد ذكر ابن خلكان ان الصفار التمس أشياء أخرى ان رد عنها قصد أبواب الخليفه لاثاره الفتنة و ابتغاء الغلبه. أى انه قدم للقتال و ليس كما جاء فى تبريره هزيمته. و هذا الكتاب بمثابة بيان حربى اذيع فى الناس يبرر سبب محاربه الصفار، و يذف البشرى بهزيمته و الانتصار عليه، و رجوعه مدحورا.

١- وفيات الاعيان ٥ / ٤٥٩.

٢- كامل الكتاب فى الطبرى ٩ / ٥١٨ - ٥١٩.

٣- وفيات الاعيان ٥ / ٤٥٩ - ٤٦٠.



و من الواضح ان قياده الموفق و حسن بلائه في هذه الحرب و اشتراك كبار القواد الا-تراك فيها، كانت أهم أسباب انتصار جيش الخلافة و قد امتدح عدد من الشعراء الموفق على ما أيداه من شجاعه لنصره الخلافة. فقال محمد بن علي بن فيد الطائي في ذلك قصيده منها قوله(١):

و لقد اتى الصفار في عدد لهاحسن فوافتهن نكبه ناكب

جلب القضاء اليه حتفا عاجلا سقيا و رعا للقضاء الجالب

اغواه ابليس اللعين بكيده و اغتره منه بوعد كاذب

الي أن يقول:

و ولي عهد المسلمين موفق بالله أمضى من شهاب ثاقب

و كأنه في الناس بدر طالع متهلل بالنور بين كواكب

قل الجموع بحزم رأى ثاقب منه و افرد صاحبا عن صاحب

لله در موفق ذى بهجهثبت المقام لدى الهياج موائب

يا فارس العرب الذى ما مثله في الناس يعرف آخر للنوائب

---

١- القصيده في الطبرى ٩/ ٥١٩ - ٥٢٠.

من فادح الزمن العضوض و من لقاجيش لدى غدر خئون غاصب

و مضى يعقوب بعد هزيمته الى واسط يتخطف أصحابه أهل القرى فيأخذون سلاحهم و أسلابهم. و كان الموفق سار الى واسط و قد ازمع على تتبع الجيش المنهزم، الا انه مرض فعاد الى سامرا(١).

و يقول ابن خلكان ابن جيش الخليفة لم يتبع الصفار مخامه رجعته عليهم، و لانشغالهم بالكسب و النهب(٢). فسار يعقوب الى خوزستان و نزل جنديسابور. و ارسل أحد قواده الى الالهواز فطرد منها عامل صاحب الزنج. ثم سار الى فارس فانتزعها من ابن واصل الذي أقره الخليفة واليا عليها، و كان قد دخلها عند ما شغل يعقوب بالحرب مع الموفق. و يظهر ان يعقوب كان يزعم الثأر لهزيمته فى معركة اضطر به. لأنه لما انفذ اليه الخليفة رسولا يستميله، و يقلده اعمال فارس، جلس للرسول و جعل عنده سيفا و رغيفا من الخبز و معه بصل، و احضر الرسول و قال له: قل للخليفة اننى عليل فان مت فقد استرحت منك و استرحت منى، و ان عوفيت فليس بينى و بينك الا- هذا السيف حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى و تعقرنى و أعود الى هذا الخبز و البصل، و اعاد الرسول(٣).

و لم يلبث يعقوب الصفار ان مات كمدا فى التاسع من شوال سنة ٢٦٥ هـ و هو بجنديسابور فدفن فيها، و خلف فى بيت ماله خمسين ألف درهم و ثمانمائة ألف دينار. و هناك من يقول انه مات فى الالهواز و حمل تابوته الى جنديسابور فدفن فيها(٤).

١- الكامل ٧ / ٢٩٢.

٢- وفيات الاعيان ٥ / ٤٦١.

٣- الكامل ٧ / ٣٢٥ - ٣٢٦.

٤- الطبرى ٩ / ٥٤٤، و وفيات الاعيان ٥ / ٤٦١ - ٤٦٣ و الكامل ٧ / ٣٢٥ و مروج الذهب ٤ / ٢٠٢، و فيه انه توفى لسبع يقين من شوال.

كان يعقوب رجلاً عصامياً جدياً حازماً، و مغامراً طموحاً، ذا تدبير و كفايه فى الحروب. الا انه لم يكن رجل دوله بانيا بل هو الى التخریب و النهب أقرب .. لو تتبعنا فتوحاته و انتصاراته فيها لرأيناها انها كانت آتیه موقته. اذ بعد أن يستولى على بلد سرعان ما يخرج منه عائدا الى مقره فى سجستان حاملاً- ما جباه من الخراج و ما استولى عليه من أموال الناس و ما احتواه من الجيش المهزوم أمامه، و كأنه حارب لهذا الغرض. أما التنظيم و البناء، و رعايه مصالح الناس، و الاهتمام بالقضاء و شؤون الزراعة، فلم يذكر عنه شىء من ذلك. فانه عند ما هاجم ممالك الترك المتاخمه لسجستان اكتفى بالنهب و العوده. و لما دخل شيراز حمل منها أربعة آلاف ألف درهم. و قد استولى على فارس عدة مرات، و فى كل مره يجبى أهلها قبل مغادرتها. و لما دخل جرجان و نيسابور اساء الى أهالى المدينتين يأخذ أموالهم تعسفاً. فكان بهذا سفاكاً للدماء طماعاً بجمع الأموال.

كما كان يتصف بالحدرد الزائد فلم يكن يطمئن الى أحد، و بالزهد و البساطه فى حياته، فكان بعيداً عن اللهو و الترف. و قد عرف عنه رعايته لجنوده و تفقده لشؤونهم بحيث كانوا ينقادون لأمره. و قد أفاض المسعودى فى ذكر جوانب حياته(١). ان التفصيلات التى يذكرها عنه تعطينا صورته عن شيخ قبيله أقرب ما يكون الى البداوه، يعيش على الغزو، و لا- يجلس الا- ليتهيأ للحركه و الانتقال و ما يتطلب ذلك من تخفيف المتاع و الأثاث بحيث لا تعوق سرعه حركته و تنقله. و هى صفات أبعد ما تكون عن صفات أمير متحضر يحكم عده ولايات و عليه واجبات العنايه بشؤون الناس فيها، و مسؤوليه عمرانها و رفاها.

**٤- عمرو بن الليث الصفار:**

كان عمرو قد انضم الى أخيه يعقوب و ظل يعمل بمعيته، فلمس منه العسكر حسن السياسه و التدبير، فلما مات يعقوب اجتمعت كلمتهم على توليه عمرو مكانه. فكتب عمرو الى الموفق بالسمع و الطاعه، و طلب ان يتولى ما كان يتولاه أخوه من الولايات. فأجابه الموفق الى طلبه و ولاه خراسان و فارس و اصبهان و سجستان و كرمان و السند، و سير اليه الخلع مع كتاب توليته(١).

فولى عمرو احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف على اصبهان و ولى عبيد الله بن عبد الله خلافته على الشرطه ببغداد و سامرا و خلع عليه و بعث اليه بعمود من ذهب(٢).

و لما أرسل أحمد بن عبد العزيز فى سنه ٢٦٨ هـ الى عمرو بن الليث الاموال المترتبه عليه، وجه عمرو الى الموفق منها ثلاثمائه ألف دينار، و خمسين منا من المسك، و مثلها من العنبر، و مائتى من من العود، و ثلاثمائه ثوب و شى و غيره، و آنيه من ذهب و فضه، و غلمانا و دواب بقيمه مائتى ألف دينار(٣). مما يدل على حسن علاقه عمرو بن الليث بالخلافه.

و قد اضطر عمرو بن الليث ان يسير فى نفس السنه الى فارس لحرب عامله عليها محمد بن الليث الذى أظهر المخالفه، فهزمه و استباح عسكره. و ظفر بمحمد بن الليث و أسره، ثم صار عمرو الى شيراز فأقام بها(٤).

ان علاقه عمرو بالخلافه ساءت فى سنه ٢٧١ هـ اذ ادخل الخليفه المعتمد على الله اليه حجاج خراسان و اعلمهم انه عزل عمرو

١- الطبرى ٩ / ٩٤٥، و الكامل ٧ / ٣٢٦ و يضيف و الشرطه ببغداد.

٢- الطبرى ٩ / ٥٤٩، و الكامل ٧ / ٣٣٣.

٣- الطبرى ٩ / ٦٠٦، و الكامل ٧ / ٣٧١.

٤- الطبرى ٩ / ٦٠١، و الكامل ٧ / ٣٧٠.

بن الليث عما كان قلده من الولايات، و لعنه بحضرتهم و أمر بلعنه على المنابر، و اشخص الموفق القائد صاعد بن مخلد الى فارس لحربه(١). و ازدادت علاقته عمرو بالخلافه سوءا بحيث نشبت الحرب بينه و بين جيش الخليفه بقياده أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فى سنه ٢٧٣ هـ فانهزم جيش عمرو، و كان قوامه خمسه عشر ألفا بين فارس و راجل، و اسر منهم ثلاثه آلاف و استأمن ألف.

و غنم ابن دلف من معسكر عمرو من الدواب و البقر ثلاثين ألف رأس، و ما سوى ذلك كثير(٢).

و فى السنه التاليه سار الموفق بنفسه لمحاربه ابن الليث. فسير عمرو احد قواده العباس بن اسحاق فى جمع كبير من العسكر الى سيراف، و انفذ ابنه الى ارجان، و جعل ابا طلحه شركب صاحب جيشه على مقدمته. فاستسلم أبو طلحه الى الموفق مستأمنًا. فلما سمع عمرو بذلك توقف عن المسير الى حرب الموفق. الا ان أبا طلحه عزم على العوده الى جانب ابن الليث، فقبض عليه الموفق بقرب شيراز و جعل أمواله لابنه أبى العباس. ثم سار الموفق بجيشه نحو عمرو الذى عاد الى كرمان و منها الى سجستان. و يظهر ان الموفق لم يكن مستعدا لملاحقته، فكر راجعا(٣).

و قد واجه عمرو بن الليث فى أواخر حكمه خطر السامانيين الذين انشأوا امارتهم فى ما وراء النهر، و كانت نهايته على أيديهم اذ نازعوه السلطه. و لما سار بجيوشه الى ما وراء النهر لمحاربه أحمد بن اسماعيل السامانى هزم جيشه و تمكن أحمد من أسره. و قد خيره بالمقام عنده أو توجيهه الى الخليفه، فاختر عمرو توجيهه الى الخليفه، فوجهه أحمد مقيدا. و قضى بقيه أيامه فى

١- الطبرى ٧/١٠، و الكامل ٧/٤١٤، و المنتظم ٨/٥.

٢- الطبرى ١٠/١٢، و الكامل ٧/٤١٤ و فيه ان هذه الحرب كانت فى سنه ٢٧١.

٣- الطبرى ١٠/١٣، و الكامل ٧/٤٢٦.

سجن المعتضد بالله (١) و ظل سجيناً حتى قتل في سنة ٢٨٩ هـ و دفن بالقرب من القصر الحسنى بمدينة السلام (٢).

#### ٥- نهاية اماره بنى الصفار:

استمرت اماره الصفارين قائمه حتى أيام الخليفه المقتدر بالله. و كانت نهايتها على أيدي السامانيين. و ذلك عند ما دخل أحمد بن اسماعيل السامانى سجستان فى سنة ٢٩٩ هـ و اخرج من كان بها من أصحاب بنى الصفار. و قد استأمن اليه آخر أمرائهم المعدل بن على بن الليث الصفار و من معه من اتباعه. فوجه بهم السامانى الى هراه (٣). و بذلك طويت صفحه اماره الصفارين بعد أن عاشت زهاء ست و أربعين سنة.

١- الطبرى ١٠/٨٣ و ٨٨، و الكامل ٧/٥٠٠-٥٠٢.

٢- الطبرى ١٠/٨٨، و الكامل ٧/٥٠٢، و وفيات لاعيان ٥/٤٧٣.

٣- الطبرى ١٠/١٤٥، و وفيات الاعيان ٥/٤٧٦ و فيه: المعدل بن على.



## الباب العاشر مجالس خلفاء سامرا

### اشاره

- ١- مجالس المعتصم بالله.
- ٢- مجالس الواثق بالله.
- ٣- مجالس المتوكل على الله.
- ٤- مجالس خلفاء سامرا الآخرين.





### الفصل الأول مجالس المعتصم بالله

#### ١- المعتصم بالله و الندماء:

كان الخليفة المعتصم بالله يهتم بعض الفرص أحيانا لينفرد بأحد المقربين اليه، ليتعرف منه على أحوال الناس. فقد كان يبحث عن أحوالهم غاية البحث، و يتلطف في الاطلاع على أمورهم(١). او ليفضي اليه بما يشغل باله، أو ليستشيره في أمر من الامور. و كان هؤلاء عادة من رجال دولته أو ممن اعتادوا مجالسته و منادته.

وقد أوردت بعض كتب التاريخ و الأدب حكايات و اخبارا عن المعتصم بالله و حاشيته و قدمائه. و سنورد بعض هذه الاخبار التي تكشف لنا بعض الصور عن حياته الاعتيادية، و ما كان يشغل باله أحيانا من المهام و المشاكل.

يذكر اسحاق بن ابراهيم المصعبى ان المعتصم بالله اختلى به ذات يوم و قال له: يا اسحاق في قلبى أمر أنا مفكر فيه منذ مده

طويله، و انما بسطتلك فى هذا الوقت لافشيه اليك. فقلت: قل يا سيدى. قال: نظرت الى أخى المأمون و قد اصطنع أربعة انجبوا، و انا اصطنعت أربعة لم يفلح منهم أحد. قلت: و من الذين اصطنعهم أخوك؟ قال: طاهر بن الحسين، فقد رأيت و سمعت، و عبد الله بن طاهر، فهو الرجل الذى لم ير مثله، و انت، فانت و الله الذى لا يعتاض السلطان عنك أبدا، و أخوك محمد بن ابراهيم، و اين مثل محمد؟ و أنا اصطنعت الأفشين فقد رأيت ما صار أمره، و اشناس فشل، و ايتاخ فلا شىء، و وصيف فلا مغنى فيه. فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلنى الله فداك، أجب على أمان من غضبك؟ قال:

قل. قلت: يا أمير المؤمنين أعزك الله، نظر اخوك الى الأصول فاستعملها فنجبت فروعها، و استعمل أمير المؤمنين فروعها لم تنجب اذ لا أصول لها. قال: يا اسحاق، لمقاسات ما تربي فى طول هذه المده اسهل على من هذا الجواب(١).

يفهم من اشاره المعتصم بالله الى ما صار اليه أمر الأفشين، ان هذا الحديث جرى، ان كان قد جرى حقيقه، بعد محاكمته و قتله.

و لا يستبعد ان المعتصم بالله كان متألما من غدر الأفشين و محاولته الانتقاض عليه، بعد أن قربه كثيرا و اعتمد عليه و أوكل اليه مهام الامور، مما ترك فى نفسه حزنا فاض على لسانه فتشكى منه و من بقيه قواده الى اسحاق المذكور. كما يحتمل انه كان قد ضاق ذرعا بهؤلاء القاده الأتراك، فأراد أن يعبر بشكواه عن ندمه لانه اصطنعهم و قدمهم.

و للمقارنه بين رجال المأمون و رجال المعتصم بالله، الذين ورد ذكرهم، نرى ان فى رجال المعتصم بالله من هو من أولاد الملوك و هو الافشين حيدر بن كاوس ملك أشروسنه. و لم يكن الافشين فاشلا فى حياته العامه، و قد صار قائدا عاما لجيوش الخليفه. و كذلك

١- كامل الخبر فى الطبرى ٩/ ١٢١-١٢٢، و الكامل ٦/ ٥٢٦-٥٢٧.

أشناس فهو من كبار القاده أيضا، شديد الولاء للخليفه، و كان له دور مهم فى كشف مؤامره العباس بن المأمون و القضاء عليها. و قد سبق للمعتصم بالله ان تعرضت حياته للخطر عند ما انتد به عمه ابراهيم بن المهدي، أيام خلافته ببغداد، لحرب ابن علوان الخارجى فحامى عنه أشناس. و عند ما قرر تشييد سامرا اعتمد عليه فى تشييد قسم منها. و خير دليل على تقدير المعتصم بالله له انه توجه و البسه الوشاح تكريما له و تقدير لخدماته. أما ايتاخ فقد كان موضع سر المعتصم بالله و اعتماده، فمن اراد قتله أو حبسه فانما يتم ذلك على يد ايتاخ. كما انه كان من مقدمى قواده. و كان وصيف حاجب المعتصم بالله و أحد كبار قواده. و ان جميع هؤلاء قد سمت بهم قابلياتهم الى أرفع المراتب فى الدوله. و لذا فلا مجال لاعتبارهم فاشلين بحيث يندم المعتصم بالله على اصطناعهم و الاعتماد عليهم.

أما الذين امتدحوا على لسان المعتصم بالله فانهم لم يكونوا كلهم بدرجه قواده الذين اشرفنا اليهم همه و كفايه. فان طاهر بن الحسين كان كبير قواد المأمون، و قد قاد جيشه فى حربته مع أخيه الأمين، و تولى ابنه عبد الله اماره خراسان بعده بسلطات واسعه يسرت له حكمها بنجاح. هذا مع العلم بان المعتصم بالله و ان أقر عبد الله بن طاهر على اماره خراسان التى كان المأمون عينه لها، فانه كان سىء الرأى فيه (١). و هذا ما لا ينسجم و مدحه اياه. كما ان أباه طاهرا لم يكن خالص الولاء للمأمون، فانه حينما ولاه خراسان كان يخامره الشك فى ولائه و يخشى غدره و خلعه الطاعه، و بالفعل فانه لم يلبث الا يسيرا حتى قطع الخطبه للمأمون الذى بادر الى التخلص منه (٢). أما اسحاق بن ابراهيم، و هو صاحب الشرطه، فلم يكن غير أداء بيد السلطه ينفذ ما يؤمر به. و لم يعرف عن أخيه محمد من الاعمال ما يميزه و لم يكن سوى قائد اعتيادى فى الجيش. الا ان ما يجمع هؤلاء الاربعه انهم من عائله واحده

١- الديارات / ١٣٩.

٢- الفخرى / ٢٠٥.

فارسية الاصل. كما يجمع القواد الاربعه الذين تشكى منهم المعتصم بالله انهم من الاتراك. و هذا ما يدفع الى الاستنتاج بان القصة وضعت بهذا الشكل للتقليل من اهمية الاتراك الذين اصبحت لهم السلطه و الغلبه فى عهد المعتصم بالله، و الانتقاص من شأنهم برفع شأن آخرين من العنصر الفارسى و من أسره لها أنصارها و اتباعها، و لاعلاء مقامهم على مقام القواد الاتراك الذين ورد ذكرهم و الذين كان لكل منهم اتباع و انصار كذلك، و كانت منزلتهم فى الدوله عاليه جدا.

و هناك قصه يرويها القاضى التنوخى عن محمد بن عبد الملك الزيات، خلاصتها(١): ان المعتصم بالله مر فى أحد الايام، بعد أن تولى الخلافة، برحبه الجسر ببغداد، و معه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، و كبير قضاته أحمد بن أبى دواد، فتوقف قليلا و أمر أحد أفراد حاشيته أن يستفسر عن منجم كان يجلس هناك على قارعه الطريق. فعاد اليه و اخبره انه قد مات منذ عهد قريب. و لما سأله ابن أبى دواد عن قصته معه، ادعى المعتصم بالله بانه كان قصد ذلك المنجم فى أيام غلبه ابراهيم بن المهدي على الامور، و سأله ان يخبره عن طالعه. فتنبأ له المنجم بانه سيتولى الخلافة و يفتح الآفاق و يبنى البلدان، و ان أكابر دولته سيكونون من أصول دنيه سافله، و التمس اليه أن يتذكره عند ما يتولى الامر و يحسن اليه فوعده المعتصم بالله بذلك. قال: و لما بلغت الرحبه وقعت عيني على مكانه الذى اعتاد أن يجلس فيه، فتذكرته و ذكرت كلماته، و تأملت كما حولى و انتما أكبر أهل مملكتى و احدكما ابن زيات و الآخر ابن قيار، و هكذا صح جميع ما قال.

و قد اسف المعتصم بالله لوفاه المنجم لأنه فاته الاحسان اليه.

ان نظره بسيطه الى هذه القصة تكشف عن انها موضوعه لغرض معين. و رغم شيوع الالتجاء الى المنجمين فى ذلك العهد للكشف عما يخبئه المستقبل، و ان المعتصم بالله كان يتطلع الى الخلافة فى

فتره خلافه عمه ابراهيم بن المهدي، و هي فتره اضطراب و قلاقل، باعتباره أقرب الناس الى الخليفة المفتول و الخليفه المتغلب، و هما أخواه، و قد قصد المنجم المذكور ليكشف له عما يخبئه له القدر.

و بعد ان عرف المنجم هويه السائل أجابه بما يطمئن تساؤله.

فاضيف الى ذلك ما جاء عن كبار دولته بما يوحى بضالته اصولها.

و الغرض من ذلك واضح اذا علمنا ان وزير المعتصم بالله و كبير قضاته عربيان، لا يروق للفرس ان يتبوءا مثل هذه المناصب في الدوله.

و يروى الشابشتي ان المعتصم بالله سأل جلساءه يوما عن معنى تسميه طاهر بن الحسين بذي اليمينين. فقال محمد بن عبد الملك الزيات: معناه ذو الاستحقاقين، استحقاق بجدده و دنوه في الدوله و كان أحد النقباء، و استحقاق بما له في دوله المأمون، و قد قال الله تعالى «لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ»<sup>(١)</sup>، و قال الشاعر<sup>(٢)</sup>:

اذا ما رايه رفعت لمجد تلقاها عرابه باليمين

و يورد الثعالبي ما يشبه هذا، الا انه يضيف، و قال غيره:

انما سمي ذا اليمينين لأن المأمون كتب اليه لما فرغ من أمر المخلوع:

يا أبا الطيب يمينك يمين أمير المؤمنين، و شمالك يمين، فباع بيمينك يمين أمير المؤمنين، ففعل فلزمه هذا الاسم<sup>(٣)</sup>.

١- سورة الحاقه، الايه: ٤٥.

٢- الشعر للشماخ بن ضرار الغطفاني، و عرابه رجل من الانصار. و كامل القصة في كتاب الديارات / ١٤٢.

٣- ثمار القلوب / ٢٩١.

و من مشاهير الأعلام الذين كانوا يحضرون مجلس المعتصم بالله الفيلسوف العربى الكبير يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى.

و كان عظيم المنزله عند الخليفه مقربا اليه، و قد اوكل اليه تأديب ابنه أحمد. نشأ الكندى ببغداد و كان أبوه أميرا على الكوفه أيام المهدي و الرشيد. و قد عاصر المأمون و المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله و المتوكل على الله، و كان مقربا اليهم و له عندهم منزله ساميه.

و قال عنه ابن النديم انه فاضل دهره و واحد عصره فى معرفه العلوم القديمه، و هو فيلسوف العرب، و كتبه فى علوم مختلفه، و عدد له ٢٣١ ه كتابا(١). و قد برع الكندى فى الفلسفه و المنطق و الهندسه و الحساب و الفلك، و له فى أكثر هذه العلوم تواليف مشهوره من المصنفات الطوال و من الرسائل القصار(٢). و لم يكن فى الاسلام فيلسوف غيره احتذى فى تواليفه حذو ارسطاطاليس، و ترجم من كتب الفلسفه الكثير، و اوضح منها المشكل، و لخص المستعصى(٣).

و من كتبه «كتاب الفلسفه الاولى فيما بعد الطبيعيات و التوحيد» و قد صنفه للخليفه المعتصم بالله. و بحث فيه عن الفلسفه و غايتها، و ما يجب أن يكون عليه الفيلسوف الكامل الفلسفه و عن غايتها منها. و هو يفتتح الكتاب باهدائه الى المعتصم بالله بقوله(٤):

«اطال الله بقاءك يا ابن ذرى السادات و عرى السعادات الذين من استمسك بهم سعد فى دار الدنيا و دار الأبد، و زينك بجميع ملابس الفضيله، و طهرك من جميع طبع الرذيله ..».

و كان ممن يحضر مجالس المعتصم بالله عدد من الادباء منهم كبير ادباء عصره أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، عند ما يكون فى سامرا. قال الجاحظ فى أول رسالته (فى صناعات القواد):

١- الفهرست / ٣٧١.

٢- تاريخ الحكماء / ٣٦٧.

٣- عيون الانباء / ٧٣.

٤- رسائل الكندى / ٩٧.

دخلت على أمير المؤمنين المعتصم بالله فقلت له: يا أمير المؤمنين فى اللسان عشر خصال: اداه يظهر بها البيان، و شاهد يخبر عن الضمير، و حاكم يفصل فى الخطاب، و ناطق يرد به الجواب، و شافع تدرك به الحاجه، و واصف تعرف به الاشياء، و واعظ ينهى عن القبيح، و معز يرد به الاحزان، و خاصه يزهى بالضيعه، و مله يوتق الاسماع. و سمع عمر بن عبد العزيز رجلا يتكلم فأبلغ فى حاجته، فقال عمر: هذا و الله السحر الحلال. و قال الشاعر:

و كائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده فلم يبق الا صوره اللحم و الدم

فخذ يا أمير المؤمنين أولادك بان يتعلموا من كل فنون الأدب، فانك ان افردتهم بشىء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يحسنوه.

و ضرب له أمثله عن قواده و حرسه، دلى بها عن ضحالتهم لأنهم لم يحسنوا سوى عملهم. فضحك المعتصم بالله حتى استلقى، ثم دعا مؤدب ولده فأمره ان يأخذهم بتعليم جميع العلوم(١).

## ٢- المعتصم بالله و الشعراء:

كان المعتصم بالله يحاول أن يقول الشعر أحيانا، و يظهر انه لم يكن يحسن قوله.

على انه كان يستحسن الشعر الجيد و يحب سماعه، و خاصه اذا كان فى مدحه و الاشاده بكرمه و فتوحاته. و كان الشعراء يجتمعون ببابه، فبعث اليهم مره يسألهم ان كان بينهم من يحسن ان يقول

١- رسائل الجاحظ ١/ ٣٧٩-٣٩٣، و فى تاريخ بغداد، ١٢/ ٢١٨ مع بعض التغيير.



فيه كما قال منصور التمرى فى أبيه هارون الرشيد، و كان قد استحسن ذلك الشعر و هو:

خليفه الله ان الجود اوديهأحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان اخلف القطر لم تخلف مخايله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل، و الا فلينصرف. و كان بين الشعراء محمد بن وهيب الحميرى، و هو شاعر بصرى، و له شعر كثير يذكر فيه البصره و يتشوق اليها، و كان يستمنح بشعره و يتكسب بالمديح، فقام و قال: فينا من يقول مثله، ثم اندفع ينشد:

ثلاثه تشرق الدنيا ببهجتهم شمس الضحى و أبو اسحاق و القمر

تحكى أفاعيله فى كل نائبالليث و الغيث و الصمصامه الذكر

فأمر المعتصم بالله بادخاله، و احسن جائزته(١).

و قد امتدحه أبو تمام الطائى بعدد من القصائد فى مناسبات مختلفه. و لعل أروع ما مدحه به شعره الذى قاله فيه مسجلا انتصاره فى غزو الروم و فتح عموريه التى ذكرنا بعض أبياتها.

و قد مدحه بقصيده مطلعها(٢):

١- الاغانى ١٩ / ٧٤ - ٧٥.

٢- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ٢ / ١٩١ - ١٩٧.

رقت حواشى الدهر فهى تمر مرو غدا الثرى فى حليه يتكسر(١)

و يقول فيها واصفا الربيع:

أربيعنا فى تسع عشره حجهحقا لهنك للربيع الأزهر

ما كانت الايام تسلب بهمسهلو ان حسن الروض كان يعمر

أو لا ترى الأشياء ان هى غيرت سمجت و حسن الأرض حين تغير

ثم ينتقل الى مدح الخليفه، فيقول:

فى الأرض من عدل الامام وجوده و من النبات الغض سرج تزهـر

تنسى الرياض و ما يروض فعله أبدا على مر الليالى يذكر

ان الخليفه حين يظلم حادث عين الهدى و له الخلافه تحجر

و مدحه بقصيده طويله اشاد فيها بعدله و كرمه منها(٢):

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمهأضاء له من كوكب الحق آفله

و لاذت بحقويه الخلافه و التقت على خدرها ارماحه و مفاصله

---

١- تمرمر: تموج و تضطرب لينا ورقه.

٢- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ٣/ ٢١ - ٣٠.

آتته معدا قد اتاها كأنهاو لا شك كانت قبل ذاك تراسله

بمعتصم بالله قد عصمت به عرا الدين و التفت عليها وسائله

رعى الله فيه للرعيه رأفترايله الدنيا و ليست ترايله

فاضحوا و قد فاضت اليه قلوبهم و رحمته فيهم تفيض و نائله

و قام فقام العدل فى كل بلدهخطيبا و أضحى الملك قد شق بأزله

و جرد سيف الحق حتى كأنه من السل مود عمدته و حمائله

رضينا على رغم الليالى بحكمته و هل دافع أمرا و ذو العرش قائله

و مدحه بقصائد أخرى ذكرنا بعضها فى الفصل الخاص بشعراء سامرا.

و كان اسحاق بن ابراهيم الموصلى قد اتصل بالمعتصم بالله الذى كان يأنس به فاتخذته نديما يسامره و ينشده الشعر و يغنيه الألحان.

و لعل أول قصيده مدحه فيها هى التى انشدها مهنتا بتوليه الخلافه.

و يروى عن اسحاق انه قال: لما ولى المعتصم بالله الخلافه دخلت اليه فى جملة الجلساء و الشعراء. فهنأه القوم نظما و نثرا، و هو ينظر الى مستنطقا، فانشدته(١):

لاح بالمقرق منك القتيرو ذوى غصن الشباب النصير

هزئت أسماء منى و قالت أنت يا ابن الموصلى كبير

و رأت شيئا برأسى فصدت و ابن ستين بشيب جدير

لا يرد عنك شيبى فانى مع هذا الشيب حلو مزير

قد يفل السيف و هو جرازو يصول الليث و هو عقير(١)

يا بنى العباس انتم شفاء و ضياء للقلوب و نور

أنتم أهل الخلافه فيناو لكم منبرها و السرير

لا يزال الملك فيكم مدى الدهر مقيما ما أقام ثبير

و أبو اسحاق خير امام ماله فى العالمين نظير

واضح الغره للخير فيه حين يبدو شاهد و بشير

زانه هدى تقى و جلال و عفاف و وقار و خير

---

١- الجراز: السيف القاطع، و العقير: المجروح.

لو تبارى جوده الريح يومانزعت و هي طليح حسير

و عند ما تولى المعتصم بالله الخلافه كان الشاعر الحسين بن الضحاک يقيم فى البصره منذ أيام الخليفه المأمون الذى جفاه و ابعده عن بلاطه لميله الى أخيه محمد الأمين. فاستقدمه المعتصم بالله الى حاضره الخلافه و اتخذه نديما يرافقه فى نزهاته و رحلاته، و لا يغيب عن مجالسه. و لما دخل عليه أول مره استأذنه فى الانشاد، فأذن له، فقال(١):

هلا سألت تلدد المشتاق و منتت قبل فراقه بتلاق

حتى انتهى الى قوله فى مدحه:

خير الوفود مبشر بخلافهخصت بيهجتها أبا اسحاق

وافته فى الشهر الحرام سليمهمن كل مشكله و كل شقاق

أعطته صفقتها الضمائر طاعهقبل الاكف بأوكد الميثاق

سكن الانام الى امام سلامهعف الضمير مهذب الأخلاق

فحمى رعيته و دافع دونهاو أجار مملقها من الاملاق

فلما اتمها قال المعتصم بالله: اذن منى، فدنا منه، فملاً فمه جوهرًا من جوهر كان بين يديه. ثم أمره بان يخرج من فيه، و أمر

١- الاغانى ٧ / ١٥٢-١٥٣، و معجم الادباء ٤ / ٣١-٣٣، و فيهما: تلذذ المشتاق و التلود: الحيره و الدهشه، و هو أقرب الى المعنى.

أن ينظم و يدفع اليه، و يخرج الى الناس و هو فى يده، ليعلموا موقعه من الخليفه و يعرفوا فعله.

و مدح الشاعر على بن الجهم المعتصم بالله بقصيده أشاد فيها بمآثره، و اقترح عليه ان يولى ابنه هارون العهد من بعده، يقول فيها(١):

و انت خليفه الله المعلى على الخلفاء بالنعمة العظام

و ليت فلم تدع للدين تأسىوفك و المثقفه الدوامى

نصبت المازيار على سحوق و بابك و النصارى فى نظام

مناظر لا يزال الدين منهاعزيز النصر ممنوع المرام

و قد كادت تزيغ قلوب قوم فأبرأت القلوب من السقام

و عموريه ابتدرت اليهابودر من عزيز ذى انتقام

فقعقت السرايا جانبيهاو الحفت الفوارس بالسهام

رأت علم الخلافة فى دارهافخرت بين أصداء و هام

و قد هجا الشاعر دعبل الخزاعى المعتصم بالله الذى كان يبغضه لطول لسانه. و لما بلغ دعبلا ان الخليفه يتهدده هرب الى الجبل،

و قال يهجو و ينكر عليه ان يكون الثامن من خلفاء بنى العباس، و ذلك بقوله(١):

بكى لشتات القلب مكتتب صب و فاض بفرط الدمع من عينه غرب(٢)

و قام أمام لم يكن ذا هدايهفليس له دين و ليس له لب

و ما كانت الأبناء تأتي بمتله يملك يوما أو تدين له العرب

و لكن كما قال الذين تتابعوا من السلف الماضى الذى ضمه الترب

ملوك بنى العباس فى الكتب سبهو لم تأتتا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف فى الكهف سبهخيار اذا عدوا و ثامنهم كلب

و قد سئل دعبل عن هذه الأبيات فأنكر أن يكون قد قالها. و لما سئل عن قالها، قال: من حشا الله قبره نارا ابراهيم بن المهدي، كافأنى بذلك عن هجائى اياه ليشيط بدمى(٣). الا ان ابا الفرج يقول ان دعبلا اعترف بعد ذلك بأنه قائلها(٤).

١- ديوان دعبل الخزاعى / ٥١-٥٣. ليتكى ء عليها اكراما له (٢٩).

٢- غرب: سيل لا ينقطع من الدموع.

٣- الاغانى ١٠ / ١٣٠.

٤- نفس المصدر ٢٠ / ١٥٥.

و لما مات المعتصم بالله و رثاه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات بأبيات من الشعر، قال دعبل يعارضه بالأبيات التالية(١):

لقد قلت اذ غربوه و انصرفوا في شر قبر لشر مدفون

اذهب الى النار و العذاب فما خلطتك الا من الشياطين

ما زلت حتى عقدت بيعه من أضر بالمسلمين و بالدين

### ٣- المعتصم بالله و مجالس الغناء:

#### إشارة

كان المعتصم بالله يحب الطرب و سماع الغناء. فقد سافر مره الى مصر قبل توليه الخلافة فذكر جاريه له كانت غلبت عليه بجمالها و دلالتها، و لم يكن استصحابها معه. فدعا مغنيا و ذكر له اشتياقه الى جاريته و طلب اليه ان يغنيه صوتا يشبه ما ذكره له. فاطرق المغنى مليا، ثم اندفع يغنى:

وددت من الشوق المبرح اننى أعار جناحى طائر فأطير

فما لنعيم لست فيه بشاشهو ما لسرور لست فيه سرور

و ان امرءا فى بلده نصف قلبه و نصف باخرى غيرها لصبور

---

١- ديوان دعبل الخزاعي ٩٩- ١٠٠.



فقال المعتصم بالله: و الله ما عدت ما فى نفسى، و أمر له بجائزه سنه (١).

و اعتاد المعتصم بالله أن يعقد للغناء و الطرب مجالس خاصه، و يبر المغنين و غيرهم من المطربين و يصلهم بالاعطيات و الهدايا.

و كان بعض المغنين يتبادرون و يتناظرون فى حضرته. روى عن محمد بن احمد المكى المغنى عن ابيه انه قال: ناظر أبى بعض المغنين ذات ليله بين يدى الخليفه المعتصم بالله، و طال تلاحيهم فى الغناء. فقال ابى للخليفه يا أمير المؤمنين، من شاء منهم فليغن عشره أصوات لا أعرف منها ثلاثه، و أنا أغنى عشره أصوات و عشره و عشره لا يعرف أحد منهم صوتا منها. فقال اسحاق الموصلى: صدق يا أمير المؤمنين، و أیده علويه، فأمر له المعتصم بالله بعشرين ألف درهم (٢).

### اسحاق الموصلى و المعتصم بالله:

كان اسحاق بن ابراهيم الموصلى، و هو كبير المغنين فى عصره، مختصا بالمعتصم بالله الذى كان يحترمه كثيرا و يقدر فيه موهبته الغنائيه و معرفته الواسعه فى الألحان. و لم يعقد مجلس غناء للخليفه دون ان يحضره الا نادرا. و جاء فى نهايه الأرب ان أول يوم جلس فيه اسحاق يغنى للمعتصم بالله دفع اليه الخليفه مخده ليتكى ء عليها اكراما له (٣).

و ذكر عن اسحاق انه قال: اتيت امير المؤمنين المعتصم بالله يوما و عنده قينه كان معجبا بها و هى تغنيه. فلما سلمت عليه و اخذت مجلسى، قال لها: خذى فيما كنت فيه، فغنت. فقال لى: كيف تراها يا اسحاق؟ قلت: يا أمير المؤمنين أراها تقهره بحذق و تختله

١- العقد الفريد ٦/ ٦٢، و ثمرات الاوراق للحموى ٢/ ١٥٩ مع تغيير طفيف.

٢- الاغانى ١٦/ ٣١١.

٣- نهايه الأرب ٨/ ٥.

برفق ولا تخرج من شىء الا الى أحسن منه، و فى صوتها قطع شذر أحسن من نظم الدر على النحور، فقال: يا اسحاق لصفتك لها أحسن منها و من غنائها(١).

و قال اسحاق: دخلت يوما على المعتصم على الله بسر من رأى و ابنه هارون بين يديه، و عنده علويه و مخارق. فغناه مخارق صوتا فلم ينشط له، ثم غناه علويه فاطربه. فلما رأيت طربه لغناء علويه دون غناء مخارق اندفعت فغنيت لحنى:

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى و هيهات كان الحب قبل التجنب

فأمر لى بألف دينار، و لعلويه بخمسائة دينار، و لم يأمر لمخارق بشىء(٢).

و قال محمد بن يزيد المبرد: دخل اسحاق الموصلى على المعتصم بالله يوما فرآه تعس النفس، فقال له: أما ترى يا أمير المؤمنين طيب هذا اليوم و حسنه؟ فقال الخليفه: ما يدعونى حسنه الى شىء مما تريد و لا انشط له. فقال: يا أمير المؤمنين، انه يوم أكل و شرب، فاشرب حتى انشطك. قال: أو تفعل؟ قال: نعم. قال: يا غلمان قدموا الطعام و الشراب، و مدوا الستاره، و احضروا الندماء و المغنين. فأتى بالطعام و الشراب، و حضر الندماء و المغنون، فغنى اسحاق:

سقيت الغيث يا قصر السلام فنعم محله الملك الهمام

لقد نشر الاله عليك نورا و خصك بالسلامه و السلام

١- الطبرى ٩ / ١٢٢.

٢- الاغانى ٥ / ٣٩٩.

فطرب المعتصم بالله و شرب كثيرا. و لم يبق أحد بحضرته الا وصله و خلع عليه و خمله، و فضل اسحاق على جميع الحاضرين في ذلك(١).

و يروى أبو الفرج عن القائد عجيف بن عنبسه انه حضر يوما مجلسا للأمير المؤمنين المعتصم بالله و عنده جماعه من المغنين بينهم عمه ابراهيم بن المهدي و اسحاق الموصلي و مغنون آخرون، فغناه اسحاق:

قل لمن صد عاتباو نأى عنك جانبا

فاستحسنه الخليفة و أمره باعادته ثلاث مرات. و لما رأى ابراهيم بن المهدي شده طرب المعتصم بالله على هذا الصوت سأله ان يأمر المغنين الحاضرين بأن ياخذوه. فأمر الخليفة اسحاق ان يلقيه عليهم ليتعلموه. فاعاده عليهم أكثر من خمسين مره فلم يستطع واحدا منهم اداءه على وجه الصواب. فقال محمد بن الحارث، و هو أحد المغنين الذين عجزوا عن تعلم الصوت: و من يقدر ان يأخذ من ذلك الشيطان شيئا(٢). و ذلك و لا ريب دليل على براعه اسحاق و مهارته في الغناء و تفوقه على غيره من المغنين.

### المغنون الآخرون:

من كبار المغنين الذين غنوا للمعتصم بالله أبو المهنا مخارق الذي يعتبر من أجود المغنين في أيامه. حدث موسى بن هارون الهاشمي قال: كنت واقفا بين يدي المعتصم بالله و هو جالس على حير الوحش، و الخيل تعرض عليه، و هو يشرب، و بين يديه علويه

١- نفس المصدر ٥ / ٣٢٩.

٢- الاغانى ٥ / ٣١٥ - ٣١٦.

و مخارق يغنيان. فعرض عليه فرس كميث أحمر، فتغامز علويه و مخارق، فغناه مخارق:

و اذا ما شربوها و انتشواوهبوا كل جواد و طمر

فتغافل الخليفه عنه، فانبرى مخارق فغنى:

يهب البيض كالظباء و جرداتحت اجلالها و عيس الركاب

فضحك المعتصم بالله و قال: اسكتا يا ابني الزانيتين، فليس يملكه و الله واحد منكما. ثم دار الدور فغنى علويه:

و اذا ما شربوها و انتشواوهبوا كل بغال و حمر

فضحك المعتصم بالله و قال: أما هذا فنعيم. و أمر لأحدهما جبغل و للآخر بحمار(١).

و عرض علويه على الخليفه المعتصم بالله رقعه فى أمر رزقه و اقطاعه، و هو يشرب، و دفعها اليه من يده، فلما أخذها اندفع علويه يغنى:

انى استحييتك ان أفوه بحاجتى فاذا قرأت صحيفتى فتفهم

و عليك عهد الله ان خبرته أحدا و لا أظهرته بتكلم

فقرأ الخليفه الرقعه و هو يضحك، ثم وقع له بما أراد(٢).

---

١- نفس المصدر ٥ / ٣٥٢-٣٥٣.

٢- نفس المصدر ١١ / ٣٥١.

و من المغنين الذين غنوا للمعتصم بالله عبد الله بن العباس الربيعي، و هو حفيد الفضل بن الربيع وزير الخليفة محمد الأمين، و كان مغنيا مجيدا. و قد حلف الا يغنى الا لخليفه أو ولى عهد.

و اذا ما اراد أحد أولاد الخلفاء ان يعرف من الخليفه بعد أبيه، هو و الا عرف انه غيره.

أم غيره، دعا عبد الله بن العباس و أمره بالغناء، فيعرفه بيمينه، فيستأذن الخليفه فى ذلك. فان أذن له بالغناء علم انه ولى عهده، و الا عرف انه غيره.

قال عبد الله الربيعي: دعانى الواثق أيام المعتصم بالله، و سأل اباه ان يأذن لى بالغناء، فأذن لى. الا ان الخليفه دعانى من الغد، فقال لى: لا يبلغنى انك امتنعت من الغناء عند احد، فو الله لو امتنعت لأضربن عنقك، فاعتق من كنت تملكه يوم حلفت و طلق من كان عندك يومئذ. و ارحنا يمينك هذه المشؤومه. فقامت و انا لا أعقل جزعا منه. فاعتقت جميع ما كان بقى عندى من مماليكى الذين حلفت يومئذ و هم فى ملكى، ثم تصدقت بجمله مال، و استفتيت فى يمينى أبا يوسف القاضى حتى خرجت منها(١).

و غنيت بعد ذلك لاخوانى جميعا حتى اشتهر أمرى، و بلغ المعتصم بالله أمرى(٢).

و غنى للمعتصم بالله كذلك المغنى الطنبورى محمد بن أميه المعروف بأبى حشيشه، و هو من المغنين الطنبوريين المجيدين، و قد تقدم بصنعه على كل طنبورى آخر(٣). و قد غنى أبو حشيشه لخلفاء سامرا جميعا، و كان كل منهم معجبا بلحن معين من الحانه يغنيه اياه اذا حضر مجلس غنائه. و له كتاب الفه فى اخبار مراتب

١- المعروف ان ابا يوسف قد توفى سنة ١٨٢، و ذلك مما يرجح ان هذه الفقره مضافه على الخبر.

٢- الاغانى ١٩ / ٢٢٤.

٣- نهايه الارب ٥ / ٣٥.

الطنبوريين و الطنبوريات. و قال أبو حشيشه: كان المعتصم بالله يحب ان اغنيه هذا الصوت(١):

أسرفت في سوء الصنيع و فتكت بي فتك الخليع

و ولعت بي متمرساو العذر في طرق الولوع

صيرت حبك شافعا فتيت من قبل الشفيع

و حدث عمرو بن يانه المفضي قال: خرجنا مع المعتصم بالله الى الشام فمررنا بدير مران، و هو على قلعه مشرفه عاليه تحتها مروج و مياه حسنه، فنزل فيه الخليفه، فأكل و نشط للشرب، و دعا بنا.

فلما شربنا أقداحا قال لحسين بن الضحاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين و الله لبعض الغياض و اجام هناك أحسن من هنا. قال: صدقت و الله، فقل أبياتا يغني بها عمرو.

فقال: اما أن أقول شيئا في وصف هذه الناحيه بخير فلا احسب لساني ينطق به، و لكن أقول متشوقا الى بغداد، فضحك الخليفه و قال له: قل ما شئت، فقال(٢):

يا دير مريان لا عريت من سكن هيجت قلبي سقما يا دير مريانا(٣)

هل عندك قسك من علم فيخبرنا أم كيف يسعف وجه الصير من بانا

١- الاغانى ٧٩ / ٢٣.

٢- الاغانى ١٩٣ / ٧ - ١٩٤.

٣- دير مريان بالقرب من بغداد على نهر كرخايا- الديارات / ٣٣.

حث المدام فان الكأس مترعهما يهيج دواعى الشوق أحيانا

سقيا و رعيا لكرخايا و ساكنهاو للجنيهه بالروحاه من كانا

فاستحسنها المعتصم بالله و أمرنى و مخارقا فغنينا فيها.

و شرب على ذلك، و أمر للجماعه بجوائز.

و تعتبر متيم الهشاميه من المغنيات المجيدات فى أيامها. و هى من مولدات البصره و بها نشأت و تأدبت، و كانت من أحسن الناس وجها و أدبا و غناء. أخذت الغناء عن اسحاق الموصلى، و ادركت اياه و اخذت عنه بعض الأصوات. و غنت للمعتصم بالله. قالت:

بعث الى المعتصم بالله بعد قدومه بغداد- أى فى أول خلافته- فذهبت اليه، فأمرنى بالغناء، فغنيت هذا الصوت:

هل مسعد لبكائى بعبره أو دماء

و ذا لفقد خليل لساده نجباء

فقال لى: أعدلنى عن هذا الصوت الى غيره. فغنيت غيره من معناه، فدمعت عيناه، و قال: غنى غير هذا. فغنيت:

أولئك قومى بعد عز و منعتهفانوا و الا تذررف العين أكمد

فبكى و قال: ويحك لا تغينى فى هذا المعنى شيئا البته. فغنيت فى لحنى:

لا تأمن الموت فى حل و فى حرم ان المنايا تغشى كل انسان

و اسلك طريقك هونا غير مكترث فسوف يأتيك ما يمى لك المانى

فقال: و الله لو لا انى أعلم انك انما غنيت بما فى قلبك لصاحبك- و هو على بن هشام الذى قتله المأمون و انك لم تريدنى لمثلت بك.- و لكن خذوا بايديها فاخرجوها. فاخذوا بيدي و أخرجت(١).

و لما انتقل المعتصم بالله الى سامرا أرسل الى متيم يستدعيها.

فجاءت و انزلها فى الجوسق فى دار كانت تسمى الدمشقى. و كانت بين حين و آخر تستأذنه فى الذهاب الى بغداد لزياره أولادها ثم تعود(٢).

و كانت متيم الهشاميه أول من عقد من النساء فى الازار زنارا و خيط أبريسم ثم جعله فى رأسها، فثبت الازار و لا يتحرك أو يزول(٣).

و غنت متيم يوما بين يدي المعتصم بالله، و عنده عمه ابراهيم بن المهدي، اللحن الآتى:

لزيب طيف تعترينى طوارقه هدوا اذا ما النجم لاحت لواحقه

فاشار اليها ابراهيم ان تعيده. فقالت للمعتصم بالله: يا سيدى ان ابراهيم يستعيدنى الصوت لأنه يريد أن يأخذه. فقال لها الخليفه: لا تعيده(٤).

ان المعتصم بالله تنكر للمغنيه عريب، التى كانت أديبه شاعره و مغنيه من اعلام العارفات بالغناء و الضرب على العود. أعجب بها

١- الاغانى ٧ / ٣٠٣-٣٠٤.

٢- الاغانى ٧ / ٢٩٤.

٣- نفس المصدر ٧ / ٣٠٢.

٤- نفس المصدر ٧ / ٢٩٥.



المأمون فاشتراها و ذهبت به كل مذهب، ميلا اليها و محبه لها، حتى انها نسبت اليه فعرفت بعريب المأمونية. و كان المعتصم بالله قد اشتراها لما بيعت في ميراث المأمون و اعتقها(١). الا انه غضب عليها. و يرى النويرى ان سبب غضبه انه وجد كتابا وجهته الى العباس بن المأمون، عند ما كان المعتصم بالله يحارب في بلاد الروم، تقول فيه: اقتل أنت العليج حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا(٢).

و تعنى بالأعور الليلي هارون بن المعتصم بالله، و كان أبوه قد استخلفه لما خرج في حملته على البيزنطيين. و يضيف النويرى ان هذا من الامور التي لا-تحتمل، و لو لم يكن لها عندهم من المكانه العظمى و المحل الكبير لما ابقوها بعد الاطلاع من باطن حالها على هذه الطويه(٣).

و من المطربين الذين اشتهروا على عهد المعتصم بالله زنام الزامر، و هو يعتبر أول من اشتهر من العرب باستعمال الناي، و يقال انه أول من أحدثه، و كان يضرب بزمره المثل. و ذكر زنام ان المعتصم بالله وجد في علته التي توفى فيها افاقه فطلب ان يهبوا له مركبه الزلال ليركب فيه، فركبت معه و طلب الى أن أزمر له هذا الصوت:

يا منزلا لم تبل اطلاله حاشا لأطلالك ان تبلى

لم ابك أطلالك، لكننى بكيت عيشى فيك اذ ولى

١- نفس المصدر ٢١/٦٧، و نهايه الارب ٥/١٠١.

٢- نهايه الارب ٥/١٠٦.

٣- نفس المصدر.

و العيش أولى ما بكاه الفتى لابد للمحزون ان يسلى

فما زلت أزمر الصوت المذكور، حتى دعا برطليه فشرّب منها قدحا. و جعلت أزمرة و أكرره. و قد تناول منديلا بين يديه، و ما زال يبكى و يمسح دموعه فيه و ينتحب، حتى رجع الى منزله، و هو لم يستتم شرب الرطليه(١).

---

١- الطبرى ٩/ ١١٨-١١٩، و الفخرى / ٢١٢، و جاء صدر البيت الاخير فيه: و العيش أحلى ما بكاه الفتى.



## الفصل الثانى مجالس الواثق بالله

## مقدمه:

كان الواثق بالله محبا للنظر مكرما لأهله، مبغضا للتقليد، محبا للاشراف على علوم الناس و آرائهم، ممن تقدم و تأخر من الفلاسفه و غيرهم (١). و الى جانب مجالس اللهو التى اعتاد ان يعقدها لسماع الغناء و الموسيقى و مناقشه الالحن، فقد كان يعقد مجالس خاصه يحضرها رجال الادب و العلم و الفلسفه و الطب، لبحث ما يثار من القضايا الادبيه و اللغويه و التاريخيه و المواضيع العلميه و الفلسفيه المختلفه، و لسماع الشعر و الاخبار، و تفهم فحوى و معانى ما يعرض من ذلك. فاذا ما ورد لفظ غريب مثلا تحرى الواثق بالله مع جلسائه عن معناه و الشواهد الداله عليه من شعر و غيره. و كذلك مناقشه آراء و قضايا علميه قد تعرض على المجتمعين. و من المعتاد ان يشترك الخليفه فى المناقشات التى تدور بين الحاضرين، أو انه يوجه سؤالا معينيا يطلب الى أحد الحاضرين الأجابه عليه، و يدعو الاخرين الى مناقشه تلك الاجابه. أو أن أحد الجلساء يسأل سؤالا معينيا فيجيب عليه أحد الحاضرين.

و الواثق بالله يستمع الى ما يورده السائل و المجيب، و ما يدور حول

ذلك من جدل و مناقشه. و يترك للجميع الحريه التامه فى ابداء آرائهم و ملاحظاتهم.

و كثيرا ما كان الواثق بالله يجيز من يحضر هذه المجالس من الادباء و المتطبيين و غيرهم جوائز سننيه تشجيعا لهم. و لا ينكر ان قيام الخليفه بعقد مثل هذه المجالس و حضوره فيها و تشجيعه من يحضرها، و مناقشه ما يدور فيها، يعتبر حافزا مهما للعلماء و الادباء على السعى لتقديم خير ما يتوصلون اليه من معلومات و آراء. و ان المناظرات التى كانت تقوم حول تلك الآراء و الأفكار التى تعرض فى أى موضوع من مواضيع الشريعه أو العلم أو اللغه أو الأدب مما يغنى المعرفه الانسانيه فى هذه الحقول.

و كان الواثق بالله يطلب أحيانا ممن يجيب على اسئله معينه أن يضيف أجوبته فى كتاب. و لا ينكر ان شخصيه الواثق بالله و شغفه بالعلم و الأدب، و اعتناقه آراء المعتزله، و ايمانه بحريه الرأى، كان لها تأثير مهم فى تنشيط الحركه العلميه و الادبيه على عهده.

#### ١- من مجالسه العلميه:

اعتاد الواثق بالله، كما أشرنا، ان يتساءل فى هذه المجالس عن قضايا و مواضيع علميه تتناول الطب و شؤون الصحه، و مواضيع فلكيه و فلسفيه و غيرها. و كان فى بعض الاحيان يخص باسئله كبار الحاضرين من الفلاسفه و الأطباء. و قد احتفظ لنا المؤرخ المسعودى بنماذج لما كان يدور من المناقشات فى هذه المجالس (١). فقد سأل الواثق بالله يوما جلساءه من المتطبيين و الفلاسفه عن كيفيه ادراك الطب، و هل ان أصوله من الحس أم من القياس، أم انه يدرك بالعقل أو السمع. فأجاب الحاضرون اجابات مختلفه (٢). و من

١- مروج الذهب /٤ /٧٧-٨٣.

٢- نفس المصدر /٧٧-٨٠.

الأسئلة التي وجهها في أحد مجالسه ان يخبر كل واحد منهم عما حضره من الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدثور و الفناء. فذكر كل واحد منهم ما سنع له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين و الحكماء المتقدمين مثل سقراط و ديوجانس. فقال الواثق بالله: قد اكثرتم فيما و صفتم و قد احستتم الحكاياه فيما ذكرتم، فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاه الاسكندر. فقال بعضهم: كل ما ذكروه حسن، و احسن ما نطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء ما قاله ديوجانس ان الاسكندر أمس انطق منه اليوم، و هو اليوم أوعظ منه أمس، و قد قيل انه لبعض حكماء الهند(١).

و يظهر مما رواه المسعودي ان حنين بن اسحاق العيادي كان أبرز من يحضر مجالس الواثق بالله من علماء الأطباء، و كان حنين أمام وقته في الطب(٢). و هو يتقن أربع لغات: العربية و السريانيه و الفارسيه و اليونانيه، مما ساعده على أن يكون حاذقا في الترجمة.

و قد ترجم عددا من نفائس الكتب اليونانيه الى اللغه العربيه و اللغه السريانيه. كما وضع عددا من الكتب الطبيه التي نالت شهره واسعه. و كان الخليفه المأمون قد اعجب به فعينه رئيسا لبيت الحكمة، و شجعه على ترجمه الكتب اليونانيه. و قد تقدمت منزلته عند الخليفه الواثق بالله، الذي يخدم العلماء و يجالسهم.

سأل الواثق بالله في أحد مجالسه حنين بن اسحاق عن أول آلات الغذاء، فقال حنين: أول آلات الغذاء في الانسان الفم و فيه الاسنان، و الاسنان اثنتان و ثلاثون سنا، منها في اللحي الاعلى ستة عشر سنا. و في اللحي الاسفل كذلك. و من ذلك أربعة في كل واحد من اللحيين عراض محدوده الأطراف تسميها الأطباء من اليونانيين

١- نفس المصدر / ٨٣.

٢- وفيات الاعيان ١ / ٤٥٥.

القواطع، و ذلك ان بها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الاطعمه اللينه، كما يقطع هذا النوع من المأكول بالسكين، و هى الثنايا و الرياعيات. و عن جنبى هذه الاربعه فى كل واحد من اللحين سنان رؤوسهما حاده و أصولها عريضه، و هى الأنياب و بها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبه مما يؤكل. و عن جنبى النابين فى كل واحد من اللحين خمس اسنان آخر عوارض خشن، و هى الأضراس. و يسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل. و كل واحد من الثنايا و الرياعيات و الانياب له أصل واحد، أما الاضراس فما كان منها فى اللحي الاعلى فله ثلاثه أصول خلا الضرسين الاقvisين، فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعه. و ما كان من الاضراس فى اللحي الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقvisين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثه. و انما احتيج الى كثره أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشده قوه العمل بها. و خصت العليا منها بالزياده فى الاصول لتعلقها بأعلى الفم.

فاستحسن الواثق بالله ما ذكره حنين بن اسحاق و طلب اليه أن يصنف له كتابا يذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك.

فصنف له كتابا جعله ثلاث مقالات، يذكر فيه الفرق بين الغذاء و الدواء و المسهل و آلات الجسد (١).

و كان من جمله ما سأل الواثق بالله حنين بن اسحاق و اجاب عنها، انه سأل عن الاشياء المغيره للهواء. قال حنين: خمس، و هى أوقات السنه، و طلوع الكواكب و غروبها، و الرياح، و البلدان، و البحار. قال السائل: فكم هى أوقات السنه؟ قال حنين: أربعه:

---

١- مروج الذهب ٤ / ٨٠ - ٨١. و يلاحظ انه لم يرد بين كتب حنين كتاب بهذا الاسم. بل هناك كتاب بعنوان « كتاب الاغذيه ثلاث مقالات » و قد يكون هو نفس الكتاب - تاريخ الحكماء / ١٧٣.

الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. فمزاج الربيع معتدل الحرارة و الرطوبه، و مزاج الصيف حار يابس، و مزاج الخريف بارد يابس. و مزاج الشتاء بارد رطب.

قال السائل: أخبرني عن كيفية تغيير الكواكب للهواء. قال حنين: ان الشمس متى قربت منها أو قربت هي من الشمس الهواء أزيد سخونه، و خاصه كلما كانت اعظم. و متى بعدت الشمس أو بعدت هي عن الشمس، كان الهواء أزيد برودا.

قال: أخبرني عن كيفية اعداد الرياح، قال حنين: اربع، الشمال و الجنوب و الصبا و الديوور. أما قوه الشمال فبادره يابسه، فان الجنوب فحاره رطبه، و أما الصبا و الديوور فمعتدلتان.

قال: فإخبرني عن أحوال البلدان في ذلك. قال حنين: هي أربع، الأول الارتفاع، و الثاني الانخفاض، و الثالث مجاوره الجبال و البحار، و الرابع طبيعه تربه الارض. و النواحي هي أربع: الجنوب و الشمال و المشرق و المغرب فناحيه الجنوب اسخن و ناحيه الشمال أبرد، و أما ناحيتا المشرق و المغرب فمعتدلتان. و اختلاف البلدان بارتفاعها و انخفاضها، لان ارتفاعها يجعلها ابرد، و انخفاضها يجعلها اسخن. و البلدان تختلف بحسب مجاوره الجبال لها. لأن الجبل متى كان من البلد في ناحيه الجنوب جعل ذلك البلد أزيد بردا لأنه يستره من الرياح الجنوبيه، و انما تهب فيها الرياح الشماليه فقط. و متى ما كان الجبل من البلد في ناحيه الشمال جعل ذلك البلد اسخن.

قال: فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار، كيف اختلفت؟ قال حنين: ان كان البحر من البلد من ناحيه الجنوب فان ذلك البلد يسخن و يرطب، و ان كان من ناحيه الشمال كان ذلك البلد أبرد.



قال السائل: فاخبرني عن البلد كيف اختلفت بحسب طبيعه تربتها؟ قال حنين: ان كانت أرضها حجريه جعلت ذلك البلد أبرد و أخف. و ان كانت ترابه البلد حصيائيه جعلت ذلك البلد أخف و أسخن، و ان كانت طينا جعلته أبرد و أرطب.

قال: فلم اختلف الهواء من قبل البحار؟ قال حنين: اذا جاورت نقائع الماء أو جيفا أو بقولا عفنه، أو غير ذلك مما يتعفن، تغير هواؤها.

فلما كثر الكلام من السائل و المجيب ضجر الواصل، فقطع المحاوره، و اجاز كل واحد ممن حضر المجلس(١).

و يتضح مما ذكره المسعودي عن مجلس الواصل بالله ان حنين بن اسحاق كان قد أجاب على عديد من أسئله الخليفه في علم الطب، فصنف ذلك في كتاب أسماه «المسائل الطبيه» ذكر فيه أنواعا من العلوم(٢). و يقول ابن أبي أصيبعه ان كتاب المسائل هذا هو المدخل الى صناعه الطب، لانه جمع فيه جملا- و جوامع تجرى مجرى المبادئ ء و الأوائل لهذا العلم، و ليس جميع الكتاب لحنين بل ان تلميذه حبيش الاعسم تممه، و لذلك يعنون هذا الكتاب بكتاب المسائل لحنين بزيادات حبيش الاعسم، و قيل ان حنين بن اسحاق شرع في تأليف هذا الكتاب في أيام الخليفه المتوكل على الله(٣).

و يغلب على الظن ان حنين بن اسحاق جمع أجوبته في مجالس الواصل بالله، و جعلها كتابا واحدا في عهد المتوكل على الله، و ان ابن أخته حبيش ساعده في جمعه و اضاف اليه بعض المواضيع. على انه

١- و قيل ان الواصل بالله كلف أحد الحاضرين في المجلس ان يسأل حنين بن اسحاق بحضرتة و هو يسمع ما يدور من المناقشه. مروج الذهب ٤ / ٨١ - ٨٣.

٢- مروج الذهب ٤ / ٨١، و جاء فيه اسم الكتاب «المسائل الطبيه».

٣- عيون الانباء / ٢٧١.

مما تجدر ملاحظته ان اجوبه حنين بن اسحاق فيما يتعلق بالاسنان من حيث أنواعها و وظائفها، أو فيما يتعلق بالعوامل المؤثره فى جو بلد ما و مناخه، لا تكاد تختلف عما نعرفه اليوم. و ذلك من الدلائل الواضحه على تقدم العلم و المعرفة حينذاك.

## ٢- من مجالسه الأدبيه:

غنت احدى المغنيات فى مجلس الواثق بالله يوما من شعر العرجى قوله:

أظلم ان مصابكم رجلاهدى السلام اليكم ظلم

فاختلف من فى المجلس من رجال اللغة فى اعراب «رجل» فمنهم من نصبه باعتباره اسم ان، و منهم من رفعه على انه خبرها.

و الجارىه المغنيه مصره على ان شيخها أبا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب. فأمر الواثق بالله باشخاص المازنى الى سر من رأى. قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه، قال: ممن الرجل؟ قلت من مازن. قال: أى الموازن؟ قلت: مازن ربيعه. فكلمنى بكلام قومى و قال باسمك؟ لأنهم يقبلون الميم باء و الباء ميما، فكرهت أن أجيبه على لغه قومى لثلا- أواجهه بالمكر، فقلت: بكر يا أمير المؤمنين.

ففظن لما قصدته و أعجب به، ثم قال: ما تقول فى قول الشاعر:

أظلم ان مصابكم رجلا- أترفع رجلا- أم تنصيه؟ فقلت: بل الوجه النصب. قال: و لم ذاك؟ قلت: ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم. فعارضنى اليزيدى. فقلت: هو بمنزله قوله ان ضربك زيدا ظلم. فالرجل مفعول مصابكم منصوب به و الدليل عليه ان الكلام معلق الى ان تقول ظلم فيتم. فاستحسن الواثق بالله ذلك.

ثم سأل الواثق بالله أبا عثمان، هل لك من ولد؟ قال: نعم، بنيه يا أمير المؤمنين، و قد انشدت عند مسيرى اليك قول الأعشى:

إذا غبت عنا و خلفتنا فانا سواء و من قد يتم

أيا أبتا لا ترم من عندنا فانا بخير اذا لم ترم

أرانا اذا اضمرتك البلاد نجفى و يقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قلت: قول جرير:

ثقى بالله ليس له شريك و من عند الخليفة بالنجاح

قال الواثق بالله: انت على النجاح انشاء الله، ثم أمر لى بألف دينار، وردنى مكرما(١).

و حضر أبو عثمان المازنى مجلس الواثق بالله، و كان ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن اسحاق حاضرا. فقال الواثق لأبى عثمان: سله عن مسأله. فقال المازنى: ما وزن نكتل من الفعل؟

قال ابن السكيت: نفعل. فقال الواثق بالله: غلطت، ثم طلب الى المازنى أن يفسره. فقال: نكتل تقديره نفعل واصله نكتيل، فانقلبت الياء ألفا لفتحها ما قبلها فصار لفظها نكتال، فاسكنت اللام للجزم لانه جواب الأمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

فقال الواثق بالله: هذا هو الجواب، لا جوابك يا يعقوب(٢).

و حضر المازنى يوما مجلس الواثق بالله و عنده نحاء الكوفه، فقال له الخليفة: يا مازنى هات مسأله. فقال: ما تقولون فى قوله تعالى «وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا» لم لم يقل بغيه، و هى صفه لمؤنث؟

١- دره الغواص / ٧٢-٧٤ و العقد الفريد ٢ / ١٠١، و عيون الاخبار ٣ / ٣٢-٣٣، و اخبار النحويين البصريين / ٥٧-٥٨ و وردت فيه الابيات ببعض التغيير، و ان الواثق بالله أمر له بثلاثين ألف درهم. و جاء فى وفيات الاعيان ٥ / ٤٤٠-٤٤١، و فى البصائر و الذخائر ٣ / ٥٧٢ ان المناظره جرت فى مجلس المتوكل على الله.

٢- معجم الادباء ٥ / ٤٤٠-٤٤١.

فاجابوا باجابات غير مرضيه. فقال الواثق بالله: هات ما عندك.

قال: لو كانت بغى على تقدير فعيل بمعنى فاعله لحقتها الهاء، مثل كريمه و ظريفه، و انما تحذف الهاء اذا كانت مفعوله، نحو المرأه قتيل، و كف خضيب. و بغى هنا ليس بفعال و انما هو فعول، و فعول لا تلحقه الهاء فى وصف التأنيث، نحو امرأه شكور بئر شطون- أى بعيدة الرشا- و تقدير بغى بغوى قلبت الواو ياء، ثم ادغمت فى الياء فصارت ياء ثقيله نحو سيد و ميت فاستحسن الخليفه الجواب(١).

و غنى أحد المغنين مره فى مجلس الواثق بالله بشعر الأخطل:

و شارب مربع بالكأس نادمنى لا بالحصور و لا فيها بسوار

فسأل الواثق بالله جلساءه: أسوار او سئار؟ فاختلفوا فى الاجابه. فوجه الى ابن الاعرابى محمد بن زياد اللغوى و هو يومئذ بسر من رأى، يسأله فى ذلك. فقال: سوار، و ثاب، يقول لا يثبت على ندمائه. و سئار مفضل فى القدح سؤرا، و قد روى جميعا.

فأمر له الواثق بالله بعشره آلاف درهم(٢).

و دخل ابن الاعرابى يوما على الواثق بالله و هو فى أحد مجالسه الأدبيه، و كان الحسين بن الضحاك الشاعر موجودا. فقرأ الفتح بن خاقان شعرا لطرفه، فقال:

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه

كسطور الرق رقصه بالضحي مرقش يشمه

١- نفس المصدر ٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦.

٢- نفس المصدر / ٧ / ٧.

تذكرون اذ نقاتلكم اذ لا يضر معدما عدمه

فقال ابن الاعرابي: زد الفا في أول البيت و اجعله أتذكرون.

فقال له الحسين بن الضحاك: قد خزم مره بقوله: اذ لا- يضر معدما، فهل يخزم بالت أخرى في أوله؟ أجاب ابن الاعرابي: ان العرب تخزم أول الشعر اذا احتاجت ان تصله بما قبله، تخزمه بالحرف أو الحرفين، و قد خزمه طرفه في اذ أواسطه و في الألف الأولى، و انشد قول امرىء القيس:

فلعمر ك ما سعد بخله آثم و لا تأتأ يوم الحفاظ و لا حصر

فخزم بالفاء، و انشد قول قد بن مالك الوالبي:

تعالوا نجمع الأموال حتى نجحدل من قبيلتنا المئينا

و الا فتعالوا نجتلد بمهندات نشق بها الحواجب و الشؤونا

فخزم بقوله و الا، و لم يقل تعالوا نجتلد، و خزم بالفاء في تعالوا، فخزم مرتين، فاعجب الواثق بالله بذلك. و شهد الحاضرون ان ابن الاعرابي أعلم الجميع. فأمر له الخليفة بعشره آلاف درهم(١).

و يقال ان الواثق بالله رأى في منامه كأنه يسأل الله الجنة، و ان قائلاً يقول له: لا يهلك على الله الا من قلبه مرت. فسأل في اليوم الثاني جلساءه عن المرت، فلم يعرفوا معناه. فوجه الى أبي محلم فحضر و سأله عن الرؤيا و المرت. فقال أبو محلم: المرت القفر الذى لا ينبت شيئاً، و المعنى على هذا لا يهلك على الله الا من قلبه

خاليا من الايمان خلو المرت من النبات. فطالبه الواثق بالله بشاهد من الشعر، فبادر أحد الحاضرين فانشد:

مرت مرتاوه يحار بها القطاو يصبح ذو علم بها و هو جاهل

فقال أبو محلم: و الله لا ابرح حتى انشده مائه قافيه معروفه لمائه شاعر معروف في كل بيت ذكر المرت. فأمر له الواثق بالله بمائه ألف دينار(١). و يلاحظ ان الخبر ممعن في المبالغه من قدره أبي محلم على انشاد مائه بيت لمائه شاعر و في كل منها ذكر المرت، و في المبلغ الذى منحه الواثق اياه، و يرجح انه بالدرهم لا بالدنانير اذا سلمنا بصره مقداره.

و تلا-حى الحسين بن الضحاك الشاعر و مخارق المغنى في مجلس الواثق بالله في أبي نواس و أبي العتاهيه، ايهما أشعر من الاخر.

فقال الواثق بالله: اجعلا بينكما خطرا يكون للغالب منكما، فجعلوا بينهما مائتى دينار. فسأل الواثق بالله من هاهنا من العلماء.

فقيل أبو ملح، فاحضروه فسئل عن ذلك. فقال: أبو نواس اشعر و اذهب في فنون العرب، و اكثر افتنانا من افانين الشعر.

فأمر الواثق بالله بدفع الخطر الى الحسين بن الضحاك(٢).

### ٣- عناية الواثق بالله باخبار الأولين:

#### أصحاب الرقيم (أصحاب الكهف):

كان الواثق بالله كثير العناية بتتبع اخبار الأولين، و من ذلك ما يرويه ابن خرداذبه من ان الواثق بالله وجه محمد بن موسى المنجم الى بلاد الروم ليتحرى عن أصحاب الرقيم الذين يقال انهم يرقدون

١- تاريخ الخلفاء / ٣٤٣.

٢- الاغانى ١٧٦ / ٧.

فى أحد الكهوف هناك. و كتب الى ملك الروم ميخائيل الثالث ليساعده فى مهمته. و يقول ابن خرداذبه ان ابن المنجم حدثه بان عظيم الروم وجه معه من صار به الى الموضوع الذى فيه أصحاب الرقيم، و هو يقع بين عموريه و نيقية(١). و يقول ياقوت الحموى ان بين الموضوع و بين طرسوس عشره أيام أو أحد عشر يوماً(٢).

و يلاحظ ان المسافه بين عموريه و نيقية القريه من القسطنطينيه بعيده، و كذلك هى بين نيقية و طرسوس الواقعه جنوبى شرقى آسيا الصغرى. و المعروف ان الكهف المذكور يقع فى مدينه افسوس على بحر ايجه جنوبى مدينه ازمير. و يغلب على الظن ان ابن خرداذبه و الحموى اتخذا المدين المذكوره دليلا على موقع الكهف لشهرتها و معرفتهما بها، أو لأن الطريق بين هذه المدين هى التى كانت مألوفه للسير حينذاك.

يصف محمد بن موسى الطريق التى سلكوها حينما و صلوا الى جبل صغير فصعدوا الى ذروته، ثم نزلوا الى سرب ينفذ الى الموضوع الذى يرقد فيه اصحاب الرقيم. فمشوا مقدار ثلاثمائه خطوه فصاروا الى موضع فيه رواق على اساطين منقوره، و فيه غرفه مرتفعه عليها باب حجري يرقد فيها الموتى، و على الغرفه رجل مكلف بحفظهم. و يقول ابن المنجم: ان الرجل كان يحدد عن ان نراهم أو نفتشهم، و يزعم انه لا يأمن أن يصيبنا من ذلك آفه، يريد التمويه ليدوم كسبه بهم. ثم يذكر كيف انه غامر بالصعود الى الغرفه و ما قاساه من تعب و مشقه حتى وصلها، فرأى الموتى فى مسوح باليه تفرك باليد، و ان اجسادهم مطليه بالصبر و المرد و الكافور لحفظها، و جلودهم لا صقه بعظامهم. و لما لمس صدر أحدهم وجد خشونه فى

١- المسالك و الممالك / ١٠٦-١٠٧.

٢- معجم البلدان ٣ / ٦١، و الاثار الباقية / ٢٩٠، و فيه ان اصحاب الكهف فى مدينه افسيس و ان المعتصم بالله وجه موسى بن شاعر الى ملك الروم، و ان على بن المنجم زار الكهف فى أحد غزواته.

شعره. و قدم الموكل بحفظ الموتى الى محمد بن موسى و غلامه طعاما انكرا طعمه. و يقول ابن موسى انما أراد أن يقتلنا أو يعضنا، فيصح ما يدعيه عند ملك الروم من انهم اصحاب الرقيم. فقلنا له:

انما ظننا انك ترينا موتى يشبهون الأحياء و ليس هؤلاء كذلك(١).

من الواضح مما بينه ابن المنجم، ان هؤلاء الموتى ليسو هم الفتيه الذين آووا الى الكهف، و انما هم أموات آخرون جاء بهم الموكل المدعى ليوهم من يراهم، و يتكسب بذلك.

على ان ابن خردادبه يشير فى مكان اخر من كتابه الى ما يعرف بهوته الرقيم(٢). و هى أشبه ما تكون بكهف أصحاب الرقيم.

فيقول: «و بعد لؤلؤه تسلك الى قلعه ثم تأتى هوته الرقيم، و هى خسف فى الارض بطول مائتى ذراع و عرض مائه ذراع، فى وسطها بحيره حولها أشجار، و حول الاشجار فى أصل الجبل بيوت و مساكن .. و لها باب فى الجبل تحت الارض يخرجك الى الوادى .. و قال الساكنون هناك: نحن ضعفى الروم لا نقاتل، انما نخدم هؤلاء القوم الذين جعلهم الله هاهنا، و هم فى مغاره يصعد اليها من أرض الهوته بسلم لعله أن يكون ثمانيه أذرع أو نحو ذلك. فاذا هم ثلاثه عشر رجلا و فيهم غلام امرد، عليهم جياب صوف و اكسيه صوف، و عليهم خفاف و نعال، و قد تناولت شعرات فى جبهه أحدهم فمددتها فما تبغنى منها شىء»(٣).

و يذكر المقدسى ان فى مدينه طرسوس تلالا عليه مسجد يقال انه مقام على الكهف، ثم يذكر الهويه - الهوته - و يقول «هى جوف جبل، فذكر لنا ان بها أمواتا لا يدرى ما هم، و عليهم حراس ..

فانطلق بنا الى كهف مما يلى الجنوب من الهوته طوله نحو عشرين

١- المسالك و الممالك / ١٠٧.

٢- الهونه: الارض المنخفضه أو الطريق المنحدر الى الماء.

٣- المسالك و الممالك / ١١٠ - ١١١.



ذراعا، و اذا فيه ثلاثه عشر رجلا- رقادا على اقفيتهم .. فسألناهم عن أمرهم فزعموا انهم لا علم لهم بشىء من أمرهم .. و يظن انهم أصحاب الكهف»(١).

و يقول القزوينى عند كلامه عن مدينه افسوس «ان مدينه افسوس مشهوره بأرض الروم، و هى مدينه دقيانوس الجبار الذى هرب منه أصحاب الكهف، و بين الكهف و المدينه فرسخان. و الكهف مستقبل بنات نعش لا تدخله الشمس، فيه رجال موتى لم يتغيروا، و عددهم سبعة، سته منهم نيام على ظهورهم، و واحد فى آخر الكهف مضطجع على يمينه و ظهره الى جدار الكهف، و عند ارجلهم كلب لم يسقط من أعضائه شىء .. و على الكهف مسجد يقصده الناس»(٢).

لقد وردت قصه اصحاب الكهف فى القرآن الكريم فى الآيات (٨-٢٦) من سوره الكهف. و قد ذهب المفسرون الى ان المدينه التى كان الكهف قريبا منها هى طرسوس، و قد لخص الزمخشري قصتهم فى تفسيره(٣). و جاء فى التفسير المذكور ان معاويه بن أبى سفيان غزا الروم فمر بالكهف، فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم.

فقال له ابن عباس: ليس لك ذلك، فقد منع الله تعالى من هو خير منك، فقال «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا»(٤). فقال معاويه: لا- انتهى حتى أعلم علمهم، فبعث اناسا و قال لهم: اذهبوا فانظروا. ففعلوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم(٥).

١- أحسن التقاسيم / ١٥٣-١٥٤.

٢- اثار البلاد / ٤٩٨.

٣- تفسير الكشاف ٧١١ / ٢ - ٧١٢.

٤- سوره الكهف، الآية: ١٨.

٥- تفسير الكشاف ٧٠٩ / ٢.

**سد ياجوج و ماجوج و رحله سلام الترجمان:**

يذكر ابن خردادبه عند اشارته الى ردم ياجوج و ماجوج و صنع السد الذي بناه ذو القرنين، ان الخليفه الواثق بالله رأى فى منامه كأن السد قد انفتح، فطلب رجلا يخرج الى موضع السد ليكشف خبره. فإشار عليه كبير قواده اشناس بان يبعث لهذا الغرض سلام الترجمان لأنه يتكلم عدله لغات. فألف الخليفه بعثه تضم خمسين من أشداء الرجال يرأسهم سلام، و قال له: أريد أن تخرج الى السد فتعاينه و تجيئنى بخبره. و جهزت البعثة بلوازم سفرها من اللبايد و الفرو و بمائتى بغل لحمل الزاد و الماء.

و اعطى ابن سلام عشره آلاف درهم، كما اعطى أفراد البعثة ألف درهم و رزق سنه لكل منهم. و زودهم الخليفه بكتاب توصيه الى اسحاق بن اسماعيل صاحب ارمينيه و هو بتفليس يوصيه فى انفاذهم الى ما بعثوا من أجله فكتب لهم اسحاق كتاب توصيه الى صاحب بلاد السرير.

و هكذا اخذ صاحب كل ولايه يمرون به يزداهم بكتاب توصيه الى صاحب البلد الذى يليه لانفاذهم و تزويدهم بما يحتاجون اليه من زاد و غيره. حتى وصلت البعثة الى بلاد الخزر، فاستقبلهم ملكها و وجه معهم خمسه أدلاء، فساروا بهم سته و عشرين يوما فدخلوا أرضا نتنه الرائح. و كانوا قد تزودوا بخل يشموناه للتخلص من تلك الرائح الكريهه. و ساروا فى تلك الأرض عشره أيام فوصلوا أرضا خربه ساروا فيها عشرين يوما. و هى الأرض التى كان ياجوج و ماجوج خربوها. فوصلوا الى الحصون القريبه من الجبل الذى فيه السد.

و يقول سلام انهم وجدوا فى تلك الحصون أقواما يتكلمون العربيه و هم مسلمون، و فيها مساجد. و لما علموا انهم جاءوا من سر من رأى موقدين من أمير المؤمنين الخليفه الواثق بالله، تعجبوا

وقالوا انهم لم يسمعوا بذلك. و كانت المسافه بين كل حصن و آخر فرسخا الى فرسخين. ثم وصلوا مدينه ايكه و هى مسوره و لها أبواب حديديه و فيها مزارع و ارحاء. و هى المدينه التى نزلها ذو القرنين بعسكره، و بينها و بين السد مسيره ثلاثه أيام. و فى الطريق حصون و قرى عديده.

و موضع السد كما وصفه سلام جبل مستدير ذكروا ان ياجوج و ماجوج فيه و هما صنفان و ان ياجوج أطول قامه من ماجوج، و طول أحدهم ما بين ذراع الى ذراع و نصف. و السد الذى بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين عرضه مائتا ذراع. و هو الطريق الذى يخرجون منه فيتفرقون فى الارض. فحفر ذو القرنين هناك أساسا بعمق ثلاثين ذراعا و بناه بالحديد و النحاس حتى بلغ وجه الارض.

و يسهب سلام فى وصف تفصيلات السد و ضخامه بابه. و وصف الحصنين اللذين عند الباب. و يقول انه رأى فى أحدهما الآلات التى استخدمت فى بناء السد من القدور و المغارف الحديديه الضخمه و بقايا اللبن الحديد قد التصقت ببعضها بفعل الصدأ. و يقوم على الحصنين رئيس يتولى عمله بالوراثه، و وظيفته أن يتفقد فى كل يوم اثنين و خميس باب السد و يتأكد من أن ياجوج و ماجوج لم يحدثوا فيه حدثا، ثم يقرع الباب عدده مرات لسمع من وراءه من ياجوج و ماجوج و يعلموا ان عليه حفظه.

و يقول سلام انه تحرى عما اذا قد حصل بالباب شق أو غيره، فلم يجد سوى شق دقيق كالخيط لا تأثير له بالنسبه لسمك الباب، و انه حك موضع الشق فجمع مقدار نصف درهم و شده فى منديل ليريه الخليفه. كما يقول انه سأل من هناك ما اذا كانوا قد رأوا من ياجوج و ماجوج أحدا، فذكروا له انهم رأوا مره عددا منهم فوق الجبل فهبت ريح القتهم الى جانبهم، و كان طول الواحد منهم شبرا و نصف الشبر فى رأى العين.

و بعد ان اتمت البعثه تحريها عادت راجعه الى عاصمه الخلافه.

و قد اتبع الادلاء فى العوده بهم طريق خراسان. فوصلوا الى نيسابور حيث استقبلهم أمير خراسان عبد الله بن طاهر و أكرمهم.

و قد مات أكثر أفراد البعثه و لم يبق منهم سوى أربعة عشر رجلا و ثلاثه و عشرين بغلا. فلما وصلت البعثه الى سر من رأى قدم سلام الترجمان تقريراً مفصلاً الى الخليفه الواثق بالله، فسر و حمد الله، و أمر بصدقه، و منح رجال البعثه ألف دينار لكل رجل.

و يقول ابن خرداذبه، حدثنى سلام الترجمان بجمله هذا الخبر، ثم أملاه على من كتاب كان كتبه للواثق بالله(١).

لقد استغرقت البعثه فى ذهابها ستة عشر شهر او فى اياها اثنى عشر شهرا و بضعه أيام. الا ان القزوينى و ياقوت الحموى يقولان ان الرحله استغرقت ثمانية عشر شهرا(٢). و يلاحظ ان الطريق الذى سلكته البعثه فى ذهابها الى موقع السد بدأ من تفليس قاعده ارمينيه، و منها الى بلاد السريز، ثم بلاد اللان، فبلاد الخزر التى بعث ملكها معهم ادلاء اجتازوا بهم أرضاً منتنه حتى وصلوا الى مدينه ايكه و يرجح انها باكه التى تدعى اليوم باكو. و هى منطقه نفطيه و ان الروائح الكريهه كانت رائحه الغاز المنبعث من تلك الارض.

و يلاحظ كذلك ان وصف طريق العوده بمرور البعثه بخراسان فيه شىء من الاضطراب فى ذكر المدن التى مرت بها، حيث يقول سلام انهم وردوا سمرقند ثم ساروا الى اسبيشاب (اسبيجاب) و منها عبروا نهر بلخ (جيجون) فصاروا الى اشروسنه و منها الى بخارى و ترمذ ثم نيسابور فالرى و منها الى سامرا. فمن المستغرب ان تصل البعثه من اقليم اذربيجان و هو غربى بحر الخزر الى سمرقند و هى من مدن ماوراء النهر، ثم تعود البعثه شمالاً الى مدينه اسبيجاب التى

١- المسالك و الممالك / ١٧٠، و كامل الروايه فى الصفحات ١٦٢ - ١٧٠. و تجد خلاصه و افيه لها فى معجم البلدان ٣ / ١٩٩ - ٢٠٠.

٢- اثار البلاد / ٥٩٦ - ٥٩٧، و معجم البلدان ٣ / ٢٠٠.

تقع على أعالي نهر سيحون و تنحدر ثانيه جنوبا الى اشروسنه بعد ان تعبر نهر بلخ. بينما تقع كل من اسبشباب و اشروسنه غربى نهر سيحون و هما بعيدتان عن نهر بلخ. كذلك من المستغرب ان يستغرق طريق العوده كما ذكر سلام مده أقصر من المده التى استغرقتها رحله الذهاب. لان طريق خراسان المشار اليه أطول كثيرا. و يظهر ان سلاما لم يحالفه الحظ فى وصف طريق العوده، و انه خلط كثيرا فى المدن التى قال ان البعته مرت بها، و انه لم يسجل مشاهداته فى حينها، و انما اعتمد على ذاكرته التى تشوشت فيها صور الرحله الطويله المتعبه و احداثها، فكان هذا الاضطراب الذى ذكرناه.

على ان هذا الاضطراب قد شكك فى صحه روايه ابن سلام عن رحله بعثته. فقد شك بصحتها أبو الريحان البيرونى اذ يقول ما خلاصته: ان الكتب المشتمله على ذكر البلاد و المدن، و كتب المسالك و الممالك تبين ان ياجوج و ماجوج هم صنف من الاتراك يسكنون فى مبادىء الاقليمين الخامس و السادس، و ان فى القصه ما يزيل الثقه بها من صفه أهل تلك البلاد من التدين بالاسلام و التكلم بالعربيه مع انقطاعهم عن العمران و انهم لم يكونوا يعرفون الخليفه و لا الخلافه. و هو ينكر وجود أمه مسلمه منقطعه عن بلاد الاسلام، لان البلغار الذين هم بالقرب من منقطع العمران و نهايه الاقليم السابع لا يجهلون الخلافه، و انهم لا يعرفون من أمر هذا السد شيئا، حتى يقول: و اذا كانت شواهد هذا الخبر على هذه الهيئه لم يطمع منها فى تعرف الحقيقه(١).

و كذلك طعن ابن رسته فى صحه روايه سلام اذ يقول: و كتبناه نحن لنقف على ما فيه من التخليط و الترييد، لان مثل هذا لا تقبل صحته(٢).

١- الاثار الباقية / ٤٢.

٢- الاعلاق النفيسه / ١٤٩.

أما المقدسى البشارى فانه ينقل ما جاء فى كتاب ابن خرداذبه عن قصه سد ياجوج و ماجوج دون ان يعلق عليها سوى انه يتخذ منها دليلا على رد من زعم ان السد فى بلاد الاندلس(١).

كما شك بها ياقوت الحموى الذى لخص فى معجمه رحله سلام الترجمان، و قال فى آخرها: قد كتبت من خبر السد ما وجدته فى الكتب، و لست أقطع بصحه ما اورده لاختلاف الروايات فيه، و الله اعلم بصحته(٢).

لا يستطيع القارىء ان يقرر ما اذا كان الارتباك فى روايه سلام الترجمان يعود الى عدم دقته فى تقريره الذى رفعه الى الخليفه و قد تشوشت فى ذهنه أحداث الرحله، أم أن ابن خرداذبه لم يكن دقيقا أمينا فى نقل الروايه. فقد قال أبو الفرج الاصبهاني فيه: و هو ممن لا يحصل قوله و لا يعتمد عليه(٣).

لقد ورد فى آخر سوره الكهف من القرآن الكريم، فى الايات (٨٤-٩٩) خبر ذى القرنين و بنائه السد، دون ان يذكر اسم ذى القرنين و المكان الذى بنى فيه السد. و قد بقى ذلك موضع تساؤل المفسرين و المؤرخين المسلمين و ذهابهم الى ان ذا القرنين هو الاسكندر المكدونى، باعتبار انه كان صالحا و قد ملك قرنى الدنيا، أى جانبيها شرقا و غربا. و قد فسرت تسميته بذى القرنين بعده تفسيرات ذكرها الزمخشري فى تفسيره(٤). و لخص قدامه بن جعفر رأى قدامى المؤرخين المسلمين فى ذى القرنين و السد الذى بناه.

و ذلك ان الاسكندر وصل فى فتوحاته الى الصين فهادته ملكها. ثم سار لاختضاع القبائل التركيه، فبلغه عن قوم كثيرى العدد من

١- أحسن التقاسيم / ٣٦٥.

٢- معجم البلدان ٣ / ٢٠٠.

٣- الاغانى ١١ / ٣٣٣.

٤- تفسير الزمخشري ٢ / ٧٤٣.

هؤلاء الاتراك مفسدين فى الارض. فاستشار ملك الصين فى أمرهم، فاخبره انهم رعاه يحيط بارضهم من الشمال البحر الاخضر الذى لا مجاز فيه، و من الغرب و الجنوب جبال شاهقه لا مسلك فيها و لا منفذ لهؤلاء الاتراك الا من درب واحد ضيق، و انهم فى زاويه من الارض، لو سد عليهم هذا المنفذ لبقوا فيه، و كفى الناس شرهم و فسادهم.

فعلم الاسكندر وجه الصواب فيما اشار به ملك الصين. فبنى سدا على ذلك الوادى، و هو السد الذى وصفه القرآن الكريم(١).

و يقول البيرونى ان صاحب اذربيجان أيام فتحها وجه انسانا الى السد من ناحيه الخزر، فشاهده و وصفه بانه بناء باسق سام أسود وراء خندق وثيق منيع(٢).

و جاء فى كتاب مختصر كتاب البلدان انه لما انتهى ذو القرنين الى موضع السد و بينه و بين الخزر شهران، اجتمع اليه خلق كثير و قالوا ان خلف هذا الجبل أمما لا- يحصيهم الا الله عز و جل، و قد اخرجوا علينا بلادنا و زروعنا. و ان ياجوج و ماجوج كانوا يخرجون أيام الربيع الى أراضيهم فلا- يدعون شيئا أخضر الا- أكلوه، و لا شيئا يابس الا حملوه. و ان ذا القرنين طلب اليهم ان يعينوه على أن يجعل لهم دونهم سدا. ثم أمر بالحديد فضرب منه لبنا عظاما، و اذاب النحاس ثم جعل ملاط اللبن النحاس، و بنى به الفج و سواه مع قلتي الجبل. فلما فرغ منه أمر بالنحاس فأذيب و أفرغ عليه من فوقه فصار شبيها بالمصمت(٣).

و من الابحاث الحديثه عن سد ذى القرنين الدراسه التى قام بها العالم الهندى مولانا أبو الكلام آزاد، و خلاصتها ان ذا القرنين هو الملك الفارسى كورش الذى حكم فى منتصف القرن السادس قبل

١- الخراج و صناعه الكتابه / ١٩٩.

٢- الاثار الباقية / ٤١.

٣- مختصر كتاب البلدان / ٢٩٨ - ٢٩٩.

الميلاد، و ليس الاسكندر المكدونى. فقد توسع كورش فى فتوحاته شرقا و غربا. و ان اسارى اليهود الذى جاء بهم الملك العراقى بختنصر الى بابل بعد أن أزال دويلتهم، كانت تراودهم فكره ظهور منقذ يخلصهم من الأسر و يعيدهم الى أورشليم و يساعدهم فى اعاده بناء هيكل سليمان. و قد وصفوه على طريق الرمز بصورة كبش له قرنان، أو عقاب له جناحان، و كلا الوصفين يتضمنان معنى القوه و البأس. و اعتبرت التوراه كورش بانه مسيح الله، و قد اضيفت عليه كثيرا من المدح و الثناء. و مما برهن على ان كورش هو المدعو بذى القرنين العثور على تمثال له بحجم الانسان الطبيعى و على جانبيه جناحان كجناحى العقاب و على رأسه قرنان يحملان التاج.

و هذا التمثال سواء قد تم صنعه فى عهد كورش نفسه أو انه صنع فى عهد خلفائه يدل على ان تصور ذى القرنين الذى أوجده اليهود للملك الذى سينقذهم قد رسخ فى ذهن كورش. و لهذا فقد حقق لهم آمالهم فى اعادتهم الى أورشليم بعد ان استولى على مدينه بابل و ساعدهم على اعاده بناء هيكل سليمان.

أما ياجوج و ماجوج فهم من القبائل المنغوليه الرحاله. و كان موطنها الاصلى سهول منغوليا فى شمالى شرقى قاره آسيا. و قد انتشرت فى خلال القرن السادس قبل الميلاد على سواحل البحر الاسود فى المناطق الممتده بين بحر الخزر و البحر الاسود شمالى سلاسل جبال القوقاز التى تكاد تفصل بين الشمال و الجنوب الا فى ممر ضيق، كانت هذه القبائل تنحدر منه لتغير على المناطق الواقعه جنوبى تلك البلاد. فلما وصل كورش فى فتوحاته شرقى البحر الاسود اشتكى اليه السكان من هجمات قبائل ياجوج و ماجوج عليهم، و توسلوا اليه ان يجعل بينهم و بين تلك القبائل سدا يحول دون انحدارهم اليهم. فاستعان بهم و بنى السد الحديدى الذى



عرف باسمه، في الممر المذكور، و انقذهم من هجمات تلك القبائل البربريه.

أما الاسكندر المكدوني فقد ظهر بعد كورش بمائتي سنه، و كانت فتوحاته قد امتدت شرقا حتى حدود الصين، و شملت جميع ارجاء أمبراطوريه فارس، الا ان جيوشه لم تصل جبال القوقاز(١).

و ثمة دراسه أخرى عن سد ذى القرنين جاءت في «ترجمه معانى القرآن الكريم الى اللغه الانكليزيه» قام بها الاستاذ عبد الله على من العلماء المسلمين فى الهند و عميد الكليه الاسلاميه بمدينة لاهور، و ذلك فى معرض تفسيره سوره الكهف. و هو لا يقر القول بان ذا القرنين هو الملك الفارسى كورش، و ان السد يقع فى جبال القوقاز بين البحر الاسود و بحر الخزر، كما توصل اليه مولانا أبو الكلام آزاد. و يستند عبد الله على فى دحضه هذا الرأى على أن الوصف القرآنى يشير الى ان السد قد اقيم بين جبلين، بينما هو يقع حسب الرأى المذكور بين جبل و بحر. و ان الاسكندر كان تلميذا لارسطو الباحث عن الحقيقه، و انه كان فاضلا ذا اخلاق عاليه مما يضىف عليه صفه الصلاح التى وردت فى الوصف القرآنى عن ذى القرنين.

و يقول ان فى القصص الاثيوبيه التراثيه ما يفيد بان الاسكندر يعتبر من أعظم الانبياء. و على هذا فهو يرى ان السد موضوع البحث يقع فى أواسط آسيا قرب موضع اسمه (در بند) على بعد ١٥٠ ميلا جنوبى شرقى بخارى، حيث يوجد ممر ضيق على الطريق الرئيسى بين تركستان و الهند، على خط العرض ٣٨ شمالا و خط الطول ٦٧ شرقا، و يسمى الآن بالتركيه بيت الماعز. و كان يعرف سابقا بباب الحديد باللغات العربيه و الصينيه و الفارسيه. علما ان البوابه المذكوره لا وجود لها اليوم الا انها كانت موجوده فى القرن السابع للميلاد و قد شاهدها الرحاله الصينى «هيون سيانك» فى طريقه الى الهند، حيث رأى بوابتين مغلفتين بالحديد و عليها أجراس. و كانت بجوارهما بعيره تسمى «اسكندر كول». و ان ما

تعرفه تاريخيا ان الاسكندر بعد ان غزا بلاد فارس و قبل ان يتوجه الى الهند مر ببخارى و سمرقند. و ان البعثه التى أوفدها الواثق بالله من سامرا كانت قد ذهبت الى اواسط آسيا و وجدت هذا المضيق البالغ عرضه ١٥٠ يارده، و عليه ضلفتين مصنوعتين من طابوق من الحديد الملحوم بالرصاص، و انهما مغلقتان دائما، فاطمأنت الى سلامته و عادت لتخبر الخليفه بذلك(١).

و على هذا يرى الاستاذ عبد الله على ان المقصود بذي القرنين هو الاسكندر المكدونى، و ان السد الذى بناه يقع فى تركستان فى اواسط آسيا، و ذلك استنادا الى ان الوصف القرآنى أكثر انطباقا على الاسكندر و على المضيق المذكور. و يلاحظ ان هذا يطابق ما ذهب اليه المفسرون و المؤرخون المسلمون مما اشرنا اليه آنفا من ان ذا القرنين هو الاسكندر. بل لقد ذهب بعضهم الى القول بان ذا القرنين عربى من اليمن، اذ يقول المقريزى ان اسمه الصعب بن ذى مرثد و انه من ملوك حمير، و قد غلط من ظن ان الاسكندر بن فليس هو ذو القرنين الذى بنى السد، فان لفظه «ذو» عربيه، و ذو القرنين من القاب العرب ملوك اليمن(٢).

ان الذى يستنتج من رحله سلام الترجمان، مع ما اكتنفها من الخلط و الاشتباه و ما اعتورها من الشك، و مهما تضمنت من مبالغه فى وصف السد و بنائه و آثاره، ان البعثه كانت قد وصلت الى المنطقه التى يقع فيها السد، سواء كانت نفس المنطقه التى توصل اليها أبو الكلام آزاد فى تحقيقه أو التى توصل اليها بحث عبد الله على. و هذا ما يوضح ان مكان السد كان معروفا فى أيام الواثق بالله. و يلاحظ التشابه فى وصف المنطقه فى تحقيق أبى الكلام آزاد و بحث عبد الله على و فى تقرير بعثه سلام، حيث يؤكد التقرير على وجود الفجوه أو الممر فى الجبل الذى شيد فيه السد، و هى الممر

١- ترجمه معانى القرآن الكريم الى اللغة الانكليزيه / ٧٥٣-٧٥٧.

٢- الخطط المقريزيه ١/ ١٥٣.

الذى كان يهبط منه المغيرون من الشمال الى الجنوب. و فى هذا المكان بنى ذو القرنين سده بحجاره الحديد، و بارتفاع و سمك يعجز المغيرون عن اجتيازه أو اجتياحه، و بذلك أمن أهل الجنوب من غارات القبائل الشماليه عليهم.

#### ٤- الوثائق بالله و الشعر و الشعراء:

#### الوثائق بالله و الشعر:

كان الوثائق بالله أديبا فصيحاً و سمي المأمون الأصغر لسعه علمه و غزاره أدبه. كما كان شاعرا و يروى الشعر و الاخبار بحيث لم يكن فى خلفاء بنى العباس أكثر روايه للشعر منه، و له شعر جيد.

و مما نسب اليه قوله(١):

تنح عن القبيح و لا ترده و من اوليته حسنا فزده

ستلقى من عدوك كل كيداذا كاد العدو و لم تكده

و قوله(٢):

دع المقادير تجرى فى أعتتها و اصبر فليس لها صبر على حال

تريك يوما و ضيع القدر مرتفعالى السماء و يوما تخفض العالى

و هى أبيات عاديه فى لغتها و بسيطه فى معانيها المألوفه. الا انه له أشعارا أخرى تمتاز بعدوبه ألفاظها ورقه معانيها، تلك التى

---

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٢- نفس المصدر.

قالها فى التغزل بالخدم و الجوارى لمن كان يتعشقهم. فقد قال يصف أحد الخدم و قد ناوله وردا و نرجسا(١):

حياك بالنرجس و الورد معتدل القامه و القد

فألهبت عيناه نار الهوى و زاد فى اللوعه و الوجد

أملت بالملك له قربه فصار ملكى سبب البعد

و رنحته سكرات الهوى فمال بالوصل الى الصد

ان سئل البذل ثنى عطفه و اسبل الدمع على الخد

غر بما تجنيه الحاظه لا يعرف الانجاز للوعد

مولى تشكى الظلم من عبده فانصفوا المولى من العبد

و قد اجمعوا ان ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الايات.

و قال فى خادم كان يهواه(٢):

سأمنع قلبى من موده غادرتعبدنى خيئا بمكر مكاشر

خطبت اليه الوصل خطبه راغب فلا حظنى زهوا بطرف مهاجر

---

١- تاريخ الخلفاء / ٣٤٥.

٢- الاغانى / ٩ / ٢٩٨.

و روى انه كان يجب جاريه حملت اليه من مصر هديه، فغضبت يوما فجلست مع صاحبات لها و قالت لهن: لقد هجرته، و منذ أمس و هو يروم ان أكلمه فلم أفعل، فخرج الواثق بالله على غفله فسمع قولها فأنشأ يقول(١):

يا ذا الذى بعدابى ظل مفتخراما انت الا مليكك جار اذ قدرا

لولا الهوى لتجارينا على قدرو ان أفق منه يوما فسوف ترى

و للواثق بالله أبيات من الشعر قالها و صنع فيها الحانا غنائيه.

و قد اورد أبو الفرج فى كتابه بعضا منها. فقد قال(٢):

ألا أيها النفس التى كادها الهوى أفانت ان رمت السلو غريمى

أفيقى فقد أفنيت صبرى أو اصبرى لما قد لقيته على و دومى

و من ذلك قوله(٣):

أيا عبره العينين قد ظمى ء الحدفما لكما من ان تلما به بد

و يا مقله قد صار يبغضها الكرى كأن لم يكن من قبل بينهما ود

لئن كان طول العهد أحدث سلوهفم وعد بين العين و العبره الوجد

١- شذرات الذهب ٧٧ / ٢، و تاريخ الخلفاء / ٣٤٢ و فيه انه قال هذا الشعر فى خادم له اهدى اليه من مصر، و ليست جاريه.

٢- الاغانى ٢٩٣ / ٩.

٣- نفس المصدر ٢٩٦ / ٩.

و ما أنا الا كالذين تخرموا على ان قلبى من قلوبهم فرد

و كان الواثق بالله الى جانب روايته الشعر يضرب الأمثال بما يحفظه منه، فى بعض المناسبات، و يحسن اختياره ليطابق المناسبه.

قال ابن حمدون: كان بين الواثق بالله و بعض جواريه شر فخرج كسلان، فلم ازل انا و الفتاح بن خاقان نحتال لنشاطه. فرآنى أضاحك الفتاح، فقال: قاتل الله ابن الاحنف حيث يقول(١):

عدل من الله ابكاني و اضحكها فالحمد لله عدل كل ما صنعا

اليوم أبكى على قلبى و أندبه قلب الح عليه الحب فانصدعا

فقال الفتاح: انت و الله يا أمير المؤمنين فى وضع التمثل موضعه أشعر منه و أعلم و أظرف.

و قالت جاريه للواثق بالله، و كان يهواها، و قد جرى بينهما عتاب: ان كنت تستطيل علينا بعز الخلافه، فانا ادل بعز الحب، أتراك لم تسمع بخليفه عشق قبلك قط فاستوفى معشوقه حبه، و لكنى لا أرى لى نظيرا فى طاعتك. فقال الواثق: لله در ابن الأحنف اذ يقول(٢):

أما تحسبى أرى العاشقين بلى، لست أرى لى نظيرا

لعل الذى بيديه الأمور سيجعل فى الكره خيرا كثيرا

١- الاغانى ٨ / ٣٥٧ - ٣٥٨، و تاريخ بغداد ١٤ / ١٨ - ١٩ مع زياده بيت ثالث، و اضحكهم بدلا من اضحكها فى صدر البيت الاول.

٢- الاغانى ٨ / ٣٥٨.

## الوائق بالله والشعر:

أما الشعراء الذين عاصروا الواثق بالله فقد اتصل به أشهرهم.

فقد مدحه أبو تمام الطائي بعدد من القصائد قالها في مناسبات مختلفه. و من أولى قصائده في ذلك هي التي قالها يمدحه و يرثي المعتصم بالله، و منها(١):

ما للدموع تروم كل مرام و الجفن تاكل هجعه و منام

يا حضره المعصوم تربك مودع ماء الحياه و قاتل الاعدام

ان الصفائح منك قد نضرت على ملقى عظام لو علمت عظام

فتق المدامع ان لحدك حلهسكن الزمان و ممسك الأيام

الى ان يقول في مدح الواثق بالله:

مادام هارون الخليفه فالهدى في غبطه موصوله بدوام

انا رحلنا واثقين بوائق بالله شمس ضحى و بدر تمام

لله أى حياه انبعثت لنايوم الخميس و بعد أى حمام

أودى بخير أمام اضطربت له شعب الرجال و قام خير امام

و لما استخلف الواثق بالله صارت علاقته اسحاق الموصلى به مثل علاقته بأبيه. فقد اتخذته الواثق بالله نديما و مجالسا و مغنيا.  
و كان يقدر فيه علمه بالشعر و اللغه و الفقه و الموسيقى. و لم يكن مجلسه يخلو منه. قال اسحاق: قدمت على الواثق بالله فى  
بعض قدماتي، فقال لى: أما اشتقت الى؟ فقلت: بلى و الله يا امير المؤمنين، و انشدته(١):

أشكو الى الله بعدى عن خليفته و ما أعالج من سقم و من كبر

لا أستطيع رحىلا اذ هممت به يوما و لا أقوى على السفر

أنوى الرحيل اليه ثم يمننى ما أحدث الدهر و الايام فى بصرى

ثم استأذنته فى انشاد قصيده مدحته بها، فاذن لى، فانشدته(٢):

ضفت سعاد غداه الين بالزاد و اخلفتك فما توفى بميعاد

ما أنس لا انس منها اذ تودعناو الحزن منها و ان لم تبده باد

لما أمرت باشخاصى اليك هفاقلى حينا الى أهلى و أولادى

ثم اعترمت و لم احفل بينهم و طابت النفس عن فضل و حماد

١- الاغانى ٥ / ٣٧١ - ٣٧٢.

٢- نفس المصدر ٥ / ٣٧٢، و كررها فى ٩ / ٢٨٤ مع تغيير طفيف ببعض الكلمات.



كم نعمه لأبيك الخير افردني بها و عم باخرى بعد افراد

فلو شكرت أياديكم و أنعمكم لما احاط بها وصفى و تعدادى

لأشكرنك ما ناح الحمام و ما حدا على الصبح فى اثر الدجى حادى

و حظى الشاعر الحسين بن الضحاك عند الخليفه الواثق بالله، اذ اتخذه نديما لا يكاد يفارقه، و اول قصيده للحسين فى الواثق بالله قالها يهتوه بالخلافه و يرثى المعتصم بالله، منها قوله(١):

ألم يرع الاسلام موت نصيره بلى حق أن يرتاع من مات ناصره

سيسلبك عما فات دوله مفضل أوائله محموده و أواخره

ثنى الله عطفيه و ألف شخصه على البر مذ شدت عليه مآزره

يصب ببذل المال حتى كأنما يرى بذله للمال نهيا يبادره

و ما قدم الرحمن الا مقداموارده محموده و مصادره

جرى لك من هارون بالسعد طائره أمام اعتزام لا تخاف بوادره

هو الملك المجبول نفسا على التقى مسلمه من كل سوء عساكره

لتعمد سيوف الحرب فالله وحده ولى أمير المؤمنين و ناصره

فقال الواثق بالله: ان الحسين لينطق عن حسن طويه، و يمدح بخلوص نيه، ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيده ألف درهم.

و ممن مدح الواثق بالله من الشعراء على بن الجهم، فقد دخل اليه بعد أن بويع بالخلافه، و انشده(١):

قد فاز ذو الدنيا و ذو الدين بدوله الواثق هارون

أفاض من عدل و من نائل ما أحسن الدنيا مع الدين

قد عم بالاحسان من فعله فالناس فى خفض و فى لين

ما أكثر الداعى له بالبقا و أكثر التالى بآمين

#### ٥- الواثق بالله و الغناء و الموسيقى:

#### ولع الواثق بالله بالغناء:

كان الخليفه الواثق بالله حاذقا بالغناء و الموسيقى و الضرب على العود، الى جانب اطلاعه الواسع و أدبه الوافر و روايته الشعر.

و عند ما يبحث أبو الفرج الاصبهاني فى غناء الخلفاء و أولادهم فى كتابه، يفرد فصلا طويلا لغناء الواثق بالله(٢). يشير فيه الى أهم

١- ديوان على بن الجهم / ١٨٨.

٢- الاغانى ٩ / ٢٧٦ / ٣٠٠.

الالحن التي صنعها من اشعاره التي نظمها و لحنها بنفسه، و عددها خمسة عشر صوتا. و يقول انه كان أعلم الخلفاء بالغناء، و بلغت صنعة مائه صوت، كما كان أحذق من غنى بضرب العود(١).

و كانت عريب أشهر و احذق مغنيات عصرها تكايدته في ألحانه، و مع ذلك قالت: صنع الواثق بالله مائه صوت ما فيها صوت ساقط(٢).

و قد اعتاد الواثق بالله ان يستطلع رأى نديمه اسحاق الموصلى في الالحن التي يصنعها، بعد ان ينسبها الى غيره، و ذلك قبل ان يظهرها. و كان اسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشد أخذ(٣).

فاذا رأى اللحن جيدا امتدحه و اوصى باظهاره، و ان كان فاسدا أو متوسطا ذكر ما فيه من مآخذ. فاذا كان للواثق بالله رغبة بذلك اللحن عمل على تقويمه و اصلاح فساده، و الا تركه حسبما يوصى اسحاق بشأنه. كما اعتاد الواثق بالله ان يقلد بعض أصوات اسحاق. و قد سئل اسحاق أى اللحنين أجود في «خلىلى عوجا» لحنه أم لحن الواثق بالله، فقال: لحنى أجود قسمه و أكثر عملا، و لحن الواثق بالله أطرب لانه جعل رده من نفس قسمته و ليس يقدر على أدائه الا متمكن من نفسه(٤).

و كثيرا ما كان الواثق بالله يجمع بعض غلمانته ممن يتوسم فيهم جمال الصوت و حسن الاداء، و يدرّبهم على انشاد الاصوات التي يصنعها. قال احد غلمانته: دعا بنا الواثق بالله مع صلاه الغداه فقال: هذا صوت خذوه، و نحن عشرون غلاما كلنا يغنى و يضرب، ثم ألقى علينا:

١- نفس المصدر ٩/ ٢٩٣.

٢- نفس المصدر ٩/ ٢٧٧.

٣- نفس المصدر ٩/ ٢٨٧.

٤- نفس المصدر ٥/ ٣٦٤.

أشكو الى الله مالقى من الكمدحسبى برى فلا أشكو الى أحد

و ما زال يردده علينا حتى أخذناه(١).

وقال مخارق المغنى: صنع الواثق لحنين، فأمرنى و علويه و عريبا ان نعارض صنعتة فيهما، ففعلنا و اجتهدنا، ثم غنينا، فضحك و اطمأن الى اننا لم نبلغ شأوه فى التلحين(٢).

و روى يزيد المهلبى انه دخل على الواثق بالله يوما و هو خليفه، فرأى صبيه اسمها رباب جالسه فى حجره و هو يلقي عليها قوله:

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظنى حفظه عجب و فى تضييعك

و هى تغنيه و يردده عليها، و ما زال يردده حتى حفظته(٣).

و للواثق بالله رأى طريف يرر فيه عدم تحرجه من الغناء و ضرب العود. فهو يرى ان الغناء «انما هو فضله أدب و علم مدحه الاوائل و اشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و رحمهم و التابعون بعدهم، و كثر فى حرم الله و مهاجر رسوله»(٤). و قد ألف محمد بن عمران بن موسى المرزبانى، و هو الراويه الاخبارى، كتابا عن الواثق بالله فى وصف أحوال الغناء و نعوته و ضروبه و طرقه، و اخبار المغنين و المغنيات الأحرار و الأماء و العبيد(٥).

و من مظاهر اهتمام الواثق بالله بالغناء و الموسيقى انه لما علم بأن جده هارون الرشيد قد أمر ابراهيم الموصلى و اسماعيل بن جامع و فليح بن العوراء، ان يؤلفوا كتابا فى الأغاني و يضمونه

١- نفس المصدر ٢٩٩ / ٩.

٢- الاغانى ٢٩٩ / ٧ - ٣٠٠.

٣- نفس المصدر ٨٣ / ٢٠ - ٨٤.

٤- نفس المصدر ٢٧٦ / ٩.

٥- الفهرست / ١٩٨، و معجم الادباء ٥٢ / ٧.

المائه صوت المختاره، اطلع على هذا الكتاب و امر اسحاق بن ابراهيم الموصلى بتهذيبه و توسيعه(١).

و قد سبق ان اشرنا فى البحث السابق الى بعض الاشعار التى قالها الواثق بالله و صنع فيها الحانا.

### مجالسه الغنائيه:

### الواثق بالله و المغنون:

و لحب الواثق بالله فن الغناء و الموسيقى فقد كان يكرم اسحاق الموصلى غايه الاكرام، مقدرافيه موهبته فى التلحين و قدرته على الغناء. و كان يميزه على غيره من المغنين و الموسيقيين. و قد قال مره «ما غناني اسحاق الا ظننت انه قد زيد فى ملكى، و لا سمعته يغنى غناء ابن سريج الا ضننت ان ابن سريج قد نشر، و انه ليحضرني غيره، اذا لم يكن حاضرا، فيتقدمه عندى و فى نفسى يطيب الصوت، حتى اذا اجتمعا عندى رأيت اسحاق يعلو و رأيت من ظننته يتقدمه ينتقص. و ان اسحاق لنعمه من نعم الملك، لم يحظ أحد بمثلها، و لو ان العمر و الشباب و النشاط مما يشتري لا شتريتهن له بشرط ملكى»(٢). اذ كان اسحاق كثير الشكوى من شيخوخته و تقدم عمره.

و كان اسحاق يحضر مجالس الواثق بالله منذ ان كان أميرا فى عهد أبيه المعتصم بالله و لما خرج المعتصم بالله فى حملته على بلاد الروم استخلف ابنه هارون بسر من رأى. فعزم هارون على أن يقضى نهارا كاملا بين المغنين. فوجه الى جلسائه و ندمائه و مغنيه أن يبكروا فى يوم حدده لهم فحضر الجميع. فلم يأخذ مكانه على سريره، بل جلس على الارض. و طلب اليهم ان يجلسوا حلقه

١- التاج / ٢٣.

٢- الاغانى / ٥ - ٢٨٥ - ٢٨٦.

حواله، و الى جانب كل واحد منهم مغن، ليكون أكثر اختلاطا بهم.

و بدأ هر نفسه فتناول عودا و غنى فشربوا. ثم غنى من بعده حتى وصل الدور الى اسحاق الموصلى فلم يغن. فغنوا دورا اخر و لم يغن اسحاق، و كذلك فعل فى الدور الثالث. فغضب هارون و نهض فجلس على السرير، فقام الجميع وقوا بين يديه. فدعا باسحاق و شتمه، و قال له: أنتزل لك و اغنى و ترتفع عنى، و أمر بضربه ثلاثين مفرعه. و حلف الا يغنى بقيه اليوم غير اسحاق. فاعتذر اسحاق و اعتذر الجلساء، فعاد هارون الى مجلسه بينهم، و أخذ اسحاق العود و ما زال يغنى حتى انقضى ذلك اليوم(١).

كان الواصل بالله يغدق على اسحاق الموصلى الأموال. و قد قال اسحاق: ما وصلنى أحد من الخلفاء بمثل ما وصلنى به الواصل بالله، و ما كان أحد منهم يكرمنى اكرامه(٢). و كان اسحاق يحضر مجالس الخلفاء اذا جلسوا للشرب و اللهو فى جملة المغنين و عوده معه، الى ايام الواصل بالله فانه كان اذا قدم عليه يحضر مع الجلساء بغير عود، و لا يغنى حتى يطلب اليه الواصل بالله. و اذا طلب منه أن يغنى جاؤه بعود فغنى به، و اذا فرغ رفع العود من بين يديه(٣). و ذلك اكراما له و اعلاؤه لشأنه.

و طلب الواصل بالله فى بعض العشايا الا يبرح أحد من المغنين المجلس لانه عزم على الصبح فى اليوم التالى. فامسك الجميع عن معارضته الا- اسحاق فانه اعتذر عن المبيت، فرجاه الواصل بالله ان يبكر فى الحضور غدا. و عند ما التأم المجلس فى اليوم التالى حضر اسحاق فجلس مع الندماء. و كان اذا امره الواصل ان يغنى خرج عن صفهم قليلا و غنى الصوت الذى يأمره به، فاذا فرغ من القده

١- نفس المصدر ٢٩٨ / ٩.

٢- نفس المصدر ٢٨٣ / ٩.

٣- نفس المصدر ٢٨٦ / ٩.

قطع الصوت و لم يتمه و رجع الى صف الجلساء(١). و هذا لا شك أيضا من مظاهر تكريم اسحاق و تقدير فنه و عبقريته.

قال اسحاق الموصلى: انشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين و أنا حاج فاستحسنتهما و صنعت فيهما لحنًا غنيته الواثق بالله فاستحسنه و استعاده منى حتى تعلمه، و أمر لى بثلاثين ألف درهم، و البيتين هما(٢):

عسى الله باظمياء ان يعكس الهوى فتلقين ما قد كنت منك لقيت

ثراء فتحتاجى الى فتعلمى بأنى به أجزيك حين غنيت

و قال اسحاق: دخلت على الواثق بالله يوما فرأيته خائر النفس كسلان، فاخذت عودا و وقفت بين يديه فغنيته:

من الظباء ظباء همها السخب ترعى القلوب و فى قلبى لها عشب

لا يغتربن و لا يسكن باديهو ليس يعرفن ما حر و ما حلب

يا حسن ما سرقت عيني و ما انتهبت و العين تسرق أحيانا و تنتهب

اذا يد سرقت فالقطع يلزمهاو القطع فى سرق العينين لا يجب

---

١- الاغانى ٩ / ٢٩٥ - ٢٩٦.

٢- نفس المصدر ٥ / ٣٥٣.

فهش الواثق لى و نشط، و دعا بطعام خفيف فاكلنا، و اصطحب، و أمر لى بمائه ألف درهم (١).

و غنى اسحاق الواثق بالله يوما فى شعر كان قاله و هو عنده بسامرا، و قد طال مقامه و اشتاق الى أهله، و هو:

يا حبذا ريح الجنوب اذا بدت فى الصبح و هى ضعيفه الأنفاس

قد حملت برد الندى و تحملت عبقا من الجثجات و البسباس

فشرب الواثق بالله عليه و استحسنة، و قال له: يا أبا محمد لو قلت مكان «يا حبذا ريح الجنوب» يا حبذا ريح الشمال، ألم يكن أرق و أعذى و أصح للأجساد و أقل و خامه و أطيب للأنفاس؟ قال اسحاق: ما ذهب على ما قاله أمير المؤمنين، و لكن التفسير فيما بعد، فقال: قل، فقلت:

ماذا تهيج من الصبابة و الهوى للصب بعد ذهوله و الياس

فقال الواثق بالله: انما استطبت ما تجىء به الجنوب من نسيم أهل بغداد، لا الجنوب، و اليهم اشتقت لا اليها. فقال: أجل يا أمير المؤمنين. فضحك و قال: قد اذنت لك بعد ثلاثه أيام فامض راشدا، و أمر له بمائه ألف درهم (٢).

١- نفس المصدر ٣٨٩ / ٥ - ٣٩٠. و قد ذكر الخبر نفسه فى ص: ٣٥٥ من الجزء نفسه. و خاثر النفس: ثقلها. و السخب جمع

السخاب و هى القلاده من قرنفل و نحوه، أو القلاده بصوره عامه. و الصر: شد ضرع الناقه لثلا ترضع ولدها.

٢- الاغانى ٤٠٦ / ٥ - ٤٠٧. و الجثجات: شجر اصفر طيب الرائحه، و مثله البسياس.



و اصطحب الواثق بالله فى يوم مطير و معه اسحاق الموصلى و مغنون اخرون. و اتصل شربهم و قد اسرفوا فيه حتى سقطوا صرعى فرقدوا فى أماكنهم. و أمر الخليفة خدمه بأن لا يحركوا أحدا من موضعه. و عند ما افاق أمر بانباهم فقاموا و اصلحوا من شأنهم. فجاء اسحاق الى الواثق بالله و هو جالس و فى يده كأس و هو يروم شربها و الخمار يمنعه، فقال له: يا اسحاق انشدنى فى هذا المعنى شيئا. فانشده اسحاق قول الاشجع السلمى:

و قد طغنت الليل فى اعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم

يتمايلون على النعيم كأنهم قضب من الهنذى لم تتلم

و سعى بها الطبى الغرير يزيدها طيبا و يغشمها اذا لم تغشم

و الليل منتقب بفضل ردائه قد كان يحسر عن أغر أرثم

و اذا ادارتها الأكف رأيتها تننى الفصيح الى لسان الأعجم

فطرب، و قال: أحسن و الله أشجع، و احسنت أنت يا أبا محمد، أعد بحياتى. فاعدتها و شرب كأسه، و أمر لى بألف دينار(١).

و تناظر المغنون يوما فى مجلس الواثق بالله، فذكروا الضراب على العود و خدقهم، و قدم اسحاق زلزلا على ملاحظ الذى كانت له الرياسه على جميعهم. فقال له الواثق بالله: هذا حيف و تعد منك.

---

١- نفس المصدر ١٨ / ٢٢١ - ٢٢٢. يغشمها: يغتصبها. و الفرس الارثم: الذى فى طرف أنفه بياض.

فقال اسحاق: يا أمير المؤمنين نجمع بينهما و نمتحنهما، و سينكشف الامر، فاحظرا. فاستأذن اسحاق في ان يمتحنهما، فوافق الواصل بالله. فسمى اسحاق ثلاثه أصوات كان أولها:

علق قلبى ظيبه السيب جهلا فقد أغرى بتعديى

فتقدم زلزل و قصر عنه ملاحظ. فعجب الواصل من مهاره اسحاق و سرعته في كشفهما. فطلب ملاحظ ان يضرب اسحاق الصوت ليروا مهارته. فقبل اسحاق التحدى، و طلب الى ملاحظ ان يشوش عوده، ففعل ذلك. و قال اسحاق: ان ملاحظا قد خلط الأوتار تخليط متعنت بحيث افسدها. ثم أخذ العود منه و جسه حتى عرف موقعه، و طلب الى ملاحظ ان يغنى أى صوت يشاء.

فغنى ملاحظ صوتا غريبا، و ضرب عليه اسحاق بذلك العود الفاسد التسويه، و لم يخرج عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه. فقال له الواصل بالله: لا- و الله ما رأيت مثلك و لا- سمعت به، و طلب اليه ان يطرح ذلك على الجوارى. فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، ان هذا لا تعرفه الجوارى و لا يصلح لهن. قال له الواصل بالله: صدقت، و لئن مت لتموتن هذه الصناعه معك، و أمر له بثلاثين ألف درهم<sup>(١)</sup>.

و دخل اسحاق مره على الواصل بالله يستأذنه في الانحدار الى بغداد، فوجده مصطبحا فطلب اليه الواصل بالله أن يغنيه:

ألا ان أهل الدار و دعوا الداروا ان كان أهل الدار فى الحى اجوارا

و قد تركوا قلبى حزيننا متيما بذكركم لو يستطيع لقد طارا

فتطير اسحاق من اقتراحه، الا انه غناه اياه، فشرب عليه مرارا، و أمر له بثلاثين ألف درهم، و اذن له بالانصراف، و كان آخر عهده به (١). فقد توفي الواثق بالله بعد ذلك بقليل.

و ذكر أبو الحسن الصابى هذا الخبر على الشكل الآتى: ذكر اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال: دخلت يوما على الواثق بالله و هو مصطبج، فقال: غن يا اسحاق صوتا غريبا لم اسمعه منك حتى أكون عليه بقيه يومى مسرورا. فكأن الله انساني الغناء كله الا هذا الصوت:

يا دار ان كان البلى قد محاك فانه يعجبني ان أراك

أبكى الذى قد كان لى تألقايك فأتى الدار من أجل ذاك

قال: فتبنت الكراهيه فى وجهه، و ندمت على ما فرط منى، و تجلدت. و شرب رطلا كان فى يده، و عدلت عن الصوت الى غيره. فكان و الله ذلك اليوم آخر جلوسى معه (٢).

و كان الشاعر الحسين بن الضحاك يلازم الواثق بالله فى مجالسه الغنائيه و ينادمه فى شرايه. قال الحسين: شهدت الواثق بالله بعد موت المعتصم بالله بأيام فى أول مجلس يجلسه. فغنته شاريه جاريه ابراهيم بن المهدي:

ما درى الحالون يوم استقلوانعشه للثواء أم للبقاء

فبكى و بكينا معه، حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه.

ثم تغنى بعض الحاضرين فقال:

١- نفس المصدر ٥ / ٤١٦.

٢- الهفوات النادره / ٣٢.

ودع هريره ان الركب مرتحل و هل تطيق وداعا أيها الرحل

فازداد الواثق بالله بكاء، و قال: ما سمعت كاليوم تعزبه بأب. ثم تفرق المجلس (١).

و حضر الحسين مجلسا للواثق بالله، فشرّبوا الى أن انقضى أكثر الليل. فأمر الواثق بالله جلساءه بأن يبيتوا في مكانهم. فلما أصبح خرج اليهم و هم مقيمون، فقال للحسين: هل و صفت ليلتنا الماضيه و طيبها؟ فقال: لم يمض شىء و أنا أقول الساعه، و فكر قليلا ثم قال:

حثت صبوحي فكااهه اللاهى و طاب يومى بقرب اشباهى

فاستثر اللهو من مكانه من قبل يوم منغص ناهى

بابنه الكرم من كف منتطق مؤزر بالمجون تياه

يسقيك من طرفه و من يده سقى لطيف مجرب داهى

كأسا فكأسا كأن شاربها حيران بين الذكور و الساهى

فأمر الواثق بالله برد المجلس كهيتته، و اصطبج يومه ذاك معهم، و قال: نحقق قولك يا حسين و نقضى لك كل أرب و حاجه (٢).

و حدث الحسين بن الضحاك قال: دخلت ذات يوم على الواثق بالله، و فى السماء لطح غيم. فقال لى: ما رأى عندك فى هذا

١- الكامل ٧ / ٣١ - ٣٢.

٢- الاغانى ٧ / ١٦٠.

اليوم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين ما حكم به و اشار اليه قبلى أحمد بن يوسف، فانه اشار بصواب لا يرد و جعله فى شعر لا يعارض.  
قال:

و ما قال؟ فقلت لقد قال:

أرى غيما تؤلفه جنوب و احسبه سيأتينا بهطل

فعين الرأى ان تدعو برطل فتشربه و تدعو لى برطل

فقال الواصل بالله: أصبتما. و دعا بالطعام و الشراب و المغنين و الجلساء، و اصطبحنا(١).

و طلب الواصل بالله يوما الى الحسين بن الضحاك ان يرتجل أبياتا من الشعر. فسأله فى أى معنى يريد هذه الابيات. فقال:

امدد طرفك و قل فيما شئت مما ترى بين يديك وصفه. و كان حولهما بساط من الخضره محفوف بازهار تفتحت أنوارها.

فارتج على الحسين ساعه، و ضاق ذرعا و خجل من موقفه. فتداركه الواصل بالله قائلا: ويحك مالك، ألت ترى نور الصباح و نور أقاح؟ فكان ذلك مما فتح القول على الحسين فاندفع يقول(٢):

ألت ترى الصبح قد اسفراو مبتكر الغيث قد أمطرا

و اسفرت الأرض عن حلتهضاحك بالأحمر الأصفرا

و وافتك نيسان فى ورده و حثك فى الشراب كى تسكرا

---

١- نفس المصدر ٧/ ١٥٩ - ١٦٠.

٢- الاغانى ٧/ ١٩٦ - ١٩٧.

و تعمل كأسين فى فتهتطارد بالأصغر الأكبرا

بحث كؤوسهم مخطف تجاذب اردافه المئزرا

فلما تمازج ما شذرت مقاريض أطرافه شذرا

فكل ينافس فى بره ليفعل فى ذاته المنكرا

فضحك الواثق بالله و قال: سنستعمل كل ما قلت يا حسين الا الفسق الذى ذكرته. ثم أمر باحضار الطعام فأكلوا جميعا. ثم قال: قوموا بنا الى حانه الشط، فقاموا اليها. فشرب و طرب، و ما ترك يومئذ أحدا من الجلساء و المغنين و الخدم الا أمر له بصله. قال الحسين: فلما كان الغد غدوت الى الواثق بالله، فطلب الى أن أنشده شيئا ان كنت قلته فى اليوم السابق الذى كان من الأيام المعدودة، فانشدته:

يا حانه الشط قد اكرمت مثواناعودى بيوم سرور كالذى كانا

لا تفقدينا دعايات الامام و لاطيب البطاله اسرارا و اعلانا

و لا تخالطنا فى غير فاحشهاذا يطربنا الطنبور أحيانا

و هاج زمر زنام بين ذاك لناشجدا فاهدى لنا روحا و ريحانا

حفت رياضك جنات مجاورهفى كل مخترق نهرا و بستانا

لا زلت آهله الأوطان عامرهاباً كرم الناس اعراقا و اغصانا

و كان الواثق بالله يميل الى الفتح بن خاقان و يأنس به. و قد اعتل يوما عله شديده، ثم افاق و تعافى. فقال للحسين: يا حسين اكتب عنى الى الفتح تدعوه الى الصبوح معى، و كان قد عزم على أن يصطحب. فكتب الحسين الى الفتح يقول(١):

لما اصطحبت و عين اللهو ترمقنى قد لاح لى باكرا فى ثوب بذلته

ناديت فتحا و بشرت المدام به لما تخلص من مكروه علتة

ذب الفتى عن حريم الراح مكرهاذا رآه امرؤ ضدا لنحلته

فاعجل الينا و عجل بالسرور لناو خالس الدهر فى أوقات غفلته

فلما قرأها الفتح بادر الى الحضور، فاصطحب مع الواثق بالله و حاشيته.

### الواثق بالله و المغنون الآخرون:

#### مخارق:

اعجب الخليفة الواثق بالله بغناء مخارق كثيرا. و قال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات: ان الواثق بالله قال له: ما غناني مخارق قط الا قدرت انه من قلبى خلق(٢). و يبدو انه كان شديد

١- نفس المصدر ٧ / ٢١٥ - ٢١٦.

٢- الاغانى ١١ / ٣٣٤ و ١٨ / ٣٤٥.

الشغف بغنائه، حتى انه خصص له حجره فى قصره ليكون قريبا منه دائما. و لا يسمح له بالذهاب الى منزله الا يوما واحدا فى الاسبوع.

و كانت جوارى الواثق بالله اذا اختلفن فى لحن ما، أمرهن ان يعرضنه على مخارق ليقرر اللحن الصحيح. و يروى هارون ابن مخارق ان اباه انصرف مره فى نوبته الى منزله فصلى الغداه مع الفجر فى صحن الدار فى يوم صائف. فدخل خدم الواثق بالله، و كان بعث بهم اليه ليصحح لهم صوتا كان قد طرحه عليهم فاختلفوا فى ادائه. فاندفع مخارق يردد الصوت عليهم. و يبدو ان غناءه كان شجيا بحيث تجمع حوله جوارى الدار و غلماناه، كما بكى ابنه من فرط تأثره. فلما قطع مخارق الصوت حين استوفاه انفض الجمع من حوله(١).

و غنى مخارق يوما بحضره الواثق بالله:

حتى اذا الليل خبا ضوءه و غابت الجوزاء و المرزم

خرجت و الوطاء خفى كما ينساب من مكمنه الأرقم

فاستلمح الواثق بالله الشعر و اللحن فصنع على نحوه(٢).

قالت اذا الليل دجا فأتنافجتتها حين دجا الليل

خفى و طء الرجل من حارس و لو درى حل بى الويل

و كان مخارق يلهى بغنائه أحيانا غلمان الخليفة عن اداء واجباتهم. فقد روى ابن حمدون انه كان مع عدد من الندماء

١- نفس المصدر ١٨ / ٣٥٢ - ٣٥٣.

٢- نفس المصدر ٩ / ٢٨٩ - ٢٩٠.



و المغنين فى مجلس الواثق بالله، و كانت أمه عليه، فدخل إليها و امرهم ان لا- يرحوا مجالسهم، فأبطأ عليهم. و كانت الليله مقمره، فاندفع مخارق يغنى. فاجتمع حوله غلمان القصر.

و عند ما خرج الواثق بالله نادى على غلام فلم يجبه أحد، فتوسط الدار و اخذ ينادى الغلمان بصوت عال. فبادر اليه ابن حمدون و اخبره ان مخارقا يغنى و ان الغلمان تجمعوا يستمعون اليه، و ليس فيهم فضل لیسمعوا غير ما يسمعون من الغناء. فقال الواثق بالله: عذر و الله لهم يا ابن حمدون، و أى عذر. ثم شاركهم فى الاستماع الى غناء مخارق(١).

ان تجمع عدد كبير من المغنين و الموسيقيين فى مجالس لهو الواثق بالله كان يثير فى بعض الاحيان شيئاً من التنافس بينهم. و قد يصل الى درجه الحقد يدفع بعضهم الى أن يكيد لدى الخليفه على البعض الآخر. فقد ذكر ان الواثق بالله كان يستشير اسحاق الموصلى فيما يصنعه من الأصوات. فحاول مخارق ان يكيد لاسحاق عند الخليفه، فقال له يوماً: ان اسحاق يعرف ان الصوت الذى تعرضه من صنعتك فيقول لك ما يوافق هواك، فاذا خرج عنك قال لنا ضد ذلك. فاراد الواثق بالله أن يتأكد من ذلك. فتبرع مخارق بأن يغنى صوتاً للواثق بالله بحضور اسحاق، و تعمد ان يغير فيه بمواضع تخفى على الواثق بالله. فلما سأل الواثق بالله اسحاق عن رأيه فى الصوت. قال اسحاق انه فاسد غير مرضى. فغضب الخليفه و تحقق له قول مخارق. فأمر فسحب اسحاق من المجلس حتى اخرج منه مطروداً، و أمر بنفيه الى بغداد. ثم جرى ذكره يوماً، فقالت فريده جاريه الواثق بالله: يا أمير المؤمنين ان اسحاق كما تعلم يأخذ نفسه بقول الحق، و ان مخارقاً قد كاده عندك اذ أفسد الصوت من حيث أو همك انه زاد فيه نغماً وجوده، فاحضر اسحاق و اغنيه اياه على صحته و اسمع ما يقول. فأمر الواثق بالله باحضاره الى سامرا

و اظهر الرضا عنه. فغنته فريده الصوت كما صنعه الواثق بالله، فلما سمعه قال: هذا صوت صحيح الصنعه، و لم اسمعه هكذا فى المره الاولى، و ابان المواضع الفاسده، و اخبر بافساد مخارق اياها. فسكن غضب الواثق بالله عنه، و تنكر لمخارق مده لما فعله (١).

### علويه:

هو على بن عبد الله بن سيف و اصله من الصغد. كان مغنيا مبدعا، و صانع ألحان متفننا، و ضارب عود متقدما. و قد تخرج على ابراهيم الموصلى المغنى القدير الذى عنى به جيدا فبرع فى صنعه. و غنى للخليفه محمد الأمين و لعدد من الخلفاء بعده، و عاش الى أيام المتوكل على الله.

و كان اسحاق الموصلى يتعصب فى أكثر الأحيان لعلويه على مخارق المغنى، و يقول عنه: ان علويه أعرف بما يخرج من رأسه و اعلم بما يغنيه و يؤديه لأنه محكم الغناء و الصنعه (٢). الا ان ياقوتا الحموى يقول عنه: رغم ان علويه كان واحد الناس فى الغناء روايه و حكايه و درايه و صنعه وجوده ضرب، و حسن خلق، الا انه اذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص على النار (٣).

غنى علويه يوما بحضره الواثق بالله هذا الصوت (٤):

من صاحب الدهر لم يحمد تصرفه عناد الدهر احلاء و امراء

١- نفس المصدر ٥ / ٣٦٠ - ٣٦١ و ٩ / ٢٨١ - ٢٨٢.

٢- الاغانى ١١ / ٣٣٣.

٣- معجم الادباء ٧ / ٢٦٢، و الاغانى ١٨ / ٣٧.

٤- الاغانى ١١ / ٣٤٥.

فاستحسنه و طرب عليه. فقال علويه: و الله لو شئت لجعلت الغناء فى أيدى الناس أكثر من الجوز، و كان اسحاق الموصلى حاضرا فى المجلس فتضحك، و قال له: يا أبا الحسن اذا تكون قيمته مثل قيمه الجوز، ليتك اذا قللته صنعت شيئا، فكيف اذا كثرته؟ فخرجل علويه.

و غنى يوما بين يدى الواثق بالله، و اسحاق الموصلى حاضر:

خليل لى سأهجره لذنب لست اذكره

و لكنى سأرعاه و اكنمه و استره

و اظهر اننى راض و أسكت لا أخبره

لكى لا يعلم الواشى بما عندى فأكسره

فطرب الواثق بالله طربا شديدا و استحسن اللحن و استجاده، و أمر لعلويه بألف دينار. ثم سأله ما اذا كان هذا اللحن له، قال:

لا- يا أمير المؤمنين، هو لهذا الهزبر، يعنى اسحاقا. فضحك الواثق بالله، و قال: قد ظلمناه اذن، و أمر لاسحاق بثلاثين ألف درهم(١).

اعجب الواثق بالله بغناء علويه و قال عنه: علويه أصح الناس صنعه بعد اسحاق، و أطيّب صوتا بعد مخارق، و أضرب الناس بعد ربرب، و هو مصلى كل سابق قادر، و ثانى كل أول واصل متقدم، و كان يصف غناءه انه مثل نقر الطست يبقى ساعه فى السمع بعد سكوتة(٢). و مما يشبه هذا انه تساءل فى أحد مجالسه من أحذق

١- الاغانى ٤٠ / ٥.

٢- نفس المصدر ٣٣٧ / ١١، و المصلى فى السباق هو التالى.

الناس بالصنعه؟ قالوا: اسحاق، قال: ثم من؟ قالوا: علويه.

قال: فمن أطيب الناس صوتا؟ قالوا: مخارق، قال: ثم من؟ قالوا:

علويه. قال: أعرفتم بانه مصلى كل سابق، وقد جمع الفضائل كلها، و هي متفرقه فيهم(١).

و أراد الواثق بالله يوم كان أميرا أن يضرب بين اسحاق و مخارق و علويه، ففعل ذلك في أحد مجالسه حتى تهاثروا فيما بينهم. ثم سأل اسحاقا كيف يرى مخارقا و علويه، فقال: أما مخارق فمناذ طيب الصوت، و أما علويه فهو خير حمارى العبادى و هو شيبى ء- يريد تصغيره- فوثب علويه مغضبا، و طلب الى الواثق بالله أن يستحلف اسحاقا بان يصدق فما سيسأله عنه، فحلف اسحاق، فقال علويه: من أحسن الناس اليوم صنعه بعدك؟ قال: انت، قال: فمن اضرب الناس بعد ثقيف؟ قال: انت، قال: فمن أطيب الناس صوتا بعد مخارق؟ قال: انت(٢).

و كانت هناك منافسه شديده بين علويه و مخارق الذى كان أعلى منه شأنا. فقد غنى علويه يوما بين يدي اسحاق الموصلى هذا الصوت:

هجرتك اشفاقا عليك من الأذى و خوف لأعادي و اتقاء النمائم

فقال له اسحاق: أحسنت يا أبا الحسن أحسنت. فقال علويه: أين أنا الآن من صاحبي- يعنى مخارقا- مع قولك هذا لى؟ قال: اذا غنيما ملكا اختاره عليك و اعطاه الجائزه دونك.

فضجر علويه و قال: أف من رضاك و غضبك(٣).

١- الاغانى ١١ / ٣٥٥.

٢- نفس المصدر ٥ / ٣٥١- ٣٥٢، و« هو خير حمارى العبادى» مثل يضرب فى خلتين احدهما شر من الاخرى.

٣- الاغانى ١٨ / ٣٦٩.

و كان علويه أعسر، و لذا كان عوده مقلوب الاوتار: البم اسفل الاوتار كلها، ثم المثلث فوق المثني، ثم الزير. و كان اذا ضرب اخذه بيده اليمنى و ضرب باليسرى، فيكون مستويا في يده مقلوبا في يد غيره(١).

### عبد الله بن العباس الربيعي:

من المغنين الذين كانوا مقرين الى الواثق بالله، الشاعر المغنى عبد الله بن العباس، حفيد الفضل بن الربيع. حضر يوما مجلس الواثق بالله، و كان الجو ملبدا بالغيوم، فلاح برق و استطار.

فقال الخليفة لجلسائه: قولوا في هذا شيئا. فبادر عبد الله فقال هذين البيتين:

أعنى على لامع بارق خفى كلمحك بالحاجب

كأن تألقه فى السماء يدا كاتب أو يدا حاسب

و صنع فيهما لحننا غناه. فشرب الواثق بالله بقيه يومه عليه، و استحس شعره معنى و صنعه و وصله بصله سنه(٢). و غنى فى حضره الواثق بالله فى يوم نوروز صوتا صنعه فى بيتين من الشعر للمعلى الطائى هما:

باكر صبوحك صبحه النوروزو أشرب بكأس مترع و بكوز

ضحك الربيع اليك عن نواره آس و نسرين و مرما حوز

---

١- نفس المصدر ١٨ / ٣٣٨.

٢- الاغانى ١٩ / ٢٢٣.

فاستعاده الواثق بالله و طرب كثيرا، و أمر له بثلاثين ألف درهم<sup>(١)</sup>.

و قال عبد الله بن العباس: دعانا الواثق بالله في يوم نوروز، فلما دخلت عليه غنيته بشعر مدحته فيه، و صنعت فيه لحنًا، و هو:

هين للنيروز جاما و مدا ما و ندامى

يحمدون الله و الواثق هارون الأماما

ما رأى كسرى انوشرو ان مثل العام عاما

نرجسا غضا و وردا و بهارا و خزامى

فطرب الخليفة و استحسّن الغناء و شرب عليه حتى سكر، و أمر لى بثلاثين ألف درهم<sup>(٢)</sup>.

كان عبد الله يتخذ سببا لمعرفة أولياء العهد برأى الخلفاء فيهم.

و سبق أن أشرنا الى غنائه للواثق بالله عند ما كان أميرًا، لكى يعرف ما اذا كان أبوه المعتصم بالله سيوليه العهد بعده. فلما تيقن من ذلك أمر ابراهيم بن رباح فاقترض له ثلاثمائة ألف درهم، ففرقها على الجلساء من الندماء و المغنين و الموسيقيين. و لما علم الواثق بالله بغضب أبيه على عبد الله و اطراحه اياه، اطرحه هو أيضا. و عند ما ولى الخلافة كان لا يزال على جفائه، فقال عبد الله:

---

١- نفس المصدر ١٩ / ٢٣٠.

٢- نفس المصدر ١٩ / ٢٤٢.

مالي جفيت و كنت لا أجفى أيام اربطه سوطه السيف

ادعو الهى ان أراك خليفهين المقام و مسجد الخيف

و دس من غناه الوائق بالله، فلما سمعه سأل عنه، فعرف قائله فتدمم و دعا عبد الله فبسطه و اكرمه و نادمه الى ان مات (١).

و جمع الوائق بالله المغنين يوما، و فيهم عبد الله، ليصطحب، فقال له: بحياتي الا صنعت هزجا حتى أدخل و اخرج اليكم الساعه. فدخل الى جواريه. فقال عبد الله هذه الايات و صنع فيها هزجا قبل ان يخرج عليهم الخليفه:

بأبى زور أتانى بالجلس قمت اجلالا له حتى جلس

فتعانقنا جميعا ساعه كادت الأرواح فيه تختلس

فقلت: يا سؤلى و يا بدر الدجى فى ظلام الليل ما خفت العسس

قال: قد خفت و لكن الهوى آخذ بالروح منى و النفس

زارنى يخطر فى مشبته حوله من نور خديه قبس

فلما خرج الوائق بالله من دار الحرم، قال: يا عبد الله ما صنعت؟ فاندفع عبد الله يغنيه الهزج الذى صنعه. فشرى حتى

سكر، و أمر له بخمسه آلاف درهم، و أمره ان يطرحه على الجوارى(١).

و قال عبد الله: جمعنا الواثق بالله يوما بعقب عله غليظه المت به و عوفى منها و صح جسمه. فدخلت اليه مع المغنين و عودى فى يدي. فلما وقعت عينى عليه من بعيد و صرت بحيث يسمع صوتى، ضربت و غنيت فى شعر قلته فى طريقى اليه و صنعت فيه لحنًا، و هو:

اسلم و عمرك الاله لامهيك اصبحت قهرت ذوى الالحاد

لو تستطيع وقتك كل اذيهبالنفس و الأموال و الأولاد

فضحك و سر و قال: احسنت يا عبد الله و سررتنى، و تيمنت بابتدائك، ادن منى، فدنوت منه حتى كنت أقرب المغنين اليه. ثم استعادنى الصوت فاعدته ثلاث مرات. و شرب عليه ثلاثه أقداح، و أمر لى بعشره آلاف درهم و خلعه من ثيابه(٢).

### محمد بن الحارث:

كان أبوه الحارث رفيع القدر و من وجود قواد الهادى و الرشيد. و كان محمد من أصحاب ابراهيم بن المهدي و من المتعصبين له على اسحاق الموصلى. و قد أخذ الغناء عن ابراهيم و جرى فيه على نهجه. و يعتبر محمد بن الحارث من أحسن المغنين اداء و أسرعهم أخذًا للغناء. فقال اسحاق بن ابراهيم المصعبى للخليفة الواثق بالله ان اسحاق الموصلى قال لى: ما قدر احد قط

١- الاغانى ١٩ / ٢٥٠.

٢- نفس المصدر ١٩ / ٢٥٤.



أن يأخذ منى صوتا مستويا الا محمد بن الحارث، فانه أخذ منى عده أصوات كما اغنيها. فاستفسر الواثق بالله من محمد عن ذلك فقال: قد قال لى اسحاق الموصلى ذات مره. فسأله عن احسن لحن اخذه من صنعته، قال محمد: يزعم اسحاق انه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما اخذته منه:

إذا المرء قاسى الدهر و ابيض رأسه و ثلم تثليم الأناء جوانبه

فليس فى العيش خير و ان بكى على العيش أو رجبى الذى هو كاذبه

فامرہ الواثق بالله ان يغنيه، فغناه اياه و احسن و اجاد.

فاستحسنه الواثق بالله و أمره ان يردده، فردده مرارا كثيره حتى أخذه الواثق بالله عنه، و اخذته جواريه كذلك (١).

و غنى اسحاق الموصلى يوما بحضرة الواثق بالله لحنه الآتى:

ذكرتك اذ مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئب و تسنح

من المؤلفات الرمل ادماء حره شعاع الضحى فى متنها يتوضح

فأمره الواثق بالله ان يعيده على الجوارى، و احلفه بحياته ان ينصح فيه. فقال اسحاق: لا تستطيع الجوارى أن يأخذنه منى، و لكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذه، و تأخذه الجوارى منه.

فأحضر محمد و القاه اسحاق عليه فاخذه منه، و اخذته الجوارى عن محمد (٢).

---

١- الاغانى ١٢ / ٤٨ - ٤٩.

٢- نفس المصدر ١٢ / ٥٠ - ٥١.

و غنى محمد بن الحارث الواثق بالله بيت من الشعر مدحه به، و قد نظمه و لحنه و هو:

أمنت باذن الله من كل حادث بقربك من خير الورى يا ابن حارث

فاستحسنه الواثق بالله، و امر بالفى دينار(١).

### أبو حشيشه:

محمد بن أميه، و أبو حشيشه لقب غلب عليه، كان من المتصلين بابراهيم بن المهدي، و يعتبر من المغنين الطنبوريين المجيدين.  
و قد قال: كنت أغنى للواثق بالله، و كان يختار من غنائى هذا الصوت(٢):

يا تاركى متلدد العواد جذلان العداه

انظر الى بعين راض نظره قبل الممات

خليتنى بين الوعيد و بين ألسنه الوشاه

ماذا يرجى بالحياه منغص روح الحياه

### عمرو بن بانه:

و هو أحد المغنين المشهورين فى أيام الواثق بالله، و سنتعرف عليه عند الكلام على مجالس المتوكل على الله الغنائيه. و قد غنى

---

١- نفس المصدر ٢٣ / ١٧٧.

٢- نفس المصدر ٢٣ / ٧٩، و نهايه الارب ٥ / ٣٧ و جاء البيت الاول فيه: يا تاركى متلذذ العذال جذلان العداه.

يوما بين يدي الوثائق بالله بحضور اسحاق الموصلي بلحن أبيه ابراهيم الموصلي:

بلوت أمور الناس طرا فأصبحت مذقمه عندي براء من الحمد

و أصبح عندي من وثقت يغييه بغيض الايادي كل احسانه نكد

فغناه على ما أخذه من ابراهيم بن المهدي وقد غيره. فقال الوثائق بالله لاسحاق: أتعرف هذا اللحن؟ قال: نعم هذا لحن أبي و لكن ابراهيم بن المهدي زعم انه اصلحه فافسده. فطلب اليه الخليفة ان يغييه. فغناه اسحاق و اداه على حقيقته، فاستحسنه الوثائق بالله جدا. فغم ذلك عمرو بن بانه فقال لاسحاق: أفأنت مثل ابراهيم بن المهدي حتى تقول هذا فيه؟ قال: لا والله ما أنا مثله، و اما الغناء فما دخولك انت بيننا فيه، ما احسنت قط ان تأخذ فضلا من ان تغني، و لا قمت باداء غناء، فضلا عن ان تميز بين المحسنين، و الا فغن أي صوت شئت مما أخذته عنه و عن غيره، فان لم أو ضح لك و لمن حضر انه لا يسلم لك صوت من نقصان أجزاء و فساد صنعه، فرمى به رهن. فساء عمرو الجواب و اغلظ في القول، فأمضه الوثائق بالله و طرده من مجلسه(١).

### الوثائق بالله و المغنيات:

#### قلم الصالحية:

قلم الصالحية(٢):

احدى الجوارى البصرييات المولدات، صفراء، حسنه الغناء، حاذقه بالضرب على العود. اخذت الغناء عن ابراهيم الموصلي و ابنه

١- الاغانى ٥ / ٣٩٤ - ٣٩٥.

٢- هكذا ورد اسمها فى الطبرى ٩ / ١٥٣، و فى الاغانى ١٣ / ٣٤٧، الا انه جاء فى الكامل ٧ / ٣٢: علم الصالحية.

اسحاق، و عن يحيى المكي، و هم رؤساء هذا الفن في عصرهم.

برعت في الغناء و في صنع الألحان و لها نحو عشرين صوتا. و كانت جاريه لصالح بن عبد الوهاب و اشتراها الواثق بالله منه. و لشرائها قصه أوردها ابن الاثير مختصره. فقد كان أحمد بن عبد الوهاب قال في الواثق بالله (١):

أبت دار الاحبه ان تبينأجدك ما رأيت لها معينا

تقطع حسره من حب ليلي نفوس ما أثبن و لا جزينا (٢)

فصنعت فيه قلم لحننا غناه زرزور الكبير للواثق بالله فاعجبه، و لما علم انه لقلم الصالحيه احضر مولاها و طلب منه شراءها، فاهداها اليه، فقبلها و عوضه خمسه آلاف دينار. فمأطله الوزير ابن الزيات في دفع المبلغ. فاعادت قلم الصوت على الواثق بالله، فقال لها: بارك الله عليك و على من رباك. فقالت: و ما ينفع من رباني، أمرت له بشيء فلم يصل اليه. فكتب الى ابن الزيات يأمره بايصال المال الى صالح و ان يضعفه له، فدفع اليه عشره آلاف دينار (٣). و يقول أبو الفرج ان الواثق بالله لما اشتراها سماها احتياطا (٤).

و كان الشاعر على بن الجهم انشد الواثق بالله عند ما تولى الخلافه قوله:

١- الكامل ٧ / ٢٢.

٢- ورد هذا البيت في الاغانى ١٣ / ٣٤٨ كما يلي تقطع نفسه من حب ليلي و نفوسا ما أثبن و لا جزينا

٣- مفصل الخبر في الاغانى ١٣ / ٣٤٧ - ٣٤٩، و في نهايه الارب ٥ / ٧١ - ٧٢.

٤- الاغانى ١٣ / ٣٤٨.

قد فاز ذو الدنيا و ذو الدين بدوله الواثق هارون

و انشده أيضا قوله يمدحه:

وثقت بالملك الواثق بالله النفوس

فلحنت قلم الصالحيه هذين الشعرين و تغنت بهما، و كان الواثق بالله يستحسن هذين الصوتين و غناءها(١).

### فريده:

كانت فريده جاربه لعمر بن بانه أحد كبار المغنين فى عهده، و قد تولى تثقيفها و تدريبها على الغناء(٢). و اهداها الى الواثق بالله، فكانت أثيره عنده، حظيه لديه، لما امتازت به من جمال الوجه و حسن الغناء، الى جانب حده الذكاء و سرعه الفهم. و كانت تغنى الأصوات التى يصنعها الواثق بالله، فتجيد اداءها.

و قد كلف الواثق بالله المغنيه شاربه جاربه ابراهيم بن المهدي و من احسن مغنيات أيامها ان تتم تعليم فريده فنون الغناء و الضرب على العود. فتولت تعليمها لفترة قصيره ثم تركتها لخلاف قام بينهما(٣).

لقد استطاعت ان تتقن جميع الاصوات التى أخذتها عن كبار المغنين. قال محمد بن عبد الملك الزيات: سمعت فريده تغنى هذا الصوت(٤):

١- نفس المصدر ١٣ / ٣٥٠.

٢- نفس المصدر ٤ / ١١٤.

٣- نفس المصدر ١٦ / ١٢ - ١٣.

٤- نفس المصدر ٤ / ١١٨.

أخلاقى بى شجو و ليس بكم شجو و كل امرى ء مما بصاحبه خلو  
اذاب الهوى لحمى و جسمى و مفصلى فلم يبق الا الروح و الجسد النضو  
فما سمعت قبله و لا بعده غناء احسن منه.

و غنى عمرو بن بانه الخليفه الواثق بالله يوما:

قلت حلا فاقبلى معذرتى ما كذا يجزى محب من أحب

فامرہ ان يتقدم الى الستاره و ان يلقى هذا الصوت على جاريته فريده. فلما ألقاه عليها تساءلت: هل حل أو خل؟ فعلم عمرو انها  
تسأله عن صاحبته «خل» فى خفاء من الواثق بالله(١). و كانت حل جاريه ربيت مع فريده عند عمرو بن بانه.  
و غضب الواثق يوما على فريده لكلام اخفته عنه، فجلس فى يومه للصباح. فغناه عبد الله بن العباس الربيعى:

لا تأمنى الصرم منى ان ترى كلفى و ان مضى لصفاء الود اعصار

ما سمي القلب الا من تقلبه و الرأى يعرف و الالهواء اطوار

كم من ذوى مقه قبلى و قبلكم خانوا فاضحوا الى الهجران قد صاروا

فاستعاده الواثق بالله مرارا، و شرب عليه، و اعجب به، و امر لعبد الله بألف دينار و خلع عليه(٢).

١- الاغانى ١١٥ / ٤.

٢- نفس المصدر ٢٥١ / ١٩.

و يروى محمد بن الحارث قصه عن غيره الواثق بالله من أخيه جعفر لما كان بينهما من نفره و تباغض. اذ غضب ذات ليله على جاريته فريده و هى تغنيه و قد سحرته بجمالها و دلالتها، فتبادر الى ذهنه انها ستؤول بعد موته الى أخيه جعفر فألمه ذلك مما دفعه الى ضربها و طردها من حجرته، ثم ما لبث ان صالحها(١).

### شاريه:

أما شاريه جاريه ابراهيم بن المهدي الذي دربها على الغناء، فقد اصبحت فى أيام الواثق بالله احسن و اشهر مغنيه، بحيث اخذت تنافس المغنيه الشهيره عريب المأمونيه، و غدا الناس بسر من رأى متحازبين، قوم مع شاريه و قوم مع عريب(٢).

و كان الواثق بالله يقدر فنها و يحترمها و يسميها «ستى» و قد أوكل اليها تعليم جاريته فريده، فلم تأل جهدا فى تعليمها أصول الغناء و الضرب على العود حتى وقع بينهما خلاف، فحلفت أن لا تطرح عليها بعد ذلك صوتا الا نقصت من نغمته(٣).

### عريب:

لم تكن عريب مقربه من الواثق بالله، رغم براعتها فى الغناء.

لأنها كانت من مؤيدى العباس بن المأمون ضد المعتصم بالله. و قد سبق ان كشفت علاقتها بذلك أيام كان المعتصم بالله يحارب فى بلاد الروم. و كانت تعرض بالواثق بالله منذ ان كان أميراً و تسميه الأعور الليلي(٤)، لأنه كان كثير السهر. كما كانت تكايدته فيما

١- مفصل الخبر فى الاغانى ٤ / ١١٥ - ١١٨.

٢- الاغانى ١٤ / ١٦، و نهايه الارب ٥ / ٨٧.

٣- الاغانى ١٢ / ١٦ - ١٣.

٤- نفس المصدر ٢١ / ٧٧.

يصوغه من الالحن، فتصوغ فى نفس الشعر لحنًا و تسعى ان يكون أجود من لحنه(١). فقد لحن الواثق بالله البيت الاتى(٢):

لم آت عامده ذنبا اليك بلى أقر بالذنب فاعف عن زللى

فصنعت فيه لحنًا فكان أجود من لحنه، و صنع الواثق بالله لحنًا فى البيت الآتى:

أشكو الى الله ما ألقى من الكمد حسبى بربى و لا أشكو الى أحد

فصنعت فيه لحنًا على غرار لحن الواثق بالله، الا ان لحنها جاء أجود من لحنه كذلك ١٢٥.

---

١- نفس المصدر ٧٦ / ٢١، و نهايه الارب ١٠٦ / ٥.

٢- نفس المصدر ٧٦ / ٢١.





## الفصل الثالث مجالس المتوكل على الله

### ١- المتوكل على الله و الندماء:

أكثر المتوكل على الله من اصطناع الندماء، فقرب اليه الادباء و الشعراء و الرواه. و كانت مجالسه لا تخلو من المناظرات الادبيه التى كان يثيرها بين جلسائه و مناديه. و كان نديمه الاول الذى لا يكاد يغيب عن ناظره و لا يصبر على فراقه هو الفتح بن خاقان أحد كبار القواد الاتراك و ممن اوقف نفسه لخدمه الخلفه. و قد كان فطنا ذكيا، غايه فى الجود، زكى النفس، حسن العشره متوددا محببا الى كل من يكلمه(١). و يقول المسعودى انه صار أغلب الناس على المتوكل على الله و أقربهم منه(٢). فكان يحضر جميع مجالس المتوكل على الله سواء للشرب و السماع، أو للمناظرات الادبيه أو للفكاهه و التندر، حتى انه قتل معه فى مجلس انسه. و قد اتخذه المتوكل أخا لما لمس فيه من موده و اخلاص، و كان يقدمه على سائر ولده و أهله(٣). و لما سافر الى دمشق كان الفتح معادلا له على

١- معجم الادباء ٦ / ١١٩.

٢- مروج الذهب ٤ / ٨٦ - ٨٧.

٣- الفهرست / ١٧٥.

جمازه (١). و مدحه البحترى بعديد من القصائد، سماه فيها «أمين بنى العباس» و «حسام أمير المؤمنين» و «طود الخلافه» (٢). لما كان يرى فيه من ولاء صادق للخليفه و الخلافه.

كان الفتح بن خاقان أديبا كثير المطالعه، حتى قيل ثلاثه لم ير أكثر منهم محبه للكتب و العلوم، و منهم الفتح، فكان يحضر لمجالسه الخليفه، فاذا خرج الخليفه لحاجه ما، اخرج الفتح كتابا من كمه أو خفه و اخذ يطالع فيه الى حين عودته (٣). و كانت له خزانه كتب أشرنا اليها فى البحث الخاص بدور الكتب. كما كانت له تصانيف حسنه منها كتاب اختلاف الملوكة، و كتاب الصيد و الجارح، و كتاب الروضه و الزهر، و كتاب البستان الذى يقول ابن النديم ان الذى ألفه هو محمد بن عبد ربه الملقب برأس البغل و نسبه الى الفتح (٤).

و كان الادباء و العلماء يتقربون اليه و يهدونه مؤلفاتهم. فقد قدم اليه الجاحظ كتاب التاج، و قدم اليه العالم اللغوى محمد بن حبيب كتاب القبائل الكبيره و الايام (٥). و ذلك اعترافا برعايته لهم و عنايته بهم.

و للفتح شعر رقيق منه قوله يصف الورد (٦):

أما ترى الورد يدعو الشاربين الى حمراء صافيه فى لونها حيب

مراهن من يواقيت مركبهعلى الزمرد فى أجفانها ذهب

١- فوات الوفيات ٢ / ٢٤٦.

٢- راجع ديوان البحترى - طبعه صادر: ١ / ١٠٣ - ١٠٦ و ١ / ١١١ - ١١٣ و ١ / ١٩٠ - ١٩٣.

٣- الفهرست / ١٧٥، و معجم الادباء ٦ / ٥٦.

٤- الفهرست / ١٧٥ - ١٧٦.

٥- كتاب التاج / ٤، و معجم الادباء ٦ / ٤٧٦.

٦- معجم الادباء ٦ / ١١٨ - ١١٩.

خاف الملأل اذا طالت اقامته فصار يظهر أحياناً و يحتجب

و حدث المبرد قال: انشدنى الفتح بن خاقان لنفسه(١):

و انى و اياها لكأ الخمر و الفتى متى يستطع منها الزيادة يزدد

اذا ازددت منها أزددت و جدا بقربها فكيف احتراس من هوى متجدد

و قال ابن حمدون: لما قال الفتح هذه الابيات انشدتها المتوكل على الله فسألنى عن قائلها، فعرفته انه الفتح، فاستحسنها(٢).

و حدث على بن الجهم قال: انى لعند المتوكل على الله، و الفتح بن خاقان حاضر، اذ ادخل عليه نخاس و معه جاريه، فقال له

أمير المؤمنين: ما صناعه هذه الوصيفه؟ قال: تقرأ بالألحان. فقال الفتح: اقرأى لنا خمس آيات. فاندفعت تقول(٣):

قد جاء نصر الله و الفتح و شق عنا الظلمه الصبح

خدين ملك و رجا دولهو همه الاشفاق و النصح

الليث الا انه ماجدو الغيث الا انه سمح

و كل باب للندى مغلق فانما مفتاحه الفتح

---

١- نفس المصدر ٦/ ١٢٢.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر ٦/ ١٢٣-١٢٤.

قال: فو الله دخل على المتوكل على الله من السرور ما قام الى الفتح فوق عليه يقبله. و وثب الفتح فقبل رجله. فأمر الخليفة بشرائها، و بعث بها الى الفتح.

و قال الفتح: دخلت يوما الى المتوكل على الله فرأيته مطرفا متفكرا، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا الفكر؟ فو الله ما على ظهر الأرض أطيب منك عيشا و لا انعم منك بالا. فقال: يا فتح، أطيب عيشا منى رجل له دار واسعة و زوجه صالحه و معيشه حاضره، لا يعرفنا فنؤذيه، و لا يحتاج الينا فنزدريه(١).

قال البحترى: قال لى المتوكل على الله: قل فى شعرا و فى الفتح، فانى أحب أن يحيا معى و لا- افتقده فيذهب عيشى و لا يفتقدنى فيذل. فقلت(٢):

سیدی انت كيف اخلفت و عدى و تناقلت عن وفاء بعهدى

لا ارتنى الأيام فقدك يا فتح و لا عرفتك ما عشت فقدى

أعظم الرزء ان تقدم قبلى و من الرزء ان تؤخر بعدى

حسدا أن تكون الفا لغيرى اذ تفردت بالهوى قبل وحدى

و قال البحترى: قد كنت عملت هذه الايات فى غلام كنت اكلف به، فلما أمرنى المتوكل بما أمر تنحيت فقلت الايات و اريته اننى

١- تاريخ الخلفاء / ٣٥٣.

٢- معجم الادباء ١٢٠ / ٦، و فوات الوفيات ٢ / ٢٤٧، و جاء فى عجز البيت الاخير (نيل) بدلا من (قيل).

عملتها في وقتي، و ما غيرت فيها الا لفظه واحده، فانني قد قلت:

لا ارتنى الايام فقدك ما عشت، فجعلتها يا فتح.

و بلغ من وفاء الفتح بن خاقان للمتوكل على الله انه رمى بنفسه عليه لما اغتالوه ليحميه من ضربات السيوف فقتل معه (١).

و كان من خاصه المتوكل على الله على بن يحيى بن أبي منصور المنجم، و كان أديبا راويه للاشعار و الاخبار، و شاعرا محسنا، اخذ الأدب و صنعه الغناء عن اسحاق الموصلي (٢). و كان قد اتصل بالفتح بن خاقان و عاونه في تأسيس خزانه كتبه. كما كانت لعلى نفسه خزانه كتب عامه ذكرنا عنها في موضوع دور الكتب. و له عدد من التصانيف، منها كتاب الشعراء القدماء و الاسلاميين، و كتاب اخبار اسحاق بن ابراهيم، و كتاب فن الطبخ (٣). و قد قرب المتوكل على الله عليا اليه، و كان قد قدمه اليه الفتح بن خاقان، فاعدق عليه الهبات و اجزل له الارزاق، حتى قال على: احصيت ما وصل الي من أمير المؤمنين المتوكل على الله من رزق وصله، فكان مبلغه ثلاثمائة ألف دينار (٤).

و ممن نادى المتوكل على الله أبو عبد الله أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن حمدون، و كان اديبا شاعرا و من شيوخ اللغه و قد درس عليه العالم اللغوى ثعلب. غضب عليه المتوكل على الله مره فنفاه الى تكريت، ثم بعث من قطع اذنه (٥)، و لكنه ما لبث ان اعاده الى مجلسه. و لما رضى عنه و هبه جاريه يقال لها صاحب، و كانت حسنه كامله الأدب، الا ان احد الخدم صدع ثنيتها فاسودت فشانها

١- الطبرى ٩/ ٢٢٧، و مروج الذهب ٤/ ١٢١.

٢- الفهرست / ٢١١، و تاريخ بغداد ٢/ ١٢١-١٢٢.

٣- الفهرست / ٢١١.

٤- معجم الادباء ٥/ ٤٦٥.

٥- الديارات ٦- ٧.

ذلك عند المتوكل على الله، فارسلها اليه و حمل معها كل ما كان لها، و كان شيئاً كثيراً(١).

و نادى المتوكل على الله كذلك الأديب الاخبارى أبو العنقاء محمد بن القاسم خلاد. و كان قد نشأ بالبصرة فطلب الحديث و درس الادب على علمائها. و كان من احفظ الناس و افصحهم لسانا و اسرعهم جوابا و احضرهم نادره، و كف بصره و قد بلغ أربعين سنة(٢). و كان يحضر مجلس الخليفة و قلما غاب عنه، و قد روى عنه انه قال: قال لى المتوكل على الله قد اردتك لمجالستي. فقلت:

لا أطيق ذلك، و ما أقول هذا جهلا بما لى فى هذا المجلس من الشرف، و لكنى رجل محجوب، و المحجوب تختلف اشارته و يخفى عليه ايماءه، و يجوز على ان اتكلم بكلام غضبان و وجهك راض، و بكلام راض و وجهك غضبان، و متى لم أميز هذين هلكت. فقال: صدقت و لكن تلمنا. فقلت: لزوم الفرض الواجب، فوصلنى بعشره آلاف درهم(٣).

و عرضت جاريه على المتوكل على الله، فقال لأبى العنقاء: هذه عرضت على انها شاعره، فقل شيئاً لتجيزه. فقال أبو العنقاء:

أحمد الله كثيراً. فقالت الجارية: حين انشاك ضريرا. قال: يا أمير المؤمنين قد احسنت فى اساءتها(٤).

و قال المتوكل على الله لأبى العنقاء و قد دخل اليه: يا محمد ما بقى فى المجلس أحد الا اغتابك غيرى. فاجاب قائلاً(٥):

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضباناً على لثامها

١- الديارات / ٩.

٢- تاريخ بغداد ٣ / ١٧٠.

٣- نفس المصدر ٣ / ١٧٤.

٤- البصائر و الزخائر ٢ / ٢٦٥.

٥- الديارات / ٩١.

و قال له مره: يا محمد الى كم تمدح الناس و تذمهم؟ قال: ما اساءوا و احسنوا(١).

و كان ممن يحضر مجلس المتوكل على الله أيضا حسن بن موسى النصبى البغدادى الأديب المتوفى سنه ٢٥٠ هـ، و قد صنف عددا من كتب الغناء و المغنين، منها «كتاب الاغانى فى أسماء المغنين و المغنيات» و قد الفه للخليفه المتوكل على الله، و كتاب الاغانى على حروف المعجم، و كتاب مجردات المغنيات(٢).

ذكرنا جانبا من ندماء المتوكل على الله ممن كانوا يحضرون مجالسه الادبيه، أو للشعر و السماع. على انه كان له الى جانب ذلك ندماء يحيا معهم حياه لهو و مجون و عبث، و عند ما يكون معهم يطلق لنفسه العنان. و قد اشتهر من هؤلاء أبو العبر، و هو أبو العباس محمد بن احمد العباسى، كان أدبيا شاعرا يحضر مجالس الخلفاء منذ أيام الخليفه محمد الأمين، فمال فى أيام المتوكل على الله الى العبث و المجون لأنه رأى ان شعره لا ينفق بوجود البحترى و أمثاله، و رأى الحماقه انفق، و انفع له فاخذ فى الحمق و المجون فى الشعر و الكلام(٣). و كسب بالحمق و المجون اضعاف ما كسبه كل شاعر كان فى أيامه بالجد، و حصل من المتوكل على الله على أموال جليله(٤).

و كان المتوكل على الله يرمى بأبى العبر فى المنجنيق الى الماء و عليه قميص حرير، فاذا علا فى الهواء صاح: الطريق، الطريق، ثم يقع فى الماء، فيخرجه السباحون. أو يجلسه على زلاقه فينحدر فيها

١- نفس المصدر / ٨١.

٢- الفهرست / ٢١٤، و هديه العارفين ١ / ٢٦٣ و معجم الادباء ٣ / ٥، و جاء اسمه فيهما حيش بن موسى الضبى.

٣- تاريخ بغداد ٥ / ٤٠، و طبقات الشعراء / ٢٤٢-٢٤٣.

٤- الاغانى ٢٣ / ١٩٧.



حتى يقع في البركه ثم يطرح الشبكه فيخرجه كما يخرج السمك و في ذلك يقول أبو العبر في بعض حماقاته(١):

و يأمر بي الملك فيطرحني في البرك

و يصطادني بالشبك كأنى من السمك

و قد نحا نحو أبي العبر نديم آخر للمتوكل على الله هو أبو العجل الذي كان من آدب الناس و احكمهم و اكملهم عقلا، عالما بالنحو و الشعر، عارفا بايام الناس و اخبارهم، و كان مع هذا مقترا عليه. فلما رأى ذلك تحامق و تجاهل، و هو الذي يقول(٢):

أيا عاذلى فى الحمق دعنى من العذل فانى رضى البال من كثره الشغل

فاصبحت فى الحمقى أميرا مؤمراو ما أحد فى الناس يمكنه عزلى

و صير لى حمقى بفالا و غلمهو كنت زمان العقل ممتطيا رجلى

و لما صار المتوكل على الله الى دمشق تلقاه أبو العجل راكبا على قصبه و فى احدى رجليه خف و فى الاخرى نعل، و عليه دراعه و على رأسه قلنسوه. فنظر اليه المتوكل على الله فتبسم و قال: ويحك جنت بعدنا. فانشأ يقول(٣):

شه شه على العقل ما هو من شكللى

١- نفس المصدر ٢٣ / ٢٠١.

٢- طبقات الشعراء / ٣٤١.

٣- نفس المصدر / ٤٥٣.

صاحبه مفلولس قليل ذى الحيلل

قد استرحت من اللوام و العذلل

فما ابالى ما الذى قلت و ما قيل لى

و حمقى قد صير ذا العالم خولا للى

آمل ان يحملنى حمقى على بغل

من عند ذا السيدو المنعم المفضل

أمير دين المؤمنين المتوكل للى

فاستفرغ المتوكل على الله ضحكا و امر له بخلعه و حملة، و وصله بعشره آلاف درهم.

و ثمه نديم آخر للمتوكل على الله غلب عليه خبث اللسان و الهزل هو محمد بن اسحاق الصميرى الملقب بأبى العنيس، و قد هاجى أكثر شعراء زمانه(١). كان قاضيا فى الصميره فنسب اليها.

و كان مع استعماله الهزل عارفا باحكام النجوم و له فيه كتاب يمدحه المنجمون. و عدد له ابن النديم عددا من الكتب فى مواضيع مختلفه(٢). و للصميرى مع البحترى خبر طريف ماجن بين يدى المتوكل على الله. اذ كان البحترى يوما ينشد المتوكل على الله قوله:

---

١- تاريخ بغداد ١ / ٢٣٨.

٢- الفهرست / ٢٢٢-٢٢٣.

عن أى ثغر تبسم و بأى طرف تحتكم

و كان من عادة البحتري اذا انشد تشدن و تراور فى مشيه مره جائيا و مره القهقرى، و يهز رأسه مره، و منكبه اخرى، و يشير بكمه و يقول احسنت و الله لا يحسن احد ان يقول مثله. فضجر الخليفه من ذلك و قال للصميرى، اهجه على نفس الروى، فقال أبو العنيس ارتجالا:

فى أى سلح ترتطم و بأى كف تلتقم

ادخلت رأسك فى الحرم و علمت انك تنهزم

فغضب البحتري و خرج. الا ان المتوكل على الله ضحك كثيرا و أمر لأبى العنيس بعشره آلاف درهم(١).

و يظهر من روايه أبى الفرج ان البحتري عزم اثر هذه الحادته على الخروج الى منبج بغير اذن الخليفه، اذ رأى ان العلم ضاع و ان الأدب هلك. فنصحه أحد أخوانه الا يفعل من هذا شيئا لأن الملوک تمزح باعظم مما جرى، و اخذه الى الفتح بن خاقان، فشكا البحتري اليه، فقال له نحوا من ذلك و خلع عليه فسكن الى ذلك(٢).

و كان المتوكل على الله أظهر فى مجالسه اللعب و المضاحك و الهزل. فاحضر أصحاب السماجه- المثلون الهزليون- و استأنس بحركاتهم. و يقول المسعودى لم يكن احد ممن سبقه من خلفاء بنى العباس ظهر فى مجلسه اللعب و المضاحك و الهزل، فانه

١- معجم الادباء ٦/ ٤٠٤-٤٠٦.

٢- الاغانى ٢١/ ٥٣.

السابق الى ذلك، و اتبعه وزراؤه و المتقدمون من كتابه و قواده فى الطرب و المجون(١). دخل اسحاق بن ابراهيم صاحب الشرطه يوما على المتوكل على الله و السماجه بين يديه، و قد قربوا منه للقط الدراهم التى ينثرها عليهم. فلما رأى اسحاق ذلك ولى مغضبا.

و لما سأله المتوكل على الله عما اغضبه، قال: عساك تتوهم ان هذا الملك ليس له من الأعداء مثل ما له من الأولياء، تجلس فى مجلس يتذلك فيه مثل هؤلاء الكلاب يتجذبون ذيلك و كل واحد منهم متنكر بصوره منكره، فما يؤمن ان يكون فيهم من احتسب نفسه ديانه أو نيه فاسده و طويه رديه، فيثب بك. فقال له: لا تغضب، فو الله لا ترانى على مثلها أبدا. و بنى للخليفه بعد ذلك مجلس مشرف ينظر منه الى السماجه و حركاتهم(٢).

## ٢- من مجالسه الأديبه:

كان المتوكل على الله يجلس فى بعض الأحيان الى ندمائته و جلسائه من أهل الأدب، ليستمع الى اخبار الاولين و بخاصه الخلفاء السابقين، و الى بعض الطرف و المناظرات الأديبه أو اللغويه و النحويه. و قد ورد ذكر الخليفه المأمون فى أحد المجالس، اذ ذكر القاضى يحيى بن اكنم فضائله و وصف علمه و معرفته و نباهته. فسأله المتوكل على الله: كيف كان يقول فى القرآن؟ قال يحيى: كان يقول ما مع القرآن حاجه الى علم فرض، و لا مع سنه الرسول صلى الله عليه و سلم وحشه الى فعل أحد، و لا مع البيان و الأفهام حجه لتعليم، و لا بعد الجحود للبرهان و الحق الا السيف لظهور الحجه. فقال المتوكل على الله: لم ارد منك ما ذهبت اليه من هذا المعنى. قال يحيى: القول بالمحاسن فى المغيب فريضه على ذى النعمه. قال له: فما كان يقول خلال

١- مروج الذهب ٤ / ٨٦.

٢- الديارات / ٣٩ - ٤٠.

حديثه؟ فان المعتصم بالله كان يقول وقد انسيته. فقال يحيى: كان يقول: اللهم انى أحمدك على النعم التى لا يحصيها أحد غيرك، و استغفرك من الذنوب التى لا يحيط بها الا عفوك. قال: فماذا كان يقول اذا استحسن شيئاً أو يشر بشىء؟ قال يحيى: كان يقول:

ان ذكر الاء الله و نشرها و تعداد نعمه و الحديث بها فرض من الله على اهلها، و طاعه لأمره فيها، و شكر له عليها، فالحمد لله العظيم الآلاء السابغ النعماء بما هو اهله. فقال المتوكل على الله: صدقت هذا هو الكلام بعينه، و هذا كله حكم ذى حنكه و علم(١).

و كان المتوكل على الله معجبا بالامام محمد بن ادريس الشافعى و كان يتمنى لو انه ادرك ايامه ليتعلم منه. و سمع عنه انه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المنام و هو يقول: يا أيها الناس ان محمد بن ادريس المطلبى قد صار الى رحمه الله و خلف فيكم علما حسنا فاتبعوه تهديوا. ثم قال المتوكل على الله: اللهم ارحم محمد بن ادريس رحمه واسعه، و سهل على حفظ مذهبه و انفعنى بذلك. و يقول السيوطى: استفدنا من هذا ان المتوكل كان متمذبا مذهب الشافعى، و هو أول من تمذهب من الخلفاء(٢).

و ذكر العالم النحوى أبو عثمان بكر بن محمد المازنى للمتوكل على الله، و كان أخوه الواثق بالله معجبا بعلمه و قد اكرمه كثيرا، فأمر بأشخاصه من البصره الى سامرا. يقول المازنى: لما دخلت اليه رأيت من العدد و السلاح و الاتراك ما راعنى، و الفتح بن خاقان بين يديه. و خشيت ان سئلت عن مسأله الا أجيب فيها. فلما مثلت بين يديه و سلمت قلت: يا أمير المؤمنين أقول كما قال الاعرابى:

لا تقلوها و ادلواها دلوان مع اليوم أخاه غدوا(٣)

١- الطبرى ٩/ ٢٣٣.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٥٢.

٣- القلو: السير العنيف، و الدلو السير الرفيق.

فلم يفهم عنى ما اردت، و استبردت فأخرجت. ثم دعانى بعد ذلك و طلب الى ان أنشده أحسن مرثيه قالت العرب، فانشدته قول  
ابى ذؤيب:

امن المنون و ريبها تتوجع ..

و قصيده متمم بن نويرة: لعمري و ما دهري بتأبين هالك ..

و قول كعب الغنوى: تقول سليمان ما بجسمك شاحبا ..

و قصيده محمد بن منذر: كل حى لاقى الحمام فمودى ..

و كلما انشدته قصيده يقول ليست بشى ء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصره؟ قلت: عبد الصمد المعذل. قال: فانشدنى له.  
فانشدته أبياتا قالها فى القاضى ابن رباح، و هى:

يا قاضيه البصره قومي فارقصى قطره

و قومي بروشك فماذا البرد و الفتره

أراك قد تثيرين عجاج القصف يا حره

بتحذيفك خديك و تجعيدك للطره

فاستحسنها و استطار لها، و أمر لى بجائزه. فجعلت أحفظ أمثالها فانشده اذا وصلت اليه فيوصلنى(١).

قال المبرد: حين فارقت البصره و اصعدت الى سامرا وردتها فى أيام المتوكل على الله. فاتصلت ببندار بن عبد الحميد الكرخى،

و كان واحد زمانه فى روايه شعر العرب، و اصح الناس معرفه باللغه. و له فى كل أسبوع يوم يحضر فيه مجلس المتوكل على الله.

فرفع امرى الى الفتح بن خاقان فوصفنى للمتوكل على الله فأمر باحضارى الى مجلسه. و كان المتوكل على الله تعجبه الاخبار، و يروى صدرا منها يمتحن بها من يراه بما يقع فيها من غريب اللغه. فلما دنوت من طرف بساطه استدانانى حتى صرت الى جانب بندار. فاقبل علينا و قال: يا بندار و يا ابن يزيد ما معنى هذه الاحرف التى جاءت فى هذا الخبر «ركبت الدجوجى و امامى قبيله فنزلت ثم شربت الصباح فمررت و ليس امامى الا نجيم فرقصت امامى فمنحت النحوص الخ ..»؟ فبقيت متحيرا. فقال بندار:

يا أمير المؤمنين فى هذا نظر و رويه. قال: اجلتكما الى الغد فانصرفا و باكرانى غدا. فخرجنا من عنده، فقال بندار: ان ساعدك الجدد ظفر بهذا الخير فاطلب فانى طالبه. فانقلبت الى منزلى و قلبت الدفاتر ظهرا لبطن حتى وقفت على هذا الخبر فى اثناء اخبار الاعراب فحفظته. و باكرت بندار فانهضته معى و ذهبنا الى مجلس المتوكل على الله. فرويت الخبر ثم فسرت الفاظه. فالتفت الى بندار و قال: ابن يزيد فوق ما وصفتم، و امر باحضار الخازن، و امره بأن يقول للحاجب يسهل دخولى عليه(١).

و اعتاد المتوكل على الله ان يتخير لتأديب ولده مشاهير رجال اللغه و الادب. فقد اختار لتأديب ابنه طلحه الملقب بالموفق عالم الأنساب و الاخبار الزبير بن بكار. و لما ارسل يطلبه أمر له بعشره آلاف درهم، و عشره تخوت من الثياب، و عشره بغال يحمل عليها رحله الى سامرا(٢).

و طلب مره الى قائده ايتاخ ان يتخذ بعض المؤدبين لولده.

فأمر ايتاخ كاتبه سليمان بن وهب ان يتولى ذلك. فبعث سليمان

١- نفس المصدر ٢/ ٣٩١-٣٩٢.

٢- نشوار المحاضره ٤/ ٢٧٧-٢٧٨.

الى عدد من أدباء العصر فاحضرهم مجلسه. فجاء أبو جعفر النحوى أحمد بن عبيد الله بن ناصح و يعرف بابى عصيده، و ابن قادم و الأحمـر و غيرهم. فقعد ابو عصيده فى آخر الناس. فلما اجتمعوا قال لهم سليمان بن وهب: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم و اخترنا. فألقوا بينهم بيت ابن عنقاء الفزارى:

ذرينى انما خطأى و صوتى على و انما انفقت مال(١)

فقالوا: أترفع مال بانما اذا كانت بمعنى الذى، ثم سكتوا.

فقال احمد بن عبيد: هذا الاعراب، فما المعنى؟ فاحجموا عن القول. ف قيل له: فما المعنى عندك؟ قال: اراد مالومك اياى انما انفقت مالا- و ليس عرضا و المال لا ألام عليه. فجاءه خادم من صدر المجلس فاخذ بيده حتى تخطى به الى أعلاه، و قال ليس هذا موضعك. فقال: لأن أكون فى مجلس أرفع منه الى اعلاه أحب الى من ان أكون فى مجلس أحط عنه. فاختر هو و ابن قادم(٢).

### ٣- المتوكل على الله و الشعراء:

كان المتوكل على الله يحب سماع الشعر كثيرا و لا- سيما اذا كان فى مدحه و مدح أولاده، و يجزل العطاء لمن يمدحه من الشعراء.

و قد اتصل به من الشعراء الذين كانوا على أيامه عدد من كبارهم و على رأسهم البحترى و على بن الجهم و مروان بن ابى الجنوب، و اخرون غيرهم. و يظهر انه كان يعجبه ان يقول الشعر فى بعض المناسبات و لكنه لم يحسن ذلك. قال جعفر بن عبد الواحد الهاشمى:

١- جاء البيت فى نزهه الالباء / ١٢٧: ذرينى انما خطأى و صوبى على و ان ما انفقت مال و انه لابى غلفاء.

٢- معجم الادباء ١ / ٢٢١-٢٢٢.



دخلت على المتوكل على الله لما توفيت امه، فقال لي: يا جعفر ربما قلت البيت الواحد فاذا جاوزته خلطت، و قد قلت (١):

تذكرت لما فرق الدهر بيننا فعزيزت نفسى بالنبي محمد

فاجازه بعض من حضر المجلس بقوله:

و قلت لها: ان المنيا سييلنا فمن لم يمت في يومه مات في غد

و كان أبو عباده الوليد الطائي البحتري عند قدومه الى سامرا اتصل بالفتح بن خاقان و مدحه و اهداه كتاب الحماسه الذي صنفه.

و قدمه الفتح الى الخليفه المتوكل على الله فاعجب بشعره و جعله من ندمائه و اغدق عليه. فكرس البحتري شعره له و لولده و رجال دولته، بحيث أصبح شاعر بلاط سامرا. و اقام في سامرا في رعايه المتوكل على الله و من جاء بعده من الخلفاء. و من أوائل القصائد التي مدح بها المتوكل على الله تلك التي قالها عند ما الغى الخليفه القول بخلق القرآن، منها قوله (٢):

أمير المؤمنين لقد سكننا الى أيامك الغر الحسان

رددت الدين فذا بعد ما قد اراه فرقتين تخاصمان

قصمت الظالمين بكل ارض فاضحى الظلم مجهول المكان

١- تاريخ الخلفاء / ٣٥٢، و بدائع البدائه / ٦ و جاء فيه صدر البيت الثانى: و قلت لها: ان المنيا ..

٢- القصيده في ديوان البحتري ٤ / ٢٢٩٠ - ٢٢٩٢.

و فى سنه رمت متجبريهم على قدر بداهيه عوان

فما أبقت من «ابن دؤاد» سوى جسد يخاطب بالمعاني

و مدحه بقصيده من غرر شعره وصف بها خروجه الى الصلاه يوم العيد، و مطلعها(١):

أخفى هوى لك فى الضلوع و اظهرو ألام فى كمد عليك و اعذر

و يقول فيها:

اللّٰه مكن للخليفه «جعفر» ملكا يحسنه الخليفه «جعفر»

نعمى من اللّٰه اصطفاه بفضلهاءو اللّٰه يرزق من يشاء و يقدر

فاسلم، أمير المؤمنين، و لا تزل تعطى الزياده فى البقاء و تشكر

عمت فواضلك البريه فالتقى فيها المقل على الغنى و المكثر

بالبر صمت و انت افضل صائم و بسنه اللّٰه الرضيه تفرط

فانعم بيوم الفطر عينا، انه يوم أغر من الزمان مشهر

أظهرت عز الملك فيه بجحفل لجب يحاط الدين فيه و ينصر

و عند ما قتل المتوكل على الله رثاه بقصيده طويله و صديقه الفتح بن خاقان، جاء فى آخرها قوله (١):

صريع تقاضاه السيوف حشاشهيجود بها و الموت حمر اظافره

أدافع عنه باليدين، و لم يكن ليثنى الاعادى اعزل الليل حاسره

و لو كان سيفى ساعه القتل فى يدي درى القاتل العجلان كيف أساوره

حرام على الراح بعد أو أرى دما بدم يجرى على الارض مائه

و هل يرتجى ان يطلب الدم واتريد الدهر، و الموتور بالدم واتره

أكان ولى العهد أضمر غدرهفمن عجب ان ولى العهد غادره

فلا ملئ الباقي تراث الذى مضى و لا حملت ذاك الدعاء منابره

أما الشاعر ابو الحسن على بن الجهم بن بدر السامى فقد قربه المتوكل على الله و اتخذه نديما. و قد مدحه ابن الجهم بعديد من القصائد، منها تلك التى استبشر بها بتوليه الخلافه، و فيها يقول (٢):

قالوا أتاك الأمل الأكبر و فاز بالملك الفتى الأزهر

١- القصيده فى ديوان البحترى ٢ / ١٠٤٥ - ١٠٤٩.

٢- القصيده فى ديوان على بن الجهم / ٢٦ - ٢٧.

و اكنست الدنيا جمالا به فقلت قد قام اذا «جعفر»

ذاك الذى كانت الى ملكه أبصارنا طافحه تنظر

الآن فليهن لذيد الكرى من كان تأميلا له يسهر

يا دارت الارض الدنى أصبحت اقطارها من نوره تزهر

قد كان مشتاقا الى خطبهمك سرير الملك و المنبر

يا شهر ذى الحجه قد اصبحت تشبهك الأيام و الأشهر

و عند ما قتل المتوكل على الله رثاه متفجعا، بقصيده شنع فيها على مغتاليه، و تعتبر من أطول القصائد التى قالها فيه، و قد ختمها بقوله (١):

عبيد أمير المؤمنين قتلته و اعظم آفات الملوك عبيدها

أما و المنايا ما عمرن بمثله القبور و ما ضمت عليه لحودها

أتتنا القوافى صارخات لفقده مصلمه أرجازها و قصيدها

---

١- القصيده فى ديوان على بن الجهم / ٥٦-٦٤.

و من الشعراء الذين اشتهروا لتقربهم من الخليفة المتوكل على الله مروان بن ابى الجنوب و عند ما تولى المتوكل على الله الخلفه كان مروان منفيا باليمامة من أيام الواثق بالله، فبعث الى قاضى القضاة أحمد بن أبى داود بقصيده مدحه فيها و هجا ابن الزيات، و كان قد مات فى حبس المتوكل على الله، فلما ذكره ابن ابى دواد للخليفة أمر بأن يحمل الى سامرا. فقدم مروان على المتوكل على الله و انشده قوله (١):

رحل الشباب وليته لم يرحل و الشيب حل وليته لم يحلل

فلما بلغ الى قوله:

كانت خلفه جعفر كنبوهجاءت بلا طلب و لا يتمحل

و هب الاله لك الخلفه مثلما و هب النبوه للنبي المرسل

أمر بخمسين ألف درهم:

و مما مدح به مروان المتوكل على الله قوله (٢):

بدوله جعفر حمد الزمان لنا بك كل يوم مهر جان

جعلت هديتى لك فيه و شياو خير الوشى ما نسج اللسان

و من الشعراء الآخرين الذين امتدحوا المتوكل على الله ابراهيم بن العباس الصولى، الكاتب الشاعر، و كان يتولى ديوان زمام

١- الاغانى ٢٣ / ٢١٠.

٢- العقد الفريد ٦ / ٢٨٦.

النفقات فى عهد المتوكل على الله (١). و كان الخليفه معجبا باسلوبه فى الكتابه و بمعانيه فى الشعر، فشملة برعايته و جعله من ندمائه.

و من بديع شعر ابراهيم الصولى فى المتوكل على الله ما قاله يوم عقد الخليفه ولايه العهد لأوليائه الثلاثه، و قد استأذنه فى الانشاد فاذن له فقال(٢):

أضحت عرى الاسلام و هى منوطها النصر و الاعزاز و التأيد

بخليفه من هاشم و ثلاثهكنفوا الخلافه من و لاه عهود

قمر توافت حوله اقماره فحففن مطلع سعده بسعوده

رفعتهم الأيام و ارتفعوا به فسعوا باكرم انفس و حدود

فاستحسن المتوكل على الله ذلك منه و أمر له بمائه ألف درهم.

و كان من الشعراء البارزين فى ايام المتوكل على الله الشاعر الخليل الحسين بن الضحاك بن ياسر. الا انه كان قد تقدم به العمر و ضعف بصره. و كان المتوكل على الله معجبا بشعره، و قال عنه مره: هو عندى أشعر أهل زماننا و املحهم مذهباً و اظرفهم نمطاً(٣). فطلب اليه ان يلازمه و ينادمه، فلم يستطع لكبر سنه.

و قد بلغ الحسين ان أحد جلساء الخليفه قال عنه: هو يطيق الذهاب الى القرى و المواخير و السكر فيها و يعجز عن خدمه الخليفه. فرفع الى ابن حمدون نديم الخليفه بابيات و سأله ان يوصلها اليه. فلما أوصلها ابن حمدون قال للخليفه: ان لو أطاق خدمه امير المؤمنين

١- الطبرى ٩ / ١٦٢.

٢- الاغانى ١٠ / ٦٤-٦٥.

٣- الاغانى ٧ / ١٧٠.

لكان اسعد بها. فقال له الخليفة: صدقت. و امر لابن الضحاك بعشرين ألف درهم حملها ابن حمدون اليه. و كانت الابيات هي (١):

أما فى ثمانين وفيتها عذير و ان انا لم اعتذر  
فكيف و قد جزتها صاعدا مع الصاعدين بتسع اخر  
الى أن يقول:

قد بسط الله لى عذره فمن ذا يلوم اذا ما عذر  
و انى لفى كنف مغدق و عز بنصر ابي المنتصر  
يبارى الرياح بفصل السماح حتى تبدل او تنحسر  
له أكد الرحي ميراثه و من ذا يخالف وحي السور  
و ما للحسود و اشياعه و من كذب الحق الا الحجر  
و قال الحسين فى رثاء المتوكل على الله (٢):

---

١- نفس المصدر ٧/ ٢٢٥-٢٢٦.

٢- اشعار الخليلج / ١١٣، و مروج الذهب ٤/ ١٢٤، و فيه البيتان الاخيران فقط، و الطبرى ٩/ ٢٣٠ و فيه ان ابا الوارث قاضى نصيبين قال: رأيت فى النوم اتيا يقول: يا نائم العين الخ .. مع تغيير فى بعض الكلمات.

يا نائم الليل في جثمان يقظان ما بال عينك لا تبكى بتهتان

ان الليالى لم تحسن الى أحدا لا اساءت اليه بعد احسان

اما رأيت خطوب الدهر ما فعلت بالهاشمى و بالفتح بن خاقان

و كانت فضل جاريه المتوكل على الله شاعره، و قد قالت بعض الشعر فيه. و هى من مولدات البصره، كانت حسنه الوجه و القوام، على جانب كبير من الفصاحه و سرعه البديهه، و قد طبعت على قول الشعر. و قد أهداها الى الخليفه المتوكل على الله أحد أعيان الدوله محمد بن الفرج الرخجى. فلما أدخلت عليه قال لها: أشاعره انت يا فضل؟ قالت: كذا يزعم من باعنى و اشترانى. فضحك و قال:

انشدينا شيئا من شعرك، فقالت على البديهه(١):

استقبل الملك أمام الهدى عام ثلاث و ثلاثينا

خلافه افضت الى جعفر و هو ابن سبع بعد عشرينا

انا لارجو يا امام الهدى أن تملك الناس ثمانينا

فقال الخليفه للشاعر على بن الجهم، و كان حاضرا مجلسه؛ قل بيتا من الشعر لتجيزه. و كان ذلك امتحانا لها. لأن القدره على النظم فى الحال، و الاجازه، أى اكمال الشعر الناقص المعنى، يدل

---

١- الاغانى ٣٠٢ / ١٩، و المنتظم ٧ / ٥، مع بعض التغيير.



على الموهبه الشعريه و قوه البديهه و سرعه الفهم و الاحاطه بالمعنى.

فقال ابن الجهم(١):

لاذ بها يشتكى اليها فلم يجد عندها ملاذا

فارت فضل هنبهه، ثم قالت:

و لم يزل ضارعا اليها تهطل اجفانه رذاذا

فعاتبوه فزاد عشقافمات وجدا فكان ماذا

فطرب المتوكل على الله و قال: احسنت و حياتى يا فضل، و أمر لها بألفى دينار.

و كانت فضل تساجل الشعراء و الادباء. و مما قالته فى المتوكل على الله(٢):

قد بدا شبهك يا مولاي يحدو بالظلام

قم بنا نقض لبانات اعتناق و التثام

قبل أن تفضحنا عوده أرواح النيام

و مما قالته بعد مقتل المتوكل على الله، و قد سألتها أحدهم صبيحه اغتياله عما نزل بهم البارحه، فقالت و هى تبكى(٣):

---

١- المنتظم ٧/٥، و الاغانى ١٩/٣١٢-٣١٣ و فيه ان الخليفه اجازها بمائتى دينار.

٢- الاغانى ١٩/٣٠٧، و فوات الوفيات ٢/٢٥٤-٢٥٥، مع بعض التغيير.

٣- الاغانى ١٩/٣١٠، و الزحل: الثأر.

ان الزمان بزحل كان يطلبناما كان أغفلنا عنه و اسهاننا

مالى و للدهر قد اصبحت همته مالى و للدهر ما للدهر لا كانا

#### ٤- المتوكل على الله و مجالسه الغنائيه:

نهج المتوكل على الله مع المغنين نهج أبيه و أخيه، فرعى أرباب الموسيقى و الغناء و اغدق عليهم، و شجعهم على الارتقاء بهذا الفن الذى تهفو اليه الأرواح و تطيب له النفوس. و قد ألف له حسن بن موسى النصبى كتاب الاغانى، ذكر فيه أشياء لم يذكرها اسحاق الموصلى و عمرو بن بانه فى كتابيهما، و ضمنه كل طريف و غريب من الأغانى و أسماء المغنين و المغنيات قبل الاسلام و بعده(١). و كان بنان ضارب العود و زمام الزامر لا- نظير لهما فى فنهما، و اذا ما اجتمعا على الضرب و الزمر احسنا و فطنا و اعجبا، و قد انقطعا الى المتوكل على الله لا يغيبان عن مجلس غنائه، و كان لا يشرب الا على سماعهما، و فيهما قال البحرى(٢):

هل العيش الا ماء كرم مصفق يقرقه فى الكأس ماء غمام

و عود بنان حين ساعد شدوه على نغم الالحن ناى زمام

و كان المتوكل على الله، رغم سرعه تبدل مزاجه، محبا للغناء مشوقا الى سماعه. و يظهر انه كان يود لو انه يحسن التلحين و الغناء مثل أخيه الواثق بالله، الا انه لم تكن له تلك القابليه. قال

١- الفهرست/ ٢١٤.

٢- ثمار القلوب/ ١٥٥.

على بن الجهم انصرفت ليله من عند المتوكل على الله، فلما دخلت منزلي جاءني رسوله يطلبني فراعني ذلك. فرجعت اليه وجلا، فادخلت عليه و هو في فراشه. فلما رأني ضحك، فايقت بالسلامه.

فقال: يا على أنا مذ فارقتك ساهر و قد خطر على قلبي هذا الشعر الذي كان يغني فيه أخي قول الشاعر: قلبي الى ما ضرني داعي ..

فحرصت أن أعمل مثل هذا فلا- يجيئني، أو أن أعمل مثل اللحن فما أمكنتي، فوجدت في نفسي نقصا. فقلت: يا سيدي كان أخوك خليفه يغني و انت خليفه لا تغني. فقال: قد و الله أهديت الى عيني نوما، اعطوه ألف دينار. فاخذتها و انصرفت (١).

و دخل المتوكل مره الى احدى جواريه و هي تغني:

أمن قطر الندى نظمت ثغرك أم من البرد

و ريقك من سلاف الكرم أم من صفوه الشهد

أيا من قد جرى مني كمجرى الروح في الجسد

ضميرك شاهدي فيما أقاسيه من الكمد

فقال لها: ويحك لمن هذا الصوت؟ قالت: أخذته من مخارق.

قال: فالقيه على الجوارى جميعا، ففعلت. فلما اخذته عنها أمر باخراجهن اليه و دعا بالنيذ و أمر بالألا- يغنيه غيره ثلاثه أيام متواليه (٢):

و كان اسحاق الموصلى كبير مغني عصره قد كف بصره في أواخر أيام الواثق بالله، و اعتزل في منزله ببغداد، فطلب المتوكل على الله

١- الاغانى ٨ / ٣٦٣.

٢- الاغانى ٨ / ٣٤٩ - ٣٥٠.

احضاره الى سامرا. فلما دخل عليه رحب به و اجلسه أمام سريره على مخده اكراما له و تقديرا لمنزلته. فغناه اسحاق بشعره(١):

ما عله الشيخ عيناه باربعهتغر ورقان بدمع ثم ينسكب

فطرب المتوكل على الله و أمر له بمائه ألف درهم.

و خرج المتوكل على الله يوما الى رقه بوسرا من قرى بغداد، و كان يستطيها لكثرة طيورها المغرده، و كان معه اسحاق الموصلي فغناه:

أ أن هتفت و رقاء في رونق الضحى على فنن غض الشباب من الرند

بكيت كما يبكي الحزين صبابهو شوقا و تابعت الحنين الى نجد

فسر الخليفة و قال له: يا اسحاق هذه اخت فعلتك مع الواثق بالله لما غنيته:

طربت الى الاحبيبه الصغارو ذكرنى الهوى قرب المزار

فكم اعطاك لما اذن لك بالانصراف الى أهلك؟ قال: مائه ألف درهم. فأمر له بمثلها و اذن له بالانصراف. و كان هذا آخر عهده به، اذ توفى اسحاق بعد ذلك بشهرين. و لما بلغ المتوكل على الله خبر نعيه حزن عليه و قال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك و بهائه و زينته.

---

١- الاغانى ٤١٤/٥، و نهايه الارب ٨/٥ - ٩ و فيه ان الخليفة أمر له بمائه ألف دينار.

و كان عبد الله بن العباس الربيعى الشاعر المغنى من المقربين الى المتوكل على الله و قد بره و وصله كثيرا. قال عبد الله: سمع المتوكل على الله لحنى فى شعرى الذى امتدحته فيه(١):

الا اصبحانى يوم السعانيين من قهوه عتقت بكركين

عند اناس قلبى بهم كلف و ان تولوا دينا غير دينى

قد زين الملك جعفر و حكى جود ابيه و بأس هارون

و أمن الخائف البرى كما أخاف أهل الالحاد فى الدين

فدعانى، فلما جلست فى مجلس المنادمه طلب الى أن أغنيه هذا الصوت. فغنيتها، فقال لى: يا عبد الله أين غناؤك فى الشعر فى أيامى هذه من غنائك فى:

أماطت كساء الخز عن حر وجههاو أدنت على الخدين بردا مهلهلا

و من غنائك:

أقفر بعد خله سرف فالمنحنى فالعقيق فالجرف

و من سائر صنعتك المتقدمه التى استفرغت محاسنك فيها.

فقلت له: يا أمير المؤمنين انى كنت اتغنى فى هذه الأصوات ولى شباب و طرب و عشق، و لورد على لغنيت مثل ذلك الغناء. فاستحسن قولى و أمر لى بجائزه(٢).

---

١- الاغانى ١٩ / ٢٣٦ - ٢٣٧.

٢- الاغانى ١٩ / ٢٣٦ - ٢٣٧.

و غاضبت قبيحه المتوكل على الله و هاجرته. فجلس مجلسا للغناء، و حضر الجلساء و المغنون و فيهم عبد الله بن العباس الربيعي، و كان قد عرف الخبر فقال هذا الشعر و غنى فيه (١):

لست منى و لست منك فدعنى و امض عنى مصاحبا بسلام

لم تجد عله تجنى بها الذنب فصارت تعتل بالأحلام

فاذا شكوت ما بى قالت قد رأينا خلاف ذا فى المنام

فطرب المتوكل على الله و أمر له بعشرين ألف درهم، و قال له:

ان فى حياتك يا عبد الله لأنسا و جمالا و بقاء للمروءه و الظرف.

و فضله على بقيه المغنين عند ما غناه ذات يوم:

أحب الينا منك دلا و ما يرى له عند فعلى من ثواب و لا أجر

فطرب و قال له: أحسنت و الله يا عبد الله، أما و الله لو رآك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مغنيا سواك أبدا (٢).

و دخل عبد الله الى المتوكل على الله فى أواخر شعبان، فأنشده:

عللانى نعمتما بمدام و اسقيانى من قبل شهر الصيام

حرم الله فى الصيام التصابى فتركناه طاعه للأمام

---

١- نفس المصدر ١٩/٢٣٧-٢٣٨.

٢- نفس المصدر ١٩/٢٥٢.

أظهر العدل فاستنار به الدين و احيا شرائع الاسلام

فأمر المتوكل على الله بالطعام فاحضر، و بالندماء و الجلساء، فأتى بهم. فاصطحب فغناه عبد الله في هذه الابيات. فأمر له بعشره آلاف درهم(١).

و قال عبد الله الربيعي كنت مقيما بسر من رأى و قد ركبنى دين ثقيل أكثره عينه و ربا، فقلت في المتوكل على الله:

اسقياني سحرا بالكبره ما قضى الله ففيه الخيره

أكرم الله الامام المرتضى و أطال الله فينا عمره

ان اكن أقعدت عنه هكذا قدر الله رضينا قدره

سره الله و أبقاه لنا ألف عام و كفانا الفجره

و بعثت بالأبيات اليه، و كنت مستترا من الغرماء. فقال لعبيد الله بن يحيى: وقع له: من هؤلاء الفجره الذين استكفيت الله شرهم؟ فقلت: المعينون الذين قد ركبنى لهم أكثر مما اخذت منهم من الدين بالربا. فأمر عبيد الله ان يقضى دينى، و أن يحتسب لهم رؤوس أموالهم و يسقط الفضل، و ينادى بذلك في سر من رأى حتى لا يقضى أحد أحدا الا رأس ماله. و سقط عنى و عن الناس من الأرباح زهاء مائه ألف دينار، كانت أبياتي هذه سببها(٢).

١- نفس المصدر ٢٥٦ / ١٩.

٢- الاغانى ٢٥٧ / ١٩.

و من المغنين المحسنين الذين غنوا للمتوكل على الله المغنى البغدادي الملقب بالمسدود، لأنه كان مسدود أحد المنخرين و مفتوح الآخر. و قد وهب صوتا شجيا و قدره فائقه على تلحين الأغاني و لا سيما الاهازيج. و كان كثير التباهى على ما وهب من قدره على التلحين و الغناء، و يقول: لو كان منخرى الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائى أهل الحلوم و ذوى الألباب، و شغلت من سمعه عن أمر دينه و دنياه و معاشه و معاده(١). و كان بالاضافه الى ذلك حاضر النادره، جريئا فى الاجابه، مما كان يوقعه ببعض المآزق. فقد غضب الواثق بالله عليه لكلمه قالها فيه فأمر بنفيه من سامرا الى عمان. ثم ما لبث أن عفا عنه(٢). و من أجوبته القاسيه انه غنى بين يدي المتوكل على الله مره، فاسكته و قال لمغن آخر أن يغنى، فقال المسدود: أنا أحتاج الى مستمع. فلم يفظن الخليفه الى ما قال، و الا كان عاقبه على قوله(٣).

و كان المسدود من جمله المغنين الذين غنوا فى دعوه اعدار المعتر بن المتوكل على الله(٤). و لما طال حبس ابراهيم بن المدبر، و هو من رؤساء الدواوين فى سامرا، و لم يجد حيله للخلاص، عمل أبياتا من الشعر و انفذها الى المسدود و سأله أن يعمل فيها لحنا و يغنى بها المتوكل على الله، و اذا سأله عن قائلها عرفه انها له. ففعل المسدود ذلك. و لما سأله المتوكل على الله. قال: لعبدك ابراهيم بن المدبر، فذكره المتوكل على الله و اطلقه من سجنه، و الأبيات هى(٥):

بأبى من بات عندى طارقا من غير وعد

١- نفس المصدر ٢٠ / ٢٨٨.

٢- نفس المصدر ٢٠ / ٢٨٩ - ٢٩٠.

٣- نفس المصدر ٢٠ / ٢٩١.

٤- الديارات / ١٥٤.

٥- الفرج بعد الشده ١ / ١٢٣.



بات يشكو شده الشوق و اشكو فرط وجدى

و تجنى فبكى فانهل در فوق ورد

فيد تحت يد طوراً و خد فوق خد

و من المغنين المشهورين فى أيام المتوكل على الله عمرو بن بانه بن سليمان. و بانه اسم أمه و كان ينسب اليها. و أبوه من رجال الدولة و أحد كتابها، فنشأ هو على حب الشعر و الغناء فصار مغنياً مجيداً.

و قد وضع كتاباً فى الأغاني و المغنين (١). و كان منزله ببغداد و يتردد على سامرا.

و قد برع ابن بانه فى محاكاة من يأخذ عنهم و تقليدهم. الا انه كان يذهب مذهب ابراهيم بن المهدي فى تغيير الاصول (٢). و رغم انه أخذ الغناء عن اسحاق الموصلى فقد خالفه فى الأداء و تعصب عليه. و قال له مره فى جدل جرى بينهما: ليس مثلى يقاس بمثلك لأنك تعلمت الغناء تكسباً، و تعلمته انا تطرباً، و كنت أضرب لثلاً أتعلمه، و كنت تضرب حتى تتعلمه (٣).

و اختص عمرو بن بانه بالمتوكل على الله الذى كان يأنس به فى مجالسه الغنائيه، و جعله من ندمائه. و طلب عمرو يوماً من الخليفة أن يأمر له بدار لضيق منزله. فامر الخليفة وزيره عبيد الله بن يحيى بان يبتاع له منزلاً يختاره. و كان هذا فى أواخر شعبان، و قد شغل عبيد الله برمضان، فلم يتم شراء المنزل. و لما

١- وفيات الاعيان ٣ / ١٤٨.

٢- الاغانى ١٥ / ٢٦٩.

٣- نفس المصدر ١٥ / ٢٧٠.

أهل شوال حضر ابن بانه مجلس المتوكل على الله فغناه من شعره و تلحينه:

ملاك ربي الأعياد تخلقها في طول عمر يا سيد الناس

دفعت عن منزل أمرت به فأنى عنه مباحد خاس

فمر بتسليمه الى على رغم عدوى بحرمة الكاس

أعوذ بالله و الخليفه ان يرجع ما قلته عن راس

فدعا الخليفه بعبيد الله و عاتبه لعدم ابتياع المنزل الذى أمره به. فاعتذر عبيد الله بدخول الصوم و تشعب الأعمال. فتقدم اليه ان لا يؤخر ابتياع ذلك اليه. فابتاع له دارا فى سر من رأى، و فيها توفى عمرو(١).

لقد سبقت الاشاره الى المغنى أبى حشيشه الذى غنى لخلفاء سامرا. و كان المتوكل على الله يستخفه و يحب غناه، و كانت الأصوات التى يشتهيها عليه عديده منها(٢):

أطعت الهوى و خلعت العذارا و باكرت بعد القراح العقارا

و نازعك الكأس من هاشم كريم يحب عليها الوقارا

فتى فرق الحمد أمواله يجر القميص و يرخى الازرارا

١- نفس المصدر ١٥/٢٧٤ - ٢٧٥.

٢- الاغانى ٢٣/٧٩ - ٨٠ و نهايه الارب ٥/٣٧.

رأى الله جعفر خير الأنام فملكه و وقاه الحذارا

و كان عثث المغنى الاسود مملوكا لمحمد بن يحيى بن معاذ فظهر منه جوده طبع و حسن أخذ و أداء، فعلمه الغناء و أدبه، فبرع فى صناعته. و صار من المغنين الذين اختص بهم المتوكل على الله. اذ كان أثيرا عنده، يأكل بين يديه، و لا يغيب عن مجالسه الغنائيه.

و كان حاضرا فى المجلس الذى قتل فيه المتوكل على الله، و قد اصابته ضربه فى رأسه، و هو من جمله من يروى عنهم الطبرى كيفية قتل المتوكل على الله (١).

قال عثث: دخلت يوما على المتوكل على الله و هو مصطحح على البركه و ابن المارقى يغنيه قوله:

أقاتلتى بالجد و القد و الخدو باللون فى وجه أرق من الورد

و قد طرب و استعاد الصوت مرارا و أقبل عليه. فصنعت هزجا فى شعر البحترى فى وصف البركه:

اذا النجوم تراءت فى جوانبهاليليا حسبت سماء ركبت فيها

و ان علتها الصبا ابدت لها حكامثل الجواشن مصقولا حواشيها

و زادها زينه من بعد زينتهاان اسمه اليوم يدعى من أساميهها

و لما سكت ابن المارقى اندفعت بالغناء. فأقبل على و قال لى: أحسنت و حياتى، أعد. فاعدت فشرب قدحا. و لم أزل أغنيه

و يشرب حتى اتكأ، ثم قال للفتح: بحياتي أدفع اليه الساعه ألف دينار، و خلعه تامه، و أحمله على شهري فاره بسرجه. فانصرفت بذلك جميعاً(١).

### ٥- المتوكل على الله و جواريه المغنيات:

عرف المتوكل على الله بكثرة جواريه، الا- انه اختص ببعضهن ممن امتزن بجمال فائق، أو أدب بارع، أو غناء جميل. و كانت محبوبه من جواريه المفضلات لديه. و هي من مولدات البصره و كانت شاعره مطبوعه سريعه الخاطر، و جميله تغنى غناء مقبولاً. و قد أهداها عبد الله بن طاهر الى الخليفه المتوكل على الله فى جمله من الجوارى.

فصارت أقرب جواريه الى نفسه فكان يجالسها أو يجلسها خلف الستاره اذا جلس مجلس شراب.

قال المتوكل على الله يوماً لشاعره على بن الجهم انه دخل على زوجته قبيحه فوجدها قد كتبت اسمه على خدها بغاليه المسك، و طلب اليه ان يصف ذلك شعراً، و كانت محبوبه حاضره. فدعا ابن الجهم بدواه و اخذ يفكر فيما يقول. فانبرت تقول على البديهه:

و كاتبه بالمسك فى الخد جعفرابنفسى محط المسك من حيث أثرا

لئن كتبت فى الخد سطرا بكفها لقد اودعت قلبى من الحب اسطرا

فيا من لمملوك لملك يمينه مطيع له فيما أسر و أظهرها

و يا من مناها فى السريره جعفرسقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

فوجم على بن الجهم لا ينطق بحرف. و أمر المتوكل على الله بان تبعث الايات الى عريب المغنيه لتلحنها حتى يغنى فيها(١).

وقال على بن الجهم: كنت عند المتوكل على الله و هو يشرب، فدفع الى جاريته محبوبه تفاحه مغلفه فقبلتها، و انصرفت من حضرته. ثم بعثت اليه مع جاريه لها رقعه فيها شعر لها فى التفاحه المذكوره، هو:

يا طيب تفاحه خلوت بهاتشعل نار الهوى على كبدى

أبكى اليها و اشتكى دنفى و ما الاقى من شده الكمد

لو ان تفاحه بكت لبكت من رحمتى هذه التى بيدى

ان كنت لا ترحمين ما لقيت نفسى من الجهد فارحمى جسدى

فاستظرفها الحاضرون، و أمر المتوكل على الله أن يغنى فى هذا الشعر صوت شرب عليه بقيه يومه(٢).

و غضب المتوكل على الله مره على جاريته محبوبه و هاجرها.

فحاولت أن تترضاه فقالت الأبيات الآتية و اخذت تغنيها و هى فى حجرتها(٣):

١- الاغانى ٢٢ / ٢٠٠ - ٢٠١.

٢- نفس المصدر ٢٢ / ٢٠١.

٣- نفس المصدر ٢٢ / ٢٠٣.

أدور فى القصر لا أرى أحدا أشكو اليه و لا يكلمنى  
حتى كأنى ركبت معصيه ليست لها توبه تخلصنى  
فهل لنا شافع الى ملك قد زارنى فى الكرى فصالحنى  
حتى اذا ما الصباح لاح لنا عاد الى هجره فصارمنى  
فلما سمعها المتوكل على الله صالحها.

و لما قتل المتوكل على الله حزنت عليه محبوبه حزنا شديدا و قالت فيه مرات عديده، منها قولها (١):

أى عيش يطيب لى لا أرى فيه جعفرا  
ملكا قد رأته عينى قتيلاً معفرا  
كل من كان ذاهيام و حزن فقد برا  
غير محبوبه التى لو ترى الموت يشتري  
لأشترته بملكها كل هذا لتصبرا  
ان موت الكئيب اصلح من أن يعمرا

و يقال انها غنت القائد و صيف هذا الشعر فاشتد ذلك عليه فأمر بقتلها. الا ان القائد بغا استوهبها منه فوهبها له فاعتقها.

فخرجت من سامرا الى بغداد، ثم حمل ذكرها.

و كانت المغنيه فريده أثيره عند الواثق بالله. فلما مات تزوجها المتوكل على الله. و كان يريد لها ان تغنيه فتأبى و فاء للواثق بالله.

فاقام يوما على رأسها خادما أمره بضربها أو تغنى. فاضطرت على الغناء له، و اندفعت تغنى:

مقيم بالمجازه من قنوني و اهلك بالا جيفر فالثماد

فلا تبعد فكل فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

ثم ضربت بالعود الأرض، و مرت تعدو و هى تندب الواثق بالله(١).

و تجادلت عريب و خشف الواضحيه فى غناء عليه بنت المهدي بحضره المتوكل على الله. فقالت خشف: ان لها ثلاثه و سبعين صوتا.

فقالت عريب: هى اثنان و سبعون صوتا. فقال المتوكل على الله:

غنيا غناءها. فغنتاه و لم تزالا تغنيان غناءها حتى بلغتا اثنين و سبعين صوتا. و قد انسيت خشف الصوت الثالث و السبعين.

فاسقط فى يدها و تغلبت عريب. فلما كان الليل رأت خشف عليه فى نومها تقول لها ان الصواب معها و ذكرتها بالصوت الذى كانت أنسيت ان تغنيه و هو(٢):

بنى الحب على الجور فلوانصف المعشوق فيه لسمج

١- نفس المصدر ١١٨/٤، و المجاز و قنوني و الاجيفر و الثماد مواضع فى جزيره العرب.

٢- نفس المصدر ١٠/١٧٤-١٧٥.

ليس يستحسن فى حكم الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج

لا تعيين من محب ذلهذا العاشق مفتاح الفرج

وقليل الحب صرفا خالصالك خير من كثير قد مزج

فبكرت خشف الى المتوكل على الله و ذكرت له القصه، فقال:

رحم الله عليه فما تركت ظرفها حيه و ميته. و اجاز المغنيه خشفا جائزه سنيه.

و كان المتوكل على الله يقول: انا ملك السلاطين، و الورد ملك الرياحين، فكل منا أولى بصاحبه. و حرم الورد على جميع الناس و استبد به، و قال انه لا يصلح للعامه، فكان الورد لا يرى الا فى مجلسه. و كان فى أيام الورد يلبس الثياب المورده، و يفرش الفرش المورده، و يورد جميع الآلات. و اراد أن يشرب مره على الورد الا انه لم يكن موسمه. فأمر بان تضرب له دراهم رقيقه وزن كل منها حبتان و صبغت بالحمرة و الصفرة و السواد، و ترك قسم منها على حالها. و تقدم الى الخدم و الحواشى ان يعد كل منهم قباء و قلنسوه على خلاف لون قباء الآخر و قلنسوته، ففعلوا. ثم عمد فى يوم تحركت فيه الريح الى الجلوس فنصبت له قبه واسعاه اصطحب فيها مع ندمائه. و لبس الخدم الكسوه التى اعدوها. فأمر المتوكل على الله بنثر الدراهم كما ينثر الورد، فنثرت بالتدريج، فكانت الريح تحملها فتقف بين السماء و الارض، و يكون لها منظرا جميل مبهج.

فكان ذلك اليوم من أحسن أيام أنسه و أظرفها.

(١)





## الفصل الرابع مجالس خلفاء سامرا الآخرين

### ١- المنتصر بالله و الشعر و الغناء:

#### المنتصر بالله و الشعراء:

لم يكن المنتصر بالله يحسن قول الشعر، و ما قاله منه على قلته كان ركيكا في تركيبه، سطحيا في معناه، و مما ينسب اليه قوله(١):

متى ترفع الأيام من قد و ضعنه و ينقاد لي دهر على جموح

أعلل نفسي بالرجاء و اننى لأغدو على ما ساءنى و اروح

و يظهر من معنى هذين البيتين انه قالهما في أواخر أيام أبيه المتوكل على الله، عند ما أخذ يسيء معاملته و يهينه و يسمعه ما يكره، بحيث بات يتمنى الخلاص منه و ان يصير الأمر اليه.

و كان يزيد المهلبى أقرب الشعراء الى الخليفة المنتصر بالله، و هو شاعر مجيد من بنى المهلب بن ابي صفره. و قد صاحب

---

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٧.

المنتصر بالله منذ ان كان أميراً و كان منقطعا اليه. و صادف أن رآه المتوكل على الله عند ابنه و سمع كلامه و شعره فاعجب به و استحسنته و جعله من جلسائه. و اراد المنتصر بالله من المهلبى ان يلازمه كما كان، فلم يقدر على ذلك لملازمته مجلس الخليفه، فعتب عليه. فلما افضت اليه الخلافة استأذنه المهلبى فحجبه أول الامر، ثم ما لبث ان اذن له. فدخل عليه و سلم، فامرته بالجلوس. ثم التفت المنتصر بالله الى بنان بن عمرو المغنى و كان حاضرا، و قال له غن:

غدرت و لم أغدر و خنت و لم أخن و رمت بديلا و لم اتبدل

و هو شعر من نظم المنتصر بالله نفسه. فغناه بنان، فعلم المهلبى انه اراده بذلك، فقال: و الله ما اخترت خدمه غيرك و لا صرت اليها الا- بعد اذنك. فقال المنتصر بالله: صدقت، انما قلت هذا مازحا، أترانى اتجاوز حكم الله عز و جل بقوله «و ليس عليكم جناح فيما اخطأتم»<sup>(١)</sup>. فاستأذنه المهلبى فى الانشاد فاذن له فانشده عده أبيات منها:

ألا يا قوم قد برح الخفاء و بان الصبر منى و العزاء

جفاتي سيد قد كان براو لم أذنب فما هذا الجفاء

حللت بداره و علمت أنى بدار لا يخيب بها الرجاء

أمنتصر الخلائف جدت فينا كما جادت على الارض السماء

وسعت الناس عدلا فاستقاموا باحكام عليهن الضياء

و ليس يفوتنا ما عشت خير كفانا أن يطول لك البقاء

فاستحسن المنتصر بالله قوله، و أكد له انه لا يزال من ذوى ثقته، و موضع اختياره، و طيب نفسه، و وصله بثلاثه آلاف دينار(١).

و لما هنا بتوليئه الخلافه بقوله:

ليهنك ملك بالسعاده طائره موارده محموده و مصادره

فأنت الذى كنا نرجى فلم نخب كما يرتجى من واقع الغيث باكره

بمنتصر بالله تمت أمورنا و من ينتصر بالله فالله ناصره

أمر المنتصر بالله عربيا المأمونيه ان تغنى نشيدا فى أول الأبيات، و تجعل البسيط فى البيت الأخير، فعملته و غنته فيه(٢).

و صلى المنتصر بالله صلاه عيد الأضحى سنة ٢٤٧ هـ، فانشده يزيد المهلبى عند انصرافه من الصلاه، قوله:

ما استشرف الناس عيدا مثل عيدهم مع الامام الذى بالله ينتصر

غدا بجمع كجرح الليل يقدمه وجه أغر كما يجلو الدجى القمر

---

١- الاغانى ٩ / ٣٠٢ - ٣٠٣.

٢- الاغانى ٩ / ٣٠٤.

يؤمهم صادع بالحق أحكمه حزم و علم بما يأتي و ما يذر

لو خير الناس فاختاروا لأنفسهم أخط منك لما نالوه ما قدروا

فأمر له بألف دينار. و طلب من المغنى ابن المكى ان يغنى هذه الأبيات(١).

و من الأدباء الذين كان المنتصر ينادمهم الأديب الضرير أبو العنفاء محمد بن القاسم بن خلاد. و قد سأله المنتصر بالله يوما: ما أحسن الجواب؟ قال: ما اسكت المبطل و صير الحق. فقال له:

أحسنت و الله(٢).

أما الشاعر البحرى فقد ابتعد عن بلاط المنتصر بالله لانه كان يتهمه بالاشتراك فى مؤامره اغتيال أبيه. الا ان سياسه المنتصر بالله الوديه تجاه العلويين جعلت لسان البحرى ينطق بمدحه بقصيده جاء فى أولها قوله(٣):

حججنا البنيه شكرا لماحيانا به الله فى المنتصر

من اللحم عند انتقاض الحلوم و الحزم عند انتقاض المرر(٤).

تطول بالعدل لما قضى و أجمل فى العفو لما قدر

---

١- نفس المصدر.

٢- تاريخ بغداد ٣/ ١٧٧.

٣- كامل القصيده فى ديوان البحرى ٢/ ٨٤٨- ٨٥١.

٤- المرر جمع مره. و هى اصاله العقل و قوه الخلق.

و دام على خلق واحد عظيم الغناء جليل الخطر

### المنتصر بالله و الغناء:

ذكر أبو الفرج الخليفة المنتصر بالله في الفصل الخاص بالمغنين من الخلفاء و أولادهم، و أورد بعضا من ألحانه، و قال عنه: انه كان حسن العلم بالغناء سماعا و انشادا، و قد اولع بذلك منذ ان كان أميرا، فاذا قال شعرا لحنه و طلب الى المغنين ان يغنوه، حتى شاعت بعض ألحانه. و مما اشتهر منها:

سقيت كأسا كشفت عن ناظري الخمر

فنشطني و لقد كنت حزينا خائرا

و رغم ضعف الشعر تركيا و معنى فقد غنى به و تداوله الناس(١).

و نسب اليه المسعودي الشعرين التاليين، و قد غناه بهما بنان بن عمرو المغني في ثاني يوم من العيد الاضحى. و كان المنتصر بالله قد صلى بالناس، و هما قوله(٢):

رأيتك في المنام أقل بخلاو أطوع منك في غير المنام

فليت الصبح باد و لا نراه و ليت الليل اخر ألف عام

---

١- الاغانى ٩ / ٣٠٠.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣١ - ١٣٢.

و لو ان النعاس يباع ببعالغليت النعاس على الأنام

و قوله فى نفس المعنى:

انى رأيتك فى المنام كأنما أعطيتنى من ريق فيك البارد

و كأن كفك فى يدى و كأنما بتنا جميعا فى لحاف واحد

ثم انتبهت و معصماك كلاهما بيدى اليمين و فى يمينك ساعدى

فظللت يومى كله متراقد الأراك فى نومى و لست براقد

الا انه عند ما استخلف ترك الغناء و التلحين، و منع اظهار ما سبق ان صنعه من شعر و الحان، غير انه لم يترك السماع(١).

فكان كثيرا ما يطلب الى المغنين الذين يرتادون مجلس انسه و لهوه كبنان بن عمرو و عريب المأمونيه و ابن المكى، ان يغنوا بعض الاشعار التى تقال فيه و يمتدح بها. كما حدث فى الشعر الذى قاله فى مدحه الحسين بن الضحاك و يزيد المهلبى.

و قد استدعى المنتصر بالله يوما عبد الله بن العباس المغنى الشاعر و طلب اليه ان يصنع لحننا فى شعر كان قاله، و كان عبد الله قد اقسام ألا يغنى فى شعر المنتصر بالله، فأطرق مليا، ثم غنى شعرا قاله للوقت، هو:

يا طيب يومى فى قراح النرجس فى مجلس ما مثله من مجلس

تسقى مشعشعه كأن شعاعهانار تشب لبائس مستقبس

فسمعه المنتصر بالله و لم يصله بشىء (١). و يظهر انه لم يكن مقريا اليه. فقد روى أحمد بن المرزبان، صاحب المنتصر بالله و نديمه، ان عبد الله جاءه مره يسأله فى عرض رقعته له على الخليفة، فعرضها، و تردد المنتصر بالله فى اجابته الى طلبه، حتى كلمه ابن المرزبان فيه، فأمر بقضائها (٢).

و غنى بنان بن عمرو بين يديه شعرا لمروان بن أبى حفصه هو:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

فقال له المنتصر بالله: اياك ان تغنى بحضرتى فى هذا الصوت و اشباهه، فما أحب أن أسمع أشعار آل أبى حفصه (٣). و حاول مروان ان يترضى المنتصر بالله فاستأذنه للدخول عليه، فقال: و الله لا اذنت للكافر ابن الزانية، قولوا له لا وصلت الى أبدا. فلما بلغ هذا القول ابن أبى حفصه عمل الشعر الآتى:

لقد طال عهدى بالامام محمدمو ما كنت أخشى أن يطول به عهدى

فاصبحت ذا بعد و دارى قريهفيا عجا من قرب دارى و من بعدى

رأيتك فى برد النبى محمد كبدر الدجى بين العمامه و البرد

١- الاغانى ٢٣٧ / ١٩.

٢- نفس المصدر.

٣- الاغانى ٣٠٥ / ٩.



و سأل بنان بن عمرو فصنع فيه لحنا و غنى به المنتصر بالله، فلما سمعه سأل عن قائله. ف قيل له انه لمروان بن أبي حفصه.

قال: أما الوصول الى فلا سبيل اليه، و لكن أعطوه عشره آلاف درهم يتحمل بها الى اليمامة(١). فكأن ابن أبي حفصه سعى الى حتفه بنفسه، اذ جعل المنتصر بالله يتذكره و يأمر بنفيه الى اليمامة. و كان سبب غضبه عليه ان ابن ابى حفصه كان يتقرب الى المتوكل على الله بما يصنعه من شعر يهجو به آل أبي طالب، و ذلك ما لم يكن يرتضيه المنتصر بالله، مما احفظه عليه.

و روى عن يزيد المهلبى انه قال: غنى بنان بن عمرو يوما فى مجلس المنتصر الصوت الآتى:

يا ربه المنزل بالبرك و ربه السلطان و الملك

تخرجى بالله من قتلنا لسا من الديلم و الترك

فضحكت. فقال لى المنتصر بالله: مم ضحكت؟ قلت: من شرفه قائل هذا الشعر، و شرف من عمل اللحن فيه، و شرف مستمعه.

قال: و ما ذاك؟ قلت: الشعر فيه للرشيد، و الغناء لعليه بنت المهدي، و أمير المؤمنين مستمعه. فاعجبه ذلك، و ما زال يستعيده(٢).

و كان المنتصر بالله يستهتر احيانا فى لهوه و عبثه. فقد أراد أن يشرب يوما فى الزقاق علانيه أمام الناس، فوافوا من كل جهه ليره.

ثم سار الى شاطىء دجله و توقف عنده، فصرف الناس. و اختلى بالندماء و المغنين و من يصلح للأنس و الخدمه(٣). و لعل ما دفعه الى

١- الاغانى ٢٣ / ٢٠٥، و مروج الذهب ٤ / ١٣٠.

٢- الاغانى ١٠ / ١٦٨.

٣- بقيه المسامره فى مروج الذهب ٤ / ١٥٦ - ١٥٨.

مثل هذا السلوك، و هو الشرب و اللهو جهارا أمام الناس هو رغبته فى التنفيس عما كان يقاسيه من آلام نفسه بسبب شعوره بالذنب من جراء اشتراكه فى التآمر على أبيه.

## ٢- المستعين بالله و الشعراء و الندماء:

كان عهد الخليفة المستعين بالله مفعما بالأحداث. فقد توالى هجمات الروم على الثغور العربيه خلال السنه الأولى من حكمه، و اشتد الصراع و التنافس بين القواد الأتراك انفسهم من جهة، و بينهم و الخليفة من جهة أخرى، لا سيما عند ما قتل القائد او تامش الموالى للخليفة. و خرج فى السنتين التاليتين بعض الزعماء الطالبيين فى الكوفه و طبرستان. و عند ما قتل القائد باغر التركى اشتد الخلاف بين القواد الاتراك، مما اضطر المستعين بالله على مغادره العاصمه سامرا و الانحدار الى بغداد مع مناصريه من القواد الاتراك. و تلى ذلك خلع و مبايعه المعتز بالله بدلا عنه فى سامرا.

ثم نشوب الحرب بين جيش المعتز بالله و جيش المستعين بالله و انتهائها بتنازل المستعين بالله عن الخلافه.

و هكذا كانت المده التى أمضاها المستعين بالله فى الخلافه مليئه بالاضطرابات و الحروب، مما جعله يصرف كل وقته و جهوده فى مجابهتها. و لم يبق له متسع ليستمع الى المغنين و الشعراء، او يتمتع بمجالسه الندماء، الا فى النزر اليسير.

كان المستعين بالله حسن المعرفه بايام العرب و اخبارهم. قال أبو البيضاء مولى جعفر الطيار، و كان من الرواه: وفدنا فى أيام المستعين بالله من المدينه الى سامرا، و فىنا جماعه من الطالبيين و غيرهم من الانصار. فاقمنا ببابه نحو من شهر، ثم وصلنا اليه.

و تكلم كل منا فأنس الخليفه بنا و ابتدأ يذكر مكه و المدينه و اخبارهما. و كنت أعرف الجماعه بما شرع فيه فقلت: أ يأذن

أمير المؤمنين فى الكلام؟ قال: ذاك اليك. فشرعت معه فيما قصد اليه. و تسلسل بنا الكلام الى فنون من العلم فى اخبار الناس، ثم انصرفنا. و اقيم لنا الانزال و الافصال. فلما كان فى أول الليل جاءنى خادم و معه عده من الأتراك و الفرسان، فحملت على جنبه كانت معهم، و اتى بى الى المستعين بالله. فاذا هو جالس فى الجوسق، فقربنى و ادنانى، ثم أخذ بعد ان آسنى، فى اخبار العرب و أيامها، و انتهى بنا الكلام الى اخبار العذريين و المتيمنين، فقال لى: ما عندك من اخبار عروه بن حزام و ما كان منه مع عفراء؟

فقلت: يا أمير المؤمنين ان عروه بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفى و جدا بها و صبابه اليها. فمر به ركب فعرفوه.

فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح صائح منهم:

ألا أيها القصر المغفل أهله نعيانا اليكم عروه بن حزام

ففهمت عفراء صوته و اشرفت عليه، و قالت:

ألا أيها الركب المجدون و يحكم بحق نعيتم عروه بن حزام؟

فاجابها رجل من القوم:

نعم قد تركناه بارض بعيدهمقيما بها فى سبب و آكام

فقال لهم:

فان كان حقا ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

ثم سألتهم أين دفنوه، فاخبروها، فصارت الى قبره فلما رأته نزلت و انسلت اليه فأكبت عليه، فما راعهم الا صوتها، فبادروا

اليها فاذا هي ممتده على القبر و قد ماتت، فدفنوها الى جانب قبره ١٧.

و قد مدح البحترى الخليفه المستعين بالله عند توليه الخلافه بقصيده ذم فيها الوزير أحمد بن الخصيب و استعداده عليه، منها قوله(١):

ما الغيث يهيمى صوب اسباله و الليث يحمى خيس اسباله(٢)

كالمستعين المستعان الذى تمت له النعمى بافضاله

تلو رسول الله فى هديه و ابن النجوم الزهر من آله

و يحفظ الملك باشرافه على نواحيه و اطلاله

لابن الخصيب الويل كيف انبرى بافكه المردى و ابطاله

كاد امين الله فى نفسه و فى مواليه و فى ماله

و رام فى الملك الذى رame بغشه فيه و ادغاله(٣)

فانزل الله به نقمهغيرت النعمه من حاله

---

١- القصيده فى ديوان البحترى ٣ / ١٦٣٦ - ١٦٣٨.

٢- خيس الاسد: عرينه.

٣- الادغال: ادخال ما يخالف الشىء و يفسده.

ثم يقول:

ففرحه الناس بادباره كغيظهم كان باقباله

يا ناصر الدين انتصر موشكامن كائد الدين و مغتاله

و الرأى كل الرأى فى قتله بالسيف و استصفاء أمواله

و كان المستعين بالله قد استوزر بعد مقتل او تامش و كاتبه شجاع أبا صالح محمد بن يزداد، فمدح البحترى الخليفه بقصيده  
أثنى فيها على وزيره الجديد بعد أن اشار الى سوء سيره أو تامش و كاتبه، منها قوله (١):

لقد سرنى أن العواقب روعت عداكم برأسى تامش و شجاع

و كان خبيثى ظاهر و سريرهلكم، و قبيحى رؤيه و سماع

أقاما قرينى غيه و ضلالهوباتاقتيلى غره و ضياع

و قد أمرا بالرشد حينافعاصياو كم أمر بالرشد غير مطاع

فقل للامام المستعين الذى له تراث قصى من علا و مساع

أقم بابن يزداد الامور فانه لها خير و ال تصطفيه و راع

امانه صدر و اضطلاع كفايهو صحه عزم و اتساع ذراع

و عند ما ترك المستعين بالله حاضره الخلافه الى بغداد استصحب معه محمد بن الواثق بالله و غفل عن أن يأخذ معه المعتز و المؤيد ولدى المتوكل على الله. فلما نزل ببغداد على محمد بن عبد الله بن طاهر خليفته فيها، قال له محمد: يا أمير المؤمنين اين المعتز و المؤيد؟

قال: بسر من رأى. قال محمد: فجرى على لسانى ان قلت شعر زهير:

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها فلاقنا بيانا عند آخر معهد

دما حول شلو تحجل الطير حوله و بضع لحام و اهاب مقدد

و معنى البيتين: اضاعت البقره ولدها اذ غفلت عنه بالرعى، فلم تغفر لها السباع غفلتها و افترست ولدها، فشهدت دمائه عند آخر موضع فارقتة فيه، و رأت بقيه جسده و جلده و الطيور تحوم حولها(١).

كما تنبأ عن مصير المستعين بالله عند شخوصه الى بغداد، أبو على أحمد بن الحارث اليمامى، فقال(٢):

ما زال الال زوال ملكه و حتفه من بعده و هلكه

و من الشعراء الذين امتدحوا المستعين بالله محمد بن عبد الله بن داود الهاشمى المعروف بترجه، فقد قال(٣):

١- الهفوات النادره / ١٩ - ٢٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٨٢.

٣- تاريخ بغداد ٥ / ٨٥.

غدوت بسعد غره لك باكره فلا زالت الدنيا بملكك عامره

و نال مواليك الغنى بك ما بقواو عزوا و عزت دوله لك ناصره

بعثت علينا غيث جود و رحمهنلنا بدنيا منك فضلا و آخره

فلا خائف الا بسطت امانه و لا معدم الا سددت مفقره

تبين بفضل المستعين - بفضله على غيره - نعماء فى الناس ظاهره

و يقول الشاعر عند ما انشدته الشعر دفع الى خريطه كانت فى يده مملوءه دنانير، و دعا بغاليه و جعل يغلفنى بيده.

و كان أهل بغداد قد احبوه و مالوا اليه. و عند ما علموا بامر خلعه و ثبت العامه بمحمد بن عبد الله بن طاهر و تدمرت عليه (١).

و قال أحد الشعراء البغداديين فى خلعه شعرا يعكس شعور أهل بغداد نحوه، اذ يقول (٢):

انى أراك من الفراق جزوعاً أمسى الأمام مسيراً مخلوعاً

و غدا الخليفه أحمد بن محمد بعد الخلافه و البهاء خليعا

كانت به الأيام تضحك زهره هو هو الربيع لمن أراد ربيعا

---

١- الطبرى ٩ / ٣٣٨.

٢- الطبرى ٩ / ٣٥٠ - ٣٥١، و مروج الذهب ٤ / ١٦٧.

فازاله المقذور من رتب العلافثوى بواسط لا يحس رجوعا

و قد اكثر الشعراء القول عند ما خلع المستعين بالله نفسه و بايع للمعتز بالله، و كلها تؤكد ضعفه و استسلامه لتسلط الأتراك، و تظهر الارتياح لخلافه المعتز بالله. فقد قال البحترى يمتدح الخليفه المعتز بالله و يهجو المستعين بالله عند نفيه الى واسط بعد ما اضطر على التنازل عن الخلافه، منها قوله(١):

ألا هل اتاها أن مظلمه الدجى تجلت و أن العيش سهل جانبه

و أنا ردنا المستعار مذمأعلى أهله، و استأنف الحق صاحبه

عجبت لهذا الدهر أعت صروفه و ما الدهر الا صرفه و عجائبه

متى أمل الدياك ان تصطفى له عرى التاج أو تشقى عليه عصائبه

فكيف أدعى حق الخلافه غاصب حوى دونه ارث النبي أقاربه

بكى المنبر الشرقى اذ خار فوقه على الناس ثور قد تدلت غباغه

الى أن يقول:

و لم يكن المعتز بالله اذ سرى ليعجز و (المعتز بالله) طالبه



### ٣- المعتر بالله والشعر والغناء:

بعد ان بويح المعتر بالله بالخلافه دخل فى حرب مع المستعين بالله استمرت ما يقرب من السنه. و ما أن انتهت الحرب حتى بدأ النزاع بينه و بين القواد الاتراك. و كانت الحرب قد استنزفت ماليه الدوله و اضعفت اقتصادها، فلم تعد ايرادات بيت المال تفى بنفقات الجند الأ-تراك، مما اثارهم عليه فاشتد صراعهم معه. على ان هذه الظروف العسيره لم تمنع المعتر بالله من ان يغتنم الفرصه ليجلس الى ندمائه و يستمع الى شىء من الغناء، و الى اشعار بعض الشعراء.

كان للمعتر بالله بعض المعرفه بصنعه الغناء، و قد ذكر ابو الفرج فى الفصل الذى عقده عن اغانى الخلفاء و اولادهم ان المعتر بالله لحن الشعر التالى و غناه(١).

لعمري لقد اصحرت خيلنا باكناف دجله للمصعب

فمن بك منا بيت آمناء من يك من غيرنا يهرب

و انه كان ينظم شعرا و يلحنه، أو يتركه لمغنين آخرين. فقد انشد لنفسه يوما بعض الأبيات، منها قوله(٢):

انى قمرتك يا سؤلى و يا أملى أمرا مطاعا بلا مطل و لا علل

---

١- الاغانى ٣٠٥ / ٩، و الشعر لعدى بن الرقاع قاله فى الوقعه التى كانت بين الخليفه عبد الملك بن مروان و مصعب بن الزبير بطسوج مسكن بالعراق، و قتل فيها مصعب.

٢- الاغانى ٣١٨ / ٩.

حتى متى يا حبيب النفس تمطلنى و قد قمرتك مرات فلم تف لى

و طلب الى عريب المغنيه ان تغنيه، فلحنته و غنته:

و شرب المعتز بالله فى مجلس عقده ببستان مملوء من زهر النمام و بينه شقائق النعمان. فدخل اليه يونس بن بغا، صديقه و ألفه،  
و عليه قباء أخضر، فقال(١):

شبهت حمرة خده فى ثوبه بشقائق النعمان فى النمام

و قال لجلسائه و مغنيه: اجيزوا. فانبرى بنان المغنى فقال:

و القد منه اذا بدا فى قرطق كالغصن فى لين و حسن قوام

فأمره المعتز بالله ان يغنى فيه. فصنع فيه لحننا و غناه.

و استدعى المعتز بالله يوما عبيد الله بن عبد الله، و طلب اليه المقام عنده بسامرا، و قال عبيد الله ان المعتز بالله أرسل الى شاربه  
المغنيه ان تخرج فتعاللت عليه، فقال: عندى من يحب ان يسمعك، و احب لكك و له ذلكك، و لا بد من حضورك. فخرجت  
فجلست خلف الستاره، ثم قالت: لو لا الزائر ما جئنا، ثم غنت الصوت الآتى(٢):

غشيت المنازل بالأنعم كمنعرج الوشم فى الأعصم

ثم غنت بعده:

لقد راعنى للبين صوت حمامهعلى غصن بان جاوبتها حمائم

١- الاغانى ٩ / ٣١٨ - ٣١٩.

٢- الديارات / ١١٠ - ١١١.

فقال لى الخليفه: كيف تسمع؟ قلت: اسمع شيئاً حظ العجب منه أكثر من حد الطرب. فاستحسن هذا الكلام منى. ثم اسمعنى زمر زنام الزامر وقد ضعف و ارعش و ازمته النقرس. و ارانى الآله التى عملها أحمد بن موسى المهندس من صفر يرسل فيها الماء فيسمع له زمر السرناى، ثم ادخلنى الى شباك و أمر أن يجمع بين الفيل و السبع فرأيتهما كيف يتواثبان، ثم قال لى: أذكر انى اريتك اليوم أربعه أشياء طريفه فايهما أظرف عندك؟ قلت: غناء شاريه. فقال: صدقت.

و اصطحب المعتر بالله فى أحد الايام و اقترح على عريب صوتا فغنته، فاستحسن غناءها و سر به، فأمر له بثلاثين ألف درهم، و فرق على الجلساء كلهم الجوائز و الخلع و الطيب، و كان الشعر الذى غنته لعلى بن الجهم، و هو(١):

العين بعدك لم تنظر الى حسن و النفس بعدك لم تسكن الى سكن

كأن نفسى اذا ما غبت غائبهحتى اذا عدت لى عادت الى بدنى

و جلس يوماً مجلس غناء و الجلساء و المغنون حوله، و قد أعد الخلع و الجوائز، و كان يونس بن بغا بين يديه يسقيه. فدخل بغا و استأذن لأبيه لأن والدته على فراش الموت، فأذن له فخرج. ففتر المعتر بالله عن السماع و نعس فنام. و قام الجلساء و تفرق المغنون.

فلما عاد يونس مساء و رآه المعتر بالله عاد الى الشرب و عاد الندماء و المغنون، فقال المعتر بالله:

تغيب فلا أفرح فليتك لا تبرح

و ان كنت عذبتنى بانك لا تسمح

فاصبحت ما بين ذين لى كبد تجرح

على ذاك يا سيدى دنوك لى أصلح

ثم قال للمغنين غنوه. فجعلوا يفكرون، فقال السليمان بن القصار الطنبورى: ويلك ألحان الطنبور أصلح و أخف فغن فيه أنت، فغنائه فيه لحننا. فدفع اليه دنائير الخريطه- و هى مائه دينار مكيه، و مئتان، مكتوب على كل دينار منها «ضرب هذا الدينار بالجوسق لخريطه أمير المؤمنين المعتر بالله(١)».

و خرج المعتر بالله يوما الى دير مرمار تلييه لدعوه راهب الدير الذى قام بما يحتاجه موكب الخليفه و مجلسه. و جاء بأولاد النصرارى فخدموا المجلس أحسن خدمه. فسر المعتر بالله سرورا عظيما، و وصل الراهب صله سنه. ثم اعتاد الخروج الى هذا الدير بين حين و آخر(٢).

كان المعتر بالله يقول الشعر احيانا، لا سيما فى مجالسه الغنائيه كما أشرنا آنفا. و عند ما تمت له البيعه قال(٣):

توحدنى الرحمن بالعز و العلافأصبحت فوق العالمين أميرا

و يقول أبو الفرج ان بنانا المغنى أضاف الى هذا البيت بيتا آخر، و جعل المخاطبه عن نفسه للمعتر بالله و لحنه و غناه اياه:

١- الاغانى ٩ / ٣١٩ - ٣٢٠، و الديارات / ١٦٧ - ١٦٨.

٢- الاغانى ٩ / ٣٢١ - ٣٢٢، و الديارات / ١٦٥.

٣- الاغانى ٩ / ٣٢٢.

توحدك الرحمن بالعز و العلافانت على كل الأنام أمير

تقاتل عنك الترك و الخزر كلها كأنهم أسد لهن زئير

و نسب الى المعتر بالله قوله (١):

يموت الفتى من عثره بلسانه و ليس يموت المرء من عثره الرجل

و روى له ابنه عبد الله بن المعتر قوله (٢):

ألا حى الحبيب فدته نفسى بكأس من مدامه خانقينا

فانى قد بقيت مع الليالى اقاسى الهم فى يده سنينا

و دخل الزبير بن بكار على المعتر بالله، و هو محموم، فقال له:

انى قلت فى ليلتى هذه أبياتا و قد اعيا على اجازه بعضها، و انشد (٣):

انى عرفت علاج الجسم من وجعى و ما عرفت علاج الحب و الجزع

جزعت للحب و الحمى صبرت لهاانى لأعجب من صبرى و من جزعى

---

١- تاريخ بغداد ٢/ ١٢٥.

٢- الاغانى ٩/ ٣٢٢.

٣- بدائع البدائه / ١٢٩، و جاء بصيغه اخرى فى الديارات / ١٦٦. و الزبير بن بكار راويه و عالم بأنسب العرب و اخبارها توفى سنه ٢٥٦ و كان يؤدب الموفق فى صغره.

من كان يشغله عن حبه وجع فليس يشغلنى عن حبكم وجعى

فقال ابن بكار:

و ما أمل الحبيب، ليتنى أبداع الحبيب، و يا ليت الحبيب معى

فأمر له على هذا البيت بألف دينار.

و كان جماعه من الشعراء قالوا فى المعتر بالله، حين استقامت له الخلافه، أقوالا كثيره. فمن ذلك ما قاله محمد بن مروان بن أبى الجنوب من قصيده(١):

قد عادت الدنيا الى حالهاو سرنا الله باقبالها

دنيا بك الله كفى أهلها ما كان من شده أهوالها

و كان قد ملكها جاهل لا تصلح الدنيا لجها لها

قد كانت الدنيا به قفلت فكنت مفتاحا لأفقالها

ان التى فزت بها دونه عادت الى أحسن أحوالها

خلافه كنت حقيقا بها فضلك الله بسر بالها

و قال الشاعر أبو على البصير(١):

آب أمر الاسلام خير مآبه و غدا الملك ثابتا فى نصابه

مستقرا قراره مطمئنا أهلا بعد نأيه و اغترابه

و قد امتدح البحترى الخليفه المعتر بالله كما مدح أباه من قبل، بعديد من القصائد قالها فى مناسبات مختلفه. فقد مدحه عند انتصاره على المستعين بالله بقصيده منها قوله(٢):

لقد أعطى المعتر بالله نعمهمن الله جلت أن تحد و تقدرا

تلافى به الورى من عظيمها ناخت على الاسلام حولا و أشهرها

و من فتنه شعواء غطى ظلامها على الافق حتى عاد أقمم أكذرا

الى ان يقول:

أغر من الأملاك اما رأيته رأيت ابا اسحاق و القرم جعفرأ

تقدم فى حق الخلافه سهمه اذا رد عنها غيره فتأخرا

عمرت أمير المؤمنين مسلما فعمر الندى و الجود ان تعمرا

---

١- مروج الذهب ١٦٩ / ٤.

٢- ديوان البحترى ٩٣١ / ٢ - ٩٣٤.

و عند ما قتل القائد التركي بغا الصغير، و كان عزم على الوثوب بالخليفه، قال البحترى قصيده يشير الى ذلك، و يهنىء المعتزل بالله بفشل بغا و مؤيديه، منها(١):

للدهر عندى منه مشكور هشت فى الصدر من أوغام

و الله ما اسدى مبادئ نعمهالا تغمد أهلها بتمام

طلب العمامه و القضييب و أين لم تبلغ حماقه ذلك الحجام

أتراه و هم انه أهل لهاسفها تعدى هذه الاوهام

قد رام تفريق الموالى بعد ما جمعوا على ملك أغر همام

متعزز بالله، أصبح نعمهالله سابغه على الاسلام

الى أن يقول:

فاليوم عاودت الخلافه عزها و اضاء وجه الملك بعد ظلام

أضحى بغاء و أقربوه و حزيبهم و كأنهم حلم من الأحلام

طاحوا فما بكت العيون عليهم بدموعها، و مضوا بغير سلام



و حدث البحترى انه اتفق مع أبى معشر المنجم على زياره المعتز بالله لما حبسه المستعين بالله، و التودد اليه أملا فى أن يحسن اليهما اذا ما آل الأمر اليه. فتوصلا حتى لقياه فى حبسه، فانشده البحترى أبياتا من الشعر كان قالها فى القائد العربى محمد بن يوسف الثغرى لما حبس. فاخذ المعتز بالله الرقعه التى بها الايات، و طلب الى خادم له ان يحفظها لديه و يذكره بها ان فرج الله عنه ليقتضى حق الشاعر. و أخذ أبو معشر طالع المعتز وقت عقد له بالعهد، و وقت مبايعه المستعين بالله، و نظر فى ذلك، و حكم له بالخلافه بمقتضى الطالع بعد فتنه و حروب، و ان المستعين بالله سيقتل. و لما بويع للمعتز بالله دخل اليه البحترى و ابو معشر، فانشده البحترى قصيده مدحه بها و هنا بالخلافه و هجا المستعين بالله، منها:

يجانبنا فى الحب من لا نجانبه و يبعد عنا فى الهوى من نقاربه

و كيف رأيت الحق قر قراره و كيف رأيت الظلم آلت عواقبه

و هى قصيده طويله ذكرنا بعضا آخر من أبياتها فى فصل سابق.

و قد استعاده المعتز بالله أبياتها مرارا فاعادها. ثم دعا بالخادم الذى كان معه فى الحبس و طلب الرقعه التى فيها الشعر الذى انشده البحترى فى الحبس، و قال للبحترى انه قد أمر له بألف دينار لكل بيت منها، و نصحه بأن يشتري بهذا المال ضيعه ينتفع بغلتها و تبقى لولده من بعده. و أمر لأبى معشر بألف دينار، و جعله رئيس المنجمين فى دار الخلافه، و أجرى له فى كل شهر مائه دينار رزقا و ثلاثين دينارا نزلا(١).

و عند ما خلع المعتز بالله من الخلافة و قتل رثاه بعض الشعراء.

و قد ذكر المسعودى مقاطع من بعض القصائد التى قيلت فى ذلك، منها قول أحدهم(١):

أصبحت مقلتي تسح الدموع اذ رأيت سيد الانام خلوعا

لهف نفسى عليه ما كان اعلا و أسراه تابعا متبوعا

الزموه ذنبا عن غير جرم فتوى فيهم قتيلا صريعا

و بنو عمه و عم أبيه أظهروا ذله، و ابدوا خضوعا

ما بهذا يصح ملكك، و لا يغزى عدو و لا يكون جميعا

#### ٤- المهتدى بالله:

كان المهتدى بالله حين ولى الخلافة قد اطرح الملاهى و حرم الغناء و الشراب. و أمر باخراج المغنين و القيان المغنيات و الراقصات من سامرا(٢). و لم يعقد من المجالس سوى جلوسه لرد المظالم، و قد أشرنا الى ذلك فى سيرته. و جلس المهتدى يوما للمظالم فاستعداه رجل على ابن له. فأمر باحضاره، فاحضر و اقامه الى جنب الرجل.

فسأله عما ادعاه عليه فأقر به، فامر به بالخروج له من حقه، و كتب له بذلك كتابا. فلما فرغ قال الرجل: و الله يا أمير المؤمنين ما أنت الا كما قال الشاعر:

١- مروج الذهب ١٧٩ / ٤.

٢- الكامل ٢٣٤ / ٧، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٥٠، و الفخرى / ٢٢٣.

حكمتوه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر

لا يقبل الرشوه فى حكمه و لا يبالى غبن الخاسر

فقال له المهتدى بالله: أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقاتلتك، و أما أنا فما جلست هذا المجلس حتى قرأت فى المصحف «و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا- تظلم نفس شيئا و ان كان مثقال حبه من خردل اتينا بها و كفى بنا حاسبين»<sup>(١)</sup> الا انه لم تطل مدته اذ اشتد الصراع بينه و بين القواد الأ-تراك، فانتهى به الامر الى القتل. و كان البحترى قد امتدحه فى خلافته بعده قصائد، منها تلك التى يشيد فيها بدرعه و تقواه، و قوه عزيمته فى مجابهه المشاكل التى كانت تواجهه، وسعيه ليسود العدل و الأمن فى الدوله العربيه.

منها قوله<sup>(٢)</sup>:

بارك الله للخليفه فى الملك الذى حازه له المقدار

رتبه من خلافه الله قد طالت بها رقبه له و انتظار

طلبته فقرا اليه، و ما كان ن به ساعه اليها افتقار

أخذ الأولياء اذ بايعوه بيدي مخبت عليه الوقار

و تجلى للناظرين أبى فيه عن جانب القبيح ازورار

١- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٩، و الايه فى سوره الانبياء: ٤٧.

٢- ديوان البحترى ٢ / ٨٥٢-٨٥٦.

و أرتنا السجاد سيما طويل الليل في وجهه لها آثار  
 و لديه تحت السكينه و الأخبات سطو على العدى و اقتدار  
 زاد في بهجه الخلافه نورافهو شمس للناس و هى نهار  
 و أجار الدنيا من الخوف و الحيف، فهل يشكر المجير المجار

### ٥- المعتمد على الله و الشعر و الغناء:

بدأ المعتمد على الله خلافته بالانصراف الى اللهو و الملذات. و قد اشرنا عند الكلام عن سيرته الى ركونه الى أخيه الموفق في اداره شؤون الدوله، فقام بذلك خير قيام، فوقف اسراف المعتمد على الله و منع عنه المال لحاجه الدوله آنذاك الى الانفاق على تدبير أمور الحرب الداخليه و بخاصه مع الزنج. و مع هذا فقد كان للمعتمد على الله ندماءؤه و جلساءؤه، و كانت له بعض مجالس اللهو و الغناء.

و قد اعتبره أبو الفرج ممن له صنعه فى الغناء من الخلفاء، و يروى عن القاسم بن زرور ان المعتمد على الله القى عليه لحنا صنعه فى هذا الشعر للفرزدق(١):

ليس الشفيح الذى يأتيك مؤتزرا مثل الشفيح الذى يأتيك عريانا

و للمعتمد على الله شعر غنت فيه شاريه جاريه ابراهيم بن المهدي، هو(٢):

١- الاغانى ٩ / ٣٢٣.

٢- الديارات / ١٠٠.

تأثيت بالحب دهرًا طويلًا فلم ار في الحب يوما سرورا

و روى عن جحظه النديم انه قال: كنت عند المعتمد على الله فغنت شاربه بشعر مولاها ابراهيم بن المهدي و لحنه:

يا طول عله قلبى المعتاد الف الكرام و صحبه الامجاد

ما زلت آلف كل قدم ماجدمتقدم الآباء و الأجداد

فاستحسن غناءها. فقالت: هذا غنائى و انا عاريه فكيف لو كنت كاسيه. فأمر لها المعتمد على الله بألف ثوب من جميع أصناف الثياب الخاصه، فحمل لها ذلك. و ذلك ما لم يعمله خليفه من قبل (١).

و عرضت على المعتمد على الله جاريه حسنه الغناء سريعه الخاطر، فامتحنها فى الغناء و الكتابه فرضى بما ظهر له من أمرها. ثم قال لأحد ندمائه ان يقارضها الشعر، فقال لها النديم: وهبت نفسى للهوى.

فقالت بداهه: فجار لما أن ملكك.

فقال: فصرت عبدا خاضعا.

فقالت: يسلك بي حيث سلكك.

فأمر المعتمد على الله بشرائها، فابتيعت بثلاثين ألف درهم (٢).

و لا شك فى ان صلته من الثياب الخاصه، و شراء هذه الجاريه، كان فى أول عهده، قبل ان تكف يده عن بيت المال.

١- الاغانى ١٤/١٦ - ١٥.

٢- نساء الخلفاء / ١٠٢.

قالت بدعه جاريه عريب، و كانت مثلها أديبه مغنيه، ان المعتمد على الله كان يوجه ما ينظم من الشعر الى عريب لتصوغ له الالحن المناسبه، فكانت تقول: و يلي كم أغنى في حروف ألف، با، تا(١)؟

و يبدو ان المعتمد على الله كان معجبا بغناء عريب و ألحانها، رغم تقدمها في العمر، فأمر أحد ندمائه ان يجمع غناءها. فأخذ هذا منها دفاترها و صحفها، و كانت قد جمعت فيها غناءها، و هو في ألف صوت(٢).

و من المغنين الذين غنوا للمعتمد على الله أبو حشيشه، فقد غنى يوما بين يديه:

حرمت بذل نوالك و اسوءتا من فعالك

لما ملكت وصالى أيستنى من وصالك

فوهبه مائتى دينار. و قال أبو حشيشه: كان المعتمد على الله يشتهى على أن أغنيه هذا الصوت(٣):

قلبي يحبك يا منى قلبي و يبغض من يحبك

لأكون فردا فى هواك فليت شعري كيف قلبك

---

١- الديارات / ١٠٠.

٢- الاغانى ٢١ / ٥٥.

٣- نهايه الارب ٥ / ٣٦-٣٧.

و كان المغنى أحمد بن يحيى المكى يحضر مجلس المعتمد على الله مع المغنين و يغنى مرتجلا. فيوقع بقضيب على دواه، أى انه يضبط وزن غنائه بضرب قضيب على دواه، و كلاهما من معدن(١).

و يقال ان المعتمد على الله اصطحب يوما و اقترح ان يغنى بشعر أبى نواس:

يا كثير النوح فى الدمن لا عليها بل على السكن

سنه العشاق واحدهفاذا احببت فاستكن

فلم يزل يغنى به يومه، ثم اشتكى جوفه و مات فى ليلته(٢).

و قد نادى المعتمد على الله عدد من الندماء منهم ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن احمد، و كان قد تولى البريد فى اقليم الجبال، فنادى الخليفه و اختص به(٣). و هو صاحب كتاب المسالك و الممالك.

و كنا ذكرنا شيئا عن سيرته فى موضوع الجغرافيه و اشرنا الى ان تصنيفه كتابه المذكور كان استجابته لسؤال المعتمد على الله عن مسالك الأرض و ممالكها و صفاتها، و بعدها و غامرها(٤).

و نادى المعتمد على الله أيضا أبو الحسن احمد بن جعفر الملقب ب «جحظه» و هو شاعر مطبوع و اديب بارع، حاذق فى صنعه الغناء على الطنبور. ألف كتابا عن المعتمد على الله، اشبه بالمذكرات، سماه «كتاب ما شاهده من أمر المعتمد»(٥). و كان جحظه ينظم الشعر و يلحنه و يغنيه. و كان عظيم الجته فاذا قام الخليفه و رجع،

١- الديارات هامش ص / ١٥٤.

٢- الهفوات النادره / ٥٠.

٣- الفهرست / ٢١٨.

٤- المسالك و الممالك / ٣.

٥- الفهرست / ٢١٤.

قام الندماء، و نام هو، و قال هذا عوض القيام، لأنه لا يقدر عليه(١). و مع قبح منظره و جحوظ عينيه كان أطيّب الناس غناء، و احسنهم مجالسه، و فيه قال ابن الرومي(٢):

نبئت جحظه يستعير جحوظه من فيل شطرنج و من سرطان

يا زحمتى لمناديه تحملوا ألم العيون للذه الآذان

و كان للمعتمد على الله شعر جيد، و شعر غير موزون. و ربما قال الأبيات فيصح بعضها و يفسد باقيها. و ذكر له الشابشتى بعضا من اشعاره(٣). و يبدو ان المعتمد على الله كان يعتز بهذه الابيات القليله التى يقولها من الشعر، اذ اتخذ له وراقا يكتب شعره بماء الذهب(٤). و قد وجدت فى عهد المكتفى بالله الذى تولى الخلافه فى سنه ٢٨٩ هـ رقاع ملفوفه فيها اشعار للمعتمد على الله مكتوبه بالذهب(٥). و مما ذكره له الشابشتى قوله(٦):

أصبحت لا أملك دفعا لما اسام من خسف و من ذله

تمضى أمور الناس دونى و لا يشعر بى فى ذكرها قله

اذا اشتهيت الشىء و لو به عنى، و قالوا: ها هنا عله

١- الديارات / ٢٦.

٢- الملح و النوادر / ١٩٨.

٣- الديارات / ٩٨-١٠٦.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٦٨.

٥- الديارات / ١٠٠.

٦- الديارات / ١٠١، و يقول الحصرى ان المعتمد على الله قال هذا الشعر او قيل على لسانه- جمع الجواهر / ١٥٧.



و قوله لما ضيق عليه و منع من بيت المال(١):

أ ليس من العجائب ان مثلى يرى ما قل ممتنعا عليه

و تؤخذ باسمه الدنيا جميعا و ما من ذاك شىء فى يديه

اليه تحمل الأموال طرا و يمنع بعض ما يجبى اليه

و قوله فى دير العلت(٢):

يا طول ليلى بقم الصلح أتبع خسرانى بالربح

لهفى على دهر لنا قد مضى بالقصر و القاطول و الشلح

بالدير بالعلث و رهبانه بين الشعانين الى الدنح

و مما وجد من شعره المكتوب بالذهب قوله(٣):

طال و الله عذابى و اهتمامى و اكتئابى

بغزال من بنى الأصفر لا يعنيه ما بى

أنا مغرى بهواه و هو مغرى باجتنا بى

---

١- الديارات / ١٠١، و يقول الحصرى ان المعتمد على الله قال هذا الشعر او قيل على لسانه- جمع الجواهر / ١٥٧.

٢- الديارات / ٩٨.

٣- الديارات / ١٠٠.

و اذا ما قلت: صلنى كان (لا) منه جوابى

و كذلك قوله (١):

عجل الحب بفرقه بقلبي منه حرقه

مالك بالحب رقى و أنا أملك رقه انما يستروح الصب

اذا اظهر عشقه

و كان الشاعر البحرى أشهر الشعراء الذين عاشوا فى كنف المعتمد على الله و مدحوه. و حين بويع المعتمد على الله بالخلافه امتدحه ببضعه ابيات هى (٢):

لقد امسك الله الخلافه بعد ما وهت، و تلافى سربها ان ينفرا

بمعتمد فيها على الله أسندت اليه، فالفته الرضا المتخيرا

و لو لم يقم للمسلمين بحقها لغودر معروف العواقب منكرا

و لما بدا من سده الملك طالعا ذكرنا به خير الخلائف جعفرا

شمائل مبسوط اليدى الى الندى و وجه اضاء الجود فيه فاسفرا

---

١- الديارات / ١٠٠.

٢- ديوان البحرى / ٢ / ١٠٥٥.

أت بركات الارض من كل وجهه واصبح غض العيش فينان اخضرا

و قد خبر الفتح المعجل اننا اقتبلناه ميمون القيام مظفرا

و مدحه بقصيده اشاد فيها بورعه و يقظته و علمه و عفوه عن المسيئين اليه. علما ان المعتمد على الله، كما أشرنا، كان قد انصرف الى ملاذه و لهوه تاركا شؤون الدوله الى أخيه. و من هذه القصيده قوله (١):

ان الخلافه أحمدت من احمدشما اناف بها على الأحما

ملك تحييه الملوك، و دونه سيما التقى و تخشع الزهاد

متهجد يخفى الصلاه و قد ابى اخفاءها أثر السجود البادى

سمح اليدىن اذا احتبى فى مجلس كان الندى صفه لذاك النادى

متيقظ عصمت بوادر أمره بعرى من الرأى الأصيل شداد

ينسى الذنوب و ما تقادم عهدهمالقى الضغائن دارس الاحقاد

تعفو لعفو الله عنك تحرياو العفو خير خلائق الامجاد

---

١- نفس المصدر ٢/ ٧٣١-٧٣٤. راجع تفصيلات هذا المجلس فى مروج الذهب ٤/ ٢٢٠-٢٢٦.

و يقول المسعودى ان المعتمد على الله كان شغوفاً بالطرب، و الغالب عليه المعاقرة و محبه أنواع الملاهى. و كان يعقد مجالس للهو و المنادمه ٧٢ و اكثر الاحاديث التى تدور فيها كانت عن الطرب و آلاته، و أنواع اللهو عند مختلف الامم. و يقول ابن خرداذبه ان المعتمد على الله سأل فى أحد مجالسه عن أول من اتخذ آله العود. و قد حاول ابن خرداذبه ان يوضح البدايه لهذه الآله و تطورها عند مختلف الأمم القديمه. فخلص الى ان العود يونانى صنعه أصحاب الهندسه على هيئة طبائع الانسان، فان اعتدلت او تاره جانس الطبائع و اطرب. و ان الطرب انما هو رد النفس الى الحاله الطبيعيه دفعه. ثم تطرق الى أنواع الملاهى عند تلك الامم. فذكر آلات الطرب عند الروم و الهند و أوصافها. و تكلم بعد ذلك عن الغناء عند العرب و كيف بدأ بالحداء. و كان نشوءه ان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعيره فى بعض اسفاره فكسرت يده فجعل يتأوه من الألم و يقول: يا يداه. يا يداه. و يكرر ذلك بنغمه خاصه، و كان حسن الصوت، فلاحظ ان الأبل قد استوسقت و طاب لها السير.

فأخذ ذلك برجز الشعر، و جعلوا كلامه أول الحداء، و من قول الحادى: يا هاديا يا هاديا، و يا يداه يا يداه. ثم اشتق الغناء من الحداء. و كان الغناء ثلاثه اجناس: الركبان، و السناد الثقيل، و الهزج الخفيف.

و اشار ابن خرداذبه الى ان اول من غنى من العرب الجرادتان و هما قيتتان لمعاويه بن بكر. و كانت العرب تسمى القينه الكربنه، و العود المزهر، ثم تطرق الحديث الى اختلاف الغناء باختلاف الأصقاع العربيه. فكان غناء أهل اليمن بالمعازف و ايقاعها على جنسين: حنفى و حميرى، و الحنفى احسنهما. أما قريش فلم تعرف من الغناء الا النصب. و كانت الحيره تعرف ضرب العود و الغناء عليه، و منها انتقل ذلك الى أهل مكه.

و الغناء على رأى ابن خرداذبه يرقق الذهن، و يلين العريكه، و يبهج النفس و يسرها، و يشجع القلب، و يسخى البخيل. و فضل الغناء على المنطق كفضل النطق على الخرس، و البرء على السقم.

و ان المرأه العربيه كانت لا- تنوم وليدها و هو يبكى خوف ان يسرى الهم فى جسده و يدب فى عروقه. و لذا فهى تنازعه و تضاحكه حتى ينام و هو فرح مسرور. فينمو جسده و يصفو لونه و دمه، و يشفى عقله. و الطفل يرتاح الى الغناء و عند سماعه يستبدل بكائه ضحكا.

سر المعتمد على الله و شكر ابن خرداذبه على وصفه و اطنابه. ثم سأله عن صفه المغنى الحاذق و عن أنواع الطرب. فقال ان المغنى الحاذق هو من تمكن من انفاسه و لطف فى اختلاسه و تفرغ فى اجناسه. أما أنواع الطرب فهى ثلاثه: طرب محرك مستخف الأريحيه ينعش النفس، و طرب شجن و حزن لا سيما اذا كان فى وصف ايام الشباب و الشوق الى الأوطان، و طرب يكون فى صفاء النفس و لطافه الحس و لا سيما عند جوده التأليف و احكام الصنعه. و ان الاستمتاع بأنواع الطرب يتطلب رفاهه الحس ورقه الشعور. اذ من غلظ حسه و تبلد شعوره، كره سماع الغناء و تشاغل عنه بل عابه و ذمه.

ثم انتقل ابن خرداذبه الى شرح علاقه الايقاع بالغناء و منزلته منه، و اجناسه الأربعة، و طرائقه الثمانيه. و قد فرح المعتمد على الله فى هذا المجلس و خلع على ابن خرداذبه و على من حضر من الندماء، و كان مجلس لهو و سرور.

و فى مجلس آخر من مجالس المعتمد على الله طلب الخليفه من بعض الحاضرين من الندماء ان يصفوا له الرقص و انواعه، و ما هى الصفه المحموده من الرقص و ما يجب ان تكون عليه شمائله.

فاجابه أحد الندماء بان الاقاليم و البلدان تختلف فى رقصها، و ان

أنواع الايقاع فى الرقص ثمانية هى: الخفيف و الهزج و الرمل و خفيف الرمل و خفيف الثقيل الأول و ثقيله و خفيف الثقيل الثانى و ثقيله. و ان الراقص يحتاج الى أشياء فى طباعه، و اشياء فى خلقته، و أشياء فى عمله. فأما يحتاجه فى طباعه فخفه الروح، و حسن الطبع على الايقاع، و ان يكون مرحا حسن التدبير فى رقصه و التصرف فيه. و ان ما يحتاج اليه فى خلقته فطول العنق و السوالف و حسن الدل و الشمائل، و التمايل فى الاعطاف، و دقه الخصر. و أما ما يحتاج اليه فى عمله فمقدره التصرف فى ألوان الرقص و احكام كل حد من حدوده، و حسن الاستداره، و ثبات القدمين على مدارهما.



«السنوات الهجرية وابتدائها و ما يقابلها من السنوات الميلادية» «عن أطلس التاريخ الاسلامى، ص: ٢٤٤»

الهجرية / تبتدى ء فى / الميلاديه / الهجرية / تبتدى ء فى / الميلاديه

٢٢٠ / ٥ كانون الثانى / ٨٣٥ / ٢٤٢ / ١٠ مائس / ٨٥٦

٢٢١ / ٢٦ كانون الاول / ٨٣٥ / ٢٤٣ / ٣٠ نيسان / ٨٥٧

٢٢٢ / ١٤ كانون الاول / ٨٣٦ / ٢٤٤ / ١٩ نيسان / ٨٥٨

٢٢٣ / ٣ كانون الاول / ٨٣٧ / ٢٤٥ / ٨ نيسان / ٨٥٩

٢٢٤ / ٢٣ تشرين الثانى / ٨٣٨ / ٢٤٦ / ٢٨ آذار / ٨٦٠

٢٢٥ / ١٢ تشرين الثانى / ٨٣٩ / ٢٤٧ / ١٧ آذار / ٢٦١

٢٢٦ / ٣١ تشرين الاول / ٨٤٠ / ٢٤٨ / ٢ آذار / ٨٦٢

٢٢٧ / ٢١ تشرين الاول / ٨٤١ / ٢٤٩ / ٢٩ شباط / ٨٦٣

٢٢٨ / ١٠ تشرين الاول / ٨٤٢ / ٢٥٠ / ١٣ شباط / ٨٦٤

٢٢٩ / ٣٠ أيلول / ٨٤٣ / ٢٥١ / ٢ شباط / ٨٦٥

٢٣٠ / ١٨ أيلول / ٨٤٤ / ٢٥٢ / ٢٢ كانون الثانى / ٨٦٦

٢٣١ / ٧ أيلول / ٨٤٥ / ٢٥٣ / ١١ كانون الثانى / ٨٦٧

٢٣٢ / ٢٨ آب / ٨٤٦ / ٢٥٤ / ١ كانون الثانى / ٨٦٨

٢٣٣ / ١٧ آب / ٨٤٧ / ٢٥٥ / ٢٠ كانون الاول / ٨٦٨



الهجرية / تبتدى ء فى / الميلاديه / الهجرية / تبتدى ء فى / الميلاديه

٢٣٤ / ٥ آب / ٨٤٨ / ٢٥٦ / ٩ كانون الاول / ٨٦٩

٢٣٥ / ٢٦ تموز / ٨٤٩ / ٢٥٧ / ٢٩ تشرين الثانى / ٨٧٠

٢٣٦ / ١٥ تموز / ٨٥٠ / ٢٥٨ / ١٨ تشرين الثانى / ٨٧١

٢٣٧ / ٥ تموز / ٨٥١ / ٢٥٩ / ٧ تشرين الثانى / ٨٧٢

٢٣٨ / ٢٣ حزيران / ٨٥٢ / ٢٦٠ / ٢٧ تشرين الاول / ٨٧٣

٢٣٩ / ١٢ حزيران / ٨٥٣ / ٢٦١ / ١٦ تشرين الاول / ٨٧٤

٢٤٠ / ٢ حزيران / ٨٥٤ / ٢٦٢ / ٦ تشرين الاول / ٨٧٥

٢٤١ / ٢٢ مائس / ٨٥٥ / ٢٦٣ / ٢٤ أيلول / ٨٧٦

٢٤٢ / ١٣ أيلول / ٨٧٧ / ٢٧٣ / ٨ حزيران / ٨٨٦

٢٤٣ / ٣ أيلول / ٨٧٨ / ٢٧٤ / ٢٨ مائس / ٨٨٧

٢٤٤ / ٢٣ آب / ٨٧٩ / ٢٧٥ / ١٦ مائس / ٨٨٨

٢٤٥ / ١٢ آب / ٨٨٠ / ٢٧٦ / ٦ مائس / ٨٨٩

٢٤٦ / ١ آب / ٨٨١ / ٢٧٧ / ٢٥ نيسان / ٨٩٠

٢٤٧ / ٢١ تموز / ٨٨٢ / ٢٧٨ / ١٥ نيسان / ٨٩١

٢٤٨ / ١١ / ٨٨٢ / ٢٧٩ / ٣ نيسان / ٨٩٢

٢٤٩ / ٢٩ حزيران / ٨٨٤ / ٢٨٠ / ٢٣ آذار / ٨٩٣

٢٥٠ / ١٨ حزيران / ٨٨٥ / //

## المصادر والمراجع

### ١- المصادر الاولى:

ابن أبي اصيبعه، موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفه:

عيون الانباء فى طبقات الاطباء.

تحقيق الدكتور نزار رضا.

دار مكتبه الحياه- بيروت، ١٩٦٠.

ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد:

سلوك المالك فى تدبير الممالك.

دراسه و تحقيق: الدكتور ناجى التكريتى.

تراث عويدات- بيروت، ١٩٧٨.

ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن على بن أبى الكرم الشيبانى:

الكامل فى التاريخ- الاجزاء (٦ و ٧ و ٨).

دار صادر- بيروت، ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٥ م.

ابن الاخوه، محمد بن محمد بن أحمد القرشى:

معالم القرية فى أحكام الحسبه.

نشره روين لوى- مطبعه الفنون بكمبرج، ١٩٣٧.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

ابن بطوطه، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي:

رحله ابن بطوطه (المسماه تحفه النظر فى غرائب الامصار و عجائب الأسفار).

ص: ٤٣٠

مطبعة التقدم بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٢٢.

ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الاندلسي:

رحله ابن جبير.

نشرته المكتبة العربية ببغداد.

مطبعة عبد الحميد أحمد حنفى - مصر، ١٣٥٦-١٩٣٧.

ابن جليجل، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي:

طبقات الاطباء و الحكماء.

تحقيق فؤاد سيد.

مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقيه بالقاهره ١٩٥٥.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

ابن الجهم، أبو الحسن على بن جهم بن بدر:

ديوان على بن الجهم.

تحقيق: خليل مردم.

لجنة التراث العربى - بيروت، الطبعة الثانية.

ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن على:

المنتظم فى تاريخ الملوك و الامم (الاجزاء: ٥ و ٦ و ٧) مطبعة حيدر آباد الدكن، الطبعة الاولى، ١٣٥٧.

ابن حمدون، أبو المعالى محمد بن الحسن بن محمد بن على:

تذكره ابن حمدون - السياسه و الاداب الملكيه.

مطبعة النهضه - الطبعة الاولى ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٥ م نشرته مكتبه الخانجى بمصر.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي:

صوره الارض.

مكتبه الحياه - بيروت.

ابن خردادبه، أبو القاسم عبيد الله:

المسالك و الممالك.

نشره دي خويه - مطبعه بريل في لندن، ١٨٩٨.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي:

(١) مقدمه ابن خلدون.

المطبعه الخيرييه بمصر، الطبعه الاولى، ١٣٢٢.

(٢) كتاب العبر ديوان المبتدأ و الخبر (الجزء الثالث).

دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٧٧.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد:

وفيات الاعيان و انباء و أبناء الزمان (٦) أجزاء.

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

الطبعه الاولى، مطبعه السعاده، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ابن خياط، خليفه بن خياط بن خليفه الشيباني:

تأريخ خليفه بن خياط (الجزء الثاني).

تحقيق أكرم ضياء العمرى.

مطبعه الاداب في النجف الاشرف، ١٣٨٦ - ١٩٦٧.

ابن دحيه، عمر بن ابي علي حسن بن علي الكلبي:

كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس.

مطبعه المعارف - بغداد، ١٣٦٥ - ١٩٤٦.

ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني:

الانتصار لواسطه عقد الامصار.

المكتب التجارى للطباعه و النشر و التوزيع.

طبع بالاوفسييت على طبعه بولاق فى سنه ١٣١٠ هـ.

ابن ربن، أبو الحسن على بن سهل بن ربن الطبرى:

فردوس الحكمه.

تحقيق الدكتور محمد زبير صديقى.

مطبعه آفتاب بيرلين، ١٩٢٨.

ابن رسته، أبو على أحمد بن عمر:

الاعلاق النفيسه.

نشره دى خويه - مطبعه بريل بليدن، ١٨٩١.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسييت).

ابن الساعى، تاج الدين أبو طالب على بن أنجب.

نساء الخلفاء.

تحقيق الدكتور مصطفى جواد.

دار المعارف بمصر.

ابن سليمان، ماري:

اخبار فطاركه كرسى المشرق.

طبع فى روميه الكبرى سنه ١٨٩٤.

(طبعه مكتبه المثنى بالافيسيت).

ابن الطقطقى، محمد بن على بن طباطبا:

الفخرى فى الاداب السلطانية و الدول الاسلاميه.

مطبعه الموسوعات بمصر، ١٣١٧.

ص: ٤٣٣

ابن طلحه، أبو سالم محمد بن طلحه الوزير:

العقد الفريد للملك السعيد.

المطبعة الرهيبه، ١٢٨٣.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب:

بغداد.

نشره عزه العطار الحسنى - ١٣٦٨ - ١٩٤٩.

ابن عبد الله، الحسن:

آثار الاوّل في ترتيب الدول.

مطبعة بولاق - مصر.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي الانصاري:

فتوح مصر و اخبارها.

تحقيق شارل توري.

مطبعة بريل بليدن، سنة ١٩٢٠.

(طبعه مكتبته المثنى بالافسيت).

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسي:

العقد الفريد (٧) أجزاء.

تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين و ابراهيم الاياري مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر - القاهرة.

١٣٦٧ - ١٩٤٨.

ابن عذاري، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي:



البيان المغرب فى اخبار الاندلس و المغرب (الجزء الاول).

تحقيق: ج. س. كولان وا. ليفى بروفيسال.

دار الثقافه - بيروت.

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي:

شذرات الذهب في اخبار من ذهب (جزآن).

المكتب التجارى للطباعه و النشر - بيروت.

ابن الفراء، أبو على الحسين بن محمد:

كتاب رسل الملوك و من يصلح للرساله و السفاره.

تحقيق صلاح الدين المنجد.

مطبعه لجنه التأليف و الترجمه و النشر - القايره ١٩٤٧.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني:

مختصر كتاب البلدان.

نشره دى خويه، مطبعه برييل بليدن، ١٣٠٢.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

ابن الفوطى، أبو الفضل عبد الرزاق البغدادى:

الحوادث الجامعه فى المائه السابعه.

عنيت بطبعه المكتبه العربيه ببغداد باشراف مصطفى جواد.

مطبعه الفرات - بغداد، ١٣٥١.

ابن قتيبه، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

(١) تأويل مشكل القرآن.

تحقيق السيد أحمد صقر.

دار أحياء الكتب العربيه، ١٣٧٢ - ١٩٥٤.

(٢) عيون الاخبار (٤) أجزاء.

دار الثقافة و الارشاد القومى بمصر، ١٣٨٣ - ١٩٦٣.

نسخه مصوره عن طبعه دار الكتب.

(٣) المعارف.

ص: ٤٣٥

حققه: ثروت عكاشه.

مطبعه دار الكتب - مصر، ١٩٦٠.

ابن قدامه، قدامه بن جعفر بن قدامه بن زياد الكاتب:

كتاب الخراج و صناعه الكتابه.

حققه الدكتور محمد حسين الزبيدي.

طبع بدار الحريره للطباعه - بغداد ١٩٨١.

ابن المدبر، ابراهيم بن محمد بن عبيد الله:

الرساله العذراء.

حققها الدكتور زكي مبارك.

مطبعه دار الكتب المصريه - القاهره، ١٣٥٠ - ١٩٣١ - الطبعة الثانيه.

ابن متى، عمرو:

اخبار فطاركه كرسى المشرق.

طبع روميه الكبرى، سنه ١٨٩٦.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيه).

ابن المعتز، عبد الله:

طبقات الشعراء.

تحقيق: عبد الستار احمد فراج.

دار المعارف - مصر، ١٩٥٦.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى:

لسان العرب.

طبعه دار صادر- بيروت، ۱۹۵۵-۱۳۷۴.

ابن النديم، محمد بن اسحاق بن محمد البغدادي:

الفهرست.

المكتبة التجاريه الكبرى - بمطبعه الاستقامه بالقاهره.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

ديوان أبي تمام (٤) أجزاء.

تحقيق: محمد عبد عزام.

دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثه.

أبو حيان، على بن محمد بن العباس التوحيدى:

البصائر و الذخائر (٤) أجزاء.

تحقيق: الدكتور ابراهيم الكيلانى.

مطبعه الانشاء بدمشق.

أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل:

المختصر فى اخبار البشر (الجزء الثانى).

الطبعة الاولى بالمطبعه الحسينيه المصريه.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

أبو الفرج، على بن الحسين الاصبهانى:

(١) كتاب الاغانى.

أ- طبعه وزاره الثقافه و الارشاد القومى، ١- ١٦.

ب- طبعه الهيئه المصريه العامه للتأليف و النشر، الاجزاء ١٧- ٢٤- تحقيق عبد الكريم العزبادى، المطبعه الثقافيه، ١٩٧٠.

(٢) مقاتل الطالبين.

تحقيق السيد احمد صقر.

دار احياء الكتب العربيه - القايره، ١٣٦٨ - ١٩٤٩.

الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الكرخي:

كتاب الاقاليم.

نشره الدكتور ج. ه. مولر سنة ١٨٣٩.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

الأزدي، علي بن ظافر:

بدائع البدائه.

تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم.

مكتبه الانجلو المصريه، ١٩٧٠.

الانباري، أبو البركات محمد بن أبي سعيد النحوي:

نزهه الالباء في طبقات الادباء.

تحقيق: الدكتور عطيه عامر.

المطبعه الكاثوليكيه - بيروت، ١٩٦٣.

البحترى، أبو عباده الوليد بن عبيد الطائي:

ديوان البحترى.

أ- طبعه دار صادر (جزآن) بيروت، ١٩٦٢ - ١٣٨١.

ب- طبعه دار المعارف بمصر (٤ أجزاء) تحقيق:

حسن كامل الصيرفي.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل:

الأدب المفرد.



طبع بمطبعة الاوفسيت بمدينه طشقند، ١٣٩٠.

البغدادى، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر:

الفرق بين الفرق.

تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثرى.

نشره السيد عزه العطار الحسنى، ١٣٦٧ - ١٩٤٠.

البغدادى، اسماعيل باشا:

هديه العارفين، اسماء المؤلفين و آثار المصنفين (جزآن).

مطبعه المعارف باستانبول، ١٩٥٥.

البغدادى، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحسن:

مرصد الاطلاع على أسماء الامكنه و البقاع (٣) أجزاء.

تحقيق و تعليق: على محمد البجاوى.

دار أحياء الكتب العربيه - ١٣٧٧ - ١٩٥٤.

البكرى، أبو عبيد الله بن عبد العزيز:

المغرب فى ذكر بلاد افريقيه و المغرب.

طبع فى الجزائر سنه ١٨٥٧.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

البلاذرى، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر:

فتوح البلدان.

راجعه و علق عليه: رضوان محمد رضوان.

المكتبه التجاربه الكبرى بمصر.

البلخى، أبو زيد أحمد بن سهل:

البدء و التاريخ (الجزآن ٤ و ٥).

نشره كلمان هوار فى باريس سنه ١٨٩٩.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

البيرونى، أبو الريحان محمد بن أحمد:

الاثار الباقيه عن القرون الخاليه.

نشره أدوار سخاو، طبع فى ليزك سنه ١٩٢٣.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

البیهقی، الشیخ ابراهیم بن محمد:

المحاسن و المساوی ء.

دار صادر- بیروت، سنه ١٣٨٠-١٩٦٠.

البیهقی، ظهیر الدین علی بن زید:

تاریخ حکماء الاسلام.

عنی بتحقیقه و نشره: محمد کرد علی.

الطبعه الثانيه بمطبعه المفید الجدیده بدمشق، ١٩٣٦-١٩٦٧.

التنوخی، القاضی أبو علی المحسن بن علی:

(١) کتاب الفرج بعد الشده.

أ- طبعه مکتبه الخانجی بمصر بدار الطباعه المحمديه ١٣٥٧-١٩٥٥، (جزآن).

ب- طبعه دار صادر بیروت، تحقیق: عبود الشالجي (خمسه أجزاء).

(٢) نشوار المحاضره و اخبار المذاکره (٨) أجزاء.

تحقیق: عبود الشالجي.

مطابع دار صادر- بیروت، ١٩٧٣.

الثعالبی، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعیل:

ثمار القلوب فی المضاف و المنسوب.

تحقیق: محمد ابو الفضل ابراهیم.

دار نهضه مصر للطبع و النشر- مطبعه المدنی بالقاهره سنه ١٣٨٢-١٩٦٥.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الکنانی:

(١) كتاب البيان و التبين (٤) أجزاء.

تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون.

مكتبه الخانجي بمصر و مكتبه المثنى ببغداد، ١٩٦٠.

(٢) رسائل الجاحظ (جزآن).

تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون.

مكتبه الخانجي بمصر، ١٩٦٤.

(٣) كتاب التاج في أخلاق الملوک.

تحقيق: أحمد زکی باشا.

المطبعه الاميريه بالقاهره، ١٣٢٢-١٩١٤.

(٤) ثلاث رسائل للجاحظ.

نشرها يوشع فتكل.

المطبعه السلفيه، الطبعه الثانيه، ١٣٨٢.

(٥) كتاب التبصر بالتجاره.

عنى بنشره و التعليق عليه: حسن حسنى عبد الوهاب التونسى، المطبعه الرحمانيه بمصر، الطبعه الثانيه-١٣٥٤-١٩٣٥.

الجمحى، محمد بن سلام بن عبد الله:

طبقات الشعراء.

اللجنه الجامعيه لنشر التراث العربى- دار النهضه العربيه للطباعه و النشر- بيروت، ١٩٦٨.

الجهشيارى، أبو عبد الله محمد بن عبدوس:

كتاب الوزراء و الكتاب.

تحقيق: مصطفى السقا و ابراهيم الاييارى و عبد الحفيظ شلبى.

مطبعه البابى الحلبي و أولاده- القاهره.

الطبعة الاولى سنة ١٣٥٧ - ١٩٣٨.

الحريري، أبو محمد القاسم بن علي:

دره الغواص في أوهام الخواص.

طبع في ليزك سنة ١٨٧١.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي:

(١) ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأديب) (٧ أجزاء تحقيق: د. س. مرجليوث. مطبعة هندية بمصر، ١٩٢٣.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

(٢) معجم البلدان (٥ أجزاء.

طبعه دار صادر- بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٦-١٩٥٧.

(٣) كتاب المشترك وضعه و المفترق صقعا.

نشره فرديناند و ستفيلد في كوبنهاجن بألمانيا سنة ١٨٤٦.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

الحموي، تقى الدين أبو بكر بن علي بن حجة:

ثمرات الاوراق.

طبع بهامش كتاب المستطرف.

المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٧٩.

الحنفي، أحمد بن محمد الحموي:

النفحات المسكية في صناعة الفروسيه.

تحقيق: عبد الستار القرغولي.



مطبعة التفيفض - بغداد، ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي:

تاريخ بغداد أو مدينة السلام (١٤) جزء.

نشر دار الكتاب العربي - بيروت.

الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى:

كتاب صورة الارض.

تحقيق هانس فون مزيك.

مطبعة أدولف هدلز هوزن في فيينا سنة ١٩٢٦.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف:

مفاتيح العلوم.

دار الطباعه المنيره - بمطبعه الشرق، ١٣٤٢.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

الدينوري، أبو حنيفه أحمد بن داود:

الاخبار الطوال.

مطبعه عبد الحميد أحمد حنفي - مصر.

بنفقه المكتبه العربيه ببغداد.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز:

(١) كتاب دول الاسلام (جزآن).

طبع بمطبعه جمعيه المعارف العثمانيه - الطبعه الثانيه، ١٣٦٤.

(٢) العبر في خبر من غير (جزآن).

تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

مطبعه الحكومه - الكويت، ١٩٦٠.

الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد الاصبهاني:

محاضرات الادباء و محاورات الشعراء (جزآن)

المطبعة الشرقية بمصر، ١٣٢٦.

الرشيد بن زبير القاضي:

الذخائر و التحف.

تحقيق الدكتور محمد حميد الله راجعه الدكتور صلاح الدين المنجد طبع في الكويت، ١٩٥٩.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤) أجزاء.

دار الكتاب العربي، بيروت.

السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث:

كتاب المصاحف نشره الدكتور ارثر جيفرى.

المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٥٥ - ١٩٣٦.

سهراب (و يعرف بابن سراييون):

كتاب عجائب الاقاليم السبعة الى نهايه العماره.

تحقيق: هانس فون مزيك.

طبع بمطبعة أدولف هولز هوزن في فيينا، ١٩٢٩.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله:

أخبار النحويين البصريين.

تحقيق: طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي.

مكتبه و مطبعه البابي الحلبي و أولاده بمصر ١٣٧٤ - ١٩٥٥.

السيرافي:

رحله السيرافي الى الهند و الصين و اليابان و اندنوسيه دار منشورات البصرى.

مطبعه دار الحديث - بغداد، ١٣٨٠ - ١٩٦١.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

(١) الاشباه و النظائر في النحو (٣) أجزاء.

مطبعة دار المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٦٠.

(٢) تاريخ الخلفاء.

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

مطبعة المدني، مصر، ١٩٦٤.

(٣) بغيه الوعاه في طبقات اللغويين و النحويين (جزآن).

تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم.

مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، ١٣٨٤ - ١٩٦٤.

الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد:

الديارات تحقيق: كور كيس عواد.

مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٦٦ - الطبعة الثانية.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر:

الملك و النحل (جزآن).

تحقيق: محمد سيد كيلاني.

مكتبه و مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٨١ - ١٩٦١.

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر:

نهايه الرتبه في طلب الحسبه.

نشره السيد الباز العربي.

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر - مصر، ١٣٦٥ - ١٩٤٦.

الصابى، أبو الحسين هلال بن المحسن الصابى:

(١) رسوم دار الخلافه.

تحقيق: ميخائيل عواد.

مطبعه العانى - بغداد، ١٣٨٣-١٩٦٤.

(٢) الوزراء أو تحفه الامراء فى تاريخ الوزراء تحقيق: عبد الستار أحمد فراج.

دار أحياء الكتب العربيه، ١٩٥٨.

الصابى ء، غرس النعمه أبو الحسن محمد بن هلال الصابى ء:

الهفوات النادره.

حققه: الدكتور صالح الاشر.

من مطبوعات مجمع اللغه العربيه بدمشق.

الطبعه الاولى، ١٣٨٧-١٩٦٧.

الصفدى، صلاح الدين خليل بن ابيك:

نكت الهميان فى نكت العميان.

وقف على طبعه: أحمد زكى بك.

المطبعه الجماليه بمصر، ١٩١١.

(طبعه مكتبه المثنى بالافست).

الصولى، أبو بكر محمد بن يحيى الصولى:

١- شعر ابن المعتز (القسم الثانى).

دراسه و تحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائى.

دار الحريه للطباعه- بغداد، ١٩٧٨.

٢- كتاب الاوراق (قسم اخبار الشعراء).

عنى بنشره: جى. هيورث دن.

مطبعه الصاوى بمصر، ١٩٣٤.

الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير:

(١) تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل و الملوڪ) الاجزاء:



ص: ٤٤٦

٨، ٩، ١٠.

دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم.

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن (الجزء الاول).

مطبعة و مكتبه البابى الحلبي و اولاده بمصر.

الطبعة الثانية، ١٣٧٣ - ١٩٥٤.

الطرطوشى، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد:

سراج الملوك.

المطبعة الاميريه ببولاق، سنة ١٢٨٩.

آثار البلاد و اخبار العباد.

دار صادر - بيروت، ١٣٨٠ - ١٩٦٠.

القفطى، أبو الحسن جمال الدين على بن يوسف:

(١) انباه الرداه على انباه النحاه (٣) أجزاء.

مطبعة دار الكتب المصريه، ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

(٢) تاريخ الحكماء.

حقيقه يوليوس ليبرت.

طبع فى ليبزك سنة ١٩٠٣.

(طبعه مكتبه المثنى بالافيسيت).

القلقشندى، أبو العباس احمد بن على:

(١) صبح الاعشى فى صناعه الانشا (الجزء - ٣).

طبع المؤسسه العامه للتأليف و الترجمه و النشر.

(٢) مآثر الاناقه فى معالم الخلافه.

تحقيق: عبد الستار أحمد فراج.

وزاره الارشاد و الانباء فى الكويت، ١٩٦٤.

القيروانى، أبو اسحاق ابراهيم بن على الحصرى:

جمع الجواهر فى الملح و النوادر تحقيق محمد على البجاوى.

الطبعة الاولى - دار أحياء الكتب العربيه بمصر، ١٣٧٢-١٩٥٣.

الكاتب، أبو جعفر احمد بن يوسف:

المكافأه.

صححه و علق عليه: أحمد أمين و على الجارم.

الطبعة الاولى - المطبعة الاميرييه ببولاق، ١٩٤١.

الكاتب، محمد بن الحسن بن محمد البغدادى:

كتاب الطبيخ.

نشره الدكتور داود الجلبى.

مطبعة أم الربيعين - الموصل، ١٣٥٣-١٩٣٤.

الكتيبى، محمد بن شاکر بن احمد:

فوات الوفيات (جزآن).

حققه: محمد محيى الدين عبد الحميد.

مطبعة السعاده بمصر، ١٩٥٤.

الكندى، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصياح:

(١) كتاب الكندى الى المعتصم بالله فى الفلسفه الاولى.

حققه و علق عليه: الدكتور أحمد فؤاد الاهواتى دار أحياء الكتب العربيه بمصر، ١٩٤٨-١٣٦٧.

(٢) رسائل الكندى الفلسفيه (جزآن).

حققها و اخرجها: محمد عبد الهادى أبو ريده.

دار الفكر العربى.

مطبعه الاعتماد بمصر، ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

الكندى، أبو عمر محمد بن يوسف المصرى:

كتاب الولاه و كتاب القضاء.

تهذيب و تصحيح: رفت كست.

مطبعه الآباء اليسوعيين - بيروت، ١٩٠٨.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

الماوردى، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى:

(١) الاحكام السلطانيه.

عنى بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبى.

الطبعه الاولى - مطبعه السعاده بمصر.

(٢) أدب القاضى (جزآن).

تحقيق: هلال السرحان.

مطبعه الارشاد- بغداد، ١٣٩١-١٩٧١.

المسعودى، أبو الحسن على بن الحسين:

(١) مروج الذهب و معادن الجواهر (الجزء الرابع).

تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد.

الطبعه الخامسه، سنه ١٣٨٧-١٩٦٧.

(٢) التنبيه و الاشراف.

عنى بتصحيحه و مراجعته: عبد الله اسماعيل الصاوى.

مكتبه الشرق الاسلاميه و مطبعتها، ١٣٥٧-١٩٣٨.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد:

كتاب تجارب الامم (الجزء الاول).

اعتنى بتصحيحه و طبعه: ه. ف. امدروز.

مطبعة شركة التمدن الصناعيه، مصر، ١٣٣٢-١٩١٤ و (الجزء السادس) منه و قد طبعه دى خويه فى مطبعة برييل بليدن فى سنه ١٨٦٩ ملحقا بكتاب العيون و الحداثق فى اخبار الحقائق.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

المقدسى، أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشارى:

أحسن التقاسيم فى معرفه الاقاليم.

طبعه دى خويه فى مطبعة برييل بليدن سنه ١٩٠٦.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

المقرزى، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على:

المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار المعروف بالخطط المقرزیه (جزآن).

مطبعة بولاق بمصر سنه ١٩٢٤.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

مؤلف مجهول: العيون و الحداثق فى اخبار الحقائق (الجزء الثالث).

نشره دى خويه.

مطبعة برييل بليدن فى سنه ١٨٧١.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

مؤلف مجهول:

اخبار الدوله العباسيه (لمؤلف من القرن الثالث).

تحقيق: الدكتور عبد العزيز الدورى و الدكتور عبد الجبار المطلبى.

دار الطليعه للطباعه و النشر- بيروت، ١٩٧١.

الهرثمي، الشعراتي:

مختصر سياسة الحروب.



تحقيق: عبد الرؤوف عون و مراجعه الدكتور محمد مصطفى زياده.

المؤسسه المصريه العامه للتأليف و الترجمه و الطباعه و النشر، مطبعه مصر، ١٩٦٤.

النويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

نهايه الارب فى فنون الادب (الاجزاء: ١، ٥، ٧).

نسخه مصوره عن طبعه دار الكتب.

وزاره الثقافه و الارشاد القومى بمصر.

الوشاء، أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى:

الموشى.

حققه: كمال مصطفى.

الطبعه الثانيه بمطبعه الاعتماد بمصر سنه ١٣٧٣ - ١٩٥٣.

وكيع، القاضى محمد بن خلف بن حيان:

أخبار القضاة (٣) أجزاء.

صححه و علق عليه: عبد العزيز مصطفى المراغى الطبعه الاولى - المكتبه التجاربه الكبرى، ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

اليقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح العباسى:

(١) تاريخ اليعقوبى (جزآن).

دار صادر - بيروت، ١٣٧٩ - ١٩٦٠.

(٢) كتاب البلدان.

طبع فى مطبعه بريل فى ليدن سنه ١٨٩١ مع كتاب الاعلاق النفيسه لابن رسته.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

(٣) مشاكله الناس لزمانهم.

تحقيق: وليم ملورد.

الطبعه الاولى - دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢.

## ٢- المراجع الحديثه:

آرنولد، توماس:

تراث الاسلام.

تأليف جمهره من المستشرقين باشرافه.

تعريف: جرجيس فتح الله.

الطبعه الثانيه- دار الطليعه- بيروت، ١٩٧٨.

الأزميري، اسماعيل حقي:

فيلسوف العرب.

ترجمه: عباس العزاوي.

مطبعه أسعد- بغداد، ١٣٨٢-١٩٦٣.

أمير علي، سيد:

مختصر تاريخ العرب.

ترجمه: عفيف البعلبكي.

دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١.

أمين، أحمد:

(١) ضحى الاسلام (٣) أجزاء.

الطبعه السابعه- مطبعه لجنه التأليف و الترجمة و النشر- القايره، ١٩٦٤.

(٢) ظهر الاسلام (الجزء الثاني و الثالث).

الطبعه الثالثه- مكتبه النهضه المصريه، ١٩٦٢.

ص: ٤٥٣

اتينكهاوزن، ريتشارد:

فن التصوير عند العرب.

ترجمه: الدكتور عيسى سلمان و سليم طه التكريتي.

وزاره الاعلام - بغداد، ١٩٧٣.

باتون، ولتر ملفيل:

احمد بن حنبل و المحنه.

ترجمه و علق عليه: عبد العزيز عبد الحق.

دار الهلال بمصر.

باقر، طه:

(١) مقدمه في تاريخ الحضارات القديمه.

مطبعه الحوادث - بغداد، ١٣٩٣ - ١٩٧٣.

(٢) المرشد الى مواطن الاثار.

بالاشتراك مع فؤاد سفر.

مديرية الفنون و الثقافه الشعبيه بوزاره الارشاد، بغداد، ١٩٦٢.

بروكلمان، كارل:

تاريخ الشعوب الاسلاميه (الجزء الثاني).

ترجمه: الدكتور نبيه فارس و منير البعلبكي.

دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٤٨.

بصمه جي، الدكتور فرج:

كنوز المتحف العراقي.

وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٢.

بيتر، نورمان:

الامبراطوريه البيزنطيه.

ترجمه: حسين مؤنس و محمد يوسف زايد.

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر - القاهرة، ١٩٥٧.

جب، هاملتون:

دراسات في حضاره الاسلام ترجمه احسان عباس و آخرين.

دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٦٤.

جرونيباوم، جوستاف. أ. فون:

حضاره الاسلام.

ترجمه: عبد العزيز توفيق جاويد و مراجعه:

عبد الحميد العبادى.

دار مصر للطباعه، ١٩٥٦.

جواد، الدكتور مصطفى جواد، بالاشتراك مع أحمد سوسه:

دليل خارطه بغداد المفصل في خطط بغداد قديما و حديثا.

مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٣٧٨ - ١٩٥٨.

الحانى، الدكتور ناصر:

النقد الادبى و أثره فى الشعر العباسى.

مطبعة بغداد - ١٩٥٥.

حسن، الدكتور ابراهيم، و الدكتور على ابراهيم حسن:

النظم الاسلاميه.

الطبعة الرابعه - مطبعة ألسنه المحمديه، ١٩٧٠.

الخضرى، محمد:

محاضرات تاريخ الامم الاسلاميه (الجزء الثالث).

الطبعه الثالثه، مطبعه مصطفى محمد بمصر.

الخليلى، جعفر:

موسوعه العتبات المقدسه.

قسم سامراء- الجزء الاول.

دار التعارف- بغداد.

الطبعه الاولى- مطابع دار الكتب، بيروت.

الخورى، فارس:

موجز فى علم المالىه.

مطبعه الحكومه بدمشق، ١٩٢٤.

الخوئى، السيد أبو القاسم الموسوى:

البيان فى تفسير القرآن (الجزء الاول).

المطبعه العلميه فى النجف، ١٣٧٧، ١٩٥٧.

خير الله، الدكتور أمين أسعد:

الطب العربى.

تعريب: الدكتور مصطفى أبو عز الدين.

المطبعه الامريكانيه- بيروت، ١٩٤٦.

الدورى، الدكتور عبد العزيز:

(١) بحث فى نشأه علم التأريخ عند العرب.

المطبعه الكاثوليكيه- بيروت، ١٩٦٠.

(٢) تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى.



مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٤٨.

(٣) النظم الاسلاميه (الجزء الاول).

مطبعة نجيب - بغداد، ١٩٥٠.

دورزى، رينهارت:

المعجم المفصل للملابس عند العرب.

ص: ٤٥٦

ترجمه: الدكتور أكرم فاضل.

دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٣٩١ - ١٩٧١.

دى بور، ت. ج:

تاريخ الفلسفه فى الاسلام.

ترجمه محمد عبد الهادى أبو ريده.

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر - مصر، ١٣٥٧ - ١٩٣٨.

دونلدسن، م:

عقيده الشيعة.

تعريب: ع. م.

مطبعة السعادة - مصر، ١٣٦٥ - ١٩٤٦.

ديماند، م. س:

الفنون الاسلاميه.

ترجمه: أحمد محمد عيسى و مراجعه الدكتور احمد فكرى.

الطبعة الثانيه - دار المعارف بمصر، ١٩٥٨.

روزنتال، فرانز:

علم التاريخ عند المسلمين.

ترجمه: الدكتور صالح أحمد العلى.

مراجعته: محمد توفيق حسين.

مكتبه المثنى ببغداد، ١٩٦٣.

الزركلى، خير الدين:

الاعلام.

قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين.

الطبعة الثانية، (١٠) أجزاء.

ص: ٤٥٧

زیدان، جرجی:

تأریخ التمدن الاسلامی (٥) أجزاء.

مطبعة دار الهلال، مصر، ١٩٢٢.

سابق، السید:

فقه السنه (الجزء الثالث).

دار الكتاب العربی - بیروت. الطبعة الاولى ١٣٩١ - ١٩٧١.

السامر، الدكتور فیصل:

ثوره الزنج.

الطبعة الثانيه - مكتبه المنار بغداد، ١٩٧١.

سرکیس، الیان:

معجم المطبوعات العربیه و المعربه.

مطبعة سرکیس - مصر، ١٢٨ - ١٣٤٦.

سوسه، الدكتور أحمد سوسه:

ری سامراء فی عهد الخلفه العباسیه (جزآن).

مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٤٩.

الطائی، الدكتور فاضل احمد:

أعلام العرب فی الکیمیا.

دار الرشید للنشر - دار الحریه للطباعه - بغداد، ١٤٠١ - ١٩٨١.

طوقان، قدری حافظ:

تراث العرب العلمى.

اصدار مجله المقتطف سنه ١٩٤١.

عبد الرزاق، مصطفى:

فيلسوف العرب و المعلم الثانى.

دار أحياء الكتب العربيه - ١٩٤٥ - ١٣٦٤.

عبد القادر، الدكتور على حسن:

نظرة عامه فى تاريخ الفقه الاسلامى.

مكتبه القاهره الحديثه، الطبعة الثانيه، ١٩٥٦.

العبيدى، الدكتور صلاح حسين:

الملابس العربيه الاسلاميه فى العصر العباسى.

دار الرشيد للنشر - ١٩٨٠.

عثمان، فتحى:

الحدود الاسلاميه البيزنطيه بين الاحتكاك الحربى و الاتصال الحضارى - الكتاب الاول فى الظروف التاريخيه و الجغرافيه لقيامها.

الدار القوميه للطباعه و النشر - القاهره.

على، عبد الله يوسف:

ترجمه معانى القرآن الكريم الى اللغه الانكليزيه.

دار الفكر - بيروت.

العميد، الدكتور طاهر مظفر:

العماره العباسيه فى سامراء.

دار الحريره للطباعه - بغداد، ١٣٩٦ - ١٩٦٧.

عيسى، الدكتور أحمد:

تاريخ اليمارسنات فى الاسلام.

المطبعه الهاشميه - دمشق، ١٣٥٧ - ١٩٣٩.

فازيليف:

العرب و الروم.

ترجمه: الدكتور محمد عبد الهادي شعيره.

دار الفكر العربي.

فراج، عبد الستار احمد:

اشعار الخليل الحسين بن الضحاک.

دار الثقافه - بيروت، ١٩٦٠.

كویل، ارنست:

الفن الاسلامی.

ترجمه: الدكتور أحمد موسى.

دار صادر - بيروت، ١٩٦٦.

لسترانج، غن:

(١) بغداد فی عهد الخلفه العباسیه.

ترجمه: بشیر فرنیسیس.

المطبعه العربیه - بغداد، الطبعه الاولى، ١٣٥٥ - ١٩٣٦.

(٢) بلدان الخلفه الشرقيه.

ترجمه: بشیر فرنیسیس و کور کیس عواد.

مطبعه الرابطه - بغداد، ١٣٧٣ - ١٩٥٤.

لوبون، الدكتور غوستاف:

حضاره العرب.

ترجمه: عادل زعیتر.

الطبعه الثانيه - مطبعه دار أحياء الكتب العربیه، ١٩٤٨.

متر، آدم:



الحضاره الاسلاميه فى القرن الرابع الهجرى (جزآن).

ترجمه: محمد عبد الهادى أبوريد.

ص: ٤٦٠

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر- القاهرة، ١٣٥٩- ١٩٤٠.

مختار، اللواء محمد باشا:

كتاب التوفيقات الالهاميه فى مقارنه التواريخ البحريه بالسنين الافرنكيه و القبطيه.

الطبعة الاولى- المطبعة الاميرييه ببولاق- مصر، ١٣١١.

المخزومى، الدكتور مهدي:

مدرسه الكوفه و منهجها فى دراسه اللغه و النحو.

مطبعة دار المعرفه- بغداد، ١٣٧٤- ١٩٥٥.

مرزوق، الدكتور محمد عبد العزيز:

العراق مهد الفن الاسلامى.

وزاره الاعلام.

مطبعة ثيان، ١٩٧١.

المدنى، أحمد توفيق:

المسلمون فى جزيره صقلية.

المطبعة العربيه- الجزائر، ١٣٦٥.

هرنشو:

علم التاريخ.

ترجمه: عبد الحميد العبادى.

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر- القاهرة، ١٩٣٧.

ص: ٤٦١

هل، يوسف:

الحضاره العربيه.

ترجمه: الدكتور ابراهيم أحمد العدوى، و مراجعه الدكتور حسين مؤنس.

مكتبه الانجلو المصريه- القايره، ١٣٧٥-١٩٥٦.

اليسوعى، الاب رتشرد يوسف مكارتي:

التصانيف المنسوبه الى فيلسوف العرب.

مطبعه العانى- بغداد، ١٣٨٢-١٩٦٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩